# التفسير البسيط

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي

ت (٤٦٨ هـ)

# التفسير البسيط

## لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي

ت (٤٦٨ هـ)

الجزء التاسع

سورة الأعراف

تحقيق

الدكتور محمد بن منصور الفايز

دقّقه ونقّحه وضبطه

الأستاذ الدكتور

عبد العزيز بن سطام بن عبد العزيز آل سعود

الأستاذ الدكتور

تركي بن سهو بن نزال العتيبي

العبيكان
Obeikan

ح شركة العبيكان للتعليم، ١٤٣٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الواحدي، أبو الحسن علي أحمد
التفسير البسيط./ أبو الحسن علي أحمد
الواحدي.- الرياض، ١٤٣٨هـ-٢٥مج.
٥٤٠ ص؛ ١٦,٥ × ٢٤ سم

ردمك: ٠-٢٣-٩٠٥٠٩-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
٢-٣٢-٩٠٥٠٩-٦٠٣-٩٧٨ (ج٩)

١. الواحدي، علي بن أحمد، ت ٤٦٨هـ (المؤلف).
٢. آل سعود، عبدالعزيز بن سطام.
العتيبي، تركي بن سهو، (تدقيق وتنقيح وضبط).

ديوي: ٢٢٧,٣ - ٣٠٥٢ / ١٤٣٨

**الطبعة الثانية**

**١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م**

نشر وتوزيع العبيكان Obeikan
**المملكة العربية السعودية - الرياض -**
**طريق الملك فهد - مقابل برج المملكة**
**هاتف: ٤٨٠٨٦٥٤ ١١ ٩٦٦+ فاكس: ٤٨٠٨٠٩٥ ١١ ٩٦٦+**
**ص.ب: ٦٧٦٢٢ الرياض ١١٥١٧**
**www.obeikanpublishing.com**

جميع الحقوق محفوظة لصاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن سطام بن عبدالعزيز آل سعود. ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ (فوتوكوبي)، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الأمير.

بسم الله الرحمن الرحيم

# تفسير[١]

# سورة الأعراف

بسم الله الرحمن الرحيم

١. ﴿الٓمٓصٓ﴾ . قال أبو إسحاق : «الذي اخترنا[٢] في تفسيرها قول ابن عباس[٣] رضي الله عنه[٤] : «إن معناها أنا الله أعلم ، وأفضل» ، وعلى هذا التفسير : هذه الحروف واقعة في موضع جُمل ، والجمل[٥] إذا كانت ابتداء وخبراً فقط لا موضع لها ؛ مثل قولك : أنا الله أعلم . لا موضع لها من الإعراب ، إنما يرتفع بعض ذا ببعض ؛ فالله يرتفع

---

(١) لفظ : (تفسير) ساقط من (أ) .

(٢) في (ب) : (أخبرنا) ، وهو تصحيف .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١١٥ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٣٧ ، والبيهقي في الأسماء والصفات ١/ ٢٣٢ عن ابن عباس ، قال : «أنا الله أفصل» اهـ . وذكره السيوطي في الدر ٣/ ١٢٥ . وفي سنده عطاء بن السائب الثقفي ، صدوق اختلط فساء حفظه ، انظر : تهذيب التهذيب ٣/ ١٠٣ . والراجح أن الحروف المقطعة في أوائل السور حروف هجائية ، ذكرت للدلالة على إعجاز القرآن ، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله مع أنه مركب من هذه الحروف التي يتخاطبون بها ؛ ليكون عجزهم أبلغ في الحجة عليهم ، وهذا اختيار جماعة من المحققين . انظر : الكشاف ١/ ٧٦ ، وتفسير ابن كثير ٢/ ٢٢٤ ، والشوكاني ٢/ ٢٧٣ ، والشنقيطي ٣/ ٣ـ٧ .

(٤) في (أ) : (رحمه الله) .

(٥) في (أ) : (والجملة) .

[بأنا][١]، (وأعلم) خبر مستأنف يراد به: وأنا أعلم[٢]، وإذا كان معنى ﴿الٓمٓصٓ﴾: أنا الله أعلم، كان إعرابها كإعراب الشيء الذي هو تأويل لها»[٣].

٢. قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾، أجمع النحويون على أن (الكتاب) مرفوع بمضمر قبله، المعنى: هذا ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾[٤].

وأجاز الفرَّاء أن يكون موضع هذه الحروف المعجمة رفعاً بما بعدها، و﴿كِتَٰبٌ﴾ مرتفع بها كالمبتدأ والخبر، والمعنى: ﴿الٓمٓصٓ﴾ حروف ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾، وأطال الكلام في بيان هذا[٥]، ثم أنكر الزَّجَّاج[٦] عليه هذا القول، وطال الخطب بينهما، وإذا رجعت إلى كتابيهما عرفت ما أقول.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٌ مِّنۡهُ﴾ [الأعراف: ٢].

قال ابن عباس[٧] وأبو العالية: «ضيق»[٨].

---

(١) في (ب): (يرتفع أنا).

(٢) لفظ: (الواو) ساقط من (ب)، ويريد أن قوله: «أعلم خبر بعد خبر». انظر: تفسير والرازي ١٤/ ١٤، فقد نقل قول الواحدي.

(٣) انظر: معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣١٣، ٣١٤.

(٤) هذا نص كلام الزَّجَّاج في معانيه ٢/ ٣١٤، وانظر: معاني الأخفش ٢/ ٢٩٣، وإعراب النحاس ١/ ٩٨، والمشكل ١/ ٢٨١.

(٥) انظر: معاني الفرَّاء ١/ ٣٦٩، ٣٧٠.

(٦) انظر: معاني الزَّجَّاج ٢/ ٢١٣، ٢١٤، إعراب النحاس ١/ ٥٩٨.

(٧) تنوير المقباس ٢/ ٨٠، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٥٦، وأخرج ابن حسنون في اللغات ٢٣ـ٢٥، والوزان ٣ب عن ابن عباس قال: «حرج: ضيق بلغة قيس عيلان، وشك بلغة قريش».

(٨) ذكره الثعلبي في الكشف ١٨٧ب، والبغوي في تفسيره ٣/ ٢١٣.

قال أبو إسحاق :

«معناه : لا يضيق صدرك بالإبلاغ ولا تخافن ؛ وذلك أنه يروى عن النبي ﷺ أنه قال : «أي رب ، إني أخاف أن يثلغوا[١] رأسي»[٢] ، فأعلم الله -عز وجل- أنه في أمان منهم ، فقال : ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ ؛ أي فلا يضيقن صدرك من تأدية ما أرسلت به»[٣] .

وقال الفرَّاء : «لا يضيق صدرك بالقرآن بأن يكذبوك»[٤] . وقال مجاهد[٥] ومقاتل[٦] : «فلا يكن في قلبك شك[٧] في القرآن أنه من الله» .

وقال أبو إسحاق : «وتأويل هذا ، وقوله : ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة : ١٤٧] ، وقوله : ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ﴾ [يونس : ٩٤] ، أن ما خوطب به النبي ﷺ فهو خطاب لأمته ، فكأنه بمنزلة : فلا تشكوا ولا ترتابوا»[٨] .

---

(١) في (ب) : (تبلغوا) ، وهو تحريف ، والثلغ : الشدخ وضرب الشيء الرطب بالشيء اليابس حتى ينشدخ . انظر : النهاية ١/ ٢٢٠ .

(٢) هذا طرف من حديث طويل ، أخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٦٢ ، ومسلم في صحيحه ، رقم : ٢٨٦٥ عن عياض بن حمار المجاشعي ، أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته : «إن الله أمرني أن أحرق قريشاً ، فقلت : رب إذاً يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة ....» . ومعنى يثلغوا رأسي ؛ أي يشدخوه ويشجّوه كما يشدخ الخبز ؛ أي يكسر . أفاده الإمام النووي -رحمه الله تعالى- في شرح مسلم ١٧/ ٢٨٩ .

(٣) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣١٥ ، وانظر : معاني النحاس ٣/ ٧ ، ٨ .

(٤) معاني الفرَّاء ١/ ٣٧٠ .

(٥) تفسير مجاهد ١/ ٢٣١ ، وأخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١١٦ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٣٨ بسند جيد .

(٦) تفسير مقاتل ٢/ ٢٩ .

(٧) في (أ) : شيء ، وهو تحريف .

(٨) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣١٥ ، ومثله في معاني النحاس ٢/ ٧ ، ٨ . والراجح أن المراد بالحرج في الآية الضيق ؛ لأن ذلك هو الغالب من معناه في كلام العرب ، وهو اختيار أبي عبيدة في مجاز القرآن ١/ ٢١٠ ، والطبري في تفسيره ٨/ ١١٦ ، وابن عطية ٥/ ٤٢٣ ، وأبي حيان في البحر ٤/ ٢٦٦ .

قال ابن قتيبة : «وأصل الحرج الضيق ، والشك في الشيء يضيق صدره ؛ لأنه لا يعلم حقيقته ، فسمي الشك حرجاً»[(١)] ، وأما اشتقاق هذا الحرف فقد ذكرناه في سورة الأنعام [١٢٥] .

وقوله : ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾ . قال الفرَّاء : «اللام في ﴿لِتُنذِرَ﴾ متعلق بقوله : ﴿أُنزِلَ﴾ على التقديم والتأخير ، على تقدير ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ لتنذر به ﴿فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾»[(٢)] .

وقال ابن الأنباري : «ويجوز أن تكون اللام صلة للكون[(٣)] على معنى : ﴿فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ﴾ شيء[(٤)] ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾ ، كما يقول الرجل من العرب للرجل : لا تكن ظالماً ليقضي[(٥)] صاحبك دينه ، فتحمل[(٦)] لام كي على الكون»[(٧)] .

---

(١) تفسير غريب القرآن ١٧٦ .

(٢) معاني الفرَّاء ١/ ٣٧٠ ، وانظر : معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣١٥ ، وتفسير الطبري ٨/ ١١٧ ، ومعاني النحاس ٣/ ٨ .

(٣) في (ب) : (ليكون) .

(٤) في (ب) : (شك) .

(٥) في (أ) : (لتقضي) بالتاء .

(٦) في (أ) : (فيحمل) بالياء .

(٧) ذكره الرازي في تفسيره ١٤/ ١٦ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ٢٦٦ ، ونقله السمين في الدر ٥/ ٢٤٢ ، ٢٤٣ عن الواحدي عن ابن الأنباري ، وانظر : كلام ابن الأنباري على مادة (حرج) في الزاهر ١/ ٢٣٦ ، والمذكر والمؤنث ١/ ٢٥٨ ، وشرح القصائد ٣٢١ ، ٥٨٠ ، وإيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٦٥٠ .

قال صاحب النظم[١] : «وفيه وجه آخر : وهو أن تكون[٢] اللام بمعنى (أن) ، والمعنى[٣] : لا يضيق صدرك ولا يضعف عن أن تنذر به ، والعرب تضع هذه اللام في موضع (أن) ، كقوله تعالى : ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا﴾ [التوبة : ٣٢] ، وفي موضع آخر : ﴿لِيُطْفِئُوا﴾ [الصف : ٨] ، وهما جميعاً بمعنى واحد»[٤] .

وقوله تعالى : ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ . قال ابن عباس : «يريد : ومواعظ للمصدقين»[٥] . قال الزَّجَّاج : «هو اسم في موضع المصدر وفيه ألف التأنيث بمنزلة دعوت دعوى ، ورجعت رجعى ، واتقيت تقوى»[٦] .

وقال الليث : «الذكرى اسم للتذكرة»[٧] ، والتفعلة مصدر كالتفعيل ، نحو قوله تعالى : ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ﴾[ق : ٨] .

---

(١) صاحب النظم ، أبو علي الحسن بن يحيى الجرجاني . تقدمت ترجمته ، وكتابه نظم القرآن مفقود .

(٢) في (أ) : (يكون) بالياء .

(٣) في (ب) : (فالمعنى) .

(٤) ذكره الرازي في تفسيره ١٤/ ١٦ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ٢٦٦ ، ونقله السمين في الدر ٥/ ٢٤٢ـ ٢٤٤ ، وقال : «هذا قول ساقط جداً ، كيف يكون حرف يختص بالأفعال يقع موقع آخر مختص بالأسماء ؟ . ونقل الشيخ أبو حيان في البحر عن ابن الأنباري وصاحب النظم : أن اللام متعلقة بما تعلق به خبر الكون ، إذ التقدير : فلا يكن حرج مستقراً في صدرك لأجل الإنذار ، والذي نقله الواحدي عن نص ابن الأنباري في ذلك : أن اللام متعلقة بالكون ، وعن صاحب النظم : أن اللام بمعنى (أن) ، فيجوز أن يكون لهما كلامان» اهـ . ملخصاً . وانظر : إعراب النحاس ١/ ٥٩٩ ، والبيان ١/ ٣٥٣ ، والتبيان ٣٦٧ ، والفريد ٢/ ٢٦٦ .

(٥) ذكره الرازي في تفسيره ١٤/ ١٧ ، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٥٦ من دون نسبة . وفي تنوير المقباس ٢/ ٨٠ نحوه .

(٦) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣١٦ .

(٧) تهذيب اللغة ٢/ ١٢٨٦ ، وانظر : العين ٥/ ٣٤٦ ، وأصل الذكر بالكسر حفظ الشيء ، وجري الشيء على اللسان ، والذكر والذكرى بالكسر ضد النسيان ، انظر : الجمهرة ٢/ ٦٩٤ ، والصحاح ٢/ ٦٦٤ ، والمجمل ٢/ ٣٦٠ ، والمفردات ٣٢٨ ، واللسان (ذكر) ٣/ ١٥٠٧ .

وأما محل ﴿ذِكْرَىٰ﴾ من الإعراب، فقال الفرَّاء: «يجوز أن يكون في موضع نصب على معنى: ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾ وتذكر، قال: ويجوز أن يكون رفعاً بالرد على الكتاب، كأنك قلت: كتاب حق وذكرى[(١)].

وقال الزَّجَّاج: «ويجوز على أن يكون وهو (ذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ)، قال: ويجوز أن يكون خفضاً؛ لأن معنى ﴿لِتُنذِرَ﴾: لأن تنذر فهو في موضع خفض؛ لأن المعنى للإنذار والذكرى»[(٢)].

٣. وقوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾. قال الحسن: «يا ابن آدم أمرت باتباع كتاب الله وسنة محمد ﷺ[(٣)]، والله ما نزلت آية إلا ويجب أن تعلم في ما أنزلت وما معناها»[(٤)]. ونحو هذا قال الزَّجَّاج: «أي اتبعوا القرآن وما أتى به النبي ﷺ، فإنه مما أنزل عليه؛ لقوله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[(٥)] [الحشر: ٧].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾. قال ابن عباس: «يريد: لا تتخذوا غيره أولياء، ﴿قَلِيلًا﴾ يا معشر المشركين ﴿مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ يريد: ما

---

(١) انظر: معاني الفرَّاء ١/ ٣٧٠.

(٢) انظر: معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣١٥، ٣١٦، وعلى هذا فيه ثلاثة أوجه: الرفع: عطفاً على كتاب أو على إضمار مبتدأ، والنصب: على المصدر؛ أي وتذكر ذكرى، أو على العطف على موضع (لتنذر). والجر على العطف على المصدر المنسبك في أن المقدرة بعد لام كي؛ أي للإنذار والتذكير، أو على الضمير في (به). وانظر: إعراب النحاس ١/ ٥٩٩، والمشكل ١/ ٢٨١، والبيان ١/ ٣٥٣، والتبيان٣٦٧، والفريد ٢/ ٢٦٦، والدر المصون ٥/ ٢٤٤.

(٣) في (أ): «ﷺ».

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٥٦، والرازي في تفسيره ١٤/ ١٨، والخازن ٢/ ٢٠٩.

(٥) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣١٦، ونحوه ذكر الطبري في تفسيره ٨/ ١١٧، والنحاس في معانيه ٣/ ٨، ٩، والسمرقندي في تفسيره ١/ ٥٣٠.

تتعظون»[١] . وهذا من قول ابن عباس ، يدل على أن الآية خطاب للمشركين[٢] ، و﴿تَذَكَّرُونَ﴾ أصله تتذكرون ، فأدغم تاء (تتفعل) في الذال ؛ لأن التاء مهموسة والذال مجهورة[٣] ، والمجهور أزيد صوتاً من المهموس ؛ فحسن إدغام الأنقص في الأزيد ، و﴿مَّا﴾ موصولة بالفعل ، وهي معه بمنزلة المصدر ، والمعنى : قليلاً[٤] تذكركم ، وقرأ حمزة[٥] والكسائي وحفص[٦] خفيفة الذال شديدة الكاف ، حذفوا التاء التي أدغمها الأولون ، وذلك حسن ؛ لاجتماع ثلاثة أحرف متقاربة ، ويقوي ذلك قولهم : اسطاع[٧] .

---

(١) في تنوير المقباس ٢/ ٨١ نحوه من دون لفظ (المشركين) .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٨/ ١١٧ ، ومعاني الزَّجَّاج ٢/ ٣١٦ ، والنحاس ٣/ ٩ .

(٣) الهمس : الخفاء ، وهو جريان النفس عند النطق بالحرف لضعف الاعتماد على مخرجه . وضده الجهر ، وهو الظهور والإعلان ، والمراد به : انحباس النفس عند النطق بالحرف لقوة الاعتماد على مخرجه ، انظر : سر صناعة الإعراب ١/ ٦٠ ، وغاية المريد لعطية نصر ١٣٩ .

(٤) في (ب) : (قليلاً ما تذكركم) . والنص من الحجة ٤/ ٥ـ٧ ، وانظر : الدر المصون ٥/ ٢٤٦ .

(٥) قرأ حمزة ، والكسائي ، وحفص عن عاصم ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ بالتاء خفيفة الذال مشددة الكاف ، وقرأ الباقون : ﴿تَذَّكَّرُونَ﴾ بالتاء مشددة الذال والكاف . وقرأ ابن عامر : (قليلاً ما يتذكّرون) بياء وتاء ، وتخفيف الذال وتشديد الكاف ، وقد روي عنه بتاءين : ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾ . انظر : السبعة ٢٧٨ ، والمبسوط ٢٧٩ ، والتذكرة ٢/ ٤١٧ ، والتيسير ١٠٩ ، والنشر ٢/ ٢٦٧ .

(٦) حفص عن عاصم ، وحفص : هو حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي ، أبو عمر الكوفي ، صاحب عاصم ، إمام في القراءة ، ضابط لها بخلاف حاله في الحديث ، فهو متروك الحديث مع إمامته في القراءة ، توفي سنة ١٨٠هـ ، وله تسعون سنة . انظر : الجرح والتعديل ٣/ ١٧٣ ، ومعرفة القراء ١/ ١٤٠ ، وغاية النهاية ١/ ١٥٤ ، وتهذيب التهذيب ١/ ٤٥٠ ، وتقريب التهذيب ١٧٢ ، ١٤٠٥ .

(٧) انظر : معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣١٦ ، ٣١٧ ، وإعراب النحاس ١/ ٥٩٩ ، والمشكل ١/ ٢٨١ ، وقد جاء في سورة الكهف [الآية٩٧] قوله تعالى : ﴿فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا﴾ . قرأ حمزة بتشديد الطاء ، والباقون بالتخفيف . انظر : السبعة ٤٠١ ، والحجة لأبي علي ٥/ ١٧٩ .

وقرأ ابن عامر: ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾ بياء[1] وتاء ووجهه[2] أن هذا خطاب للنبي ﷺ[3]؛ أي قليلاً ما يتذكر هؤلاء الذين[4] ذكروا بهذا الخطاب[5].

٤. وقوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ الآية.

قال أبو إسحاق: «موضع ﴿كَمْ﴾ رفع بالابتداء، وخبره ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾، قال: وهو أحسن من أن يكون في موضع نصب؛ لأن قولك: (زيد ضربته) أجود من (زيداً ضربته)، والنصب جيد عربي أيضاً كقوله[6]: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩][7]».

---

(١) هنا وقع اضطراب في نسخة (ب)، فوقع الكلام على هذه الآيات في ١٤٠ب.

(٢) في (ب): (ووجه)، وهو تحريف.

(٣) في (أ): (عليه السلام).

(٤) لفظ: (الذين) ساقط من (ب).

(٥) هذا كلام أبي علي في الحجة ٤/ ٥، ٦. وانظر: معاني القراءات ١/ ٤٠٠، والحجة لابن زنجلة ٢٧٩، والكشف ١/ ٤٦٠.

(٦) والنصب في هذه الآية أجود، وهي القراءة المشهورة التي عليها الجماعة؛ لأن الفائدة فيه أثر من فائدة الرفع؛ لأن التقدير: خلقنا كل شيء بقدر، فيدل على العموم واشتمال الخلق على جميع الأشياء. انظر: إعراب النحاس ١/ ٥٩٩، والمشكل ٢/ ٧٠١_ ٧٠٣، والبيان ٢/ ٤٠٦.

(٧) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣١٨. وانظر: إعراب النحاس ٢/ ١١٤، والمشكل ١/ ٢٨١، ٢٨٢. والنصب على الاشتغال بإضمار فعل يفسره ما بعده، ويقدر الفعل متأخراً عن (كم)؛ لأن لها صدر الكلام، والتقدير: وكم من قرية أهلكنا. انظر: الدر المصون ٥/ ٢٤٨.

وقال أهل العربية[١] والمعاني : «الآية من حذف[٢] المضاف لأن التقدير : وكم من أهل قرية ، يدل على هــذا قوله : ﴿ أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴾[٣] فعاد بالكلام [إلى][٤] أهل القرية» .

وقوله تعالى : ﴿ فَجَآءَهَا بَأْسُنَا ﴾ . قــال الفرَّاء : «يقال : إنما أتاها البأس[٥] من قبل الإهلاك ، فكيف تقــدم الهلاك ؟ قيل : إن الهلاك والبــأس يقعان معاً ، كما تقول : أعطيتني فأحســنت ، فلم يكن الإحسان قبل الإعطاء ولا بعده ، إنما وقعا معاً»[٦] .

وقال غــيره[٧] : «هذا على مذهب الإرادة ، والتقديــر : وكم من قرية أردنا إهلاكهــا[٨] ﴿ فَجَآءَهَا بَأْسُنَا ﴾ ، كقوله تعــالى : ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ ﴾

---

(١) انظر : معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣١٧ ، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٣١ .

(٢) الظاهر عدم الحذف لعدم الحاجة إليه ؛ لأن إهلاك القرية يمكن أن يقع عليها نفسها ، ولأن القرية لا تسمى بذلك إلا وفيها مساكن لأهلها وسكان منهم ، ففي إهلاكها إهلاك من فيها من أهلها .
أفاده الطبري في تفسيره ٨/ ١١٨ . وقال : «هذا أولى بالحق لموافقته ظاهر التنزيل المتلو» اهـ . وهو اختيار الزمخشري في الكشف ١/ ٦٧ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ٢٦٨ ، والسمين في الدر ٥/ ٢٤٨ .

(٣) في (ب) : (هم قائلون) .

(٤) لفظ : (إلى) ساقط من (ب) .

(٥) في (ب) : (الناس) ، وهو تصحيف .

(٦) معاني الفرَّاء ١/ ٣٧١ .

(٧) هذا قول مكي في المشكل ١/ ٢٨٢ وقال السمين في الدر ٥/ ٢٤٨ : «والجمهور أجابوا عن ذلك بوجهين أحدهما : أنه على حذف الإرادة ، والثاني : أن المعنى : أهلكناها ؛ أي خذلناهم ولم نوِّفقهم ، فنشأ عن ذلك هلاكهم ، فعبر بالمسبب عن سببه وهو باب واسع» اهـ . وانظر : تاريخ الطبري ١٢/ ٣٠٠، ٣٠١ .

(٨) في (ب) : (هلاكها) .

[المائـدة : ٦] . ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾[(١)]» [النحـل : ٩٨] . ومعنـى ﴿ فَجَآءَهَا بَأْسُنَا ﴾ يريد : جاءها عذابنا . قاله ابن عباس[(٢)] .

وقوله تعـالى : ﴿ بَيَٰتًا ﴾ ؛ أي ليلاً[(٣)] . قال الفرَّاء : «يقال : بات الرجل وهو يبيت بيتاً ، وربما قالوا : بياتاً ، قال : وسمي البيت بيتاً ؛ لأنه يبات فيه»[(٤)] .

وقال الليث : «البيتوتة دخولك في الليل ، قال : ومن قال : بات فلان إذا نام فقد أخطأ»[(٥)] .

وقال ابن كيسـان[(٦)] : «بات يجـوز أن يجرى مجرى نـام ، وأن يجرى مجرى كان»[(٧)] .

---

(١) في النسخ : (وإذا) ، وهو تحريف .

(٢) تنوير المقباس ٢/ ٨١ .

(٣) هذا قول الجمهور ، منهم أبو عبيدة في المجاز ١/ ٢١٠ ، وابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ١٧٦ ، والطبري في تفسيره ٨/ ١١٨ ، والزَّجَّاج في معانيه ٢/ ٣١٧ ، والسمرقندي ١/ ٥٣١ ، وقال الكرماني في غرائبه ١/ ٣٩٦ : «المفسرون عن آخرهم فسروا ﴿ بَيَٰتًا ﴾ ليلاً» اهـ. وقال السمين في الدر ٥/ ٢٥٠ : «قال الواحدي ﴿ بَيَٰتًا ﴾ ؛ أي ليلاً ، وظاهر هذه العبارة أن يكون ظرفاً لولا أن يقال : أراد تفسير معنى» اهـ .

(٤) ذكره الرازي في تفسيره ١٤/ ٢١ ، وفي تهذيب اللغة ١/ ٢٥٠ عن الفرَّاء قال : «بات الرجل إذا سهر الليل كله في طاعة أو معصية» . قال الأزهري «وقوله تعالى : ﴿ فَجَآءَهَا بَأْسُنَا ﴾ ؛ أي ليلاً ، والبيت سمي بيتاً لأنه يبات فيه» اهـ . ولم أقف عليه في معاني الفرَّاء .

(٥) تهذيب اللغة ١/ ٢٥٠ ، والعين ٨/ ١٣٨ . وأصل البيت مأوى الإنسان بالليل ، ثم يقال للمسكن : بيت من غير اعتبار الليل فيه ، وجمعه (بيوت) ، وهي بالمساكن أخص ، وأبيات وهي لأبيات الشعر ، والبيات والتبييت : قصد العدو ليلاً ، والبيوت : ما يفعل بالليل ، ويقال لكل فعل دبر فيه بالليل : بيت . انظر : الجمهرة ١/ ٢٥٧ ، والصحاح ١/ ٢٤٤ ، والمجمل ١/ ١٣٩ ، والمفردات ١٥١ ، واللسان (بيت) ١/ ٣٩٣ .

(٦) ابن كيسان : محمد بن أحمد بن كيسان أو الحسن النحوي ، تقدمت ترجمته .

(٧) تهذيب اللغة ١/ ٢٥٠ .

وقال الزَّجّاج : «يقال[١] : بات بياتاً حسناً وبيتة حسنة ، والمصدر من الأصل بات بيتاً ، وأصل تسمية البيت من أنه يصلح للمبيت»[٢] .

وقد ذكرنا ما في هذا[٣] الحرف عند قوله :﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾ [النساء : ١٠٨] و﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ [النساء : ٨١] .

وقوله تعالى : ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾[٤] . قال الفرَّاء : «وفيه واو مضمرة . المعنى : أهلكناها ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ فاستثقلوا[٥] نسقاً على أثر نسق ، ولو قيل كان صواباً» .

قال ابن الأنباري : «أضمرت واو الحال لوضوح معناها ؛ كما تقول العرب : لقيت عبدالله مسرعاً أو[٦] هو يركض ، ولا يضرنك ظالماً أو[٧] أنت مظلوم ، يريدون : (أو وأنت) ، فيحذفون الواو عند أمنهم اللبس ؛ لأن الذكر قد عاد على صاحب الحال ، ومن أجل أن (أو) حرف عطف والواو كذلك استثقلوا جمعاً بين حرفين من حروف العطف فحذفوا الثاني»[٨] .

---

(١) لفظ : (يقال) ساقط من (أ) .

(٢) معاني الزَّجّاج ٢/ ٣١٧ ، وانظر : الزاهر ١/ ٤٤٣ .

(٣) انظر : البسيط ، نسخة جستربتي ٢/ ١٢ب و٢٢ب .

(٤) في معاني الفرَّاء ٤/ ٣٧٢ : ﴿بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ .

(٥) لفظ : (فاستثقلوا) ساقط من (ب) .

(٦) في (ب) : (إذ هو) ، وهو تحريف .

(٧) في (ب) : (وأنت) .

(٨) ذكره السمين في الدر ٥/ ٢٥٢ .

قال : «و(أو) في هذا الموضع لا يوجب الشك ، لكنها دخلت للتفصيل ، والتفصيل يضارع الإباحة ، فيقول الرجل لصاحبه : لأكرمنك منصفاً لي أو ظالماً ، لم يحمل (أو) في هذا على شك ، بل يُعنى بها التفصيل»[1] .

وقال الزَّجَّاج : «لا يحتاج[2] إلى ضمير الواو ، كما تقول : جاءني[3] زيد راجلاً أو هو فارس لم[4] تحتج إلى واو ؛ لأن الذكر قد عاد إلى الأول ، قال : و(أو)[5] هاهنا دخلت على جهة تصرف الشيء ووقوعه إما مرة كذا ، وإما مرة كذا على تقدير : جاءهم بأسنا مرة ليلاً ومرة نهاراً فاعتبروا بهلاك من شئتم منهم»[6] .

قال الليث : «القيلولة نومة نصف النهار ، وهي القائلة»[7] . قال الفرَّاء : «قال الرجل يقيلُ قيلولةً وقيلاً وقائلةً ومقيلاً»[8] .

وقال الأزهري : «القيلولة عند العرب الاستراحة نصف النهار إذا اشتد الحر ، وإن لم يكن مع ذلك نوم ، والدليل على ذلك أن الجنة لا نوم فيها ، والله تعالى يقول : ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان : ٢٤]»[9]

---

(١) لم أقف عليه .

(٢) في (ب) : (لا تحتاج) بالتاء .

(٣) جاء في النسخ : «كم جاءني» ، ولعله تحريف .

(٤) في معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣١٧ : «جاءني زيد راجلاً أو وهو فارس ، أو جاءني زيد وهو فارس» اهـ .

(٥) في (أ) : (قال : الواو) .

(٦) انظر : معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣١٨ ، وقوله : على تقدير إلى آخره . لم يرد فيه .

(٧) تهذيب اللغة ٣/ ٢٨٦١ ، وانظر : العين (قيل) ٥/ ٢١٥ .

(٨) ذكره أبو حيان في البحر ٤/ ٢٦٤ ، وفي اللسان ٦/ ٣٧٩٦ ، قيل : «قال الليث : القيلولة نوم نصف النهار ، وهي القائلة ، قال : يقيل ، وقد قال القوم : قيلاً وقائلة وقيلولة ومقالاً ومقيلاً الأخيرة عن سيبويه» اهـ .
انظر : الكتاب ٤/ ٨٩ ، والجمهرة ٢/ ٩٧٧ ، والصحاح ٥/ ١٨٠٨ ، والمجمل ٣/ ٧٣٩ ، والمفردات (قيل) ٦٩٠ .

(٩) تهذيب اللغة ٣/ ٢٨٦١ ولم يذكر الآية .

ومعنى الآية : أنهم جاءهم بأسـنا ، وهم غير متوقعين له ؛ إما ليلاً وهم نائمون ، أو نهاراً وهم قائلون كأنهم غافلون[(١)] .

٥. قوله تعالى : ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ﴾ . قال أهل اللغة : «الدعوى اسـم[(٢)] يقوم مقام الادعاء[(٣)] ومقام الدعاء» ، حكى سـيبويه : «اللهم أشركنا في صالح دعاء المسلمين ودعوى المسلمين»[(٤)] وأنشدوا :

وَإِنْ مَذِلَتْ رِجْلِي دَعَوْتُكِ أَشْتَفِي ... بِدَعْوَاكِ منْ مَذْلٍ بِهَا فَيَهُونُ[(٥)]

قال ابن عباس في معنى الآية : «فما كان تضرعهم ﴿إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ فأقروا على أنفسهم بالشرك»[(٦)] .

قـال ابن الأنباري : «يريد : فما كان قولهـم ﴿إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ﴾ إلا الاعتراف بالظلم والإقرار بالإساءة»[(٧)] .

---

(١) انظر : معاني الزَّجّاج ٢/ ٣١٨ ، ومعاني النحاس ٣/ ٩ .

(٢) الدَّعْوى : بفتح الدال وسكون العين ، والادِّعَاء : بكسر الدال وفتح العين ، والدُّعَاء : بضم الدال وفتح العين ، انظر : العين ٢/ ٢٢١ ، والجمهرة ٢/ ٦٦٦ و١٠٥٩ ، والصحاح ٦/ ٢٣٣٦ ، والمجمل ٢/ ٣٢٦ ، والمفردات ٣١٦ ، واللسان (دعا) ٣/ ١٣٨٥ .

(٣) في (ب) : (الإدغام) ، وهو تحريف .

(٤) تهذيب اللغة ٢/ ١١٨٨ ، وفي الكتاب ٤/ ٤٠ ، قال : «الدعوى ما ادعيت» ، وقال بعض العرب «اللهم أشركنا في دعوى المسلمين» اهـ .

(٥) الشاهد لكثير عزة في ديوانه ٢٢٧ ، وبلا نسبة في تفسير الطبري ٨/ ١٢٠ ، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٣٦٧ ، وتفسير الثعلبي ١٨٧ب ، والمخصص ٥/ ٨٤ ، وتفسير ابن عطية ٥/ ٤٢٨ ، وابن الجوزي ٣/ ١٦٩ ، واللسان (مذل) ٧/ ٤١٦٤ ، الدر المصون ٥/ ٢٥٤ ، وفي الديوان :

إذا خدِرَتْ رجلي ذكرتكِ أشتفي ... بذكركِ من مذلٍ بها فيهونُ

ومذلت رجله ـ بفتح الميم وكسر الذال ـ أي خدرت ، انظر : اللسان (مذل) ٧/ ٤١٦٤ .

(٦) ذكره الرازي في تفسيره ١٤/ ٢١ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ٢٦٩ ، وانظر : تنوير المقباس ٢/ ٨١ ، وفيه : «دعواهم : قولهم» .

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٥٧ ، وابن الجوزي في تفسيره ٣/ ١٦٨ ، والرازي ١٤/ ٢١ .

وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ﴾. الاختيار عند النحويين أن يكون موضع ﴿أَن﴾ رفعاً بكان، ويكون الدعوى نصباً[(١)] كقوله: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ﴾ [النمل: ٥٦]، وقوله: ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ﴾ [الحشر: ١٧].

وقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ﴾[(٢)] [الجاثية: ٢٥]. ويجوز أن يكون على الضد[(٣)] من هذا بأن يكون الدعوى رفعاً، و﴿أَن قَالُوٓاْ﴾ نصباً، كقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ﴾ [البقرة: ١٧٧] على قراءة[(٤)] من رفع ﴿ٱلْبِرَّ﴾، والأصل في هذا الباب أنه إذا[(٥)] اجتمع بعد (كان) معرفتان، فأنت مخيّر في أن ترفع[(٦)] أحدهما وتنصب الآخر، كقولك: كان زيدٌ أخاك، وإن شئت كان زيداً أخوك.

قال الزَّجَّاج: «إلا أن الاختيار إذا كانت الدعوى في موضع رفع أن يقول: فما كانت دعواهم، فلما قال: ﴿كَانَ﴾ دلّ أن الدعوى في موضع نصب، غير أنه يجوز تذكير الدعوى، وإن كانت رفعاً، فتقول: كان دعواه [باطلاً][(٧)]

---

(١) فدعواهم: خبر مقدم، و﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ﴾ اسم كان مؤخر. وهو اختيار الفرَّاء في معانيه ١/ ٣٧٢، والزَّجَّاج ٢/ ٣١٩، والنحاس في إعراب القرآن ١/ ٦٠٠، والزمخشري في الكشاف ٢/ ٦٧، وابن عطية في تفسيره ٥/ ٤٢٤، قال الهمداني في الفريد ٢/ ٢٧٠: «وهذا أحسن حملاً على ما ورد من نظائره في التنزيل» اهـ.

(٢) في النسخ: (ومكان) بالواو، وهو تحريف.

(٣) هذا قول مكي في المشكل ١/ ٢٨٢، والعكبري في التبيان ٣٦٩، واختاره أبو حيان في البحر ٤/ ٢٦٩.

(٤) قرأ حمزة وعاصم في رواية ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ﴾ بفتح الراء، وقرأ الباقون: ﴿ٱلْبِرَّ﴾ بالرفع، فمن رفع جعل ﴿ٱلْبِرَّ﴾ اسم ليس، و﴿أَن تُوَلُّواْ﴾ الخبر، ومن نصب جعل ﴿ٱلْبِرَّ﴾ خبراً مقدماً، و﴿أَن تُوَلُّواْ﴾ اسم ليس. انظر: السبعة ١٧٦، والحجة لأبي علي ٢/ ٢٧٠، والمشكل ١/ ١١٧.

(٥) انظر: الحجة لأبي علي ٢/ ٢٧٠.

(٦) في (ب): (يرفع أحدهما وينصب) بالياء.

(٧) لفظ: (باطلاً) ساقط من (ب).

وباطلة»[١] . ومـــا حكينا من القولين في موضع الدعوى من الإعراب معنى قول الفرَّاء[٢] والزَّجَّاج[٣] .

٦. قوله تعالى : ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ ﴾ ، قال عطاء عنه : «يُسأل الناس جميعاً عما أجابوا المرسلين ، ويُسأل المرسلون عما بلغوا»[٤] .

وقال ابن عباس : «يســـأل الأمم عما جاءهم من الله ، ويســـأل[٥] النبيين هل بلغتم رسالتي»[٦] .

وقـــال الضحـــاك : «﴿ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ ﴾ : الأمم الذين أتاهم الرســـل يُسألون : هل بلغكم الرسل ما أرسلوا به إليكم ؟ ﴿ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ يعني : الأنبياء ، هل بلغتم قومكم ما أرسلتم به ؟ وماذا أجابكم قومكم ؟»[٧] .

وقال السدي : «نسأل[٨] الأمم : ماذا عملوا في ما جاءت به الرسل ؟ ونسأل الرسل : هل بلغوا ما أرسلوا به ؟»[٩] .

---

(١) انظر : معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣١٩ ، وعليه يكون تذكير الفعل قرينة مرجحة لإسناد الفعل إلى (أن قالوا) ، ولو كان مسنداً للدعوى لكان الأرجح (كانت) . أفاده السمين في الدر ٥/ ٢٥٤ .

(٢) انظر : معاني الفرَّاء ١/ ٣٧٢ .

(٣) انظر : معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣١٩ .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٢١ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٣٩ بسند جيد ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ١٢٦ .

(٥) في (أ) : «نسأل الأمم . . . ونسأل النبيين» بالنون .

(٦) انظر : تنوير المقباس ٢/ ٨١ ، وتفسير البغوي ٣/ ٢١٤ ، وابن الجوزي ٣/ ١٦٩ .

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٥٧ .

(٨) في (ب) : (يسأل) بالياء .

(٩) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٢١ ، بسند جيد .

٧. قولـه تعـالى : ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ﴾ ، قال الضحـاك : «لنخبرنهم بما عملوا بعلم منّا ﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾ عن الرسل والأمم ما بلغت ، وما رد عليهم قومهم»[(١)] .

وقال ابن عباس : «﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ﴾ ينطق لهم كتاب أعمالهم ، يقول الله : ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ﴾»[(٢)] [الجاثية : ٢٩] .

٨. قوله تعالى : ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ﴾ ، يعني : يوم السـؤال ، ﴿وَٱلْوَزْنُ ﴾ ابتداء ، وخبره ﴿ ٱلْحَقُّ ﴾[(٣)] وابن عباس[(٤)] وعامة المفسرين[(٥)] على أن المراد بهذا الوزن أعمال العباد .

قال ابن الأنبـاري : «أكد الله به الاحتجاج على العباد وقطع به عذرهم وبيّن به[(٦)] لهم عدله ، وأنه لا يظلم أحداً»[(٧)] .

---

(١) ذكره من دون نسبة الواحدي في الوسيط ١/ ١٥٨ ، والبغوي ٣/ ٢١٤ ، وابن الجوزي ٣/ ١٦٩ .
(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٢٢ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٤٠ ، بسند ضعيف .
(٣) انظر : معاني الفرَّاء ١/ ٣٧٣ ، وإعراب النحاس ١/ ٦٠٠ ، والمشكل ١/ ٢٨٢ .
(٤) يأتي تخريجه في ما بعد .
(٥) ذكر مثله الواحدي في الوسيط ١/ ١٥٨ ، والبغوي في تفسيره ٣/ ٢١٤ ، وأخرجه الطبري في تفسيره ٨٠/ ١٢٢ ، عن عمرو بن دينار والسدي .
(٦) لفظ : (به) ساقطة من (ب) .
(٧) لم أقف عليه : وقال ابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ١٧١ : «في الميزان خمس حكم ، إحداها : امتحان الخلق بالإيمان بذلك في الدنيا ، والثانية إظهار علامة السعادة والشقاوة في الآخرة ، والثالثة : تعريف العباد ما لهم من خير وشر ، والرابعة : إقامة الحجة عليهم ، والخامسة : الإعلام بأن الله عادل لا يظلم» اهـ .

وقوله تعالى : ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ ، ورد الخبر «أن الله تعالى ينصب ميزاناً له لسان وكفتان يوم القيامة ، فتوزن[١] به أعمال العباد خيرها وشرها»[٢] .

قال ابن عباس : «يوزن الحسنات والسيئات في ميزان له لسان وكفتان ، فأما المؤمن فيؤتى بعمله في أحسن صورة فيوضع في كفة الميزان فتثقل[٣] حسناته على سيئاته ، فذلك قوله : ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ الناجون ، قال : وهذا كما قال في سورة الأنبياء : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ﴾»[٤] [الأنبياء : ٤٧] .

وقال مقاتل : «﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ﴾ وزن الأعمال يومئذٍ العدل ، ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ من المؤمنين وزن ذرة على سيئاته ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾»[٥] .

فأما كيفية وزن الأعمال فله وجهان :

أحدهما : أن أعمال المؤمن تتصور في صورة حسنة ، وأعمال الكافر تتصور في صورة قبيحة ، فتوزن تلك الصورة كما ذكره ابن عباس .

---

(١) في (ب) : فيوزن بالياء .

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ ، وهو مشهور من قول ابن عباس ، وسيأتي تخريجه ، وقال الزَّجّاج في معانيه ٢/ ٣١٩ : «الأولى من هذا أن يتبع ما جاء بالأسانيد الصحاح ، فإن جاء في الخبر أنه ميزان له كفتان من حيث ينقل أهل الثقة فينبغي أن يقبل ذلك» اهـ .

(٣) في (ب) : (فيثقل) بالياء .

(٤) ذكره السمرقندي في تفسيره ١/ ٥٣١ والثعلبي ١٨٧ب ، والواحدي في الوسيط ١/ ١٥٨ ، والبغوي في تفسيره ٣/ ٣١٥ ، وابن الجوزي ٣/ ١٧١ ، والرازي ١٤/ ٢٤ ، والقرطبي ٧/ ١٦٦ ، وغيرهم ، وذكره السيوطي في الدر ٨/ ١٢٩ ، ١٣٠ ، وقال : «أخرجه البيهقي في شعب الإيمان وأخرجه أبو الشيخ عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس» اهـ .

(٥) تفسير مقاتل ٢/ ٣٠ .

والثاني : أن الوزن يعود إلى الصحف التي فيها أعمال العباد مكتوبة ، وسئل رسول الله ﷺ عما يوزن[(١)] يوم القيامة ، فقال : «الصحف»[(٢)] .

هذا الذي ذكرنا مذهب عامة المفسرين[(٣)] وأهل العلم في هذه الآية ، وكان مجاهد والضحاك والأعمش[(٤)] يفسرون الوزن والميزان : العدل والقضاء ، ويذهبون إلى أن هذا تمثيل وتحقيق للقسط والعدل يومئذٍ ، فقال مجاهد : «﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ والقضاء[(٥)] يومئذٍ العدل»[(٦)] .

وروى جويبر[(٧)] عن الضحاك : أن الميزان العدل[(٨)] ؛ فعلى مذهب هؤلاء : الوزن والميزان عبارة عن العدل ، كما تقول : هذا الكلام في وزن هذا ، وفي وزانه ؛ أي إنه يعادله ويساويه ، وليس هناك وزن في الحقيقة ، وقد قال الشاعر :

قَدْ كُنْتُ قَبْلَ لقائِكُمُ ذا مِرَّةٍ ... عِنْدي لكلِّ مُخَاصِمٍ ميزانُه[(٩)]

---

(١) (ب) : (ما يوزن) .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢/ ٢٢٦ : «يمكن الجمع بين الآثار الواردة في ذلك ، بأن يكون ذلك كله صحيحاً ، فتارة توزن الأعمال وتارة توزن محالها وتارة يوزن فاعلها والله أعلم» . وانظر : فتح الباري ١٣/ ٥٣٧ـ ٥٤٠ .

(٤) ذكره الرازي في تفسيره ٨/ ٢٥ ، والقرطبي ٧/ ١٦٥ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ٢٧٠ عن الأعمش .

(٥) لفظ : (الواو) ساقطة من (ب) .

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٢٢ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٤٠ بسند جيد .

(٧) جويبر تصغير جابر : جويبر بن سعيد الأزدي ، ضعيف ، تقدمت ترجمته .

(٨) ذكره الزَّجَّاج في معانيه ٢/ ٣١٩ ، والأزهري في تهذيب اللغة ٤/ ٣٨٨٦ ، والرازي في تفسيره ٨/ ٢٥ ، والقرطبي ٧/ ١٦٥ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ٢٧٠ .

(٩) لم أهتد إلى قائله ، وهو في تفسير ابن الجوزي ٣/ ١٧٠ ، والرازي ١٤/ ٢٥ ، واللسان (وزن) ٨/ ٤٨٢٩ .

أراد : عنـــدي لكل مخاصم كلام يُعادل كلامـــه ؛ فجعل الوزن مثلاً للعدل ، والميزان مـــثلاً للكتاب الـــذي فيه أعمال العباد من حيث إنـــه لا يزيد[(١)] فيه ولا يكـــذب ، ويخبر بما له وما عليه ، فكنى عن الكتـــب بالموازين ، وجعل ما يكثر في الكتاب من الحسنات بمنزلة ما يثقل في الميزان .

قال أبو إسحاق : «وهذا كله في باب اللغة والاحتجاج سائغ[(٢)] ، والأولى من هذا[(٣)] أن يتبع ما جاء في الأسانيد الصحاح من ذكر الميزان»[(٤)] .

وقال ابن الأنبـــاري : «والقول الأول هو اختيارنا لتتابع الأخبار به ، واتفاق أكثر أهل العلم عليه ، ولشهادة ظاهر القرآن له ، قال : وإنما جمع الله تعالى ، فقال : ﴿مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ ، ولم يقل : ميزانه ؛ من أجل أن العرب توقع الجمع على الواحد ، فيقولون : خرج إلى البصرة في الســـفن ، وخـــرج إلى مكة على البغال . قال : ويجـــوز أن يكون جمع الميـــزان ، إذ[(٥)] كانـــت ﴿مَن﴾ في معنى[(٦)] جمع ، فصرف الكلام إلى معنى ﴿مَن﴾ يدلّك عـــلى صحة هذا قوله : ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ بالجمع تغليباً لمعنى ﴿مَن﴾ على لفظه»[(٧)] .

---

(١) في (أ) : لا تزيد فيه ولا تكذب .

(٢) في (ب) : (شائع) . وقال القرطبي في التذكرة ٣٦٤ : «وهذا القول مجاز وليس بشيء وإن كان شائعاً في اللغة للسنة الثابتة في الميزان الحقيقي ، ووصفه بكفتين ولسان ، وإن كل كفة منهما طباق السموات والأرض» اهـ . وقال أيضاً في تفسيره ٧/ ١٦٥ : «قد أجمعت الأمة في الصدر الأول على الأخذ بهذه الظواهر من غير تأويل ، وإذا أجمعوا على منع التأويل وجب الأخذ بالظاهر ، وصارت هذه الظواهر نصوصاً» اهـ . ونحوه ذكر ابن عطية في تفسيره ٥/ ٤٣٢ ، والشوكاني ٢/ ٢٧٧ ، وصديق خان ٤/ ٣٠٥ ، والقاسمي ٧/ ٢٦١٧ .

(٣) في (ب) : «والأولى أن يتبع من هذا» .

(٤) انظر : معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣١٩ .

(٥) في (ب) : (إذا) .

(٦) في (ب) : (موضع) .

(٧) ذكره من دون نسبة الواحدي في الوسيط ١/ ١٥٨ ، وذكره الرازي في تفسيره ١٤/ ٢٦ عن الزَّجَّاج ، وانظر : معاني الفرَّاء ١/ ٣٧٣ ، وتفسير الطبري ٨/ ١٢٣ .

وقال غـيره : «الموازين هاهنا جمع موزون لا جمع ميـزان ، وأراد بالموازين : الأعمال الموزونة»[١] .

٩. قوله تعالى : ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ . قال مقاتل : «يعني : الكفار»[٢] .

قال ابن عباس : «يؤتى بعمل الكفار في أقبح صورة ، فيوضع في كفة الميزان ، فيخف وزنه حتى يقع في النار ، ثم يقال للكافر : الحق بعملك» ، ثم قال : «وحق لميزان لا يكون فيها رضوان الله أن يخف ، وأما المؤمن فإذا خفت حسـناته ثقلت بكتاب كالأنملة[٣] فيه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فترجح حسناته على سيئاته»[٤] .

وروي أيضـاً : «أنه إذا خفت حسـنات المؤمن أخرج رسـول الله ﷺ من حُجْزته[٥] بطاقـة[٦] كالأنملة ، فيلقيها في كفة الميزان اليمنى التي فيها حسـناته فترجح الحسـنات ، فيقول ذلك العبد المؤمن للنبي ﷺ : «بـأبي أنت وأمي ، ما

---

(١) انظر : تفسير البغوي ٣/ ٢١٦ ، والرازي١٤/ ٢٧ ، والدر المصون ٥/ ٢٥٦ .

(٢) تفسير مقاتل ٢/ ٣٠ .

(٣) الأنملة ـ مثلثة الهمزة والميم ـ المفصل الأعلى الذي فيه الظفر من الإصبع ، والجمع أنامل وأنملات ، وهي رؤوس الأصابع . انظر : اللسان (نمل) ٨/ ٤٥٥٠ .

(٤) سبق تخريجه .

(٥) حُجْزته ، بضم الحاء وسكون الجيم : أصلها موضع شد الإزار ، ثم قيل للإزار : حُجْزة للمجاورة ، وحجزة الإزار جنبته ومعقد الإزار .
انظر : النهاية ١/ ٣٤٤ ، واللسان (حجر) ٢/ ٧٨٦ .

(٦) البطاقة ، بالكسر : الورقة ، ورقعة صغيرة يثبت فيها مقدار ما يجعل فيها إن كان عيناً فوزنه أو عدده ، وإن كان متاعاً فقيمته ، والرقعة الصغيرة تكون في الثوب وفيها ثمنه . انظر : النهاية ١/ ١٣٥ ، واللسان (بطق) ١/ ٣٠٢ .

أحسن وجهك وأحسن خلقك ! فمن أنت ؟» فيقول : «أنا نبيك محمد ، وهذه صلواتك[١] التي كنت تصلّي عليَّ ، قد[٢] وفيتك أحوج ما تكون إليها»[٣] .

وقوله تعالى : ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم ﴾ ، قال ابن عباس : «يريد : صاروا إلى العذاب ﴿ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ ﴾ ، قال : يريد : يجحدون بما جاء به محمد ﷺ»[٤] .

١٠. قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ ، قال الزَّجَّاج : «معنى التمكين في الأرض : التمليك والقدرة»[٥] ، وهو قول ابن عباس

---

(١) في (ب) : (صلاتك) .

(٢) في (ب) : (وقد) .

(٣) ذكره الرازي في تفسيره ٨/ ٢٥ ، وقال : «رواه الواحدي في البسيط» اهـ . وذكره القرطبي في تفسيره ٧/ ١٦٧ . وفي التذكرة ٣٦١ ، وقال : «ذكره القشيري في تفسيره» اهـ . وحديث البطاقة مشهور . أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٢١٣ ، و٢٢١–٢٢٣ ، وابن ماجه ٤٣٠٠ ، كتاب : الزهد ، باب : ما يرجى من رحمة الله تعالى ، والترمذي ، حديث ٢٦٣٩ ، كتاب : الإيمان ، باب : ما جاء في من يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله ، والحاكم في المستدرك ١/ ٦ ، و ٥٢٩ عن عبدالله بن عمرو –رضي الله عنه– قال : قال رسول الله ﷺ : «توضع الموازين يوم القيامة فيؤتى بالرجل فيوضع في كفة ، فيوضع ما أحصى عليه ؛ فتمايل به الميزان ، قال : فيبعث به إلى النار ، قال : فإذا أدبر به ، إذا صائح يصيح من عند الرحمن ، يقول : لا تعجلوا ، لا تعجلوا ، فإنه قد بقي له ؛ فيؤتى ببطاقة فيها لا إله إلا الله ، فتوضع مع الرجل في كفة ، حتى يميل به الميزان» اهـ . لفظ أحمد ، قال الترمذي : «هذا حديث حسن غريب» اهـ . وقال الحاكم : «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه» اهـ . ووافقه الذهبي في التلخيص ، وقال السيوطي في الدر ٨/ ١٣١ ، والشوكاني في تفسيره ٢/ ٢٧٨ ، وصديق خان ٣/ ٣٠٧ : إسناده عند أحمد حسن اهـ . وصححه الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/ ٤٣ ، رقم : ١٣٥ .

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٥٩ ، ولم أقف عليه عند غيره .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٣٢٠ ، وانظر : تفسير الطبري ٨/ ١٢٥ ، ومعاني النحاس ٣/ ١١ .

قـال : «ملكناكم[(١)] في الأرض ، يريد : ما بين مكة إلى اليمن ، وما بين مكة إلى الشام»[(٢)] .

وقوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ ، يقال : عاش يعيش عيشـاً ومعاشاً ومعيشةً وعيشةً ومعيشاً بغير هاء[(٣)] ، ومنه قول رؤبة :

إليكَ أشكو شِدَّةَ المـَعِيشِ[(٤)]

قال الليث : «العيش : المطعم والمشرب[(٥)] وما يكون به الحياة ، والمعيشـة : ما يعاش به»[(٦)] ، [وقال الزَّجَّاج : «ومعنى المعايش : يحتمل أن يكون ما يعيشون به][(٧)] ويمكن أن يكون الوصلة إلى ما يعيشون به»[(٨)] .

وقد أشـار ابن عباس إلى المعنيين اللذين ذكرهما الزَّجَّـاج ، فقال في قوله : ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ «يريـد : بـما أفضل عليكم في الـرزق وما فضّلكم به على العرب ، وهو أنهم ينسـبون إلى الله وإلى حرمه وأمنه ، والعرب لهم تبّع»[(٩)] .

---

(١) في (ب) : (مكناكم) .

(٢) تنوير المقباس ٢/ ٨١ ، ٨٢ ، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٦٠ .

(٣) النص من تهذيب اللغة ٣/ ٢٢٨١ ، وانظر : اللسان (عيش) ٥/ ٣١٩٠ .

(٤) ديوانه ٧٨ ، والزاهر ١/ ٢٥٠ ، والقرطبي ٣/ ٨١ ، والدر المصون ٢/ ٤٢٠ ، ٥/ ٢٥٨ ، وتمامه :

ومرَّ أعوامٌ نتَفْنَ ريشي

أي أذهبن مالي ، وفي الديوان :

أَشْكـُو إِلَيْـك شِـدَّةَ المـَعِيشِ دهـراً تنقَّـى الـمُخَّ بِـالتَّمشِيشِ

(٥) في (ب) : (والمشروب) .

(٦) تهذيب اللغة ٣/ ٢٢٨١ ، وانظر : العين ٢/ ١٨٩ ، والجمهرة ٢/ ٨٧٢ ، والصحاح ٣/ ١٠١٢ ، والمجمل ٢/ ٦٣٩ ، ومقاييس اللغة ٤/ ١٩٤ ، والمفردات (عيش) ٥٩٦ .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٨) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٢٠ ، ومثله ذكر النحاس في معانيه ٣/ ١١ .

(٩) في تنوير المقباس ٢/ ٨٢ نحوه .

فقوله : «بما أفضل عليكم في الرزق» إشــارة إلى [الوصلة][(١)] إلى ما يعيشون به ؛ لأنهم بذلك التفضيل توصلوا إلى المكاسب والتجارات ، وعلى ما ذكره ابن عباس من التفسير تكون الآية خطاباً لقريش .

فأمــا القراءة[(٢)] في المعايش ، فقال الفــرَّاء : «لا تهمز لأنها في الواحدة مفعلة الياء في الفعل ؛ فلذلك لم يهمز ، وإنما يهمز من هذا ما كانت الياء فيه زائدة ، مثل : مدينــة ومدائن ، وقبيلة وقبائــل ، لما كانت الياء لا يعرف لهــا أصل ، ثم قارنتها ألف مجهولة أيضاً همزت . قال : «ومثل معايــش من الواو [مما لا يهمز (معاون) في جمع معونة ، (ومنــاور) في جمع منارة ، وذلك أن الواو][(٣)] ترجع[(٤)] إلى أصلها

---

(١) لفظ : (الوصلة) ساقط من (أ) .

(٢) قرأ الجمهور : ﴿ مَعَـٰيِشَ ﴾ بالياء ، وقرأ عبدالرحمن بن هرمز الأعرج وزيد بن علي ، والأعمش ، وخارجة بن مصعب عن نافع ، وابن عامر في رواية (معائش) بالهمز ، والقياس من دون همز ؛ لأن الياء أصل وإذا كانت زائدة همزت مثل صحيفة وصحائف . لكن قال الفرَّاء في معانيه ١/ ٣٧٣ : «وربما همزت العرب هذا وشبهه ، يتوهمون أنها فعيلة ؛ لشبهها بوزنها في اللفظ وعدة الحروف ، كما جمعوا مسيل الماء أمسلة ، شبِّه بفعيل وهو مفعل ، وقد همزت العرب المصائب وواحدتها مصيبة ، شبهت بفعيلة لكثرتها في الكلام» اهـ . وقال أبو حيان في البحر ٤/ ٢٧١ : «رواها عرب فصحاء ثقات فوجب قبولها ، وقد ردها نحاة البصرة ، ولسنا متعبدين بأقوال نحاة البصرة» اهـ . بتصرف . وانظر : السبعة ٢٧٨ ، وإعراب النحاس ١/ ٦٠٠ ، ومعرفة القراءات ١/ ٤٠٠ ، وإعراب القراءات ١/ ١٧٦ ، ومختصر الشواذ ٤٨ ، والمبسوط ١٧٩ ، والدر المصون ٥/ ٢٥٨ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٤) في (ب) : (فترجع) .

لسكون الألف قبلها»[١] هذا مذهب جميع القرّاء في المعايش لا يهمزونها، وروى خارجة[٢] عن نافع: (معائش) بالهمز[٣].

قال الفرَّاء: «ربما همزت العرب هذا وشبهه، يتوهمون أنها فعيلة لشبهها بوزنها في اللفظ وعدة الحروف، كما جمعوا مسيل الماء أمسلة[٤] شبه بفعيل وهو مفعل»[٥].

وقال أبو إسحاق: «جميع النحويين البصريين يزعمون أن همز ﴿مَعَايِشَ﴾ خطأ، وذكروا أن الهمز إنما يكون في هذه الياء إذا كانت زائدة، نحو: صحيفة وصحائف، فأما ﴿مَعَايِشَ﴾ فمن (العيش)، الياء أصلية، فأما ما[٦] رواه نافع من همز ﴿مَعَايِشَ﴾ فلا أعرف له وجهاً، إلا أن لفظ هذه الياء التي من نفس الكلمة أسكن في معيشة، فصار على لفظ صحيفة فحمل الجمع على ذلك، ولا أحب القراءة بالهمز»[٧].

---

(١) معاني الفرَّاء ١/ ٢٧٣.

(٢) خارجة بن مُصْعَب بن خارجة الضبعي أبو الحجاج الخراساني، فقيه، مقرئ، متروك الحديث. أخذ القراءة عن نافع وغيره، وله شذوذ كثير عنه لم يتابع عليه، توفي سنة ١٦٨هـ، وله ٩٨سنة. انظر: الجرح والتعديل ٣/ ٣٧٥، وميزان الاعتدال ١/ ٦٢٥، وغاية النهاية ١/ ٢٦٨، وتهذيب التهذيب ١/ ٥١٢.

(٣) ذكرها أكثرهم كما في المراجع السابقة في فقرة رقم: ٢.

(٤) في (أ): (مسله)، وهو تحريف.

(٥) معاني الفرَّاء ١/ ٣٧٣، ٣٧٤.

(٦) في (ب): (فأما رواه)، وهو تحريف.

(٧) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٢٠، ٣٢١، وانظر: إعراب النحاس ١/ ٦٠٠، ٦٠١، والمشكل ١/ ٢٨٣، ٢٨٤.

قال أبو علي الفارسي : «قوله : ﴿مَعَايِشَ﴾ العين منه ياء ، ووزن المعيشة من الفعل عند الخليل[(١)] وسيبويه مَفْعِلة ، وكان الأصل مَعْيِشة إلا أن الاسم وافق الفعل في وزنه ؛ لأن (معيش) على وزن (يعيش) ؛ فأعل كما أعل الفعل ، وقد وجدنا الاسم إذا وافق الفعل في البناء أعل كما يعل[(٢)] ، فمن ذلك إعلالهم لباب ودار ونار ونحوه ، لما كان على وزن فعل أعل كما أعل (خاف) (وقال) (وهاب) ، وصححوا[(٣)] نحو : حِوَل ولُوَمَة لما لم تكن على مثال الفعل ، فكذلك[(٤)] معيشة أعل بأن ألقي حركة عينها على فائها ، كما فعل ذلك في (يعيش) ، ولم يحتج إلى الفصل بين الاسم والفعل بأن تترك الإعلال في الاسم ؛ لأن الزيادة التي في أول الاسم زيادة يختص بها الاسم دون الفعل ، وهي الميم وهي لا تزاد[(٥)] في أوائل الأفعال ، ولو كانت الزيادة يشترك فيها الاسم والفعل لصحح الاسم[(٦)] وعلل الفعل ، نحو : أجاد وهو أجود منك[(٧)] ، عللوا الفعل وصححوا الاسم ؛ لأن الزيادة هاهنا همزة ، وهي مشتركة بين الاسم والفعل ؛ لأن الهمزة تزاد[(٨)] في أوائل الأفعال كما تزاد[(٩)] في أوائل الأسماء ، فأعل معيشة[(١٠)] لما انفصلت بزيادتها من الفعل ، وكان على وزنه ، وكذلك حكم ما كان مثل معيشة في الاعتلال[(١١)] ،

---

(١) في الكتاب ٤/ ٣٤٩ ، وكذا في الإغفال ٧٣٠ ، «فمعيشة يصلح أن تكون مَفْعُلَة ، بفتح الميم وسكون الفاء وضم العين ، أو مفعلة بكسر العين» اهـ . وانظر : الكتاب ٤/ ٣٤٩ ، و٣٥٥ .

(٢) في (ب) : (كما يعل الفعل) ، ثم تكرر قوله : (وقد وجدنا) إلى قوله : (كما يعل) .

(٣) هذا من الحجة لأبي علي ٤/ ٧ .

(٤) في (ب) : (فلذلك) .

(٥) في (ب) : (يزاد) بالياء .

(٦) في الإغفال ٧٣١ : «لصح الاسم وأعل الفعل» .

(٧) في (ب) : (أجود مثل) ، وهو تحريف .

(٨) في (أ) : (يزاد) بالياء .

(٩) في (أ) : (يزاد) بالياء .

(١٠) في (ب) : (ومعيشة) .

(١١) في (أ) : (في الإعلال) .

وهــذا مذهــب الخليــل وســيبويه[١] وأبي عثــمان[٢] وجميــع[٣] المتقدمين من النحويين البصريين .

فإذا جمع معيشــة مكسراً ردت ألف الجمع ثالثة قبل الياء ، والألف ســاكنة والياء أيضاً ســاكنة ، ومن حكم الساكنين إذا اجتمعا أن يحرك أحدهما أو يحذف ، فالحــذف هنا لا يجوز ؛ لالتباس الجمع بالواحــد ، وإذا لم يجز الحذف لاجتماعهما لزم تحريك أحدهمــا ، ولا يخلو من أن يكون الأول[٤] أو الثاني ، فلا يجوز تحريك الأول لارتفاع دلالته بتحريكه له على الجمع ، وإذا لم يجز تحريك الأول لزم تحريك الثاني لاجتماع الســاكنين ، فإذا حركت رجعت[٥] ياء ، كــما أن ما كان من الواو إذا[٦] حركت في الجمع رجعت واواً صحيحة ، مثل : (مقاوم) (ومقاول) في جمع (مقام) (ومقال) ، أنشد النحويون[٧] :

وإنِّي لَقَوَّامٌ مقاومَ لَمْ يَكُنْ
جَرِيرٌ وَلَا مَوْلَى جَرِيرٍ يَقُومُهَا

---

(١) انظر : الكتاب ٤/ ٣٤٨-٣٥٧ .

(٢) أبو عثمان بكر بن محمد المازني البصري النحوي ، إمام في العربية ، وأستاذ المبرِّد ، له تصانيف كثيرة ، منها : كتاب التصريف ، وكتاب ما تلحن فيه العامة ، والعروض ، وغيرها . توفي سنة ٢٤٩هـ أو قبلها .
انظر : تاريخ بغداد ٧/ ٩٣ ، ونزهة الألباء ١٤٠ ، وإنباه الرواة ١/ ٢٨١ ، ومعجم الأدباء ٧/ ١٠٧ ، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٧٠ ، ولسان الميزان ٢/ ٥٧ .

(٣) انظر : المنصف ١/ ٣٠٧ ، والمقتضب ١/ ٢٦١ .

(٤) لفظ : (الأول) غير واضح في (أ) ، وفي (ب) : «الأول والثاني» .

(٥) في (أ) : (رجعت واواً صحيحة ياء كما أن) .

(٦) في (أ) : (وإذا) .

(٧) الشاهد للأخطل في ديوانه ٣٢٢ ، وأمالي القالي ٣/ ٧٧ ، والخصائص ٣/ ١٤٥ ، وللفرزدق في المقتضب ١/ ٢٦٠ ، والمخصص ١٤/ ٢١ ، ومن دون نسبة في معاني الزَّجَّاج ١/ ٢٠٦ ، ٢/ ٣٢٠ ، وإعراب النحاس ١/ ٦٠١ ، والمنصف ١/ ٣٠٦ . والشاهد قوله : (مقاوم) في جمع مقامة ، وأصلها مجلس القوم .

فصحح الواو في الجمع لما لزم تحريكها لاجتماع الساكنين، فبان بهذا أن جمع (معيشة) على (معايش) يزيل مشابهته الفعل في البناء، وعلمت بذلك زوال المعنى الموجب للإعلال في الواحد[١]، فيلزم التصحيح في التكسير لزوال المشابهة في اللفظ.

فإن قيل: «هل أعل العين إذا كانت ياء أو واو، في نحو هذا الجمع كما أعلت في قائل وبائع بقلبها همزة لما اعتلا في الفعل؟ والجواب أن إعلال (معايش) لا يلزم؛ لأن زنة الفعل قد بطلت عنه ولزم[٢] تصحيحه كما بيّنا، فأما قائل وبائع فإنما لزم إعلالها؛ لمشابهتهما الفعل في الزنة، وهو الأمر[٣] من المفاعلة، ولأنهما يعملان عمل الفعل، فصار لذلك أدخل في الإعلال وأقرب إليه، ولم يكن ذلك في (معايش) وبابه، ألا ترى أنه لا شيء فيه مما يوجب الإعلال من مشابهته الفعل في زنته وحركاته وسكونه»[٤].

وقال غير أبي علي [في][٥] علة همز قايل وبايع: «إنما همز عين فاعل في باب ما اعتلت عينه من ذوات الواو والياء؛ لأن الواو والياء قد انقلبتا ألفين في قال وباع، فلما بنى منهما فاعل اجتمعت ألف فاعل مع الألف المنقلبة عن الواو[٦] أو الياء، وهما ساكنتان، فلم يمكن النطق بهما فهمزت الأخيرة منهما، فقيل: «قائل

(١) في الحجة لأبي علي ٤/ ٧: «فمعيشة موافقة للفعل في البناء، ألا ترى أنه مثل يعيش في الزنة وتكسيرها يزيل مشابهته في البناء، فقد علمت بذلك زوال المعنى الموجب للإعلال في الواحد في المجمع، فلزم التصحيح في التكسير لزوال المشابهة في اللفظ» اهـ.

(٢) في (أ): (ولزوم).

(٣) قوله: «وهو الأمر من المفاعلة» ليس في الإغفال.

(٤) انظر: الحجة لأبي علي ٤/ ٧، ٨، والإغفال ٧٣٠ـ ٧٤٠، ومعجم الإبدال والإعلال للخراط ١٩٨.

(٥) لفظ: (في) ساقط من (ب).

(٦) في (ب): (عن الواو والياء).

وبائع ، هذا هو الأصل ، ثم يجوز تخفيف الهمزة فيصير ياءً ؛ لأن الهمزة المكسورة إذا خففت صارت ياءً[١] .

فأما (معايش) ففي تصحيح يائه ما يغني عن الهمزة» . رجعنا إلى كلام أبي علي ؛ قال : «فأما قراءة هذا القارئ (معائش) بالهمز ، فقال أبو عثمان : «أصل أخذ هذه القراءة عن نافع ، قال : ولم يكن يدري ما[٢] العربية ، وكلام العرب التصحيح في نحو هذا»[٣] . قال أبو علي : ومن أعل فهمز ياء ﴿مَعَايِشَ﴾ ، فمجازه على وجه الغلط كما حكى سيبويه : «أن بعضهم قال في جمع مصيبة : مصائب ، فهمز وهو غلط ؛ لأن مصائب مفاعل[٤] ، فتوهمها فعايل ، نحو : صحائف وسفائن .

قال : ومنهم من يقول : «مصاوب فيجيء به على الأصل والقياس»[٥] ، وقول[٦] سيبويه : «وهو غلط» ، يعني : أنه توهم الياء التي في مصيبة -وهي[٧] منقلبة عن العين التي هي واو- الياء التي[٨] للمد في نحو : [سفينة وصحيفة ،

---

(١) ذكره نحو المبرِّد في المقتضب ١/ ٢٣٧ ، وابن جني في المنصف ١/ ٢٨٠ ، وانظر : الكتاب ٤/ ٣٤٥ ، والتصريف للجرجاني ٨٦ ، والممتع لابن عصفور ١/ ٣٢٧ ، وشرح مختصر تصريف العزي للتفتازاني ١٣١ ، وشذا العرف للحملاوي ٧٤ .

(٢) في (أ) : (يدري العربية) .

(٣) انظر : المنصف ١/ ٣٠٧ ، وقال أبو حيان في البحر ٤/ ٢٧١ ، ٢٧٢ : «أما قول المازني : «أصل أخذ هذه القراءة عن نافع» فليس بصحيح لأنها نقلت عن ابن عامر والأعرج وزيد بن علي والأعمش» ، وأما قوله : «إن نافعاً لم يكن يدري ما العربية» ، فشهادة على النفي ، ولو فرضنا أنه لا يدري ما العربية ، وهي هذه الصناعة التي يتوصل بها إلى التكلم بلسان العرب ، فهو لا يلزمه ذلك ، إذ هو فصيح متكلم بالعربية ناقل للقراءة عن العرب الفصحاء ، وكثير من هؤلاء النحاة يسيئون الظن بالقرّاء ، ولا يجوز لهم ذلك» اهـ .

(٤) في الكتاب ٤/ ٣٥٦ ، والإغفال ٧٤١ : «وهو غلط ، وإنما هو مُفْعِلة وتوهموها فَعِيْلة» .

(٥) الكتاب ٤/ ٣٥٦ .

(٦) في (أ) : (وقال) ، وهو تحريف .

(٧) (وهو) ، وهو تحريف .

(٨) في الإغفال (التي تزاد للمد) .

وهمـــزوا الياء المنقلبة عن الواو التي هي عين الفعل كما همزوا الياء التي للمد[(١)] في نحو][(٢)] ســـفائن وصحائف ، ولا يشـــبه هذه الياء تلك ، ألا ترى أن هذه منقلبة عن واو هي عين أصلها الحركـــة ، وتلك زائدة للمد لا حظَّ لها في الحركة» . وقد ذكرنا الكلام مســـتقصى في المصائب عند قولـــه[(٣)] : ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٌ ﴾ [البقرة : ١٥٦] ، «ومثل هذا مما حمل على الغلط قول بعضهم في جمع مَسِيل : مسْلان ، فمســـيل مفعل والياء فيه عين الفعل ، فتوهم من قال في جمعه : مسلان أنها زائدة للمد ، فجمعه على فعلان ، كما يجمع قضيـــب على قضبان ، وعلى هذا[(٤)] التوهم أيضاً جمعوا مسيلاً أمسلة . وقد جاء ذلك في شعر هذيل ، قال أبو ذؤيب[(٥)] :

وَأَمْسِلَةٍ مَدَافِعُها خَلِيفُ[(٦)]

فتوهموه فعيلاً ، وإنما هو مفعل[(٧)] ، ومثل هذا من الشواذ والغلط لا يعترض به على الشـــائع المطرد ولا يحمل غيره عليه ، وإنما حكمـــه أن يعرف أصله ويبيّن وجه الصواب فيه ، ومن أين وقع الشـــبه الذي جاء من أجله الغلط ، فمســـلان

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٢) في الإغفال ٧٤٢ : (صفائح) .

(٣) انظر : البسيط ، النسخة الأزهرية ١/ ٩٨ أ .

(٤) هذا من الحجة ٣/ ٨ .

(٥) أبو ذؤيب خويلد بن خالد الهذلي . تقدمت ترجمته .

(٦) شرح ديوان الهذليين للسكري ١/ ١٨٥ ، والمخصص ٥/ ١٢٣ ، ١٠/ ١٠٧ ، والدر المصون ٥/ ٢٥٩ ، وصدره :

بَوادٍ لا أنِيسَ به يَبَابٍ

ويباب بالفتح : خراب فقر ليس فيه أحد .

انظر : اللسان (يبب) ٨/ ٤٩٤٧ ، وأمسلة ، بسكون الميم وكسر السين : جمع مَسِيل ، وهو : مجرى الماء . انظر : اللسان (مسل) ٧/ ٤٢٠٥ ومدافعها . المجاري التي تدفع إلى الأودية . انظر : اللسان (دفع) ٣/ ١٣٩٤ ، وخليف بفتح الخاء وكسر اللام : الطريق بين الجبلين ، انظر : اللسان (خلف) ٢/ ١٢٤٢ .

(٧) إلى هنا انتهى النقل من الحجة .

من سال خطأ، وإن كان قد قيل، فكذلك[١] همز[٢] معايش غلط»[٣]، فأما الكلام في (مدائن) فسنذكره إذا أتينا إلى قوله: ﴿وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾[٤] [الأعراف: ١١١] من هذه السورة[٥] إن شاء الله.

وقوله تعالى: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾، قال ابن عباس: «يريد: أنكم غير شاكرين لأنعمي[٦] [ولا] طائعين»[٧]. وتقدير هذا تقدير قوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣]. [وقد مر][٨].

١١. قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾. قال ابن عباس: «أما ﴿خَلَقْنَٰكُمْ﴾ فآدم[٩]، وأما ﴿صَوَّرْنَٰكُمْ﴾[١٠] فذريته»[١١].

---

(١) في (ب): (فلذلك).

(٢) في (أ): (همزة).

(٣) انظر: الإغفال ٧٣٠-٧٤٤، والحجة ٤/ ٧، ٨، وهو أخذ منهما مع بعض التصرف اليسير في العبارة. وانظر: تفسير الطبري ٨/ ٢٥، والمشكل ١/ ٢٨٣، والمراجع المذكورة في القراءة ٣٠ من هذا الجزء.

(٤) في (ب): (وأرسل فرعون في المدائن حاشرين) من هذه السورة إن شاء الله. وهذا وهم، وجاء في سورة الشعراء الآية [٥٣] قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾.

(٥) انظر: تفسير هذه الآية في هذا الجزء ٢٦٧.

(٦) لفظ: (ولا) ساقط من (ب).

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٦٠، وابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ١٧٢، وفي تنوير المقباس ٢/ ٨٢ نحوه.

(٨) لفظ: (وقد مر) ساقط من (أ).

(٩) في (أ): (آدم).

(١٠) في (أ): (ثم صورناكم).

(١١) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٢٦، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٤٢ بسند جيد.

وبيـــان هذا ما قاله مجاهد : «﴿ خَلَقْنَٰكُمْ ﴾ يعني : آدم ﴿ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ﴾[(١)] في ظهر آدم»[(٢)] ، وإنما ﴿ خَلَقْنَٰكُمْ ﴾ بلفظ الجمع وهو يريد آدم ؛ [لأنه أبو البشر ، وفي خلقــه خلق يخرج من صلبه ، وعلى هذا أيضــاً يجوز أن يكون ﴿ صَوَّرْنَٰكُمْ ﴾ لآدم وحده ، وهو قــول يونس[(٣)] ، قال : «يجــوز أن يكون معنى ﴿ صَوَّرْنَٰكُمْ ﴾ لآدم][(٤)] كما تقول : قد ضربناكم ، وإنما ضربت سيدهم»[(٥)] ، واختار أبو عبيد[(٦)] في هذه الآية قول مجاهد لقوله بعده[(٧)] : ﴿ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ ﴾ ، وكان قوله : ﴿ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ ﴾ قبل خلق ذرية آدم وتصويرهم في الأرحام ، و(ثم) يوجب التراخــي[(٨)] والترتيب ، فمن جعل الخلق والتصويــر في هذه الآية لأولاد آدم في الأرحام لم يكن قد راعى حكم (ثـــم) في الترتيب ، إلا أن يأخذ بقول الأخفش ، فإنه يقول : «(ثم) هاهنا في معنى الواو»[(٩)] .

---

(١) لفظ : (ثم) ساقط من (ب) .

(٢) تفسير مجاهد ١/ ٢٣٢ ، وأخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٢٧ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٤٢ من طرق جيدة ، وقال النحاس في معانيه ٣/ ١٣ : «هذا أحسن الأقوال ، يذهب مجاهد إلى أنه خلقهم في ظهر آدم ، ثم صورهم حين أخذ عليهم الميثاق ، ثم كان السجود لآدم بعد ، ويقوي هذا : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [الأعراف :١٧٢] ، والحديث أنه أخرجهم أمثال الذر ، فأخذ عليهم الميثاق» اهـ . وسيأتي تخريج الحديث .

(٣) يونس بن حبيب الضبي ، لغوي . تقدمت ترجمته .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٥) ذكره الثعلبي في الكشف ١٨٨ أ .

(٦) لم أقف عليه بعد طول بحث عنه .

(٧) في (ب) : (بعد) .

(٨) انظر : حروف المعاني للزَّجَّاجي ١٦ ، ومعاني الحروف للرماني ١٠٥ ، وذكر عدة أوجه في هذه الآية ، ورصف المباني ٢٤٩ ، والمغني لابن هشام ١/ ١١٧ .

(٩) معاني الأخفش ٢/ ٢٩٤ .

قال الزَّجَّاج : «وهذا خطأ لا يجيزه الخليل[(١)] وسيبويه[(٢)] وجميع من يوثق بعلمه»[(٣)] .

قال أبو عبيد[(٤)] : «وقد بيّنه مجاهد[(٥)] حين قال : «إن الله خلق آدم [و] صورهم[(٦)] في ظهره ، ثم أمر بعد ذلك بالسجود» قال : «وهذا بيّن في حديث [آخر][(٧)] وهو أنه أخرجهم من ظهر آدم في صورة الذر»[(٨)] .

---

(١) انظر : العين ٨/ ٢١٨ .

(٢) انظر : الكتاب ١/ ٢٩١ ، ١/ ٤٢٩ ، ٣/ ٨٩ ، ٣/ ٥٠١ .

(٣) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٢١ ، ونحوه ذكر النحاس في معانيه ٣/ ١٢ . وقال : «هذا القول خطأ على مذهب أهل النظر من النحويين ، ولا يجوز أن تكون (ثم) بمعنى الواو لاختلاف معنييهما» اهـ .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) سبق تخريجه .

(٦) لفظ : (الواو) ساقطة من (ب) .

(٧) لفظ : (آخر) ساقطة من (ب) .

(٨) أخرج أحمد في المسند ١/ ٢٧٢ ، وابن أبي عاصم في السنة ١/ ٨٩ ، رقم : ٢٠٢ ، والنسائي في تفسيره ١/ ٥٠٦ ، رقم : ٢١١ ، والطبري ٩/ ١١١ ، والحاكم في المستدرك ١/ ٢٧ ، ٢/ ٥٤٤ ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال : «أخذ الله - تبارك وتعالى - الميثاق من ظهر آدم بنعمان - يعني عرفة - فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها ، فنثرهم بين يديه كالذر ، ثم كلمهم قبلاً» ، قال : ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ - إلى - ﴿الْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف : ١٧٢ ، ١٧٣] .
وصححه الحاكم في المستدرك ، ووافقه الذهبي في التلخيص . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٢٥ : «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح» اهـ . وقال الشوكاني في تفسيره ٢/ ٣٨٤ ، وصديق خان ٥/ ٧٣ ، «إسناده لا مطعن فيه» اهـ . وحسن إسناده الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم ١/ ٨٩ ، وصححه في السلسلة الصحيحة ، رقم : ١٦٢٣ . وفي الباب أحاديث كثيرة بمعناه ، انظر : الدر المنثور ٣/ ٢٦١ .

[و] قوله[١] تعالى : ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ . قال الزَّجَّاج : «وهو استثناء ليس من الأول ولكنه ممن أمر بالسجود مع الملائكة بدليل قوله : ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَ﴾ [الأعراف : ١٢] ، فدلَّ أنَّ إبليس ممّن أُمِر بالسجود»[٢] .

١٢. قوله تعالى : ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَ﴾ موضع (ما[٣]) رفع ، المعنى : أي شيء منعك من السجود .

قال أبو بكر[٤] : «ومعنى سؤاله الله -عز وجل- إبليس عن علة ترك السجود ، وهو عالم بذلك التوبيخ له [و] التعنيف[٥] ؛ وليظهر أنه معاند وأنه ركب المعصية خلافاً لله عز وجل ، كما يقول الرجل لعبده : «ما منعك من طاعتي وقد أحسنت إليك ؟ وما منعك من خدمتي وقد أفضلت عليك ؟ يريد بذلك التوبيخ له»[٦] . وهذا معنى قول أبي إسحاق[٧] .

---

(١) لفظ : (الواو) ساقط من (ب) .

(٢) معاني الزَّجَّاج ٢/ ١٤ ، وعلى هذا القول يكون الاستثناء منقطعاً ، وإبليس ليس من الملائكة ، لكنه أمر بالسجود معهم ، وذهب الجمهور إلى أن الاستثناء متصل ، وإن إبليس من الملائكة أو من طائفة منهم ، واختاره الطبري في تفسيره ١/ ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، والبغوي ١/ ٨١ ، وابن عطية ١/ ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، وغيرهم ، والظاهر- والله أعلم- أنه ليس من الملائكة ؛ لأن الملائكة خلقت من نور وإبليس خلق من نار ، ولأن الملائكة مسخّرة لا تعصي الله تعالى ، وإبليس عصى وكفر ، ولقوله تعالى : ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف :٥٠] ، وتوجه الخطاب إليه وأمر بالسجود مع الملائكة ؛ لأنه كان في عامتهم ، ومعهم يعمل بعملهم ، ويتعبّدكما يتعبّدون ، ولكن غلب عليه الطبع الخبيث . أفاده شيخنا محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله تعالى- في كتاب أحكام من القرآن الكريم ١/ ١٦٢- ١٦٤ ، وانظر : معاني النحاس ٣/ ١٤ ، والنكت والعيون للماوردي ١/ ١٠٢ ، وزاد المسير ١/ ٦٥ .

(٣) ﴿مَا﴾ : اسم استفهام مبتدأ وما بعدها خبرها . انظر : إعراب النحاس ١/ ٦٠١ ، والمشكل ١/ ٢٨٤ .

(٤) أبو بكر بن الأنباري ، إمام لغوي . تقدمت ترجمته .

(٥) لفظ : (الواو) ساقط من (ب) .

(٦) لم أقف عليه .

(٧) انظر : معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٢٢ ، وما نقله هو نص كلامه .

وأما (لا) في قوله : ﴿أَلَّا تَسْجُدَ﴾ ، فقال الفرَّاء : «المعنى : ما منعك أن تسجد و(أن) في هذا الموضع تصحبها[١] لا ، وتكون صلة ، وكذلك قوله : ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء : ٩٥] تزاد[٢] للاستيثاق من الجحد والتوكيد له ، ومثله : ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾[٣] [الحديد : ٢٩] المعنى : ليعلم أهل الكتاب»[٤] .

وهذا أيضاً قول الكسائي[٥] ، ونحو هذا قال الزَّجَّاج : فقال : «معنى ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ : إلغاء (لا) وهي مؤكدة ؛ المعنى : ما منعك أن تسجد ، قال[٦] : ومثل إلغاء (لا) قول الشاعر[٧] :

أَبَى جُوْدُه لا البُخْلَ وَاسْتَعْجَلَتْ بِهِ
نَعَم مِنْ فَتىً لا يَمْنع الجودَ قَاتِلُهْ

قالوا : معناه : أبى جوده البخل[٨] .

---

(١) في (ب) : (تصحتها) ، وهو تصحيف .

(٢) في (ب) : (يراد) ، وهو تصحيف .

(٣) في النسخ : «لان لا» .

(٤) في معاني الفرَّاء ١/ ٤٧٣ : «إلا أن معنى الجحد الساقط في (لئلا) من أولها لا من آخرها ، المعنى : ليعلم أهل الكتاب ألا يقدرون» اهـ . وانظر : أضداد ابن الأنباري ٢١١ .

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٦١ ، وابن الجوزي في تفسيره ٣/ ١٧٣ ، والرازي في تفسيره ١٤/ ٣١ ، وقال : «هو قول الأكثرين» اهـ . ومنهم أبو عبيدة في مجاز القرآن ١/ ٢١١ ، وابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ١/ ١٧٦ ، وتأويل المشكل ٢٤٤ ، والنحاس في إعراب القرآن ١/ ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ومكي في المشكل ١/ ٢٨٤ .

(٦) في (ب) : (وقال مثل إلغاء) .

(٧) الشاهد مشهور ، لا يعرف قائله ، وقد تقدم تخريجه .

(٨) في (ب) : (أبي جوده لا البخل) ، وهو تحريف .

[قال : وقال أبو عمرو بن العلاء : الرواية أبى جوده لا البخلِ][1] ، والذي قاله أبو عمرو حسن ، المعنى : أبى جودُه (لا) التي تبخِّل الإنسانَ ، كأنه إذا قيل له : (لا) تسرف و(لا) تبذر مالك ، أبى جوده[2] هذه ، واستعجلت به (نعم) ، فقال : «نعم ، أفعل ولا أترك الجود ، وهذان القولان في البيت هما قول العلماء»[3] .

قال أبو علي : «وهذا البيت أنشده أبو الحسن[4] ، وقال : فسرته العرب : أبى جوده البخل ، وزعم يونس[5] أن أبا عمرو[6] كان يجر البخل ، ويجعل (لا) مضافة إليه ، أراد : أبى جوده [لا][7] التي هي للبخل ؛ لأن (لا) قد تكون[8] للبخل وللجود ، فالتي للبخل[9] معروفة ، والتي للجود أنه لو قال له : امنع الحق أو لا تعط المساكين ، فقال : لا ، كان هذا جوداً فيه[10]»[11] .

---

(١) في (أ) : (لا البخل) ، وهو تحريف .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٣) في معاني الزَّجّاج ٢/ ٣٢٣ : «أبى جوده (لا) هذه» .

(٤) أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش ، إمام مشهور .

(٥) يونس بن حبيب الضبي ، إمام ، تقدمت ترجمته .

(٦) أبو عمرو بن العلاء النحوي القارئ ، إمام ، تقدمت ترجمته .

(٧) لفظ : (لا) ساقط من (أ) .

(٨) في (ب) : (يكون) بالياء .

(٩) في (ب) : «فالتي للبخل وللجود ، فالتي للبخل معروفة» ، وهو تحريف . ولم ترد عند الأخفش ولا عند أبي علي لفظه : «فالتي للبخل معروفة» .

(١٠) في معاني الأخفش ٢/ ٢٩٥ ، والإغفال٦٩٢ ، «كان هذا جوداً منه» .

(١١) النص في معاني الأخفش ٢/ ٢٩٤ ، الإغفال ٦٩٢ ، والحجة لأبي علي ١/ ١٦٩ . وانظر : إعرابه وتوجيهه في الحجة لأبي علي ٣/ ٣٨١ ، وكتاب الشعر ١/ ١١٧ ، وأمالي ابن الشجري ٢/ ٥٤٢ .

وقد أجاز[١] أبو إسحاق في البيت قولاً آخر، قال: «وهو عندي حسن، أرى أن تكون (لا) غير لغو، وأن يكون البخل منصوباً بدلاً من (لا)، المعنى: أبى جوده (لا) التي هي البخل، فكأنك قلت: أبى جوده البخل»[٢].

وحكى عن أحمد بن يحيى: «أن (لا) في هذه الآية ليست زائدة، ولا توكيداً؛ لأن معنى قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ من قال لك: لا تسجد، فحمل نظم الكلام على[٣] معناه»[٤].

وهذا القول حكاه أبو بكر[٥] عن الفرَّاء.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾[٦]، ولم يقل: منعني من السجود أني خير منه، فأتى بشيء في معنى الجواب، ولفظه غير جواب؛ لأن قوله: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [إنما هو][٧] جواب (أيكما خير؟)، ولكن الكلام في معنى الجواب؛ لأن قوله:

---

(١) هذا من قول أبي علي أيضاً في الإغفال ٦٩٢، ٦٩٣، والنص منه.

(٢) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٢٣. وفيه: المعنى: أبى جوده البخل واستعجلت به، نعم اهـ. وقال أبو حيان في البحر ٤/ ٢٧٣: «وقد خرجته أنا تخريجاً آخر، وهو أن ينتصب البخل على أنه مفعول من أجله ولا مفعول له». وقال السمين في الدر ٥/ ٢٦٢: «ولا حجة في هذا البيت على زيادة (لا) في رواية النصب، ويتخرج على وجهين: أحدهما: أن تكون (لا) مفعولاً بها، والبخل بدل منها؛ لأن (لا) تقال في المنع، فهي مؤدية للبخل.
والثاني: أنها مفعول بها أيضاً، والبخل مفعول من أجله، والمعنى: أبى جوده لفظ (لا) لأجل البخل؛ أي كراهة البخل، ويؤيد عدم الزيادة رواية الجر» اهـ. وانظر: الشاهد وتوجيهه في الأضداد لابن الأنباري ٢١١-٢١٦.

(٣) في (أ): (لأن لا)، وهو تحريف.

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف ١٨٨أ.

(٥) انظر: الأضداد لابن الأنباري ٢١٥، ٢١٦. وقال الرازي في تفسيره ٤/ ٣١: «(لا) هاهنا مفيدة وليست لغواً، وهذا هو الصحيح؛ لأن الحكم بأن كلمة من كتاب الله لغو لا فائدة فيها مشكل صعب» اهـ.

(٦) لفظ: (قال) ساقط من (ب).

(٧) لفظ: (إنما هو) ساقط من (ب).

﴿ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ ﴾ في معنى : منعني من السجود فضلي عليه ، وهذا قول الفرَّاء[١] والزَّجَّاج[٢] .

وزاد أبو بكر لهذا بياناً ، فقال : «أما قولة إبليس – لعنه الله – في جواب ربه عز وتعالى : ﴿ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ ﴾ ، ففيه [معنى][٣] منعني من السجود له عند نفسي أنني[٤] خير منه ؛ إذ كنت نارياً وكان طينياً ، فلما أتى بكلام فيه معنى الجواب اكتفى به ، واقتصر عليه كما يقول الرجل للرجل : لمن الدار ؟ فيقول : مالكها زيد ، يريد : هي لزيد ، فيأتي بكلام يرجع إلى معنى الجواب ، فخاطب الله – عز وجل – العرب بلسانها واختصارها ، واكتفائها»[٥] .

وقوله تعالى : ﴿ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴾ ، قال ابن عباس : «كانت الطاعة أولى بإبليس من القياس ، فعصى[٦] ربه وقاس ، وأول من قاس إبليس فكفر بقياسه ، فمن قاس الدين بشيء من رأيه قرنه الله مع إبليس»[٧] .

---

(١) انظر : معاني الفرَّاء ١/ ٣٧٤ .

(٢) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٢٣ .

(٣) لفظ : (معنى) ساقط من (ب) .

(٤) في (ب) : (أنه) ، وهو تحريف .

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٦١ ، والقرطبي ٧/ ١٧٠ ، ١٧١ ، من دون نسبة ، ونحوه في معاني النحاس ٣/ ١٥ ، وتفسير البغوي ٣/ ٢١٧ .

(٦) قوله : (فعصى) غير واضح في (أ) ، وموضح في الهامش .

(٧) ذكره الثعلبي في الكشف ١٨٨ أ ، والواحدي في الوسيط ١/ ١٦١ ، والبغوي في تفسيره ٣/ ٢١٧ ، والقرطبي ٧/ ١٧١ وغيرهم ، ونقله الرازي في تفسيره ١٤/ ٣٤ ، عن الواحدي عن ابن عباس .

فإن قيل : أليس العلماء يقيسون في مسائل ، قيل : القياس قياسان : قياس في مخالفة النص فهو مردود ، كقياس إبليس ، وقياس يوافق الأصول عند عدم النص فهو مقبول ، كقياس العلماء يقيسون[١] ما لا نص فيه بما فيه نص ودليل ، وابن عباس يقول : «من قاس الدين بشيء من رأيه» ، ولا يجوز أن يقاس الدين بما يراه الإنسان من رأيه[٢] .

١٣. قوله تعالى : ﴿قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا﴾ ، قال : ابن عباس : «يريد : من الجنة ، وكانوا في جنة عدن ، وفيها خلق آدم»[٣] ، ونحو هذا قال مقاتل : «﴿فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا﴾ يعني : الجنة»[٤] .

وقال مجاهد[٥] : «﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾[في السماء» ، وهذا يدل على أنه يقول : ﴿فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا﴾ ، يعني : السماء .

---

(١) القياس لغة : التقدير ، ورد الشيء إلى نظيره ، واختلف في تعريفه في الشرع ، فقيل : هو حمل مجهول الحكم على معلومه لمساواة بينهما في علة الحكم ، والقياس الشرعي عند الجمهور من الصحابة والتابعين والفقهاء أصل من أصول الشريعة ، يستدل به على الأحكام التي لم يرد بها السمع .
انظر : الرسالة للشافعي ٤٧٦ وما بعدها ، وشرح مختصر الروضة ٣/ ٢١٨ ، والتعريفات للجرجاني ١٨١ ، وإرشاد الفحول ٢/ ٨٣٩ ، وما بعدها .

(٢) انظر : زاد المسير ٣/ ١٧٤ ، وتفسير والرازي ١٤/ ٣٤ ، والقرطبي ٧/ ١٧١ ، وفتاوى شيخ الإسلام ١٥/ ٥، ٦ .

(٣) ذكره الرازي في تفسيره ١٤/ ٣٥ ، وانظر : تفسير السمرقندي ١/ ٥٣٣ ، وابن الجوزي ٣/ ١٧٥ .

(٤) تفسير مقاتل ٢/ ٣٠ .

(٥) ذكر من دون نسبة في تفسير البغوي ٣/ ٢١٧ ، وابن الجوزي ٣/ ١٧٥ ، والقرطبي ٧/ ١٧٣ ، وقال : «هو الأظهر» ، وهذا هو قول الجمهور وهو الظاهر ؛ لأنه هو المعلوم عند الإطلاق ، والأصل في النصوص حملها على ما هو معلوم ومفهوم حتى يقوم دليلٌ على خلاف ذلك ، فآدم اهبط من السماء من جنة الخلد التي هي مأوى المتقين .
أفاده شيخنا محمد بن صالح العثيمين –رحمه الله تعالى– في كتاب أحكام القرآن١/ ١٦٨ ، وهو اختيار الواحدي في البسيط كما تقدم في قصة آدم من سورة البقرة ، والقرطبي في تفسيره ١/ ٣٠٢ ، وذهب بعضهم –وهو قول المعتزلة والخوارج– إلى أن آدم كان في جنة الدنيا بأرض عدن . انظر : تفسير ابن عطية ٥/ ٤٤٢ ، وابن كثير ٢/ ٢٢٨ .

وقولــه : ﴿ فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا ﴾][١] ، قال ابن عباس : «يريد : أن أهلها ملائكــة متواضعون خاشــعون ، ﴿ فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ ﴾ ، قــال : يريد : من المـُـذلّين»[٢] ، وقد ذكرنا معنى (الصاغر) و(الصغــار) عند قوله :﴿ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ ﴾ [الأنعام : ١٢٤] .

قال أبو إسحاق : «إن إبليس قد استكبر بإبائه السجود[٣] ، فأعلمه الله ـعز وجل ـ أنه صاغر بذلك»[٤] .

١٤. قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ ؛ أي أخِّرني إلى يوم البعث[٥] ، قال ابــن عباس : «يريــد : النفخــة الثانية حيث يقــوم الناس لرب العالمين»[٦] .

١٥. ﴿ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾ ، قال أهل المعاني : «معناه : إنك مُنظر ، ولكن ربما يذكر الجماعة في هذا الموضع ، ولا يكون المراد به إلا تحقيق الخطاب في واحد»[٧] .

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٢) تنوير المقباس ٢/ ٨٣ ، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٦٢ . وذكره القرطبي في تفسيره ٧/ ١٧٣ من دون نسبة .

(٣) في (أ) : (للسجود) .

(٤) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٢٤ .

(٥) انظر : معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٢٤ ، وتفسير الطبري ٨/ ١٣٣ .

(٦) تنوير المقباس ٢/ ٨٤ ، وذكره القرطبي في تفسيره ٧/ ١٧٣ ، ١٧٤ . وقال الزَّجَّاج في معانيه ٢/ ٣٢٤ ، والنحاس ؛ ٣/ ١٥ : «أي أخرني فلم يجب إلى هذا بعينه ، فأجيب إلى النظرة إلى يوم الوقت المعلوم» اهـ .

(٧) الذي عليه أهل التفسير أن قوله : ﴿ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾ ؛ أي داخل في عداد المنظرين بآجالهم إلى ذلك الوقت المعلوم ، فقد عم تلك الفرقة إنظار وإن لم يكونوا أحياء مدة الدهر ، أفاده الطبري في تفسيره ٨/ ١٣٢ ، وابن عطية ٥/ ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، وابن الجوزي ٣/ ١٧٥ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ٢٧٤ .

قال ابن عباس : «فأبى الله ذلك عليه»(١) .

قال المفسرون : «إن إبليس- لعنه الله- استنظر إلى يوم البعث ، وأراد أن يذوق الموت في النفخة الأولى ، فلم يُعطه ذلك ، وأنظره إلى يوم النفخة الأولى [لا إلى](٢) الثانية ؛ لأنه بين مدة المهلة في موضع آخر ، فقال : ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ [الحجر : ٣٨] ، وهو النفخة الأولى حين يموت الخلق كلهم»(٣) .

١٦. قوله تعالى : ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ ، قال ابن عباس : «يريد : فبما أضللتني ، مثل قول نوح : ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾»(٤) [هود : ٣٤] .

قال أبو بكر الأنباري حاكياً عن أهل اللغة : «الإغواء(٥) إيقاع الغَيِّ في القلب ، والغَيُّ : المذموم من الفعل ، وقوله : ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ ؛ أي فبما أوقعت في قلبي من الغي الذي كان سبب خروجي من الجنة ، وكذلك قوله : ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود : ٣٤] ؛ أي يوقع الشر في قلوبكم ، ويحسن القبيح لكم لما سبق لكم عنده من الشقاء .

---

(١) ذكره السمرقندي في تفسيره ١/ ٥٣٣ ، والقرطبي ٧/ ١٧٣ ، ١٧٤ .

(٢) لفظ : (لا إلى) ساقط من (ب) .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٨/ ١٣٢ ، ١٣٣ ، والسمرقندي ١/ ٥٣٣ ، والماوردي ٢/ ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، والبغوي ٣/ ٢١٧ ، ٢١٨ ، وابن عطية ٥/ ٤٤٣ وقال : «هذا أصح وأشهر في الشرع» اهـ. وقال الشنقيطي في تفسيره ٢/ ٢٩٥ : «طلب الشيطان الإنظار إلى يوم البعث ، وقد أعطاه الله الإنظار إلى يوم الوقت المعلوم ، وأكثر العلماء يقولون : المراد به وقت النفخة الأولى ، والعلم عند الله تعالى» اهـ.

(٤) أخرجه الطبري ٨/ ١٣٣ بسند جيد ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ١٣٥ .

(٥) أصل الإغواء : تزيين الرجل للرجل الشيء حتى يحسنه عنده . يقال : غَوَى الرجل يَغْوَى غَيّاً من الغي ، خلاف الرشد ، والغواية الانهماك في الغيِّ ، ويأتي الغَيُّ بمعنى الفساد والضلال والجهل والخيبة .

انظر : الطبري ٨/ ١٣٣ ، والجمهرة ١/ ٢٤٤ ، وتهذيب اللغة ٣/ ٢٧٠٦ ، والصحاح ٦/ ٢٤٥٠ ، والمفردات ٦٢٠ ، واللسان (غوى) ٦/ ٣٣٢٠ .

قال : وقال بعضهم : الإغــواء : الإهلاك ، ومنه قوله تعالى : ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريـم : ٥٩] أي هلاكاً وبلاءً ، ومنه أيــضاً قولهم : غَـويَ الفصيل يَغْوَى غوى[١] ، إذا أكثر من اللبن حتى يفسـد جوفه ، ويشـارف[٢] الهلاك والعطب ، وفسروا قوله : ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود : ٣٤] : إن كان الله يريد أن يهلككم بعنادكم الحق ، وهذا قول تحتمله اللغة ، وأهل التفسير على القول الأول»[٣] .

قال أبو إسـحاق : «في ﴿أَغْوَيْتَنِي﴾ قولان : قـال بعضهم : أضللتني ، وقال بعضهم : فبما دعوتني إلى شيء غَويت به ؛ أي غويت من أجل آدم»[٤] .

قـال أبو بكر : «وأما قوله عـز وجل : ﴿فَبِمَآ﴾ ، فإن البـاء تحتمل أمرين : أحدهما : القسـم ؛ أي بإغوائك إياي ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ ، بقدرتك عليَّ ونفاذ سلطانك فيَّ لأقعدن لهم على الطريق المستقيم [الذي][٥] يسلكونه إلى الجنة بأن أزين لهم الباطل وما يكسـبهم المآثم ، فإذا كان الباء قسماً كان اللام جواب القسـم ، و(ما) بتأويل المصدر ، و﴿أَغْوَيْتَنِي﴾ صلتها ولا عائد لها . قال : ويجوز أن يكـون (ما) بتأويل الشرط والباء من صلة الإغـواء ، والفاء المضمرة جواب

---

(١) جاء في الزاهر لابن الأنباري ، ٢/ ٢٥٢ : «يقال : غَوى الرجل يَغْوى غَيّاً وغَواية ، إذا جهل وأساء . ويقال : قد غَوِي الفصيل يَغْوَى إذا بشم من لبن أمه عند الإكثار والازدياد منه» اهـ . ونحوه في شرح القصائد ، ٥٢ ، وفي مصادر اللغة يطلق ذلك عليه ، إذا فقد اللبن حتى كاد يهلك ، ويقال أيضاً : إذا أكثر من اللبن فأتخم .
انظر : العين ٤/ ٤٥٦ ، والبارع ٤٤٣ـ٤٤٥ ، والمراجع السابقة .

(٢) في (ب) : (ويشارك) ، وهو تحريف .

(٣) ذكر بعضه الواحدي في الوسيط ١/ ١٦٢ ، والبغوي ٣/ ٢١٨ ، وابن الجوزي ٣/ ١٧٥ ، وقال : «الجمهور على أنه بمعنى : الإضلال» اهـ . وهو من دون نسبة في تفسير الثعلبي ١٨٨ أ ، والرازي ١٤/ ٣٧ .

(٤) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٢٤ ، وانظر : معاني النحاس ٣/ ١٦ ، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٣٣ ، والماوردي ٢/ ٢٠٦ .

(٥) لفظ : (الذي) ساقط من (ب) .

الشرط، والتقدير قال: فبأي شيء أغويتني فلأقعدن لهم صراطك، فتضمر[١] الفاء جواباً للشرط كما تضمرها[٢] في قولك: إلى ما أومأت إني قابله وبما أمرت إني سامع له مطيع»[٣].

وقوله تعالى: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، قال الزَّجّاج: «أي على طريقك المستقيم، ولا اختلاف بين النحويين[٤] في أن (على) محذوفة، ومثل ذلك قولك: ضربه زيد الظهر والبطن، والمعنى: على الظهر والبطن»[٥].

وزاد الفرَّاء بياناً، فقال[٦]: «المعنى -والله أعلم- لأقعدن لهم على طريقهم وفي[٧]، وإلقاء الصفة[٨] من هذا جائز، كما تقول: قعدت لك وجه الطريق،

---

(١) في (ب): (فيضمر) بالياء.

(٢) في (ب): (يضمرها) بالياء.

(٣) ذكر بعضه الواحدي في الوسيط ١/ ١٦٢، والوجوه في (الباء) (وما) في المصادر عامة. انظر: تفسير الطبري ٨/ ١٣٥، والماوردي ٢/ ٢٠٦، وغرائب الكرماني ١/ ٣٩٩، وتفسير البغوي ٣/ ٢١٨، وابن عطية ٥/ ٤٤٤، والفريد ٢/ ٢٧٧، وقال أبو حيان في البحر ٤/ ٢٧٤، والسمين في الدر، ٥/ ٢٦٤، ٢٦٥: «الظاهر أن الباء للقسم، وما مصدرية» اهـ. وذكر السمين قول ابن الأنباري في أن (ما) شرطية، وقال: «هذا الذي قاله ضعيف جدّاً، فإنه على تقدير صحة معناه يمتنع من حيث الصناعة، فإن فاء الجزاء لا تحذف إلا في ضرورة شعر، فعلى رأي أبي بكر يكون قوله: ﴿لَأَقْعُدَنَّ﴾ جواب قسم محذوف، وذلك القسم المقدر، وجوابه جواب الشرط، فيقدر دخول الفاء على جملة القسم نفسها مع جوابها، تقديره: فبما أغويتني، فوالله لأقعدن، هذا يتمم مذهبه» اهـ.

(٤) انظر: الكتاب ١/ ٣٤-٣٧، ومعاني الأخفش ٢/ ٢٩٥.

(٥) معاني الزَّجّاج ٢/ ٣٢٤، ونحوه ذكر النحاس في إعراب القرآن ١/ ٦٠٢، والمعاني ٣/ ١٦، ومكي في المشكل ١/ ٢٨٤.

(٦) في (أ): (وقال).

(٧) في معاني الفرَّاء (أو في).

(٨) المراد بالصفة هاهنا عند الكوفيين: حرف الجر، وكذلك يطلقون أيضاً على الظرف. انظر: معجم المصطلحات النحوية للدكتور محمد اللبدي ٢٤١، وحاشية تفسير الطبري ١٢/ ٣٣٧.

وعلى وجه الطريق ؛ لأن الطريق ظرف[١] في المعنى ، فاحتمل[٢] ما يحتمله اليوم والليلة والعام إذا قيل : آتيك غداً وفي غدٍ»[٣] .

ومعنى ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ كما ذكره أبو بكر في ما حكينا[٤] عنه ، قال ابن عباس في تفسير ﴿ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ : «يريد : دينك الواضح»[٥] .

وقال ابن مسعود : «هو كتاب الله»[٦] .

وقال جابر بن عبدالله : «هو الإسلام»[٧] .

---

(١) في (ب) : «طرقٌ» ، وهو تصحيف ، وفي معاني الفرَّاء ١/ ٣٧٥ ؛ لأن الطريق صفة في المعنى ، وما ذكره الواحدي هو تفسير لذلك ؛ لأن الفرَّاء يطلق على الظرف لفظ الصفة كما سبق بيانه .

(٢) في (ب) : «فاحتمله ما يحتمله» ، وهو تحريف .

(٣) في معاني الفرَّاء ١/ ٣٧٥ : «آتيك غداً أو آتيك في غدٍ» . وضعف أبو حيان في البحر ٤/ ٢٧٥ ، والسمين في الدر ٥/ ٢٦٦-٢٦٨ ، النصب على إسقاط الخافض ؛ لأن حذف حرف الجر لا ينقاس في مثل هذا ، ولا يطرد حذفه ، بل هو مخصوص بالضرورة ، وقالا : «والأولى أن يضمن (لأقعدن) معنى ما يتعدى بنفسه ، فينتصب الصراط على أنه مفعول به ، والتقدير : لألزمن بقعودي صراطك المستقيم» اهـ .

(٤) سبق تخريجه عن ابن الأنباري .

(٥) تنوير المقباس ٢/ ٨٤ ، وذكره ابن القيم كما في بدائع التفسير ٢/ ١٩٥ عن ابن عباس .

(٦) ذكره ابن القيم كما في بدائع التفسير ٢/ ١٩٥ ، وفي أكثر كتب التفسير عن ابن مسعود قال : «طريق مكة» . انظر : تفسير الماوردي ٢/ ٢٠٦ ، وابن الجوزي ٣/ ١٧٦ ، والدر المنثور ٣/ ١٣٥ .

(٧) ذكره ابن الجوزي في تفسيره ٣/ ١٧٦ ، وابن القيم كما في بدائع التفسير ٢/ ١٩٥ ، وما ذكر تنبيه على بعض أنواع الصراط ، والظاهر هو العموم ، فالصراط : الطريق وسبيل النجاة ، وذلك دين الله الحق ، والإسلام وشرائعه ، وهو اختيار المفسرين عامة .
انظر : تفسير الطبري ٨/ ١٣٤ ، ١٣٥ ، ومعاني النحاس ٣/ ١٦ ، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٣٣ ، والبغوي ٣/ ٢١٨ ، وابن عطية ٥/ ٤٤٦ .

١٧. قولـه تعـالى: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾، قال ابن عباس في رواية الوالبـي: «﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾ يعني: آخرتهم، يقول: أشـككهم فيها، ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ أرغبهم في دنياهم»[(١)].

وهـو قول قتادة، قال: «آتيهـم ﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾، فأخبرهم أنه لا بعث ولا جنـة ولا نار، ومن ﴿خَلۡفِهِمۡ﴾ من أمر الدنيا فزيَّنها لهم ودعاهم إليها»[(٢)]، ونحو هذا قال الكلبي[(٣)]، وهؤلاء جعلوا الآخرة بين أيديهم؛ لأنهم يردون عليها، فهي بين أيديهم، وإذا كانت الآخرة بين أيديهم كانت الدنيا خلفهم لأنهم يخلفونها[(٤)].

وقال الحكـم[(٥)] والسـدي[(٦)]: «﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾، يعنـي: الدنيا، ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ مـن قبل الآخرة». وهو قـول ابن عباس في رواية العـوفي، قال: «أما ﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾ فمـن قبل دنياهـم، وأما ﴿مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾[(٧)] فأمـر آخرتهم»[(٨)].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٣٦، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٤٤ بسند جيد، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ١٣٦.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٣٦ بسند جيد، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٤٤ بسند جيد عن قتادة عن الحسن وقال: «وروي عن عكرمة نحو ذلك» اهـ.

(٣) تنوير المقباس ٢/ ٨٤، وأخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢٢٥ بسند جيد عن الكلبي، وذكره السمرقندي ١/ ٥٣٣، والثعلبي ١٨٨ب.

(٤) ذكر نحوه النحاس في معانيه ٣/ ١٨.

(٥) الحكم بن عتيبة الكندي أبو محمد الكوفي، إمام، ثقة فقيه تقدمت ترجمته، والأثر عنه، أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٣٦، ١٣٧ بسند جيد، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٥/ ١٤٤٥، وقال: «روي عن مجاهد والنخعي والحكم وأبي صالح والسدي» اهـ. وذكره النحاس في معانيه ٣/ ١٦، ١٧، والثعلبي في الكشف ١٨٨/ ب.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٣٧ بسند جيد، وذكره السمرقندي في تفسيره ١/ ٥٣٣، والثعلبي ١٨٨ب.

(٧) لفظ: (من) ساقط من (أ).

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٣٦، ١٣٧ بسند جيد عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. وأخرجه الطبري أيضاً، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٤٤ بسند ضعيف من طريق عطية العوفي، وذكر النحاس في =

فهؤلاء جعلوا (بين أيديهم) الدنيا ؛ لأنها بين يدي الإنسان يسعى فيها ، ويعمل لها ، والآخرة تأتي[1] من بعد .

وقوله تعالى : ﴿وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ ، قال الوالبي عن ابن عباس : «﴿وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ : أُشَبِّه عليهم أمر دينهم ، ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ : أُشَهِّي[2] لهم المعاصي» . وقال في رواية عطاء : «﴿وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ يريد : من قبل الحق ، ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ يريد : من قبل الباطل»[3] .

وهو قول الحكم[4] والسدي ، قالا : «﴿وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ من قبل الحق ، أصدهم[5] عنه وأشككهم فيه ، ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ من قبل الباطل ، أخففه[6] عليهم ، وأزينه لهم ، وأرغبهم فيه» .

وقال[7] في رواية العوفي : «أما ﴿وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ فمن قبل حسناتهم ، وأما ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ فمن قبل سيئاتهم» .

وهو قول قتادة ، قال : «﴿وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ من قبل حسناتهم بَطَّأَهم عنها ، ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ زَيَّنَ لهم السيئات والمعاصي ودعاهم إليها وأمرهم بها ، أتاك يا

---

= معانيه ٣/ ١٧ ، ١٨ كلا الروايتين من طريق علي بن أبي طلحة ، وقال : «وذلك القول لا يمتنع ؛ لأن الآخرة لم تأت بعد ، فهي بين أيدينا وهي تكون بعد موتنا ، فمن هذه الجهة ، يقال : هي خلفنا» اهـ .

(١) في (ب) : (يأتي) .

(٢) في (ب) : (أشتهي) ، والمشهور : (أشَهِّي) ، وقد سبق تخريجه .

(٣) لم أقف عليه بهذا اللفظ عن ابن عباس . وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ١٧٦ عن مجاهد والسدي .

(٤) سبق تخريجه عن الحكم والسدي .

(٥) في (ب) : (اصدهم) ، وهو تحريف .

(٦) في (ب) : (أحققه) ، وهو خلاف ما في المصادر .

(٧) أي ابن عباس من طريق عطية العوفي ، وقد سبق تخريجه ، وأيضاً أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٣٦ بسند جيد عن علي بن أبي طلحة .

ابن آدم من كل وجه، غير أنه لم يأتك من فوقك، لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله»[(١)].

قال أبو بكر: «وقولُ من قال: «الأيمان كناية عن الحسنات، والشمائل كناية عن السيئات» حسنٌ؛ لأن العرب تقول: اجعلني في يمينك، ولا تجعلني في شمالك، يريد اجعلني من المقدمين عندك، ولا تجعلني من المؤخرين، أنشدنا أبو العباس[(٢)] لابن الدمينة[(٣)]:

أَبينِي[(٤)] أَفِي يُمْنَى يَدَيْكِ جَعلْتِني

فَأَفْرَحَ أَمْ صَيَّرْتِني في شِمالِكِ»[(٥)]

---

(١) سبق تخريجه، وذكر النحاس في معانيه ٣/ ١٦-١٨ نحوه عن الحكم بن عتيبة، وقال: «هذا قول حسن، وشرطه أن معنى ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾ من دنياهم، حتى يكذبوا بما فيها من الآيات وأخبار الأمم السالفة، ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ من آخرتهم حتى يكذبوا بها، ﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ من حسناتهم وأمور دينهم، ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ﴾ [الصافات: ٢٨]، ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ﴾ يعني: سيئاتهم؛ أي يتبعون الشهوات لأنه يزينها لهم» اهـ.

(٢) أبو العباس: أحمد بن يحيى، الإمام ثعلب. تقدمت ترجمته.

(٣) ابن الدُّمينة: عبدالله بن عبيد الله بن أحمد الخَثْعَمي، أبو السَّريِّ، شاعر إسلامي، له شعر كثير، والدمينة أمه، توفي سنة ١٣٠هـ. انظر: الشعر والشعراء ٤٨٩، والأغاني ١٧/ ٩٨، وشرح شواهد المغني للسيوطي ١/ ٤٢٥، والأعلام ٤/ ١٠٢.

(٤) ديوانه ١٧، وأمالي الزَّجَّاجي ١٠٨، والأغاني ١٧/ ٩٦، ودلائل الإعجاز للجرجاني ٩٠، وبدائع التفسير ٢/ ١٩٧، وبلا نسبة في الماوردي ٤/ ٢٩٧، ووضح البرهان للغزنوي ٢/ ٤٣١، وهو في الصناعتين ٣٥٥ لطرفة بن العبد، وليس في ديوانه، وفي (ب): «أتيني»، وهو خلاف ما في المراجع.

(٥) شرح القصائد لابن الأنباري ٤١١.

وروى أبو عبيد عن الأصمعي[(١)] : «هو عندنا باليمين ؛ أي بمنزلة حسنة ، وإذا خست منزلته ، قال : أنت عندي[(٢)] بالشمال ، وقال :

رَأَيْتُ بَنِي العَلَّاتِ لَـمَّا تَضَافَرُوا
يَحُوزونَ سَهْمِي دُونَهُمْ فِي الشَّمَائِلِ[(٣)]

أي ينزلونني بالمنزلة الخسيسة»[(٤)] ، وروى الأزهري في هذه الآية عن بعضهم : «﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾ أي لأغوينهم حتى يكذبوا بما تقدم من أمور الأمم السالفة ، ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ بأمر البعث ، ﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ﴾ ؛ أي لأضلنهم في ما يعملون ؛ لأنَّ الكسب يقال فيه : (ذلك بما كسبت يداك) ، وإن كانت اليدان لم تجنيا شيئاً ؛ لأن اليدين هما الأصل في التصرف ، فجعلت مثلاً لجميع ما عمل بغيرهما»[(٥)] .

وقال ابن الأنباري : «على هذا القول : ﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ﴾ ؛ أي أزهدهم في ما ينبغي أن يعملوا له مما يكسبهم ثواب ربهم ، قال : والعرب تذكُرُ (الأيمان) (والأيدي) عند العمل والفعل ، فيقول : جنت عليه يده ، وكسبت يده ، فلما كان ذكر الأيدي مستعملاً في الأفعال والأعمال اكتفى الله تعالى بها من

---

(١) في الغريب المصنف ١/ ٣١٨ قال أبو عبيد «الشمائل واحدها شمال ، وقد تكون من الأخلاف ، ومن خلفه الجسد» ، وفي اللسان (يمن) ٨/ ٤٩٦٩ ، «اليَمين المنزلة ، قال الأصمعي : هو عندنا باليمين ؛ أي بمنزلة حسنة» اهـ . وذكره عن أبي عبيد عن الأصمعي ، ابن القيم كما في بدائع التفسير ٢/ ١٩٧ .

(٢) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة ٢/ ١٩٢٩ ، وصاحب اللسان (شمل) ٤/ ٢٣٢٩ عن العرب .

(٣) لم أهتد إلى قائله . وهو في تهذيب اللغة ٢/ ١٩٣١ ، واللسان (شمل) ٤/ ٢٣٢٩ ، والدر المصون ٢/ ٢٧٠ ، وبدائع التفسير ٢/ ١٩٧ ، وبنو العَلَّات بالفتح : بنو أمهات شتى من رجل واحد ؛ لأن الذي تزوجها على أولى قد كانت قبلها ناهل ثم عل من هذه ، انظر : اللسان (علل) ٥/ ٣٠٨٠ .

(٤) ذكره الرازي في تفسيره ١٤/ ٤١ ، عن الأنباري .

(٥) تهذيب اللغة ٤/ ٣٩٨٥ . وذكره عن البعض الزَّجَّاج في معانيه ٢/ ٣٢٥ ، وصاحب اللسان (يمن) ٨/ ٤٩٦٩ .

الأفعال»[١]، وقال آخرون: «ذكر الله تعالى هذه الوجوه للمبالغة في التوكيد؛ أي ثم لآتينهم من جميع الجهات»، وهو اختيار أبي إسحاق، قال: «الحقيقة- والله أعلم- أي أنصرف لهم في الإضلال من جميع جهاتهم»[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾. قال ابن عباس: «يريد: [أن][٣] أكثرهم لإبليس طائعين، ولله عاصين»[٤].

١٨. قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا﴾، قال الكلبي: «من الجنة»[٥] ﴿مَذْءُومًا﴾، قال الليث: «ذأمت الرجل فهو مذؤوم؛ أي محقور، والذَّأم: الاحتقار»[٦].

---

(١) لم أقف عليه. وانظر: المذكر والمؤنث لابن الأنباري ١/ ٣٥٦-٣٧٩.

(٢) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٢٤، وهذا هو اختيار جمهور المفسرين، منهم الطبري في تفسيره ٨/ ١٣٧، والنحاس في إعراب القرآن ١/ ٦٠٣، وابن عطية في تفسيره ٥/ ٤٤٧، وقال القرطبي ٧/ ١٧٦: «ومن أحسن ما قيل في تأويل الآية؛ أي لأصدنهم عن الحق، وأرغبنهم في الدنيا، وأشككهم في الآخرة، وهذا غاية في الضلالة». فالراجح في الآية أنه يأتيهم حقيقة من جميع الوجوه الممكنة من حيث لا يبصرون، ومن جميع طرق الخير والشر، فالخير يصدهم عنه والشر يحسنه لهم، وانظر: تأويل المشكل ٢٤٨، وتفسير ابن كثير ٢/ ٢٢٩.

(٣) لفظ: (أن) ساقط من (ب).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٦٤، وأخرج الطبري في تفسيره ٨/ ١٣٨، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٤٦ بسند جيد عن ابن عباس، قال: «موحدين»، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ١٣٦.

(٥) ذكره السمرقندي في تفسيره ١/ ٥٣٣، والثعلبي ١٨٨ ب، والواحدي في الوسيط ١/ ١٦٤، والبغوي في تفسيره ٣/ ٢١٩.

(٦) العين ٨/ ٢٠٣، وذكره عن الليث. الرازي في تفسيره ١٤/ ٤٣، وأبو حيان في البحر ٤/ ٢٦٥، والسمين في الدر ٥/ ٢٧١.

ونحو ذلك قال الأصمعي(١) وأبو زيد : «ذَأَمْته أذأَمه إذا حقرته وذَمَمْته»(٢) ، وقال أحمد بن يحيى : «ذَأَمته : عِبْتُه»(٣) .

وقال الفرَّاء : «ذَأَمته ذأماً ، فأنا أذأمه إذا عبته»(٤) .

وقال ابن الأنباري : «المذؤوم : المذموم ، يقال : ذَأَمْت الرجل أَذْأَمُه ، وذِمْتُه أَذِيمُه ذَيماً ، وذَمَمْتُه أَذُمُّه ذَمّاً بمعنى»(٥) وأنشد(٦) :

وأقـامـوا حتَّى أبيرَوا جميعـاً
فـي مَقـــامٍ وكلُّهـــم مـــذْؤُومُ

---

(١) تهذيب اللغة ٢/ ١٢٦٤ ، وفيه : «ذأمته ، ودأمته : إذا حقرته وخزيته» اهـ . وفي ٤١٦/١٤ ، قال : «والذَّام : العيب» اهـ .

(٢) النوادر ٩٧ ، وتهذيب اللغة ٢/ ١٢٦٤ .

(٣) تهذيب اللغة ٢/ ١٢٦٤ ، وفيه زاد : «وذأمته أكثر من ذممته» اهـ .

(٤) الزاهر لابن الأنباري ٢/ ٣ ، وزاد المسير ٣/ ١٧٨ ، ولم أقف عليه في معانيه .

(٥) الزاهر لابن الأنباري ٢/ ٣ ، وانظر : معاني الأخفش ٢/ ٢٩٥ ، وغريب اليزيدي ١٤٤ ، والخلاصة : أن مذؤوم اسم مفعول من ذَأمه مهموز ، إذا عابه واحتقره ودحره وذمَّه ذأماً ، وقد تسهل همزة ذأم فتصير ألفاً ، فيقال : ذام . يقال : ذأمه يذأمه كرأم ، وذامه يذيمه كباعه من غير همز ، فمصدر المهموز ذأم كَرأس ، وأما مصدر غير المهموز فسمع فيه ذام بألف ، وحكى فيه ذَيْماً كبَيْع ، أفاده السمين في الدر ٥/ ٢٧١ .

وانظر : معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٢٤ ، والجمهرة ٢/ ١٠٩٧ ، والصحاح ٥/ ١٩٢٥ ، ومقاييس اللغة ٢/ ٣٦٨ ، والمجمل ٢/ ٣٦٤ ، والأفعال للمعافري ٣/ ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، والمفردات ٣٣١ ، واللسان (ذأم) ٣/ ١٤٨٢ .

(٦) الشاهد لحسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ في ديوانه ٢٢٦ ، برواية
لـم يُوَلُّـوا حَتَّى أُبِيـدُوا جَميعـاً في مَـقَـامٍ وكـلُّـهـم مَـذْمُـومُ
وهو في الزاهر ٢/ ٣ ، وزاد المسير ٣/ ١٧٨ ، والدر المصون ٥/ ٢٧١ ، وأبيروا ؛ أي أهلكوا ، انظر : اللسان (بور) ١/ ٣٨٥ . وذكره ابن هشام في السيرة ٢/ ١٢٤ ضمن قصيدة طويلة يذكر فيها عدة أصحاب اللواء يوم أحد .

وقال أمية في اللغة الثانية :

وقــالَ لإبليسَ ربُّ العبــادِ

[أن][1] اخْرجْ دحيراً لعيناً مذُوما[2]

وقال ابن قتيبة : «﴿مَذْءُومًا﴾[مذموماً][3] بأبلغ الذم»[4] . وقوله : ﴿مَّدْحُورًا﴾ ؛ الدحــر في اللغة[5] : الطرد والإقصاء والتبعيد ، يقــال : دَحَره دَحْراً ودُحوراً إذا طرده وبعده ، ومنه قولــه تعالى : ﴿وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝ دُحُورًا﴾[الصافات : ٨-٩] ، وقال أمية :

وبإذنــهِ سجـــدوا لآدمَ كلُّهــمْ إلَّا لعينـــاً خـــاطئاً مَدْحـــوراً[6]

وأما لفظ المفسرين في تفسير هذين الحرفين ، فقال ابن عباس : «﴿مَذْءُومًا﴾ : ممقوتاً»[7] ، وروى عطية عنه : «﴿مَذْءُومًا مَّدْحُورًا﴾ يعني : صغيراً مقيتاً»[8] .

---

(١) لفظ : (أن) ساقط من النسخ .

(٢) الشاهد في ديوان أمية بن أبي الصلت الثقفي ٢٣٥ ، وتفسير الثعلبي ١٨٨ب ، والرازي ١٤/ ٤٤ ، والدر المصون ٥/ ٢٧٢ ، وقال السمين «أنشده الواحدي على لغة ذامه بالألف ، يذيمه بالياء ، وليته جعله محتملاً للتخفيف من لغة الهمز» اهـ .

(٣) لفظ : (مذموماً) ساقط من (ب) .

(٤) تفسير غريب القرآن ١٧٦ ، ونحوه ذكر أبو عبيدة في المجاز ١/ ٢١١ ، والطبري في تفسيره ٨/ ١٣٨ ، ومكي في تفسير المشكل ٨٣ .

(٥) انظر : العين ٣/ ١٧٧ ، والجمهرة ١/ ٥٠١ ، وتهذيب اللغة ٢/ ١١٥٣ ، والصحاح ٢/ ٦٥٥ ، والمجمل ٢/ ٣٤٧ ، ومقاييس اللغة ٢/ ٣٣١ ، والمفردات ٣٠٨ ، واللسان (دحر) ٣/ ١٣٣٣ .

(٦) ديوان أمية بن أبي الصلت الثقفي ٢٣٥ ، وتفسير والرازي ١٤/ ٤٤ ، والدر المصون ٥/ ٢٧٢ .

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٣٩ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٤٦ بسند جيد .

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٣٩ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٤٧ بسند ضعيف .

وقال في رواية عطاء : «يريد : صاغراً ملعوناً»[(١)] ، وكل واحد منهم أتى بلفظ قريب المعنى مما ذكره أهل اللغة .

وقولـه تعالى : ﴿ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ ﴾ ، اللام فيه لام القسـم ، وجوابه قوله[(٢)] : ﴿ لَأَمْلَأَنَّ ﴾ . وقولـه تعالى : ﴿ مِنْهُمْ ﴾[(٣)] . قال أبو بكـر : «الكناية تعود على ولد آدم ؛ لأنه حين قال : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ﴾ [الأعراف : ١١] كان مخاطباً لولد آدم فرجع إليهم»[(٤)] .

قال ابن عباس : «يريد : من أطاعك منهم ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ، قال : يريد : المشركين والمنافقين والكافرين وقرناءهم من الشياطين»[(٥)] .

١٩. قوله تعالى : ﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾[(٦)] ، الآية مفسرة في سورة البقرة[(٧)] .

(١) لم أقف عليه ، وانظر : تفسير الماوردي ٢/ ٢٠٨ ، والبغوي ٣/ ٢١٩ .

(٢) انظر : معاني الأخفش ٢/ ٢٩٥ ، والزَّجَّاج ٢/ ٣٢٥ ، وتفسير الطبري ٨/ ١٣٩ ، وإعراب النحاس ١/ ١٠٣ ، وفي هذه اللام وجهان : أظهرهما قول الجمهور أن اللام توطئة لقسم محذوف ، و(من) شرطية في محل رفع بالابتداء ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ جواب القسم المدلول عليه بلام التوطئة ، وجواب الشرط محذوف لسد جواب القسم مسده ، والثاني : أن اللام للابتداء ، و(من) موصولة ، و﴿تَبِعَكَ﴾ صلتها ، وهي أيضاً في محل رفع بالابتداء ، و﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ جواب قسم محذوف ، وهو وجوابه في محل رفع خبر لهذا المبتدأ ، والتقدير : للذي تبعك منهم ، والله لأملأن جهنم منكم .
انظر : تفسير ابن عطية ٥/ ٤٥٠ ، والتبيان ١/ ٣٧٠ ، والفريد ٢/ ٢٧٩ ، والدر المصون ٥/ ٢٧٣ .

(٣) في النسخ : ﴿مِنْهُمْ﴾ . ويحتمل أنه يريد : ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ﴾ .

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ١٧٨ ، والرازي في تفسيره ١٤/ ٤٤ .

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٦٥ ، وفي تنوير المقباس ٢/ ٨٤ نحوه .

(٦) لفظ : ﴿الْجَنَّةَ﴾ ساقط من (ب) .

(٧) انظر : البسيط ، [البقرة :٣٥] .

٢٠. وقوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾، قال الليث: «الوسوسة: حديث النفس والصوت الخفي من ريح تهز قصباً أو شيئاً، كالهمس، وبه سمي صوت الحلي وسواساً»[(١)].

ثعلب عن ابن الأعرابي: «رجل موسْوِس، ولا يقال: موَسوَس»[(٢)].

[الأزهري وإنما قيل: موسوس][(٣)]؛ لأن نفسه توسوس له[(٤)]. قال الله تعالى: ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾[(٥)] [ق: ١٦]، وقال رؤبة يصف الصياد:

وَسْوَسَ يَدْعُو[(٦)] مُخْلِصاً ربَّ الفَلَقْ[(٧)]

يقول: لما أحس بالصيد وأراد رميه وسوس في نفسه يخطئ أو يصيب»، قال الأخفش[(٨)]: «﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا﴾ يعني: إليهما»[(٩)].

---

(١) تهذيب اللغة ٤/ ٣٨٩٤.

(٢) تهذيب اللغة ٤/ ٣٨٩٤، ومُوَسوِس بكسر الواو، ولا يقال مُوَسْوَس بفتح الواو. انظر: الجمهرة ١/ ٢٠٥، والمجمل ٣/ ٩١٢، ومقاييس اللغة ٦/ ٧٦، والمفردات (وسوس) ٨٦٩.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

(٤) في تهذيب اللغة، ٤/ ٣٨٩٤: (لأنه يحدث نفسه بها في ضميره) اهـ.

(٥) في (أ): (ويعلم) بالياء، وهو تصحيف.

(٦) في النسخ: (يدعوا).

(٧) ديوان رؤبة بن العجاج ١٠٨، وتفسير الطبري ٨/ ١٤٠، تهذيب اللغة ٤/ ٣٨٩٤، وتفسير ابن عطية ٥/ ٤٥٦، واللسان (وسس) ٨/ ٤٨٣١، والدر المصون ٥/ ٢٧٦، وعجزه:

سِرّاً وَقَدْ أَوَّنَ تَأْوِينَ العُقُقْ

قال في اللسان (عقق) ٥/ ٣٠٤٤ في شرحه للشاهد: «أون شربن حتى انتفخت بطونهن، فصار كل حمار كالأتان العقوق، وهي التي تم حملها وقرب ولادها» اهـ.

(٨) معاني الأخفش ٢/ ٢٩٦، وفيه: «والعرب توصل بهذه الحروف كلها الفعل» اهـ. ومثله ذكر الطبري في تفسيره ٨/ ١٤٠، والنحاس في إعراب القرآن ١/ ٦٠٣، والجوهري في الصحاح (وسوس) ٣/ ٩٨٨، وقال أبو حيان في البحر ٤/ ٢٧٨، والسمين في الدر ٥/ ٢٧٥: «الفرق بين وسوس له ووسوس إليه أن وسوس له بمعنى لأجله، ووسوس إليه ألقى إليه الوسوسة» اهـ.

(٩) في (أ) جاء تكرار، قوله: (وسوس في نفسه) إلى آخره.

وقولــه تعالى : ﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا﴾ ، هذه اللام تســمى لام العاقبة[١] ؛ وذلك أن الشــيطان لم يقصد بالوسوســة بدو عورتهما ، ولم يعلم أنهما إن أكلا من الشجرة بدت عوراتهما ، وإنما كان قصده أن يحملهما على المعصية فقط ، فلما بدت عوراتهما وكان ذلك بســبب معصيتهما جاز أن يقال : فعل ذلــك لذلك[٢] كما قال تعالى : ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص : ٨] .

وقوله تعالى : ﴿مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾ ؛ أي ما ستر من المُواراة ، يقال : وَارَيْته فأنا أُوَاريه ؛ أي ســترته ، ويقال : وَارَيْت الميت في التراب ؛ أي دفنته[٣] ، ومنه قول النبــي ﷺ لعلي ـ رضي الله عنه ـ لما أخبره بوفــاة أبيه[٤] قال : «اذهب فوارِه»[٥] قال الشاعر :

عَلَى صدى أسودَ المُــــواري ... في التُّرْبِ أمســى وفي الصَّفيحِ[٦]

---

(١) وهي التي يسميها الكوفيون (لام الصيرورة) . انظر : كتاب اللامات للزَّجَّاجي ١١٩ ، ولمحمد الهروي ١٨٢ .

(٢) هذا قول الجمهور أنها للعاقبة والصيرورة ، ورجح أبو حيان في البحر ٤/ ٢٧٨ ، والسمين في الدر ٥/ ٢٧٦ ، وهو الظاهر أنها لام العلة الباعثة على أصلها ؛ لأن قصد الشيطان ذلك ، وهو يعلم ذلك بالإلهام أو بالنظر فهو وسوس لهما لغرض إيقاعهما في المعصية ابتداء ولغرض الإضرار بهما ؛ لأن طبعه عداوة البشر ، وانظر : تفسير ابن عطية ٥/ ٤٥٧ ، وابن عاشور ٨/ ٥٧ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة ٤/ ٣٨٨٠ ، والصحاح ٦/ ٢٥٢٣ ، والمفردات ٨٦٦ ، واللسان (ورى) ٨/ ٤٨٢٣ .

(٤) في (ب) : (ابنه) ، وهو تصحيف .

(٥) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٢/ ١١٢ ، ١٣٦ ، وأبو داود ٣٢١٤ ، كتاب الجنائز ، باب : الرجل يموت له قرابة مشرك ، والنسائي في الطهارة ، باب : الغسل من مواراة المشرك ١/ ١١١ ، وفي الجنائز ٤/ ٧٩ ، باب : مواراة المشرك ، عن علي ـ رضي الله عنه ـ أنه أتى النبي ﷺ فقال : «إن أبا طالب مات قال : «اذهب فواره» ، قال : «إنه مات مشركاً . فقال : «اذهب فواره» ، فلما واريته رجعت إليه ، فقال لي : «اغتسل» ، ودعا لي» اهـ . وصحح الشيخ أحمد شاكر ـ رحمه الله تعالى ـ إسناده في الحاشية .

(٦) لم أهتد إلى قائله ، وهو في الدر المصون ٥/ ٢٧٧ . والصَفِيح : الحجارة العريضة . انظر : اللسان (صفح) ٤/ ٢٤٥٥ .

والسَّوأة : فرج الرَّجُل والمرأة ، وذلك لأن ظهوره يسوء الإنسان[١] .

قال ابن عباس : «كانا قد ألبسا ثوباً يستر العورة منهما ، فلما عصيا تهافت عنهما ذلك الثوب ، وذلك قوله : ﴿ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا ﴾»[٢] [الأعراف : ٢٢] .

وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ ، قال ابن الأنباري : «يمكن أن يكون هذا مخاطبة من إبليس لهما ، ويمكن أن يكون بوسوسة أوقعها في قلوبهما ، والأمران مرويان ، إلَّا أن الأغلب والأكثر مخاطبته إياهما بدليل قوله : ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾»[٣] .

وقوله تعالى : ﴿ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ ﴾ تقديره : (إلا أن لا تكونا) عند الكوفيين ، وعند البصريين : (إلا كراهية أن تكونا) فحذف المضاف[٤] .

فإن قيل : كيف أطمع إبليس – لعنه الله – آدم في أن يكون ملكاً عند أكله من الشجرة ، فانقاد له مؤملاً ذلك ، وقد شاهد الملائكة متواضعة ساجدة له ، معترفة بفضله ؟ فيقال : إن آدم علم أن الملائكة لا يموتون إلا يوم القيامة ، ولم يعلم ذلك لنفسه ، فعرض عليه إبليس أن يصير ملكاً في البقاء ولا يموت كما لا يموتون[٥] ،

---

(١) انظر : تهذيب اللغة (ساء) ٢/ ١٥٨٣ ، والمفردات (سوأ) ٤٤١ ، ٤٤٢ .

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٦٦ ، والبغوي ٣/ ٢٢٠ ، والرازي ١٤/ ٤٦ .

(٣) ذكره الرازي في تفسيره ١٤/ ٤٧ من دون نسبة .

(٤) انظر : معاني الأخفش ٢/ ٢٩٦ ، وتفسير الطبري ٨/ ١٤٠ ، وإعراب النحاس ١/ ٦٠٤ ، والمشكل ١/ ٢٨٤ ، وقال أبو حيان في البحر ٤/ ٢٧٩ ، والسمين في الدر ٥/ ٢٨٧ : «قوله : ﴿ إِلَّآ أَن تَكُونَا ﴾ استثناء مفرغ ، وهو مفعول من أجله فيقدره البصريون : إلا كراهة أن تكونا ، وقدره الكوفيون : إلا أن لا تكونا ، وإضمار الاسم أحسن من إضمار الحرف» اهـ . ملخصاً .

(٥) انظر : تفسير البغوي ٣/ ٢١٩ ، والرازي ١٤/ ٤٧ ، والقرطبي ٧/ ١٧٨ .

وكان(١) ابن عباس يقــرأ : (مَلِكَيْنِ)(٢) ، ويقول : «ما طمعا في أن يكونا ملَكين ، لكنهما استشرفا(٣) إلى أن يكونا مَلِكين ، وإنما أتاهما الملعون من جهة الـمُلك ، يدل على هذا قوله : ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾»(٤) [طه : ١٢٠] .

وقوله تعالى : ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَـٰلِدِينَ﴾ ، قال ابن عباس : «يريد : لا يموتان»(٥) .

٢١. قوله تعالى : ﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾ . قال ابــن عباس : «حلف لهما»(٦) . يقال : أَقْسم(٧) يقسم إقساماً إذ حلف ، والقَسَم اليمين ، وكذلك قاسم وهو من المفاعلة التي تكون من واحد(٨) .

---

(١) في (ب) : (فكان) .

(٢) قراءة الجمهور : ﴿مَلَكَيْنِ﴾ بفتح اللام ، بمعنى ملكين من الملائكة ، وقرأ ابن عباس وغيره : (مَلِكَيْنِ) بكسر اللام ، بمعنى ملكين من الملوك ، وهي قراءة شاذة . انظر : تفسير الطبري ٨/ ١٤٠ ، وإعراب النحاس ١/ ٦٠٤ ، ومختصر الشواذ ٤٨ .

(٣) في (ب) : (استسرفا) .

(٤) ذكره الرازي في تفسيره ١٤/ ٤٧ ، والقرطبي ٧/ ١٧٨ ، ١٧٩ .

(٥) تنوير المقباس ٢/ ٨٥ .

(٦) تنوير المقباس ٢/ ٨٥ ، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٦٦ .

(٧) انظر : تهذيب اللغة ٣/ ٢٩٦١ ، والصحاح ٥/ ٢٠١٠ ، ومجمل اللغة ٣/ ٧٥٢ ، والمفردات ٦٧٠ ، واللسان (قسم) ٦/ ٣٦٣٠ .

(٨) قال البغوي في تفسيره ٣/ ٢١٩ : «أي وأقسم وحلف لهما وهذا من المفاعلة التي تختص بالواحد» اهـ.
وقال القرطبي في تفسيره ٧/ ١٧٩ : «وجاء فاعلت من واحد ، وهو يرد على من قال : إن المفاعلة لا تكون إلا من اثنين» اهـ. وانظر : تفسير الزمخشري ٢/ ٧٢ ، وابن عطية ٥/ ٤٥٩ ، والبحر المحيط ٤/ ٢٧٩ ، والدر المصون ٥/ ٢٧٩ .

قال خالد بن زهير[١] :

وَقَاسَمهُمَا بالله جَهــدْاً لأَنْتُـمُ ... أَلَذُّ مِنَ السَّلْوَى إِذَا مَا نَشُورُهَا[٢]

قال قتادة : «حلف لهما بالله حتى خدعهما ، وقد يخدع المؤمن بالله»[٣] .

وقوله تعالى : ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ ، قال قتادة : «قال لهما إبليس : إني خلقت قبلكما ، وأنا أعلم منكما فاتبعاني أرشدكما»[٤] .

قال أبو علي : «الجار في قوله : ﴿لَكُمَا﴾ يتعلق بما بعدها ؛ لأن التقدير إني لمن الناصحين لكما»[٥] وشرح هذا وبيانه مذكور في سورة هود[٦] عند قوله : ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[٧] [هود : ٤٦] .

٢٢. قوله تعالى : ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ ، معنى التدلية[٨] في اللغة : التعليق ، يقال : دلَّى فلان الشيء في مهواة ، وتدلَّى ذلك الشيء بنفسه .

---

(١) خالد بن زهير الهذلي ، شاعر أموي ، مشهور ، جرت بينه وبين خاله أبي ذؤيب الهذلي أشعار وخصومة . انظر : الشعر والشعراء ٤٣٥ ، وشرح أشعار الهذليين للسكري ١/ ٢٠٧ ، والخزانة للبغدادي ٥/ ٧٦ .

(٢) شرح ديوان الهذليين ١/ ٢١٥ ، وتفسير الطبري ٨/ ١٤١ ، وتهذيب اللغة (سلا) ٢/ ١٧٢٦ ، وتفسير ابن عطية ٥/ ٤٥٩ ، واللسان (سلا) ٤/ ٢٠٨٦ ، والبحر المحيط ٤/ ٢٧٩ ، والدر المصون ٥/ ٢٧٩ ، والسَّلْوى هنا العسل ، والشور أخذ العسل من الخلية ، أفاده السكري والأزهري .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٤١ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٥١ بسند جيد ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ١٣٩ .

(٤) هذا تابع للأثر السابق الذي سبق تخريجه .

(٥) الحجة لأبي علي الفارسي ٤/ ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، وزاد فيه : «يتعلق بما يدل عليه النصح المظهر ، وإن لم يسلط عليه ، والتقدير : إني ناصح لكما من الناصحين» اهـ . وانظر : إعراب النحاس ١/ ٦٠٤ ، والمشكل ١/ ٢٨٥ ، والدر المصون ٥/ ٢٧٩ .

(٦) انظر : البسيط ، النسخة الأزهرية ٣/ ٣٢ أ .

(٧) لفظ : ﴿بِهِۦ عِلْمٌ﴾ ساقط من (ب) .

(٨) انظر : العين ٨/ ٦٩ ، والجمهرة ٢/ ٦٨٢ ، والصحاح ٦/ ٢٣٣٩ ، والمفردات (دلو) ٣١٧ .

قال أبو عبيدة : «دلاهما : خذلاهما وخلاهما من تدلية الدلو ، وهو إرسالها في البئر»[١] .

وقال أبو إسحاق : «دلاهما في المعصية[٢] بأن غرهما»[٣] .

وذكر أبو منصور الأزهري -رحمه الله- لهذه الكلمة أصلين :

أحدهما : قال : «أصله الرجل العطشان يدلي في البئر ليروى من الماء ، فلا يجد فيها ماء ، فيكون مدلى فيها بالغرور ، فوضعت التدلية موضع الإطماع في ما لا يجدي نفعاً ، فيقال : دلاه إذا أطمعه[٤] ، ومنه قول أبي جندب[٥] الهذلي :

أَحُصُّ فلا أُجِيرُ وَمَنْ أُجِرْهُ فَلَيْسَ كَمَنْ يُدَلَّى بالغُرُورِ[٦]

أحصُّ : أقطع .

---

(١) ذكر الثعلبي في الكشف ١٨٨ ب ، ولم أقف عليه في مجاز القرآن .

(٢) في (ب) : «دلاهما في المعصية غرهما بأن غرهما» ، وهو تحريف .

(٣) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٢٧ . انظر : معاني النحاس ٣/ ٢١ .

(٤) في (ب) : (إذا أطعمه) ، وفي (أ) : «إذا طعمه» ، وهو تحريف .

(٥) أبو جُنْدَب بن مُرَّة بن قرد الهذلي ، شاعر جاهلي ، وهو أحد عشر إخوة كانوا جميعاً شعراء دهاة .
انظر : الشعر والشعراء ٤٤٠ ، وشرح ديوان الهذليين ١/ ٣٤٥ ، والأغاني ٢٢/ ٢٢١ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ .

(٦) شرح ديوان الهذليين ١/ ٣٥٥ ، واللسان (دلا) ٣/ ١٤١٨ ، والدر المصون ٥/ ٢٨١ ، وقال الأزهري في تهذيب اللغة ٢/ ١٢١٤ في شرح البيت : «أحص : أمنع ، وقيل : أقطع ذلك ، وقوله : كمن يدلي ؛ أي يُطمع» اهـ .

والثاني : ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ ؛ أي جرأهما[(١)] إبليس على أكل الشجرة بغروره[(٢)] [و][(٣)] الأصل فيه[(٤)] دَلَّلهما من الدَّالِّ[(٥)] ، والدَّالَّة : وهي الجرأة»[(٦)] .

قال شمر : «يقال : ما دَلَّك علي ؛ أي ما جَرَّأك علي»[(٧)] ، وأنشد لقيس بن زهير[(٨)] :

أظُنُّ الحِلْمَ دَلَّ عليَّ قومي وقد يُسْتَجْهَلُ الرجلُ الحَليمُ[(٩)]

---

(١) في (أ) : (أي أخبرهما) ، وهو تحريف .

(٢) في (ب) : (بغرور) .

(٣) لفظ : (الواو) ساقط من (ب) .

(٤) في (ب) : (فيهما) .

(٥) في (ب) : (من الدلال) ، وهو تحريف .

(٦) تهذيب اللغة ٢/ ١٢١٤ .

(٧) تهذيب اللغة ٢/ ١٢٢١ .

(٨) قَيْس بن زُهَيْر بن جَذِيمة العَبْسي ، شاعر جاهلي ، وفارس عبس وسيدها ، ومعدود في الأمراء والدهاة والشجعان والخطباء والشعراء ، وهو صاحب الفرسين داحس والغبراء ، وكان شريفاً ، حازماً ذا رأي ، يضرب بدهائه المثل .
انظر : معجم المرزباني ١٧٨ ، والإصابة ٣/ ٢٨٢ ، والأعلام ٥/ ٢٠٦ .

(٩) الشاهد في تهذيب اللغة ٢/ ١٢٢١ ، واللسان (دلل) ٣/ ١٤١٣ ، والدر المصون ٥/ ٢٨١ ، وقال المرزباني في معجمه ١٧٨ في شرح البيت : «ليس قوله : وقد يستجهل الرجل الحليم بمعنى ينسب إلى الجهل ، وإنما هو بمعنى يستخرج الجهل من الحليم ، يريد : أن حلمه جرأ عليه قومه ، فتوعدهم بقوله : وقد يستدعى الجهل من الحليم» اهـ .

قال محمد بن حبيب[(١)] : «معناه : جَرَّأهم»[(٢)] .

قال ابن عباس : «يريد : غرهما باليمين ، وكان آدم يظن أنه لا أحد يحلف بالله كاذباً»[(٣)] .

وقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا ﴾ ، قال ابن عباس : «يريد : ظهرت عورتهما وتقلص ذلك النور عنهما ، فصار أظفاراً[(٤)] في الأيدي والأرجل»[(٥)] .

قال وهب[(٦)] : «كان على فرج آدم نور يحول بينه وبين النظر إليه فلا[(٧)] يبصره ، فلما عصى بدت عورته»[(٨)] .

---

(١) محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي مولاهم أبو جعفر البغدادي ، علامة بالأنساب والأخبار واللغة والشعر ، له مصنفات عدة ، منها المحبر ، والمؤتلف والمختلف في النسب ، والمنمق ، وغيرها ، توفي سنة ٢٤٥هـ .

انظر : تاريخ بغداد ٢/ ٢٧٧ ، وإنباه الرواة ٣/ ١١٩ ، ومعجم الأدباء ١٨/ ١١٢ ، والبغية ١/ ٧٣ ، والأعلام ٦/ ٧٨ .

(٢) تهذيب اللغة ٢/ ١٢٢١ ، وفيه : «دل على قومي ؛ أي جرأهم» اهـ .

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٦٧ ، وابن الجوزي في تفسيره ٣/ ١٨٠ ، والرازي ١٤/ ٤٩ ، وانظر : تفسير السمرقندي ١/ ٥٣٤ ، والبغوي ٣/ ٢١٩ ، وبدائع التفسير ٢/ ٢٠١ .

(٤) في (ب) : (أظفراً) .

(٥) أخرجه الطبري ٨/ ١٤٣ بسند ضعيف عنه نحوه ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ١٣٩ ، وأخرج الحاكم في المستدرك ٢/ ٣١٩ ، عن ابن عباس قال : «كان لباس آدم وحواء مثل الظفر ، فلما ذاقا الشجرة ، جعلا يخصفان عليهما من روق الجنة ، قال : وهو ورق التين» اهـ . قال الحاكم : «هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه» اهـ . ووافقه الذهبي في التلخيص .

(٦) وَهْب بن مُنبه بن كامل اليماني ، تقدمت ترجمته .

(٧) في (ب) : (ولا يبصره) .

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٤٣ ، وذكره ابن كثير في تفسيره ٢/ ٢٣١ ، وقال : «رواه ابن جرير بسند صحيح إليه» .

وقال قتادة : «كان لباس آدم وحواء في الجنة ظفراً[١] كله ، فلما واقعا الذنب كُشِط[٢] عنهما ، وبدت سوءاتهما فاستحيا وطفقا يخصفان الورق عليهما»[٣] .

وقال الكلبي : «فلما أكلا منها تهافت لباسهما عنهما ، فأبصر كل واحد منهما عورة صاحبه فاستحيا»[٤] .

وقوله تعالى : ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ ، قال الليث : «طَفِق بمعنى علق يفعل كذا ، وهو يجمع ظل وبات»[٥] . وقال الزَّجَّاج : «معنى طفق : أخذ في الفعل»[٦] .

وقال ابن قتيبة : «﴿وَطَفِقَا﴾ ؛ أي علقا وأقبلا ، يقال : طفِقْت أفعل كذا»[٧] .

وقوله تعالى : ﴿يَخْصِفَانِ﴾ ؛ أي يطبقان[٨] على أبدانهما الورق .

---

(١) قال ابن الأثير في النهاية ٣/ ١٥٨ : «وفي الحديث «كان لباس آدم ـ عليه السلام ـ الظُّفُر» بتشديد الظاء والضم ، أي شيء يشبه الظُّفُر في بياضه وصفائه وكثافته» اهـ . انظر : اللسان (ظفر) ٥/ ٢٧٥٠ .

(٢) الكشط : القلع والنزع والكشف . انظر : اللسان (كشط) ٧/ ٣٨٨٣ .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٤٣ بسند ضعيف . وذكره الثعلبي في الكشف ١٨٨ب ، والبغوي في تفسيره ٣/ ٢٢٠ .

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٦٧ ، والبغوي في تفسيره ٣/ ٢٢٠ .

(٥) تهذيب اللغة ٣/ ٢٢٠٠ ، وفيه : «وهو يجمع معنى ظل وبات» اهـ .
وانظر : العين ٥/ ١٠٦ ، والجمهرة ٢/ ٩١٥ ، والصحاح ٤/ ١٥١٧ ، ومقاييس اللغة ٣/ ٤١٣ ، والمفردات ٥٢١ ، واللسان (طفق) ٥/ ٢٦٨١ .

(٦) معاني القرآن ٢/ ٣٢٧ ، ونحوه ذكر النحاس في معانيه ٣/ ٢٢ .

(٧) تفسير غريب القرآن ١٧٦ ، وفيه «أي جعلا وأقبلا . . . .» ، ونحوه ذكر الطبري في تفسيره ٨/ ١٤٢ ، ومكي في تفسير المشكل ٨٤ .

(٨) الخصف بفتح فسكون : الجمع والضم ، وكل ما طورق بعضه على بعض ، فقد خُصِف .
انظر : الجمهرة ١/ ٦٠٤ ، والصحاح ٤/ ١٣٥٠ ، والمجمل ٢/ ٢٩٠ ، والمفردات (خصف) ٢٨٤ .

وقال الزَّجَّــاج : «معنى ﴿يَخۡصِفَانِ﴾ : يجعلان ورقة عــلى ورقة ، ومنه قيل للذي يرقــع النعل : خَصَّاف ، وهو يخصِفُ»[١] والمِخْصَــفُ مِثقَبُ ذلك ، ومنه قول الهذلي[٢] :

. . . . . رَوْثَةُ أنْفِها كالمِخْصَفِ[٣]

وقال الليث : «خصف العريان على نفســه ، إذا أخــذ ورقاً عريضاً يخصف بعضه على بعض يستتر به»[٤] .

وقال الأزهري : «﴿يَخۡصِفَانِ﴾ ؛ أي يطابقان بعض الورق على بعض .

كما يخصف طرائق النعل بعضها على بعض»[٥] .

---

(١) معاني القرآن ٢/ ٣٢٧ ، ونحوه في مجاز القرآن ١/ ٢١٢ ، وغريب اليزيدي ١٤٤ ، وتفسير الغريب لابن قتيبة ١٦٦ ، وتفسير الطبري ٨/ ١٤٢ ، ونزهة القلوب ٣١١ ، ومعاني النحاس ٣/ ٢٢ ، وتفسير المشكل لمكي ٨٤ .

(٢) عامر بن الحليس الـهُذلي أبو كَبير ، تقدمت ترجمته .

(٣) شرح ديوان الهذليين ٣/ ١٠٨٩ ، وتهذيب اللغة ١/ ١٠٣٩ ، ومقاييس اللغة ٢/ ١٨٦ ، واللسان (خصف) ٢/ ١١٧٤ ، والدر المصون ٥/ ٢٨٣ ، وهو يصف العقاب ، وتمامه :

حَتَّــى انْتَهَيْتُ إلــى فِرَاشِ عَزِيــزةٍ سَــوْدَاءَ . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

وفراش العزيزة ، يعني : عش العقابِ ، والروثة : طرف الأنف ، المنقار .

والمخصف هو : الذي تخصف به أخفاف الإبل ، يريد : أن منقارها حديد دقيق كأنه مِخْصَفُ .

(٤) تهذيب اللغة ١/ ١٠٤٠ ، وانظر : العين ٤/ ١٨٩ ، وفيهما : «الاختِصَاف أن يأخذ العريان ورقاً عراضاً فَيَخْصِفُ بعضها على بعض ويستتر بها» اهـ .

(٥) تهذيب اللغة ١/ ١٠٣٩ ، وقوله : «كما يخصف النعل . . . .» لا يوجد فيه ، وانظر : الزاهر ١/ ٣٧٦ .

ومنه قول العباس يمدح رسول الله ﷺ :

طِبْتَ فـــي الظِّــلالِ وفـــي مُسْـتودَعٍ حَيْثُ يُخْصَفُ الوَرَقُ[(١)]

يعني : في الجنة حيث خصف آدم وحواء الورق . قال مجاهد : «﴿يَخْصِفَانِ﴾ : يرقعان كهيئة الثوب»[(٢)] .

وقال الكلبي : «يخرزان بعضه إلى بعض»[(٣)] .

وقال قتـادة : «أقبلا وجعلا يرقعان ويصلان عليهما مـن ورق الجنة ، وهو ورق التين حتى صار كهيئة الثوب»[(٤)] .

قال أبو إسـحاق : «وفي هذا دليل على أن أمر التكشف وإظهار السوءة قبيح من لدن آدم ، ألا ترى أنهما كيف بادرا إلى التستر لقبح التكشف»[(٥)] .

وقوله تعالى : ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف : ٢٢] . قال عطاء : «بلغني أن الله ناداهما : أفراراً مني يا آدم ؟ قال : بل حياء منك يا رب ، ما ظننت أن أحداً يقسم باسمك كاذباً ، ثم ناداه ربه : أما خلقتك بيدي ؟ أما نفخت

---

(١) تمامه : «مَنْ قَبْلها طبت ....» ، وهو في تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ٨٨ ، وأمالي الزَّجَّاجي ٤٤ ، واشتقاق أسماء الله للزَّجَّاجي ٢٣١ ، وتهذيب اللغة ١/ ١٠٣٩ ، وأمالي ابن الشجري ٣/ ١١٤ ، واللسان (خصف) ٢/ ١١٧٤ ، والدر المصون ٥/ ٢٨٣ .

(٢) تفسير مجاهد ١/ ٢٣٣ ، وأخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٤٢ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٥٢ بسند جيد ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ١٤٠ .

(٣) في تنوير المقباس ٢/ ٨٥ نحوه .

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٦٧ ، والبغوي في تفسيره ٣/ ٢٢٠ ، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره ٥/ ١٤٥٣ بسند جيد عن قتادة قال : «يوصلان عليهما من ورق الجنة» اهـ .

(٥) انظر : معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ومثله ذكر السمرقندي في تفسيره ١/ ٥٣٤ ، وابن الجوزي ٣/ ١٨٠ ، والقرطبي ٧/ ١٨١ .

فيك من روحي ؟ أما أسجدت لك ملائكتي ؟ أما أسكنتك جنتي في جواري ؟ اخرج من جواري ، فإنه لا يجاورني من عصاني»[(١)] .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ ، قال ابن عباس : «بيِّن العداوة ، حيث أبى السجود ، وقال : ﴿ لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾»[(٢)] [الأعراف : ١٦] .

٢٥. وقوله تعالى : ﴿ قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ ﴾ . قال ابن عباس : «يريد : الأرض أرض الدنيا»[(٣)] ، والكناية عائدة إلى قوله : ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ ﴾ [الأعراف : ٢٤] ، قال الكلبي : «في الأرض تعيشون ، وفي الأرض قبوركم ، ومن الأرض تخرجون من قبوركم للبعث»[(٤)] .

٢٦. قوله تعالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ ﴾ الآية . قال سعيد بن جبير : «﴿ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ ﴾ يعني : خلقنا لكم»[(٥)] .

قال أبو علي : «﴿ أَنزَلۡنَا ﴾ هنا كقوله : ﴿ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ ﴾ [الحديد : ٢٥] ، وكقوله : ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖ ﴾ [الزمر : ٦] ؛ أي خلق»[(٦)] .

(١) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٦٧ ، والرازي في تفسيره ١٤/ ٤٩ .
(٢) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٦٧ ، والرازي في تفسيره ١٤/ ٥٠ .
(٣) تنوير المقباس ٢/ ٨٦ .
(٤) تنوير المقباس ٢/ ٨٦ ، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٦٨ .
(٥) ذكره القرطبي في تفسيره ٧/ ١٨٤ . وانظر : تفسير والرازي ١٤/ ٥١ ، والبحر المحيط ٤/ ٢٨٢ .
(٦) الحجة لأبي علي ٤/ ١٢ .

وقال صاحب النظم: «هذا من باب التدريج[١] والترقي، وذلك أن الله تعالى أنزل المطر، فأنبت به النبات، فاتخذ الناس من النبات اللباس، فأوقع الإنزال على اللباس، لما كان بسبب[٢] ما يُنزل وهو المطر»[٣].

قال ابن عباس: «[و][٤] ذلك أن أهل مكة كانوا يطوفون حول البيت عراة، فقال الله تعالى: ﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِى سَوْءَاتِكُمْ﴾[٥] يريد: يستر عوراتكم»، ونحو هذا قال مجاهد[٦].

وقال الكلبي: «يعني: الثياب التي تستر العورة من العُري، وذلك لما ذكر من عُري آدم وحواء منَّ علينا باللباس»[٧].

---

(١) ذكر نحوه مكي في المشكل ١/ ٢٨٦، والماوردي ٢/ ٢١٣، وابن عطية ٥/ ٤٧٠، وقال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- في الفتاوى ١٢/ ٢٥٤-٢٥٧: «قد تبين أنه ليس في القرآن ولا في السنة لفظ نزول إلا وفيه معنى النزول المعروف، وهذا هو اللائق بالقرآن، فإنه نزل بلغة العرب، ولا تعرف العرب نزولاً إلا بهذا المعنى، ولو أريد غير هذا المعنى لكان خطاباً بغير لغتها، ومما يبين هذا أنه لم يستعمل في ما خلق من السفليات، وإنما استعمل في ما يخلق في محل عال، وأنزله الله من ذلك المحل كالحديد والأنعام، وقد قيل فيه: خلقناه، وقيل: أنزلنا أسبابه، وقيل: ألهمناهم كيفية صنعته، وهذه الأقوال ضعيفة، واللباس والرياش ينزل من ظهور الأنعام، وكسوة الأنعام منزلة من الأصلاب والبطون، فهو منزل من الجهتين، فإنه على ظهور الأنعام لا ينتفع به حتى ينزل» اهـ. ملخصاً.

(٢) في (ب): (لما كان لسبب مما ينزل).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٦٨، ١٦٩.

(٤) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).

(٥) ذكره أكثر أهل التفسير من دون نسبة. انظر: تفسير الثعلبي ١٨٩ أ، والماوردي ٢/ ٢١٣، والبغوي ٣/ ٢٢١، وابن عطية ٥/ ٤٧٠، وسيأتي مزيد بيان له في سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١].

(٦) تفسير مجاهد ١/ ٢٢٣، وأخرجه الطبري ٨/ ١٤٦، ١٤٧، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٥٦ من طرق جيدة عدة، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ١٤٠.

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٦٨، وابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ١٨١ من دون نسبة.

وقوله تعالى : ﴿وَرِيشًا﴾ ، وقرئ : (ورياشا)[١] . قال ابن السكيت : «قالت بنو كلاب[٢] : الرياش هو الأثاث من المتاع ، ما كان من لباس أو حشو من فراش أو وثار[٣] ، والريش من الأموال ، وقد يكون في الثياب[٤] دون المال ، وإنه لحسن الريش ؛ أي الثياب» .

وروى ثعلب عن ابن الأعرابي قال : «كل شيء يعيش [به][٥] الإنسان من متاع أو مال ومأكول فهو ريش ورياش»[٦] .

قال ابن الأنباري : «يقال : هما المال ، ويقال : هما المعاش»[٧] .

---

(١) قرأ الجمهور السبعة ﴿وَرِيشًا﴾ بإسكان الياء من غير ألف ، وقرأ جماعة منهم : عثمان وعلي وابن عباس والحسن ، وعاصم وأبو عمرو في رواية عنهما : (ورياشا) بفتح الياء وألف بعدها ، وهو إما جمع ريش ، أو مصدر راش ريشاً ورياشاً .
انظر : تفسير الطبري ٨/ ١٤٧ ، وإعراب النحاس ١/ ٦٠٦ ، ومعاني القراءات ١/ ٤٠٢ ، وإعراب القراءات١/ ١٧٨ ، ومختصر الشواذ ٤٨ ، والتذكرة ٢/ ٤١٧ ، وتفسير ابن عطية ٥/ ٤٧١ ، والبحر المحيط ٤/ ٢٨٢ ، والدر المصون ٥/ ٢٨٧ .

(٢) بنو كلاب : بطن من عامر بن صعصعة ، كانت ديارهم في جهات المدينة ثم انتقلوا إلى الشام . انظر : نهاية الأرب للقلقشندي ٣٦٥ .

(٣) الوِثَار بالفتح والكسر : الفراش الوطيء . انظر : اللسان (وثر) ٨/ ٤٧٦٣ ، وجاء في (أ) : (أو دثار) ، والدَثار بفتح الدال المشددة : ما يتدثر به ، والثوب الذي يستدفأ به فوق الشِّعار . انظر : اللسان (دثر) ٣/ ١٣٢٦ ، والنص في تهذيب اللغة ٢/ ١١٤٧ . وانظر : إصلاح المنطق ٣٠ ، وذكر مثله ابن جني في المحتسب ١/ ٢٤٦ عن أبي الحسن الأخفش .

(٤) في (ب) : (النبات) ، وهو تصحيف .

(٥) لفظ : (به) ساقط من (ب) .

(٦) ذكره الرازي في تفسيره ١٤/ ٥١ ، وفي مجالس ثعلب ١/ ٣٥ ، قال : «الريش والرياش : اللباس الحسن» اهـ . وفي تهذيب اللغة ٢/ ١٣١٨ ، عن ثعلب عن ابن الأعرابي قال : «راش فلان صديقه يريشه ريشاً : إذا جمع الرَّيش ، وهو المال والأثاث» اهـ .

(٧) انظر : الزاهر ١/ ٢٥٠ ، ٢٥١ ، وفيه قال : «الرياش في قول جماعة من المفسرين المال ، وكذلك الريش ، والرياش : المعاش ، ويقال : الرياش ما ستر الإنسان وواراه ، وقد تريش الرجل معناه : قد صار إلى معاش ومال» اهـ . ملخصاً .

وقال أبو عبيدة : «الريش[1] ما ظهر من اللباس والشـارة[2] ، قال : ويقال : أعطاه رجلاً بريشه ، يراد : بكسوته [و][3] جهازه» .

وقال رؤبة :

إِلَيكَ أَشْكُـو شِـدَّةَ المَـعِيشِ وَجَـهدَ أَعْـوَامٍ نَتَفْـنَ رِيشي[4]

أي ذهبن بخصبي وجدتي .

وقال الفرَّاء : «يجوز أن يكون الرياش جمع الريش ، ويجوز أن[5] يكون بمعنى الريش ، كما قرأ : لِبْس ولباس»[6] .

وقال الزَّجَّاج : «الرياش : اللباس ، والريش : كل ما ستر الرجل في معيشته ، يقال : تريَّش فلان ؛ أي صار له ما يعيش به»[7] .

---

(١) في مجاز القرآن ١/ ٢١٣ : «الرياش والريش واحد وهو ....» ، وأيضاً قال : «والرياش أيضاً الخصب والمعاش» اهـ .
ومثله ذكر السجستاني في نزهة القلوب ٢٥١ .

(٢) الشارة : الـحُسن والهيئة واللباس ، وما يلبس من عمامة ونحوهما . انظر : اللسان (شور) ٤/ ٢٣٥٧ .

(٣) لفظ : (الواو) ساقط من (أ) .

(٤) ديوانه ٧٨ ، وقد تقدم تخريجه .

(٥) في معاني الفرَّاء ١/ ٣٧٥ ، قال : «وإن شئت جعلت الرياش مصدراً في معنى الريش» اهـ .

(٦) ذكر نحوه الطبري في تفسيره ٨/ ١٤٧ ، وابن خالويه في إعراب القراءات ١/ ١٧٨ ، وابن جني في المحتسب ١/ ٢٤٦ ، والريش اسم لهذا الشيء المعروف ، أو مصدر راشه يريشه ريشاً ، إذا جعل فيه الرِّيش . قال السمين في الدر ٥/ ٢٨٧ : «ينبغي أن يكون الريش مشتركاً بين المصدر والعين ، وهذا هو التحقيق» اهـ .

(٧) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٢٨ .

وأنشد[١] :

فَرِيشي[٢] مِنْكُمُ وَهَوايَ مَعْكُـمْ وإنْ كَانَـتْ زِيَارَتُكُـمْ لِمَـامَا

وقال عبدالله بن مسلم : «الريش والرياش : ما ظهر من اللباس ، وريش الطائر ما ستره الله به»[٣] هذا قول أهل اللغة[٤] .

(١) الشاهد لجرير في ديوانه ٤١٠ ، وللراعي النميري أيضاً في ديوانه ٢٤٣ ، والكتاب ٣/ ١٨٧ ، وبلا نسبة في : الزاهر ١/ ٢٥٠ ، ومعاني النحاس ٣/ ٢٣ ، والماوردي ٢/ ٢١٤ ، وأمالي ابن الشجري ١/ ٣٧٥ ، وابن الجوزي ٣/ ١٨٢ ، والقرطبي ٧/ ١٨٤ ، ورصف المباني ٣٩٤ ، واللسان (معع) ٧/ ٤٢٣٤ ، والدر المصون ٥/ ٢٨٧ ، واللِّمام : الشيء اليسير ، انظر : لسان العرب (لمم) ٧/ ٤٠٧٩ .

(٢) في (ب) : (وريشي) بالواو ، وهي كذلك في ديوان جرير ، والراعي وبعض المراجع ، وفي هامش نسخة (أ) : (وهواي فيكم بدل معكم) ، وهو كذلك في ديوان جرير .

(٣) تفسير غريب القرآن ١٧٦ ، ونحوه ذكر اليزيدي في غريب القرآن ١٤٥ ، ومكي في تفسير المشكل ٨٤ .

(٤) انظر : العين ٢/ ٢٨٣ ، والجمهرة ٢/ ٧٣٦ ، والصحاح ٣/ ١٠٠٨ ، ومقاييس اللغة ٢/ ٤٦٦ ، والمجمل ٢/ ٤٠٩ ، والمفردات ٣٧٢ ، واللسان (ريش) ٣/ ١٧٩٢ . وقال النحاس في معانيه ٣/ ٢٣ : «الريش عند أكثر أهل اللغة ما ستر من لباس أو معيشة» اهـ . وقال ابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ١٨٢ : «على قول الأكثرين الريش والرياش بمعنى» اهـ . وقال شيخ الإسلام في الفتاوى ١٢/ ٢٥٥ : «الصحيح أن الريش هو الأثاث والمتاع» اهـ .

فأما المفسرون ، فقال ابن عباس[١] ومجاهد[٢] والضحاك[٣] والسدي[٤] : «﴿وَرِيشًا﴾ يعني : مالاً» .

وقال الكلبي : «المعيشة والمال»[٥] .

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٤٨ بسند جيد ، وهو في تنوير المقباس ٢/ ٨٦ ، ومسائل نافع بن الأزرق ٨٧ ، وذكر البخاري في صحيحه ٥/ ١٩٥ ، عن ابن عباس قال : «(ورياشاً) : المال» ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥/ ١٤٥٧ بسند جيد . وأخرج الطبري في تفسيره ٨/ ١٤٨ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٥٧ بسند ضعيف عن ابن عباس قال : «الرياش : اللباس والعيش والنعيم» اهـ .
انظر : الدر المنثور ٣/ ١٤١ ، ولعله يقصد باللباس هنا لباس الزينة والجمال ؛ لأن اللباس الضروري لستر العورة ذكر في الآية قبل ذلك ، وهذا لا يختلف مع تفسير الريش بالمال ؛ لأنه هو وسيلة الحصول على لباس الزينة والعيش النعيم .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٤٨ بسند جيد ، وذكره النحاس في معانيه ٣/ ٢٣ ، وفي تفسير مجاهد ١/ ٢٣٣ : «الرياش : المال» اهـ .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٤٨ بسند ضعيف ، بلفظ : (رياشاً) ، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٥/ ١٤٥٧ عن مجاهد والضحاك .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٤٨ بسند جيد بلفظ : (رياشاً) ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١٨٩ أ ، والبغوي ٣/ ٢٢٢ ، عن ابن عباس ومجاهد والضحاك والسدي ، وأخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٤٨ بسند ضعيف عن عروة بن الزبير ، وقال سفيان الثوري في تفسيره ١١٢ : «الريش : المال ، والرياش : الثياب» اهـ . وذكر هود الهواري في تفسيره ٢/ ١٢ عن الحسن أنه قال : «الريش : المال والمتاع» اهـ .

(٥) تنوير المقباس ٢/ ٨٦ .

وقال ابن زيد : «الريش : الجمال»(١) ، وهو قول زيد(٢) بن علي ، قال : «اللباس هذا الذي يلبسون ﴿يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ﴾ ، والريش والرياش : الذي يتجملون به من الثياب»(٣) .

وقوله تعالى : ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾ قُرئ(٤) بالنصب والرفع ، فمن نصب فعلى أنه حمل على أنزل من قوله : ﴿قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ﴾ . وقوله : ﴿ذَٰلِكَ﴾ على هذا مبتدأ ، وخبره ﴿خَيۡرٌ﴾ ، ومن رفع قطع اللباس من الأول ، واستأنف به فجعله مبتدأ ، وقوله : ﴿ذَٰلِكَ﴾ على هذا صفة(٥) ، أو بدل أو عطف بيان ، ومن قال : إن (ذلك(٦)) لغو لم يكن على قوله دلالة ؛ لأنه يجوز أن يكون على أحد ما ذكرنا ،

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٤٨ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٥٧ بسند جيد ، ولفظ ابن أبي حاتم «الرياش» .

(٢) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي ، أبو الحسين المدني ، إمام زاهد فقيه ، فصيح ، ثقة ، وهو الذي ينسب إليه الزيدية ، خرج في خلافة هشام بن عبدالملك فقتل في الكوفة سنة ١٢٢هـ ، وكان مولده سنة ثمانين من الهجرة .
انظر : وفيات الأعيان ٥/ ١٢٢ ، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٣٨٩ ، وتهذيب التهذيب ١/ ٦٦٨ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٦/ ١٧ ، والأعلام ٣/ ٥٩ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٤٥٦ بسند ضعيف . وذكره السيوطي في الدر ٣/ ١٤١ ، وفي تفسير غريب القرآن لزيد بن علي ١٣٩ ، قال : «الريش والرياش : ما ظهر من اللباس ، والرياش أيضاً : المعاش والخِصْب» اهـ .

(٤) قرأ نافع وابن عامر والكسائي (وَلِبَاسَ التَّقْوَى) بنصب ﴿وَلِبَاسُ﴾ ، وقرأ الباقون بالرفع . انظر : السبعة ٢٨٠ ، والمبسوط ١٨٠ ، والتذكرة ٢/ ٤١٧ ، والتيسير ١٠٩ ، والنشر ٢/ ٢٦٨ .

(٥) وأكثرهم على أنه صفة ، وهو قول الفرَّاء في معانيه ١/ ٣٧٥ ، والطبري في تفسيره ٨/ ١٥٠ ، والأزهري في معاني القراءات ١/ ٤٠٣ ، وابن خالويه في إعراب القراءات ١/ ١٧٨ ، والحجة ١٥٤ .
وقال النحاس في إعراب القرآن ١/ ٦٠٦ : «أولى ما قيل في النصب أنه معطوف ، و﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ ، وأولى ما قيل في الرفع أن ترفعه بالابتداء و﴿ذَٰلِكَ﴾ نعته» اهـ .

(٦) نقل قول الواحدي السمين في الدر ٥/ ٢٨٨ ، وقال : «قوله : (لغو) هو قريب من القول بالفصل ؛ لأن الفصل لا محل له من الإعراب على قول الجمهور» اهـ . والذي قال : هو فصل الحوفي ، كما ذكره أبو حيان في البحر ٤/ ٢٨٣ ، والرماني ، كما ذكره الهمداني في الفريد ٢/ ٢٨٦ .
وقال ابن هشام في الإعراب عن قواعد الإعراب ١٠٨ ، ١٠٩ : «وكثير من المتقدمين يسمون الزائد صلة ، وبعضهم يسميه مؤكداً ، وبعضهم يسميه لَغْواً ، ولكن اجتناب هذه العبارة في التنزيل واجب» اهـ .

و﴿خَيْرٌ﴾ خبر اللباس[١] ، ومعنى قولنا : صفة أن ﴿ذَٰلِكَ﴾ أشير به إلى اللباس كأنه قيل : ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ المشـار إليه ﴿خَيْرٌ﴾ ، [وقولنا : يجوز أن يكون بدلاً أو عطف بيان ؛ لأن المعنى : ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ خـير][٢] وكذلك[٣] هو في قراءة عبـدالله[٤] ، ثم جعـل ﴿ذَٰلِكَ﴾ مترجماً عنـه وبياناً له ، وهذا كلـه معنى قول الزَّجَّاج[٥] وأبي علي[٦] وابن الأنباري[٧] .

وأما معنى ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ ، فقال ابن عبـاس في رواية عطاء : «يريد : إن ستر عوراتكم بعضكم من بعض من التقوى فلا تطوفوا عراة»[٨] ، وهو قول ابن زيد[٩] واختيار الزَّجَّاج .

---

(١) هذا نص كلام أبي علي في الحجة ٤/ ١٢ ، ١٣ ، واختيار أبي حيان في البحر ٤/ ٢٨٣ ، والسمين في الدر ٥/ ٢٨٨ ، أن يكون ﴿لِبَاسُ﴾ مبتدأ ، و﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ ثان ، و﴿خَيْرٌ﴾ خبر الثاني ، والجملة خبر الأول ، والرابط هنا اسم الإشارة . قال السمين «وهذا الوجه هو أوجه الأعاريب في هذه الآية الكريمة» اهـ . وانظر : وضح البرهان للغزنوي ١/ ٣٥٧ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) . وانظر : تفسير ابن عطية ٥/ ٤٧٢ .

(٣) في (أ) : «ولذلك» .

(٤) قرأ عبدالله بن مسعود وأبي رضي الله عنهما : (ولباس التقوى خير) . ذكره الفرَّاء في معانيه ١/ ٣٧٥ ، وابن خالويه في إعراب القراءات ١/ ١٧٨ ، ومختصر الشواذ ٤٨ ، وذكرها النحاس في معانيه ٣/ ٢٤ عن الأعمش .

(٥) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٢٨ ، وفيه : ﴿ذَٰلِكَ﴾ صفة .

(٦) الحجة ٤/ ١٢ ، ١٣ ، وانظر : الحجة لابن زنجلة ٢٨٠ .

(٧) ذكره السمين في الدر ٥/ ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ونحوه ذكر مكي في الكشف ١/ ٤٦١ ، وانظر : الإيضاح لابن الأنباري ٢/ ٦٥٢ .

(٨) لم أقف عليه .

(٩) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٥٠ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٥٨ بسند جيد .

[قال ابن زيد : «هو ستر العورة ؛ يتقي الله فيواري عورته» ، وقال الزَّجَّاج : «أي][(١)] وستر العورة (لباس المتقين) على أن يكون (لباس التقوى) مرفوعاً بإضمار (هو) ، المعنى : وهو ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ ؛ أي اللباس الذي أنزل الله تعالى ليواري سوءاتكم هو ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾»[(٢)] ، وهذا وجه آخر[(٣)] في رفع اللباس سوى ما ذكرنا ، قال أبو بكر : «وعلى هذا ،﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ هو اللباس الأول ، وإنما أعاده الله لما أخبر عنه بأنه خير من التعري ، إذ كان جماعة من أهل الجاهلية يتعبدون بالتعري وخلع الثياب في الطواف بالبيت ، فجرى هذا في التنكير مجرى قول القائل : (قد عرَّفتُك الصدقَ وأبوابَ[(٤)] البر ، والصدقُ خير لك من غيره) ، فيعيد الصدق لإخباره عنه بالخبر المحدد»[(٥)] .

وقال قتادة[(٦)] والسدي[(٧)] وابن جريج[(٨)] : [«﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ : الإيمان» .

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٢) معاني القرآن ٢/ ٣٢٩ .

(٣) وعليه يكون (لِبَاسٌ) خبر مبتدأ محذوف ؛ أي هو ، وقوله : ﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ جملة أخرى من مبتدأ وخبر ، وقدره النحاس في إعراب القرآن ١/ ٦٠٦ ، ومكي في المشكل ١/ ٢٨٦ ، وستر العورة لباس المتقين ، وانظر : البيان ١/ ٣٥٨ ، والتبيان ١/ ٣٧١ ، والفريد ٢/ ٢٨٦ ، والدر المصون ٥/ ٢٨٨ .

(٤) في (ب) : «واثواب» .

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٦٩ ، والبغوي ٣/ ٢٢٢ ، وابن الجوزي ٣/ ١٨٣ ، وقال القرطبي ٧/ ١٨٥ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ٢٨٣ : «قال ابن زيد هو ستر العورة ، وهذا فيه تكرار ؛ لأنه قد قال : ﴿ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ ﴾» اهـ .

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٤٩ بسند جيد ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ١٤١ .

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٤٩ بسند جيد .

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٤٩ بسند جيد ، وذكره الثعلبي في الكشف ١٨٩أ ، والماوردي في تفسيره ٢/ ٢١٤ ، والبغوي ٣/ ٢٢٢ ، عن قتادة والسدي ، وذكره ابن الجوزي ٣/ ١٨٣ عن قتادة والسدي وابن جريج .

وقال ابن عباس في رواية عطية][1] : «﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ : العمل الصالح»[2] ، وهو قول سعيد بن جبير[3] ، وروى الذيال[4] بن عمرو عنه[5] قال : «هو السمت الحسن» .

وقال الكلبي : «﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ : العفاف والتوحيد ؛ لأن المؤمن لا تبدو له عورة ، وإن كان عارياً من الثياب ، والفاجر لا يزال تبدو[6] له عورة وإن كان كاسياً»[7] .

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٤٩ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٥٧ بسند ضعيف .

(٣) لم أقف عليه ، وفي الوسيط للمؤلف ١/ ١٧٠ عن سعيد بن جبير قال : «السمت الحسن» ، وجاء في أصل نسخة (أ) : سعيد بن جريج ، ثم ضرب عليه وصحح إلى ابن جبير .

(٤) الذيال بن عمرو ، تابعي ، روى عنه محمد بن موسى ، وعبدالله بن داود الواسطي ، وذكر ابن الأثير في الكامل ٤/ ٣٣٩ في حوادث سنة ٧١هـ الذيال الكلبي ، ولم أجد له سوى ما ذكرت . انظر : تهذيب الكمال ٤/ ٤٦٨ ، وتعليق الشيخ أحمد شاكر الملحق في تفسير الطبري ١٢/ ٥٨٩/ ٧ .

(٥) أي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ كما هو ظاهر رواية الطبري في تفسيره ٨/ ١٤٩ ، وذكره الثعلبي في الكشف ١٨٩ ، وابن الجوزي في تفسيره ٣/ ١٨٣ ، وابن كثير ٢/ ٢٣٢ .

(٦) في (أ) : (يبدوا) .

(٧) في تنوير المقباس ٢/ ٨٦ ، قال : «التوحيد والعفة» ، وذكر الواحدي في الوسيط ١/ ١٧٠ ، والبغوي في تفسيره ٣/ ٢٢٢ ، وابن الجوزي ٣/ ١٨٣ عنه ، قال : «العفاف» .

وقال معبد[١] : «هو الحياء»[٢] ، وينشد على هذا[٣] :

إِنِّي كـأَنِّي أَرَى مَنْ لَا حَيَـاءَ لَـهُ ... وَلَا أَمَانَـةَ بين النَّـاسِ[٤] عُرْيانا

قـال أبو علي : «معنى الآية وتأويله : لباس التقوى خير لصاحبه إذا أخذ به ، وأقرب له إلى الله مما خلق له من اللباس والرياش الذي يتجمل به ، قال : وأضيف اللبـاس إلى ﴿ٱلتَّقْوَىٰ﴾ ، كـما أضيـف إلى الجوع في قولـه : ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ﴾» [النحـل : ١١٢][٥] ، والمعنى : ما ظهر عليهم من السـكينة والإخبات[٦] والعمل الصالح ، فاسـتعير لذلك اسـم اللباس ، وهذا معنى قول ابن عباس : «﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ ؛ أي أزكى عند الله»[٧] .

---

(١) معبدالجهني ، يقال : هو معبد بن خالد ، أو معبد بن عبدالله ، نزيل البصرة ، تابعي ، صدوق مبتدع ، وهو أول من أظهر القدر بالبصرة ، وقد نهى جماعة من التابعين عن مجالسته ، وقالوا عنه : هو ضال مضل ، قتل سنة ٨٠هـ ، انظر : سير أعلام النبلاء ٤/ ١٨٥ ، والبداية والنهاية ٩/ ٣٤ ، وتهذيب التهذيب ٤/ ١١٥ .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٤٩ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٥٨ من طرق جيدة عدة ، وذكره ابن الأنباري في الزاهر ١/ ٢٥٠ ، والسيوطي في الدر ٣/ ١٤٢ .

(٣) الشاهد لسَوَّار بن مُضَرَّب في النوادر لأبي زيد ٤٥ ، والحماسة لأبي تمام ٢/ ١٣٨ ، وبلا نسبة في غريب القرآن ١٧٧ ، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٣٦ ، والثعلبي ١٨٩/ أ ، وابن الجوزي ٣/ ١٨٣ .

(٤) في المصادر السابقة : (وسط الناس) بدل (بين الناس) .

(٥) الحجة لأبي علي ٤/ ١٣ .

(٦) هذا نص كلام ابن قتيبة في تأويل المشكل ١٦٥ ، والأحسن في معنى الآية العموم ، فكل ما يحصل به الاتقاء المشروع فهو من لباس التقوى ، وهو يصدق على كل ما فيه تقوى الله ، فيندرج تحته جميع ما ذكر من الأقوال ، فهي كلها مثل ومن لباس التقوى ، وهذا اختيار الطبري في تفسيره ٨/ ١٥١ ، وابن عطية ٧/ ٣٩ ، ٤٠ ، والقرطبي ٧/ ١٨٥ ، وأبو حيان ٤/ ٢٨٣ .

(٧) لم أقف عليه .

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾، قال الكلبي: «يعني: اللباس والرياش ﴿مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾»[١]. قال ابن عباس: «يريد: من فرائض الله»[٢]، يعني: إن ستر العورة مما أوجبه الله بآياته[٣].

وقال غيره: «أي إنزاله اللباس وخلقه إياه مما يدل على توحيده»[٤].

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾، قال ابن عباس: «يريد: كي[٥] يتعظوا»[٦].

٢٧. قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾، قال ابن عباس: «يريد: لا يخدعنكم»، وعنه أيضاً: «لا يضلنكم»[٧].

وقوله تعالى: ﴿كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم﴾، المعنى: كما فتن أبويكم، لكنه ذكر معنى فتنة الأبوين، وهو إخراجهما من الجنة دون لفظ الفتنة.

وقوله تعالى: ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾، أضاف نزع اللباس إلى الشيطان وإن لم يتول ذلك؛ لأنه كان بسبب منه فأسند إليه، كما تقول: أنت فعلت هذا، لمن حصل منه ذلك الفعل بسبب وإن لم يباشره، كذلك لما كان نزع لباسهما بوسوسة الشيطان وغروره أُسند إليه[٨].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) لم أقف عليه، وفي تنوير المقباس ٢/ ٨٧: «﴿مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ من عجائب الله» اهـ.

(٣) انظر: تفسير القرطبي ٧/ ١٨٢.

(٤) ذكر نحوه مقاتل في تفسيره ٢/ ٣٣، وانظر: تفسير الطبري ٨/ ١٥١، والسمرقندي ١/ ٥٣٦.

(٥) في (ب): (كي يتعطفوا)، وهو تحريف.

(٦) تنوير المقباس ٢/ ٨٧.

(٧) ذكرهما الواحدي في الوسيط ١/ ١٧٠.

(٨) انظر: تفسير ابن عطية ٥/ ٤٧٦، وابن الجوزي ٣/ ١٨٤.

وقوله تعالى : ﴿ لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ﴾ ، قال ابن عباس : «يرى آدم سوءة حواء ، وترى حواء سوءة آدم»[(١)] واللام في ﴿ لِيُرِيَهُمَا ﴾ لام المصير[(٢)] كما ذكرنا في قوله : ﴿ لِيُبْدِىَ لَهُمَا ﴾ [الأعراف : ٢٠] .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ ﴾ ، يعني : إبليس ﴿ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ ﴾ ، أعاد الكناية ليحسن العطف[(٣)] كقوله : ﴿ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ﴾ [البقرة : ٣٥] ، وقد مضت هذه المسألة[(٤)] في مواضع . وأما القبيل ، فقال أبو عبيد عن أبي زيد : «القَبِيل[(٥)] الجماعة يكونون من الثلاثة فصاعداً من قوم شتى ، وجمعه : قُبُل ، والقبيلة : بنو أب واحد»[(٦)] .

---

(١) ذكره الرازي في تفسيره ١٤/ ٥٣ ، وفي تنوير المقباس ٢/ ٨٧ نحوه .

(٢) انظر : إعراب النحاس ١/ ٦٠٧ .

(٣) ذكر قول الواحدي السمين في الدر ٥/ ٢٩٢ ، وقال : «لا حاجة إلى التأكيد في مثل هذه الصورة لصحة العطف ، إذ الفاصل هنا موجود ، وهو كافٍ في صحة العطف ، فليس نظير ﴿ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ﴾» اهـ .

(٤) انظر : البسيط ، [البقرة :٣٥] .

(٥) تهذيب اللغة ٣/ ٢٨٧٦ ، وانظر : الجمهرة ١/ ٣٧٢ ، والمنجد لكراع ٣٠٣ ، والصحاح ٥/ ١٧٩٧ ، والمجمل (قبل) ٢/ ٧٤١ .

(٦) قال ابن فارس في مقاييس اللغة ٥/ ٥٣ ، وابن منظور في اللسان (قبل) ٦/ ٣٥١٩ : «وربما كان القبيل من أب واحد كالقبيلة» اهـ . وقال الراغب في المفردات ٦٥٤ : «القبيل جمع قبيلة ، وهي الجماعة المجتمعة التي يقبل بعضها على بعض» اهـ .

وقـال ابن قتيبة : «﴿وَقَبِيلُهُۥ﴾ : أصحابه وجنـده»[(١)] ، وقال الليث : «﴿هُوَ وَقَبِيلُهُۥ﴾ ؛ أي هو ومن كان من نسله»[(٢)] ، [وكذا قال المفسرون ، قال ابن عباس : «هو وولده»[(٣)] ، وقال ابن زيد[(٤)] : «نسله»][(٥)] .

وقال قطرب : «جموعه»[(٦)] ، وقال المبرِّد : «أشياعه»[(٧)] .

وقولـه تعالى : ﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ ، قال أبو إسـحاق : «ما بعد ﴿حَيْثُ﴾ صلة لها ، وليست بمضاف إليه»[(٨)] .

قال أبو علي : «هذا غير مسـتقيم ، ولا يجوز أن يكون ما بعد ﴿حَيْثُ﴾ صلة لها ؛ لأنه إذا كان صلة له وجب أن يكون للموصول فيه ذكر كما أن في سائر صلات الموصولة[(٩)] ذكراً من الموصول ، فخلو هذه الجملة المتصلة (بحيث) من ذكر يعود منها إلى (حيث) دلالة على أنها ليست بصلة ، وإذا لم تكن صلة كانت إضافة .

---

(١) تفسير غريب القرآن ١٧٧ ، ونحوه قال مقاتل في تفسيره ٢/ ٣٣ ، والنحاس في معانيه ٣/ ٢٤ ، وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ١/ ٢١٣ ، والبخاري في صحيحه ٥/ ١٩٥ : «﴿وَقَبِيلُهُۥ﴾ : جيله الذي هو منه» اهـ . ونحوه ذكر السجستاني في نزهة القلوب ٣٦٦ .

(٢) تهذيب اللغة ٣/ ٢٨٧٦ ، وانظر : العين ٥/ ١٦٧ .

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٧٠ ، والبغوي في تفسيره ٣/ ٢٢٣ ، والخازن ٢/ ٢٢١ .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٥٣ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٦٠ بسند جيد .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٦) لم أقف عليه .

(٧) لم أقف عليه ، وقال اليزيدي في غريب القرآن ١٤٥ : «﴿وَقَبِيلُهُۥ﴾ : شيعته وأمته» اهـ . وقال الماوردي في تفسيره ٢/ ٢١٥ : «﴿وَقَبِيلُهُۥ﴾ : قومه ، وهو قول الجمهور» اهـ . والمعاني متقاربة ، والأظهر : ولده ونسله وجنده .
انظر : تفسير الطبري ٨/ ١٥٣ ، والسمرقندي ١/ ٥٣٦ ، والبغوي ٣/ ٢٢٣ ، وابن عطية ٥/ ٤٤١ .

(٨) معاني القرآن ٢/ ٣٢٩ ، وانظر : إعراب النحاس ١/ ٦٠٧ ، ٦٠٨ .

(٩) في الإغفال ٧٦٥ : «الموصولات» .

فإن قيل : نقــدر العائد في هذا كما نقدر في غيره مــن الصلات ، كما تقول : الذي ضربت زيد تريد ضربته ، كذلــك تقدر العائد في قولك : رأيتك حيث قام زيد . كأنك قلت : حيث زيد قائمه ؛ أي قائم فيه ، وحيث قام عمرو[١] ؛ أي قامه عمرو ؛ أي قام فيه ، ثم اتســع فحذف الحرف فوصل الفعل ، ثم حذف الراجع على هذا الحد ، قيل : لو كان هكذا [لكان][٢] مســتعملاً في كلامهم ، ألا ترى أن جميع الموصولات إذا وقع في صلاتها حذف واتساع ، فإن ذلك الأصل الذي عنه وقع الحذف والاتســاع مطرد في كلامهم [مستعمل][٣] ، فلو كان الأصل في هذا أيضاً ما ذكرته لوجب أن يســتعمل الأصل ، فتركهــم لذلك يدلك على أنه ليس بموصول ، على أنا لم نعلم أحداً قال في (حيث) الذي قاله»[٤] .

---

(١) في الإغفال ٧٦٧ : «حيث زيد قائم ، وحيث قام عمرو ، كأنه قال : حيث زيد قائمه ؛ أي قام فيه ، وحيث قامه عمرو ؛ أي قام فيه . . . .» اهـ .

(٢) لفظ : (لكان) ساقط من (أ) .

(٣) لفظ : (مستعمل) ساقط من (أ) .

(٤) هذا بعض ما ذكره أبو علي في الإغفال ٧٦٤ـ٧٦٨ ، وانظر : غرائب الكرماني ١/ ٤٠١ ، وقال السمين في الدر ٥/ ٢٩٤ : «أبو إسحاق لم يعتقد كونها موصولة بمعنى (الذي) ، لا يقول بذلك أحد ، وإنما يزعم أنها ليست مضافة للجملة بعدها فصارت كالصلة لها ؛ أي الزيادة ، وهو كلام متهافت ، فالرد عليه من هذه الحيثية لا من حيثية اعتقاده لكونها موصولة ، ويحتمل أن يكون مراده أن الجملة لما كانت من تمام معناها ، بمعنى أنها مفتقرة إليها كافتقار الموصول لصلته أطلق عليها هذه العبارة ، ويدل على ما قلته أن مكياً ذكر في علة بنائها ، فقال : «ولأن ما بعدها من تمامها كالصلة والموصول» إلا أنه يرى أنها مضافة لما بعدها» اهـ . وانظر : المشكل ١/ ٢٨٧ ، والبيان ١/ ٣٥٨ـ٣٨٩ .

فأما التفسير ، فقال ابن عباس في قوله : ﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ : «وذلك أن الله تعالى جعلهم يجرون من بني آدم مجرى الدم ، وصدور بني آدم مساكن لهم إلّا من عصم الله ، كما قال : ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس : ٥] فهم يرون بني آدم ، وبنو آدم لا يرونهم»[1] .

وقال مجاهد : «قال إبليس : جُعل لنا أربع : نَرى ، ولا نُرى ، ونخرج من تحت الثرى ، ويعود شيخنا فتى»[2] .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ، قال أبو إسحاق : «معنى هذا على ضربين : أحدهما : أن يكون الكفار عوقبوا بأن سلطت عليهم الشياطين تزيدهم في غيهم[3] ، كما قال : ﴿أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [مريم : ٨٣] .

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٧١ ، وابن الجوزي في تفسيره ٣/ ١٨٤ ، وقال الخازن ٢/ ٢٢١ ، وصديق خان ٤/ ٣٢٦ : «حكى الواحدي وابن الجوزي عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال ذلك» . وقد أخرج مسلم في صحيحه ، كتاب السلام ، باب : بيان أنه يستحب لمن رئي خالياً بامرأة . . . إلخ ، حديث رقم : ٢١٧٥ ، عن صفية بنت حُيَيٍّ أنَّ النبي ﷺ قال : «إنَّ الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم» اهـ . وقال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- في الفتاوى ١٥/ ٧ : «الذي في القرآن أنهم يرون الإنس من حيث لا يراهم الإنس ، وهذا حق يقتضي أنهم يرون الإنس في حال لا يراهم الإنس فيها ، وليس فيه أنهم لا يراهم أحد من الإنس بحال ، بل قد يراهم الصالحون وغير الصالحين أيضاً ، لكن لا يرونهم في كل حال» اهـ . وانظر : تفسير ابن عطية ٥/ ٤٧٧ ، والقرطبي ٧/ ١٧٦ ، والبحر المحيط ٤/ ٢٨٤ .

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف ١٨٩ أ ، والرازي في تفسيره ١٤/ ٥٤ ، والخازن ٢/ ٢٢١ ، والسيوطي في الدر ٣/ ١٤٢ ، وصديق خان في تفسيره ٤/ ٣٢٦ .

(٣) في معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٢٩ : «تزيدهم في غيهم عقوبة على كفرهم . . . .» .

والثاني : ﴿ جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ؛ أي سوينا بين الشياطين وبين الكافرين في الذهاب عن الله عز وجل»[١] .

٢٨. قوله : ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً ﴾ ، قال ابن عباس : «يريد : الشرك»[٢] .

وقال مجاهد : «يعني : طوافهم بالبيت عُرياً الرجال والنساء»[٣] .

وقال الزَّجَّاج : «الفاحشة : ما يشتد قبحه من الذنوب»[٤] .

٢٩. قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ ﴾ ، قال ابن عباس : «بلا إله إلا الله»[٥] ، ونحوه قال الضحاك : «بالتوحيد»[٦] .

---

(١) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٢٩ ، ٣٣٠ . وانظر : تفسير الطبري ٨/ ١٥٣ ، والسمرقندي ١/ ٥٣٦ ، والبغوي ٣/ ٢٢٣ ، وابن عطية ٥/ ٤٧٧ .
قال الطبري «يقول : جعلنا الشياطين نُصراء الكفار الذين لا يوحدون الله ولا يصدقون رسله» اهـ .

(٢) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وأكثر المفسرين ذكروه عن عطاء والحسن . ومنهم الماوردي ٥/ ٢١٦ ، والواحدي في الوسيط ١/ ١٧١ ، والبغوي ٣/ ٢٢٣ ، وابن الجوزي ٣/ ١٨٥ .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٥٤ من طرق جيدة عدة عن مجاهد وسعيد بن جبير والشعبي والسدي ، وأخرجه عن ابن زيد ومحمد بن كعب القرظي ، وهذا هو قول أكثر المفسرين . انظر : تفسير السمرقندي ١/ ٥٣٧ ، والماوردي ٢/ ٢١٦ ، والقرطبي ٧/ ١٨٧ .

(٤) معاني القرآن ٢/ ٣٣٠ ، وهذا هو الظاهر فيدخل في العموم الشرك ، وكشف العورة في الطواف ، ويحمل ما ذكر على التمثيل . انظر : تفسير الطبري ٨/ ١٥٤ ، والبغوي ٣/ ٢٢٣ ، وابن عطية ٥/ ٤٧٧ .

(٥) تنوير المقباس ٢/ ٨٨ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١٨٩ أ ، والواحدي في الوسيط ١/ ١٧٢ ، والبغوي ٣/ ٢٢٣ ، والرازي ١٤/ ٥٧ ، والقرطبي ٧/ ١٨٨ ، والخازن ٢/ ٢٢٢ .

(٦) ذكره الثعلبي ١٨٩ أ ، والواحدي ١/ ١٧٢ ، والبغوي ٣/ ٢٢٣ .

وقال عطاء[١] والسدي[٢] : «بالعدل» .

قال الزَّجَّاج : «هذا رد لقولهم : ﴿وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ في الآية الأولى»[٣] .

وقوله تعالى : ﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ ، قال أبو علي الجرجاني : «نسق الأمر على الخبر[٤] ، وجاز ذلك لأن قوله : ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي﴾ قول ؛ لأن الأمر لا يكون إلا كلاماً ، والكلام قول ، فكأنه قال : قل : يقول ربي : أقسطوا ﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ﴾»[٥] ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ ؛ أي وجهوا وجوهكم[٦] حيث ما كنتم في الصلاة إلى الكعبة ، قاله[٧] مجاهد[٨] والسدي وابن زيد[٩] .

---

(١) ذكره الرازي في تفسيره ١٤/ ٥٧ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ٢٨٧ .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٥٥ بسند جيد عن مجاهد والسدي ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٤٦٢ بسند ضعيف عن ابن عباس ، وقال : «روي عن مجاهد والسدي وقتادة مثل ذلك» ، وهو قول الطبري والزَّجَّاج في معانيه ٢/ ٣٣٠ ، والنحاس ٣/ ٢٥ ، والمعاني متقاربة ، فالقسط العدل والحق والاستقامة ، فيحمل ما ذكر على التمثيل . انظر : تفسير ابن عطية ٥/ ٤٧٨ ، وابن كثير ٢/ ١٣٣ .

(٣) انظر : معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٣٠ ، والفتاوى ١٥/ ٨ ، ٩ ، وبدائع التفسير ٢/ ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

(٤) ذكره السمين في الدر ٥/ ٢٩٦ ، ٢٩٧ عن الجرجاني صاحب النظم ، وفيه : «نسق الأمر على الجر» بدل لفظ (الخبر) ، والأمر ﴿وَأَقِيمُواْ﴾ والجر ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ .

(٥) في الدر المصون «أقسطوا وأقيموا ، يعني : أنه عطف على المعنى» اهـ . واختار أبو حيان في البحر ٤/ ٢٨٧ ، والسمين في الدر ٥/ ٢٩٥-٢٩٧ ، أنه معطوف على الأمر المقدر الذي ينحل إليه المصدر ، وهو ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ وذلك أن القسط مصدر ، فهو ينحل لحرف مصدري وفعل ، والتقدير : قل أمر ربي بأن أقسطوا وأقيموا . وانظر : تفسير الزمخشري ٢/ ٧٥ ، وابن عطية ٥/ ٤٧٨ ، والرازي ١٤/ ٥٧ ، والتبيان ٣٧٢ ، والفريد ٢/ ٢٨٨ .

(٦) في (ب) : (وجهوا لوجوهكم) ، وهو تحريف .

(٧) في (ب) : (قال) ، وهو تحريف .

(٨) تفسير مجاهد ١/ ٢٣٤ . وأخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٥٥ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٦٢ من طرق جيدة عدة ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ١٤٣ .

(٩) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٥٥ من طرق جيدة عدة عن السدي ، وابن زيد ، وذكره الثعلبي ١٨٩ أ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ١٨٥ عن مجاهد والسدي وابن زيد ، وهو قول مقاتل في تفسيره ٢/ ٣٣ ، والقرطبي ٧/ ١٨٨ .

وقال عطاء عن ابن عباس : «صلوا لله وحده في كل مسجد»[١] ، وبيان هذا القول ما قاله الضحاك ، وهو أنه قال : «إذا حضرت الصلاة وأنتم عند مسجد فصلوا فيه ، ولا يقولن أحدكم : أصلي في مسجدي»[٢] . ونحو هذا قال الفرَّاء ، يقول[٣] : «إذا أدركتك الصلاة وأنت عند مسجد فصل فيه ، ولا تقولن : آتي مسجد قومي»[٤] .

وقال أبو إسحاق : «أي[٥] : وقت كل صلاة اقصدوه بصلاتكم»[٦] . ﴿وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ ، يريد : وحدوه ولا تشركوا به شيئاً[٧] .

وقوله تعالى : ﴿كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ﴾ ، قال ابن عباس : «إن الله تعالى بدأ خلق ابن آدم مؤمناً و[٨] كافراً ، كما قال جل ثناؤه : ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم

(١) ذكره ابن الجوزي في تفسيره ٣/ ١٨٥ ، والرازي ١٤/ ٥٨ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ٢٨٧ .

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف ١٨٩ أ ، والبغوي ٣/ ٢٢٣ ، وابن الجوزي ٣/ ١٨٥ ، والخازن ٢/ ٢٢٢ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ٢٨٧ .

(٣) هنا وقع اضطراب في ترتيب نسخة : (ب) ، فتقدم تفسير بعض الآيات .

(٤) معاني الفرَّاء ٢/ ٣٧٦ ، وهو قول الكلبي كما ذكره السمرقندي في تفسيره ١/ ٥٣٧ ، واختاره ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ١٧٧ .

(٥) في (أ) : (أي في وقت) .

(٦) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٣٠ ، والظاهر أن المعنى : اقصدوا عبادته وحده ، وتوجهوا إليه في صلاتكم إلى القبلة في أي وقت ومسجد ، وهو ظاهر كلام الطبري في تفسيره ٨/ ١٥٥ ، وأخرجه بسند جيد عن الربيع بن أنس ، وانظر : تفسير ابن عطية ٥/ ٤٧٩ ، وابن كثير ٢/ ٢٣٣ ، وبدائع التفسير ٢/ ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، وفتح البيان لصديق خان ٤/ ٣٢٩ .

(٧) قال الزَّجَّاج في معانيه ٢/ ٣٣١ : «أي مخلصين له الطاعة» اهـ . والمعنى : اعبدوه وحده حال كونكم مخلصين العبادة والدعاء له لا لغيره ، وهو ظاهر كلام الطبري في تفسيره ٨/ ١٥٥ ، والسمرقندي ١/ ٥٣٧ ، وصديق خان ٤/ ٣٢٩ .

(٨) لفظ : (الواو) ساقط من (ب) .

مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن : ٢] ، ثم يعيدهم يوم القيامة كما بدأ خلقهم مؤمناً وكافراً ، فيبعث المؤمن مؤمناً والكافر كافراً»[١] ، وهذا قول أكثر المفسرين[٢] ، واختيار الفرَّاء[٣] .

قال عطاء : «يريد : من خلقه للجنة يعود في البعث إلى الجنة ، ومن خلقه للنار يعود في البعث إلى النار»[٤] .

وقال القرظي[٥] : «من ابتدأ الله خلقه على[٦] الشقوة ، صار إلى ما ابتدأ عليه خلقه ، [وإن عمل بأعمال أهل السعادة ، ومن ابتدأ خلقه على السعادة صار إلى ما ابتدأ عليه خلقه][٧] ، وإن عمل بأعمال [أهل][٨] الشقاء ، كإبليس والسحرة»[٩] .

وقال الفرَّاء : «يقول : بدأكم[١٠] في الخلق شقياً وسعيداً ، فكذلك تعودون على الشقاء والسعادة»[١١] ، وهذه أقوال معناها واحد .

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٥٦ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٦٢ بسند جيد .

(٢) ومنهم مجاهد في تفسيره ١/ ٢٣٥ ، وأخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢٢٥ ، ٢٢٦ بسند جيد عن مجاهد والكلبي ، وأخرجه الطبري ٨/ ١٥٦ ، ١٥٧ من عدة طرق جيدة عن مجاهد وسعيد بن جبير وأبي العالية والسدي ، وأخرجه بسند ضعيف عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٤٦٣ من طرق جيدة عدة عن مجاهد وأبي العالية ، وذكره عن أبي رزين وإبراهيم النخعي وسعيد بن جبير ، وهو قول مقاتل في تفسيره ٢/ ٣٤ ، وأخرجه الثوري في تفسيره ١١٢ بسند جيد عن مجاهد .

(٣) معاني القرآن ١/ ٣٧٦ .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) القرظي : هو محمد بن كعب ، إمام . تقدمت ترجمته .

(٦) في (أ) : (إلى) .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٨) لفظ : (أهل) ساقط من (أ) .

(٩) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٥٧ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٦٣ بسند ضعيف ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ١٤٤ .

(١٠) في (ب) : (كما بداكم) .

(١١) معاني الفرَّاء ١/ ٣٧٦ .

وقال الحسن ومجاهد : «كما بدأكم فخلقكم في الدنيا ، ولم تكونوا شيئاً ، كذلك تعودون يوم القيامة أحياء»[١] ، وهذا المعنى اختيار الزَّجَّاج ؛ لأنه قال : « ثم احتج عليهم بإنكارهم البعث ، فقال : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ ؛ أي فليس بعثكم بأشد من ابتدائكم»[٢] .

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٥٧ بسند جيد عن مجاهد والحسن وقتادة وابن زيد ، وأخرجه عن ابن عباس بسند ضعيف ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٤٦٣ بسند جيد عن السدي ، وأخرجه عن ابن عباس بسند ضعيف .

(٢) معاني القرآن ٢/ ٣٣١ ، وهو اختيار الطبري في تفسيره ٨/ ١٥٨ ، ١٥٩ ، والزمخشري في الكشاف ٢/ ٧٥ ، ٧٦ ، والقرطبي ٧/ ١٨٨ ، والظاهر الجمع بين القولين ، وأن الآية إعلام بالبعث ؛ أيكما خلقكم يعيدكم بعد الموت على ما سبق لكم في علم الله تعالى من سعادة أو شقاوة ، فمن سبق له العلم بأنه سعيد صار إلى السعادة ، ومن سبق له العلم بأنه شقي صار إلى الشقاوة ، والآيات الدالة على ذلك كثيرة جدّاً ، ومنها قوله تعالى بعد هذه الآية ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾ [الأعراف :٣٠] . وقوله تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾ [الأنبياء :١٠٤] وغيرها من الآيات التي يحتج الله سبحانه فيها على النشأة الثانية بالأولى ، وعلى المعاد بالمبدأ ، فجاء باحتجاج في غاية الاختصار والبيان ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ . وأخرج البخاري في صحيحه ، رقم : ٤٦٢٥ في كتاب التفسير ، آخر تفسير سورة المائدة ، ومسلم رقم : ٢٨٦٠ ، كتاب : الجنة ونعيمها ، باب : متاع الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة . عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال : «خطب رسول الله ﷺ فقال : «يا أيها الناس ، إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غُرلاً» ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء :١٠٤]» اهـ .

وأخرج مسلم رقم : ٢٨٧٨ ، كتاب : الجنة ونعيمها ، باب : الأمر بحسن الظن . عن جابر بن عبدالله -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال : «يبعث كل عبد على ما مات عليه» اهـ . قال الشنقيطي في أضواء البيان ٢/ ٢٩٧ ، ٢٩٨ : «في هذه الآية الكريمة وجهان من التفسير ، كل واحد منهما حق ، ويشهد له القرآن» اهـ . ثم حكى نحو ما ذكره الواحدي . وانظر : معاني النحاس ٣/ ٢٦ ، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٣٧ ، والماوردي ٢/ ٢١٧ ، والبغوي ٣/ ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، وابن عطية ٥/ ٤٧٩ ، وابن الجوزي ٣/ ١٨٥ ، ١٨٦ ، والرازي ١٤/ ٥٨ ، وبدائع التفسير ٢/ ٢٠٤-٢٠٦ ، والبحر المحيط ٤/ ٢٨٨ .

قال ابن الأنباري: «موضع الكاف في ﴿كَمَا﴾ نصب بـ(تعودون)، وهو على مذهب العرب في تقديم مفعول الفعل[١] عليه؛ أي تعودون كما ابتدأ خلقكم»[٢].

وقال أبو علي الفارسي: «قوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾، ليس معنى الكلام على الظاهر؛ لأن الظاهر (تعودون كالبدء)[٣]، وليس المعنى على تشبيههم بالبدء، إنما المعنى على إعادة الخلق كما ابتدئ، فتقدير ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾: (كما بدأ خلقكم)؛ أي يعود خلقكم عوداً كبدئه[٤]، فكما أنه لم يُعْنَ بالبدء ظاهره من غير حذف المضاف إليه، [كذلك لم يعن بالعود من غير حذف المضاف الذي هو الخلق، فلما حذف قام المضاف إليه][٥] مقام الفاعل [فصار الفاعلون][٦] مخاطبين، كما أنه لما حذف المضاف من قوله: كما بدأ خلقكم صار المخاطبون مفعولين في اللفظ»، ومثل هذه الآية في المعنى قوله: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٠٤][٧].

---

(١) لفظ: (الفعل) ساقط من (أ) وملحق بالهامش.

(٢) ذكره السمين في الدر ٥/ ٢٩٧.

(٣) في (أ): (على البدء). وفي الحجة لأبي علي ٥/ ٢٦٣: (تعودون كالبدء).

(٤) في (ب): (عوداً لبدئه). وفي الحجة ٥/ ٢٦٣: «فتقدير ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾: كما بدأ خلقكم يعود خلقكم؛ أي يعود خلقكم عوداً كبدئه» اهـ.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

(٧) الحجة لأبي علي ٥/ ٢٦٣ وفيه: «فكما أنه لم يُعْنَ بالبدء ظاهره من غير حذف المضاف إليه منه، كذلك لا يعنى بالعود من غير حذف المضاف إليه منه، فَحُذِف المضافُ الذي هو (الخلق)، فلما حذف قام المضاف إليه مقام الفاعل، وصار الفاعلون مخاطبين، كما أنه لما حُذف المضاف من قوله: (كما بدأ خلقكم) صار المخاطبون مفعولين في اللفظ، ومثل ذلك في المعنى ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾، والخلق هنا اسم الحدث لا الذي يراد به المخلوق» اهـ.

وذكره السمين في الدر ٥/ ٢٩٧، وقال: «يعني: أن الأصل كما بدأ خلقكم يعود خلقكم فحذف الخلق في الموضعين فصار المخاطبون في الأول مفعولين بعد أن كانوا مجرورين بالإضافة، وفي الثاني =

٣٠. قوله تعالى : ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَـٰلَةُ ﴾ ، قال أبو بكر : «نصب[١] ﴿ فَرِيقًا ﴾ ، ﴿وَفَرِيقًا ﴾ على الحال من الضمير الذي في ﴿ تَعُودُونَ ﴾ ، يريد : تعودون كما ابتدأ خلقكم مختلفين ؛ بعضكم سعداء ، وبعضكم أشقياء ، فاتصل (فريق) – وهو نكرة – بالضمير الذي في ﴿ تَعُودُونَ ﴾ ، وهو معرفة فانقطع من لفظه ، وعطف الثاني عليه ، قال : ويجوز أن يكون الأول منصوباً على الحال من الضمير ، والثاني : منصوباً (بحق عليهم الضلالة) ؛ لأنه بمعنى : أضلهم كما يقول القائل : عبداً لله أكرمته ، وزيداً أحسنت إليه ، فتنصب زيداً بأحسنت إليه ، بمعنى[٢] : نفعته .

وأنشد[٣] :

أَثَعْلَبَةَ الفَوَارِسِ أمْ[٤] رِياحاً ... عَدَلْتَ بهم طُهَيَّةَ والخِشَابَا

---

= صاروا فاعلين بعد أن كانوا مجرورين بالإضافة أيضاً ، وقوله : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ ﴾ الكاف في محل نصب نعت لمصدر محذوف تقديره : تعودون عوداً مثل ما بدأكم ، وهذا أليق بلفظ الآية الكريمة» اهـ .
وانظر : إعراب النحاس ١/ ٦٠٨ ، والمشكل ١/ ٢٨٧ ، والبيان ١/ ٣٥٩ ، والتبيان ٣٧٢ ، والفريد ٢/ ٢٨٨ .

(١) لفظ : (نصب) غير واضح في (أ) .

(٢) في (ب) : (إذا كان بمعنى نفعته) .

(٣) الشاهد لجرير في ديوانه ٥٩ ، والكتاب ١/ ١٠١ ، ١٠٢ ، ومجاز القرآن ٢/ ١٧٥ ، والجمهرة ١/ ٢٩٠ ، والصحاح (خشب) ١/ ١٢٠ ، وأمالي ابن الشجري ٢/ ٧٩ ، وبلا نسبة في تأويل المشكل ٥٤٤ ، والدر المصون ٥/ ٣٠٠ ، وثعلبة ورياح : بنو يربوع بن حنظلة من تميم قوم جرير ، وعدلت : سويت ، وطهية ، والخشاب : بنو مالك بن حنظلة من تميم ، وطهية امرأة مالك ، والخشاب أولاد مالك من غير طهية .
انظر : نهاية الأرب ١٨٥ـ ٢٤٧ ، ٢٩٦ ، والشاهد : ثعلبة الفوارس ، إذ نصب الاسم الواقع بعد همزة الاستفهام بفعل محذوف دل عليه (عدلت بهم) ، تقديره : أهنت أو أظلمت .

(٤) في الديوان وأكثر المراجع : (أو) بدل : (أم) . وانظر : الخزانة ١١/ ٦٩ .

فنصب (ثعلبـــة) (بعدلت بهم طهية) ؛ لأنه بمعنى : أهنتهم إذ[(١)] عدلت بهم من دونهم .

وقال آخر :

يا ليتَ ضيفَكُم الزبيرَ وجارَكم إيَّـــايَ لبَّسَ حبْلَـــهُ بحبـــالي[(٢)]

فنصب (إياي) بقوله : لبَّس حبله بحبالي ؛ إذ كان معناه خالطني وقصدني .

قـــال : وفي قراءة أبي[(٣)] : «تعودون فريقين : فريقـــاً [هدى ، وفريقاً حق][(٤)] عليهم الضلالة»[(٥)] .

قال الفرَّاء : «وقد يكون الفريق الأول منصوباً بوقوع (هدى) عليه ، ويكون الثاني منصوباً بما وقع على عائد ذكره من الفعل ، كقوله : ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾» [الإنسان : ٣١][(٦)] .

---

(١) في (أ) : (إذا عدلت بهم) .

(٢) لم أهتد إلى قائله ، وهو في الدر المصون ٥/ ٣٠٠ .

(٣) ذكرها أكثرهم . انظر : معاني الفرَّاء ١/ ٣٧٦ ، وإعراب النحاس ١/ ٦٠٨ ، والقطع والائتناف للنحاس ١/ ٢٥٠ ، والمشكل ١/ ٢٨٨ ، وتفسير ابن عطية ٥/ ٤٨٠ ، والبيان ١/ ٣٥٩ ، والتبيان ٣٧٣ ، والفريد ٢/ ٢٨٩ ، والقرطبي ٧/ ١٨٨ ، والبحر ٤/ ٢٨٨ ، ونسب هذه القراءة الكرماني في غرائبه١/ ٤٠١ إلى عبدالله بن مسعود رضي الله عنه .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٥) ذكره السمين في الدر ٥/ ٣٠٠ ، وهو في الإيضاح ٢/ ٦٥٣ ، ٦٥٤ ، وزاد المسير ٣/ ١٨٦ مختصراً .

(٦) معاني الفرَّاء ١/ ٣٧٦ ، وقد ذكر هذه الأوجه كل المراجع السابقة ، وخلاصتها أن (فريقاً) الأول منصوب على أنه مفعول به مقدم (لهدى) أو حال من فاعل تعودون ، (وفريقاً) الثاني منصوب بتقدير فعل دل عليه ما بعده ؛ أي وأضل فريقاً أو حال من فاعل تعودون ، وأكثرهم على أن الأول منصوب بهدى ، والثاني بفعل مقدر .

انظر : الكتاب ١/ ٨٩ ، وتفسير الطبري ٨/ ١٥٩ ، والدر المصون ٥/ ٢٩٩ ، ٣٠٠ .

فأما التفسير ، فقال ابن عباس : «﴿ فَرِيقًا ﴾ أرشد إلى دينه ، وهم أولياؤه ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾ يريد : أضلهم وهم أولياء الشيطان يخذلهم الله فصاروا أولياء لإبليس»[١] .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ، يدل كلام ابن عباس «على أنهم إنما فعلوا ذلك بخذلان الله إياهم» .

وقوله تعالى : ﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ . قال ابن عباس : «يريد : ما سن[٢] لهم عمرو بن لحي»[٣] .

قال أصحابنا : قوله : ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ «يعني : بالكلمة الأزلية والإرادة[٤] السابقة» .

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٧٣ ، ١٧٤ .

(٢) في النسخ : (ما بين) ، ثم صحح في (أ) إلى : (ما سن) .

(٣) ذكره الرازي في تفسيره ١٤/ ٥٩ ، وقال : «هذا بعيد ، بل هو محمول على عمومه» . وهذا وأمثاله عن السلف -رضي الله عنهم- محمول على التمثيل ، وأنه داخل في المعنى .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٨/ ١٥٩ ، ومعاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٣١ ، وزاد المسير ٣/ ١٨٦ ، وقال القرطبي في تفسيره ٧/ ١٨٨ : «في هذه الآية رد واضح على القدرية ومن تابعهم» اهـ .
وقال ابن القيم كما في بدائع التفسير ٢/ ٢٠٥ ، ٢٠٦ : «أخبر الله -عز وجل- عن القدر الذي هو نظام التوحيد ، فقال : ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾ ، فتضمنت الآية الإيمان بالقدر ، والشرع ، والمبدأ ، والمعاد ، والأمر بالعدل ، والإخلاص ، ثم ختم الآية بذكر حال من لم يصدق هذا الخبر ، ولم يطع هذا الأمر بأنه قد والى الشيطان دون ربه ، وأنه على ضلال ، وهو يحسب أنه على هدى . والله أعلم» اهـ .

٣١. قوله تعالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾ ، قال ابن عباس : «كانوا يطوفون بالبيت عراة ، فأمرهم الله أن يلبسوا ثيابهم ولا يتعروا»[١] .

قال الكلبي[٢] : «والزينة ما وارى العورة ، ﴿ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾ لصلاة أو طواف» .

وقال مجاهد[٣] وعطاء[٤] : «ما يستر به عورته ولو عباءة» .

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٥٩ ، ١٦٠ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٦٤ بسند جيد ، وأخرج مسلم في صحيحه ، رقم : ٣٠٢٨ ، كتاب : التفسير ، باب : في قوله : ﴿ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ ﴾ ، والنسائي في سننه ٥/ ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، كتاب : مناسك الحج ، وفي التفسير ١/ ٤٩٦ ، والطبري ٨/ ١٥٩ ، ١٦٠ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٦٤ ، والحاكم وصححه ٢/ ٣١٩ ، ٣٢٠ ، والواحدي في الوسيط ١/ ١٧٤ ، وفي أسباب النزول ٢٢٨ ، ٢٢٩ من طرق عدة عن ابن عباس قال : كانت المرأة تطوف بالبيت ، وهي عريانة ، وتقول :

الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ وَمَا بَدَا مِنْهُ فَلاَ أُحِلُّهُ

فنزلت هذه الآية ﴿ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾ [الأعراف :٣١] ، وعند الحاكم ، فنزلت هذه الآية ﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ﴾ [الأعراف :٣٢] ، فلعل الآيتين نزلتا معاً لهذا السبب ، والله أعلم . وأخرج الطبري في تفسيره ٨/ ١٦٠ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٦٤ من طرق جيدة عدة عن ابن عباس مثله .

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٧٤ ، والبغوي ٣/ ٢٢٥ ، والخازن ٣/ ٢٢٣ .

(٣) أخرجه الطبري ٨/ ١٦١ ، وابن أبي حاتم ٣/ ١٤٣أ بسند جيد .

(٤) أخرجه الطبري ٨/ ١٦٠ ، ١٦١ من طرق جيدة عدة عن عطاء وسعيد بن جبير وطاوس وإبراهيم النخعي والزهري وقتادة والضحاك وابن زيد ، قالوا : «كانوا يطوفون بالبيت عراة فأمروا أن يلبسوا الثياب» . وقال الرازي في تفسيره ١٤/ ٦١ : «أجمع المفسرون على أن المراد بالزينة هاهنا لبس الثوب الذي يستر العورة» اهـ .

والظاهر حمل الآية على العموم ، وهو ما يتجمل ويتزين به عند الصلاة ، وستر العورة واجب مأمور به مطلقاً ، وهذا ظاهر كلام الجمهور . قال ابن كثير في تفسيره ٢/ ٢٣٥ : «لهذه الآية وما ورد في معناها من السنة يستحب التجمل عند الصلاة ، ولا سيما يوم الجمعة ويوم العيد ، والطيب لأنه من الزينة ، والسواك لأنه من تمام ذلك ، ومن أفضل اللباس البياض» . ونحوه قال ابن عطية ٧/ ٤٥ ، وانظر : تفسير الطبري ٨/ ١٦٠ ، ١٦١ ، والسمرقندي ١/ ٥٣٨ ، وأحكام القرآن للكيا الهراسي ٣/ ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ولابن العربي ٢/ ٧٧٩ ، والقرطبي ٧/ ١٨٩ ، والبحر المحيط ٤/ ٢٩٠ .

قال الفرَّاء والزَّجَّاج[(١)] : «كانت الجاهليــة تطوف بالبيت عراة ، ويقولون : لا نطــوف في ثياب قد أذنبنا فيها ، وكانت المرأة تطوف عريانة أيضاً إلا أنها كانت تلبس شيئاً من سيور مقطعة ، تسمي ذلك العرب الرهط[(٢)]» .

قال الفرَّاء : «وهو شبيه بالحوف[(٣)] يواريها بعض المواراة ، قالت امرأة تطوف وعليها رهط[(٤)] :

الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ
وَمَا بَدَا مِنْهُ فَلَا أُحِلُّهُ[(٥)]

تعني : الفرج ، لأن تلك السيور لا تستر ستراً تامّاً» .

قال أصحابنا[(٦)] : وهذه الآية دليل على وجوب ستر العورة للصلاة والطواف بالبيت ، والطواف صلاة ، قال رســول الله ﷺ : «الطواف بالبيت صلاة ، إلا أن الله أباح فيه الكلام»[(٧)] .

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٢٣ ، والنص منه .

(٢) الرَّهْط بفتح الراء وسكون الهاء : جلد يشق من أسفله أو جلد يشق سيوراً ليمكن المشي فيه ، يلبسه الصغار والحائض . انظر : اللسان (رهط) ٣/ ١٧٥٣ .

(٣) الحوف ، بفتح الحاء وسكون الواو : هو الرهط السابق . انظر : اللسان (حوف) ٢/ ١٠٥٣ .

(٤) معاني الفرَّاء ١/ ٣٧٧ .

(٥) البيت نسبه الفرَّاء إلى العامرية ، وهي ضباعة بنت عامر بن قرط العامرية ، كما ذكره ابن العربي في أحكام القرآن ٢/ ٧٧٧ ، والقرطبي ٧/ ٨٨٩ ، والذهبي في تجريد أسماء الصحابة ٢/ ٢٨٤ ، وابن حجر في الإصابة ٤/ ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ونسبه ابن حجر في ٤/ ٢٣٢ إلى أسماء بنت مخربة بن جند التميمية .

(٦) قال الفقهاء : ستر العورة عن العيون واجب بالإجماع ، حكاه النووي في المجموع ٣/ ٣٦٦ ، وهي شرط لصحة الصلاة عند الجمهور ، الشافعي وأحمد وأصحاب الرأي . انظر : أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٧٧٨ ، والمغني ٢/ ٢٨٣ ، وروضة الطالبين ١/ ٣٨٨ ، والفتاوى ٢٢/ ١٠٩ ، ونيل الأوطار ٢/ ٧٣ .

(٧) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٤١٤ ، ٤/ ٦٤ ، ٥/ ٣٧٧ ، والنسائي في سننه ، في كتاب : المناسك ، =

وقوله تعالى : ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾ ، قال أكثر المفسرون : «كان أهل الجاهلية لا يأكلون من الطعام في أيام حجهم إلا قوتاً ، ولا يأكلون دسماً ، يعظمون بذلك حجهم ، فقال المسلمون : نحن أحق أن نفعل ، فأنزل الله تعالى[1] : ﴿وَكُلُوا۟﴾ يعني : اللحم والدسم ، ﴿وَٱشْرَبُوا۟﴾»[2] ، وهذا القول اختيار الفرَّاء[3] .

= باب : إباحة الكلام في الطواف ٥/ ٢٢٢ عن الحسن بن مسلم المكي عن طاوس عن رجل أدرك النبي ﷺ ، وأخرجه الدارمي ٢/ ١١٦٥ ، ١٨٨٩ في كتاب : المناسك ، باب : الكلام في الطواف ، والترمذي رقم ٩٦٠ ، كتاب : المناسك ، باب : الكلام في الطواف ، وابن خزيمة ٤/ ٢٢٢ ، ٢٧٣٩ ، والبيهقي ٥/ ٨٥ من طرق عدة عن عطاء بن السائب عن طاوس عن ابن عباس عن النبي ﷺ ، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٢٦٦ ، ٢٦٧ من طرق عن عطاء بن السائب ، والقاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ .

قال الحاكم : «حديث صحيح على شرط مسلم» ، ووافقه الذهبي في التلخيص ، وقد روي الحديث مرفوعاً تارة وموقوفاً أخرى ، ورجح جماعة وقفه مثل الترمذي وغيره ، وقد صححه الألباني في الإرواء ١/ ١٥٤ـ١٥٨ . واستقصى طرقه ، ثم قال : «وبالجملة الحديث مرفوع صحيح ، ووروده أحياناً موقوفاً لا يعله» اهـ .

وقال شيخ الإسلام في الفتاوى ٢١/ ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٦/ ١٢٦ ، ١٩٣ ، ٢١١ : «لا يشترط للطواف شروط الصلاة ، وهذا قول أكثر السلف ، وهو مذهب أبي حنيفة ، ورواية عن أحمد ، وهذا القول هو الصواب ، فإن المشترطين ليس معهم حجة إلا قوله ﷺ : «الطواف بالبيت صلاة» . وهذا حديث يروى موقوفاً ومرفوعاً ، وأهل المعرفة بالحديث لا يصححونه إلا موقوفاً ، ويجعلونه من كلام ابن عباس لا يثبتون رفعه ، وبكل حال فلا حجة فيه ، والأدلة الشرعية تدل على خلاف ذلك ، والذين أوجبوا الوضوء للطواف ليس معهم حجة أصلاً ؛ فإنه لم ينقل أحد عن النبي ﷺ لا بإسناد صحيح ولا ضعيف أنه أمر بالوضوء للطواف . . . .» اهـ . ملخصاً .

(١) لفظ : (تعالى) ساقط من (ب) .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٨/ ١٦٢ ، والسمرقندي ١/ ٥٣٨ ، والماوردي ٢/ ٢١٨ ، وحكاه الواحدي في أسباب النزول ٢٣٠ عن الكلبي .

(٣) معاني الفرَّاء ١/ ٢٧٧ .

وقال عطاء عن ابن عباس : «﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾ يريد : حلالاً»[١] ، وهذا القول اختيار الزَّجَّاج ، وبيَّنه فقال : «إنهم ادعوا[٢] أن الله حرم عليهم شيئاً مما في بطون الأنعام ، وحرم عليهم البحيرة والسائبة ، وأمرهم الله -عز وجل- أن يأكلوا ما[٣] زعموا أن الله حرمه مما لم يحرمه ، وأن يشربوا مما زعموا أن الله حرمه ؛ لأن ألبان البحيرة [والسائبة[٤] كانت عندهم حراماً»[٥]] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾[٦] معناه على القول الأول : لا تسرفوا حتى يبلغ بكم ذلك تحريم ما أحللت[٧] لكم ؛ أي لا تسرفوا بحظركم على أنفسكم ما قد أحللته لكم ؛ أي من اللحم والدسم ، وهذا معنى قول الفرَّاء[٨] .

وقال الزَّجَّاج : «الإسراف أن يأكل ما لا يحل أكله مما حرم الله- عز وجل- أن يؤكل منه شيء ، أو يأكل ما أحل الله فوق مقدار الحاجة ، فأعلم الله أنه لا يحب من أسرف ، ومن لم يحببه الله فهو في النار»[٩] .

---

(١) أخرج الطبري في تفسيره ٨/ ١٦٢ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٦٥ بسند جيد عن ابن عباس قال : «أحل الله الأكل والشرب ما لم يكن سَرفاً أو مَخِيلة» .

(٢) في (ب) : (إنهم دعو) ، وهو تحريف .

(٣) في (ب) : (مما زعموا) .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من أصل (أ) ، وملحق بالهامش .

(٥) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٣٢ ، ٣٣٣ .

(٦) الآية ساقطة من أصل (أ) وملحقة بالهامش .

(٧) في (أ) : (ما أحلت) ، وهو تحريف .

(٨) معاني الفرَّاء ١/ ٣٣٧ .

(٩) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٣٣ ، وانظر : تفسير الطبري ٨/ ١٦٢ ، والسمرقندي ١/ ٥٣٨ ، والماوردي ٢/ ٢١٨ ، والآية عامة في أكل وشرب ما أحله الله تعالى ورسوله ﷺ ، ونهى عن السرف مطلقاً ، ويدخل فيه من حلل حراماً أو حرم حلالاً ، وهذا قول أهل العلم عامة . انظر : تفسير ابن عطية ٥/ ٤٨٢ ، والرازي ١٤/ ٦٢ ، والقرطبي ٧/ ١٩١-١٩٥ ، وابن كثير ٢/ ٢٣٦ .

٣٢. قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾. قال ابن عباس[١] والمفسرون[٢]: «يريد: اللباس يستر به العورة».

قال أبو إسحاق: «أي من حرم أن تلبسوا في طوافكم ما يستركم»[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾؛ أي الحلالات من الرزق، يعني ما حرموه على أنفسهم من البحائر والسوائب، قاله ابن عباس[٤]، وقتادة[٥].

وقال الآخرون[٦]: «يعني: ما كانوا يحرمونه على أنفسهم أيام حجهم من اللحم والدسم»، وهذا كالاختلاف في قوله: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ [الأعراف: ٣١] في الآية الأولى[٧].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) ذكره الرازي في تفسيره ١٤/ ٦٣، وقال: «المراد بالزينة: اللباس الذي تستر به العورة، وهو قول ابن عباس وكثير من المفسرين» اهـ.

(٣) معاني القرآن ٢/ ٣٣٣.

(٤) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٨٩ب، والبغوي ٣/ ٢٢٥، وابن الجوزي ٣/ ١٨٩ عن ابن عباس وقتادة، وذكره الماوردي ٢/ ٢٤ عن الحسن وقتادة.

(٥) أخرجه الطبري ٨/ ١٦٤، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٦٧ بسند جيد.

(٦) أخرجه الطبري ٨/ ١٦٣ من طرق جيدة عدة عن السدي، وابن زيد، وأخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٤٦٧ من طرق جيدة عدة عن السدي، وسعيد بن جبير. وانظر: الدر المنثور ٣/ ١٥٠.

(٧) والآية عامة في كل ما يتزين به من ملبوس أو غيره، وفي الطيبات من المآكل والمشارب التي أباحها الله تعالى ورسوله ﷺ، وإنكار عام على كل من أحل ما حرم الله أو حرم ما أحل الله، ومنها ما فعله أهل الجاهلية. قال الطبري في تفسيره ٨/ ١٦٣: «يقول الله ـ تعالى ذكره ـ لنبيه ﷺ: قل لهؤلاء: من حرم عليكم زينة الله التي خلقها لعباده؛ أن تتزينوا بها وتتجملوا بلباسها، والحلال من رزق الله الذي رزق خلقه لمطاعمهم ومشاربهم، وقد أجمعوا على أن الزينة ما قلنا» اهـ. ملخصاً.
وانظر: تفسير بن عطية ٥/ ٤٨٢، ٤٨٣، والقرطبي ٧/ ١٩٥.

قال الفـــرَّاء : «نصب ﴿ خَالِصَةً ﴾ على القطع[١] وجعلــت خبر (هي[٢]) في اللام التي في قوله : ﴿ لِلَّذِينَ ﴾ ، والخالصة ليســت بقطــع من هذه اللام ، ولكنها قطع من لام أخرى مضمرة ، والمعنـــى والله أعلم : ﴿ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ مشتركة ، وهي لهم في الآخرة ﴿ خَالِصَةً ﴾ على القطع»[٣] .

قال أبو علي : «قولــه : ﴿ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [يحتمل أن يكـــون ظرفاً (لهي) ، وخبرها قولـــه : ﴿ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ ، والتقدير : هي في الحيـــاة الدنيا][٤] للمؤمنين مقدراً خلوصها يوم القيامة ، ويحتمل أن يكون قوله : ﴿ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ متصلاً بالصلة التي هي[٥] (آمنوا) ، والمعنى ﴿ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ في حياتهم ؛ أي الذين لم يكفروا فيها ﴿ خَالِصَةً ﴾ ، فموضع (في) على هذا نصب بآمنوا ، والعامل في الحال معنـــى اللام في : ﴿ لِلَّذِينَ ﴾ ، والمعنى : هي تثبت وتســـتقر ﴿ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً ﴾ .

قـــال : «ويجـــوز أن يكون قولـــه : ﴿ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ في موضـــع حال[٦] ، وصاحب الحال هو (هـــي) ، والعامل في الحال معنى الفعل في ﴿ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ ، كـــما بيّنا ، والمعنى : قل : هـــي تثبت لهم[٧] مســـتقرة ﴿ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [أي هي ثابتة للذين آمنوا في حال خلوصها يوم القيامة»[٨]][٩] .

---

(١) يعني بالقطع الحال ، أفاده السمين في الدر ٥/ ٣٠٢ ، وانظر : معجم المصطلحات النحوية ١٨٨ .

(٢) في معاني الفرَّاء ١/ ٣٧٧ : (وجعلت الخبر في اللام التي في الذين . . . .) اهـ .

(٣) معاني الفرَّاء ١/ ٣٧٧ .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٥) في (أ) : «التي هي للذين آمنوا في حياتهم ؛ أيللذين لم يكفروا . . . .» .

(٦) في (ب) : قال : (وصاحب الحال) .

(٧) في (ب) : (قل هي يثبت ويستقر للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة) .

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٩) هذا ملخص من الإغفال ٧٧١ ، ٧٧٢ ، والحجة ٤/ ١٥ـ١٧ .

وقــرأ نافع(١) : ﴿خَالِصَةً﴾ رفعاً ، قال الزَّجَّــاج : «ورفعها على أنه خبر بعد خبر ، كما تقول : زيد عاقل لبيب ، والمعنى : قل : هي ثابتة للمؤمنين ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾(٢)» .

قال أبو علي : «قوله : رفعها على أنه خبر بعد خبر جائز حســن ، ويجوز أيضاً عندي ألَّا يكــون خبراً بعد خبر ، ولكن تكون ﴿خَالِصَةً﴾ خبر الابتداء ، كأنه في التقدير : قل : هي خالصة للذين آمنــوا في الحياة الدنيا ، فيكون ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ متعلقــاً بخالصة ، وفي موضع نصب به ، والمعنى : هـــي تخلص للذين آمنوا يوم القيامة ، وإن شركهم غيرهم من الكافرين [في الدنيا»](٣) .

قال ابن عباس : «شــارك المســلمين المشركون في الطيبات في الحياة الدنيا ؛ فأكلوا من طيبات طعامها ، ولبسوا من جياد ثيابها ، ونكحوا من صالح نسائها ، ثم يخلص الله الطيبات في الآخرة للذين آمنوا ، وليس للمشركين فيها شيء»(٤) ، وهذا قول الحسن والضحاك وابن جريج وابن زيد(٥) .

---

(١) قرأ نافع : ﴿خَالِصَةً﴾ بالرفع ، وقرأ الباقون بالنصب . انظر : السبعة ٢٨٠ ، والمبسوط ١٨٠ ، والتذكرة ٢/ ٤١٨ ، والتيسير ١٠٩ ، والنشر ٢/ ٢٦٩ .

(٢) معاني القرآن ٢/ ٣٣٣ .

(٣) لفظ : (في الدنيا) ساقط من (أ) ، والنص من الإغفال ٧٧١ ، والحجة ٤/ ١٤_١٦ ، وانظر في توجيه القراءات وإعرابها ، وتفسير الطبري ٨/ ١٦٥ ، وإعراب النحاس ١/ ٦٠٩ ، ومعاني القراءات ١/ ٤٠٤ ، وإعراب القراءات ١/ ١٨٠ ، والحجة لابن خالويه ١٥٤ ، ولابن زنجلة ٢٨١ ، والكشف ١/ ٤٦١ ، ٤٦٢ ، والمشكل ١/ ٢٨٨_٢٩٠ .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٦٤ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٦٨ بسند جيد .

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٦٤ ، ١٦٥ من طرق جيدة عدة عن الحسن والضحاك وابن جريج وابن زيد ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٤٦٨ عن الحسن والضحاك وقتادة وعكرمة ، وأخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢٢٨ بسند جيد عن الحسن . وانظر : الدر المنثور ٣/ ١٥٠ .

وقال عطاء في قولـــه تعالى : ﴿خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ : «يريد : إن الله جعل لهم الجنة خالصة بطاعتهم الله في الدنيـــا»[(١)] ، ففسر ﴿ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ بالجنة ؛ لأنها محل الطيبات في الآخرة .

قال أبو إســـحاق : «أعلمَ الله –عز وجـــل– أن الطيبات تخلص للمؤمنين في الآخرة لا يشركهم فيها كافر»[(٢)] .

وقال بعـــض أصحاب المعاني : «الأولى أن يكون معنى ﴿ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ في هذه الآية المستلذ من الرزق»[(٣)] .

وقوله تعالى : ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾ ، يريد : تفسير ما أحللت من حلالي وما حرمت من حرامي ، ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ، يريد : علموا أني أنا الله وحدي لا شريك لي[(٤)] .

٣٣. قـــال الكلبي : «فلما نزلت هذه الآية لبســـوا الثيـــاب ، وطافوا بالبيت فيها ، فعيرهم المشركون بذلك ، فأنزل الله تعالى[(٥)] قوله : ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾»[(٦)] . قال ابن عباس : «يريد : سر الزنا وعلانيته»[(٧)] .

---

(١) لم أقف على من ذكره .

(٢) معاني القرآن ٢/ ٣٣٣ .

(٣) انظر : معاني النحاس ٣/ ٢٧ ، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٣٨ ، وتفسير الماوردي ٢/ ٢١٩ ، وابن الجوزي ٣/ ١٨٩ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٨/ ١٦٦ ، والسمرقندي ١/ ٥٣٨ ، والخازن ٢/ ٢٢٤ .

(٥) لفظ : (تعالى) ساقط من (أ) .

(٦) ذكره القرطبي ٧/ ٢٠٠ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ٢٩٢ .

(٧) تقدم تخريجه .

وقال مجاهد: «﴿مَا ظَهَرَ﴾: نكاح الأمهات ...[1] في الجاهلية. ﴿وَمَا بَطَنَ﴾: الزنا».

وقال القرظي: «﴿مَا ظَهَرَ﴾: طوافهم بالبيت عراة، ﴿وَمَا بَطَنَ﴾: الزنا»[2].

وقال عكرمة: «﴿مَا ظَهَرَ﴾: الظلم على الناس، ﴿وَمَا بَطَنَ﴾ الزنا والسرقة»[3].

وقال مقاتل[4] والكلبي[5] نحو قول ابن عباس. وقد مضى الكلام في هذا في سورة الأنعام.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾. قال بعض أهل المعاني: «إنما ذكر هذه القبائح مع الفواحش، وهي داخلة في الفواحش للبيان عن التفصيل، كأنه قيل: الفواحش التي منها الإثم، ومنها البغي، ومنها الإشراك بالله»[6].

---

(١) جاء في النسخ كلمة غير واضحة بعد لفظ (الأمهات)، ولعلها (الذوات، أو الدواب). وذكر النحاس في معانيه ٣/ ٢٥، والقرطبي ٧/ ٢٠٠ عن مجاهد قال: «﴿مَا ظَهَرَ﴾: نكاح الأمهات في الجاهلية، ﴿وَمَا بَطَنَ﴾: الزنا» اهـ. وأخرج الطبري في تفسيره ٨/ ١٦٦ عن مجاهد قال: «﴿مَا ظَهَرَ﴾: الجمع بين الأختين وتزويج الرجل امرأة أبيه من بعده، ﴿وَمَا بَطَنَ﴾: الزنا».

(٢) لم أقف عليه، وأخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٦٦ بسند ضعيف عن مجاهد، وأخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٤٧٠ بسند جيد عن الزهري.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥/ ١٤٧١ بسند ضعيف، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ١٥١.

(٤) تفسير مقاتل ٢/ ٣٤.

(٥) تنوير المقباس ٢/ ٩٠.

(٦) انظر: تفسير القرطبي ٧/ ٢٠١.

وقـــال ابن الأنباري : «إنما فصل الإثم ؛ لأنه قصد [به][١] الأفاعيل المذمومة التـــي لا يجب على فاعلها الحد ، والفواحش يجب عـــلى فاعلها إذا أتاها أو أكثرها الحد ، فلهذه العلة فصل الإثم . قال : وهذا جواب مأثور عن ابن عباس»[٢] .

وقال عطاء عن ابن عباس : «﴿وَٱلۡإِثۡمَ﴾ يريد : الخمر»[٣] .

وقال الحســـن[٤] : «الإثم : الخمـــر ، تصديق ذلك قولـــه : ﴿قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ﴾» [البقرة : ٢١٩] .

قال أبو بكر : «الإثم لا يكون من أســـماء الخمر ؛ لأن العرب ما سمته إثماً قط في الجاهلية ولا الإســـلام ، ولكن قد تكون الخمر داخلة تحت الإثم لقوله : ﴿قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ﴾» [البقرة : ٢١٩][٥] .

وقال الضحاك : «الإثم : الذنب دون الحد»[٦] .

---

(١) لفظ : (به) ساقط من (ب) .

(٢) لم أقف عليه عن ابن الأنباري ، وذكر ابن الجوزي في تفسيره ٣/ ١٩١ عن ابن عباس ، قال : «الإثم : الذنب الذي لا يوجب الحد» اهـ .

(٣) تنوير المقباس ٢/ ٩٠ ، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٧٦ ، وابن الجوزي في تفسيره ٣/ ١٩١ عن عطاء فقط ، وذكره السمين في الدر ٥/ ٣٠٦ عن ابن عباس والحسن .

(٤) ذكره البغوي في تفسيره ٣/ ٢٢٦ ، وابن الجوزي ٣/ ١٩١ ، والقرطبي ٧/ ٢٠٠ .

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٧٦ ، والسمين في الدر ٥/ ٣٠٦ ، وفي تهذيب اللغة ١/ ١٢٢ ، قال ابن الأنباري «ليس الإثم في أسماء الخمر بمعروف ، ولم يصح فيه بيت صحيح» اهـ . وقال السمين في الدر ٥/ ٣٠٦ : «الذي قاله الحذاق إن الإثم ليس من أسماء الخمر» اهـ .

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٧٦ ، والبغوي ٣/ ٢٢٦ ، وابن الجوزي ٣/ ١٩١ ، وهو قول الفرَّاء في معانيه ١/ ٣٧٨ .

وقال السدي : «الإثم : المعصية»[١] ، ﴿ وَٱلْبَغْىَ ﴾ ظلم الناس والاستطالة بغير حق ، وهو أن يطلب ما ليس له ، كذا قال جميع أهل التفسير[٢] .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ ﴾[٣] ، قال الزَّجَّاج : «موضع (أن) نصب ، المعنى : وحرم الشرك»[٤] .

وقوله تعالى : ﴿ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ﴾ ، قال مقاتل : «ما لم ينزل [به][٥] كتاباً فيه حجة لكم بأن معه شريكاً»[٦] .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ، قال عطاء عن ابن عباس : «يريد : قولهم الملائكة بنات الله»[٧] .

وقال مقاتل : «وحرم أن تقولوا[٨] على الله أنه حرم الحرث والأنعام»[٩] .

---

(١) أخرجه الطبري ٨/ ١٦٦ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٧١ بسند جيد .

(٢) وهو قول الفرَّاء في معانيه ١/ ٣٧٨ ، والطبري ٨/ ١٦٦ ، والظاهر أن الإثم الذنب والمعصية عام في الأقوال والأفعال التي يترتب عليها الإثم ، والبغي : الظلم وتجاوز الحد فيه ، وأخرج الإثم والبغي من الفواحش ، وهما منه لعظمهما وفحشهما ، فنص على ذكرهما تأكيداً لأمرهما وقصداً للزجر عنهما ، وذكر الخمر من باب التمثيل ؛ لأنه سبب الإثم ، بل هي معظمه ، فإنها مؤججة للفتن . وقال ابن كثير في تفسيره ٢/ ٢٣٦ : «وحاصل ما فسر به الإثم أنه الخطايا المتعلقة بالفاعل نفسه ، والبغي هو التعدي إلى الناس» اهـ .

وانظر : إعراب النحاس ١/ ٦٠٩ ، ٦١٠ ، وتفسير ابن عطية ٥/ ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، والقرطبي ٧/ ٢٠١ .

(٣) في (ب) : ﴿ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ ﴾ .

(٤) معاني القرآن ٢/ ٣٣٤ ، وفيه : «المعنى : حرم الله الفواحش تحريم الشرك» اهـ . وانظر : إعراب النحاس ١/ ٦١٠ ، والمشكل ١/ ٢٩٠ .

(٥) لفظ : (به) ساقط من (ب) .

(٦) تفسير مقاتل ٢/ ٣٤ وانظر : معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٣٤ ، وتفسير الطبري ٨/ ١٦ ، ١٦٧ .

(٧) لم أقف عليه .

(٨) في (أ) : «يقولوا» بالياء .

(٩) تفسير مقاتل ٢/ ٣٤ ، وزاد فيه : «والألبان والثياب» .

وقال أهل المعاني : «هذا عام في تحريم القول في الدين من غير يقين»[١] .

٣٤. قوله تعالى : ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ الآية ، معنى الأجل : الوقت [المؤقت][٢] المضروب لانقضاء المهل[٣] .

وفي هــذه الآية قولان : أحدهما : أن المراد بهذا أجل العذاب ، وهو قول ابن عباس والحسن[٤] ومقاتل .

قال ابن عباس في رواية عطاء : ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ ، «يريد : وقتاً فإذا جاء ذلك الوقت لا يؤخر عنهم العذاب ، ولا يقدم قبل ذلك»[٥] .

وقال الحسن : «يريد : أجل الهلاك بعذاب الاستئصال» .

وقال مقاتــل : «﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ بالعــذاب ، ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ بالعذاب لا يتأخــرون ولا يتقدمــون حتى يعذبــوا . قال : وذلك حين ســألوا النبي ﷺ العذاب»[٦] .

القول الثــاني : أن المراد بهذا الأجل أجل العمر ، فــإذا انقطع ذلك الأجل ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ بعــد الأجل ســاعة ، وكأن القول الأول أقــوى لقوله : ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ ، ولم يقل : ولكل أحد أجــل . وعلى القول الثاني إنما قال : ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ ،

---

(١) هذا قول الطبري ٨/ ١٦٧ ، والبغوي ٣/ ٢٢٦ ، وابن الجوزي ٣/ ١٩٢ .

(٢) لفظ : (المؤقت) ساقط من (ب) .

(٣) انظر : العين ٦/ ١٧٨ ، والجمهرة ٢/ ١٠٤٣ ، والتهذيب ١/ ١٢٤ ، والصحاح ٤/ ١٦٢١ ، والمجمل ١/ ٨٨ ، والمفردات ٦٥ ، واللسان (أجل) ١/ ٣٢ .

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٧٧ ، والرازي ١٤/ ٦٧ ، عن ابن عباس والحسن ومقاتل ، وذكره البغوي ٣/ ٢٢٦ ، عن ابن عباس وعطاء والحسن .

(٥) تنوير المقباس ٢/ ٩١ ، والفريد للهمداني ٢/ ٢٩٣ .

(٦) تفسير مقاتل ٢/ ٣٥ .

ولم يقـل : لكل أحد ؛ إخباراً عن تقارب أعمار أهل كل عصر ، حتى كأن لها أجلاً واحداً لتقاربها[١] .

وقوله تعـالى : ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً﴾ . قال الزَّجَّاج : «ولا أقل من سـاعة ، ولكن ذكرت الساعة ؛ لأنها أقل أسماء الأوقات»[٢] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ ، إن قيل : ما معنى هذا مع استحالة التقدم على الأجل وقت حضوره ، وكيف يحسـن قولـه : ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ بعد فناء الأجل ؟ قيل : هذا على المقاربة ؛ لأن العرب تقول : جاء الشتاء إذا قارب وقته ، وجاء الصيف ، ومـع مقاربة[٣] الأجل تصور الاسـتقدام ، وإن كان لا يتصور مـع الانقضاء ، والمعنـى : ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ عن[٤] آجالهـم إذا انقضت ، ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ عليها إذا قاربت الانقضاء ، ولفظ قوله : ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ محتمل للمعنيين[٥] .

---

(١) انظر : تفسير الرازي ١٤/٦٨ ، والخازن ٢/ ٢٢٥ ، وفيهما نص كلام الواحدي من دون نسبة . والقول الأول أظهر ، وهو قول الجمهور ، والثاني داخل فيه ومعلوم أن لكل إنسان أجلاً لا يتعداه . انظر : تفسير الطبري ٨/ ١٦٧ ، والسمرقندي ١/ ٥٣٨ ، والماوردي ٢/ ٢٢٠ ، وابن عطية ٥/ ٤٩٠ ، ٤٩١ .

(٢) معاني القرآن ٢/ ٣٣٤ ، ومثله ذكر النحاس في معانيه ٣/ ٣٠ .

(٣) لفظ : (مع مقاربة) عليه طمس في (أ) .

(٤) في (ب) : (مع) .

(٥) ذكره الرازي في تفسيره ١٤/ ٦٨ ، ونقله عن الواحدي السمين في الدر ٥/ ٣٠٨ ، وقال : «هذا بناء منه على أنه معطوف على ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ ، وهو ظاهر أقوال المفسرين ، وهذا لا يجوز ؛ لأن (إذا) إنما يترتب عليها وعلى ما بعدها الأمور المستقبلية لا الماضية ، والاستقدام بالنسبة إلى مجيء الأجل متقدم عليه ، فكيف يترتب عليه ؟ ويصير هذا من باب الإخبار بالضروريات التي لا يجهل أحد معناها ، وهو مستأنف ، معناه الإخبار بأنهم لا يسبقون أجلهم المضروب لهم ، بل لا بد من استيفائهم إياه ، كما أنهم لا يتأخرون عنه أقل زمان» اهـ . ملخصاً . وانظر : البحر المحيط ٤/ ٢٩٣ .

٣٥. قولـــه تعـــالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ ﴾ إلى آخر الآية مفسر ومشروح في ســـورة البقرة ، وهو قولـــه : ﴿ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى ﴾ [البقرة : ٣٨] ، قال عطاء عن ابن عباس في قوله : ﴿ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي ﴾ : يريد : فرائـــضي وأحكامي ، ﴿ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾ ، يريـــد : اتقاني وخافني ، ﴿ وَأَصۡلَحَ ﴾ يريد : ما بيني وبينه ، ﴿ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ يريد : يوم الفزع الأكبر[١] ، واختلف أهل المعاني في أنَّ المؤمنين هل يلحقهم خوف وحزن عند أهوال القيامـــة ، فبعضهم ذهب إلى أنه لا يلحقهم ذلك لعموم نفيه في هـــذه الآية ، وذهب بعضهم إلى أنه يلحقهم لقوله تعالى : ﴿ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ ﴾ [الحج : ٢] .

وأما قوله : ﴿ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ ﴾ ، معناه : أن أمرهم يؤول إلى الأمن والسرور ، كقول الطبيب للمريض : لا بأس عليه ؛ أي إن أمره يؤول إلى العافية والسلامة ، وإن كان في الوقـــت في بأس[٢] من علته[٣] ، وجواب قوله : ﴿ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ ﴾ هو ما دل عليه الكلام ، كأنه قيل : فأطيعوهم ، هذا قول الأخفش[٤] .

وقـــال الزَّجَّاج : جوابه في الفاء في قوله : ﴿ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ ﴾[٥] ، وقد ذكرنا هذا[٦] مستقصى في سورة البقرة .

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٧٧ ، والبغوي ٣/ ٢٢٧ ، وفي تنوير المقباس ٢/ ٩١ ، ٩٢ نحوه ، وجاء عند الواحدي والبغوي عنه في قوله : ﴿ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ ﴾ ، قال : «إذا خاف الناس ، ﴿ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ إذا حزنوا» اهـ .

(٢) في (ب) : (فلا بأس عليه) ، وهو تحريف .

(٣) انظر : تفسير السمرقندي ١/ ٥٣٩ ، والرازي ١٤/ ٦٩ ، والقرطبي ٧/ ٢٠٢ .

(٤) معاني القرآن ٢/ ٢٧٩ .

(٥) معاني القرآن ٢/ ٣٣٤ ، وانظر : تفسير الطبري ٨/ ١٦٨ ، وإعراب النحاس ١/ ٦١٠ ، والكشاف ٢/ ٧٧ ، وتفسير ابن عطية ٥/ ٤٩٣ ، والدر المصون ٥/ ٣٠٩ .

(٦) انظر : البسيط ، [البقرة :٣٨] .

٣٧. قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾. [قال الكلبي][(١)]: «فمن أكفر ممن اختلق على الله كذباً باطلاً، فجعل له صاحبة وولداً»[(٢)].

وقال أبو إسحاق: «أيْ: أيُّ ظلم أشنع من الكذب على الله عز وجل؟»[(٣)]. [و][(٤)] قال ابن عباس في قوله: ﴿ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾: «يريد: جعل لله شريكاً وجعل له ولداً»[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ اختلفوا في معناه، فقال الحسن والسدي وأبو صالح: «ينالهم ما كتب لهم من العذاب»[(٦)]، ومثله روى حبان[(٧)] عن الكلبي: ﴿نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ «أي من العذاب»[(٨)].

والسدي بيَّن ذلك العذاب ما هو، فقال: «سواد الوجوه وزرقة العيون»[(٩)]، فعلى هذا معنى قوله: ﴿يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ ما قضى الله عليهم في الكتاب من سواد الوجوه، وزرقة العيون[(١٠)]، ويؤكد هذا التأويل قوله: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠].

---

(١) لفظ: (قال الكلبي) ساقط من (أ).

(٢) ذكره السمرقندي في تفسيره ١/ ٥٣٩، وقال بعده: «قال بعضهم هذا التفسير خطأ؛ لأنه لا يصح أن يقال: هذا أكفر من هذا، ولكن معناه، ومن أشد في كفره» اهـ.

(٣) معاني القرآن ٢/ ٣٣٤، ومثله ذكر النحاس في معانيه ٣/ ٣٠، وانظر: تفسير الطبري ٨/ ١٦٨.

(٤) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٧٧ بلفظ: «جعل له صاحبة وولداً وشريكاً» اهـ.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٦٩ من طرق عدة عن أبي صالح والحسن والسدي، وأخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٤٧٤ عن أبي صالح.

(٧) حبان: هو حبان بن علي العنزي الكوفي، فقيه، فاضل، ضعيف. تقدمت ترجمته.

(٨) تنوير المقباس ٢/ ٩٢، وتفسير هود الهواري ٢/ ١٦.

(٩) لم أقف عليه.

(١٠) في (أ): (سواد الوجه وزرقة العين).

وهـــذا معنى قول ابن عباس في رواية عطية[(١)] قال : «ينالهم ما كتب عليهم ، [وقد كتب][(٢)] لمـــن[(٣)] افترى على الله وجهه مســـود»[(٤)] واحتج بالآية ، واختار الفرَّاء هذا ، فقال : «ينالهم ما قضى الله عليهم في الكتاب من سواد الوجوه وزرقة الأعين»[(٥)] .

وقال الزَّجَّـــاج : «معنى : ﴿ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ ما أخبر الله - عز وجل - من جزائهم ؛ نحو قولـــه : ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴾ [الليـــل : ١٤] ، وقوله : ﴿ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾[(٦)] [الجن : ١٧] ، وقولـــه : ﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ ﴾ الآية [غافر : ٧١] ، فهذا نصيبهم من الكتاب على قدر ذنوبهم في كفرهم»[(٧)] .

وقال عبدالله بن مســـلم : «أي حظهم مما كتب عليهم من العقوبة»[(٨)] ، فهذا كله قول من جعل ﴿ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ ، العذاب ، و﴿ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ على هذا القول الظاهر أنه القرآن ؛ لأنه ذكر عذابهم في القرآن في مواضع كما ذكره[(٩)] أبو إسحاق ، ويجوز أن يكون المراد بالكتاب اللوح المحفوظ .

---

(١) في (ب) : (عطاء) ، وقد أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٧٠ بسند ضعيف عن عطية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) لفظ : (وقد كتب) ساقط من (ب) .

(٣) في (ب) : (بأن يفترى) .

(٤) في (ب) : (مسوده) ، وعند الطبراني ١٢/ ٤١٣ : «أنه وجهه مسود» وهو أولى .

(٥) معاني القرآن ١/ ٣٧٨ ، ونحوه ذكر مقاتل في تفسيره ٢/ ٣٥ .

(٦) في (ب) : ﴿نَسْلُكْهُ﴾ بالنون ، وهي قراءة ابن عامر وابن كثير وأبي عمرو ونافع ، وقرأ الباقون (يسلكه) بالياء . انظر : السبعة ٦٥٦ ، والمبسوط ٣٨٤ ، والتذكرة ٢/ ٧٣٧ ، والنشر ٢/ ٣٩٢ .

(٧) معاني القرآن ٢/ ٣٣٤ ، ٣٣٥ .

(٨) تفسير غريب القرآن ١٧٧ ، وهو قول مكي في تفسير المشكل ٨٤ .

(٩) في (ب) : كما ذكر .

وقال سعيد بن جبير، ومجاهد[١] وعطية العوفي في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾[٢]؛ «أي ما سبق لهم من الشقاوة والسعادة، ثم قرأ العوفي: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [الأعراف: ٣٠]، يعني أن هؤلاء ممن أدركهم ما كتب لهم من الشقاوة، وإن كان فيهم أحد كتبت له السعادة أدركته، وعلى هذا المعنى دلَّ كلام ابن عباس في رواية عطاء؛ لأنه قال: «يريد: ما سبق عليهم في علمي في اللوح المحفوظ»[٣].

وقال الربيع والقرظي وابن زيد[٤]: «يعني: ما كتب لهم من الأرزاق والأعمال والأعمار، فإذا فنيت وفرغوا منها ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾»[٥].

---

(١) تفسير مجاهد ١/ ٢٣٥، ٢٣٦، وأخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٦٩، ١٧٠ من طرق جيدة عدة عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعطية العوفي، وأخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٤٧٤ من عدة طرق جيدة عن ابن عباس ومجاهد وعطية العوفي، وقال بعده: «وروي عن سعيد بن جبير والحسن نحوه» اهـ.

(٢) هنا وقع اضطراب في نسخة (ب)، فوقع باقي تفسير الآية في ١٤٧ب.

(٣) ذكره ابن القيم كما في بدائع التفسير ٢/ ٢٠٩، وقريب منه ما أخرجه الطبري ٨/ ١٧٠، ١٧١، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٧٣ بسند جيد عن ابن عباس قال: «نصيبهم من الأعمال»، وفي رواية عند الطبري قال: «ينالهم الذي كتب عليهم من الأعمال»، وفي رواية أخرى: «من الخير والشر»، وفي أخرى: «ما وعدوا مثله»، والكل متقارب.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٧١ من طرق عدة عن الربيع بن أنس، ومحمد بن كعب القرظي وابن زيد. وأخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٤٧٣، عن الربيع والقرظي. وانظر: الدر المنثور ٣/ ١٥٣، ١٥٤.

(٥) في (أ): (رسلهم).

قال بعض أهل المعـــاني[١] : «وهذا القول هو وجه التأويل لذكر (حتى) على معنى الانتهاء ، يعني : أنهم يســتوفون أعمارهم وأرزاقهم إلى الموت» ، فعلى هذا القول معنى (حتى) الانتهاء والغاية[٢] ، وعلى القولين الأولين ليست (حتى) في هذه الآية التي للغاية[٣] ، بل هي التي تدخل على الجمل ، وينصرف بعدها الكلام إلى الابتداء (كأما)[٤] (وإذا) ولا تعلق لقوله : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا﴾ بما قبله ، بل هذا ابتداء خبر أُخبر عنهم ،كقوله :

فَيَاعَجَبِي حَتَّى كُلَيْبٌ تَسُبُّنِي[٥]

---

(١) ومنهم الطبري في تفسيره ٨/ ١٧٢ ، وقال ابن كثير في تفسيره ٢/ ٢٣٧ : «وهذا القول قوي في المعنى والسياق يدل عليه» اهـ .

(٢) يعني أن مجيء الرسل للتوفي كالغاية لحصول ذلك النصيب ، فينبغي أن يكون حصول ذلك النصيب متقدماً على حصول الوفاة ، والمتقدم على حصول الوفاة ليس إلا العمر والرزق ، أفاد ذلك الرازي في تفسيره ١٤/ ٧١ .

(٣) نقل قول الواحدي السمين في الدر ٥/ ٣١٠ ثم قال : «هذا غير مرضي منه لمخالفته الجمهور ؛ إذ الغاية معنى لا يفارقها ، وقوله : لا تعلق لها بما قبلها ممنوع على جميع الأقوال التي ذكرها . والظاهر أنها إنما تتعلق بقوله : ﴿يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم﴾» اهـ . ملخصاً .

(٤) قال سيبويه في الكتاب ٣/ ١٧ ، ١٨ : «حتى صارت هاهنا بمنزلة إذا ، وما أشبهها من حروف الابتداء» اهـ . وانظر : حروف المعاني للزَّجَّاجي ٦٤ ، ومعاني الحروف للرماني ١١٩ ، ١٦٤ ، والمغني لابن هشام ١/ ١٢٨ .

(٥) البيت للفرزدق في ديوانه ١/ ٤١٩ ، وعجزه :

كَأَنَّ أَبَاهَا نَهْشَلٌ أَوْ مُجَاشِعُ

وهو في الكتاب ٣/ ١٨ ، والأصول ١/ ٤٢٥ ، ونزهة الأعين لابن الجوزي ٢٤٤ ، والمغني لابن هشام ١/ ١٢٩ ، وبلا نسبة في المقتضب ٢/ ٣٩ ، ومعاني الحروف للرماني ١٦٥ ، والموضح في التفسير للحدادي ٥٦ ، ورصف المباني ٢٥٧ ، والدر المصون ٥/ ٣١٠ .

وكليب : هو ابن يربوع بن حنظلة ، بطن من ربيعة من عامر بن صعصعة ، وهو رهط جرير . انظر : نهاية الأرب ٣٦٦ ، ونهشل : بطن من حنظلة من تميم . انظر : نهاية الأرب ٣٧٠ ، ومجاشع : بطن من دارم من تميم ، وهو رهط الفرزدق . انظر : نهاية الأرب ٣٨٦ ، والشاهد : حتى كليب ، فقد جاءت (حتى) حرف ابتداء ، ودخلت على الجملة الاسمية ، وانظر : شرح شواهد المغني للسيوطي ١/ ١٤ ، والخزانة ٩/ ٤٧٥ .

ويؤكد القول الأول أن ذكر عظم الظلم يقتضي ذكر الوعيد[١] بالعذاب .

وقوله تعالى : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ﴾ . قال سيبويه[٢] والخليل : «لا يجوز إمالة حتى ، وإلَّا ، وأما ، وهذه ألفات ألزمت الفتح ؛ لأنها أواخر حروف جاءت لمعنى ، ففصل بينها[٣] وبين أواخر الأسماء التي فيها الألف ، نحو حُبْلَى وهدى ، إلا أن (حتى) كتبت بالياء لأنها على أربعة أحرف فأشبهت سَكْرى»[٤] .

وقال بعض النحويين : «لم يجز إمالة (حتى) لأنها حرف لا ينصرف ، والإمالة ضرب من التصرف»[٥] .

---

(١) والظاهر ـ والله أعلم ـ هو عموم ما كتب عليهم من أجل وعمل ورزق في أم الكتاب ، وهو اختيار ابن القيم كما في بدائع التفسير ٢/ ٢٠٩ ، ٢١٠ ، فقد ذكر عامة الأقوال التي ذكرها الواحدي ، ثم قال : «والصحيح القول الأول ، وهو نصيبهم الذي كتب لهم أن ينالوه قبل أن يخلقوا ، ونصيبهم يتناول الأمرين ، نصيبهم من الشقاوة ، ونصيبهم من الأعمال التي هي أسبابها ، ونصيبهم من الأعمار التي هي مدة اكتسابها ، ونصيبهم من الأرزاق التي استعانوا بها على ذلك ، فعمت الآية هذا النصيب كله ، وذكر هؤلاء بعضه وهؤلاء بعضه ، هذا على القول الصحيح ، وأن المراد ما سبق لهم في أم الكتاب ، ولهذا القول وجه حسن ، وهو أن نصيب المؤمنين من الرحمة والسعادة ، ونصيب هؤلاء من العذاب والشقاوة ، فنصيب كل فريق منه ما اختاروه لأنفسهم وآثروه على غيره ، كما أن حظ المؤمنين منه كان الهدى والرحمة ، فحظ هؤلاء منه الضلال والخيبة ، فكان حظهم من هذه النعمة أن صارت نقمة وحسرة عليهم» اهـ . ملخصاً . وانظر : معاني النحاس ٣/ ٣٠ ، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٣٩ ، والماوردي ٢/ ٢٢١ ، والبغوي ٣/ ٢٢٧ ، وابن عطية ٧/ ٥٤ ، وابن الجوزي ٣/ ١٩٣ ، والرازي ١٤/ ٧٠ ، ٧١ ، والقرطبي ٧/ ٢٠٣ .

(٢) الكتاب ٤/ ١٣٥ ، وفيه قال : «ومما لا يميلون ألفه (حتى) (وأمَّا) (وإلَّا) ، فرقوا بينها وبين ألفات الأسماء نحو حبلى وعطشى . وقال الخليل : لو سميت رجلاً بها وامرأة جازت فيها الإمالة» اهـ . وانظر : المقتضب ٣/ ٥٢

(٣) في (ب) : (بينهما) .

(٤) هذا نص الزَّجَّاج في معانيه ٢/ ٣٣٥ ، وانظر : إعراب النحاس ١/ ٦١١ ، والتكملة لأبي علي ٥٣٨ ، والكشف لمكي ١/ ١٩٣ .

(٥) ذكر الرازي في تفسيره ١٤/ ٧١ مثله .

قال ابن عباس : «﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ﴾ ، يريد : الملائكة يقبضون أرواحهم»[(١)] ، ﴿قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ سؤال تبكيت وتقريع ، ﴿قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا﴾ ؛ أي بطلوا وذهبوا ، ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ ، اعترفوا عند معاينة الموت وأقروا على أنفسهم بالكفر ، قال ابن عباس في هذه الآية : «يريد : أن الموت ، قيامة الكافر ، والموت راحة المؤمن»[(٢)] هذا قول أهل التفسير ، وذهب بعض أهل المعاني : «إلى أن هذا يكون في الآخرة ، ومعنى قوله : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا﴾ ؛ أي ملائكة العذاب ، ﴿يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ﴾ ؛ أي يتوفون عدتهم وفاة الحشر إلى النار ، على معنى : يستكملونهم جميعاً لا يغادرون منهم أحداً» .

وذكر الزَّجَّاج هذه الوجه[(٣)] في أحد قوليه .

وهذا يحكى عن الحسن[(٤)] أيضاً .

٣٨. قوله تعالى : ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٍ﴾ الآية . الله تعالى يقول ذلك ، أخبر عن نفسه ، كذلك قال أهل التفسير .

---

(١) تنوير المقباس ٢/ ٩٢ ، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٧٨ .

(٢) ذكره الرازي في تفسيره ١٤/ ٧١ .

(٣) معاني القرآن ٢/ ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، وقال : «هو أضعف الوجهين» ، وكذلك ذكر القولين النحاس في معانيه ٣/ ٣١ ، ٣٢ .

(٤) ذكره هود الهواري في تفسيره ٢/ ١٦ ، والماوردي ٢/ ٢٢١ ، وابن الجوزي ٣/ ١٩٤ ، والرازي ١٤/ ٧١ والأول أظهر وهو ما رجحه جمهور المفسرين ، والمعنى يتمتعون في الدنيا بقدر ما كتب لهم ، حتى إذا جاءهم ملك الموت وأعوانه يتوفونهم عند الموت ، أقروا على أنفسهم بالكفر ، وانظر : تفسير الطبري ٨/ ١٧٢ ، والسمرقندي ١/ ٥٣٩ ، والبغوي ٣/ ٢٢٧ ، وابن عطية ٥/ ٤٩٦ .

وقال مقاتل: «هو من كلام خازن النار»[(١)].

وقوله تعالى: ﴿فِىٓ أُمَمٍ﴾، قال عطاء: «يريد في النار مع أمم»[(٢)]، وعلى هذا في الآيــة تقديم وتأخير ومجاز[(٣)] لأن التقدير: ادخلــوا في النار مع أمم قد خلت من قبلكم، واســتعمال (في) بمعنى (مع)[(٤)] مجاوز[(٥)]، ويمكن أن يقال: قوله: ﴿فِىٓ أُمَمٍ﴾ من صلة ﴿ٱدْخُلُوا۟﴾، وقوله[(٦)]: ﴿فِى ٱلنَّارِ﴾ من تمام[(٧)] صفة الأمم، يقول: ادخلوا في أمم في النار، فلا يكون في الآية تقديم ولا تأخير ولا مجاز[(٨)].

---

(١) تفسير مقاتل ٢/ ٣٦، وهو قول السمرقندي في تفسيره ١/ ٥٣٩، وابن عطية ٥/ ٤٩٧، وقال ابن الجوزي ٣/ ١٩٤: «إن الله تعالى يقول لهم ذلك بواسطة الملائكة؛ لأن الله -تعالى- لا يكلم الكفار يوم القيامة»، والأول أظهر، وهو اختيار جمهور المفسرين.

انظر: تفسير الطبري ٨/ ١٧٣، والبغوي ٣/ ٢٢٨، والزمخشري ٢/ ٧٨، والقرطبي ٧/ ٢٠٤، والبحر ٤/ ٢٩٥.

(٢) لم أقف عليه، وهو قول ابن قتيبة في تفسير الغريب ١٧٧، ومكي في تفسير المشكل ٨٦، وقال النحاس في معانيه ٣/ ٣٢: «قيل: معنى (في) معنى (مع)، وهذا لا يمتنع؛ لأن قولك: زيد في القوم معناه مع القوم، ويجوز أن تكون (في) على بابها» اهـ.

(٣) لفظ: (ومجاز) ساقط من (أ).

(٤) لفظ: (مع) ساقط من (ب).

(٥) مجاوز؛ أي جائز، وانظر: حروف المعاني للزَّجَّاجي ٨٣، ورصف المباني ٤٥٣، ومغني اللبيب ١/ ٤٦٨، وقال الرماني في معاني الحروف ٩٦: «زعم الكوفيون أنها تكون بمعنى (مع)، والبصريون يقولون (في) على بابها»، وقال شيخ الإسلام في الفتاوى ١٣/ ٣٤٨: «والعرب تضمن الفعل معنى الفعل وتعديه تعديته، ومن هنا غلط من جعل بعض الحروف تقوم مقام بعض، والتحقيق ما قاله نحاة البصرة من التضمين» اهـ.

(٦) في (ب): (فقوله).

(٧) في (ب): (مع تمام).

(٨) وهذا هو الظاهر، واختيار الجمهور. انظر: تفسير الطبري ٨/ ١٧٣، والكشاف ٢/ ٧٨، وابن عطية ٥/ ٤٩٧، ٤٩٨، والبحر ٤/ ٢٩٥، والدر المصون ٥/ ٣١٢.

وقولــه تعالى : ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾ يعني النــار ﴿لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [قال الفرَّاء : «يعني : التي سبقتها إلى النار ، وهي أختها][١] في دينها لا في النسب»[٢] .

قال ابن عباس : «يريد : يلعنون من كان قبلهم»[٣] .

وقال الزَّجَّاج : ﴿لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ ؛ «لأنهم ضل بعضهم باتباع بعض»[٤] .

قال مقاتل : «كلــما دخل أهل ملة النار لعنوا أهــل ملتهم ، يلعن المشركون المشركين ، ويلعن اليهود اليهــود ، وكذلك النصارى ، والمجوس ، والصابئون ، ويلعن الأتباع القادة ، يقولون : لعنكم الله ، أنتم غررتمونا حتى أطعناكم»[٥] .

وقوله تعالى : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا﴾ ، ﴿ٱدَّارَكُواْ﴾ ؛ أي تداركوا ، والكلام فيــه كالكلام في قوله : ﴿فَٱدَّٰرَءۡتُمۡ﴾[٦] [البقرة : ٧٢] ، وقد مر[٧] ، ومعنى تداركوا : تتابعوا[٨] ، وتلاحقوا ، قال ابن عباس : «توافوا فيها جميعاً»[٩] .

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٢) معاني القرآن ١/ ٣٧٨ .

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٧٩ ، وابن الجوزي ٣/ ١٩٤ .

(٤) معاني القرآن ٢/ ٣٣٦ .

(٥) تفسير مقاتل ٢/ ٣٦ ، وأخرجه الطبري ٨/ ١٧٣ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٧٥ بسند جيد عن السدي .

(٦) جاء في النسخ : (ادارأتم) ، وهو تحريف .

(٧) انظر : البسيط ، [البقرة :٧٢] .

(٨) (اداركوا) أصله (تداركوا) ، فأدغمت التاء في الدال واجتلبت الألف ليسلم السكون ، وتدارك القوم ؛ أي تلاحقوا وتتابعوا ولحق آخرهم أولهم . انظر : العين ٥٦/ ٣٢٧ ، والجمهرة ٢/ ٦٣٦ ، وتهذيب اللغة ٢/ ١١٧٨ ، والصحاح ٤/ ١٥٨٢ ، والمجمل ٢/ ٣٢٢ ، والمفردات ٣١١ ، واللسان (درك) ٣/ ١٣٦٣ .

(٩) تنوير المقباس ٢/ ٩٣ ، وفيه : «اجتمعوا في النار» اهـ .

قال الزَّجَّاج : «وهو[١] منصوب على الحال ؛ أي مجتمعين» .

وقوله تعالى : ﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ﴾ ، يعني بالأخرى : آخر الأمم ، وبالأولى : أول الأمم ، وبيانه ما قاله السدي : «﴿أُخْرَىٰهُمْ﴾ يعني : الذين كانوا في آخر الزمان ، ﴿لِأُولَىٰهُمْ﴾ يعني : الذين شرعوا لهم ذلك الدين»[٢] . وقال مقاتل : «﴿أُخْرَىٰهُمْ﴾ يعني : آخرهم دخولاً النار ، وهم الأتباع ﴿لِأُولَىٰهُمْ﴾ دخولاً وهم القادة»[٣] . وتأويل هذا راجع إلى معنى القول الأول ؛ لأن[٤] آخرهم دخولاً النار هم الأتباع ، والأولى هم القادة ، فالمعنى على القولين جميعاً : قالت الأتباع للقادة : ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾[٥] .

قال ابن عباس : «لأنهم شرعوا لنا أن نتخذ من دونك إلهاً ، ﴿فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ ، قال : يريد أضعف عليهم العذاب بأشد مما تعذبنا به»[٦] .

وأما معنى الضعف ، فقال أبو عبيدة : «هو مثل الشيء مرة واحدة»[٧] .

---

(١) يعني قوله : ﴿جَمِيعًا﴾ . انظر : معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٣٦ ، وإعراب النحاس ١/ ٦١١ ، والمشكل لمكي ١/ ٢٩٠ .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٧٤ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٧٥ بسند جيد .

(٣) تفسير مقاتل ٢/ ٣٦ .

(٤) في (ب) : إلا أن ، وهو تحريف .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٨/ ١٧٣ ، ومعاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٣٦ ، والنحاس ٣/ ٣٣ ، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٤٠ ، والماوردي ٢/ ٢٢٢ .

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٧٩ ، وابن الجوزي في تفسيره ٣/ ١٩٥ .

(٧) في مجاز القرآن ١/ ٢١٤ : «أي عذابين ، مضعف فصار شيئين» ، وفي تهذيب اللغة ٣/ ٢١١٨ ، عن أبي عبيدة قال : «معناه يجعل الواحد ثلاثة» اهـ . وضعف الشيء ـ بالكسر ـ مثله ، ويقال : مثلاه ، وضعفاه : مثلاه ، وأضعافه : أمثاله ، وقال الخليل في العين ١/ ٢٨٢ : «التضعيف أن يزاد على أصل الشيء فيجعل مثلين أو أكثر» اهـ .

وانظر : الجمهرة ٢/ ٩٠٣ ، والصحاح ٤/ ١٣٩٠ ، والمجمل ٢/ ٥٦٢ ، والمفردات ٥٠٨ ، واللسان (ضعف) ٥/ ٢٥٨٨ .

قال الأزهري : «الذي قاله أبو عبيدة هو ما يستعمله الناس في مجاز كلامهم . وقد قال الشافعي -رحمه الله- ما يقارب هذا في رجل أوصى ، فقال : «أعطوا فلاناً ضعف ما يصيب ولدي ، قال : يعطي مثله مرتين»[١] .

قال الأزهري : والوصايا يستعمل فيها العرف وما يسبق إلى الأفهام ، فأما كتاب الله فهو عربي مبين ، ويرد تفسيره إلى موضوع كلام العرب الذي هو صيغة ألسنتها ، والضعف في كلام العرب المثل إلى ما زاد ، وليس بمقصور على مثلين ، وجائز في كلام العرب أن تقول : هذا ضعفه[٢] ؛ أي مثلاه وثلاثة أمثاله ؛ لأن الضعف في الأصل زيادة غير محصورة ، ألا ترى قول الله[٣] عز وجل : ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟﴾ [سبأ : ٣٧] ، ولم يرد مثلاً ولا مثلين ، وأولى الأشياء به أن يجعل عشرة أمثاله ؛ لقوله تعالى : ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام : ١٦٠] ، فأقل الضعف محصور وهو المثل ، وأكثره غير محصور»[٤] .

ونحو هذا قال الزَّجَّاج في هذه الآية : ﴿فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ ؛ «أي عذاباً مضاعفاً ؛ لأن الضعف في كلام العرب على ضربين أحدهما : المثل ، والآخر : أن يكون في معنى تضعيف الشيء[٥] ؛ أي زيادته[٦] إلى ما لا يتناهى» .

(١) انظر : المجموع ١٥/ ٤٨٠-٤٨٢ ، وروضة الطالبين ٥/ ١٩٥ ، وفيهما : «الضعف عند الشافعية هو الشيء ومثله ، فإذا أوصى بضعف نصيب ابنه وله ابن واحد ، فهي وصية بالثلثين» اهـ . وانظر : تفسير والرازي ١٤/ ٧٤ .

(٢) في تهذيب اللغة (ضعفاه) ٣/ ٢١١٨ .

(٣) في (ب) : (قول الله تعالى) .

(٤) انظر : تهذيب اللغة ٣/ ٢١١٨ .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٣٧٧ ، وقوله : «أي زيادته . . . .» غير موجود فيه .

(٦) في (ب) : (أي زيادة) .

فأما اللام في قوله : ﴿لِأُولَىٰهُمْ﴾ ، فقال الزَّجَّاج : «المعنى : قالت أخراهم : يا ربنا هؤلاء أضلونا ، لأولاهم ؛ أي تعني أولاهم»[١] ، فعلى هذا ليست اللام من صلة القول ؛ لأنهم قالوا لله تعالى : ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾ ، ولم يقولوا لأولاهم شيئاً ، ولكن اللام لإبانة[٢] أنهم عنوا بقولهم : ﴿هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾ أولاهم ، وهم القادة ، فاللام هاهنا لام (أجل) ؛ أي لأجلهم ولإضلالهم إياهم ، قالوا : ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾ ، فقال الله تعالى : ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ ، قال ابن عباس : «يريد : لأولاكم ضعف ، ولأخراكم عذاب مضعف»[٣] .

قال الزَّجَّاج : «أي للتابع والمتبوع ؛ لأنهم قد دخلوا في الكفر جميعاً ؛ أي لكل عذاب مضاعف .

وقوله تعالى : ﴿وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ ؛ أي ولكن لا تعلمون أيها المخاطبون ما لكل فريق منكم من العذاب ، ويجوز : ولكن لا تعلمون يا أهل الدنيا ما مقدار ذلك»[٤] .

---

(١) معاني القرآن ٢/ ٣٣٦ ، وعليه اللام للتعليل ؛ أي لأجل ، ولا تكون للتبليغ ؛ لأن خطابهم مع الله لا معهم . انظر : الكشاف ٢/ ٧٨ ، والدر المصون ٥/ ٣١٥ .

(٢) في (أ) : (ولكن اللام بإنه أنهم عنوا) .

(٣) في (أ) : (عذاب ضعف) . والأثر لم أقف عليه ، وفي تنوير المقباس ٢/ ٩٤ ، قال : «لكل واحد منهم ضعف» اهـ .

وقال الماوردي في تفسيره ٢/ ٢٢٢ : «أي فلكم أيها الأتباع ضعف العذاب ، وهذا قول الجمهور ، وإن ضعف الشيء زيادة مثله» اهـ . وانظر : بدائع التفسير ٢/ ٢١١ .

(٤) هذا كله قول الزَّجَّاج في معانيه ٢/ ٣٧٧ ، وانظر : تفسير الطبري ٨/ ١٧٤ ، ومعاني النحاس ٢/ ٣٣ ، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٤٠ .

ومـــن قرأ[١] بالياء فمعنـــاه : ولكن لا يعلم كل فريق مقـــدار عذاب الفريق الآخر[٢] ، فيحمل الكلام على (كل) ؛ لأنه وإن كان للمخاطبين فهو اســـم ظاهر موضوع للغيبة ، فحمل على اللفظ دون المعنى[٣] .

قوله تعـــالى : ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ ، قـــال الضحاك : «لأنكم كفرتم كما كفرنا ، فنحن وأنتم في الكفر شرع سواء ، وفي العذاب أيضاً»[٤] .

وقال أبو مِجْلَز[٥] : «فما لكم علينا من فضل في ترك الضلال»[٦] .

٤٠. قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ .

قال أبو إسحاق : «أي كذبوا بحججنا[٧] وأعلامنا التي تدل على نبوة الأنبياء وتوحيد الله عز وجل»[٨] .

---

(١) قرأ عاصم في رواية أبي بكر : ﴿وَلَـٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ بالياء على الغيبة ، وقرأ الباقون بالتاء على الخطاب . انظر : السبعة ٢٨٠ ، والمبسوط ١٨٠ ، والتذكرة ٢/ ٤١٨ ، والتيسير ١١٠ ، والنشر ٢/ ٢٦٩ .

(٢) هذا قول الزَّجّاج في معانيه ٢/ ٣٣٧ ، والنحاس في معانيه ٣/ ٣٣ .

(٣) هذا قول أبي علي في الحجة ٤/ ١٧ ، وانظر : معاني القراءات ١/ ٤٠٥ ، والحجة لابن زنجلة ٢٨١ ، والكشف ١/ ٤٦٢ .

(٤) ذكره من دون نسبة السمرقندي في تفسيره ١/ ٥٤٠ ، والثعلبي ١٩٠أ ، والبغوي ٣/ ٢٢٨ .

(٥) أبو مِجْلَز : لاحق بن حميد بن سعيد السدوسي البصري ، إمام ، تابعي ، ثقة .

(٦) أخرجه الطبري ٨/ ١٧٥ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٧٦ بسند جيد بلفظ : يقول : «فما فضلكم علينا ، وقد بين لكم ما صنع بنا وحذرتم ؟» اهـ . وذكره السيوطي في الدر ٣/ ١٥٤ .

(٧) في (أ) : «بحجتنا» .

(٨) معاني الزَّجّاج ٢/ ٣٣٧ ، وانظر : تفسير الطبري ٨/ ١٧٥ ، والسمرقندي ١/ ٥٤٠ .

﴿وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا﴾ ، معنى الاستكبار[١] : طلب الترفع بالباطل ، وصفة مستكبر صفة ذم في جميع العباد ، ومعنى ﴿وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا﴾ : ترفعوا[٢] عن الإيمان بها والانقياد لأحكامها .

وقوله تعالى : ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ ، قرأ[٣] أكثر القراء : ﴿تُفَتَّحُ﴾ بالتاء والتشديد ، ووجهها قوله : ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ﴾ [ص : ٥٠] ، فقياس ﴿مُّفَتَّحَةً﴾ تُفَتَّح ، وقرأ أبو عمرو : ﴿تُفَتَّحُ﴾ خفيفة ، وحجته قوله : ﴿فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ [الأنعام : ٤٤] ، ﴿فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [القمر : ١١] ، [وقرأ حمزة والكسائي : (يُفْتَحُ) بالياء خفيفة ، لتقدم الفعل .

ومعنى : ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾][٤] لا تصعد أعمالهم إليها[٥] .

---

(١) الكِبْر بكسر الكاف وسكون الباء ، والتكبر والاستكبار تتقارب : وهو العظمة والإعجاب بالنفس ، وأعظمه الامتناع عن قبول الحق معاندة وبطراً .
انظر : العين ٥/ ٣٦١ ، والجمهرة ١/ ٣٢٧ ، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٠٩١ ، والصحاح ٢/ ٨٠١ ، والمجمل ٣/ ٧٧٦ ، والمفردات ٦٩٦ ، واللسان (كبر) ٦/ ٣٨٠٨ .

(٢) في (ب) : (وقفوا) .

(٣) قرأ أبو عمرو : (يَفْتَحُ) بالتاء مع إسكان الفاء وتخفيف التاء الثانية ، وقرأ حمزة والكسائي مثلها إلا أنه بالياء : (يَفْتَحُ) ، وقرأ الباقون : (يَفْتَحُ) بالتاء مع فتح الفاء وتشديد التاء الثانية . انظر : السبعة ٢٨٠ ، والمبسوط ١٨٠ ، والتذكرة ٢/ ٤١٨ ، ٤١٩ ، والتيسير ١١٠ ، والنشر ٢/ ٢٦٩ .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٥) ما تقدم هو قول أبي علي في الحجة ٤/ ١٨ ، ١٩ ، وانظر : معاني القراءات ١/ ٤٠٥ ، وإعراب القراءات ١/ ١٨٠ ، والحجة لابن زنجلة ٢٨٢ ، والكشف ١/ ٤٦٢ .

قال ابن عباس : «يريد : لا تفتح لأعمالهم ولا لدعائهم ولا لشيء مما يريدون به الله»[١] ، وهذا قول أكثر المفسرين[٢] .

وقال السدي[٣] وغيره[٤] : «لا تفتح لأرواحهم أبواب السماء ، وتفتح لأرواح المؤمنين» .

يدل على صحة هذا التأويل ما روي في حديث طويل : «أن روح المؤمن يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها ، فيقال : مرحباً بالنفس الطيبة التي كانت في الجسد الطيب ، فيقال لها ذلك حتى تنتهي إلى السماء السابعة ، ويستفتح لروح الكافر ، فيقال لها : ارجعي ذميمة ، فإنه لا يفتح لك أبواب السماء»[٥] .

---

(١) أخرجه سفيان الثوري في تفسيره ١١٢ ، والطبري ٨/ ١٧٦ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٧٧ من طرق جيدة عدة .

(٢) ومنهم الفرَّاء في معانيه ١/ ٣٧٩ ، وأخرجه الطبري ٨/ ١٧٦ ، من طرق عن مجاهد وإبراهيم النخعي وسعيد بن جبير .

(٣) أخرجه الطبري ٨/ ١٧٥ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٧٦ بسند جيد .

(٤) أخرجه الطبري ٨/ ١٧٥ ، ١٧٦ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٧٦ بسند ضعيف عن الضحاك عن ابن عباس .

(٥) أخرجه ابن ماجه في سننه ، رقم : ٤٢٦٢ ، كتاب : الزهد ، باب : ذكر الموت والاستعداد له ، بسند جيد عن أبي هريرة ، وأخرج أبو داود الطيالسي في مسنده ١٠٢ ، ١٠٣ ، وعبدالرزاق في المصنف ٣/ ٥٨٠ ، وأحمد في المسند ٤/ ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، وأبو داود رقم : ٤٧٥٣ ، كتاب : السنة ، باب : في المساءلة في القبر ، والطبري ٨/ ١٧٧ ، والحاكم في المستدرك ١/ ٣٧ـ٤٠ ، من طرق عدة عن البراء ابن عازب ـرضي الله عنهـ مطولاً نحوه ، وقال الحاكم : «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين» اهـ . وله شواهد وطرق أخرى ذكرها السيوطي في الدر ٣/ ١٥٥ ، وانظر : مرويات الإمام أحمد في التفسير ٢/ ١٠٦ ، ١٠٧ و١٧٥ـ١٧٨ ، و٤٣٤ ، ٤٣٥ .

وأجمل الزَّجّاج كل هذا فقال: «أي لا تصعد أرواحهم ولا أعمالهم إلى السماء؛ لأن أعمال المؤمنين وأرواحهم تصعد إلى السماء»(١).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾، الولوج معناه: الدخول، والإيلاج: الإدخال(٢)، وسئل ابن مسعود عن الجمل، فقال: «الجمل: زوج الناقة»(٣).

قال الليث(٤): «وإنما يستحق هذا الاسم إذا بزل»(٥).

---

(١) معاني القرآن ٢/ ٣٣٧، وهذا القول هو الظاهر واختيار جمهور المفسرين، ومنهم الطبري ٨/ ١٧٦، وابن عطية ٥/ ٥٠٢، وابن كثير ٢/ ٢٣٨، ولا مانع من حمل الآية على ما يعم الأرواح والدعاء والأعمال، ولا ينافيه ورود ما ورد من أنها لا تفتح أبواب السماء لواحد من هذه، فإن ذلك لا يدل على فتحها لغيره مما يدخل تحت عموم الآية، أفاده الشوكاني في فتح القدير ٢/ ٢٩٩، وانظر: معاني النحاس ٣/ ٣٤، وتفسير القرطبي ٧/ ٢٠٦، وبدائع التفسير ٢/ ٢١٢.

(٢) انظر: الجمهرة ١/ ٤٩٣، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٩٤٩، والصحاح ١/ ٣٤٧، والمجمل ٤/ ٩٣٧، والمفردات ٨٨٢، واللسان (ولج) ٨/ ٤٩١٣.

(٣) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢٢٩، والطبري ٨/ ١٧٨، من طرق جيدة عدة إلا أنه مرسل؛ لأنه من طريق إبراهيم النخعي ومجاهد، وهما لم يسمعا من ابن مسعود، انظر: المراسيل لابن أبي حاتم ٩ و٢٠٥، والأثر ذكره السيوطي في الدر ٥/ ١٥٧: «وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور والفريابي وعبدبن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ والطبراني في الكبير»، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٢٣ وقال: «رواه الطبراني من طريقين، ورجال أحدهما رجال الصحيح إلا أن إبراهيم النخعي لم يدرك ابن مسعود والأخرى ضعيفة» اهـ.
(والجمل) بالفتح وتخفيف الميم: معروف، وهو زوج الناقة، وهو الظاهر وقول جمهور المفسرين، وذكر أثر ابن مسعود الزَّجّاج في معانيه ٢/ ٣٣٨، والنحاس في معانيه ٣/ ٣٥ وقالا: «كأنه استجهل من سأله عما يعرفه الناس جميعاً».
وانظر: معاني الفرّاء ١/ ٣٧٩، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٤٠، وتفسير الماوردي ٢/ ٢٢٣١.

(٤) تهذيب اللغة ١/ ٦٥٥، وانظر: العين ٦/ ١٤١، والجمهرة ١/ ٤٩١، والصحاح ٤/ ١٦٦١، والمجمل ١/ ١٩٨، والمفردات ٢٠٣، واللسان (جمل) ٢/ ٦٨٣.

(٥) بَزَل البعير يَبْزُل بُزُولاً: فطر نابه؛ أي انشق وطلع. انظر: اللسان (بزل) ١/ ٢٧٦.

والسم[١] : ثقب الإبرة ، ويقال أيضاً : بالضم ، وبه قرأ[٢] ابن سيرين ، وكل ثقب في البدن لطيف فهو سم ، وجمعه سموم .

وقال الفرزدق :

فَنَفَّسْتُ عَنْ سَمَّيْهِ حَتَّى تَنَفَّسَا وقُلتُ لَهُ لَا تَخْشَ شَيْئاً وَرَائِيا[٣]

ومنه قيل : السم القاتل ؛ لأنه ينفذ بلطفه في مسام البدن حتى يصل إلى القلب ، و﴿ٱلۡخِيَاطِ﴾[٤] : ما يخاط به ، قال الفرَّاء : «ويقال : خِياط ومِخْيَط ، كما يقال : إزار ومِئْزر ، ولِحاف ومِلْحف ، وقِناع ومِقْنع» .[٥]

قال الزَّجَّاج : «والمعنى : لا يدخلون الجنة أبداً»[٦] .

قال ابن الأنباري : «وإنما خص الجمل من بين الحيوان بالذكر ؛ إذ كان أكثر شأناً عند العرب من سائر الدواب ، والعرب تقدمه في القوة على سائرها من أجل

---

(١) السَّمُّ ـبفتح السين وضمهاـ لغتان ، قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ١/ ٢١٤ : «كل ثقب فهو سَمٌّ ، والجميع سموم» ، وانظر : الجمهرة ١/ ١٣٥ ، وتهذيب اللغة ٢/ ١٧٦١ ، والصحاح ٥/ ١٩٥٣ ، والمجمل ٢/ ٤٥٥ ، والمفردات ٤٢٤ ، واللسان (سمم) ٤/ ٢١٠٢ .

(٢) ذكرها النحاس في معانيه ٣/ ٣٦ ، وابن عطية ٥/ ٥٠٣ ، والرازي ١٤/ ٧٦ ، والقرطبي ٧/ ٢٠٧ ، وهي قراءة جماعة ، منهم ابن مسعود وأبو رزين وأبو السمال وقتادة وابن محيصن وطلحة بن مصرف ، انظر : مختصر الشواذ ٤٩ ، وزاد المسير ٣/ ١٩٨ ، والبحر ٤/ ٢٩٧ .

(٣) ليس في ديوانه ، وهو في تفسير الطبري ٨/ ١٧٨ ، والدر المصون ٥/ ٣١٨ ، وصدره بلا نسبة في تهذيب اللغة ٢/ ١٧٦٣ ، واللسان (سمم) ٨/ ٢١٠٣ ، ويعني بسميه : ثقبي أنفه ، أفاده الطبري .

(٤) الخَيْط ، بفتح الخاء وسكون الياء : واحد الخيوط معروف ، وهو السلك ، والخياط والمِخْيَط : الإبرة وما يخيط به .
انظر : العين ٤/ ٢٩٣ ، والجمهرة ١/ ٦١١ ، وتهذيب اللغة ١/ ٩٦٤ ، والصحاح ٣/ ١١٢٥ ، ومجمل اللغة ٢/ ٣٠٨ ، والمفردات ٣٠٢ ، واللسان (خيط) ٣/ ١٣٠٢ .

(٥) معاني الفرَّاء ١/ ٣٧٩ ، ومثله ذكر الطبري ٨/ ١٧٨ .

(٦) معاني القرآن ٢/ ٣٣٨ ، وهو قول عامة المفسرين . انظر : الطبري ٨/ ١٧٨ ، ومعاني النحاس ٣/ ٣٥ ، والسمرقندي ١/ ٥٤٠ ، والماوردي ٢/ ٢٢٢ .

أنـــه يوقر بحمله وهو بارك فينهض به ، ولم تر العرب أعظم منها[١] جســـماً في ما رأت من الحيوان»[٢] .

وقال أهل المعاني[٣] : علق الله تعالى[٤] دخولهم الجنة بولوج الجمل في ســـم الخيـــاط ، فكان ذلك نفياً لدخولهم الجنة على التأبيد ، وذلك أن العرب إذا علقت ما يجوز كونه بما لا يجوز كونه ، استحال كون[٥] ذلك الجائز الكون ، كما يقال : لا يكون هذا حتى يَشِيبَ الغُرَاب ، وحتى يَبْيَض القار[٦] وكما قال الشاعر :

إذا شَابَ الغُـرابُ أَتَيْتُ أهْلـي  وصارَ القــارُ كاللَّبــنِ الحليبِ[٧]

وقولـــه تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ . قـــال الزَّجَّاج : «أي ومثل الـــذي وصفنـــا ﴿نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾[٨] ، قال : والمجرمـــون –والله أعلم– هاهنا الكافرون ؛ لأن الذي ذكر من قصتهم التكذيب بآيات الله والاستكبار عنها»[٩] .

---

(١) كذا في النسخ : (منها) ؛ أي الجمال ، والأولى : (منه) ؛ أي الجمل .

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ١٩٧ .

(٣) ذكره الخازن ٢/ ٢٢٩ عن بعض أهل المعاني .

(٤) لفظ : (تعالى) ساقط من (ب) .

(٥) في (ب) : (استحال دون) .

(٦) ذكره ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ١٧٧ ، وقولهم : «لا يكون هذا حتى يشيب الغراب ويبيض القار» ، يتمثل به في اليأس عن الشيء . انظر : جمهرة الأمثال ١/ ٣٦٣ ، والمستقصى للزمخشري ٢/ ٥٩ .

(٧) الشاهد في تفسير الماوردي ٢/ ٢٢٣ ، ووضح البرهان للغزنوي ٢/ ٧٣ ، وتفسير الخازن ٢/ ٢٢٩ ، والدر المصون ٥/ ٣٢٠ من غير نسبة ، وفي حاشية وضح البرهان أفاد أنه للقارظ العنزي ، ونسب إلى تميم الداري .

(٨) لفظ : (نجزي المجرمين) ساقط من (أ) .

(٩) معاني القرآن ٢/ ٣٣٨ ، ومثله ذكر النحاس في معانيه ٣/ ٣٦ ، والسمرقندي ١/ ٥٤١ ، وقال الطبري ٨/ ١٨١ : يقول : «وكذلك نثيب الذين أجرموا في الدنيا ما استحقوا به من الله ، العذاب الأليم في الآخرة» اهـ .

٤١. قوله تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾.

قال الليث: «المهاد: اسم جمع[(١)] من المهد، كالأرض جعلها[(٢)] الله مهاداً للعباد، وجمع المِهاد: مُهُد، وثلاثة أمْهِدَة»[(٣)]، الأزهري: «أصل المهد في اللغة التوثير، ويقال للفراش: مهاد لوثارته»[(٤)].

والغواشي[(٥)]: جمع غاشية، وهي كل ما يغشاك؛ أي يُجللك[(٦)]، و(جَهَنَّمُ) لا ينصرف لاجتماع التأنيث فيها والتعريف. قال بعض أهل اللغة: «واشتقاقها من الجهومة، وهي الغلظ، يقال: رجل جهم الوجه: غليظه، فسميت بهذا[(٧)] لغلظ أمرها في العذاب، نعوذ بالله منها»[(٨)]. قال المفسرون في هذه الآية: «هذا[(٩)] إخبار عن إحاطة النار بهم من كل جانب، فلهم منها غطاء ووطاء وفراش ولِحاف»[(١٠)].

---

(١) في (ب): (أجمع).

(٢) في (أ): (جعله).

(٣) تهذيب اللغة ٤/ ٣٤٦١، وانظر: العين ٤/ ٣١، ٣٢، والجمهرة ٢/ ٦٨٥، والصحاح ٢/ ٥٤١، والمجمل ٣/ ٨١٨، والمفردات ٧٨٠، واللسان (مهد) ٧/ ٤٢٨٦.

(٤) تهذيب اللغة (مهد) ٤/ ٣٤٦١.

(٥) في (ب): (والغواش).

(٦) انظر: تهذيب اللغة ٣/ ٢٦٦٧، والصحاح ٦/ ٢٤٤٦، والمجمل ٣/ ٦٩٦، والمفردات ٦٠٧، واللسان (غشا) ٦/ ٣٢٥٩.

(٧) في (ب): (بها).

(٨) أكثر النحويين على أنها اسم لنار الله الموقدة، وهي أعجمية معربة ممنوعة من الصرف للعلمية والعجمة، وذهب جماعة من المحققين إلى أنها عربية ومنعها للعلمية والتأنيث مأخوذة من قولهم: ركيَّة جِهنام بكسر الجيم والهاء؛ أي بعيدة القعر، واشتقاق جهنم من ذلك لبعد قعرها ولغلظتها، أفاده السمين في عمدة الحفاظ ١٠٤ وقال: «القول بأنها أعجمية غير مشهور في النقل، بل المشهور عندهم أنها عربية» اهـ. وانظر: العين ٣/ ٣٩٦، والزاهر ٢/ ١٤٦، وتهذيب اللغة ١/ ٦٨١، والصحاح ٥/ ١٨٩٢، والمفردات ٢٠٩، واللسان (جهنم) ٢/ ٧١٥.

(٩) في (ب): «على هذا». وهو تحريف.

(١٠) وهو قول الطبري في تفسيره ٨/ ١٨٢، وأخرجه من طرق عن محمد بن كعب القرظي والضحاك والسدي. وانظر: معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٣٨، والنحاس ٣/ ٣٦، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٤١، والماوردي ٢/ ٢٢٣.

فأما التنوين في ﴿غَوَاشٍ﴾ ، فقال أبو الفتح الموصلي : «ومما يسأل عنه من أحوال التنوين قولهم : جوارٍ وغواشٍ ونحو ذلك ، لأيّة علة لحقه التنوين ، وهو غير منصرف لأنه على وزن فواعل[(١)] ؟ والجواب عن ذلك : ما ذهب إليه الخليل وسيبويه[(٢)] ، وهو أن هذا الضرب جمع ، والجمع أثقل من الواحد ، وهو أيضاً الجمع الأكثر الذي يتناهى إليه الجموع ، فزاده ذلك ثقلاً ، ووقعت مع ذلك الياء في آخره وهي مستثقلة ، فلما اجتمعت فيه هذه الأشياء خففوه بحذف يائه ، فلما حذفت الياء نقص عن مثال فواعل[(٣)] ، وصار (غواش) بوزن (جَناح) ، فدخله التنوين لنقصانه عن هذا المثال ، فالتنوين عندهما في (غواش) وبابه إنما هو التنوين الذي هو علم الصرف ، يدلك على هذا أنك إذا صرت إلى حال النصب فجرى مجرى الصحيح ، كما من عادة المنقوص إذا نصب نحو : قاض وغاز فأتممته لم تصرفه ، فقلت : رأيت (جواريَ) (وغواشيَ) ونحو ذلك»[(٤)] .

وقال أبو إسحاق : «زعم الخليل وسيبويه أن النون هاهنا عوض من الياء ؛ لأن (غواشي) لا ينصرف الأصل (غواشي)[(٥)] بالياء والضم إلا أن الضمة تحذف لثقلها في الياء ، فيبقى (غواشيْ) بسكون الياء ، فإذا ذهبت الضمة أدخلت النون عوضاً منها ، كذلك فسر أصحاب سيبويه ، فكأن سيبويه يذهب إلى أن النون عوض من ذهاب حركة الياء ، والياء سقطت لسكونها ، وسكون النون ، فإذا

---

(١) كذا في النسخ ، وعند ابن جني في سر صناعة الإعراب ، (مَفاعِل) ٢/ ٥١١ .

(٢) انظر : الكتاب ٣/ ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

(٣) في سر صناعة الإعراب ، (مفاعل) ٢/ ٥١١ .

(٤) هذا ملخص ما ذكره ابن جني في سر صناعة الإعراب ٢/ ٥١١ـ٥١٤ .

(٥) في معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٣٨ : «الأصل غواشي بإسكان الياء ، فإذا ذهبت الضمة أدخلت التنوين عوضاً منها . . . .» اهـ . ونص الواحدي مثل نص الفارسي في الإغفال ٧٧٨ عن الزَّجَّاج .

وقفــت فالاختيار أن تقــف[(١)] بغير ياء ، فتقول[(٢)] : (غــواش) لتدل[(٣)] أن الياء كانت تحذف في الوصل ، وبعض العرب إذا وقف قال : (غواشي) ، بإثبات الياء ، ولا أرى ذلك في القرآن ؛ لأن الياء محذوفة في المصحف»[(٤)] انتهى كلامه .

والذي ذهب إليه أبو إســحاق هو أن التنوين في (غــواشي) إنما هو بدل من الحركة الملقاة لثقلها عن الياء ، فلما جاء التنوين حذفت الياء لالتقاء الساكنين هي والتنوين ، كما حذف من المنصرف في نحو : قاضٍ وغازٍ ومتقٍ[(٥)] ومتعالٍ ، وهذا غير مرض ولا ســائغ في القياس ، وقد ترك قولَ سيبويه والخليل ، وخالفهما إلى خلاف الصواب[(٦)] .

قال أبو علي : «الدليل على أن الحذف لغير التقاء الساكنين أنه لو كان لذلك[(٧)] لم يجب الحذف ، ألا ترى أن الساكن [الأول هو الياء ولو ثبتت لم يلحق الساكن][(٨)] الثاني لتعاقبهما كما لم يلحق (مســاجد)[(٩)] ونحوه مما يكون من هذا الجمع ، فقراءة النــاس ﴿غَوَاشٍ﴾ بالتنوين دلالة على أن الياء لم تحذف لالتقاء الســاكنين ؛ إذ الساكن الأول لو ثبت لم يجتمع معه الساكن الثاني .

---

(١) في (ب) : (يقف) بالياء .

(٢) في (ب) : (فيقول) بالياء .

(٣) في (ب) : (ليدل) .

(٤) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، والإغفال ٧٧٨ ، ٧٧٩ ، وفيهما بعد قوله : (في المصحف الكتاب على الوقف) اهـ .

(٥) النص من سر صناعة الإعراب ٢/ ٥١٢ ، وفيه : «قاضٍ وغازٍ ومشترٍ ومتعالٍ» .

(٦) هذا نص كلام ابن جني في سر صناعة الإعراب ٢/ ٥١٢ ، ٥١٣ .

(٧) في (ب) : (كذلك) .

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٩) في (أ) : (مساجده) ، وهو تحريف .

وحكاية أبي إسحاق في قوله: «زعم سيبويه والخليل أن النون عوض من الياء»، هذا لعمري صحيح عليه نص سيبويه، إلا أن ما ذكر بعد من قوله: فإذا ذهبت الضمة أدخلت النون عوضاً منها، فالقول إن النون عوض من ذهاب الضمة خلاف قول سيبويه، ألا ترى أنه قد نص على أنه عوض من الياء كما حكاه أبو إسحاق أولاً عنه، ولو كان النون عوضاً من الضمة لكان جديراً أن يلحق الفعل أيضاً، ألا ترى أن الأفعال قد حذفت الضمة من لاماتها، وقوله: «كأن سيبويه ذهب إلى أن[1] النون عوض من ذهاب حركة الياء»، تقدير لا وجه له مع ما حكيناه من نصه على أنه بدل من الياء، وقوله: «والياء سقطت لسكونها وسكون النون» قول لا يذهب إليه أحد، وإن[2] أضافه إلى سيبويه فخطأ، وإن ذهب هو إليه[3] ففاسد، لما ذكرنا أن الساكن الأول إذا ثبت عاقب الساكن الثاني، ولم يكن للتنوين مدخل في الكلمة، فأما ما نسبه من التفسير الذي ذكره إلى أصحاب سيبويه[4]، فإني لم أعلم أحداً فسر هذا التفسير، فإن فسره مفسر كان خلاف مذهبه»[5].

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. قال ابن عباس: «يريد: الذين أشركوا بالله واتخذوا من دونه إلهاً»[6].

---

(١) لفظ: (أن) ساقط من (أ).

(٢) في (أ): «فإن».

(٣) في (ب): تكرار قوله: «أحد وإن أضافه إلى سيبويه فخطأ، وإن ذهب إليه».

(٤) وكذلك قال النحاس في إعرابه ١/ ٦١٢: «التنوين عند سيبويه عوض عن الياء وعن أصحابه عوض من الحركة» اهـ.

(٥) الإغفال ٧٨١-٧٨٨، وانظر: معاني الأخفش ٢/ ٢٩٨، والمشكل ١/ ٢٩١، وغرائب الكرماني ١/ ٤٠٣، والبيان ١/ ٣٦١، والتبيان ٣٧٥، والفريد ٢/ ٣٠١، والدر المصون ٥/ ٣٢٢.

(٦) تنوير المقباس ٢/ ٩٥، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٨٠، والرازي في تفسيره ١٤/ ٧٨. وذكر ابن الجوزي في تفسيره ٣/ ١٩٩ عن ابن عباس أنه قال: «الظالمون هاهنا الكافرون» اهـ.

قال الزَّجَّاج : «والظالمون هاهنا أيضاً[١] : الكافرون»[٢] .

٤٢. قوله تعـالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ ﴾ . قال الزَّجَّاج : «معنى الوسع : ما يقدر عليه»[٣] .

قال مجاهد : «إلا ما افترض عليها»[٤] يعني : أن ما افترض عليها هو وسعها الذي يسعها[٥] ويُقدر عليه ولا تعجز عنه ، فقد بيَّنه مقاتل فقال : «إلا طاقتها ، ولا يكلف الله العباد إلا ما يطيقون»[٦] ، فقوله : «إلا طاقتها» ليس معناه : أقصى ما يطيقه ؛ لأنه لو كلف ذلك لشق وتعذر ، ولكن معناه : إلا ما يطيقه ولا يعجز عنه . ألا ترى أن معاذ بن جبل -رحمه الله- قال في هذه الآية : «إلا يُسرها لا عسرها ، ولو كلفها طاقتها لبلغ مجهودها»[٧] ، فقوله : «لو كلفها طاقتها» أراد : أقصى ما تطيقه .

(١) لفظ : (أيضاً) ساقط من (ب) .

(٢) معاني القرآن ٢/ ٣٣٨ ، ومثله قال النحاس في معانيه ٣/ ٣٧ ، والسمرقندي ١/ ٥٤١ ، وقال الطبري ٨/ ١٨٢ : «كذلك نثيب ونكافئ من ظلم نفسه فأكسبها من غضب الله ما لا قبل لها به ، بكفره بربه وتكذيبه أنبيائه» اهـ .

(٣) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٣٩ ، وزاد فيه : «أي عملوا الصالحات بقدر طاقتهم» اهـ . ونحوه قال الطبري في تفسيره ٨/ ١٨٢ ، والنحاس في إعراب القرآن ١/ ٦١٢ ، والسمرقندي ١/ ٥٤١ .

(٤) ذكره الخازن في تفسيره ٢/ ٢٢٩ .

(٥) لفظ : (الذي وسعها) ساقط من (ب) .

(٦) تفسير مقاتل ٢/ ٣٧ ، وفيه : يقول : «لا نكلفها من العمل إلا ما تطيق» اهـ .

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٨١ ، والرازي ١٤/ ٧٩ .

وقد بيَّن أبو زبيد[(١)] الطائي في قوله :

أُعْطِيهُم الجَهْدَ مِنِّي بَلْهَ ما أَسَعُ[(٢)]

أن ما يسـعه[(٣)] دون أقصى طاقته ، وأن أقصى الطاقة يسمى جهداً لا وسعاً ، وغلط من ظن أن الوسع[(٤)] بذل المجهود ، وأكثر أصحاب المعاني[(٥)] على أن قوله : ﴿ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ ﴾ اعتراض بـين الابتداء والخبر ، والخبر الجملة التي هي قولـه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ﴾ ، و[(٦)] هذا فصل بين الابتداء والخبر بما هو من جنس هذا الكلام ؛ لأنه لما ذكر عملهم الصالح ذكر أن ذلك العمل مما يسعهم ولا يعسر عليهم ، وقـد مضت نظائر هذا في ما تقـدم[(٧)] ، وعلى هذا لا موضع لقوله : ﴿ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ ﴾ ، وقال قوم من أهل المعاني : «موضعه رفع

---

(١) في (ب) : (أبو زيد) ، وهو تحريف . وهو : حَرْمَلَة بن الـمُنْذر بن مَعْدِ يَكرب الطائي .

(٢) الشاهد في ديوانه ١٠٩ ، والزاهر ١/ ٩٤ ، والصحاح ٥/ ٢٠٧٥ ، واللسان (أون) ١/ ١٧٨ ، والخزانة ٦/ ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، وبلا نسبة في الجمهرة ١/ ٣٨٠ ، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٨٩٠ ، وكتاب الشعر لأبي علي ١/ ٢٥ ، وأوله :

حَمَّالُ أَثْقَال أَهْلِ الوُدِّ آونَةً

وآونة : جمع أوان بمعنى الحين ، والجهد بالفتح : النهاية والغاية ، وقيل : الوسع والطاقة ، وَبَلْه ؛ أي دع ، والوسع : الطاقة والجدَة أيضاً . وقال البغدادي في الخزانة ٦/ ٢٣٧ : «المعنى : أني أعطيهم فوق الوسع ، فتركاً للوسع ، أو فدع الوسع ؛ أي ذكره أو فكيف الوسع لا أعطيه» اهـ . وفي اللسان (بله) ١/ ٣٥٤ ، قال : «المعنى : أعطيهم ما لا أجده إلا بجهد ، ودع ما أحيط به وأقدر عليه» اهـ .

(٣) كذا في النسخ : (إن ما يسعه) ، والأولى : أي (ما يسعه) .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (وسع) ٤/ ٣٨٩٠ ، والصحاح ٣/ ١٢٩٨ ، واللسان ٨/ ٤٨٣٤ ، وبمثل قول الواحدي ، قال والرازي ١٤/ ٧٩ ، والخازن ٢/ ٢٢٩ .

(٥) ذكر مثله والرازي ١٤/ ٧٨ ، والخازن ٢/ ٢٢٩ .

(٦) لفظ : (الواو) ساقط من (ب) .

(٧) لم أقف عليه بعد طول بحث عنه في مظانه .

بأنه الخبر على حذف العائد، كأنه قيل: لا نكلف نفساً منهم إلا وسعها، وحذف العائد للعلم به»[١].

٤٣. قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾، معنى نزع الشيء: قلعه عن مكانه[٢]، والغِلُّ: الحقد الكامن في الصدر[٣].

قال أهل اللغة[٤]: «وهو الذي ينغل بلطفه[٥] إلى صميم القلب؛ أي يدخل، ومنه الغُلول، وهو الوصول بالحيلة إلى دقيق الخيانة، يقال: انغل في الشيء وتغلغل فيه، إذا دخل فيه بلطافة[٦]، كالحب يدخل في صميم الفؤاد».

---

(١) ذكره أكثرهم، والأول هو قول الزَّجَّاج في معانيه ٢/ ٣٣٩، والنحاس في إعراب القرآن ١/ ٦١٢، والزمخشري في الكشاف ٢/ ٧٩، وابن عطية ٥/ ٥٠٥، وانظر: البيان ١/ ٣٦١، والتبيان ٣٧٥، والفريد ٢/ ٣٠١، والدر المصون ٥/ ٣٢٣، وفي بدائع التفسير ٢/ ٢١٢، قال ابن القيم «اعترض بين المبتدأ والخبر بقوله: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ لما تضمنه ذلك من الاحتراز الدافع، لتوهم متوهم أن الوعد إنما يستحقه من أتى بجميع الصالحات، فرفع ذلك بقوله: ﴿لَا نُكَلِّفُ﴾، وهذا أحسن من قول من قال: «إنه خبر عن الذين آمنوا، ثم أخبر عنهم بخبر آخر، فهما خبران عن مخبر واحد، فإن عدم التكليف فوق الوسع لا يخص الذين آمنوا، بل هو حكم شامل لجميع الخلق معه ما في هذا التقدير من إخلاء الخبر عن الرابط، وتقدير صفة محذوفة؛ أي نفساً منها، وتعطيل هذه الفائدة الجليلة» اهـ.

(٢) انظر: العين ١/ ٣٥٧، والجمهرة ٢/ ٨١٧، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٥٥٢، والصحاح ٣/ ١٢٨٩، والمجمل ٣/ ٨٦٣، واللسان (نزع) ٧/ ٤٣٩٥.

(٣) انظر: معاني الأخفش ٢/ ٢٩٨، وغريب الحديث لأبي عبيد ١/ ٢٠٠، وتفسير غريب القرآن ١٧٧.

(٤) انظر: العين ٤/ ٣٤٧، والجمهرة ١/ ١٥٩، وتهذيب اللغة ٣/ ٢٦٨٩، والمجمل ٣/ ٦٧٩، والمفردات ٦١٠، واللسان (غلل) ٣٢٨٥.

(٥) في (ب): (بلفظه)، وهو تحريف.

(٦) في (ب): (بطاقة)، وهو تحريف.

قال ذو الرمة :

أَصَابَ خَصَاصَـــةً فَبَـدَا كَليـلاً كَـلا وانْغَلَّ سَائِـُـرهُ انْـغِـلالاً[١]

ومعنى نزع الغل : إبطاله بإعدامه من الصدر .

وذكر أهل التأويل هاهنا قولين محتملين :

أحدهما : وهــو الذي عليه المعظم[٢] أن معناه : أذهبنــا الأحقاد التي كانت لبعضهــم على بعض في دار الدنيا ، وإلى هذا أشــار علي بن أبي طالب -رضي الله عنــه- فقال : «إني لأرجو أن أكون أنا وعثـمان وطلحة والزبير من الذين قال الله جل ذكره : ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾»[٣] .

وقال الحسن في هذه الآية : «يعني : الجاهلية»[٤] .

---

(١) ديوانه ٥١٥ . وقال الخطيب التبريزي في شرحه : «خصاصة : فرحة ، والكليل : الضَّعيف ، وانغل : غاب ودخل ، وكلا كقولك : لا» اهـ .

(٢) انظر : معاني النحاس ٣/ ٣٧ ، والسمرقندي ١/ ٥٤١ ، والماوردي ٢/ ٢٢٤ .

(٣) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢٢٩ ، والطبري ٨/ ١٨٣ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٧٨ بسند جيد عن قتادة عن علي رضي الله عنه ، وهو مرسل ، قتادة لم يسمع من علي ، انظر : المراسيل لابن أبي حاتم ١٦٨ ، وأخرجه ابن سعد في الطبقات ٣/ ١١٣ عن إبراهيم النخعي ، ومن طريق جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين عن أبيه ، قال الحافظ بن حجر في الشاف الكاف ٦٤ : «أخرجه ابن سعد والطبري عن علي ، وكلاهما منقطع ، وأخرجه ابن أبي شيبة عن ربعي بن حراش عن علي وهو متصل» اهـ .

انظر : تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي ١/ ٤٦٢ ، والفتح السماوي للمناوي ٢/ ٦٣٥ ، ٦٣٦ .

(٤) ذكره الماوردي في تفسيره ٢/ ٢٢٤ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ٢٩٨ .

والقــول الثاني : أن نزع الغل إنما هو لئلا يحســد بعضهــم بعضاً في تفاضل منازلهم وتفاوت مراتبهم في الجنة ، واختار الزَّجَّاج هذا ، فقال : «وحقيقته –والله أعلم– أنه لا يحسد بعض أهل الجنة بعضاً ؛ لأن الحسد غل»[١] .

وقوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا ﴾ . قال ابن عباس : «حمدوا الله على[٢] ما أرشدهم إليه ووفقهم له»[٣] . وقال مقاتل : «إذا استقروا في منازلهم في الجنة ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا ﴾»[٤] .

ومعنــى ﴿ هَدَىٰنَا لِهَٰذَا ﴾[٥] ؛ أي هدانا لهذا الثواب بالعمل الذي أدَّى إليه ، وهو معنى قول ســفيان الثوري[٦] ، ونحو هذا قال الزَّجَّاج[٧] : «هدانا لما صيرنا إلى هذا[٨]» .

---

(١) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٣٩ ، وقال ابن الأنباري في الزاهر ١/ ٣٦٤ : «معناه نزعنا الحسد من قلوبهم ؛ لأن أهل الجنة لا يحسد بعضهم بعضاً» . والظاهر أنه لا يحسد بعضهم بعضاً في علو المرتبة في الجنة ، وفي ما كان بينهم في الدنيا ، وهو اختيار الطبري في تفسيره ٨/ ١٨٣ ، والنحاس في معانيه ٣/ ٣٧ ، وانظر : تفسير ابن عطية ٥/ ٥٠٥ ، ٥٠٦ .

(٢) في (ب) : (إلى) .

(٣) في تنوير المقباس ٢/ ٩٥ نحوه ، ونقل ابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٢٠١ ، عن ابن عباس في الآية أنه قال : «يعنون ما وصلوا إليه من رضوان الله وكرامته» اهـ .

(٤) تفسير مقاتل ٢/ ٣٨ ، وزاد فيه : «أي للإسلام ولهذا الخير» اهـ .

(٥) لفظ : (هدانا) ساقط من (ب) .

(٦) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٩٠ أ ، والبغوي ٣/ ٢٣٠ بلفظ : «معناه هدانا لعملٍ هذا ثوابه» اهـ . وانظر : إعراب النحاس ١/ ٦١٢ .

(٧) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٣٩ ، ومثله قال النحاس في معانيه ٣/ ٣٧ ، وقال الطبري في تفسيره ٨/ ١٨٤ : «يقول أهل الجنة : الحمد لله الذي وفقنا للعمل ، الذي أكسبنا هذا الذي نحن فيه من كرامة الله وفضله ، وصرف عذابه عنا» اهـ . وانظر : تفسير السمرقندي ١/ ٥٤١ ، ٥٤٢ ، والماوردي ٢/ ٢٢٥ .

(٨) لفظ : (إلى هذا) ساقط من (أ) .

وقولــه تعــالى : ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ دليل على أن المهتدي مَنْ هَدَى الله[١]، وأن من لم يهده الله لم يهتد[٢].

وقــرأ ابن عامر[٣] : (مَــا كُنَّا) بغــير واو ، وكذلك هــو في مصاحف أهل الشام[٤] ، ووجه الاستغناء[٥] عن حرف العطف [هنا أن الجملة ملتبسة بما قبلها ، فأغنى التباسُها به عن حرف العطف][٦] ، وقد تقدم ذكر هذه المسألة[٧] .

وقوله تعــالى : ﴿ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ ، [هذا من قــول[٨] أهل الجنة حين رأوا ما وعدهم الرسل عياناً ، قالوا : ﴿ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴾][٩] .

وقوله : ﴿ وَنُودُوٓا أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ ﴾ . قال أبو إسحاق : (أن) في موضع نصب ، وهي مخففة من الثقيلــة ، والهاء مضمرة ، المعنى : ونــودوا بأنه تلكم الجنة ؛ أي نودوا بهذا القول ، قال : والأجود عندي أن تكون (أن) في معنى تفســير النداء ،

---

(١) لفظ : (الله) ساقط من (ب) .

(٢) في (ب) : «لم يهتدوا» ، ومثله ذكر الرازي في تفسيره ١٤/ ٨١ ، والخازن ٢/ ٢٣٠ ، وانظر : تفسير القرطبي ٧/ ٢٠٨ .

(٣) قرأ ابن عامر : (مَا كُنَّا) بغير واو قبل ما ، وقرأ الباقون : ﴿وَمَا كُنَّا﴾ بالواو . انظر : السبعة ٢٨٠ ، والمبسوط ١٨٠ ، والتذكرة ٢/ ٤١٩ ، والتيسير ١١٠ ، والنشر ٢/ ٢٦٩ .

(٤) ذكره ابن مجاهد في السبعة ٢٨٠ ، وابن الجزري في النشر ٢/ ٢٦٩ ، وقال ابن أبي داود في كتاب المصاحف ٤٥ : «في إمام أهل الشام وأهل الحجاز ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ﴾ ، وفي إمام أهل العراق : ﴿وَمَا كُنَّا﴾» اهـ .

(٥) هذا قول أبي علي في الحجة ٤/ ٢٥ ، وانظر : معاني القراءات ١/ ٤٠٧ ، والحجة لابن خالويه ١٥٦ ، والكشف ١/ ٤٦٤ .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٧) انظر : البسيط ، النسخة الأزهرية ١/ ٨١ ب ، ٨٢ أ .

(٨) انظر : تفسير الطبري ٨/ ١٨٥ ، والسمرقندي ١/ ٥٤٢ .

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

كأن المعنى : ونودوا أي تلكم الجنـــة[(١)] ، المعنى : قيل لهم : تلكم الجنة ، كقوله : ﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ ﴾ [ص : ٦] ، يعني[(٢)] : امشوا .

قال : وإنما قال : ﴿ تِلْكُمُ ﴾ ؛ لأنهم وعدوا بها في الدنيا ، فكأنه قيل لهم : هذه تلكم التي وعدتم بها ، وجائز أن يكون عاينوها ، فقيل لهم من قبل دخولها إشارة إلى ما يرونه : ﴿ تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ أُورِثْتُمُوهَا ﴾ فيه قولان ؛ أحدهما ، وهو قول أهل المعاني[(٣)] : «أن معناه : صارت إليكم كما يصير الميراث إلى أهله» .

والإرث قد يستعمل في اللغة[(٤)] ، ولا يراد به زوال الملك عن الميت إلى الحي ، كـــما يقال : «هذا الأمر يورثك الشرف ، ويورثك العار[(٥)] ؛ أي يصيرك إليه برحمة الله[(٦)] ، وليـــس له في ذلك متعلـــق ؛ لأن العمل الصالح لم ينالـــوه ولم يبلغوه إلا

---

(١) عند الزَّجَّاج في معانيه ٢/ ٣٤٠ : (ونودوا أن تلكم الجنة) .

(٢) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٤٠ .

وقد ذكر الوجهين أكثرهم ، انظر : تفسير الطبري ٨/ ١٨٥ ، ١٨٦ ، وإعراب النحاس ١/ ٢١٦ ، والكشاف ٢/ ٧٩ ، وتفسير ابن عطية ٥/ ٥٠٨ ، والتبيان ٣٧٦ ، والفريد ٢/ ٣٠٢ ، والبحر المحيط ٤/ ٣٠٠ .

وقال النحاس في معانيه ٣/ ٣٨ : «يجوز أن يكون المعنى (بأنه تلكم الجنة) ، ويجوز أن تكون أن مفسرة للنداء ، والبصريون يعتبرونها بأي ، والكوفيون يعتبرونها بالقول ، والمعنى واحد ، كأنه : ونودوا ، قيل لهم : تلكم الجنة ؛ أي هذه تلكم الجنة التي وعدتموها في الدنيا ، ويجوز أن يكون لما رأوها قيل لهم قبل أن يدخلوها : تلكم الجنة» اهـ . وانظر : الدر المصون ٥/ ٣٢٤ .

(٣) انظر : تفسير والرازي ١٤/ ٨١ ، ٨٢ ، فقد ذكر مثله .

(٤) الإرث : إبقاء الشيء وانتقاله إلى الغير ، وأصل الميراث هو أن يكون الشيء لقوم ، ثم يصير إلى آخرين بنسب أو سبب .

انظر : العين ٨/ ٢٣٤ ، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٨٦٨ ، والصحاح ١/ ٢٩٥ ، ومقاييس اللغة ٦/ ١٠٥ ، والمفردات ٨٦٣ ، واللسان (ورث) ٨/ ٤٨٠٨ .

(٥) في (ب) : (القار) ، وهو تصحيف .

(٦) أخرج البخاري في كتاب الرقاق ، باب : القصد والمداومة على العمل ، رقم : ٦٤٦٣ ، ومسلم في =

بالرحمة ، وإذا كان العمل الصالح لا يكون إلا برحمته ، فإذا دخلوا الجنة بأعمالهم فقد دخلوها برحمته ، إذ لم يكن ذلك العمل [الصالح][(١)] إلا برحمته»[(٢)] .

٤٤. قال ابن عباس : «وجدنا ما وعدنا ربنا في الدنيا من الثواب حقاً ، فهل وجدتم ما وعد ربكم من العذاب حقًّا»[(٣)] . وهو سؤال تعيير وتقرير .

قال الزَّجَّاج : «معنى : ﴿أَن﴾ في قوله : ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا﴾ إن شئت كان تفسيراً لما نادى به أصحاب الجنة ، والمعنى قد وجدنا ، وإن شئت كانت المخففة من الثقيلة خففت[(٤)] أنه قد وجدنا»[(٥)] .

وقوله : ﴿قَالُوا نَعَمْ﴾ . قال سيبويه : «نعم عِدَةٌ وتصديق ، قال : وإذا استفهمت أجبت بنعم»[(٦)] قوله[(٧)] : «عِدَة وتصديق» أراد أنه يستعمل عِدَة ، ويستعمل تصديقاً ، وليس يريد أن العِدَة تجتمع مع التصديق ؛ ألا ترى أنه إذا قال : أتعطيني ؟ فقال : نعم ، كان عدة ولا تصديق في هذا ، وإذا قال : قد كان كذا وكذا ، فقلت : نعم ، فقد[(٨)] صدقته ولا عدة في هذا ، وقوله : «إذا استفهمت

---

= كتاب صفة الجنة والنار ، باب : لن يدخل أحد الجنة ، رقم : ٢٨١٦ إلى ٢٨١٨ ، من طرق عن عائشة وأبي هريرة ـ رضي الله عنهما ـ عن رسول الله ﷺ قال : «لن يدخل أحداً منكم عمله الجنة ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه بفضل ورحمة» .

(١) لفظ : (الصالح) ساقط من (ب) .

(٢) لم أقف عليه عن الجرجاني صاحب نظم القرآن ، وذكر مثل ذلك الرازي في تفسيره ١٤/ ٨٢ ، والقرطبي ٧/ ٢٠٩ .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٨٧ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٨٢ ، بسند ضعيف .

(٤) في (ب) : (وخففت) .

(٥) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٤٠ . وانظر : معاني الأخفش ٢/ ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ومعاني النحاس ٣/ ٣٨ ، وإعراب النحاس ١/ ٦١٢ ، ٦١٣ .

(٦) الكتاب ٤/ ٢٣٤ .

(٧) في (ب) : (أريد إذا قوله) ، وهو تحريف .

(٨) في (أ) : (قد صدقت) .

أجبت نعم» ، يريد : إذا استفهمت عن مُوجَب كما يقال : أيقوم زيد ؟ ، فتقول : نعم ، ولو كان مكان الإيجاب نفياً ، لقلت : (بلى) ، ولم تقل (نعم) . كما لا تقول في جواب[١] الإيجاب بلى ، كقوله : ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف : ١٧٢] ، وقرأ الكسائي[٢] (نعِم) بكسر العين ، قال أبو الحسن[٣] : «هما لغتان»[٤] .

قال أبو حاتم[٥] : «وليس الكسر بمعروف»[٦] .

واحتج الكسائي بكلام يروى عن عمر -رضي الله عنه- أنه سأل قوماً عن شيء ، فقالوا : نَعَم ، فقال : «أما النَّعَم فالإبل ، فقولوا[٧] : نَعِم»[٨] .

---

(١) هذا قول أبي علي في الحجة ٤/ ٢٠ ، ٢١ ، وفيه : «كما تقول في جواب الإيجاب . قال تعالى : ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ ولم يقل نعم» اهـ . وانظر : الزاهر ٢/ ٥٠ ، وحروف المعاني للزَّجَّاجي ٦ ، ومعاني الحروف للرماني ١٠٤ ، ورصف المباني ٤٢٦ .

(٢) قرأ الكسائي (نعِم) بكسر العين حيث وقع ، وقرأ الباقون بفتحها في كل القرآن . انظر : السبعة ٢٨١ ، والمبسوط ١٨٠ ، والتذكرة ٢/ ٤١٩ ، والتيسير ١١٠ ، والنشر ٢/ ٢٦٩ .

(٣) أبو الحسن الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة المجاشعي ، إمام . تقدمت ترجمته .

(٤) معاني الأخفش ١/ ٢٥٢ ، والحجة لأبي علي ٤/ ١٩ ، وانظر : معاني القراءات ١/ ٤٠٦ ، والحجة لابن خالويه ١٥٤ ، ١٥٥ .

(٥) أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني البصري ، إمام ، لغوي . تقدمت ترجمته .

(٦) ذكره ابن عطية في تفسيره ٥/ ٥٠٩ ، والرازي ١٤/ ٨٥ ، والسمين في الدر ٥/ ٣٢٦ ، وهذا قول غريب مردود لأنها قراءة سبعية ، ولغة فصيحة مشهورة .
انظر : العين ٢/ ١٦٢ ، والجمهرة ٢/ ٩٥٣ ، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٦١٥ ، والصحاح ٥/ ٢٠٤٢ ، والمجمل ٤/ ٨٧٤ ، والمفردات ٨١٦ ، واللسان (نعم) ٨/ ٤٤٨٥ .

(٧) في (ب) : «فقوله : (نعم)» ، وهو تحريف ، ونعم الأولى بالفتح ، والثانية بالكسر .

(٨) هذا أثر مشهور لم أقف على إسناده ، وهو في الزاهر ٢/ ٥١ ، ٥٢ ، وإعراب القراءات ١/ ١٨١ ، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٤٢ ، والحجة لابن زنجلة ٢٨٣ ، والكشف لمكي ١/ ٤٦٣ ، وتفسير ابن عطية ٥/ ٥١٠ ، ومنثور الفوائد لابن الأنباري ٨٤ ، وتفسير والرازي ١٤/ ٨٥ ، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٥/ ٨٤ .

قال أبو عبيد : «ولم نر العرب يعرفون ما رووه عن عمر ، ونراه مولداً»(١) .

وقال أبو إسحاق : «وفي بعض اللغات (نَعِم) في معنى (نَعَم) ، موقوفة الآخر لأنها حرف جاء لمعنى»(٢) .

[وقوله : ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ﴾ ، معنى التأذين في اللغة(٣) : النداء ، والتصويت](٤) بالإعلام ، والأذان للصلاة إعلام بها ، وبوقتها(٥) ، وقالوا في معنى : ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ﴾(٦) نادى منادٍ نداء أسمع الفريقين(٧) . قال ابن عباس : «وذلك المؤذن من الملائكة وهو صاحب الصور»(٨) .

وقوله تعالى : ﴿بَيْنَهُمْ﴾ ، قال أبو علي : «يحتمل أمرين(٩) ، الأحسن فيه أن يكون ظرفاً (لمؤذن) ، كما تقول : أَعْلَمَ وسْطَهُمْ معلم ، ولا تُجعل صفة للنكرة ؛ لأن اسم الفاعل إذا أُعمل عمل الفعل لم يوصف كما لا يُصغَّر ؛ لأن الصفة تخصيص ،

---

(١) في (ب) : (مؤكداً) ، وذكره السمين في الدر ٥/ ٣٢٦ عن أبي عبيد بلفظ «مولداً» . وقال بعده : «هذا طعن في المتواتر فلا يقبل» اهـ . والمولد : الكلام المستحدث الذي لم يكن من كلامهم في ما مضى . انظر : اللسان (ولد) ٨/ ٤٩١٥ .

(٢) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٤٠ .

(٣) انظر : العين ٨/ ١٩٩ ، وتهذيب اللغة ١/ ١٤٠ ، والصحاح ٥/ ٢٠٦٨ ، والمجمل ١/ ٩١ ، ومقاييس اللغة ١/ ٧٥ ، والمفردات ٧٠ ، واللسان (أذن) ١/ ٥٢ .
وقال سيبويه في الكتاب ٤/ ٦٢ : «آذنت : أعلمت ، وأَذَّنْتُ : النداء والتصويت بإعلان» اهـ . انظر : الحجة لأبي علي ٤/ ٢٣ ، والزاهر ١/ ٢٩ .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٥) هذا قول الأزهري في تهذيب اللغة (أذن) ١/ ١٤٠ .

(٦) جاء في الأصول ﴿أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ من دون فاء ، وفي سورة [يوسف : ٧٠] : ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ ، وانظر : تفسير الرازي ١٤/ ٨٥ .

(٧) انظر : تفسير غريب القرآن ١٧٧ ، والطبري ٨/ ١٨٧ ، والسمرقندي ١/ ٥٤٢ .

(٨) ذكره الرازي في تفسيره ١٤/ ٨٥ ، وقال الخازن ٢/ ٢٣١ : «وهذا المنادي من الملائكة ، وقيل : إنه إسرافيل صاحب الصور ، ذكره الواحدي» اهـ .

(٩) في (أ) : (يحتمل لأمرين أحسن فيه) .

والفعل وما أُجري مجراه لا يلحقه تخصيص، والتصغير كالوصف، ومن ثم لم[(١)] يستحسن (هذا ضويرب زيداً)، كما لا يستحسن (هذا ضارب ظريف زيداً)، ولأنك في [هذا][(٢)] تفصل بين العامل والمعمول بالأجنبي، وذلك أن ﴿مُؤَذِّنٌ﴾ عامل في ﴿أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ﴾، فإذا جعلت ﴿بَيۡنَهُمۡ﴾ صفة [فقد فصلت بين العامل والمعمول بالأجنبي، وإن شئت جعلت ﴿بَيۡنَهُمۡ﴾ صفة][(٣)]؛ لأن التقدير فأذن مؤذن بينهم بأن لعنة الله، ومعنى الفعل قد يعمل في الجار ويصل إليه وإن فصل بينهما بالصفة، كما تقول: هذا مارٌّ [أمس][(٤)] بزيد، والأول الوجه، والجار المقدر إن شئت جعلته متعلقاً بمؤذن، وإن[(٥)] جعلته متعلقاً بأذن»[(٦)].

وقوله: ﴿أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، قرئ[(٧)] (أنْ) مخففاً، (لعنةُ الله) رفعاً، وقرئ (أنَّ) مشددة (ولعنةَ الله) نصباً، فمن شدَّد فهو الأصل، ومن خفف ﴿أَن﴾ فهي مخففة من الشديدة على إرادة إضمار القصة والحديث، تقديره: أنه

---

(١) في (ب): (ومن ثم لا يستحسن).

(٢) لفظ: (هذا): ساقط من (ب).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٤) لفظ: (أمس) ساقط من (أ).

(٥) في (أ): (فإن جعلته)، وفي الحجة ٢/ ٤٠٥: «وإن شئت جعلته»، وهو الأولى.

(٦) الحجة لأبي علي ٢/ ٤٠٤، ٤٠٥، وزاد: «وإن شئت جعلت (بين) ظرفاً للمؤذن لا صفة، وكل ذلك لا يمتنع»، وقال ابن الأنباري في البيان ١/ ٣٦٢: «بينهم: منصوب على الظرف، والعامل أذن أو مؤذن على اختلاف بين النحويين؛ فالبصريون يختارون أن يكون متعلقاً بمؤذن؛ لأنه أقرب إليه من أذن، والكوفيون يختارون (أذن) لأنه الأول والعناية به أكثر، فإن جعلت بينهم وصفاً لمؤذن جاز، ولكن لا يجوز أن يعمل في (أن)؛ لأن اسم الفاعل إذا وصفته بطل عمله، ولأنه يخرج بذلك عن شبه الفعل» اهـ. وانظر: المشكل ١/ ٢٩٢، والتبيان ٣٧٧، والفريد ٢/ ٣٠٤، والدر المصون ٥/ ٣٢٧.

(٧) قرأ عاصم وأبو عمرو ونافع: (أَن لَّعنَةُ الله) بإسكان النون مخففة ورفع (لعنَةُ)، وقرأ الباقون بتشديد (أنَّ) ونصب (لعنَةَ). انظر: السبعة ٢٨١، والمبسوط ١٨٠، والتذكرة ٢/ ٤١٩، والتيسير ١١٠، والنشر ٢/ ٢٦٩.

لعنة [الله][١]، ومثل ذلك قولــه: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠]، التقدير: أنه، ولا تخفف (أن) هذه إلا وإضمار القصة والحديث يراد معها[٢].

قال أبو إسحاق[٣]: «ويجوز أن يكون المخففة التي هي للتفسير، كأنها تفسير لما أَذَّنُوا به كما ذكرنا في قوله: ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا﴾».

٤٥. قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، هذه الآية من نعت[٤] قوله: ﴿عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ومعنى ﴿يَصُدُّونَ﴾ يجــوز أن يكون من (الصدِّ)[٥] الذي هو المنع، ويجوز أن يكون من (الصدود) الذي[٦] هو الإعراض.

---

(١) لفظ: (الله) ساقط من (ب).

(٢) هذا قول أبي علي في الحجة ٤/ ٢٣. وانظر: معاني القراءات ١/ ٤٠٧، وإعراب القراءات ١/ ١٨٢، والحجة لابن زنجلة ٢٨٣، والكشف ١/ ٤٦٣. قال الأزهري «من خفف (أن) منعها عملها ورفع ما بعدها، ومن شدد النون نصب بها الاسم، والمعنى واحد» اهـ. ونقل قول الواحدي الرازي في تفسيره ١٤/ ٨٥.

(٣) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٤١، وانظر: معاني الأخفش ٢/٢٩٨، ٢٩٩، وتفسير الطبري ٨/ ١٨٧، ومعاني النحاس ٣/ ٣٨، وإعراب النحاس ١/ ٦١٣، والمشكل ١/ ٢٩٢، وقال: «ويجوز أن تكون في حالة التخفيف بمعنى (أي) التي للتفسير، فلا موضع لها من الإعراب» اهـ.

(٤) انظر: إعراب النحاس ١/ ٦١٣، والتبيان ٣٧٧، والفريد ٢/ ٣٠٤.

(٥) الصد: الإعراض، يقال: صَد يَصُد وصددته عن الأمر إذا عدلته عنه، وصد يَصِد ـبكسر الصادـ إذا ضج.
انظر: العين ٧/ ٨٠، والجمهرة ١/ ١١١، وتهذيب اللغة ٢/ ١٩٨٥، والمجمل ٢/ ٥٣٢، ومقاييس اللغة ٣/ ٢٨٢، والمفردات ٤٧٧، واللسان (صدد) ٤/ ٢٤٠٩.

(٦) في (أ): (والذي هو) بالواو.

وقوله تعالى : ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ . قال ابن عباس : «يريد : عن دين الله وطاعة الله»[١] . قال أهل المعاني : «ســبيل الله الحق الذي دعا الله إليه» ، وقيل : «الطريق الذي دل الله[٢] أنه يؤدي إلى الجنة»[٣] .

وقوله تعالى : ﴿وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًا﴾ ، قــال ابن عباس : «يريد : يصلون لغير الله ، ويعظمون ما لم يعظم الله»[٤] .

ومعنى هذا : أنهم طلبوا سبيل الله بالصلاة لغيره ، وتعظيم ما لم يعظمه الله ، فأخطأوا الطريــق وطلبوه ضالين معوجِّين عن الطريــق[٥] ، ﴿عِوَجًا﴾ على هذا المعنى مصدر[٦] في موضع الحال ، وقد ذكرنا معنى ﴿وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًا﴾ مستقصى في سورة آل عمران[٧] .

٤٦. وقوله تعالى : ﴿وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞ﴾ ، والحجاب[٨] : الحاجز بين الشيئين ، قال الكلبي : «يعني : بين أهل الجنة وأهل النار (حجاب) : ســور»[٩]

---

(١) تنوير المقباس ٢/ ٩٦ ، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره ٥/ ١٤٨٢ بسند ضعيف عن ابن عباس قال : «عن دين الله» اهـ .

(٢) في (ب) : «الذي دل إليه» .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٨/ ١٨٧ ، والسمرقندي ١/ ٥٤٢ .

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٨٤ ، والبغوي ٣/ ٢٣١ .

(٥) انظر : تفسير الخازن ٢/ ٢٣٢ ، فقد ذكر مثله .

(٦) انظر : تفسير ابن عطية ٥/ ٥١١ .

(٧) انظر : البسيط ، النسخة الأزهرية ١/ ٢٠٠/ ب .

(٨) الحجاب بكسر الحاء : الستر ، واسم ما احتجب به ، وكل ما حال بين شيئين حجاب ، والجمع حجب بالضم . انظر : العين ٣/ ٨٦ ، وجمهرة اللغة ١/ ٢٦٣ ، وتهذيب اللغة ١/ ٤٧٣ ، والصحاح ١/ ١٠٧ ، والمجمل ١/ ٢٦٦ ، والمفردات ٢١٩ ، ولسان العرب (حجب) ٢/ ٧٧٧ .

(٩) تنوير المقباس ٢/ ٩٦ وهو قول أهل التفسير . انظر : الطبري ٨/ ١٨٨ ، والسمرقندي ١/ ٥٤٢ ، والماوردي ٢/ ٢٢٥ ، وابن عطية ٥/ ٥١٢ ، والبغوي ٣/ ٢٣١ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٠٤ ، والرازي ١٤/ ٨٦ .

وهـــو الأعراف التي قال الله تعـــالى : ﴿وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ﴾ ، ولذلك عُرِّفــت الأعراف لأنه عُني بها الحجاب المذكور[(١)] في قوله : ﴿وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ﴾ ، ﴿ٱلۡأَعۡرَافِ﴾ جمع : عُرْف[(٢)] ، وهو كل عالٍ مرتفع ، ومنه عُرف الفرس ، عُرف الديك ، وكل مرتفع من الأرض عُرف ، وذلك لأنه بظهوره أعرف مما انخفض منه[(٣)] ، قال عطاء عن ابن عباس : «﴿وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ﴾ يريد : سور الجنة ، وهو سور بين الجنة والنار»[(٤)] . وروى أيضاً عنه أنه قال : «الأعراف شرف الصراط»[(٥)] .

(١) انظر : الدر المصون ٥/ ٣٢٨ حيث نقل قول الواحدي .

(٢) هذا قول الأزهري في تهذيب اللغة ٣/ ٢٤٠٥ ، وانظر : مجاز القرآن ١/ ٢١٥ ، وتفسير غريب القرآن ١٧٨ ، وتفسير المشكل ٨٤ .

(٣) انظر : العين ٢/ ١٢١ ، والجمهرة ٢/ ٧٦٦ ، والصحاح ٤/ ١٤٠٠ ، والمجمل ٣/ ٦٦١ ، والمفردات ٥٦١ ، واللسان (عرف) ٥/ ٢٩٠١ .

(٤) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢٢٩ ، والطبري ٨/ ١٨٨ ، ١٨٩ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٨٣ ، والأزهري في تهذيب اللغة (عرف) ٣/ ٢٤٠٥ من طرق جيدة عدة ، وقال الرازي في تفسيره ١٤/ ٨٧ : «الذي عليه الأكثرون أن المراد من الأعراف أعالي ذلك السور المضروب بين الجنة والنار ، وهذا قول ابن عباس» اهـ .

(٥) ذكره الرازي في تفسيره ١٤/ ٨٧ ، والقرطبي ٧/ ٢١٣ ، وأخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، والطبري ٨/ ١٨٩ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٨٣ ، بسند جيد عن ابن عباس قال : «الأعراف : الشيء المشرف» ، وانظر : الدر المنثور ٣/ ١٦٠ .

واختلفوا في الرجال الذين هم على الأعراف، فقال ابن عباس والأكثرون[١]: «هم مؤمنون إلا أنهم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فمنعتهم[٢] حسناتهم من النار، ومنعتهم سيئاتهم من الجنة، فيقومون على سور الجنة، ثم يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته، وهم آخر من يدخل الجنة»، وهو قول حذيفة[٣][٤] وابن مسعود[٥] والكلبي[٦] واختيار الفرَّاء[٧].

---

(١) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢٢٩، والطبري ٨/ ١٩٠، ١٩١، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٨٣ من طرق جيدة عدة يقوي بعضها بعضاً عن ابن عباس، وأخرجه الطبري ٥/ ١٤٨٥ من طرق عدة عن عبدالله بن الحارث بن نوفل الهاشمي، وسعيد بن جبير، والضحاك، وأخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٤٨٥ عن عبدالله بن الحارث، وقال بعده: «وروي عن أبي هريرة» اهـ. وهو قول مجاهد كما في تفسير مسلم بن خالد الزنجي ٤٧، ٤٨، وأخرجه عنه النحاس في معانيه ٣/ ٤٠، وزاد ابن الجوزي في تفسيره ٣/ ٢٠٥ نسبة هذا القول إلى الشعبي وقتادة، وانظر: معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٤٢، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٤٢، والماوردي ٢/ ٢٢٦، وابن عطية ٥/ ٥١٥.

(٢) في (ب): (فمنعهم).

(٣) حذيفة بن حُسَيْل بن جابر العبسي أبو عبدالله حليف الأنصار، واليمان لقب: حسيل، وهو صحابي جليل من السابقين إلى الإسلام، عالم شجاع صاحب سر النبي ﷺ في المنافقين، وهو من أعيان المهاجرين شهد أحد، والمشاهد بعدها وله بها ذكر حسن وآثار شهيرة، وفضله ومناقبه وثناء الأئمة عليه كثير، توفي -رضي الله عنه- سنة ٣٦هـ. انظر: الحلية ١/ ٢٧٠، والاستيعاب ١/ ٣٩٣ (٥١٠)، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٣٦١، وتهذيب التهذيب ١/ ٣٦٧، والإصابة ١/ ٣١٧، والأعلام ٢/ ١٧١.

(٤) أخرجه الطبري ٨/ ١٩٠، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٨٥، والحاكم في المستدرك ٢/ ٣٢٠ وقال: «حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي في التلخيص.

(٥) أخرجه الطبري ٨/ ١٩١، والبغوي ٣/ ٢٣٢ بسند ضعيف.

(٦) تنوير المقباس ٢/ ٩٦، والمطالب العالية ٣/ ٣٣٤.

(٧) معاني الفرَّاء ١/ ٣٧٩، ٣٨٠ وهو الظاهر، واختيار الطبري ٨/ ١٩٤، والنحاس في معانيه ٣/ ٤٠، وقال: «وهذا القول أشهر وأعرف» اهـ. وانظر: إعراب النحاس ١/ ٦١٣، وقال ابن كثير في تفسيره ٢/ ٢٤٢: «واختلفت عبارات المفسرين في أصحاب الأعراف من هم، وكلها قريبة ترجع إلى معنى واحد، وهو: أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم. نص عليه حذيفة، وابن مسعود، وابن عباس، وغير واحد من السلف والخلف رحمهم الله» اهـ. وقال ابن القيم كما في بدائع التفسير ٢/ ٢١٤-٢١٦: «وهذا هو الثابت عن الصحابة، وقد رويت فيه آثار كثيرة مرفوعة لا تكاد تثبت أسانيدها وآثار الصحابة في ذلك المعتمدة» اهـ.

وروي أن النبي ﷺ سئل عن أصحاب الأعراف فقال: «هم قوم[(١)] قتلوا في سبيل الله بمعصية آبائهم، فمنعهم النار قتلهم في سبيل الله، ومنعتهم الجنة معصية آبائهم، فهم آخر من يدخل الجنة»[(٢)].

وقال سليمان التيمي[(٣)] وأبو مجلز[(٤)]: «هم ملائكة يعرفون أهل الجنة وأهل النار، قال: فقيل لأبي مجلز، يقول الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾، وتزعم أنت أنهم ملائكة؟ فقال: إنهم ذكور ليسوا بإناث»[(٥)].

---

(١) في (ب): (هم رجال).

(٢) أخرجه ابن الأنباري في الأضداد ٣٦٩، والطبري ٨/ ١٩٣، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٨٤ بسند ضعيف، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٢٣، ٢٤، وقال: «رواه الطبراني في الصغير والأوسط، وفيه محمد بن مخلد الرعيني، وهو ضعيف، وروى الطبراني نحوه، وفيه أبو معشر نجيح بن عبدالرحمن السندي، وهو ضعيف» اهـ. وذكره ابن كثير في تفسيره ٢/ ٢٤٢، وقال: «رواه ابن مردويه، وسعيد ابن منصور وابن جرير وابن أبي حاتم من طرق عن أبي معشر به، وكذا رواه ابن ماجه مرفوعاً من حديث أبي سعيد الخدري، وابن عباس، والله أعلم بصحة هذه الأخبار المرفوعة وقصارها أن تكون موقوفة، وفيه دلالة على ما ذكر» اهـ. وقال الشيخ أحمد شاكر -رحمه الله تعالى- في حاشية الطبري ١٢/ ٤٥٨، ٤٥٩: «هذا خبر ضعيف لما فيه من المجاهيل ولضعف أبي معشر» اهـ. وذكره ابن حجر في الإصابة ٢/ ٤٢٦، ترجمة عبدالرحمن المزني، وفي المطالب العالية ١٤/ ٦٦٤ (٣٦٠٨)، والسيوطي في الدر ٣/ ١٦٣، ١٦٤ وفيه زيادة تخريج.

(٣) لم أقف عليه، ولعله روى سليمان التيمي عن أبي مجلز بدلالة قوله: «قال: فقيل لأبي مجلز»، والقائل هو سليمان التيمي، كما أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٩٣، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٨٦ من طرق عدة جيدة عن سليمان التيمي عن أبي مجلز، وانظر: الدر المنثور ٣/ ١٦٤.

(٤) أبو مجلز: لاحق بن حميد السدوسي، إمام. تقدمت ترجمته.

(٥) هذا قوله رده أكثر أهل التفسير، قال الطبري ٨/ ١٩٣: «هو قول لا معنى له» اهـ. وقال ابن الجوزي ٣/ ٢٠٦: «فيه بُعد وخلاف للمفسرين» اهـ. وقال ابن كثير ٢/ ٢٤٣: «رواه ابن جرير، وهو صحيح إلى أبي مجلز أحد التابعين، وهو غريب من قوله، وخلاف الظاهر من السياق، وقول الجمهور مقدم على قوله بدلالة الآية على ما ذهبوا إليه» اهـ.

وقوله تعالى : ﴿ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ﴾ ، قـال المفسرون[١] : «إنهم يرون أهل الجنة فيعرفونهم ببياض وجوههم ، ويرون أهل النار فيعرفونهم بسواد وجوههم وزرقة عيونهم» .

قال أبو إسحاق : «يعرفون أصحاب الجنة ؛ لأن سيماهم إسفار الوجوه والضحك والاستبشار ، كما قال عز وجل : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴾ [عبس : ٣٨، ٣٩] ، ويعرفون أصحاب النار بسواد وجوههم وغبرة[٢] وزرقة عيونهم[٣] كما قال جل ذكره : ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴾ [عبس : ٤٠]»[٤] .

قال ابن الأنباري : «إنما خص الله -تعالى- هؤلاء بمعرفة الجماعة دون الخلق ؛ لأن موضعهم مرتفع عالٍ ، يرون فيه أهل الجنة في الجنة ، وأهل النار في النار دون الخلق ، وكأن الاختصاص من أجل[٥] هذا المعنى»[٦] وذكرنا معنى السيما[٧] في سورة [البقرة][٨] .

---

(١) هذا قول مجاهد في تفسيره ١/ ٢٣٧ ، والفرَّاء في معانيه ١/ ٣٧٩ ، والطبري ٨/ ١٩٤ ، ١٩٥ ، وأخرجه من طرق جيدة عدة عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة والسدي والضحاك وابن زيد ، وانظر : معاني النحاس ٣/ ٣٨ ، والسمرقندي ١/ ٥٤٣ ، والماوردي ٢/ ٢٢٦ ، والبغوي ٣/ ٢٣٣ ، وابن عطية ٥/ ٥١٥ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٠٦ .

(٢) لفظ : (غبرة) ساقط من (ب) .

(٣) لفظ : (وزرقة عيونهم) ساقط من (أ) ، ولا يوجد في معاني الزَّجَّاج .

(٤) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٤٣ .

(٥) في (ب) : (من أجله) ، وهو تحريف .

(٦) لم أقف عليه عن ابن الأنباري . وانظر : الأضداد لابن الأنباري ٣٦٨_٣٧٠ .

(٧) انظر : البسيط ، النسخة الأزهرية ١/ ١٦٣ أ .

(٨) لفظ : (البقرة) ساقط من (ب) .

وقوله تعالى : ﴿وَنَادَوْاْ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ ، قال الكلبي : «إذا نظروا إلى الجنة سلموا على أهلها فردوا عليهم السلام ، وإذا نظروا إلى النار ﴿قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾»(١) .

وقال عطاء عن ابن عباس : «﴿وَنَادَوْاْ﴾ يريد : أصحاب الأعراف ﴿أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾(٢) ، فردوا عليهم السلام ، فقال أصحاب الجنة لخزنة جهنم : ما لأصحابنا على أعراف الجنة لم يدخلوها ؟ فقال الملائكة : ﴿وَهُمْ(٣) يَطْمَعُونَ﴾»(٤)

وقوله تعالى : ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ بعضه من قول أهل الجنة ، وبعضه من كلام الملائكة جواباً لأهل الجنة ، على ما قال عطاء ، وعلى قول الباقين هو من كلام الله تعالى ، وإخباره أن أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون(٥) .

قال حذيفة : «ولم يكن الله ليخيب طمعهم»(٦) ، وقال سعيد بن جبير : «طمعوا لأن الله تعالى سلب نور المنافقين وهم على الصراط وبقي نورهم»(٧) .

---

(١) تنوير المقباس ٢/ ٩٧ ، وهو قول أكثر المفسرين ، انظر : الأضداد لابن الأنباري ٣٦٨ ، وتفسير الطبري ١٢/ ٤٦٤ ، والسمرقندي ١/ ٥٤٣ ، والبغوي ٣/ ٢٣٣ ، وابن عطية ٥/ ٥١٦ ، والرازي ١٤/ ٩٠ .

(٢) لفظ : (أن) ساقط من (ب) .

(٣) في (ب) : (وهم) .

(٤) ذكره السمين في الدر ٥/ ٣٣٠ ، وقال : «وهذا يبعد صحته عن ابن عباس إذ لا يلائم فصاحة القرآن» اهـ .

(٥) قال النحاس في معانيه ٣/ ٣٩ : «قال الله عز وجل : ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ . قال أكثر أهل التفسير يعني أصحاب الأعراف» اهـ . فهذا إخبار من الله تعالى أن أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنة ، وهم يطمعون في دخولها قاله الجمهور . انظر : تفسير الطبري ٨/ ١٩٦ ، والقطع والائتناف للنحاس ١/ ٢٥٣ ، والسمرقندي ١/ ٥٤٣ ، والبغوي ٣/ ٢٣٣ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٠٦ .

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٨٥ ، وانظر : إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري ٢/ ٦٥٥ .

(٧) أخرجه الطبري ٨/ ١٩٦ ، والبغوي ٣/ ٢٣٢ بسند ضعيف عن سعيد بن جبير عن ابن مسعود رضي الله عنه .

وروي عن الحسن أنه قال : «هذا طمع اليقين ، كقول إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى ﴾ [الشعراء : ٨٢]»[١] .

٤٧. قوله تعالى : ﴿وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ الآية ، التلقاء[٢] : جهة اللقاء وهي جهة المقابلة ، ولذلك[٣] كان ظرفاً من ظروف المكان ، هو تلقاءك ، كقولك : هو حذاءك ، وهو في الأصل مصدر واستعمل ظرفاً مثل البين .

قرأت على أبي الحسين[٤] بن أبي عبدالله الفسوي[٥] ، فقلت : أخبركم حمد ابن محمد[٦] قال : أخبرني أبو عمر[٧] محمد بن عبدالواحد[٨] أبنا ثعلب عن الكوفيين ، والمبرِّد عن البصريين قالا : «لم يأت من المصادر على تِفْعال إلا حرفان : تِبْيان ، وتِلْقاء ، فإذا تركت هذين استوى لك القياس في كلام الناس ، فقلت في كل مصدر : تَفعال -بفتح التاء- مثل تَسْيار وتَهيام ، وقلت في كل اسم : تِفعال

(١) ذكره هود الهواري في تفسيره ٢/ ٢١ ، وأخرج عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢٣٠ ، والطبري ٨/ ١٩٦ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٨٨ بسند جيد عن الحسن قال : «والله ما جعل ذلك الطمع في قلوبهم إلا لكرامة يريدها بهم» اهـ . وانظر : الدر المنثور ٣/ ١٦٥ ، وذكره أبو حيان في البحر ٤/ ٣٠٣ عن ابن مسعود ، ثم قال : «وهذا هو الأظهر والأليق بمساق الآية» اهـ . وانظر : تفسير ابن عطية ٥/ ٥١٦ .

(٢) اللِّقاءُ : مقابلة الشيء ومصادفته ، والاسم التلقاء وهو مصدر نادر لا نظير له إلا التِّبْيان . انظر : العين ٥/ ٢١٥ ، والجمهرة ٢/ ٩٧٧ ، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٢٩٠ ، والصحاح ٦/ ٢٤٨٤ ، والمجمل ٣/ ٨١١ ، ومقاييس اللغة ٥/ ٢٦٠ ، والمفردات ٧٤٥ ، واللسان (لقى) ٧/ ٤٠٦٥ .

(٣) في (ب) : «وكذلك قال ظرفاً» ، وهو تحريف .

(٤) في (ب) : (أبي الحسن) ، وهو تحريف .

(٥) هو عبدالغافر بن محمد بن عبدالغافر بن أحمد الفسوي أبو الحسين بن أبي عبدالله الفارسي ، أحد شيوخ الواحدي . تقدمت ترجمته .

(٦) حمد بن محمد الخطابي أبو سليمان البستي ، إمام . سبقت ترجمته في ١٩٠ .

(٧) في (أ) : (أبو عمرو) ، وهو تحريف .

(٨) محمد بن عبدالواحد بن أبي هاشم البَاوَرْدِي . تقدمت ترجمته .

-بكسر التاء- مثل تِقصار وتِمثال»[١] . وتفسير الآية ما ذكرنا من قول الكلبي في الآية الأولى .

٤٨-٤٩ . قوله تعالى : ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ﴾ ، قال الكلبي : «وينادي أصحاب الأعراف قوماً من أهل النار من رؤساء المشركين ، فيقولون[٢] لهم : ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ﴾ وما كنتم تستكثرون[٣] من الأموال والأولاد ، وتستكبرون عن عبادة الله جل وعلا ، ثم يرون في الجنة جماعة من مستضعفي المسلمين ، مثل بلال ، وسلمان[٤] ، وعمار ، وخباب ، فيقبلون على المشركين ، فيقولون : ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ﴾ [الأعراف : ٤٩] ؛ أي حلفتم وأنتم في الدنيا ﴿لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ﴾ برحمته ، فيقول الله تبارك وتعالى لأصحاب الأعراف : ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ﴾ حين يخاف أهل النار ، ﴿وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾ حين يحزنون»[٥] .

---

(١) ذكره والرازي ١٤/ ٧٥ عن الواحدي ، وقال السمين في الدر ٥/ ٣٣١ : «التلقاء في الأصل مصدر ، ثم جعل دالاً على المكان ؛ أي على جهة اللقاء والمقابلة ، قالوا : ولم يجئ من المصادر على تفعال- بكسر التاء- إلا لفظتان : التلقاء ، والتبيان ، وما عدا ذلك من المصادر فمفتوح نحو الترداد والتكرار ، ومن الأسماء مكسور نحو تِمثال وتِمساح وتِقصار» اهـ .
انظر : التبيان ٣٧٧ ، والفريد ٢/ ٣٠٦ ، والقرطبي ٧/ ٢١٤ .

(٢) في (ب) : (فيقول) .

(٣) في (ب) : (تستكبرون) ، وهو تحريف .

(٤) سلمان ، أبو عبدالله الفارسي ، ويقال له : سلمان الخير ، وسلمان ابن الإسلام ، صحابي جليل ، زاهد ، عالم ، حكيم ، شهد الخندق وما بعدها ، وفضله ومناقبه وثناء الأئمة عليه كثير ، توفي -رضي الله عنه- سنة ٣٤هـ .
انظر : الحلية١/ ١٨٥ ، والاستيعاب ٢/ ١٩٤ ، ١٠١٩ ، وسير أعلام النبلاء ١/ ٥٠٥ ، والإصابة ١/ ٦٢ ، وتهذيب التهذيب ٢/ ٦٨ ، والأعلام ٣/ ١١١ .

(٥) تنوير المقباس ٢/ ٩٧ ، ٩٨ ، وذكره ابن الأنباري في الأضداد ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، والبغوي ٣/ ٢٣٣ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

و[(١)] قال مقاتل بن سليمان : «﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ ﴾ من كلام الملائكة الذين حبسوا أصحاب الأعراف على الصراط ، وذلك أن أهل النار يقسمون أن أصحاب الأعراف داخلون معهم النار ، فتقول الملائكة الذين حبسوا أصحاب الأعراف على الصراط : ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ ﴾ يا أهل النار ﴿ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍ ﴾ ، ثم تقول الملائكة لأصحاب الأعراف : ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ ﴾»[(٢)] الآية .

قال أبو بكر بن الأنباري : «قوله : ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍ ﴾ على تفسير الكلبي من كلام أصحاب الأعراف و﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ من كلام الله تعالى ، ويحتاج هاهنا إلى إضمار (قول) بين قوله : ﴿ بِرَحۡمَةٍ ﴾ وقوله : ﴿ ٱدۡخُلُواْ ﴾ ؛ أي فقال[(٣)] لهم هذا كما قال : ﴿ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُمۡ ﴾ [الشعراء : ٣٥] ، وانقطع كلام الملأ[(٤)] هنا ، ثم قال لهم فرعون : ﴿ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ﴾ [الشعراء : ٣٥] ، فاتصل كلامه بكلامهم ، من غير إظهار قول ؛ لبيان المعنى»[(٥)] .

٥٠. قوله تعالى : ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ ﴾ الآية ، قال ابن عباس في رواية عطاء : «لما صار أصحاب الأعراف إلى الجنة طمع أهل النار بفرج بعد الإياس ، فقالوا[(٦)] : يا رب إن لنا قرابات من أهل الجنة ، فأذن لنا حتى نراهم ونكلمهم ، فأمر الله الجنة فتزخرفت حتى نظر أهل جهنم إلى قراباتهم في الجنة ، وما هم فيه من النعيم فعرفوهم ، ونظر أهل الجنة إلى قراباتهم من أهل

---

(١) لفظ : (الواو) ساقط من (ب) .
(٢) تفسير مقاتل ٢/ ٣٩ .
(٣) فقال الله لهم .
(٤) في (ب) : (الملائكة) ، وهو تحريف .
(٥) ذكره السمين في الدر ٥/ ٣٣٢ ، وذكره والرازي ١٤/ ٩١ ، ٩٢ بلا نسبة ، وانظر : إيضاح الوقف والابتداء ، لابن الأنباري ٢/ ٦٥٧ .
(٦) في (ب) : (فقال) ، وهو تحريف .

النار[(١)] فلم يعرفوهم، قد اسودت وجوههم، وصاروا خلقاً آخر، فنادى أصحاب النار أصحاب الجنة بأسمائهم، وأخبروهم بقراباتهم ﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ﴾ الآية»[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾، قال ابن زيد والسدي: «يعني: الطعام»[(٣)].

قال أبو إسحاق: «أعلم الله -عز وجل- أن ابن آدم غير مستغن عن الطعام والشراب، وإن كان معذباً، فأعلمهم أهل الجنة أن الله حرم طعامهم وشرابهم على أهل النار بقولهم[(٤)]: ﴿إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾»[(٥)]، [و] هذا[(٦)] تحريم منع لا تحريم تعبد.

---

(١) في (ب): (أهل جهنم).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٨٦، والبغوي ٣/ ٢٣٤، وابن الجوزي ٣/ ٢٠٨، والرازي ١٤/ ٩٢، والخازن ٢/ ٢٣٥، وأخرج سفيان الثوري في تفسيره ١١٣، والطبري ٨/ ٢٠١، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٩٠ بسند جيد عن ابن عباس في الآية قال: ينادي الرجل معرفته من أهل الجنة: أغثني يا فلان فقد احترقت، فيقول الله تعالى جل ذكره: ﴿إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ اهـ. وانظر: الدر المنثور ٣/ ١٦٦.

(٣) أخرجه الطبري ٨/ ٢٠١، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٩١ بسند جيد عن ابن زيد والسدي، وانظر: الدر المنثور ٣/ ١٦٦.

(٤) في (ب): (بقوله).

(٥) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٤٤.

(٦) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).

٥١. قولــه تعــالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا ﴾ . قــال ابن عباس[١] : «يريد : المستهزئين المقتسمين»[٢] .

قال أهل المعاني[٣] : «معنى اللهو : صرف الهمِّ بما لا يحســن ، كالإنسان يريد أن يصرف الهمَّ والحزن عن نفســه ؛ فيشــتغل بما لا يجدي عليــه ، وهؤلاء طلبوا صرف الهــّم عنهــم بالتهزُّؤ بالدين وعيــب المؤمنين» ، وعلى هــذا معنى قوله : ﴿ دِينَهُمْ ﴾ ؛ أي الدين الذي شرع لهم ، وهؤلاء تلاعبوا بذلك [الدين][٤] .

وقوله تعالى : ﴿ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا ﴾ .

قال ابن عباس : «يريد : نتركهم في جهنم كما تركوا لقاء يومهم هذا»[٥] يريد : التكذيب بالبعث والجنة والنار ، ومعنى ﴿نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ﴾ تركوه بالتكذيب به[٦] ، كما قال ابن عباس .

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٩٠ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٠٩ ، والرازي ١٤/ ٩٣ ، والخازن ٢/ ٢٣٥ .

(٢) المستهزئين المقتسمين جماعة لهم قوة وشوكة من كفار قريش نصبوا العداء للرسول ﷺ ، وتقاسموا عقاب مكة للصد عمَّا جاء به ، وقد اختلف العلماء في عددهم ، وأسمائهم ، وكيفية هلاكهم .
انظر : تفسير الماوردي ٣/ ١٧٢ ، وزاد المسير ٤/ ٤٢١ ، والرازي ١٩/ ٢١١ ، والدر المنثور ٤/ ١٩٨ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٢/ ٤٠ ، والطبري ٨/ ٢٠٢ ، والسمرقندي ١/ ٥٤٤ ، وأخرج الطبري ٨/ ٢٠٢ بسند جيد عن ابن عباس في الآية ، قال : «ذلك أنهم كانوا إذا دعوا إلى الإيمان ، سخروا ممن دعاهم إليه ، وهزأوا به اغتراراً بالله» اهـ .

(٤) لفظ : (الدين) ساقط من (ب) .

(٥) أخرجه الطبري ٨/ ٢٠٢ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٩٢ ، والبيهقي في الأسماء والصفات ٦٢٠ بسند جيد ، وقال البيهقي «يريد ـ والله أعلم ـ كما تركوا الاستعداد للقاء يومهم هذا» اهـ . وانظر : الدر المنثور ٣/ ١٦٧ .

(٦) لفظ : (به) ساقط من (ب) .

وقال الزَّجَّاج: «أي نتركهم في عذابهم كما تركوا العمل للقاء يومهم»[(١)]، وهذا قول الحسن[(٢)]، ومجاهد[(٣)]، والسدي[(٤)]، وجميع المفسرين[(٥)]، قالوا: «إن معنى النسيان هاهنا: الترك».

قال ابن الأنباري: «فاليوم نتركهم في النار على غير إغفال ونسيان، كما تركوا العمل لنا عامدين لا غافلين، فمعنى تركهم لقاء ذلك اليوم: تركهم العمل بطاعة الله لذلك اليوم»[(٦)].

وقال أصحاب المعاني: «معنى ﴿نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟﴾: نعاملهم معاملة من نسي بتركهم[(٧)] في النار كما فعلوا في الإعراض عن آياتنا، وما ندبناهم إلى العمل به، فِعْل من نسي وغفل، فكذلك[(٨)] نجازيهم بمثل فعلهم، فنوقع بهم ما يشبه النسيان بأن لا نجيب لهم دعوة ولا نرحم لهم عبرة»[(٩)].

---

(١) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٤١.

(٢) ذكره والرازي ١٤/ ٩٣، قال: «هو قول الحسن ومجاهد والسدي والأكثرين» اهـ. وقال أبو حيان في البحر ٤/ ٣٠٥: «وهو قول الحسن والسدي أيضاً والأكثرون».

(٣) تفسير مجاهد ١/ ٢٣٨، وأخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢٣٠، والطبري ٨/ ٢٠٢ من طرق جيدة عدة.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٤٩٢، من طرق جيدة عن مجاهد والسدي، وانظر: الدر المنثور ٣/ ١٦٧.

(٥) انظر: الطبري ٨/ ٢٠٢، ومعاني النحاس ٣/ ٤١، والسمرقندي ١/ ٥٤٤، والبغوي ٣/ ٢٣٤، وابن عطية ٥/ ٥٢١.

(٦) ذكره ابن الجوزي في تفسيره ٣/ ٢٠٩، وفي الأضداد لابن الأنباري ٣٩٩ نحوه، وانظر: مجاز القرآن ١/ ٢١٥، وتفسير غريب القرآن ١٧٨.

(٧) في (ب): (نتركهم).

(٨) في (ب): (وكذلك).

(٩) ذكره والرازي ١٤/ ٩٣، والخازن ٢/ ٢٣٥، وقال ابن كثير في تفسير الآية ٢/ ٢٤٥: «أي يعاملهم معاملة من نسيهم؛ لأنه تعالى لا يشذ عن علمه شيء ولا ينساه.. وإنما قال تعالى هذا من باب المقابلة» اهـ. ملخصاً.

وقولـه تعـالى : ﴿وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجۡحَدُونَ﴾ . قـال الزَّجَّاج : «أي كجحدهـم[١] ، ﴿وَمَآ﴾ في موضع جر نسـق عـلى ﴿كَمَآ﴾»[٢] (وما) في قوله : ﴿كَمَا نَسُواْ﴾ وقوله : ﴿وَمَا كَانُواْ﴾ بمعنى المصدر ، والتقدير : ننسـاهم نسياناً كنسيانهم يومهم هذا ولكونهم جاحدين بآياتنا ، قاله أبو علي[٣] .

٥٢. قوله تعـالى : ﴿وَلَقَدۡ جِئۡنَـٰهُم بِكِتَـٰبٖ﴾ ، قال ابن عباس : «يريد : الذي جاء به محمد ﷺ ﴿فَصَّلۡنَـٰهُ﴾ ، يريد : بيناه»[٤] ، والتفصيل تبيين المعاني بإظهارها مما يلتبس بها ، فالتفصيل كالتبيين[٥] .

وقوله تعالى : ﴿عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾ ؛ أي فصلناه بعلم لم يقع منا فيه سـهو ولا غلط ، وقيل : ﴿عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾ في الكتاب ، وهو ما أودع من العلوم[٦] وبيان الأحكام .

---

(١) في (ب) : (أي وبجحدهم) .

(٢) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٤١ .

(٣) الحجة لأبي علي ٣/ ٦٠ و٦/ ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، وهو قول الأكثر . انظر : الإيضاح لابن الأنباري ٢/ ٦٥٧ ، وإعراب النحاس ١/ ٦١٥ ، والمشكل ١/ ٢٩٣ ، والبيان ١/ ٣٦٤ ، والفريد ٢/ ٣٠٩ ، والدر المصون ٥/ ٣٣٦ .

(٤) تنوير المقباس ٢/ ٩٩ ، وهو قول المفسرين عامة . انظر : الطبري ٨/ ٢٠٣ ، والسمرقندي ١/ ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، والبغوي ٣/ ٢٣٥ ، وابن عطية ٥/ ٥٢٢ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٠٩ .

(٥) التفصيل : التبيين ، وأصل الفَصْل القطع والقضاء وإبانة الشيء عن الآخر . انظر : العين ٧/ ١٢٦ ، والجمهرة ٢/ ٨٩١ ، وتهذيب اللغة ٣/ ٢٧٩٥ ، والصحاح ٥/ ١٧٩٠ ، ومقاييس اللغة ٤/ ٥٠٥ ، والمفردات ٦٣٩ ، واللسان (فصل) ٦/ ٣٤٢٢ .

(٦) أكثرهم قال : «المعنى بيناه على علم منا بها فصلناه به» اهـ . انظر : تفسير مقاتل ٢/ ٤٠ ، والطبري ٨/ ٢٠٣ ، والسمرقندي ١/ ٥٤٥ ، والماوردي ٢/ ٢٢٨ ، والبغوي ٣/ ٢٣٥ ، وابن الجوزي ٣/ ٢١٠ .

وقوله تعالى: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾، قال الزَّجَّاج: «﴿هُدًى﴾ في موضع نصب؛ أي فصلناه هادياً وذا رحمة»(١).

وقوله تعالى: ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يدل على أن القرآن جُعل هدى لقوم مخصوصين، أريد به هدايتهم دون غيرهم ممن كذب به.

٥٣. قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾، النظر هاهنا بمعنى: الانتظار(٢)، وقد مر في سورة البقرة(٣)، وإنما قيل لهم: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾، وإن كانوا جاحدين؛ لأنهم في منزلة المنتظر كأنهم ينتظرون ذلك لأنهم يأتيهم لا محالة، وفيه وجه آخر ذكرناه في قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الأنعام: ١٥٨] في آخر سورة الأنعام.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾. قال الفرَّاء: «الهاء في ﴿تَأْوِيلُهُۥ﴾ للكتاب، يريد: عاقبته وما وعد الله فيه»(٤) [يعني: من البعث والنشور والعقاب والحساب.

---

(١) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٤١، والجمهور على نصبها على الحال من مفعول ﴿فَصَّلْنَٰهُ﴾، أو على أنه مفعول لأجله؛ أي فصلناه لأجل الهداية والرحمة. قالوا: ويجوز الجر على النعت لكتاب أو البدل منه، والرفع على تقدير مبتدأ؛ أي هو هدى ورحمة. انظر: معاني الفرَّاء ١/ ٣٨٠، وتفسير الطبري ٨/ ٢٠٣، وإعراب النحاس ١/ ٦١٥، والمشكل ١٢٩٣، والبيان ١/ ٣٦٤، والتبيان ٣٧٨، والفريد ٢/ ٣٠٩، والبحر ٤/ ٣٠٦، والدر المصون ٥/ ٣٦٦.

(٢) النَّظَر: تقليب البَصَر والبَصيرة لإدراك الشيء وتأمله ورؤيته، والنَّظَر: الانتظار يقال: نَظَرْتُه؛ أي انتَظَرْتُه، وأَنْظَرْتُه: أَخَّرْتُه. انظر: الجمهرة ٢/ ٧٦٣، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٦٠٤، والصحاح ٥/ ٣٨٠، والمجمل ٣/ ٨٧٣، ومقاييس اللغة ٥/ ٤٤٤، والمفردات ٨١٣، واللسان (نظر) ٧/ ٤٤٦٦.

(٣) انظر: البسيط، النسخة الأزهرية ١/ ١٢٦ب.

(٤) معاني الفرَّاء ١/ ٣٨٠، وانظر: مجاز القرآن ١/ ٢١٦، وتفسير غريب القرآن ١٧٨.

وقال مقاتل(١) : ﴿ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ﴾ عاقبة ما وعدوا](٢) على ألسنة الرسل . ومضى(٣) الكلام في التأويل في سورة آل عمران(٤) أولاً ، ثم في النساء(٥) ثانياً .

وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ ﴾ ؛ قال ابن عباس : «يريد : يوم القيامة»(٦) .

قال الزَّجَّاج : «﴿ يَوْمَ ﴾ نصب بقوله : ﴿ يَقُولُ ﴾(٧) . قال : [و](٨) ﴿ الَّذِينَ نَسُوهُ ﴾ معناه(٩) أنهم صاروا في الإعراض عنه بمنزلة من نسي ، وجائز أن يكون ﴿ نَسُوهُ ﴾ تركوا(١٠) العمل له والإيمان به»(١١) ، وهذا كما ذكرنا في قوله : ﴿ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا ﴾ [الأعراف : ٥١] .

---

(١) تفسير مقاتل ٢/ ٤٠ ، وقال النحاس في إعراب القرآن ١/ ٦١٦ : «في معناه قولان ؛ أحدهما : هل ينظرون إلا ما وعدوا به في القرآن من العقاب والحساب ، والقول الآخر : ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ من النظر إلى يوم القيامة» اهـ . وانظر : معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٤١ ، والطبري ٨/ ٢٠٤ ، ومعاني النحاس ٣/ ٤١ ، ٤٢ ، والسمرقندي ١/ ٥٤٥ ، والماوردي ٢/ ٢٢٨ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٣) في النسخ : (ومعنى) ، والأولى (ومضى) .

(٤) انظر : البسيط ، النسخة الأزهرية ١/ ١٧٥أ .

(٥) انظر : البسيط ، نسخة جستربتي ٢/ ٤أ .

(٦) أخرجه الطبري ٨/ ٢٠٤ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٩٤ بسند ضعيف ، وقال ابن القيم كما في بدائع التفسير ٢/ ٢١٧ ، ٢١٨ : «فمجيء ، تأويله مجيء نفس ما أخبرت به الرسل من اليوم الآخر والمعاد وتفاصيله ، والجنة والنار ويسمى تعبير الرؤيا تأويلاً بالاعتبارين ، فإنه تفسير لها ، وهو عاقبتها وما تؤول إليه ، فتأويل ما أخبرت به الرسل هو مجيء حقيقته ورؤيتها عياناً ، ومنه تأويل الرؤيا ، وهو حقيقتها الخارجية التي ضربت للرائي في عالم المثال» اهـ .

(٧) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٤١ ، وانظر : إعراب النحاس ١/ ٦١٦ ، والمشكل ١/ ٢٩٣ ، والبيان ١/ ٣٦٤ ، والتبيان ٣٧٨ ، والفريد ٢/ ٣١٠ ، والدر المصون ٥/ ٣٣٧ ، وكلهم على أنه منصوب على الظرف ، والعامل فيه ﴿يَقُولُ﴾ .

(٨) لفظ : (الواو) ساقط من (ب) .

(٩) في (ب) : (معنا) ، وهو تحريف .

(١٠) في (ب) : «تركوه العمل» ، وهو تحريف .

(١١) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٤١ ، ٣٤٢ ، وانظر : الطبري ٨/ ٢٠٤ ، ومعاني النحاس ٣/ ٤٢ ، والسمرقندي ١/ ٥٤٥ ، والماوردي ٢/ ٢٢٩ .

وقوله تعالى: ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾ نسق على قوله: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ﴾، كأنه قيل: هل يشفع لنا شافع، أو هل نرد ﴿فَنَعْمَلَ﴾، منصوب على جواب الاستفهام [بالفاء[1]][2]، ومعنى: ﴿فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ نوحد الله قاله ابن عباس[3].

قال الله تعالى[4]: ﴿قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾، قال ابن عباس: «يريد: قد خسروا النعيم[5] وصاروا إلى الخزي والعذاب»[6] ومضى الكلام[7] في: ﴿خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾، يريد: سقط عنهم ما كانوا[8] يقولون من أن مع الله إلهاً آخر[9].

٥٤. قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾. قال الليث: «السِّتُّ والسِّتة في التأسيس على غير لفظيهما، وهما في الأصل سِدْس وسِدْسَة، ولكنهم أرادوا إدغام الدال في السين

---

(١) لفظ: (بالفاء) ساقط من (ب).

(٢) هذا قول الزَّجّاج في معانيه ٢/ ٣٤٢ وهو المشهور، وقول الجمهور: «فتكون جملة ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾ معطوفة على جملة ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ﴾ داخلة معها في حكم الاستفهام». انظر: معاني الفرَّاء ١/ ٣٨٠، والأخفش ٢/ ٣٠٠، وتفسير الطبري ١٢/ ٢٠٥، وإعراب النحاس ١/ ٦١٦، والمشكل ١/ ٢٩٣، والبيان ١/ ٣٦٤، والتبيان ٣٧٨، والفريد ٢/ ٣١٠، والبحر ٤/ ٣٠٦، والدر المصون ٥/ ٣٣٧.

(٣) تنوير المقباس ٢/ ٩٩، وفيه: «فنؤمن ونعمل غير الذي كنا نعمل في الشرك» اهـ.

(٤) في (ب) تكرار، قال الله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾.

(٥) في (ب): «خشروا النعيم»، وهو تصحيف.

(٦) تنوير المقباس ٢/ ٩، وفيه: «غبنوا أنفسهم بذهاب الجنة ولزوم النار» اهـ.

(٧) انظر: معنى الخسران في البسيط، [البقرة: ٢٧].

(٨) في (ب) تكرار: «يريد سقط عنهم ما كانوا يفترون يريد سقط عنهم ما كانوا يقولون ....».

(٩) انظر: تفسير الطبري ٨/ ٢٠٥، والسمرقندي ١/ ٥٤٥، والبغوي ٣/ ٢٣٥.

فالتقتا عند مخرج التاء فغلبت[١] عليها، وبيان ذلك أنك [تصغر][٢] ستة سُدَيْسة، وكذلك الأسداس، وجميع تصريفها[٣] على ذلك»[٤].

ابن السكيت: «يقال: جاء فلان سادساً، وسادياً، وساتّاً؛ فسادس على لفظ السُّدس، وساتٌّ على لفظ ستَّة أدغموا الدال في السين فصارت تاء مشددة، ومن قال سادياً أبدل من السين ياء»[٥].

قال أهل التفسير: «قوله: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾، أراد: في مقدار ستة أيام؛ لأن اليوم من لدن طلوع الشمس إلى غروبها، فكيف [يكون][٦] يوم ولا شمس ولا سماء؟ وهذا كقوله: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢] على مقادير البكرة والعشي في الدنيا؛ إذ لا ليل ثم ولا نهار[٧]، فإن قيل: لأي علة ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾؟ ولو خلقهن في طرفة عين كان أدل على نفاذ قدرته، والله تعالى يقول: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠]،

---

(١) في (ب): (فقلبت)، وهو تصحيف.

(٢) لفظ: (تصغر) ساقط من (أ).

(٣) في (ب): (تصريفها)، وعند الأزهري في تهذيب اللغة ٢/ ١٦٢٣: (تصغيرها).

(٤) تهذيب اللغة ٢/ ١٦٢٣، وانظر: العين (ست) ٧/ ١٨٦.

(٥) إصلاح المنطق ٣٠١، وتهذيب اللغة ٢/ ١٦٢٣. وانظر: الصحاح (ستت) ١/ ٢٥١، والمفردات (سدس) ٤٠٣، واللسان (ستت) ٤/ ١٩٣٥.

(٦) لفظ: (يكون) ساقط من (ب).

(٧) قال ابن الجوزي في تفسيره ٣/ ٢١١: «أي في مقدار ذلك ولم تكن الشمس حينئذ، قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وكعب: مقدار كل يوم من تلك الأيام ألف سنة. ولا نعلم خلافاً في ذلك» اهـ. بتصرف.

وانظر: تفسير السمرقندي ١/ ٥٤٥، والبغوي ٣/ ٢٣٥، وابن عطية ٥/ ٥٢٥، والرازي ١٤/ ١١٨، والقرطبي ٧/ ٢١٩.

والجواب : ما قال سعيد بن جبير : «قدر الله على خلق السموات والأرض في لمحة ولحظة ، وإنما خلقهن في ستة أيام تعليماً لخلقه الرفق والتثبت في الأمور»(١) .

وقال أهل المعاني : «إن تدبير الحوادث على إنشاء شيء بعد شيء على ترتيب ، أدل على عالم مدبر يصرفه على اختياره ويجريه على مشيئته» ، وقيل : «أراد بذلك زيادة البصيرة للملائكة في يقينهم(٢) لما يشاهدونه من ظهور شيء وإنشاء خلق بعد خلق»(٣) .

وقال أبو بكر بن الأنباري : «إن الله(٤) خلق السموات والأرض والليل والنهار تكرمة لآدم وذريته ، وقد بيَّن هذا في قوله : ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ [البقرة : ٢٢] ، وفي قوله : ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ [القصص : ٧٣] ، فلما كان خلق هذه الأشياء تكرمة لآدم وولده ، وكانت الأيام سبعة أوقع في كل يوم منها ضرباً من التكرمة نبه به الملائكة على عظم شأن آدم وولده عنده ، وكان خلق السموات والأرض في ستة أيام عن غير عجز من الله -عز وجل- أن يكون في لمحة ، ولكنه -تعالى- أراد أن يوقع في كل يوم منها أمراً من خلقه تستعظمه الملائكة وجميع المشاهدين له»(٥) ، وهذا معنى قول مجاهد : «إن ذلك رُتِّب على الأيام : الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة ، فاجتمع الخلق فيه»(٦) .

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف ١٩١ أ ، والبغوي ٣/ ٢٣٥ ، والخازن ٢/ ٢٣٧ .

(٢) في (ب) : (في نفسهم) .

(٣) ذكر هذه الأوجه الماوردي ٢/ ٢٣٠ ، وابن الجوزي ٣/ ٢١٢ ، والرازي ١٤/ ١١٨ ، والخازن ٢/ ٢٣٧ ، وقال النحاس في إعراب القرآن ١/ ٦١٧ : «لأنه علم أن ذلك أصلح ليظهر قدرته للملائكة شيئاً بعد شيء» اهـ .

(٤) في (ب) : (الله تعالى) .

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٩١ ، وابن الجوزي ٣/ ٢١٢ مختصراً .

(٦) أخرجه الطبري ٨/ ٢٠٥ ، والبيهقي في الأسماء والصفات ٢/ ٢٤٣ بسند جيد ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ١٦٩ .

وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ ؛ أي أقبل على خلقه ، وقصد إلى ذلك بعد خلق السموات والأرض ، وهذا قول الفرَّاء[(١)] وأبي العباس[(٢)] والزَّجَّاج[(٣)] .

وقال آخرون : ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ معناه استولى[(٤)] ، واحتجوا بقول البعيث[(٥)] :

ثـم اسْتَوَى بِشْرُ علـى العِـرَاقِ　　مِـن غير سـيفٍ ودمٍ مُهْـرَاقِ[(٦)]

---

(١) معاني الفرَّاء ١/ ٢٥ وفيه حكى أوجه منها : «أن يستوي الرجل وينتهي شبابه ، أو يستوي عن اعوجاج ، وبمعنى أقبل ، وبمعنى صعد ، وكلٌّ في كلام العرب جائز» .

(٢) تهذيب اللغة ٢/ ١٧٩٤ ، وفي مجالس ثعلب ١/ ١٧٤ و٢٦٩ ، قال : «يقال فيه ضروب ، الفرَّاء وأصحابنا يقولون : أقبل . ويقال : استوى عليه من الاستواء ، والمعتزلة يقولون : استولى» اهـ .

(٣) معاني الزَّجَّاج ١/ ١٠٧ قال : «فيه قولان : عمد وقصد إلى السماء ، كما تقول : قد فرغ الأمير من بلد كذا وكذا ثم استوى إلى بلد كذا ، معناه قصد الاستواء إليه ، وقد قيل أيضاً : استوى ؛ أي صعد أمره إلى السماء» .

(٤) هذا قول أهل التأويل من المعتزلة والجهمية والحرورية وغيرهم ، وقد اتفق أهل العلم على إبطاله ، وأجمعوا على أن المراد بالاستواء على العرش ، إنما هو الاستعلاء والارتفاع عليه ، فهو ـ سبحانه ـ مستوٍ على عرشه استواء يليق بجلاله وعظمته ، ولا يلزم لهذا أي لازم باطل مما يلزم لاستواء المخلوقين . انظر : الإبانة ٣٦ ، والأسماء والصفات ٢/ ٣٠٦ـ٣٠٨ ، والفتاوى ٥/ ١٤٣ـ١٤٩ ، ومختصر العلو للألباني ٢٦ .

(٥) البعيث : خداش بن بشير بن خالد المجاشعي ، أبو مالك البصري المعروف بالبَعِيث ، شاعر أموي مجيد وخطيب بني تميم ، كانت بينه وبين جرير مهاجاة دامت نحو ٤٠ سنة ، توفي سنة ١٣٤ هـ . انظر : طبقات فحول الشعراء ٢/ ٣٨٦ ، والشعر والشعراء ٣٢٩ ، ومعجم الأدباء ٣/ ٢٨٩ ، والأعلام ٢/ ٣٠٢ .

(٦) الشاهد من دون نسبة في الصحاح (سوا) ٦/ ٢٣٨٥ ، وتفسير الماوردي ٢/ ٢٢٩ ، والأسماء والصفات للبيهقي ٢/ ٣٠٩ ، وزاد المسير ٣/ ٢١٣ ، والقرطبي ٧/ ٢٢٠ ، ورصف المباني ٤٣٤ ، واللسان (سوا) ٤/ ٢١٦٣ ، والخازن ٢/ ٣٣٩ ، والدر المصون ١/ ٢٤٣ ، ونسب في تاج العروس ، (سوا) ١٩/ ٥٥١ ، إلى الأخطل ، وفي هذه المراجع (قد استوى) ، وقال شيخ الإسلام في الفتاوى ٥/ ١٤٦ : «لم يثبت نقل صحيح أنه شعر عربي ، وكان غير واحد من أئمة اللغة أنكروه ، وقالوا : إنه بيت مصنوع لا يعرف في اللغة» اهـ . ونسبه ابن كثير في البداية والنهاية ٩/ ٧ إلى الأخطل ، وقال : «الأخطل نصراني ، والاستدلال به باطل من وجوه كثيرة» اهـ . وهو ليس في ديوان الأخطل والواحدي نسبه هنا وفي الوسيط ١/ ١٩٢ (إلى البعيث) ، وانظر : مختصر الصواعق المرسلة ٣/ ٨٩٠ـ٨٩٨ .

يعني: بشر بن مروان[١]، وعلى هذا خصَّ العرش بالإخبار عن الاستيلاء عليه؛ لأنه أعظم المخلوقات.

وقال الأخفش: «﴿ٱسْتَوَىٰ﴾؛ أي علا، يقال: استويت على ظهر البيت؛ أي علوته»[٢]. وهذا القول اختيار ابن جرير، قال: «معناه: ارتفع ارتفاع ملك وسلطان، لا ارتفاع انتقال وزوال»[٣]، وهذا يعود إلى معنى الاستيلاء[٤]، وقد شرحنا الاستواء في صفة الله تعالى مستقصى في سورة البقرة[٥].

و﴿ٱلْعَرْشِ﴾ في كلام العرب[٦] سرير الملك، يدل على ذلك سرير ملكة سبأ، سماه الله عرشاً، فقال: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: ٢٣]، والعرش في اللغة: قد يكون عبارة عن الملك، يقال:[٧] ثُلَّ عَرْشُه، إذا ذهب عزه وملكه، ومنه قول زهير:

تَدَارَكتُما الأَحلافَ قد ثُلَّ عَرْشُهَا[٨]

---

(١) بشر بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي، أمير، كان سمحاً جواداً، ولَّى إمرة العراق لأخيه عبدالملك، وتوفي سنة ٧٥هـ، وله نيف وأربعون سنة. انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ١٤٥، والبداية والنهاية ٩/ ٧، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٣/ ٢٥١، والأعلام ٢/ ٥٥.

(٢) تهذيب اللغة ٢/ ١٧٩٤، وانظر: معاني الأخفش ١/ ٥٥، ٥٦.

(٣) تفسير الطبري ١/ ١٩٢، واختار أن معنى قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩]: «علا عليهن وارتفع فدبرهن بقدرته، وخلقهن سبع سموات» اهـ.

(٤) الطبري -رحمه الله تعالى- رجَّح في معنى الاستواء ما قال به السلف، ثم أخذ يناقش المؤولين، ومن باب إلزام الحجة لهم، قال: «قل: علا عليها علو ملك وسلطان» اهـ. وهذه العبارة ليست من نهج السلف في الإثبات، والله أعلم.

(٥) انظر: البسيط، [البقرة: ٢٩].

(٦) العرش: سرير الملك وسقف البيت، انظر: العين ١/ ٢٤٩، والجمهرة ٢/ ٧٢٨، وتهذيب اللغة ٣/ ٢٣٩١، والصحاح ٣/ ١٠٠٩، والمجمل ٣/ ٦٥٨، ومقاييس اللغة ٤/ ٢٦٤، والمفردات ٥٥٨، واللسان (عرش) ٥/ ٢٨٨٠.

(٧) هذا مثل يضرب لمن ذهب عزه، وزال قوام أمره، وساءت حاله. انظر: جمهرة الأمثال ١/ ٢٩٠، والمستقصى للزمخشري ٢/ ٤٣، ومجمع الأمثال ١/ ٢٧١.

(٨) ديوان زهير ١٠٥، والعين ١/ ٢٤٩، والمنجد لكراع ١٠٥، وتهذيب اللغة ٣/ ٢٣٩٢، =

غير أنه لا يســوغ أن يكون المراد بالعرش في هــذه الآية الملك ؛ لأنه يوجب أن الله لم يكن مســتوياً على ملكه قبل خلق السموات[١] والأرض . وقوله تعالى : ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ وقرئ ﴿يُغَشِّى﴾[٢] مخففاً ، والإغشاء[٣] .

والتغشية : إلباس الشيء[٤] الشيء ، وقد جاء التنزيل بالتشديد والتخفيف ، فمما جاء[٥] بتضعيف[٦] العين قوله : ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ [النجم : ٥٤] ، ومما[٧] جاء بنقل الهمزة : ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾[٨] [يس : ٩] ، والمفعول الثاني محذوف على معنى : فأغشيناهم العمى أو فقد الرؤية .

---

= والصحاح ٣/ ١٠١٠ ، ومقاييس اللغة ٤/ ٢٦٥ ، واللسان (عرش) ٥/ ٢٨٨١ ، وتمامه :

وَذُبْيَانَ قد زَلَّتْ بأَقْدامِهَا النَّعْلُ

قال ثعلب في شرحه : «الأحلاف عبس وفزارة ، وثل عرشها ، هذا مثل ؛ أي أصابها ما كسرها وهدمها» اهـ .

(١) هذا هو الصحيح والآيات والأحاديث والآثار تدفع أن يكون المراد بالعرش الملك ، وأهل السنة والجماعة يثبتون العرش واستواء الله تعالى عليه كيف يشاء ، قال شيخ الإسلام في الفتاوى ٦/ ٥٨٤ ، ٥٨٥ : «العرش موجود بالكتاب والسنة وإجماع الأمة والآيات ، والأحاديث فيه صريحة متواترة ، وهو غير الكرسي ، والكرسي ثابت بالكتاب والسنة وإجماع جمهور السلف» اهـ . ملخصاً .
وانظر : الأسماء والصفات ٢٧٢ ، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ٢٥٦ ، ٢٥٧ .

(٢) قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم (يُغَشِّي) بفتح الغين ، وتشديد الشين ، وقرأ الباقون بإسكان الغين وتخفيف الشين . انظر : السبعة ٢٨٢ ، والمبسوط ١٨٠ ، ١٨١ ، والتذكرة ٢/ ٤١٩ ، والتيسير ١١٠ ، والنشر ٢/ ٢٦٩ .

(٣) الغِشَاء : الغطاء والإغشاء ، والتغشية تغطية شيء بشيء . انظر : العين ٤/ ٤٢٩ ، والمنجد لكراع ٢٧٤ ، وتهذيب اللغة ٣/ ٢٦٦٨ ، والصحاح ٦/ ٢٤٤٦ ، ومقاييس اللغة ٤/ ٤٢٥ ، والمجمل ٣/ ٦٩٦ ، والمفردات ٦٠٧ ، واللسان (غشى) ٦/ ٣٢٦١ .

(٤) في (ب) : (إلباس الشيء بالشيء) .

(٥) في (ب) : (فما جاء) .

(٦) في الحجة لأبي علي ٤/ ٢٧ ، ٢٨ : «غشى فعل متعدٍّ إلى مفعول واحد ، فإذا نقلت الفعل المتعدي إلى المفعول الواحد بالهمزة أو بتضعيف العين تعدَّى إلى مفعولين ، وقد جاء التنزيل بالأمرين جميعاً» ، ثم ذكر نحو ما ذكره الواحدي .

(٧) في (ب) : (وما جاء) .

(٨) في (أ) : «وهو لا ينصرون» ، وهو تصحيف .

قال أبو إسحاق: «والمعنى: أن الليل يأتي على النهار ويغطيه، ولم يقل: يغشي[1] النهار الليل؛ لأن في الكلام دليلاً عليه، وقد قال في موضع آخر: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾[2]» [الزمر: ٥].

قال أبو علي: «وهذا[3] كما قال: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]، ولم يذكر تقيكم البرد للعلم بذلك من الفحوى، ومثل هذا لا يضيق، وكل واحد من الليل والنهار منتصب بأنه مفعول به، والفعل قبل النقل غشي الليلُ النهارَ[4]، فإذا نقلت قلت: أغشى الله الليل النهار، أو غَشَّى الله الليل النهار، فصار ما كان فاعلاً قبل النقل مفعولاً أول»[5].

وقوله تعالى: ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾، قال الليث: «الحث: الإعجال والاتصال[6]، تقول: حثثت فلاناً فاحْتث، وهو حثيث محثوث: جاد سريع»[7].

---

(١) في (ب): (ويغشى).

(٢) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٤٢، ومثله ذكر النحاس في معانيه ٣/ ٤٢.

(٣) في (ب): (فهذا).

(٤) في (ب): (بالنهار).

(٥) الحجة لأبي علي ٤/ ٢٨، وانظر: معاني القراءات ١/ ٤٠٨، وإعراب القراءات ١/ ١٨٥، والحجة لابن خالويه ١٥٦، ولابن زنجلة ٢٨٤، والكشف لمكي ١/ ٤٦٤، ونقل قول الواحدي، والرازي في تفسيره ١٤/ ١١٧.

(٦) في (ب): «والإيصال»، وعند الأزهري في تهذيب اللغة ١/ ٧٣٩، عن الليث: (الإعجال في الاتصال).

(٧) تهذيب اللغة ١/ ٧٣٩، وانظر: الجمهرة ١/ ٨١، والصحاح ١/ ٢٧٨، والمجمل ١/ ٢٢١، ومقاييس اللغة ٢/ ٢٩، والمفردات ٢١٨، واللسان (حثث) ٢/ ٧٧٣.

قال الأعشي :

تَـــدَلَّى حثيثاً كَـــأَنَّ الصِّـــوَا رَأَتْـبَـعَـــهُ أَزْرِقِيٌّ لَـــحِـمْ[١]

شبه الفرس في السرعة بالبازي[٢] .

قال ابن عباس : «يريد[٣] : يطلب الليل النهار لا غفلة له»[٤] .

و[٥] قال المبرِّد : «يعني : يطلب الليل النهار دائباً»[٦] .

وقـــال غيره : «معنى : ﴿ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا ﴾ هو أن يســـتمر الليل في طلب النهار على منهاج من غير فتور يوجب الاضطراب ، كما يكون في الســـوق الحثيث»[٧] ، وهذا معنى قول ابن عباس : «لا غفلة [له»][٨] .

وقوله تعالى : ﴿ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ﴾ ، معنى التسخير : التذليل[٩] . قال الزَّجَّاج : «وخلق هذه الأشياء جاريات مجاريها بأمره»[١٠] . وقال

(١) ديوانه ١٩٩ ، وهو في تهذيب اللغة ١/ ٧٤٠ ، واللسان (حثث) ٢/ ٧٧٤ ، والدر المصون ٥/ ٣٤٢ ، وجاء في حاشية الديوان : «الصوار : القطيع من بقر الوحش ، وحثيثاً : سريعاً ، والأزرقي اللحم : الصقر ، والمعنى يشبه هذا الفرس بسرعة الصقر الشره إلى أكل اللحم» اهـ .

(٢) في (ب) : «شبه الفرس لسرعته بالبازي» . والبازي واحد البُزاة التي تَصِيد ، ضَرْب من الصُّقور . انظر : اللسان (بزا) ١/ ٢٧٨ .

(٣) لفظ : (يريد) ساقط من (ب) .

(٤) انظر : تنوير المقباس ٢/ ١٠٠ ، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٩٣ ، وأخرج الطبري ٨/ ٢٠٦ بسند جيد عن ابن عباس قال : (يطلبه سريعاً) اهـ .

(٥) لفظ : (الواو) ساقط من (ب) .

(٦) لم أقف عليه .

(٧) انظر : تفسير الطبري ٨/ ٢٠٦ ، والسمرقندي ١/ ٥٤٦ ، والماوردي ٢/ ٢٣٠ ، والرازي ١٤/ ١١٧ .

(٨) لفظ : (له) ساقط من (ب) .

(٩) انظر : الصحاح ٢/ ٦٧٩ ، والمفردات ٤٠٢ ، واللسان (سخر) ٤/ ١٩٦٣ .

(١٠) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٤٢ .

المفسرون : «معنى تسخيرهن : تذليلهن لما يراد منها من طلوع وأفول وسير ورجوع ؛ إذ لَسْنَ قادرات ولا مميزات ، وإنما يتصرفن في متصرفاتهن على حسب إرادة المدبر فيهن»[١] .

وقرأ[٢] ابن عامر[٣] : ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍ﴾ رفعاً كلها ، والنصب[٤] هو وجه الكلام لقوله تعالى : ﴿وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾ [فصلت : ٣٧] ، فكما أخبر في هذه الآية أنه خلق الشمس والقمر ، كذلك يُحمل على ﴿خَلَقَ﴾[٥] في قوله : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ﴾ [الأعراف : ٥٤] ، وحجة ابن عامر قوله : ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الجاثية : ١٣] ، ومما في السماء الشمس والقمر ، فإذا أخبر بتسخيرها حسن الإخبار عنها به ، كما أنك إذا قلت : ضربت زيداً ، استقام أن تقول : زيد مضروب[٦] .

وقوله تعالى : ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ ، قال أصحاب المعاني : «﴿لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾ لأنه خلقهم ، وله أن يأمر فيهم بما أحب[٧] ، وله الحكم في الخلق يأمرهم بما

---

(١) انظر : الطبري ٨/ ٢٠٦ ، والسمرقندي ١/ ٥٤٦ ، والماوردي ٢/ ٢٣٠ ، والبغوي ٣/ ٢٣٦ ، وابن الجوزي ٣/ ٢١٤ ، والخازن ٢/ ٢٤٠ .

(٢) في أصل (أ) : (وقول) ، ثم صحح إلى (قرأ) .

(٣) قرأ ابن عامر : «(وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ) بالرفع في الأربع ، وقرأ الباقون بالنصب غير أن التاء مكسورة من ﴿مُسَخَّرَٰتٍ﴾ ؛ لأنها تاء جمع المؤنث السالم . انظر : السبعة ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، والمبسوط ١٨١ ، والتذكرة ٢/ ٤١٩ ، والتيسير ١١٠ ، والنشر ٢/ ١٦٩ .

(٤) وكذا قال مكي في الكشف ١/ ٤٦٥ ، ونقل قول الواحدي الرازي في تفسيره ١٤/ ١١٨ .

(٥) انظر : معاني الأخفش ٢/ ٣٠٠ ، وإعراب النحاس ١/ ٦١٧ .

(٦) هذا نص كلام أبي علي في الحجة ٤/ ٢٩ غير أنه لم يختر قراءة النصب . وانظر : معاني القراءات ١/ ٤٠٨ ، وإعراب القراءات ١/ ١٨٥ ، ١٨٦ ، والحجة لابن خالويه ١٥٦ ، ١٥٧ ، ولابن زنجلة ٢٨٤ .

(٧) في (ب) : (بما حب) .

يشــاء» ، وعلى هذا [المعنــى][1] ﴿ٱلْأَمْرُ﴾ هاهنا الذي هو نقيــض النهي[2] ، واســتخرج سفيان بن عيينة من هذا أن كلام الله لا يجوز أن يكون مخلوقاً ، فقال : فــرَّق الله بين الخلق والأمر ، فمن جمع بينهما فقــد كفر»[3] يعني : من جعل الأمر الذي هو قوله من جملة ما خلقه فقد كفر . وقال ابن عباس في تفسير قوله : ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ : «يريد : لم يبق شيء ، من وجد بعد ذلك شــيئاً فليأخذه»[4] ، وهــذا كلامه ، ومعنــى هذا : أن جميع[5] مــا في العالم لله تعــالى ، فالخلق له لأنه خلقهم ، وجميع الأمور تجري بقضائه وقدره ، وهو مجريها ومنشــئها فلا يبقى بعد هذا لأحد شيء[6] .

---

(١) لفظ : (المعنى) ساقط من (ب) .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٨/ ٢٠٦ ، والسمرقندي ١/ ٥٤٦ ، والماوردي ٢/ ٢٣٠ ، والبغوي ٣/ ٢٣٦ .

(٣) تفسير سفيان بن عيينة ٢٤٩ ، وأخرجه الثعلبي في الكشف ١٩١/ أ ، والبيهقي في الأسماء والصفات ١/ ٥٥٦ ، وزاد السيوطي في الدر ٣/ ١٧١ نسبته إلى ابن أبي حاتم ، وذكره السمرقندي في تفسيره ١/ ٥٤٦ ، والبغوي ٣/ ٢٣٦ ، والقرطبي ٧/ ٢٢١ ، والخازن ٢/ ٢٤٠ ، وفي أصول السنة لأبي بكر الحميدي في مجلة الحكمة ١/ ٢٨٦ قال سفيان بن عيينة «القرآن كلام الله ، ومن قال : مخلوق فهو مبتدع لم نسمع أحداً يقول هذا» اهـ . وقال النحاس في معانيه ٣/ ٤٢ ، ٤٣ في تفسير الآية «فرق بين الشيء المخلوق وبين الأمر وهو كلام ، فدل أن كلامه غير مخلوق ، وهو قول (كن)» اهـ . وقال القرطبي في تفسيره ٧/ ٢٢٢ : «وفي تفريقه بين الخلق والأمر دليل بيِّن على فساد قول من قال بخلق القرآن ؛ إذ لو كان كلامه الذي هو أمر مخلوقاً ، لكان قد قال : ألا له الخلق والخلق وذلك عِيٌّ من الكلام ومستهجن ومستغث ، والله يتعالى عن التكلم بما لا فائدة فيه» اهـ . وهذا هو الحق وأهل السنة والجماعة من السلف والخلف متفقون على أن القرآن كلام الله غير مخلوق . انظر : الإبانة ٢١ ، والفتاوى ١٢/ ٣٧ ، وشرح الطحاوية لابن أبي العز ١٣٧ .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) في (أ) : (أن جميع الخلق ما في العالم) . ثم ضرب على لفظ (الخلق) ، وهو الأولى .

(٦) ذكره الخازن ٢/ ٢٤٠ .

وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، قال الليث: «تفسير ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾: تمجيد وتعظيم»[(١)].

وقال أبو العباس: «﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾: ارتفع، والمتبارك المرتفع»[(٢)].

وقال ابن الأنباري: «﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾: باسمه يتبرك في كل شيء»[(٣)].

وقال الزَّجَّاج: «﴿تَبَارَكَ﴾: تفاعل من البركة، كذلك يقول أهل اللغة»[(٤)].

وكذلك روي عن ابن عباس: «ومعنى البركة: الكثرة في كل خير»، وقال في موضع آخر: «﴿تَبَارَكَ﴾: تعالى وتعاظم»[(٥)].

وقال أصحاب المعاني: «﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾؛ أي ثبت ما به استحق التعظيم في ما لم يزل ولا يزال»[(٦)]، وأصل الحرف من الثبوت والدوام، وقد ذكرنا هذا في سورة الأنعام عند قوله: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ٩٢].

٥٥. قوله تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾، التضرع: التذلل والتخشع، وهو إظهار الذل الذي في النفس من قولهم: ضرع فلان لفلان، وتضرع له إذا ما تخشع له وسأله أن يعطيه، ومضى الكلام

---

(١) تهذيب اللغة ١/ ٣١٩، وانظر: العين ٥/ ٣٦٨، والجمهرة ١/ ٣٢٥، والصحاح ٤/ ١٥٧٥، والمجمل ١/ ١٢١، ومقاييس اللغة ١/ ٢٣٠، والمفردات ١١٩، واللسان (برك) ١/ ٢٦٦.

(٢) تهذيب اللغة ١/ ٣١٩.

(٣) تهذيب اللغة ١/ ٣١٩، وفي الزاهر ١/ ٥٣، قال ابن الأنباري «فيه قولان: قال قوم: معنى تبارك: تقدس؛ أي تطهر، والقدس عند العرب الطهر، وقال قوم: معنى تبارك اسمك: تفاعل من البركة؛ أي البركة تُكسب وتنال بذكر اسمك» اهـ.

(٤) تهذيب اللغة ١/ ٣١٩، ولم أقف عليه في معانيه.

(٥) تهذيب اللغة ١/ ٣١٩، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٤٦، والبغوي ٣/ ٢٣٦، وابن الجوزي ٣/ ٢١٤، والخازن ٢/ ٢٤٠، وتنوير المقباس ٢/ ١٠٠.

(٦) ذكره البغوي ٣/ ٢٣٦، والخازن ٢/ ٢٤٠ عن المحققين.

في هذا في سـورة الأنعام عند قولـه : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ [الأنعام : ٤٢] ، والخُفية : خلاف العلانيـة ، وهو من أخفيت الشيء إذا سـترته[١] ، ويقال : خِفية أيضاً بالكسر[٢] ، وقد قرئ بالوجهين[٣] .

قـال الزَّجَّـاج : «﴿ تَضَرُّعًا ﴾ تملقـاً ، وحقيقتـه : أن يدعـوه خاضعـين متعبدين»[٤] .

قال[٥] أهل العلم : والسـنة[٦] والأدب في الدعاء أن يكون خفياً لهذه الآية ، ولما روي عن النبي ﷺ أنه قال : «خير الدعاء ما خفي»[٧] .

---

(١) في (أ) : (أي سترته) .

(٢) انظر : العين ٤/ ٣١٣ ، والجمهرة ١/ ٦١٧ ، ٦١٨ ، وتهذيب اللغة ١/ ١٠٧٠ ، والصحاح ٦/ ٢٣٢٩ ، والمجمل ٢/ ٢٩٧ ، ومقاييس اللغة ٢/ ٢٠٢ ، والمفردات ٢٨٩ ، واللسان ، (خفي) ٢/ ١٢١٧ .

(٣) قرأ عاصم في رواية أبي بكر هنا وفي الأنعام آية [٦٣] : ﴿وَخُفْيَةً﴾ بكسر الخاء ، وقرأ الباقون بضمها في السورتين ، وهما لغتان مشهورتان . انظر : السبعة ٢٨٣ ، والمبسوط ١٧٠ ، والتذكرة ٢/ ٤٠٠ ، والتيسير ١٠٣ ، والنشر ٢/ ٢٥٩ ، وانظر في : توجيه القراءات الحجة لأبي علي ٤/ ٢٩ ، ٣٠ ، ومعاني القراءات ١/ ٣٦٢ ، وإعراب القراءات ١/ ١٥٩ ، والحجة لابن خالويه ١٤١ ، ولابن زنجلة ٢٥٥ ، والكشف ١/ ٤٣٥ .

(٤) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٤٤ ، وفيه : قال قوم : «تضرعوا تملقاً ـ حقيقته . . . .» .

(٥) لفظ : (قال) ساقط من (ب) .

(٦) انظر : الفتاوى ١٥/ ١٠ـ٢٨ ، وبدائع التفسير ٢/ ٢١٩ـ٢٣٨ .

(٧) لم أقف عليه بهذا اللفظ بعد طول بحث ، وروي وكيع في الزهد ١/ ٣٤١ ، رقم : ١١٨ ، وابن أبي شيبة ٦/ ٨٦ ، ٢٩٦٥٤ ، وأحمد في المسند ٣/ ٤٤ ، والزهد ١٦ ، وابن حبان في صحيحه ٢/ ١٢٥ ، رقم (٧٩٧) ، وابن السني في القناعة ٢٦ ، ٢٧ ، رقم : ٢٨ ، ٢٩ بسند ضعيف عن سعد بن أبي وقاص ، أن النبي ﷺ قال : «خير الذكر الخفي ، وخير الرزق ما يكفي» اهـ . وفيه محمد بن عبدالرحمن بن لبيبة ، لين الحديث ، كثير الإرسال . انظر : تهذيب التهذيب ٣/ ٦٢٧ ، وانظر : المقاصد الحسنة للسخاوي ٢٤٧ .

وقال أيضاً لقـــوم رفعوا أصواتهم بالدعاء : «إنكم لســتم تدعون أصمَّ ولا غائباً ، إنكم تدعون سميعاً قريباً ، إنه معكم»[(١)] .

وقال الحســـن : «إن الله يحب القلب النقي ، والدعاء الخفي ، ولقد أثنى على زكريا ، فقـــال : ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ [مريم : ٣] ، وبين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفاً ، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء و[(٢)] ما يُسمع لهم صوت ، إن كان إلا همســاً بينهم وبين ربهم ، وذلك أن الله يقول : ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾»[(٣)] . وقال الزَّجَّاج في قوله : ﴿وَخُفْيَةً﴾ : «أي واعتقدوا عبادته في أنفسكم ؛ لأن الدعاء معناه : العبادة»[(٤)] .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ : أي المجاوزين ما أمروا به ، قال الكلبي : «﴿لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ بالجهر في الدعاء»[(٥)] .

---

(١) أخرجه البخاري رقم : ٢٩٩٢ ، كتاب الجهاد والسير ، باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير ، ومسلم كتاب الذكر والدعاء ، باب استحباب خفض الصوت بالذكر رقم (٢٧٠٤) ، عن أبي موسى الأشعري قال : «كنا مع النبي ﷺ في سفر ، فجعل الناس يجهرون التكبير ، فقال النبي ﷺ : «أيها الناس ، اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً ، إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم» اهـ .

(٢) لفظ : (الواو) ساقط من (ب) .

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد ٤٥ ، ٤٦ ، والطبري في تفسيره ٨/ ٢٠٦ ، ٢٠٧ بسند جيد ، وأخرجه وكيع في الزهد ٢/ ٦١٦ ، وابن أبي شيبة ٦/ ٨٧ (٢٩٦٦٢) ، بلفظ : (كانوا يجتهدون في الدعاء ، ولا تسمع إلا همساً) اهـ .

(٤) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٤٤ ، ونحوه قال النحاس في معانيه ٣/ ٤٣ .

(٥) تنوير المقباس ٢/ ١٠٠ ، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٩٥ ، وابن الجوزي ٣/ ٢١٥ .

وقال ابن جريج : «من الاعتداء رفع الصوت والنداء بالدعاء»[١] .

٥٦. قوله تعالى : ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ . قال عطاء ، عن ابن عباس : «يريد : بالشرك بالله ، وقطع الأرحام ، وتكذيب النبي ﷺ بعد توحيد الله والتصديق بما جاء به النبي ﷺ»[٢] .

قال المفسرون[٣] : «الإفساد في الأرض : العمل فيها بالمعاصي ، وسفك الدماء ، وقوله تعالى : ﴿بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ ؛ أي بعد إصلاح الله إياها ببعث الرسول ، وبيان الشريعة ، والدعاء إلى طاعة الله عز وجل» ، وهذا معنى قول الحسن ، والسدي ، والضحاك[٤] .

---

(١) أخرجه الطبري ٨/ ٢٠٧ بسند جيد ، ومحبة الله تعالى لا تنتفي عمن يجهر بالدعاء لمجرد الجهر ، فالدعاء مأمور به مطلقاً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ في كل شيء دعاء كان أو غيره ، وأعظمهم الذين يدعون معه غيره ، أو يعتدون بترك التضرع والدعاء ، وكل سؤال يناقض حكمة الله ، أو يتضمن مناقضة شرعه وأمره ، أو يتضمن خلاف ما أخبر به ، فهو اعتداء لا يحبه الله ولا يحب سائله ، والدعاء خفية أحب إلى الله تعالى وأفضل ، وفيه فوائد عظيمة وكثيرة ، ذكرها ابن القيم كما في بدائع التفسير ٢/ ٢١٩ـ٢٣٣ ، وانظر : أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٧٨٤ ، والقرطبي ٧/ ٢٢٣ .

(٢) في تنوير المقباس ٢/ ١٠٠ نحوه .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٨/ ٢٠٧ ، والسمرقندي ١/ ٥٤٧ ، والماوردي ٢/ ٢٣١ .

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٩٥ ، والبغوي ٣/ ٢٣٨ ، والخازن ٢/ ٢٤١ عن الحسن والسدي والضحاك والكلبي ، وذكره الماوردي ٢/ ٢٣١ ، عن الحسن والكلبي ، وذكره ابن عطية ٥/ ٥٣٢ ، عن الضحاك .

وقال عطية : «معناه : لا تعصوا في الأرض فيمسك الله المطر ، ويهلك الحرث بمعاصيكم»[(١)] ، وعلى هذا معنى قوله : ﴿بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾ ؛ أي بعد إصلاح الله تعالى إياها بالمطر والخصب[(٢)] .

وقوله تعالى : ﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًا﴾ ، معنى الخوف[(٣)] الانزعاج لما لا يؤمن من المضار ، ومعنى الطمع[(٤)] توقع المحبوب ، قال ابن عباس : «﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا﴾ من عقابه ، ﴿وَطَمَعًا﴾ في ثوابه»[(٥)] .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ . قال الفرَّاء : «رأيت العرب[(٦)] تؤنث القريبة في النسب لا يختلفون فيها ، فإذا قالوا : دارك منا قريب ، أو فلانة منك قريب ، في القرب والبعد ذكروا وأنثوا ، وذلك أن القرب إذا لم يكن في النسب كان في معنى المكان ، فكأنه في تأويل هي : في مكان قريب ، فجعل القريب خلفاً من المكان ، كما قال الله[(٧)] تعالى : ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ﴾ [هود : ٨٣] وقال : ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب : ٦٣] ،

---

(١) ذكره الثعلبي ١٩١أ ، والواحدي في الوسيط ١/ ١٩٥ ، والبغوي ٣/ ٢٣٨ .

(٢) والآية عامة في كل فساد قل أو كثر ، بعد أن أصلح الله خلق الأرض على الوجه الملائم لمنافع الخلق ، وما جاء من تعيين نوع الفساد والإصلاح ، ينبغي أن يحمل على التمثيل ، وهو قول جمهور المحققين .
انظر : تفسير ابن عطية ٥/ ٥٣٢ ، والقرطبي ٧/ ٢٢٦ ، وبدائع التفسير ٢/ ٢٣٤ ، والبحر ٤/ ٣١١ .

(٣) انظر : العين ٤/ ٣١٢ ، وتهذيب اللغة ١/ ٩٦٦ ، والصحاح ٤/ ١٣٥٨ ، ومقاييس اللغة ٢/ ٢٣٠ ، والمفردات ٣٠٣ ، واللسان (خوف) ٢/ ١٢٩١ .

(٤) انظر : العين ٢/ ٢٧ ، وتهذيب اللغة ٣/ ٢٢١٨ ، والصحاح ٣/ ١٢٥٤ ، ومقاييس اللغة ٣/ ٤٢٥ ، والمفردات ٥٢٤ ، واللسان (طمع) ٥/ ٢٧٠٤ .

(٥) تنوير المقباس ٢/ ١٠٠ ، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٩٥ ، وهو من دون نسبة في عامة كتب التفسير .
انظر : الطبري ٨/ ٢٠٧ ، والسمرقندي ١/ ٥٤٧ ، والماوردي ٢/ ٢٣١ ، والبغوي ٣/ ٢٣٨ ، وابن الجوزي ٣/ ٢١٦ .

(٦) في (ب) : (القراء) ، وهو تحريف .

(٧) لفظ : (الله) ساقط من (ب) .

ولـــو أنث ذلك فبُني على (بعدت) فهي بعيدة ، وقربـــت فهي قريبة ، كان صواباً حسناً . وقال عروة بن حزام[(١)] :

عَشِيَّةَ لا عَـفْـرَاءُ مِنْـكَ قَـــرِيبَةٌ فَتَدْنُـــو ولا عَفْرَاءُ مِنْــكَ بَعِيدُ[(٢)]

فمـــن أنَّث جمع وثنـــى ، ومن ذكَّر لم يُثـــنِّ ولم يجمع ؛ لأنه ذهـــب إلى تأويل المـــكان»[(٣)] ، وهذا الـــذي ذكره الفرَّاء هـــو مذهب أهل الكوفـــة ، وبه قال ابن السكيت .

أخبرني العروضي[(٤)] ، قال : أخبرني الأزهري عن المنذري[(٥)] عن الحراني[(٦)] عن ابن الســـكيت قال : «تقول العرب : هو قريب مني ، وهما قريب مني ، وهم قريب[(٧)] مني ، وكذلك المؤنث ، توحد قريباً وتذكره ؛ لأنه وإن كان فاعلاً فهو في تأويل (هو في مكان قريب مني) ، وقد يجوز قريبة وبعيدة بالهاء ، تبنيها على قربت وبعدت»[(٨)] .

---

(١) عُروة بن حِزام بن مُهاجر العُذْري ، شاعر إسلامي ، أحد المتيمين الذين قتلهم الهوى ، وشعره عامة في ابنة عمه عفراء ، توفي سنة ٣٠هـ . انظر : الشعر والشعراء ٤١٣ ، والأغاني ٢٤/ ١٢٢ ، وشرح شواهد المغني للسيوطي ١/ ٤١٥ ، والأعلام ٤/ ٢٢٦ .

(٢) الشاهد في ديوانه ٥ ، ومعاني الفرَّاء ١/ ٣٨١ ، وتفسير الطبري ٨/ ٢٠٨ ، والأغاني ٢٤/ ١٢٩ ، وتهذيب اللغة ٣/ ٢٩١٦ ، والخصائص ٢/ ٤١٢ ، وتفسير الماوردي ٢/ ٢٣٢ ، وابن عطية ٥/ ٥٣٤ ، وابن الجوزي ٣/ ٢١٦ ، واللسان (قرب) ٦/ ٣٥٦٦ ، والبحر المحيط ٤/ ٣١٣ ، والدر المصون ٥/ ٣٤٦ .

(٣) معاني الفرَّاء ١/ ٣٨١ .

(٤) العروضي : أحمد بن محمد الصفار . تقدمت ترجمته .

(٥) المنذري : محمد بن أبي جعفر الهروي . تقدمت ترجمته .

(٦) الحراني : عبدالله بن الحسن الأموي . تقدمت ترجمته .

(٧) في (أ) : (قرايب) ، وهو تحريف .

(٨) تهذيب اللغة (قرب) ٣/ ٢٩١٦ ، وانظر : إصلاح المنطق ١١٩ .

وأمـــا مذهب البصريين فقال الزَّجَّاج : «إنـــما قيل : ﴿قَرِيبٌ﴾ ؛ لأن الرحمة والغفران والعفو في معنى واحد ، وكذلك كل تأنيث ليس بحقيقي»[(١)] .

ونحو هذا قال الأخفش قال : الرحمة بمعنى الإنعام[(٢)] ، فلذلك ذكر .

ومثل هذا قال سعيد بن جبير : «الرحمة هاهنا : الثواب»[(٣)] .

وأمـــا مذهب أهل الكوفة ، فقال الزَّجَّـــاج[(٤)] : «وهو غلط ، كل ما قرب في مكان أو نســـب ، فهو جار على ما يصيبه من التأنيـــث والتذكير»[(٥)] . والذي قاله الفرَّاء هو مذهب أبي عمرو بن العلاء[(٦)] ، وقول الكسائي[(٧)] وأبي عبيدة[(٨)] .

(١) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٤٤ .

(٢) في معاني الأخفش ٢/ ٣٠٠ ، وكذلك عند الزَّجَّاج عن الأخفش (بمعنى المطر) .

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٩٥ ، والبغوي ٣/ ٢٣٨ ، والخازن ٢/ ٢٤٢ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ٣١٣ .

(٤) لفظ : (الواو) ساقط من (ب) .

(٥) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٤٥ .

(٦) ذكره الثعلبي في الكشف ١٩١ب ، والبغوي ٣٣/ ٢٣٨ ، وانظر : تهذيب اللغة ٣/ ٢٩١٥ .

(٧) لم أقف عليه .

(٨) في (ب) : (أبو عبيد) ، وفي مجاز القرآن ١/ ٢١٦ ، قال : «هذا موضع يكون في المؤنثة والثنتين والجميع منها بلفظ واحد ، ولا يدخلون فيها الهاء لأنه ليس بصفة ، ولكنه ظرف لهن وموضع ، والعرب تفعل ذلك في قريب وبعيد ، فإذا جعلوها صفة في معنى مقتربة ، قالوا : هي قريبة ، وهما قريبتان ، وهن قريبات» اهـ .

وقال النضر بن شميل[١] : «الرحمة مصدر ، ومن حق المصادر التذكير ، كقوله : ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ﴾»[٢] [البقرة : ٢٧٥] ، وهذا راجع إلى قول الزَّجَّاج ؛ لأن الموعظة أريد بها الوعظ ، فلذلك ذكر[٣] كما قال :

إنَّ السَّماحَةَ والـمُرُوْءَةَ ضُمِّنا[٤]

قيل : أراد بالسماحة : السخاء ، وبالمروءة : الكرم[٥] .

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف ١٩١ب ، والواحدي في الوسيط ١/ ١٩٦ ، والرازي ١٤/ ١٣٧ ، والقرطبي ٧/ ٢٢٧ ، وأبو حيان في البحر ٣١٣ ، والسمين في الدر ٥/ ٣٤٤ .

(٢) لفظ : (من ربه) ساقط من (أ) .

(٣) في (ب) : (ذكرا) .

(٤) الشاهد لزياد الأعجم في ديوانه ٥٤ ، ومعاني الفرَّاء ١/ ١٢٨ ، والشعر والشعراء ٢٨٠ ، وإعراب النحاس ١/ ٦١٧ ، وذيل أمالي القالي ٣/ ٩ ، والمدخل للحدادي ١٦٨ ، وتفسير الثعلبي ١٩١ب ، والرازي ١٤/ ١٣٧ ، وعجزه :

قَبراً بِمَرْوَ عَلَى الطَّرِيقِ الوَاضِحِ

والشاهد قوله : (ضمنا) ، والقياس ضمنتا ؛ لأنه خبر عن مؤنث ، وهو السماحة والمروءة .

(٥) ذكر هذه الوجوه في الآية عامة أهل اللغة والتفسير . انظر : تفسير الطبري ٨/ ٢٠٨ ، وإعراب النحاس ١/ ٦١٧ ، وإعراب القراءات ١/ ١٨٧ ، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٤٧ ، والخصائص ٢/ ٤١١ ، ٤١٢ ، والمشكل ١/ ٢٩٤ وقد أطال ابن القيم -رحمه الله تعالى- كما في بدائع التفسير ٢/ ٢٣٢-٢٥٨ ، فذكر اثني عشر مسلكاً في الإخبار عن الرحمة ، وهي مؤنثة بالتاء بقوله : (قريب) وهو مذكر ، وبين ما فيها من الصحيح والمقارب والسقيم ، واختار : «إن هذا من باب الاستغناء بأحد المذكورين عن الآخر تبعاً له ، ومعنى من معانيه ، فالأصل : إن الله قريب من المحسنين ، وإن رحمة الله قريبة من المحسنين ، فاستغنى بخبر المحذوف عن خبر الوجود ، وسوغ ذلك ظهور المعنى والرحمة صفة قائمة بالموصوف لا تفارقه ، وقرب رحمته تبع لقربه هو تبارك وتعالى ، وقربه يستلزم قرب رحمته ، وهما متلازمان ، ففي حذف التاء التأكيد على أن ذلك يستلزم القربين قربه وقرب رحمته ، والأعم لا يستلزم الأخص بخلاف قربه ، فإنه لما كان أخص ، استلزم الأعم هو قرب رحمته ، ففي العدول عن قريبة إلى قريب من استدعاء الإحسان وترغيب النفوس فيه ما لا يتخلف بعده إلا من غلبت عليه شقاوته ولا قوة إلا بالله» .

٥٧. قوله تعالى : (هو الذي يرســل الرياح نشراً[١] بين يدي رحمته) ، مضى الكلام في الرياح في ســورة البقرة[٢] بأبلغ الاســتقصاء ، فأما قوله : (نُــشُراً) . يقال[٣] : أنــشر الله الريح مثل أحياهــا فنشرت هي ؛ أي حييت ، والإنشــار بمعنى : الإحياء يستعمل في الريح ، وكذلك لفظ الإحياء[٤] .

قال المرَّار[٥] :

وَهَبَّتْ لَهُ رِيحُ الجَنُوبِ وأحْيِيَتْ ... لَــهُ رَيْدَةٌ يُحْيِــي المِيَاهَ نَسِــيمُهَا[٦]

ومما يدل على ذلك أن الريح قد وصفت بالموت كما وصفت بالحياة . قال :

إني لأَرْجُو أَنْ تَـمُـوتَ الرِّيــحُ ... فَـــأَقْعُــدُ اليَــوْمَ وأَسْتَرِيــحُ[٧]

---

(١) في (ب) : ﴿بُشْرًا﴾ ، وهي قراءة سبعية كما في السبعة ٢٨٣ وستأتي .

(٢) انظر : البسيط (النسخة الأزهرية) ١/ ١٠١ أ .

(٣) في (ب) : فيقال .

(٤) انظر : العين ٦/ ٢٥١ ، والمنجد لكراع ٣٣٩ ، والجمهرة ٢/ ٧٣٤ ، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٥٧١ ، والصحاح ٢/ ٨٢٧ ، والمجمل ٣/ ٨٦٨ ، ومقاييس اللغة ٥/ ٤٣٠ ، والمفردات ٨٠٥ ، واللسان (نشر) ٧/ ٤٤٢٣ .

(٥) المـَـرَّارُ بن سعيد بن حبيب الفقْعسي ، أبو حسان ، شاعر أموي مكثر . انظر : الشعر والشعراء ٤٦٧ ، والأغاني ١٠/ ٣٦٦ ، ومعجم المرزباني ٣٠٤ ، والأعلام ٧/ ١٩٩ .

(٦) الشاهد في الحجة لأبي علي ٤/ ٣٥ ، ٣٦ ، وتفسير ابن الجوزي ٣/ ٢١٧ ، واللسان ، (ريد) ٣/ ١٧٩٠ ، والبحر المحيط ٤/ ٣١٦ . وَرْيدَة ؛ أي ريح لينة . انظر : اللسان (ريد) ٣/ ١٧٩٠ .

(٧) لم أهتد إلى قائله ، وهو في الحجة لأبي علي ٤/ ٣٦ ، وتفسير ابن الجوزي ٣/ ٢١٧ ، واللسان (موت) ٧/ ٤٢٩٥ ، (ونشر) ٧/ ٤٤٢٣ ، والبحر المحيط ٤/ ٣١٧ ، والدر المصون ٥/ ٣٤٨ .

فقوله : (نُشُراً) جمع : نَشُور ، مثل رَسُول ورُسُل ، والنشور بمعنى : المنتشر ، كالرَّكوب معنى : المركوب ، فكأن المعنى : رياح منتشرة ، فمن قرأ : ﴿ٱلرِّيَـٰحَ﴾(١) بالجمع حسن وصفها بقوله : ﴿نَشْرًا﴾ ؛ لأنه وصف الجمع بالجمع ، ومن قرأ : ﴿ٱلرِّيَـٰحَ﴾ واحدة ﴿نَشْرًا﴾ جمعاً كقراءة ابن كثير ، فإنه أراد بالريح الكثرة ، كقولهم : كثر الدرهم والدينار ، والشاء(٢) والبعير ، وكقوله : ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العصر : ٢] ، ثم قال : ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ، فلما كان المراد بالريح الجمع وصفها بالجمع ، كقول عنترة :

فِيهَا اثْنَتَانِ وأَرْبَعُونَ حَلُوبَةً ... سُوداً كَخَافِيَةِ الغُرابِ الأَسْحَمِ(٣)

وقرأ ابن عامر : ﴿نَشْرًا﴾ خفف الشين ، كما يقال : كُتْبٌ ورُسْل ، وقرأ حمزة والكسائي ﴿نَشْرًا﴾ ، والنشر مصدر نشرت الشيء ضد طويته ، ويراد بالمصدر هاهنا المفعول ، والرياح كأنها كانت بانقطاعها كالمطوية ، فأرسلها الله تعالى منشورة بعد انطوائها ، فقوله : ﴿نَشْرًا﴾ مصدر حال من الرياح ، ويجوز أن يكون النشر هاهنا الذي هو الحياة من قولهم : أنشر الله الميت فنشر قال الأعشى :

يَا عَجَبَا لِلْمَيِّتِ النَّاشِرِ(٤)

---

(١) قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي (الرِّيح) على التوحيد ، وقرأ الباقون : (الرِّيح) بالجمع ، وقرأ عاصم ﴿بُشْرًا﴾ بضم الباء وسكون الشين ، وقرأ ابن عامر : (نُشْراً) بضم النون وسكون الشين ، وقرأ حمزة والكسائي ﴿نَشْرًا﴾ بفتح النون ، وسكون الشين ، وقرأ الباقون : (نُشُراً) بضم النون والشين . انظر : السبعة ٢٨٣ ، والمبسوط ١٨١ ، والتذكرة ٢/ ٤٢٠ ، والتيسير ١١٠ ، والنشر ٢/ ٢٦٩ ، ٢٧٠ .

(٢) في (أ) : (الشاة) ، وأصل النص في الحجة لأبي علي ٤/ ٢٣ ، (وفيه : الشاء) .

(٣) ديوانه ١٧ ، والحجة لأبي علي ٤/ ٣٣ ، والدر المصون ٥/ ٣٥٠ ، والشاهد من معلقته المشهورة ، قال النحاس في شرح المعلقات ٢/ ١٣ ، ١٤ : «الحلوبة المحلوبة يستعمل في الواحد ، والجميع على لفظ واحد ، والخوافي أواخر ريش الجناح مما يلي الظهر ، والأسحم : الأسود» اهـ . وانظر : شرحه في شرح القصائد السبع لابن الأنباري ٣٠٥ .

(٤) ديوانه ٩٣ ، ومجاز القرآن ٢/ ٧٠ ، والجمهرة ٢/ ٧٣٤ ، والاشتقاق ٢٤٢ ، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٥٧٠ ، والصحاح ٢/ ٨٢٨ ، والخصائص ٣/ ٣٢٥ ، ومقاييس اللغة ٥/ ٤٣٠ ، واللسان (نشر) ٧/ ٤٤٢٣ ، =

فإذا حملته على ذلك - وهو الوجه - كان المصدر يراد به الفاعل، كما تقول: أتاني ركضاً؛ أي راكضاً، ويجوز أن يكون انتصاب قوله: ﴿نَشْرًا﴾ انتصاب المصادر لا الحال من باب (صُنْعَ الله)، لأنه إذا قال: ﴿يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾ دل هذا الكلام على نشر الريح نشراً، وقرأ عاصم: ﴿بُشْرًا﴾ جمعَ بشيراً على (بُشْر) من قوله: ﴿يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ [الروم: ٤٦]؛ أي تبشر بالمطر والرحمة. قال الفرَّاء: «النُّشر من الرياح الطيبة اللينة التي تنشئ السحاب»(١). قال ابن الأنباري: «واحدها نشور، وأصل هذا من النَّشْر، وهو الرائحة الطيبة»(٢). ومنه قول امرئ القيس:

. . . . . . . . . . . . ونَشْرَ القُطُرْ(٣)

وقال أبو عبيدة: «(نُشُراً)؛ أي متفرقة من كل جانب»(٤).

---

= والدر المصون ٥/ ٣٤٧ وصدره:

حتى يقول النَّاسُ مِمَّا رَأَوا

وفي حاشية الديوان: «الناشر الذي بعث من قبره، والمعنى: وعندئذٍ يتعجب الناس مما يرون، فيقولون: يا عجباً للميت الذي بعث من جديد» اهـ.

(١) معاني الفرَّاء ١/ ٣٨١.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) ديوانه ٦٩، والمنجد لكراع ٣٣٩، وتفسير الطبري ٨/ ٢٠٩، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٥٧١، والصحاح ٢/ ٨٢٧، واللسان (نشر) ٧/ ٤٤٢٣، والخزانة ٩/ ٢٣١، وتمامه:

كَأَنَّ المُدَامَ وصَوْبَ الغَمَام وريحَ الخُزَامَى . . . . . . . .

وفي حاشية الديوان: «المدام: الخمر، وصوب الغمام: ماء السحاب، والخزامى: خيري البر وهو نبت حسن الريح، ونشر القطر: ريح العود الذي يتبخر به» اهـ.

(٤) مجاز القرآن ١/ ٢١٧، ومثله قال اليزيدي في غريب القرآن ١٤٦.

قال أبو بكر : «هي المنتشرة الواسعة الهبوب ، والنشر : التفريق ، ومنه نشر الثوب ، ونشر الخشبة بالمنشار ، والنشر المنتشر»[١] .

وقرأ حمزة والكسائي : ﴿نَشْرًا﴾ ، يجوز أن يكون من باب حذف المضاف على معنى : ذوات نشر ؛ أي ريح طيبة[٢] .

وقوله تعالى : ﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ ، قال ابن عباس : «يريد : بين يدي المطر»[٣] .

وقال الكلبي : «قدّام مطره»[٤] .

وقال أبو إسحاق : «أي بين يدي المطر الذي هو رحمته»[٥] .

قال أبو بكر : «اليدان تستعملها العرب في المجاز على معنى التقدمة ، يقال : تكون هذه الفتن بين يدي الساعة ، يريدون قبيل[٦] أن تقوم ، تشبيهاً وتمثيلاً ، إذ كانت يد الإنسان تتقدمانه ، والرياح تتقدم المطر وتؤذن به»[٧] .

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٢١٨ ، وانظر : معاني الأخفش ٢/ ٣٠١ ، وتفسير غريب القرآن ١٧٨ ، ومعاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٤٥ ، وتفسير الطبري ٨/ ٢٠٩ ، ونزهة القلوب للسجستاني ٤٥٤ ، ومعاني النحاس ٣/ ٤٤ .

(٢) ما تقدم في توجيه القراءات هو قول أبي علي في الحجة ٤/ ٣٢ـ٣٩ ، وانظر : معاني القراءات ١/ ٤٠٩ ، وإعراب القراءات ١/ ١٨٦ ، والحجة لابن خالويه ١٥٧ ، ولابن زنجلة ٢٨٥ ، والكشف ١/ ٤٦٥ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) تنوير المقباس ٢/ ١٠٠ ، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٩٦ ، وهذا قول أكثر المفسرين . انظر : تفسير الطبري ٨/ ٢١٠ ، والسمرقندي ١/ ٥٤٧ ، والبغوي ٣/ ٢٣٨ ، وابن عطية ٥/ ٥٣٩ .

(٥) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٤٥ ، ومثله ذكر النحاس في معانيه ٣/ ٤٥ .

(٦) في (ب) : (قبيل أن يكون تقوم) ، وهو تحريف .

(٧) ذكره الخازن في تفسيره ٢/ ٢٤٣ ، ونحوه قال الطبري في تفسيره ٨/ ٢١٠ .

وقوله تعــالى : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا﴾ ، يقال : أقــلَّ فلان الشيءَ ؛ أي[1] حَمَله ، وكذلك اســتقَلَّه[2] ، والمعنى : حتى إذا حملت هذه الرياح ســحاباً ثقالاً بما فيها من الماء ، قاله المفسرون[3] .

وقوله تعالى : ﴿سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ﴾ ؛ أي ســقنا السحاب ، والسحاب لفظه مذكر ، وإن كان جمع ســحابة ، لذلك ذكَّر الكناية ، وهو من باب تمر وتمرة وجَوْز وجَوْزة[4] .

﴿لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ﴾ . قال ابن عباس : «يريد : ليس فيه نبات»[5] . وقال الكلبي : «إلى مكان لا ينبُت»[6] .

وقال أبو بكر : «أي سقنا الســحاب لبلدٍ وإلى بلدٍ محتاج إلى المطر لانقطاعها عنــه»[7] . فمنهم من يجعل اللام بمعنى إلى ، كما يقال : هديته للدين وإلى الدين ، ومنهم من يجعله لام أجل ، فيقول : ســقناه لأجل بلدٍ ميتٍ[8] ، وأما البلد فكل

---

(١) في (ب) : (إذا حمله) .

(٢) انظر : المفردات ٦٨١ ، واللسان (قلل) ٦/ ٣٧٣٨ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٨/ ٢١٠ ، ومعاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٤٥ ، والنحاس ٣/ ٤٥ ، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٤٧ .

(٤) أصل السَّحْب الجَرُّ ، ومنه السحاب لجره الماء ولجر الريح له وانسحابه في الهواء ، والجمع سحاب وسُحُب وسحائب . انظر : تهذيب اللغة ٢/ ١٦٣٧ ، والصحاح ١/ ١٤٦ ، ومقاييس اللغة ٣/ ١٤٢ ، والمفردات ٣٩٩ ، واللسان (سحب) ٤/ ١٩٤٨ .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) تنوير المقباس ٢/ ١٠١ .

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٩٧ ، وابن الجوزي ٣/ ٢١٩ .

(٨) انظر : كتاب اللامات للزَّجَّاجي ١٤٤ ، وللهروي ٢٣ ، وقال أبو حيان في البحر ٤/ ٣١٧ : «اللام في ﴿لِبَلَدٖ﴾ عندي لام التبليغ كقولك قلت لك» اهـ .

موضـــع من الأرض عامرٍ أو غير عامر خالٍ أو مســـكونٍ فهو بلد ، والطائفة منه (بَلْدة) ، والجميع البلاد ، والفلاة تسمى : بلدة[١] ؛ قال الأعشى[٢] :

وَبَلْدَةٍ مِثْلِ ظَهْرِ التُّرْسِ مُوحِشَةٍ      للجِنِّ بِاللَّيْـــلِ في حَافَاتِهَا[٣] زَجَلُ

وقوله تعالى : ﴿ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ ﴾ ، قال الزَّجَّاج وابن الأنباري[٤] : «جائز أن يكون فأنزلنا بالبلد الماء ، وجائز أن يكون فأنزلنا بالســـحاب الماء ؛ لأن السحاب آلة لإنزال الماء»[٥] .

وقوله تعـــالى : ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ . الظاهـــر أن الكناية تعود إلى الماء ؛ لأن إخراج الثمرات كان بالماء ، وقال الزَّجَّاج : «وجائز أن يكون فأخرجنا بالبلد من كل الثمرات ؛ لأن البلد ليس يُخَصُّ به هاهنا بلد دون غيره»[٦] .

---

(١) هذا قول الليث في تهذيب اللغة ١/ ٣٨٣ .
انظر : العين ٨/ ٤٢ ، والمنجد ١٤٣ ، والجمهرة ١/ ٣٠١ ، والصحاح ٢/ ٤٤٩ ، والمجمل ١/ ١٣٤ ، وقاييس اللغة ١/ ٢٩٨ ، ووالمفردات ١٤٢ ، واللسان (بلد) ١/ ٣٤٠ .

(٢) الشاهد في ديوانه ١٤٦ ، وتهذيب اللغة ١/ ٣٨٣ ، وتفسير والرازي ١٤/ ١٤٢ ، واللسان (بلد) ١/ ٣٤١ ، والدر المصون ٥/ ٣٥٢ ، وهو من معلقة أعشى قيس المشهورة ، وفي حاشية الديوان : «مثل ظهر الترس : شبهها بظهر الدرع في انبساطها وإقفارها ؛ لأنها لا شيء فوق ظهرها ، وحافاتها : نواحيها ، والزجل : الأصوات المختلطة» اهـ .

(٣) في (أ) : (في حافتها) .

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٩٧ ، وابن الجوزي ٣/ ٢١٩ ، والرازي ١٤/ ١٤٢ ، والخازن ٢/ ٢٤٣ .

(٥) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٤٥ ، ومثله ذكر النحاس في معانيه ٣/ ٤٥ ، والسمرقندي ١/ ٥٤٨ ، والظاهر عودة الضمير إلى أقرب مذكور وهو بلد ؛ أي أنزلنا في ذلك البلد الميت الماء ، أفاده أبو حيان في البحر ٤/ ٣١٧ ، ٣١٨ .

(٦) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٤٥ ، ومثله ذكر النحاس في معانيه ٣/ ٤٥ ، والأول أظهر ، وهو اختيار الزَّجَّاج في معانيه ، والسمرقندي ١/ ٥٤٨ ، وابن عطية ٥/ ٥٤٠ ، ٥٤١ ، وقال السمين في الدر ٥/ ٣٥١ : «الأحسن هو العود على الماء ، ولا ينبغي أن يعدل عنه» اهـ .

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ ؛ أي مثل ذلك الإخراج الذي أشرنا إليه نخرج الموتى. وقال أبو بكر: «أي نحيي الموتى مثل ذلك الإحياء الذي وصفناه في البلد الميت، فإحياء الأموات بعد أن صاروا رفاتاً في التراب كإحياء الأرض بالنبات»[1].

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾. قال ابن عباس: «يريد: كي تتعظوا»[2].

وقال الزَّجَّاج: «أي لعلكم بما بينا[3] لكم تستدلون على توحيد الله عز وجل، وأنه يبعث الموتى. (ولعل) ترجٍ، والله يعلم أيتذكرون أم لا، وإنما خوطب العباد على قدر علمهم، وما يرجوه بعضهم من بعض»[4]، وقد مضت هذه المسألة في سورة البقرة[5].

٥٨. وقوله تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ الآية. قال المفسرون: «هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر بالأرض العذبة

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٩٧، وانظر: معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٤٦، وبدائع التفسير ٢/ ٢٥٨.

(٢) تنوير المقباس ٢/ ١٠١.

(٣) في (ب): (لما بينا).

(٤) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٢٤٦، ونحوه قال النحاس في معانيه ٣/ ٤٦.

(٥) انظر: البسيط، [البقرة: ٢١].

التربة وبالأرض السـبخة الملحة» ، وهو قول ابن عباس[١] ومجاهد[٢] والحسن[٣] وقتادة[٤] والسدي .

قال أبو بكر : «فشبه المؤمن الذي إذا سمع القرآن فوعاه وعقله وانتفع به فبان أثره عليه بالبلد الطيب ؛ إذ كان البلد الطيب يُمرع ويُخصب ويحسن أثر المطر فيه ، وشـبه الكافر الذي يسمع القرآن ولا يؤثر فيه أثراً محموداً بالبلد الخبيث ؛ إذ كان لا يمرع ولا يخصب ولا يتبين أثر المطر فيه»[٥] .

وقال الحسين بن الفضل : «شـبه الله المؤمن والكافر بالأرض ، وشبه نزول القـرآن بالمطر ، وعلى قدر طيبة[٦] التربة ورداءتها زكاء النبت وزيادته»[٧] . وهذا الذي ذكره أبو بكر والحسين هو[٨] معنى قول قتادة[٩] .

وقال الكلبي : «هذا مثل للمؤمن والكافر ، المؤمن يعمل عمله طوعاً لله بإذن ربه من غير كد ولا عناء ، والكافر لا يعمل عمله إلا في شدة وكدٍّ لغير الله»[١٠] ،

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٢١٢ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٠٣ من طرق جيدة عدة عن ابن عباس ومجاهد والسدي .

(٢) تفسير مجاهد ١/ ٢٣٩ ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ١٧٣ .

(٣) ذكره هود الهواري في تفسيره ٢/ ٢٥ ، والقرطبي ٤/ ٢٣١ ، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٩٧ ، والماوردي ٢/ ٢٣٢ ، عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة والسدي .

(٤) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٣٢٠ ، والطبري ٨/ ٢١٢ بسند جيد ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ١٧٣ .

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٩٧ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٢٠ عن المفسرين .

(٦) في (ب) : (طيب) .

(٧) لم أقف عليه ، وانظر : الأمثال للحسين بن الفضل البجلي ٤٤ .

(٨) في (أ) : (وهو) .

(٩) سبق تخريجه .

(١٠) تنوير المقباس ٢/ ١٠١ ، وذكره هود الهواري في تفسيره ٢/ ٢٥ .

وفي قولــه : ﴿ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦ﴾ دليل على أن ما يعمله المؤمن من خير وطاعة لا يكون ذلك إلا بتوفيق من[1] الله تعالى .

وقولــه تعالى : ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗا ﴾ . قــال الكلبي : «﴿ وَٱلَّذِى خَبُثَ ﴾ الســبخة من الأرض»[2] . قال الفرَّاء : «يقال : خَبُث الشيء يَخْبُثُ خُبْثاً وخَبَاثة»[3] .

وقوله تعــالى : ﴿إِلَّا نَكِدٗا ﴾ ، النكد : العسر الممتنع[4] من إعطاء الخير على جهة البخل .

وقال الفرَّاء : «النَّكَد : المصدر ، يقال : نَكِد نَكَداً فهو نَكِدٌ»[5] .

وقال الليث : «النكد : الشــؤم واللؤم وقلة العطــاء ، وألا يهنأه من يعطاه ، ورجل أنكَد ونكِد»[6] . وأنشد :

وَأَعْـطِ مَــا أَعْـطَيْـتَــــهُ طَيِّبـاً لَا خَيْـرَ في الـمَنْـكُـودِ والنَّاكِدِ[7]

---

(١) لفظ : (من) ساقط من (ب) .

(٢) تنوير المقباس ٢/ ١٠١ ، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٩٨ .

(٣) ذكره الرازي في تفسيره ١٤/ ١٤٥ ، عن الفرَّاء ولم أقف عليه في معانيه ، والخَبيث والخُبْث : الرَّديء خلاف الطيب ، وفي تهذيب اللغة ١/ ٩٧٣ ، عن الليث ، قال : «خَبُث الشيء يخبث خبْثاً فهو خبيث ، وبه خُبْث وخباثة ، وأخبث فهو مُخْبث إذا صار ذا خُبْث وشر» اهـ . وانظر : العين ٤/ ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، والجمهرة ١/ ٢٥٨ ، والزاهر ٢/ ١٣٩ ، والصحاح ١/ ٢٨١ ، ومقاييس اللغة ٢/ ٢٣٨ ، والمفردات ٢٧٢ ، واللسان (خبث) ٢/ ١٠٨٨ .

(٤) انظر : الجمهرة ٢/ ٦٨٠ ، والصحاح ٢/ ٥٤٥ ، والمجمل ٣/ ٨٨٤ ، ومقاييس اللغة ٥/ ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، والمفردات (نكد) ٨٣٣ .

(٥) انظر : معاني الفرَّاء ١/ ٣٨٢ .

(٦) تهذيب اللغة ٤/ ٣٦٦٠ ، وانظر : العين (نكد) ٥/ ٣٣١ ، وقوله : «من يعطاه» ، الأولى : (ما يعطاه) .

(٧) لم أعرف قائله ، وهو في العين ٥/ ٣٣١ ، وتفسير الطبري ٨/ ٢١١ ، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٦٦٠ ، وتفسير الماوردي ٢/ ٢٣٢ ، وابن عطية ٥/ ٥٤٢ ، والرازي ١٤/ ١٤٥ ، واللسان (نكد) ٨/ ٤٥٣٨ ، والبحر المحيط ٤/ ٣١٥ ، والدر المصون ٥/ ٣٥٢ .

الأزهري : «المنكود : العطاء النزر القليل»[١] .

وقـــال أبو بكر : «النكد معناه في اللغة : العـــسر المبطي البعيد الخير ، وهو في صفة البلد»[٢] . وأنشد غيره :

لَا تُنْجِزُ الوَعْـدَ إنْ وعَدْتَ وإنْ  أَعْطَيْــتَ أَعْطَيْتَ تَافِهـــاً نكدَا[٣]

فقوله : نكـــداً نُصب على الحال ، وكذلك في الآية ، كما تقول : لا يخرج فلان إلا راكباً[٤] .

قال قتادة وأبو روق[٥] : «﴿إِلَّا نَكِدًا﴾ : إلا عسراً» .

وقوله تعـــالى : ﴿كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ﴾ مضى معنى تصريف الآيات في مواضع .

وقوله تعالى : ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ . قال عطاء : «يريد لنعم الله ، ويوحدونه ، ويطيعون أمره»[٦] .

---

(١) تهذيب اللغة ٤/ ٣٦٦٠ ، وقال النحاس في معانيه ٣/ ٤٦ : «النَّكِد في اللغة النزر القليل» اهـ . ونحوه في مجاز القرآن ١/ ٢١٧ ، وتفسير غريب القرآن ١٧٩ ، ونزهة القلوب ٤٤٥ ، وتفسير المشكل ٨٥ .

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٩٨ مع إنشاد الشاهد .

(٣) لم أعرف قائله ، وهو في مجاز القرآن ١/ ٢١٧ ، وتفسير الطبري ٨/ ٢١١ ، وابن عطية ٥/ ٥٤٢ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٢٠ ، واللسان (تفه) ١/ ٤٣٦ ، وتفسير الخازن ٢/ ٢٤٤ ، والبحر المحيط ٤/ ٣١٥ ، والدر المصون ٥/ ٣٥٢ .

(٤) النصب على الحال هو قول الأكثر ، ويجوز نصبه على المصدر على معنى (ذا نكد) . انظر : إعراب النحاس ١/ ٦٢٠ ، والمشكل ١/ ٢٩٥ ، والبيان ١/ ٣٦٦ ، والتبيان ٣٨٠ ، والفريد ٢/ ٣١٩ ، والدر المصون ٥/ ٣٥٢ .

(٥) لم أقف عليه عنهما .

(٦) لم أقف عليه .

وقـال بعض أهل النظـر : «ذكر الشـكر في آخر الآية ، إشـارة إلى نعمتين مذكورتين في الآيـة للمؤمن ، وهو أن الله تعالى لم يجعله كالبلد الخبيث ، والثاني : أنه أذن له في الإيمان والطاعات كما أذن للبلد الطيب في إخراج النبات»[(١)] .

٥٩. قولـه تعـالى : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ ، [قـرئ : ﴿غَيْرُهُۥٓ﴾[(٢)] ، رفعاً وخفضاً[(٣)] ، فأما من خفض فقال الفرَّاء : «يجعل (غير) نعتـاً للإله ، وقد يرفع فيجعل تابعاً للتأويل في ﴿إِلَٰهٍ﴾ ، ألا ترى أن الإله لو نزعت منه (مِن)[(٤)] كان رفعاً»[(٥)] ، وقال أبو إسـحاق : «الرفع عـلى معنى : ما لكم إله غيره ، ودخلت (مِنْ) مؤكدةَ ، (ومِنْ) خفض جعله صفة لإله»[(٦)] ، فقد اتفقا كما ترى عـلى أن (غير) في القراءتين صفة لإلـهٍ ، الرفع على الموضع ، والخفض على[(٧)] اللفظ ، ولا بد مـن إضمار محذوف في الكلام ، وهو خـبر ﴿مَا﴾ ؛ لأنك إذا جعلت (غير) من صفـة الإله ، لم يكن للنفي خبر ، والكلام لا يستقل بالصفة والموصوف كقولك : (زيد العاقل) ، وتسـكت حتى تذكر خبره ، ويكون التقديـر : ما لكم من إله غيره في الوجود ، ونحو ذلك لا بد من هذا الإضمار[(٨)] .

---

(١) انظر : تفسير الطبري ٨/ ٢١٢ ، والسمرقندي ١/ ٥٤٨ ، والرازي ١٤/ ١٤٥ .

(٢) في (ب) : (قرئ غير) .

(٣) قرأ الكسائي ﴿غَيْرِهِۦٓ﴾ بكسر الراء ، وقرأ الباقون برفعها . انظر : السبعة ٢٨٤ ، والمبسوط ١٨١ ، والتذكرة ٢/ ٤٢٠ ، والتيسير ١١٠ ، والنشر ٢/ ٢٧٠ .

(٤) لفظ : (من) ساقط من (ب) .

(٥) معاني الفرَّاء ١/ ٣٨٢ .

(٦) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٤٨ .

(٧) انظر : إعراب النحاس ١/ ٦٢١ ، والمشكل ١/ ٢٩٥ ، والبيان ١/ ٣٦٧ ، والتبيان ٣٨٠ ، والفريد ٢/ ٣٢٠ .

(٨) هذا قول أبي علي في الحجة ٤/ ٤٠ ، وقال السمين في الدر ٥/ ٣٥٤ : «في الخبر وجهان : أظهرهما أنه ﴿لَكُم﴾ ، الثاني : أنه محذوف ؛ أي ما لكم من إله في الوجود أو في العالم غير الله ، و﴿لَكُم﴾ على هذا تخصيص وتبيين» اهـ .

وقال أبو علي : «وجه من قرأ بالرفع قوله : ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران : ٦٢] ، فكما أن قوله : ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ بدل من قوله : ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ﴾ ، كذلك قوله : ﴿غَيْرِ ٱللَّهِ﴾[1] يكون بدلاً من قوله : ﴿مِنْ إِلَٰهٍ﴾ ، و(غير) يكون بمنزلة الاسم الذي بعد إلا» . وعلى ما ذكره أبو علي (غير) يكون رفعاً بالاستثناء ، ولا يحتاج إلى إضمار الخبر ، قال : «وهذا الذي ذكرنا أولى أن يُحمل عليه من أن يجعل (غير) صفةً لإله على الموضع»[2] .

٦٢. قوله تعالى[3] : ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى﴾ . وقرأ أبو عمرو[4] : ﴿أُبْلِغُكُمْ﴾ مخففة من الإبلاغ ، وكلا الأمرين قد جاء في التنزيل ، فالتخفيف قوله : ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم﴾ [هود : ٥٧] ، والتشديد قوله : ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[5] [المائدة : ٦٧] .

---

(١) كذا في النسخ ، والحجة لأبي علي ٤/ ٤٠ ، والأولى : كذلك قوله : ﴿غَيْرُهُۥ﴾ . وجاء في سورة الأعراف الآية [٣] قوله تعالى : ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ ، قرأ حمزة والكسائي ﴿غَيْرِ﴾ خفضاً ، وقرأ الباقون رفعاً . انظر : السبعة ٢٨٤ .

(٢) الحجة لأبي علي ٤/ ٤٠ ، وقال : «لأن كون (إلا) استثناء أعرف وأكثر من كونها صفة ، وإنما جعلت صفة على التشبيه بغير» اهـ . وانظر : الحجة لأبي علي ٤/ ٢٨٥ ، ومعاني القراءات ١/ ٤١٠ ، وإعراب القراءات١/ ١٨٩ ، والحجة لابن خالويه ١٥٧ ، ولابن زنجلة ٢٨٦ ، والكشف ١/ ٤٦٧ .

(٣) تنبيه : لم يتعرض المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ لتفسير باقي الآية [٥٩] والآيتين : [٦٠ و٦١] .

(٤) قرأ أبو عمرو : (أبْلِغُكم) بسكون الباء ، وتخفيف اللام ، وقرأ الباقون بفتح الباء ، وتشديد اللام ، انظر : السبعة ٢٨٤ ، والمبسوط ١٨١ ، والتذكرة ٢/ ٤٢٠ ، والتيسير ١١١ ، والنشر ٢/ ٢٧٠ .

(٥) انظر : الحجة لأبي علي ٤/ ٤١ ، ٤٢ ، ومعاني القراءات ١/ ٤١٠ ، وإعراب القراءات ١/ ١٩٠ ، والحجة لابن خالويه ١٥٧ ، ولابن زنجلة ٢٨٦ ، والكشف ١/ ٤٦٧ .

وقوله تعــالى : ﴿ وَأَنصَحُ لَكُمْ ﴾ . قال الفــرَّاء : «والعرب لا تــكاد تقول : نصحتك ، إنما يقولون : نصحت لك ، فأنا أنصح لك نصيحة ونصاحةً ونصحاً ، وقد يجوز نصحتك»(١) .

قال النابغة :

نصحتُ بَنِي عَوْفٍ فلـم يَتَقَبَّلُوا رسولي ولم تَنْجَحْ لديهمْ رسَائِلي(٢)

ومعنى النصح : إخلاص النية من شــائب الفساد في المعاملة ، وهو خلاف الغش(٣) .

قال ابن عباس : «يريد : أدعوكم إلى ما دعاني الله إليه ، وأحب لكم ما أحب لنفــسي . ﴿ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ، يريد : إني أعلم أن ربي غفور رحيم لمن رجع عن معاصيه ، وأن عذابه أليم شديد لمن أصرَّ على معاصيه»(٤) .

وقال أهل النظر : «في قوله : ﴿ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ حثٌّ لهم على طلب العلم من جهته ، وتحذير من مخالفته»(٥) .

---

(١) معاني الفرَّاء ١/ ٩٢ فيه : «العرب لا تكاد تقول : شكرتك ، إنما تقول : شكرت لك ، ونصحت لك ، ولا يقولون : نصحتك ، وربما قيلتا ، قال النابغة . . . .» اهـ . يقال : «نَصَحْتُك نُصْحاً ونَصَاحة وهو باللام أفصح ، والاسم النصيحة» . انظر : الصحاح ١/ ٤١٠ ، وكتاب الأفعال للسرقسطي ٣/ ١٩٢ .

(٢) ديوان النابغة الذبياني ١٢٨ ، والصحاح ١/ ٤١٠ ، وتفسير والرازي ١٤/ ١٥١ ، واللسان (نصح) ٧/ ٤٤٣٨ ، وفي الديوان : (وصاتي) بدل (رسولي) ، (ووسائلي) بدل (رسائلي) ، وبنو عوف : قومه ، وهم بنو عوف بن سعد بن ذبيان . انظر : نهاية الأرب ٣٤٤ .

(٣) انظر : العين ٣/ ١١٩ ، والجمهرة ١/ ٥٤٤ ، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٥٨٢ ، والمجمل ٣/ ٧٨٠ ، والمقاييس ٥/ ٤٣٥ ، والمفردات (نصح) ٨٠٨ .

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٩٩ ، وفي تنوير المقباس ٢/ ١٠٢ نحوه .

(٥) انظر : تفسير والرازي ١٤/ ١٥١ .

٦٣. قولــه تعــالى : ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ ﴾ ، قــال ابن عباس : «يريد : موعظة من الله»[١] .

وقوله تعالى : ﴿ عَلَىٰ رَجُلٍ ﴾ . قال الفرَّاء : «﴿ عَلَىٰ ﴾ هاهنا بمعنى : (مع) ، كما تقول : جاءنا الخير على وجهك ، ومع وجهــك ، ويجوزان جميعاً»[٢] ، وقال ابن قتيبة : «أي على لسان رجل منكم»[٣] .

وقال غيره[٤] : «معناه : ذكر من ربكــم منزل على رجل» ، (فعلى) من صلة الإنزال المحذوف ، وعلى هذا دل كلام ابن عباس في هذه الآية ؛ لأنه قال في قوله : ﴿ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ﴾ : «يريــد : أوحى الله إليه ، وبعثــه إليكم لينذركم»[٥] . وقوله : ﴿ مِّنكُمْ ﴾ ؛ أي يعرفون نسبه ، فهو منكم نسباً .

٦٤. وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا عَمِينَ ﴾ ، قال ابن عباس : «عميت قلوبهم عن معرفة الله وقدرته وشدة بطشه»[٦] .

وقال الزَّجَّاج : «أي قد عَمُوا عن الحق والإيمان»[٧] .

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٩٩ ، والبغوي ٣/ ٢٤١ .

(٢) معاني الفرَّاء ١/ ٣٨٣ ، وانظر : تفسير الطبري ٨/ ٢١٤ .

(٣) تفسير غريب القرآن ١٧٩ ، وهو قول مكي في تفسير المشكل ٨٥ .

(٤) الظاهر أنه قول الطبري ٨/ ٢١٤ ، قال : «أو عجبتم أن جاءكم تذكير من الله وعظة يذكركم بها أنزل ربكم على رجل منكم» اهـ .

(٥) في تنوير المقباس ٢/ ١٠٢ نحوه .

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢٠٠ ، والبغوي ٣/ ٢٤٢ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٢١ ، والرازي ١٤/ ١٥٣ ، والخازن ٢/ ٢٤٦ .

(٧) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٤٧ ، وهو قول الطبري ٨/ ٢١٥ ، وأخرجه من طرق جيدة عن مجاهد وابن زيد .

قال الليث : «يقال[١] : رجل عمٍ إذا كان أعمى القلب»[٢] .

وقال أبو معاذ النحوي[٣] : «رجل عم في أمره لا يبصره[٤] ، ورجل أعمى في البصر» ، قال زهير[٥] :

وَلَكِنَّني عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمِ

وعلى هذا الوجه فسر ابن عباس ، حيث قال : «عميت قلوبهم»[٦] . وهو اختيار الحسين[٧] بن الفضل ، فإنه قال : «عمين في البصائر وأعمى في البصر»[٨] ، ألا ترى أن قوم نوح لم يكونوا أَضِرَّاءَ مكافيف ، إنما وصفوا بعمى القلب ، وقد يكون العمي والأعمى كالخَضِر والأخضر[٩] ، وفَعِل يأتي كثيراً في النعوت

---

(١) لفظ : (يقال) ساقط من (ب) .

(٢) العين ٢/ ٢٦٦ ، وهو في تهذيب اللغة ٣/ ٢٥٧٦ من قول الفرَّاء ونفطويه .

(٣) أبو معاذ النحوي الفضل بن خالد المروزي الباهلي مولاهم ، إمام نحوي ، لغوي ، مقرئ ، روى عنه الأزهري في تهذيبه ١/ ٢٥ ، وقال : «له كتاب في القرآن حسن» اهـ . توفي سنة ٢١١هـ . انظر : معجم الأدباء ٥/ ٥٦٥ ، وغاية النهاية ٢/ ٩ ، وبغية الوعاة ٢/ ٢٤٥ ، وطبقات المفسرين للداودي ٢/ ٣٢ .

(٤) جاء في (أ) : (رجل عم لا يبصره) ، ثم كتب عليه : لا بصيرة له ، والنص في تهذيب اللغة ٣/ ٢٥٧٧ .

(٥) ديوانه ١١٠ ، وتهذيب اللغة ٣/ ٢٥٧٧ ، والرازي ١٤/ ١٥٣ ، واللسان (عمى) ٥/ ٣١١٥ ، والدر المصون ٥/ ٣٥٧ ، وأوله :

وأعلم ما في اليوم والأمس قبله

وهو من معلقته المشهورة . انظر : شرح ديوان زهير لثعلب ٤٩ ، وشرح القصائد لابن الأنباري ٢٨٩ ، وللنحاس ١/ ١٢٥ .

(٦) سبق تخريجه .

(٧) لفظ : (الحسين) ساقط من (ب) .

(٨) ذكره الثعلبي في الكشف ١٩١ ب .

(٩) قال السمين في الدر ٥/ ٣٥٧ : «عَمين : جمع عَم ، قيل : عم إذا كان أعمى البصيرة غير عارف بأموره ، وأعمى ؛ أي في البصر ، وقيل : عم وأعمى بمعنى كخضر وأخضر ، وقيل : عم فيه دلالة على ثبوت الصفة واستقرارها ، كفرح وضيق ، ولو أريد الحدوث لقيل عام ، كما يقال : فارحٌ وضائق» اهـ . وانظر : الصحاح ٦/ ٢٤٣٩ ، ومقاييس اللغة ٤/ ١٣٣ ، والمجمل ٣/ ٦٢٨ ، والمفردات ، (عمى) ٥٨٨ .

من فَعِلَ يفعــل ، نحو : حذِرٍ وطمِعٍ وهرِمٍ وعَجِلٍ . ومن المعتل : شــجي وصدٍ للعطشان ، ونسي ، إذا اشتكى نساه فهو أنسى ونسي . ذكره ابن السكيت[(١)] .

٦٥. وقوله تعالى : ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ الآية . انتصب : ﴿أَخَاهُمْ﴾ بقوله : ﴿أَرْسَلْنَا﴾ في أول الكلام ، وهو قوله : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الأعراف : ٥٩] و[(٢)]المعنى : وأرســلنا إلى عاد ﴿أَخَاهُمْ هُودًا﴾ ، وهذا قول الفرَّاء ، والزَّجَّاج ، والأخفش[(٣)] ، ومعنى ﴿أَخَاهُمْ﴾ قال ابن عباس : «يريد : ابن أبيهم»[(٤)] .

وقــال الكلبي : «ليــس بأخيهم في الدين ، ولكنه أخوهم في النســب ؛ لأنه منهــم ؛ فلذلك جعله أخاهم»[(٥)] . قال الزَّجَّاج : «وقيل للأنبياء : (أخوهم) وإن كانوا كفرة ، يعني : أنه قد أتاهم بشر مثلهم من بني أبيهم آدم وهو أحجُّ عليهم ، قال : وجائز أن يكون (أخاهم) ؛ لأنه من قومهم ليكون أفهم لهم بأن يأخذوا عن رجل منهم»[(٦)] .

---

(١) قال ابن السكيت في إصلاح المنطق١٥٥ و١٨٠ و٣٧٠ : «رجل عَمِي القلب ، وعم عن الصواب ، ورجل شج : إذا غص باللقمة ، ورجل صَد للعطشان وصَدْيان وصاد ، وإذا اشتكى الرجل نساه قلت : نَسي يَنْسَى نسى ، فهو نَس ، وقد نسيت الشيء : إذا لم تذكره ، وقد أنسيته ما كان يحفظه ، وأنسأته البَيع : إذا أخرت ثمنه عليه» اهـ . ملخصاً .

(٢) لفظ : (الواو) ساقط من (أ) .

(٣) انظر : معاني الفرَّاء ١/ ٣٨٣ ، والأخفش ٢/ ٣٠٥ ، والزَّجَّاج ٢/ ٣٤٧ ، وهو قول الأكثر ، انظر : تفسير الطبري ٨/ ٢١٥ ، وإعراب النحاس ١/ ٦٢٢ ، والمشكل ١/ ٢٩٦ ، والتبيان ٣٨١ ، والفريد ٢/ ٣٢٣ ، والدر المصون ٥/ ٣٥٨ .

(٤) ذكره القرطبي ٧/ ٢٣٠ .

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢٠٠ ، والرازي ١٤/ ١٥٤ ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ١٧٧ ، وقال : «أخرجه ابن المنذر من طريق الكلبي عن ابن عباس» اهـ .

(٦) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٢٤٧ .

وقال بعض أهل النظر: «قوله تعالى: ﴿أَخَاهُمْ﴾ يعني: صاحبهم ورسولهم، والعرب تسمي صاحب القوم أخ القوم، ومنه قوله ﷺ: «إن أخا صداء[١] قد أذن [و][٢] إنما يقيم من أذن»[٣] يريد[٤]: صاحبهم، ومن هذا قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨]؛ أي صاحبتها وشبيهتها، وهذا كثير في كلامهم»[٥].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾، قال ابن عباس: «يريد: وحدوا الله ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ قال: يريد: أفلا تخافون نقمته»[٦].

٦٦. وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾. قال مقاتل: «أي في حمق»[٧].

---

(١) صُداء: اسم قبيلة من كهلان من القحطانية من اليمن. انظر: اللباب لابن الأثير ٢/ ٢٣٦، ونهاية الأرب ٢٨٦، والمراد به هنا: زياد بن الحارث الصُدائي، صحابي له وفادة، انظر: الإصابة ١/ ٥٥٧

(٢) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).

(٣) أخرجه عبدالرزاق في المصنف ١/ ٤٧٥، ٤٧٦، وابن سعد في الطبقات الكبرى ١/ ٣٢٦، ٣٢٧، وابن أبي شيبة ١/ ١٩٦ (٢٢٤٦)، وأحمد ٤/ ١٦٩، وابن عبدالحكم في فتوح مصر ٢١٤، وابن ماجه، كتاب الأذان والسنة فيه، باب السنة في الأذان، رقم (٧١٧)، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب في الرجل يؤذن ويقيم آخر، رقم (٥١٤)، والترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء أن من أذن فهو يقيم، رقم (١٩٩)، والبيهقي في سننه ١/ ٣٨١ و٣٩٩، وفيه عبدالرحمن زياد بن أنعم الأفريقي قاضيها ضعيف في حفظه، قاله الحافظ في التقريب ٣٤٠ (٣٨٦٢)، لكن الحديث له طرق. وقال الترمذي «العمل على هذا عند أكثر أهل العلم أن من أذن فهو يقيم» اهـ.

(٤) لفظ: (يريد) ساقط من (أ).

(٥) انظر: تفسير والرازي ١٤/ ١٥٥.

(٦) تنوير المقباس ٢/ ١٠٣، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢٠٠، وأخرج ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٠٨ بسند جيد، عن ابن عباس قال: «﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾: وحدوه» اهـ.

(٧) تفسير مقاتل ٢/ ٤٥.

وقال عبدالله بن مسلم: «أي في جهل»[١].

قال ابن عباس: [«يريد][٢] تدعونا إلى دين لا نعرفه»[٣]، ومضى معنى السفاهة في أول سورة البقرة[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾، قال ابن عباس: «يريدون كاذباً في ما جئت به»[٥].

وقال مقاتل: «من الكاذبين في ما تقول من نزول العذاب بنا»[٦].

وقال الكلبي: «من الكاذبين في ادعائك بالنبوة»[٧]. وقال أبو إسحاق في قوله: ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ﴾: «فكفروا به ظانين [لا][٨] مستيقنين»[٩]، وهو قول الحسن، قال: «كان تكذيبهم إياه على الظن لا على اليقين»[١٠]. وقال بعض أهل

(١) تفسير غريب القرآن ١٧٩، وقال الزَّجَّاج في معانيه ٢/ ٣٤٧: «السفاهة: خفة الحلم والرأي، يقال: ثوب سفيه إذا كان خفيفاً» اهـ. ونحوه قال النحاس في معانيه ٣/ ٤٧، وقال الطبري ٨/ ٢١٥: «أي في ضلال عن الحق والصواب» اهـ.

(٢) لفظ: (يريد) ساقط من (ب).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢٠٠، والبغوي ٣/ ٢٤٢، وجاء في كتاب اللغات لأبي عبيد ١٠٢، وابن حسنون ٢٥، والوزان ٤ بسند جيد عن ابن عباس قال: «سفاهة: جنون بلغة حمير».

(٤) انظر: البسيط، [البقرة :١٣].

(٥) تنوير المقباس ٢/ ١٠٣، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢٠٠.

(٦) تفسير مقاتل ٢/ ٤٥.

(٧) لم أقف عليه.

(٨) لفظ (لا) عليها طمس في (ب).

(٩) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٤٧.

(١٠) ذكره الرازي في تفسيره ١٤/ ١٥٦، وأبو حيان في البحر ٤/ ٣٢٤، وقال ابن عطية ٥/ ٥٤٩: «هو ظن على بابه؛ لأنهم لم يكن عندهم إلا ظنون وتخرص» اهـ.

النظــر : «الظن هاهنا معناه : العلم ، والظن بمعنى العلم كثير في الكلام» ، ذكرنا ذلك[١] في سورة البقرة .

٦٨. وقولــه تعــالى : ﴿وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ . قال الضحــاك : «أمين على الرســالة»[٢] . وقال الكلبــي : «قد كنت فيكم قبل اليــوم أميناً»[٣] . والقولان ذكرهما الفرَّاء[٤] ، ومعنى الأمين : الثقة في نفسه ، وهو فعيل من أَمِــنَ يَأمن أَمناً ، فهو آمِن وأمين بمعنــى واحد ، ويقال أيضاً : ما كان فلان أمِيناً ، ولَقَد أمن يَأمن أمانة فهو أَمِين ، والمأمون : الذي يأمنه غيره[٥] .

٦٩. قوله تعالى : ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ﴾ .

مضى الكلام في الخلفاء والخليفة[٦] والخلائف في مواضع . قال ابن عباس : «يريد : أنكم من ولد نوح ، وقد علمتم ما صنع الله بمن كذبه»[٧] .

---

(١) انظر : البسيط ، [البقرة :٧٨] .

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف ١٩٢أ ، والواحدي في الوسيط ١/ ٢٠١ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٢٢ .

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف ١٩٢ أ ، والواحدي في الوسيط ١/ ٢٠١ ، والبغوي ٣/ ٢٤٢ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٢٢ .

(٤) معاني الفرَّاء ١/ ٣٨٤ .

(٥) انظر : العين ٨/ ٣٨٨ ، وتهذيب اللغة ١/ ٢٠٩ ، والصحاح ٥/ ٢٠٧١ ، ومقاييس اللغة ١/ ١٣٣ ، والمفردات ٩٠ ، واللسان (أمن) ١/ ١٤١ .

(٦) انظر : البسيط ، [البقرة :٣٠] .

(٧) ذكره السيوطي في الدر ٣/ ١٧٨ .

وقال غيره[(١)] : «هذا معناه : تذكيرهم النعمة عليهم ، بأن استخلفهم الله -تعالى- في الأرض بعد هلاك قوم نوح ، يقول : اذكروا أن الله أهلكهم واستخلفكم بعدهم» .

﴿وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً﴾ . قال الكلبي : «فضيلة[(٢)] في الطول»[(٣)] ومضى الكلام[(٤)] في هذا عند قوله : ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ [البقرة : ٢٤٧] . قال ابن عباس : «يريد : أنكم أجسم وأتم من آبائكم الذين ولدوكم»[(٥)] .

قال الكلبي : «وكان أطولهم مائة ذراع ، وأقصرهم ستين ذراعاً»[(٦)] .

---

(١) هذا قول الأكثر . انظر : تفسير الطبري ٨/ ٢١٦ ، وأخرجه من طرق جيدة عن السدي ، ومحمد بن إسحاق . وانظر : تفسير السمرقندي ١/ ٥٥٠ ، والبغوي ٣/ ٢٤٣ ، وابن عطية ٥/ ٥٥٠ ، والرازي ١٤/ ١٥٧ ، والقرطبي ٧/ ٢٣٦ .

(٢) في (ب) : (فصله) ، وهو تصحيف .

(٣) تنوير المقباس ٢/ ١٠٤ .

(٤) انظر : البسيط ، النسخة الأزهرية ١/ ١٥٠أ .

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢٠١ ، وأخرج ابن أبي حاتم ٥/ ١٥١٠ بسند ضعيف عن ابن عباس ، قال : «بصطة : شدة» ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ١٧٨ .

(٦) ذكره الثعلبي في الكشف ١٩٢أ ، وعرائس المجالس٦١ ، والبغوي ٣/ ٢٤٣ ، وهو قول الفرَّاء في معانيه ١/ ٣٨٤ ، والزَّجَّاج ٢/ ٣٤٨ ، ونسبه السمرقندي ١/ ٥٥٠ ، والواحدي في الوسيط ١/ ٢٠١ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٢٢ إلى ابن عباس . وجاء عند السمرقندي عن الكلبي قال : «أطولهم مائة وعشرون ذراعاً وأقصرهم ثمانون ذراعاً» اهـ .

وقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ﴾، قال ابن عباس: «يريد: نِعَم الله عليكم»[(١)]، وواحد الآلاء: إلْي وأَلْي وألْو وألَى[(٢)].

قال الأعشى[(٣)]:

أَبْيَضُ لَا يَرْهَبُ الْهزالَ وَلَا ... يَقْطَعُ رِحْماً وَلَا يَخُونُ إلا

ونظير الآلاء الآناء، واحدها إِنْي وأُنْىً وإنىً[(٤)]، وحكى الأخفش[(٥)] إنْو[(٦)].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٥١٠ بسند جيد، وقال: «وروي عن مجاهد، وقتادة، والسدي، وابن زيد نحو ذلك» اهـ. وهذا هو قول أهل اللغة والتفسير، انظر: مجاز القرآن ١/ ٢١٧، وغريب القرآن لليزيدي ١٤٧، وتفسير غريب القرآن ١٧٩، ومعاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٤٨، وتفسير الطبري ٨/ ٢١٧، ونزهة القلوب ٧٣، ومعاني النحاس ٣/ ٤٩، وتفسير المشكل ٨٥.

(٢) في (ب): «واحد الآلاء: إلي وألا وإلو وإلى». وفي تهذيب اللغة ١/ ١٧٩، قال: «والآلاء: النعم، واحدها إلْيٌ، وأُلْيٌ، وأُلو، وأَلَى، وإلَى» اهـ. وهي جمع مفرده: (إلي) بكسر الهمزة وسكون اللام، كحِمْل وأحمال، أو (ألي): بضم الهمزة وسكون اللام، كقفل وأقفال، أو (إلى): بكسر الهمزة وفتح اللام، كضلع وأضلاع وعنب وأعناب، أو (ألى): بفتحها كقَفَا وأقفاء، أفاده السمين في الدر ٥/ ٣٦٠، وانظر: المراجع السابقة. العين ٨/ ٣٥٦، والصحاح ٦/ ٢٢٧٠، والمجمل ١/ ١٠١، والمفردات ٨٤، واللسان (ألا) ١/ ١١٩، ونقل والرازي ١٤/ ١٥٨، عن الواحدي قال: «واحدها إلى وألو وإلي» اهـ.

(٣) ديوانه ٢٦٧، ومجاز القرآن ١/ ٢١٨، ومعاني الزَّجَّاج ٢/ ٢٤٨، والمجمل ١/ ١٠١، وتفسير الماوردي ٢/ ٢٣٣، وابن عطية ٥/ ٥٥١، وابن الجوزي ٣/ ٢٢٢، والرازي ١٤/ ١٥٨، واللسان (ألا) ١/ ١١٩، والبحر المحيط ٤/ ٣١٥، والدر المصون ٥/ ٣٦٠.

(٤) قال السمين في الدر ٥/ ٣٦٠: «ومثله الآناء: جمع إنْي، أو أُنْي، أو إنىً، وقال الأخفش إنْو، والآناء: الأوقات» اهـ.

(٥) معاني الأخفش ١/ ٢١٣.

(٦) في (ب): (أنوه).

وقوله تعالى : ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ . قال ابن عباس : «يريد : [كي][1] تسعدوا وتبقوا في الجنة»[2] .

٧٠. قوله تعالى : ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ . قال ابن عباس والكلبي[3] : «يريدون من العذاب» . ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ إنك تأتينا من العذاب ، قاله الكلبي[4] ، وقال ابن عباس : «يريدون : أن الله لم يرسلك ، يعني : ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾[5] في نبوتك وإرسالك إلينا»[6] .

٧١. قوله تعالى : ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم﴾ الآية . يقال : وَقَعَ القولُ والحكمُ إذا وَجَبَ ، ومنه قوله : ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ [النمل : ٨٢] ، معناه : إذا وجب ، ومثله : ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ﴾ [الأعراف : ١٣٤] ؛ أي أصابهم ونزل به ، وأصله من الوقوع بالأرض ، يقال : وقع بالأرض مطر ، ووقعت الإبل إذا بركت[7] .

---

(١) لفظ : (كي) ساقط من (ب) .

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢٠١ ، وفي تنوير المقباس ٢/ ١٠٤ نحوه .

(٣) تنوير المقباس ٢/ ١٠٤ ، وهو قول أهل التفسير . انظر : الطبري ٨/ ٢٢٢ ، والسمرقندي ١/ ٥٥١ ، والبغوي/ ٢٤٣ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٢٢ .

(٤) انظر : المراجع السابقة .

(٥) جاء في (ب) تكرار قول ابن عباس والكلبي ، وعليه ضرب .

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢٠١ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٢٢ من قول عطاء .

(٧) هذا من تهذيب اللغة ٤/ ٣٩٣٥ ، وانظر : العين ٢/ ١٧٦ ، والصحاح ٣/ ١٣٠١ ، ومقاييس اللغة ٦/ ١٣٣ ، والمفردات ٨٨٠ ، واللسان (وقع) ٨/ ٤٨٩٥ .

وقوله تعالى: ﴿مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾، قال ابن عباس: «يريد: عذاباً وسخطاً»[(١)]. ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾. قال: «يريد: الأصنام التي كانوا يعبدونها»[(٢)].

قال المفسرون: «كانت لهم أصنام يعبدونها، وسموها أسماء مختلفة، فلما دعاهم الرسول إلى التوحيد استنكروا عبادة الله وحده»[(٣)].

وقوله: ﴿مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾؛ أي من حجة وبرهان لكم في عبادتها، ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾. قال ابن عباس: «يريد العذاب»[(٤)]، ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ الذي يأتيكم من الله في تكذيبكم آياتي.

٧٣. قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ الآية. الكلام في هذا كهو في قوله: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف: ٦٥]، وقد مر، والكلام في (ثمود) وجواز إجرائه يذكر في سورة[(٥)] هود إن شاء الله[(٦)].

---

(١) تنوير المقباس ٢/ ١٠٤، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢٠٢، وابن الجوزي ٣/ ٢٢٣، وأخرج الطبري ٨/ ٢٢٣، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥١١ بسند جيد عن ابن عباس قال: «﴿رِجْسٌ﴾: سخط»، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ١٧٩.

(٢) تنوير المقباس ٢/ ١٠٥.

(٣) انظر: الطبري ٨/ ٢٢٣، والسمرقندي ١/ ٥٥١، والماوردي ٢/ ٢٣٤، وذكره البغوي ٣/ ٢٤٣ عن أهل التفسير.

(٤) تنوير المقباس ٢/ ١٠٥.

(٥) لفظ: (سورة) ساقط من (ب).

(٦) انظر: البسيط، النسخة الأزهرية ٣/ ٣٥ب و٤٤أ.

وقولــه تعــالى : ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ . ﴿ءَايَةً﴾[١] نَصْبٌ على الحــال[٢] ؛ أي أشــير إليها في حال كونهــا آية ، وهذه تتضمن معنى الإشــارة ، و(آية) في معنى دالة ، فلهذا جاز أن يكــون حالاً . قال ابن الأنباري : «وهي آية لهم ولغيرهم ، ولكنهم اقترحوها ، فخصــوا بها ، وإن كانت فيها عبرة[٣] لجميع الخلق ، وكانت هذه الناقة آية من بين ســائر النوق ؛ لأنها خرجت من حجر صلدٍ بمخض واضطراب كاضطراب المرأة عند الولادة»[٤] .

قال ابن عبــاس : «الآية فيها أنها كانت ترد يوماً وتغــب يوماً ، فإذا وردت شربت جميع الماء ، وتسقيهم مثله لبناً لم يُشرب مثله قط ألذ وأحلى»[٥] ، فتوسعهم مــن اللبن ما يصدرون منه بريّهم ومقدار حاجتهــم ، وكانت آية ؛ لانفرادها من سائر بعضها بهذا الأمر الذي لم يشاهد مثله في غيرها .

وقوله تعالى : ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾ ؛ أي سهل الله أمرها عليكم ، فليس عليكم رزقها ولا مؤنتها .

---

(١) لفظ : (آية) ساقط من (ب) .

(٢) هذا قول الأكثر . انظر : معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٤٩ ، والإيضاح العضدي لأبي علي ١/ ٢٣٤ ، والبغوي ٣/ ٢٤٧ ، والكشاف ٢/ ٨٩ ، والرازي ١٤/ ١٦٣ ، والتبيان ١/ ٣٨٢ ، والفريد ٢/ ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، والبحر ٤/ ٣٢٨ ، والدر المصون ٥/ ٣٦٢ .

(٣) في (ب) : (غيره) ، وهو تصحيف .

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢٠٢ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٢٤ ، بلا نسبة ، وهذا هو قول الأكثر والظاهر . انظر : معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٤٩ ، والطبري ٨/ ٢٢٤ ، ومعاني النحاس ٢/ ٥٥١ ، والسمرقندي ١/ ٥٥١ ، والماوردي ٢/ ٢٣٥ ، وقال ابن عطية ٥/ ٥٥٩ ، ٥٦٠ : «قال الجمهور : كانت الناقة مقترحة ، وهذا أليق بما ورد في الآثار من أمرهم» اهـ . وقال ابن كثير ٢/ ٢٥٤ : «وكانوا سألوا صالحاً أن يأتيهم بآية ، واقترحوا عليه أن تخرج لهم من صخرة صماء عينوها بأنفسهم» اهـ .

(٥) لم أقف عليه .

٧٤. قوله تعالى: ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾، قال أبو علي: «هذا على[١] حذف أحد المفعولين، كأنه قيل: بَوَّأكم في الأرض منازل أو بلاداً»[٢].

وقوله تعالى: ﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا﴾. قال ابن عباس: «يريد: تبنون القصور بكل موضع».

و﴿وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾، قال: «يريد: بيوتاً من الجبال تشققونها[٣] منها، فكانوا يسكنونها شتاء، ويسكنون القصور بالصيف»[٤].

قال الزَّجَّاج: «ويروى أنهم لطول أعمارهم كانوا يحتاجون إلى أن ينحتوا بيوتاً في الجبال؛ لأن السقوف والأبنية[٥] كانت تبلى قبل فناء أعمارهم»[٦].

٧٥. قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ﴾ الآية. قال ابن عباس: «يريد: الأشراف»[٧]. قال أهل اللغة[٨]: «هم الذين تملأ الصدورَ هيبتُهم»،

---

(١) لفظ: (على) ساقط من (ب).

(٢) الحجة لأبي علي ٤/ ٣١١. وبوأه: أنزله منزلاً، وهو يتعدى إلى اثنين، والثاني: محذوف؛ أي بوأكم منازل. انظر: القرطبي ٧/ ٢٣٩، والدر المصون ٥/ ٣٦٣.

(٣) في (ب): (يشقونها).

(٤) تنوير المقباس ٢/ ١٠٦. وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢٠٣، وابن الجوزي ٣/ ٢٢٥، وهو بلا نسبة في تفسير السمرقندي ١/ ٥٥٢، والبغوي ٣/ ٢٤٧.

(٥) في (ب): (لأن السقوف في الأبنية).

(٦) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٥٠، ٣٥١، وذكره النحاس في معانيه ٣/ ٤٨، والبغوي ٣/ ٢٤٧.

(٧) تنوير المقباس ٢/ ١٠٦، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢٠٣، وهو قول الأكثر. انظر: تفسير مقاتل ٢/ ٤٦، ومعاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٤٦، والنحاس ٣/ ٤٦، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٥٢، والبغوي ٣/ ٢٤٧.

(٨) الـمَلأُ بالفتح مهموز غير ممدود: الجماعة يجتمعون على رأي، ووجوه القوم: رؤساؤهم وأشرافهم الذين يرجع إلى قولهم، سموا بذلك لأنهم مِلاء بما يحتاج إليه، أو لأنهم يملؤون الصدور هيبة. انظر: العين ٨/ ٣٤٦، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٤٣٧، والصحاح ١/ ٧٣، ومقاييس اللغة ٥/ ٣٤٦، والمفردات ٧٧٦، واللسان (ملأ) ٧/ ٤٢٥٢.

كما رُوي في قتلى بدر : «أولئك الملأ من قريش»[١] ؛ أي الأشراف الذين يملؤون النفس هيبة وتعظيماً .

وقال الفرَّاء : «الملأ : القوم من الرجال ليس فيهم امرأة»[٢] .

وقوله تعالى[٣] : ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ ﴾ . قال ابن عباس : «يريد : عن عبادة الله»[٤] .

﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ ﴾ «يريد : المساكين»[٥] ، ﴿ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ ﴾ بدل من قوله : ﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ ﴾[٦] ؛ لأنهم المؤمنون .

---

(١) لم أقف على سنده ، وهو في تهذيب اللغة ٤/ ٣٤٣٧ ، وإعراب القراءات ١/ ١٩٣ ، والنهاية ٤/ ٣٥١ ، واللسان (ملأ) ٧/ ٤٢٥٢ ، قالوا : «روي عن النبي ﷺ أنه سمع رجلاً من الأنصار مرجعه من غزوة بدر ، يقول : ما قتلنا إلا عجائز صلعاً ، فقال النبي ﷺ : «أولئك الملأ من قريش لو حضرت فعالهم لاحتقرت فعلك» ؛ أي أشراف قريش» اهـ .

(٢) معاني الفرَّاء ١/ ٣٨٣ ، ومثله قال الطبري في تفسيره ٨/ ٢١٣ .

(٣) لفظ : (وقوله تعالى) ساقط من (أ) .

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢٠٣ بلا نسبة ، وهو قول أهل التفسير . انظر : الطبري ٨/ ٢٣٢ ، والسمرقندي ١/ ٥٥٢ ، والبغوي ٣/ ٢٤٧ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٢٥ ، وفي تنوير المقباس ٢/ ١٠٦ قال : «استكبروا عن الإيمان» اهـ .

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢٠٤ بلا نسبة ، وهو قول الأكثر . انظر : المراجع السابقة ، وفي تنوير المقباس ٢/ ١٠٧ ، قال : «استضعفوا : قهروا» اهـ .

(٦) انظر : المسائل البصريات لأبي علي ٢/ ٨٣١ ، وغرائب الكرماني ١/ ٤١٣ ، والكشاف ٢/ ٩٠ ، والبيان ١/ ٣٦٧ ، وزاد المسير ٣/ ٢٢٥ ، والتبيان ١/ ٣٨٢ ، والفريد ٢/ ٣٢٧ ، والدر المصون ٥/ ٣٦٥ .

٧٧. قوله تعالى: ﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ﴾ الآية. قال الأزهري: «العقر عند العرب: كشف عرقوب البعير، ثم تجعل النحر عقراً؛ لأن العقر سبب النحر، وناحر البعير يعقره ثم ينحره، هذا هو الأصل، ثم جعل النحر عقراً، وإن لم يكن هناك قطع للعرقوب»[(١)]، قال امرؤ القيس:

ويَوْمَ عَقَرْتُ لِلعَذارَى مَطيَّتي[(٢)]

وقوله تعالى: ﴿وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾، يقال: عتَا يَعْتُو عُتُواً[(٣)] إذا استكبر، ومنه يقال: جبار عَاتٍ.

قال مجاهد: «العتو[(٤)]: الغلو في الباطل».

---

(١) تهذيب اللغة ٣/ ٢٥١٤. والعَقْر: النحر والجرح والقتل، وعَقَرته: أصبت عُقْرَه؛ أي أصله، وعَقَرت البعير: نحرته، وعقر الفرس بالسيف: إذا ضربت قوائمه. انظر: العين ١/ ١٤٩، والجمهرة ٢/ ٧٦٨، والصحاح ٢/ ٧٥٣، والمجمل ٣/ ٦٢١، والمفردات ٥٧٧، واللسان (عقر) ٥/ ٣٠٣٤.

(٢) ديوانه ١١٢، وتهذيب اللغة ١٣/ ٢٥١٤، ومقاييس اللغة ٤/ ٩، واللسان ٥/ ٣٠٣٤، والبحر ٤/ ٣١٥، والدر المصون ٥/ ٣٦٦، والبيت من معلقته المشهورة، وعجزه: «فَيَا عَجَباً مِن رَحْلِها المـُتحمِّل». قال النحاس في شرح القصائد ١/ ٩: «العذارى: جمع عذراء، والمطية الراحلة» اهـ. وانظر: شرح القصائد لابن الأنباري ٣٣.

(٣) جاء أيضاً عِتيّاً بالكسر. انظر: العين ٢/ ٢٢٦، والجمهرة ٢/ ١٠٣٢، وتهذيب اللغة ٣/ ٢٣١٣، والصحاح ٦/ ٢٤١٨، والمجمل ٣/ ٦٤٦، ومقاييس اللغة ٤/ ٢٢٥، والمفردات ٥٤٦، واللسان (عتا) ٥/ ٢٠٨٤.

(٤) في (ب): (العتو والعلوا)، وهو تحريف، والعلو والغلو كلاهما صحيح وله وجه، وهو في تفسير مجاهد ١/ ٢٣٩، وأخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٥١٥ ب بلفظ: (غلواً في الباطل)، وأخرجه الطبري ٩/ ٢٣٢ من طرق جيدة عدة بلفظ (علواً)، وفي رواية (علوا عن الحق لا يبصرون) اهـ. وذكره السيوطي في الدر ٣/ ١٨٤ بلفظ (غلواً).

قال ابن عباس : «عقروا الناقة عُتُواً وتكذيباً بما جاء به صالح»[(١)] .

وقال الكلبي[(٢)] ومقاتل[(٣)] : «﴿[(٤)]وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ : عصوا الله وتركوا أمره في الناقة» .

وقوله تعالى : ﴿وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ ، أصل : ﴿ائْتِنَا﴾[(٥)] أأتنا بهمزتين[(٦)] إحداهما للوصل ، والثانية للأصل ، إلا أنه لما لم يجز اجتماع همزتين في موضع واحد من كلمة واحدة لينت الثانية ، فإذا وصل بكلام قبله سقط ألف الوصل ، فظهرت همزة الأصل في قوله : ﴿يَا صَالِحُ ائْتِنَا﴾[(٧)] في قراءة من قرأ بالهمز[(٨)] .

---

(١) في تنوير المقباس ٢/ ١٠٧ نحوه ، وقال الزَّجَّاج في معانيه ٢/ ٣٥١ : «أي جاوزوا المقدار في الكفر» اهـ . ونحوه قال النحاس في معانيه ٣/ ٤٩ ، وانظر : مجاز القرآن ١/ ٢١٨ ، وغريب القرآن لليزيدي ١٤٧ ، ونزهة القلوب ٣٢٥ .

(٢) تنوير المقباس ٢/ ١٠٧ .

(٣) في تفسير مقاتل ٢/ ٤٧ : «﴿وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ يعني : التوحيد» اهـ .

(٤) لفظ : (الواو) ساقط من (ب) .

(٥) لفظ : (ائتنا) ساقط من (ب) .

(٦) انظر : مذهب القراء في الهمزتين في كلمة واحدة في السبعة ١٣٩ ، والمبسوط ١١٢ ، والتذكرة ١/ ١٥٢ .

(٧) انظر : كلام أبي علي الفارسي في توجيه ذلك في البغداديات ٧٧ ، ٨٠ .

(٨) قال أبو حيان في البحر ٤/ ٣٣١ : «قرأ ورش والأعمش : (يَا صَالِحُ ايتنا) ، وأبو عمرو إذا أدرج أبدل همزة فاء ﴿ائْتِنَا﴾ واواً لضمة حاء صالح ، وقرأ باقي السبعة بإسكانها ، وقرأ عيسى بن عمرو وعاصم الجحدري (أوتنا) بهمز وإشباع ضم» اهـ . بتصرف ، وانظر : الكتاب ٤/ ٣٣٨ ، ومختصر الشواذ ٤٩ ، وتفسير ابن عطية ٥/ ٥٦٧ ، والدر المصون ٥/ ٣٦٧ .

٧٨. وقوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾. قال الفرَّاء والزَّجَّاج[(١)]: «هي الزلزلة الشديدة»، وهو قول الكلبي[(٢)].

قال الليث: «يقال: رَجَف الشيء يَرْجُف رَجْفاً وَرَجَفاناً كَرَجَفَان البعير تحت الرَّحْل، وكما يرجُف الشجر إذا رجفته الريح، وَرَجفت الأرض إذا تزلزلت»[(٣)].

وقال عمر بن أبي ربيعة[(٤)]:

وَلَمَّا رَأَيتُ الحجَّ قد حانَ وقتُهُ ... وَظلَّتْ جِمالُ القومِ بالقومِ تَرْجُفُ

وقال أبو عبيدة: «الرجف من قولهم: رجفت بهم الأرض إذا تحركت»[(٥)]، يذهب إلى أنها الزلزلة، وأنشد[(٦)]:

تحنَّى العِظامُ الرَّاجفاتُ مِنَ البلى ... وليسَ لداءِ الرُّكْبَتَيْنِ طَبيبُ

---

(١) معاني الفرَّاء ١/ ٣٨٤، والزَّجَّاج ٢/ ٣٥١، وهو قول أكثرهم، انظر: الزاهر ٢/ ٣٢٠، ونزهة القلوب ٢٤١، ومعاني النحاس ٣/ ٤٩، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٥٢، والبغوي ٣/ ٢٤٨، وابن عطية ٥/ ٥٦٧.

(٢) تنوير المقباس ٢/ ١٠٧، وذكره الثعلبي في عرائس المجالس ١٦٥، والواحدي في الوسيط ١/ ٢٠٤، وقال الطبري ٨/ ٢٣٣: «الرجفة: الصيحة التي زعزعتهم وحركتهم للهلاك؛ لأن ثمود هلكت بالصيحة في ما ذكر أهل العلم» اهـ. وأخرجه من طرق جيدة عن مجاهد والسدي.

(٣) تهذيب اللغة ٢/ ١٣٧١، وانظر: العين ٦/ ١٠٩، والصحاح ٤/ ١٣٦٢، والمجمل ٢/ ٤٢٢، ومقاييس اللغة ٢/ ٤٩١، والمفردات ٣٤٤، وفي العين «الرجفة: كل عذاب أنزل، فأخذ قوماً، فهو رجفة، وصيحة، وصاعقة» اهـ.

(٤) ليس في ديوانه، وهو في الدر المصون ٥/ ٣٦٨، وبلا نسبة في تفسير الثعلبي ١٩٢ ب، والقرطبي ٧/ ٢٤٢، والبحر ٤/ ٣١٥.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) لم أقف على قائله، وهو في الزاهر ١/ ١٨٩، ٢/ ٣٢٠، واللسان (رجف) ٣/ ١٥٩٥، والدر المصون ٥/ ٣٦٨.

وقوله تعالى : ﴿ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ ﴾ ، يعنـــي : بلدهم ، لذلك وحد الدار ، كما يقـــال : دار الحرب ، ومررت بدار البزازين[١] ، وجمع في موضع آخر ، فقال : ﴿ فِي دِيَـٰرِهِمْ ﴾ [هود : ٦٧] ؛ لأنه أراد منازلهم التي ينفرد كل واحد منهم[٢] بمنزله ، وقوله تعالى : ﴿ جَـٰثِمِينَ ﴾ ، قال أبو عبيدة : «الجثوم للناس والطير بمنزلة البروك للإبل»[٣] . قال جرير :

عَرَفْتُ الـمُنْتَأى وعَرَفْتُ مِنْهَـا ... مَطَايَا القِـدْرِ كَالحِـدَإ الجُثُومِ[٤]

وقـــال أبو العباس : «الجاثـــم : البارك على رجليه كما يجثـــم الطير»[٥] . قال الزَّجَّاج : «معنى ﴿ جَـٰثِمِينَ ﴾ : قد خمدوا من شـــدة العـــذاب»[٦] . وهو قول ابن عباس : «﴿ جَـٰثِمِينَ ﴾ يريد : خامدين ميتين»[٧] . وقال الكلبي : «احترقوا

---

(١) البَزَّاز : بالفتح نسبة إلى من يبيع البَزّ ، وهو الثياب . انظر : اللباب ١/ ١٤٦ ، واللسان (بز) ١/ ٢٧٤ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٨/ ٢٣٣ ، وغرائب الكرماني ١/ ٤١٣ .

(٣) ذكره ابن الأنباري في شرح القصائد ٢٤٠ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٢٦ ، والسمين في الدر ٥/ ٣٦٩ ، وفي مجاز القرآن ١/ ٢١٨ و٢/ ١١٦ قال : «أي بعضهم على بعض جثوم على الركب» اهـ . ملخصاً . وانظر : غريب القرآن لليزيدي ١٤٧ ، وتفسير غريب القرآن ١٧٩ ، ونزهة القلوب١٩٠ ، ومعاني النحاس ٣/ ٤٩ ، وتفسير المشكل ٨٥ .

(٤) ديوانه ٤١١ ، ومجاز القرآن ١/ ٢١٨ ، والطبري ٨/ ٢٣٣ ، وابن عطية ٥/ ٥٦٧ ، والدر المصون ٥/ ٣٦٩ . «والمنتأى : حفر النؤي ، ومطايا القدر : الأثافي التي يركبها القدر ، والحدأ : جمع حِدأة ، طائر خبيث معروف» . أفاده أحمد شاكر في حاشية الطبري .

(٥) تهذيب اللغة ١/ ٥٣٩ . وانظر : العين ٦/ ١٠٠ ، ومجالس ثعلب ٤٨٥ ، والجمهرة ١/ ٤١٥ ، والصحاح ٥/ ١٨٨٢ ، والمجمل ١/ ٢٠٧ ، ومقاييس اللغة ١/ ٥٠٥ ، والمفردات ١٨٧ ، واللسان (جثم) ١/ ٥٤٥ .

(٦) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٥١ .

(٧) تنوير المقباس ٢/ ١٠٨ ، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢٠٥ .

بالصاعقــة فأصبحوا ميتين ، قد همدوا رماداً لا يتحركون»[(١)] ، وهو قول الفرَّاء : «صاروا رماداً جاثماً»[(٢)] .

وقال ابــن الأنباري : «قال المفسرون : معنــى ﴿جَٰثِمِينَ﴾ : بعضهم على بعض ؛ أي عند نزول العذاب بهم سقط بعضهم على بعض»[(٣)] .

٧٩. قوله تعالى : ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ﴾ [الأعراف : ٧٩] . قال المفسرون : «إن صالحاً أقبل عليهم بالدعــاء إلى توحيد الله وطاعته ، فلـما خالفوا ونزل بهم العذاب تولى عنهم لليأس منهم»[(٤)] .

وقوله تعالى : ﴿لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ﴾ .

قال ابن عبــاس : «يريد : قد خوفتكــم من الله ومن عقابــه»[(٥)] ، وخطابه إياهم[(٦)] بعد كونهم جاثمين كخطاب النبي ﷺ قتلى بدر ، وقيل له : أتكلم هؤلاء الجيف ؟ قال : «ما أنتم بأسمع منهم ، ولكنهم لا يقدرون على الجواب»[(٧)] .

---

(١) ذكره الزَّجَّاج ٢/ ٣٥١ ، والماوردي ٢/ ٢٣٦١ من دون نسبة ، وقال الطبري ٨/ ٢٣٣ : «يعني : سقوطاً صرعى لا يتحركون ؛ لأنهم لا أرواح فيهم ، والعرب تقول للبارك : جاثم» اهـ .

(٢) معاني الفرَّاء ١/ ٣٨٤ .

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢٠٥ ، وذكره ابن الجوزي ٣/ ٢٢٦ عن المفسرين ، وانظر : شرح القصائد لابن الأنباري ٢٤٠ .

(٤) انظر : معاني الفرَّاء ١/ ٣٨٥ ، والطبري ٨/ ٢٣٤ ، والسمرقندي ١/ ٥٥٣ ، والماوردي ٢/ ٢٣٦ ، وابن عطية ٥/ ٥٦٨ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٢٧ .

(٥) تنوير المقباس ٢/ ١٠٨ ، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢٠٦ .

(٦) ذهب الفرَّاء والطبري والسمرقندي وغيرهم إلى أنه أعرض عنهم قبل نزول العذاب ؛ لأنه لم تهلك أمة ونبيها بين أظهرهم . انظر : المراجع السابقة ، والحلبيات لأبي علي ٣٠٦ ، ورجَّح البغوي ٣/ ٢٤٨ ، وابن كثير ٢/ ٢٥٦١ أن هذا تقريع من صالح ـعليه السلامـ لقومه بعد هلاكهم وهم يسمعون ذلك ؛ لأن الفاء تدل على حصول التولي بعد موتهم ، قال القاسمي في تفسيره ٧/ ٢٧٨٩ : «وهو المتبادر لظهور الفاء في التعقيب والله أعلم» ، وانظر : تفسير والرازي ١٤/ ١٦٧ .

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه ، رقم : ١٣٧٠ ، كتاب : الجنائز ، باب : ما جاء في عذاب القبر ، =

٨٠. قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا﴾، ذكر الفرَّاء في كتاب المصادر[١] اشـتقاق هذا الاسـم، وأنكر عليه ذلك أبو إسـحاق وقال: «الاسم الأعجمي لا يقال: إنه مشتق، كإسحاق لا يقال: إنه مشتق من السُّحق، وكتاب الله لا ينبغي أن يُقدم على تأويله إلا برواية صحيحه أو حجة واضحة»[٢].

وقـال النحويون: «إنما صرف لـوط لخفته، بأنه على ثلاثة أحرف سـاكن الأوسط»[٣].

وقوله تعـالى: ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾، يعني: إتيان الذكران، في قول جميع المفسريـن[٤]، ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، قالوا: «ما

---

= عن ابن عمر -رضي الله عنهما. قال: «اطلع النبي ﷺ على أهل القليب، فقال: «وجدتم ما وعد ربكم حقاً». فقيل له: أتدعو أمواتاً؟ فقال: «ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون» اهـ. وأخرجه من وجه آخر برقم: ٣٩٨٠، (٣٩٨١)، كتاب: المغازي، باب: قتل أبي جهل.

(١) كتاب المصادر للفرَّاء مفقود. انظر: مقدمة المذكر والمؤنث للفرَّاء ٢٣، قال النحاس في إعراب القرآن ١/ ٦٢٤: «زعم الفرَّاء أن لوطاً مشتقاً من لُطْتُ الحوض» اهـ. وقال الراغب في المفردات ٧٥٠: «لوط اسم علم، واشتقاقه من لَاط الشيء بقلبي يَلُوط لَوْطاً وليطاً؛ أي لصق» اهـ. وأكثرهم على أنه أعجمي معرب. انظر: المعرب للجواليقي ٥٦٣، وقال السمين في عمدة الحفاظ ٥٢٨: «لوط علم للنبي المشهور، والظاهر أنه لا اشتقاق له لعجمته، إلا أنهم قالوا: يجوز أن يكون مشتقاً من لاط الشيء بقلبي يلوط لوطاً؛ أي لصق» اهـ.

(٢) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٥١، ٣٥٢.

(٣) انظر: العين ٧/ ٤٥٢، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٢١٩، واللسان (لوط) ٧/ ٤٠٩٩. وفي الكتاب ٣/ ٢٣٥. قال سيبويه: «وأما لوط فينصرف على كل حال لخفته» اهـ. وقال الجوهري في الصحاح ٣/ ١١٥٨: «لوط: اسم ينصرف من العجمة والتعريف، وإنما لزم الصرف؛ لأن الاسم على ثلاثة أحرف أوسطه ساكن، وهو على غاية الخفة، فقاومت خفته أحد السببين» اهـ.

(٤) انظر: تفسير الطبري ٨/ ٢٣٤، ومعاني النحاس ٣/ ٥٠، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٥٣، والبغوي ٣/ ٢٥٥، وابن عطية ٥/ ٥٦٩.

نزا[١] ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط» ، قال الزَّجَّاج : «وفي هذه الآية دليل على أن فاحشة اللواط لم يفعلها أحد قبل قوم لوط»[٢] .

٨١. قوله تعالى : ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾ الآية . كلهم قرؤوا : (أئنّكم) بالاستفهام ، إلا نافعاً فإنه قرأ : ﴿إِنَّكُمْ﴾ بغير استفهام[٣] ، فمن استفهم كان[٤] هذا استفهاماً معناه الإنكار ، كقوله : ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ [الأعراف : ٨٠] ، وكل واحد من الاستفهامين[٥] جملة مستقلة لا تحتاج في تمامها إلى شيء ، فمن ألحق حرف الاستفهام جملة ، نقلها به من الخبر إلى الاستخبار ، ومن لم يُلحقها بقَّاها على الخبر[٦] .

---

(١) في (ب) : «ما يرى» .

(٢) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٥٢ .

(٣) يقرأ هنا بالاستفهام والإخبار ، فقرأ نافع وحفص عن عاصم ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ﴾ بكسر الهمزة على الخبر ، وقرأ الباقون بهمزتين على لفظ الاستفهام ، غير أن ابن كثير يسهل الثانية بين الهمزة والياء ، وأبا عمرو يفعل كذلك ، ويدخل بين الهمزتين ألفاً فيمد . انظر : السبعة ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، والمبسوط ١٨١ ، ١٨٢ ، والتذكرة ١/ ١٥٣ ، ١٥٤ ، والتيسير ١١١ ، والنشر ١/ ٣٦٩_٣٧١ .

(٤) في (أ) : (فمن استفهم هذا كان استفهاماً) .

(٥) لفظ : (الاستفهامين) غير واضح في (ب) .

(٦) هذا قول أبي علي في الحجة ٤/ ٤٨ ، وقال الأزهري في معاني القراءات ١/ ٤١٣ : «هي لغات ، كلها جائزة ، وكل ما قرئ به فهو معروف معانيها متفقة ، ولا اختلاف في جوازها» اهـ . وانظر : إعراب القراءات ١/ ١٩٢ ، ١٩٣ ، والحجة لابن خالويه ١٥٨ ، ولابن زنجلة ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، والكشف ١/ ٤٦٨ .

وقوله تعالى : ﴿شَهْوَةً﴾ مصدر . قال أبو زيد : «شَهِي يَشْهى شهوةً ، وشَها يَشهو إذا اشتَهَى»[١] . قال الشاعر :

وَأشْعَثَ يَشْهَى النَّوم قلتُ له ارْتَحِلْ      إذا ما النُّجُومُ أَعْرَضَتْ وَاسْبَكَرَّتِ[٢]

وانتصابها على المصدر ؛ لأن قوله : ﴿لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾ معناه : أتشهونهم شهوة ، وإن [شئت][٣] قلت : إنها مصدر[٤] وقع موقع الحال[٥] .

قال الحسن : «كانوا ينكحون الرجال في أدبارهم ، وكانوا لا ينكحون إلا الغرباء»[٦] . وقال عطاء عن ابن عباس : «استحكم ذلك فيهم حتى فعل بعضهم ببعض»[٧] .

---

(١) تهذيب اللغة ٢/ ١٩٤٨ ، وأصل الشَّهْوَة : نزوع النفس إلى ما تريده . انظر : العين ٤/ ٦٨ ، والجمهرة ٢/ ٨٨٣ ، والبارع ٩٧ ، والصحاح ٦/ ٢٣٩٧ ، والمجمل ٢/ ٥١٣ ، ومقاييس اللغة ٣/ ٢٢٠ ، والأفعال للسرقسطي ٢/ ٣٦٣ ، والمفردات ٤٦٨ ، واللسان (شها) ٤/ ٢٣٥٤ .

(٢) لم أعرف قائله ، وهو في تفسير الطبري ٨/ ٢٣٥ ، واللسان (شها) ٤/ ٢٣٥٤ ، والدر المصون ٥/ ٣٧٢ ، واسبكرت ؛ أي جرت وطالت ، واسبكر الرجل : اضطجع وامتد . انظر : اللسان (سبكر) ٤/ ١٩٢٩ .

(٣) لفظ : (شئت) ساقط من (ب) .

(٤) في (أ) : (مصادر) ، وهو تصحيف .

(٥) شهوة مفعول من أجله ؛ أي لأجل الاشتهاء أو مصدر في موضع الحال ؛ أي مشتهين . أو باقٍ على مصدريته ناصبه : ﴿أَتَأْتُونَ﴾ ؛ لأنه بمعنى أتشتهون . انظر : التبيان ٣٨٢ ، والفريد ٢/ ٣٣٠ ، والدر المصون ٥/ ٣٧٢ .

(٦) ذكره هود الهواري في تفسيره ٢/ ٢٩ ، والثعلبي ١٩٤أ ، والبغوي ٣/ ٢٥٥ ، وابن عطية ٥/ ٥٧٠ ، والقرطبي ٧/ ١٤٥ .

(٧) ذكره الرازي في تفسيره ١٤/ ١٦٨ .

وقوله تعالى: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾. معنى ﴿بَلْ﴾ هاهنا اضطراب عن الأول إلى جميع المعايب من عبادة الأوثان، وإتيان الذكران، وترك ما قام به البرهان[١]. وعلى هذا المعنى دل[٢] كلام ابن عباس حيث قال: «يريد: جمعتم مع الشرك معصية لم يفعلها خلق قبلكم»[٣].

٨٢. قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾[٤]. يعني: لوطاً وأتباعه؛ لأنه قال في غير هذه السورة: ﴿أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾[٥] [النمل: ٥٦]؛ أي[٦] عن إتيان الرجال في أدبارهم، عن ابن عباس[٧]، ومجاهد[٨]، وقتادة[٩]. والعرب[١٠] تقول: تطهَّر الرجل إذا تنزّه عن الإثم وعمّا

---

(١) انظر: التبيان ٣٨٢، والبحر ٤/ ٣٣٤، والدر المصون ٥/ ٣٧٢.

(٢) لفظ: (دل) ساقط من (ب).

(٣) تنوير المقباس ٢/ ١٠٨، وذكر السيوطي في الدر ٣/ ١٨٦ نحوه.

(٤) في النسخ: ﴿فَمَا كَانَ﴾، وهو تحريف، وقد جاء بالفاء في الآية [٥٦] من سورة النمل، والآية [٢٤ و٢٩] من سورة العنكبوت.

(٥) لفظ: ﴿مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾ ساقط من النسخ.

(٦) لفظ: (أي) ساقط من (ب).

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٢٣٥ بسند ضعيف، وهو في تنوير المقباس ٢/ ١٠٩، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ١٨٦.

(٨) تفسير مجاهد ١/ ٢٤٠، وأخرجه الطبري ٨/ ٢٣٥، وابن أبي حاتم ٣/ ١٦٤ب من طرق جيدة عدة، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ١٨٦.

(٩) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢٠٧ عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وهو قول عامة أهل التفسير. انظر: معاني الفرَّاء ١/ ٣٨٥، والزَّجَّاج ٢/ ٣٥٣، والنحاس ٣/ ٥١، والسمرقندي ١/ ٥٥٣، والماوردي ٢/ ٢٣٧، والبغوي ٣/ ٢٥٥.

(١٠) طهر: أصل يدل على نقاء وزوال دَنَس، والطُهْر خلاف الدَّنَس، والتطهير: التنزه والكف عن الإثم وكل قبيح، وفلان طاهر الثياب: إذا لم يكن دَنِس الأخلاق.

انظر: العين ٤/ ١٩، والجمهرة ٢/ ٧٦١، وتهذيب اللغة ٣/ ٢٢٢٦، والصحاح ٢/ ٧٢٧، ومقاييس اللغة ٣/ ٤٢٨، والمجمل ٢/ ٥٨٨، والمفردات ٥٢٥، واللسان (طهر) ٥/ ٢٧١٣.

يوقعه فيه ، فمعنى قوله : ﴿يَتَطَهَّرُونَ﴾ ؛ أي يتنزهون عمّا كانوا يأتونه[١] من المناكير .

قال أهل المعاني : «هذه الآية بيان عن حال الجهال في ردهم على نبيهم أقبح جواب ، واعتلالهم أفسد اعتلالٍ حين جعلوا تنزههم عن الفاحشة سبباً للمباعدة» . وهذا معنى قول قتادة : «عابوهم والله بغير عيبٍ»[٢] .

٨٣. وقوله تعالى : ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ﴾ . قال المفسرون[٣] : «﴿أَهْلَهُۥ﴾ : ابنتيه» ، وهو قول ابن عباس[٤] .

وقوله تعالى : ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾ ، يعني : زوجته ، وجاز أن يقال : امرأة الرجل بمعنى زوجته ، ولم يجز أن يقال : مرؤها بمعنى زوجها ؛ لأن الرجل بمنزلة المالك لها ، وليست المرأة بمنزلة المالكة للرجل ، فإذا أضيفت إلى الرجل بالاسم العام عرفت الزوجية وملك النكاح ، والرجل إذا أُضيف إلى المرأة بالاسم العام لم يعرف الزوجية[٥] .

---

(١) في (ب) : (يأتوه) .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٢٣٥ بسند جيد عن قتادة بلفظ : «عابوهم بغير عيب ، وذموهم بغير ذم» اهـ . وذكره السيوطي في الدر ٣/ ١٨٦ .

(٣) انظر : معاني الفرَّاء ١/ ٣٨٥ ، والزَّجَّاج ٢/ ٣٥٣ ، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٥٣ ، والماوردي ٢/ ٢٣٧ ، وابن عطية ٥/ ٥٧١ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٢٨ ، وقال الطبري ٨/ ٢٣٦ ، والبغوي ٣/ ٢٥٦ : «وأهله : المؤمنين به» اهـ . وقال ابن كثير ٢/ ٢٥٨ : «يقول : فأنجينا لوطاً وأهله ، ولم يؤمن به أحد منهم سوى أهل بيته فقط إلا امرأته ، فإنها لم تؤمن به» اهـ .

(٤) تنوير المقباس ٢/ ١٠٩ ، وذكره الرازي في تفسيره ١٤/ ١٧١ .

(٥) ذكره والرازي ١٤/ ١٧١ ، لكن فيه : «فإذا أضيفت إلى الرجل بالاسم العام عرفت الزوجية وملك النكاح ، والرجل إذا أضيف إلى المرأة بالاسم العام تعرف الزوجية» اهـ .

وقوله تعالى: ﴿كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾. يقال: غَـبَر الرجل يَغبُر غبُوراً إذا مكث وبقي[١]، قال الهذلي[٢]:

فَغَبَرْتُ بَعْدَهُـم بِعَيشٍ نَاصِبٍ          وَإخَـالُ أَنِّي لَاحِـقٌ مُسْتَتْبَعُ[٣]

يعني: بقيت. قال المفسرون[٤]: «إنها كانت من الباقين في عذاب الله»، وهو قول الحسن[٥] وقتادة[٦]، ويجوز أن يكون المعنى: من الغابرين عن النجاة؛ أي من الذين بقوا عنها، ولم يدركوا النجاة. يقال: بقي فلان عن هذا الأمر؛ أي لم يدركه، وإلى هذا أشار أبو إسحاق[٧] وابن الأنباري.

---

(١) وهو من الأضداد، غبر: بقي ومضى، والغابر: الباقي، والغابر: الماضي. انظر: العين ٤/ ٤١٣، والجمهرة ١/ ٣٢٠، والبارع ٣١٢، وتهذيب اللغة ٣/ ٢٦٢٧، والصحاح ٢/ ٧٦٥، ومقاييس اللغة ٤/ ٤٠٨، والمجمل ٣/ ٦٩٠، والمفردات ٦٠١، واللسان (غبر) ٦/ ٣٢٠٥.

(٢) الهذلي: هو أبو ذؤيب خويلد بن خالد، تقدمت ترجمته.

(٣) شرح أشعار الهذليين ١/ ٨، والمفضليات ٤٢١، وجمهرة أشعار العرب ٢/ ٦٨٤، وتفسير الثعلبي ١٩٤أ، والرازي ١٤/ ١٧١، والبحر ٤/ ٣١٥، والدر المصون ٥/ ٣٧٣، قال السكري في شرحه: «فغبرت: بقيت، ناصب: ذو نصب؛ أي جهد وتعب، إخال: أظن، وهي هاهنا يقين، لاحق: مُلحِق، مستتبع: مُستلْحَق؛ أي مذهوب بي إلى ما صاروا إليه» اهـ.

(٤) انظر: تفسير السمرقندي ١/ ٥٣٣، والماوردي ٢/ ٢٣٧، والبغوي ٣/ ٢٥٦، وابن عطية ٥/ ٥٧١.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢٣٣، والطبري ٨/ ٢٣٦، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥١٩ بسند جيد.

(٧) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٥٣.

وقـــال أبو بكر : «أي لم تــسر مع لوط وأهله ، ولم تدخـــل في جملة الناجين ، وأقامـــت في الموضع الذي نـــزل بأهله العذاب»[(١)] . فعلى هـــذا يحتمل تأويلين : أحدهما : مـــن الغابرين في موضع الهلاك ، والثاني : مـــن الغابرين عن النجاة كما ذكرنا[(٢)] .

٨٤. قولـــه تعالى : ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ الآية . يقال : مطرتنا السـماء وأمطرتنا ، والأول أفصح[(٣)] ، وأمطرهـــم الله مطراً وعذاباً ، وكذلك أمطر عليهم[(٤)] . قال ابن عبـــاس[(٥)] والمفسرون[(٦)] : «أمطر الله عليهم حجارة من السماء» . كما قال في آية أخرى : ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الحجر : ٧٤] .

---

(١) الزاهر ٢/ ٣٢٤ ، وفيه : (الغابر : الباقي ، وهو الأشهر عندهم ، وقد يقال أيضاً : للماضي ، وقوله : ﴿ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾ أراد : في الباقين» اهـ . وانظر : الأضداد ١٢٩ ، ونزهة القلوب ٣٤٣ .

(٢) وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ١/ ٢١٨ ، والطبري ٨/ ٢٣٦ : «أي من المعمَّرين قبل هلاكهم ، ثم هلكت لما جاءهم العذاب» اهـ . والأكثر في اللغة أن يكون الغابر : الباقي ، أفاده النحاس في معانيه ٣/ ٥٢ ، وانظر : غريب القرآن لليزيدي ١٤٧ ، وتفسير غريب القرآن ١٧٩ ، وتفسير المشكل ٨٥ .

(٣) انظر : العين ٧/ ٤٢٥ ، والجمهرة ٢/ ٧٦٠ و٣/ ١٢٥٩ ، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٤١٢ ، والصحاح ٢/ ٨١٨ ، ومقاييس اللغة ٥/ ٣٣٢ ، والمجمل ٣/ ٨٣٤ ، والمفردات ٧٧٠ ، واللسان (مطر) ٧/ ٤٢٢٣ .

(٤) قال السمين في الدر ٥/ ٣٧٤ ، ٣٧٥ : «قال بعضهم : مطر في الرحمة ، وأمطر في العذاب ، وهذا مردود بقوله تعالى : ﴿هَـٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾[الأحقاف :٢٤] ، فإنهم إنما عنوا بذلك الرحمة ، وهو من أمطر رباعياً ، وَمَطَر وأَمْطَر بمعنى واحد يتعديان لواحد ، يقال : مطرتهم السماء وأمطرتهم ، (وأمطرنا) ضُمِّن معنى (أرسلنا) ، ولذلك عُدِّي بعلى» اهـ . بتصرف .

(٥) تنوير المقباس ٢/ ١٠٩ ، وذكره ابن الجوزي في تفسيره ٣/ ٢٢٨ .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٨/ ٢٣٧ ، والسمرقندي ١/ ٥٥٣ ، والبغوي ٣/ ٢٥٦ ، وابن عطية ٥/ ٥٧٣ .

٨٥. قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾. قال المفسرون[١]: «مدين: اسم ولدٍ لإبراهيم، وهو مدين بن إبراهيم الخليل، وشعيب بعث إلى أولاد مدين، ومدين صار اسماً للقبيلة، كما يقال: بكر وتميم». قال الزَّجَّاج: «ولم يصرف (مدين) لأنه اسم للقبيلة، وهو أعجمي»[٢].

وقوله تعالى: ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾. قال عطاء عن ابن عباس: «هو شعيب بن توبة بن مدين بن إبراهيم خليل الرحمن»[٣].

وقوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾. قال بعض أهل التفسير: «البينة: شعيب»، ومعناه: قد جئتكم بالرسالة، ومجيء البينة هاهنا مجيء شعيب. وبهذا قال الفرَّاء؛ فإنه قال: «لم يكن له آية إلا[٤] النبوة»[٥]،

---

(١) انظر: تفسير الطبري ٨/ ٢٣٧، والسمرقندي ١/ ٥٥٤، والبغوي ٣/ ٢٥٦، وابن عطية ٥/ ٥٧٣، وابن الجوزي ٣/ ٢٢٨، وقال ابن كثير في تفسيره ٢/ ٢٥٨: «مدين تطلق على القبيلة، وهم من سلالة مدين بن إبراهيم، وعلى المدينة وهي التي بقرب معان من طريق الحجاز، وهم أصحاب الأيكة» اهـ. وانظر: تاريخ الطبري ١/ ٣٢٦، ٣٢٧، وعرائس المجالس ١٦٤، ١٦٥، ومعجم البلدان ٥/ ٧٧، ٧٨، والكامل لابن الأثير ١/ ١٥٧، والبداية والنهاية ١/ ١٨٤، وقال الخازن ٢/ ٢٦١: «أكثر المفسرين على أن مدين اسم رجل، وهو الصحيح لقوله: ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ يعني في النسب لا في الدين» اهـ.

(٢) قال الزَّجَّاج في معانيه ٢/ ٣٥٣: «مدين لا ينصرف؛ لأنه اسم للقبيلة أو البلدة، وجائز أن يكون أعجميًّا» اهـ. وقال النحاس في إعراب القرآن ١/ ٦٢٥: «لم تنصرف لأنها اسم مدينة، وقيل: إنها اسم قبيلة، وقيل: للعجمة وأصحها الأول» اهـ. وانظر: الفريد ٢/ ٣٣١، والدر المصون ٥/ ٣٧٥.

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٩٤أ، والبغوي ٣/ ٢٥٦ من قول عطاء فقط، والمشهور أنه شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين بن إبراهيم عليه السلام. انظر: تاريخ الطبري ١/ ٣٢٥، وتفسيره ٨/ ٢٣٧، وعرائس المجالس ١٦٤، والكامل لابن الأثير ١/ ١٥٧، والبداية والنهاية ١/ ١٨٥، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٦/ ٣١٩.

(٤) في (أ): (لم يكن له آية النبوة)، ثم صحح في الهامش (إلى إلا النبوة).

(٥) معاني الفرَّاء ١/ ٣٨٥.

وأنكر الزَّجَّاج ذلك وجعله : «غلطاً فاحشــاً ؛ لأن شعيباً دعا إلى أنه رسول ، ولا سبيل إلى علم ذلك إلا بمعجزة[١] . ولو ادعى مدعٍ النبوة بغير آية لم تقبل منه[٢] ، ومعجزة شعيب لم تذكر في القرآن»[٣] .

وقــال عطاء عن ابــن عبــاس : «﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يريــد : موعظة»[٤] ، ﴿فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ . قال المفسرون : «إن قوم شعيب كانوا أهل كفر بالله وبخس للمكيال والميزان[٥] . فأمرهم شعيب بتوحيد الله وإتمام الكيل والوزن»[٦] .

قوله تعالى : ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ ؛ أي بعد إصلاح الله تعــالى إياها ببعثه شــعيب . وهذا معنى قول ابن عباس[٧] ، وإلى هذا أشــار الزَّجَّاج ، فقال : «أي لا تعملوا فيها بالمعاصي وبخس الناس ، بعد أن أصلحها الله -عز وجل- بالأمر بالعدل ، وإرسال الرسول»[٨] . وتفسير هذا سابق في قوله : ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الأعراف : ٥٦] .

---

(١) في (ب) : (إلا المعجزة) .

(٢) في (ب) : (لم يقبل منه ومعجز شعيب لم يذكر في القرآن) .

(٣) هذا كله كلام الزَّجَّاج في معانيه ٢/ ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، وقال ابن كثير في البداية١/ ١٨٥ : «﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ ، أي دلالة ، وحجة واضحة ، وبرهان قاطع على صدق ما جئتكم به ، وأنه أرسلني ، وهو ما أجرى الله على يديه من المعجزات التي لم تنقل إلينا تفصيلاً ، وإن كان هذا اللفظ قد دل عليها إجمالاً» اهـ . وانظر : تفسير البغوي ٣/ ٢٥٦ ، والزمخشري ٢/ ٩٣ ، وابن عطية ٥/ ٥٧٤ ، والرازي ١٤/ ١٧٣ .

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢٠٨ من قول عطاء فقط . وانظر : الخازن ٢/ ٢٦١ .

(٥) في (ب) : (وبخس المكيال والميزان) .

(٦) انظر : تفسير السمرقندي ١/ ٥٥٥ ، والرازي ١٤/ ١٧٤ ، وفي الدر المنثور ٣/ ١٨٩ ، أن ابن عباس قال : «كانوا قوماً طغاة بغاة أهل بخس في مكايلهم وموازينهم مع كفرهم بربهم وتكذيبهم نبيهم» اهـ . ملخصاً .

(٧) ذكره السيوطي في الدر ٣/ ١٨٩ ، وانظر : تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦/ ٣١٩ ، ٣٢٠ .

(٨) معاني الزجَّاج ٢/ ٣٥٤ ، ونحوه ذكر الطبري في تفسيره ٨/ ٢٣٧ ، والنحاس في معانيه ٣/ ٥٢ ، =

٨٦. قوله تعـالى : ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ﴾ ، قال الكلبي : «ولا تقعدوا على طريق الناس تخوفون أهل الإيمان بشعيب بالقتل»[(١)] ، ونحو ذلك قال السـدي[(٢)] ومقاتل[(٣)] ، وقتـادة ؛ قالوا : «إن مفعول الإيعاد مضمر على معنى : توعدون من أتى شعيباً ، وأراد[(٤)] : الإيمان به» ، والإيعاء إذا أطلق اقتضى الشر[(٥)] .

وقوله تعـالى : ﴿بِكُلِّ صِرَٰطٍ﴾ . يقال : قعد له بمكان كذا ، وعلى مكان كذا ، وفي مكان كـذا ، وهذه الحروف تتعاقب[(٦)] في هذا الموضع لاجتماع معانيها

---

= والسمرقندي ١/ ٥٥٥ ، وقال ابن عطية ٥/ ٥٧٤ : «هو لفظ عام ، يشمل دقيق الفساد وجليله ، وكذلك الإصلاح عام ، والمفسرون نصوا على أن الإشارة إلى الكفر بالفساد وإلى النبوات والشرائع بالإصلاح» اهـ . بتصرف .

(١) تنوير المقباس ٢/ ١١٠ ، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢٠٨ عن السدي وقتادة والكلبي .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٢٣٨ بسند جيد عن السدي وقتادة ومجاهد ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٢١ ، عن السدي ومجاهد .

(٣) تفسير مقاتل ٢/ ٤٨ ، وذكره الماوردي في تفسيره ٢/ ٢٣٨ ، عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة ، وذكره القرطبي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي . وقال : «وهو ظاهر الآية» اهـ . وهو قول عامة أهل التفسير . انظر : معاني الفرَّاء ١/ ٣٨٥ ، والزَّجَّاج ٢/ ٣٥٤ ، والنحاس ٣/ ٥٣ ، وتفسير الطبري ٨/ ٢٣٨ ، والسمرقندي ١/ ٥٥٥ .

(٤) في (ب) : (وأراد به الإيمان به) .

(٥) قال أهل اللغة الوَعْد يستعمل في الخير والشر ، ويقال في الخير : الوَعدُ والعِدَة ، وفي الشر : الإيعاد والوعيد ، فإذا أدخلوا الباء في الشر جاءوا بالألف أوعدته بالشر . انظر : العين ٢/ ٢٢٢ ، والجمهرة ٢/ ٦٦٨ ، والزاهر ٢/ ١٢٩ ، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٩١٥ ، والصحاح ٢/ ٥٥١ ، ومقاييس اللغة ٦/ ١٢٥ ، والمجمل ٣/ ٩٣١ ، والمفردات ٨٧٥ ، واللسان (وعد) ٨/ ٤٨٧١ .

(٦) انظر : حروف المعاني ٤٧ ، ومعاني الحروف للرماني ٣٦ ، والصاحبي ١٣٢ ، ومغني اللبيب ١/ ١٠١ ، وقال شيخ الإسلام في الفتاوى ١٣/ ٣٤٢ : «والعرب تضمن الفعل معنى الفعل ، وتعديه تعديته ، ومن هنا غلط من جعل بعض الحروف تقوم مقام بعض ، والتحقيق ما قاله نحاة البصرة من التضمين» اهـ .

وانظر : معاني الأخفش ٢/ ٣٠٦ ، وتفسير الطبري ٨/ ٢٣٩ ، وإعراب النحاس ١/ ٦٢٥ ، والدر المصون ٥/ ٣٧٦ .

فيه ، وذلك أنك إذا قلت : قعد بمــكان كذا (فالباء) للالتصاق ، وهو قد لاصق المكان ، (وعلى) للاســتعلاء ، وهو قد علا المكان ، (وفي) للمحل ، وهو قد حلَّ المكان .

وقوله تعالى : ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾[(١)(٢)] . قال ابن عباس : «كانوا يجلســون على الطريق ، فيخبرون من أتى عليهم أن شعيباً كذَّاب فلا يفتنكم عن دينكم»[(٣)] .

وقال مقاتل : «وتصدون عن دين الله من آمن به»[(٤)] .

وقــال الكلبي : «وتصرفون عن دين الله الإســلام من آمن بشــعيب»[(٥)] . فالكناية في ﴿بِهِۦ﴾ يجــوز أن تعود إلى ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ؛ لأن المراد به دين الله على قول مقاتل ، وعلى قول الكلبي : الكناية تعود إلى شعيب ، وقال عكرمة : «﴿مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾[(٦)] يعني : بالله»[(٧)] .

---

(١) في (ب) : (ويصدون) بالياء ، وهو تصحيف .

(٢) في (أ) : (من آمن بالله) ، وهو تحريف .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٢٣٨ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٢١ بسند جيد .

(٤) تفسير مقاتل ٢/ ٤٨ .

(٥) تنوير المقباس ٢/ ١١٠ .

(٦) في (ب) : (من آمن بي) .

(٧) لم أقف عليه . وانظر : تفسير ابن عطية ٥/ ٥٧٦ . وقال أبو حيان في البحر ٤/ ٣٣٩ : «والظاهر أن الضمير عائد على ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وذكّره ؛ لأن السبيل تذكر وتؤنث ، وقيل : عائد إلى الله . وأجاز ابن عطية أن يعود على شعيب في قول من رأى القعود على الطريق للرد عن شعيب ، وهو بعيد لأن القائل : ﴿وَلَا تَقۡعُدُواْ﴾ هو شعيب ، ولا يسوغ أن يكون من باب الالتفات ؛ إذ لا يحسن أن يقال : يا هذا أنا أقول لك ، لا تُهِن من أكرمه ؛ أي من أكرمني» اهـ . بتصرف ، وانظر : الدر المصون ٥/ ٣٧٧ـ ٣٧٨ .

وقوله تعالى: ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾. قال مجاهد: «يلتمسون لها الزيغ»[(١)]. وقال السدي: «وتبغون هلاك الإسلام».

وقال قتادة[(٢)]: «وتبغون عوج السبيل عن الحق»، [و][(٣)] قال الحسن: «لا تستقيمون على طريق الهدى»[(٤)]. قال ابن زيد: «وتبغون اعوجاج السبيل»[(٥)].

وقال أبو إسحاق: «أي وتريدون الاعوجاج والعدول عن القصد»[(٦)]. وقد ذكرنا مستقصى معنى ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [آل عمران: ٩٩].

وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾. قال الزَّجَّاج: «يحتمل ثلاثة أوجه: كثر عددكم، وكثركم بالغنى بعد الفقر، وكثركم بالمقدرة بعد الضعف»[(٧)]، ووجه ذلك أنهم إذا كانوا فقراء أو ضعفاء فهم بمنزلة القليل في قلة الغناء، وإلى هذه المعاني أشار ابن عباس، فقال: «فكثركم بعد القلة وأعزكم بعد الذلة»[(٨)].

---

(١) أخرجه الطبري ٨/ ٢٣٩، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٢٢ من طرق جيدة عدة عن مجاهد وقتادة والسدي.

(٢) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢٣٣ بسند جيد.

(٣) لفظ: (الواو) ساقط من (أ).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢٠٨، وانظر: الخازن ٢/ ٢٦٢.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٥٤، وانظر: مجاز القرآن ١/ ٢١٩_٢٢٠، وإعراب النحاس ١/ ٦٢٦.

(٧) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٥٥، ومثله ذكر النحاس في معانيه ٣/ ٥٤.

(٨) تنوير المقباس ٢/ ١١٠، وذكره الماوردي في تفسيره ٢/ ٢٣٩، وهذا هو قول الأكثر، قال أبو حيان في البحر ٤/ ٣٤٠: «والتكثير هنا بالنسبة إلى الأشخاص، أو إلى الفقر والغنى، أو إلى قصر الأعمار وطولها، أقوال ثلاثة أظهرها الأول، وقيل: المراد: مجموع الأقوال، فإنه تعالى كثَّر عددهم وأرزاقهم وطول أعمارهم وأعزهم ....» اهـ. وانظر: تفسير الطبري ٨/ ٢٣٩، والسمرقندي ١/ ٥٥٥، والبغوي ٣/ ٢٥٧، والزمخشري ٢/ ٩٤، وابن عطية ٥/ ٥٧٦.

وقوله تعـالى: ﴿وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾. قال الكلبي: «يعني: آخر أمر قوم لـوط»[(١)]. وقال في قوله: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾، «فكثر عددكم، وذلك أنه كان مدين بن إبراهيم وزوجه ريثاء[(٢)] بنت لوط، فولدت حتى[(٣)] كثر عدد أولادها»[(٤)].

٨٨. قوله تعالى: ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾. قال الزَّجَّاج[(٥)] وابن الأنباري[(٦)] وجماعـة أصحاب المعـاني[(٧)]: «هذا يحتمل وجهـين[(٨)]: أحدهما أن المعنى: (أو لتصيرن إلى ملتنا)، فوقع (العود) على معنى الابتداء، كما تقول العرب: قـد عاد عليَّ من فلان مكروه، يريدون قد صار إليَّ منه المكروه ابتداءً، وأنشدوا على هذا:

فـإنْ تكُـنِ الأيَّـامُ أَحْسَنَّ مَـرَّةً ... إليَّ فقَـدْ عـادَتْ لهنَّ ذُنـوبُ[(٩)]

---

(١) تنوير المقباس ٢/ ١١٠، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٠٩.

(٢) في (ب): (ربتاء) بالباء والتاء، وقد اختلف العلماء في ذلك، فقال بعضهم: «كان زوج ابنة لوط، وذهب بعضهم إلى أنه ابن ابنة لوط». انظر: تفسير القرطبي ٧/ ٢٤٧.

(٣) في (ب): (حين)، وهو تحريف.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢٠٩، وهو قول السمرقندي ١/ ٥٥٤، ٥٥٥، والرازي ١٤/ ١٧٦، وذكره الماوردي ٢/ ٢٣٩، وعنده (زينا بنت لوط)، وعند الرازي (رئيا).

(٥) انظر: معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٥٥.

(٦) ذكره ابن الجوزي في تفسيره ٣/ ٢٣٠، ٢٣١ عن ابن الأنباري.

(٧) انظر: تفسير الطبري ٩/ ١، ومعاني النحاس ٣/ ٥٤، ٥٥، والسمرقندي ١/ ٥٥٥، والماوردي ٢/ ٢٤٠.

(٨) في (ب): (في هذا وجهين).

(٩) الشاهد لكعب بن سعد الغنوي في: الاختيارين ٧٥٣، وجمهرة أشعار العرب٢٥١، وأمالي القالي ٢/ ١٤٩، وديوان المعاني ٢/ ١٧٩، وبلا نسبة في تفسير الماوردي ٢/ ٢٤٠، وابن عطية ٦/ ٢، والبيان لابن الأنباري ١/ ٣٦٨، وابن الجوزي ٣/ ٢٣١، والرازي ١٤/ ١٧٧، والخازن ٢/ ٢٦٢، وفي الأصمعيات ٩٩، نسب إلى عزيقة ابن مسافع العبسي، وقال الشيخ أحمد شاكر وعبدالسلام هارون- رحمهما الله تعالى- في حاشية الأصمعيات ٩٤: «القصيدة مرثية مشهورة لكعب بن سعد الغنوي، يرثي فيها أخاه، لم يخالف في ذلك أحد في ما علمنا» اهـ.

أراد : لقد صارت لهن ذنوب ، ولم يخبر أن ذنوباً كانت [لهن][(١)] قبل الإحسان ، والثاني : أن أتباع شعيب كانوا قبل دخولهم في دينه على الكفر موافقين لقومهم ، فخاطبوا شعيباً بخطاب أتباعه ، وغلَّبوا خطابهم على خطابه لكثرتهم وانفراده .

ومعنى الآية : ليكونن أحد الأمرين : إما الإخراج من القرية ، أو عودكم في ملتنا ، ولا نُقارُّكم[(٢)] في مخالفتنا[(٣)] ، وذكرنا الكلام في هذا مشروحاً عند قوله : ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ﴾ [إبراهيم : ١٣] في سورة إبراهيم . فقال شعيب : ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ . [وهذا مختصر معناه : أو لو كنا كارهين][(٤)] تجبروننا عليه ؟ كقوله : ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة : ١٧٠] . ومعناه : يتبعونهم وإن كانوا بهذه الصفة ؟ وقد ذكرنا[(٥)] ذلك .

---

(١) لفظ : (لهن) ساقط من (ب) .

(٢) في (أ) : (ولا نقاركم على مخالفتنا) .

(٣) قال أكثرهم : «عاد تكون بمعنى صار ولا إشكال في ذلك ، والمعنى : لتصيرن في ملتنا بعد إن لم تكونوا ، وتكون بمعنى رجع إلى ما كان عليه ، وشعيب -عليه السلام- لم يكن قط على دينهم ، وأجيب عن ذلك بأوجه منها :

- إن رؤساءهم قالوا ذلك على سبيل الإبهام والتلبيس على العامة .

- إن المراد : رجوعه إلى حال سكوته عنهم قبل بعثته .

- تغليب الجماعة على الواحد ؛ لأنهم لما صحبوه سحبوا عليه حكمهم في العود» . قال صديق خان في فتح البيان ٤/ ٤١٠ : «الأولى ما قاله الزَّجَّاج إن العود بمعنى الابتداء» . ورجح شيخ الإسلام في الفتاوى ١٥/ ٢٩-٣١ أن شعيباً والذين آمنوا معه كانوا على ملة قومهم لظاهر الآية ، ولأنه هو المحاور لهم ، وذكر أدلة عدة على ذلك . وانظر : تفسير البغوي ٣/ ٢٥٧ ، والزمخشري ٢/ ٩٦ ، وابن عطية ٦/ ٣ ، والرازي ١٤/ ١٧٧ ، والبحر ٤/ ٣٤٢ ، والدر المصون ٥/ ٣٧٩ ، ٣٨٠ .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٥) انظر : البسيط ، النسخة الأزهرية ١/ ١٠٤أ .

٨٩. قوله تعالى: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾، معنى العود هاهنا: الابتداء كما ذكرنا، والذي عليه أهل العلم[١] والسنة في هذه الآية: إن شعيباً وأصحابه قالوا: ما كنا لنرجع في ملتكم[٢] بعد إذ وقفنا على أنها ضلالة تُكسبُ دخول النار إلَّا أن يريد الله إهلاكنا، فأمورنا راجعة إلى الله[٣]، غير خارجة عن قبضته، يسعد من يشاء بالطاعة، ويشقي من يشاء بالمعصية، وهذا من شعيب وقومه استسلام للمشيئة، ولم يزل الأنبياء والأكابر يخافون العاقبة وانقلاب الأمر، ألا ترى إلى قول الخليل عليه السلام: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، وكثيراً ما كان يقول[٤] نبينا محمد ﷺ: «يا مقلب القلوب والأبصار، ثبت قلوبنا على دينك وطاعتك»[٥].

---

(١) انظر: تفسير الطبري ٩/ ٢، ومعاني النحاس ٣/ ٥٥، والسمرقندي ١/ ٥٥٥، والماوردي ٢/ ٢٤٠، والبغوي ٣/ ٢٥٧، وابن عطية ٦/ ٢.

(٢) في (ب): (ملتهم).

(٣) في (ب): (راجعة إليه).

(٤) في (ب): (وكثير ما كان نبينا محمد ﷺ يقول).

(٥) أخرج مسلم في صحيحه، رقم: ٢٦٥٤، كتاب: القدر، باب: تعريف الله القلوب كيف يشاء، عن عبدالله بن عمرو -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ القُلوب، صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ» اهـ. وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف ٦/ ١٦٨ (٣٠٣٩٦)، وأحمد في المسند ٢/ ١٦٨، ١٧٣، وابن ماجه كتاب: المقدمة، باب: في ما أنكرت الجهمية رقم: ١٩٩، رقم: ٣٨٣٤، والترمذي، كتاب: القدر، باب: ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن رقم (٢١٤٠، ٣٥٢٢)، وابن أبي عاصم في السنة ١/ ١٠١-١٠٤، والآجري في الشريعة ٢/ ٧٣٠، والحاكم في المستدرك ٢/ ٢٨٨، ٢٨٩، من طرق جيدة عدة، أن النبي ﷺ كان يكثر أن يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»، قال الترمذي: «حديث حسن»، وصححه الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤/ ٢٦١، رقم: ١٦٨٩.

وقال أبو إسحاق: «المعنى: وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن [يكون][(١)] قد سبق في علم الله -جل وعز- و[(٢)]في مشيئته أن نعود فيها. وتصديق ذلك قوله: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾، قال: وهذا مذهب أهل السنة»، ثم ذكر وجهين آخرين، هما من قول من لا يؤمن بإرادة الله -تعالى- الخير والشر:

أحدهما: إن هذا على طريق التعبد به، كما يقال: لا نفعل ذلك إلا أن يبيض القار ويشيب الغراب[(٣)]، وهذا لا يصح مع قوله: ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ﴾ [المدثر: ٣١]، وقوله: ﴿مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ﴾ [الأنعام: ٣٩]، وآيات كثيرة تصرح بأن الله -تعالى- يشاء [كل][(٤)] ما يحدث في العالم.

والثاني: أن في ملتهم ما يجوز التعبدبه من وجوه البر الذي كانوا يتقربون به إلى الله تعالى[(٥)]، ويكون معنى الآية: وما يكون لنا أن نعود في بعض ملتكم، وفي معنى من معاني شرائعكم، إلا أن يردنا الله إليه بأن يتعبدنا به».

قال ابن الأنباري: «و[(٦)]هذا قول مُتَنَاوِلُهُ بعيد؛ لأن فيه تبعيض الملة»[(٧)].

---

(١) لفظ: (يكون) ساقط من (ب).
(٢) لفظ: (الواو) ساقط من (أ).
(٣) انظر: شرح ذلك في ما تقدم: سورة [آية: ٤٠] من هذا المجلد.
(٤) لفظ: (كل) ساقط من (أ).
(٥) لفظ: (تعالى) ساقط من (أ).
(٦) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).
(٧) ذكره السمين في الدر ٥/ ٣٨٣.

وقال الزَّجّاج : «والقول هو القول[١] الأول ؛ لأن قوله : ﴿بَعْدَ إِذْ نَجَّنَنَا ٱللَّهُ مِنْهَا﴾ أنه النجاة من الكفر ومن أعمال المعاصي ، لا من أعمال البر»[٢] .

وقوله تعالى : ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ منصوب على التمييز[٣] . قال ابن عباس : «يريد : يعلم ما يكون قبل أن يكون»[٤] .

وقوله تعالى : ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف : ٨٩] . قال ابن عباس[٥] ، والحسن ، وقتادة[٦] ، والسدي : «احكم واقض» .

---

(١) لفظ (القول) ساقط من (أ) .

(٢) انظر : معاني الزَّجّاج ٢/ ٣٥٥-٣٥٧ ، وانظر : تفسير الطبري ٩/ ٢ ، وإعراب النحاس ١/ ٦٢٦ ، والسمرقندي ١/ ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، والماوردي ٢/ ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، والبغوي ٣/ ٢٥٧ ، وابن عطية ٦/ ٤ ، والبحر ٤/ ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، وقال ابن كثير في معنى الآية ٢/ ٢٥٩ : «هذا رد إلى الله مستقيم ، فإنه يعلم كل شيء ، وقد أحاط بكل شيء علماً» اهـ . وانظر : بدائع التفسير ٢/ ٢٦١ ، ونقل قول الواحدي الخازن في تفسيره ٢/ ٢٦٣ .

(٣) انظر : معاني الزَّجّاج ٢/ ٣٥٧ ، والفريد ٢/ ٣٣٣ ، والدر المصون ٥/ ٣٨٣ .

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢١٠ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٢٣١ .

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره ٩/ ٢ ، ٣ من طرق جيدة عدة عن ابن عباس والحسن وقتادة والسدي . وأخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٢٣ بسند جيد عن ابن عباس ، وفي صحيح البخاري ٨/ ٢٩٧ ، كتاب التفسير ، في تفسير سورة الأعراف قال ابن عباس : «الفتاح : القاضي ، ﴿ٱفْتَحْ بَيْنَنَا﴾ : اقض بيننا» .

(٦) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢٣٣ بسند جيد ، وهو قول الأكثر . انظر : مجاز القرآن ١/ ٢٢٠ ، وغريب القرآن لليزيدي ١٤٨ ، وتفسير غريب القرآن ١/ ١٧٩ ، وتفسير الطبري ١٢/ ٥٦٣ ، والزاهر ١/ ٩٣ ، ونزهة القلوب ١٢٦ ، ومعاني النحاس ٣/ ٥٥ ، وتفسير المشكل ٨٥ .

قال الفرَّاء : «وأهل عُمَان يسمون القاضي الفاتح والفتاح»[١] .

وروى أبو العباس عن ابن الأعرابي : «الفتاح : الحكومة ، ويقال للقاضي : الفَتَّاح لأنه يفتح مواضع الحق»[٢] .

وروي عن ابن عباس أنه قال : «ما كنت أدري قوله : ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا﴾ حتى سمعت ابنة ذي يزن[٣] تقول لزوجها : تعال أفاتحك ؛ أي أحاكمك»[٤] .

قال أبو إسحاق : «وجائز أن يكون ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا﴾ ؛ أي أظهر أمرنا حتى ينفتح ما بيننا وبين قومنا وينكشف ، فجائز أن يكون يسألون بهذا أن ينزل بقومهم من العذاب والهلكة ما يظهر أن الحق معهم»[٥] . وعلى هذا

---

(١) معاني الفرَّاء ١/ ٣٨٥ ، وجاء في مجاز القرآن ١/ ٢٢١ ، والطبري ٩/ ٢ ، ٣ : (أن هذا لغة مراد بطن من كهلان من القحطانية) وفي تهذيب اللغة ٣/ ٢٧٣٢ : (إنها لغة أهل اليمن) .

(٢) تهذيب اللغة ٣/ ٢٧٣٢ ، والفَتْح أصله من فتح الباب بعد إغلاقه ، ثم كثر واتسع فيه حتى سمي الحاكم فاتحاً ؛ لأنه يفتح المستغلق بين الخصمين ، ويفتح الباب إلى الحق ويبينه . انظر : تفسير أسماء الله الحسنى للزَّجَّاج ٣٩ ، واشتقاق أسماء الله للزَّجَّاجي ١٨٩ .

(٣) ذو يَزَن ملك من ملوك اليمن اسمه النعمان بن قيس الحِمْيَري ، وقيل : عامر بن أسلم بن غَوْث ، ويزن وادٍ باليمن أضيف إليه ، انظر : معجم البلدان ٥/ ٤٣٦ ، ونزهة الألباء لابن حجر ١/ ٣١٣ .

(٤) أخرجه الطبري ٩/ ٢ ، ٣ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٢٣ بسند جيد عن قتادة عن ابن عباس ، لكن قتادة لم يسمع من ابن عباس . انظر : المراسيل ١٦٨ ، وذكر الأثر عن ابن عباس . وابن دريد في الجمهرة ١/ ٣٨٦ ، والسمرقندي ١/ ٥٥٦ ، والثعلبي في الكشف ١٩٤ ب ، والماوردي ٢/ ٢٤١ ، والرازي ١٤/ ١٨٠ ، والسيوطي في الدر ٣/ ١٩١ .

(٥) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٥٨ .

فالفتح يراد به الكشف والتبيين ، ويؤكد هذا ما روى سعيد[١] عن قتادة في هذه الآية ، قال : «اقض بيننا وبين قومنا»[٢] .

٩٢. قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا﴾ . هذا ترجمة وتفسير للأسماء المكنية التي في قوله : ﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ﴾[٣] [الأعراف : ٩١] على تأويل : فأصبح ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا﴾ ﴿فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٦٧ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآ﴾ [هود : ٦٧ ، ٦٨] ، مثل قوله : ﴿عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ﴾ [المائدة : ٧١] ، قاله أبو علي الجرجاني[٤] .

(١) سعيد بن أبي عروبة العدوي مولاهم أبو النضر بن مهران البصري ، إمام حافظ ثقة ، من أثبت الناس في قتادة ، وله تصانيف ، واختلط في آخر عمره ، توفي سنة ١٥٧ هـ أو قبلها . انظر : الجرح والتعديل ٤/ ٦٥ ، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٤١٣ ، وتذكرة الحفاظ ١/ ١٧٧ ، وتهذيب التهذيب ٢/ ٣٣ .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) في (ب) : ﴿فِي دِيَٰرِهِمۡ﴾ . والجمع جاء في سورة هود : [٦٧ و٩٤] ﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾ .

(٤) لم أقف عليه .

وقولـــه تعالى : ﴿كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَا﴾ . يقال : غنـــي[١] القوم في دارهم : إذا طال مقامهم فيها ، والمغاني : المنازل التـــي كان بها أهلوها ، واحدها مَغْنى ، قال الأسود[٢] بن يعفر :

وَلَقَــد غَنُوا فِيـهَا بِأَنْعَـمِ عِيشَةٍ ... فِي ظِــلِّ مُلْــكٍ ثَابِــتِ الأَوتادِ[٣]

أراد : أقاموا فيها .

قـــال المفسرون[٤] : «كأن لم يقيمـــوا فيها ، ولم ينزلوا فيهـــا» . قال الزَّجَّاج : «ويكون ﴿كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَا﴾ : كأن لم يعيشوا فيها مستغنين ، كما قال الشاعر :

غَنينـا زمـاناً بالتصَعْلُكِ والغِنى ... وكُلاً سَقَاناهُ بكَأسَـيهِما الدَّهْرُ[٥]

---

(١) الغِنَى مقصور مكسور الأول : من اليسار وكثرة المال ، والغناء ممدود ومفتوح الأول : النفع والكفاية ، والغناء ممدود مكسور الأول من الصوت ، وغَني القوم في دارهم : أقاموا كأنهم استغنوا بها ، ومَغَانيهم : منازلهم . انظر : العين ٤/ ٤٥٠ ، والجمهرة ٢/ ٩٦٤ ، واشتقاق أسماء الله للزَّجَّاجي ١١٩ ، والبارع ٤١٩ ، وتهذيب اللغة ٣/ ٢٧٠٣ ، والصحاح ٦/ ٢٤٤٩ ، ومقاييس اللغة ٤/ ٣٩٧ ، والمجمل ٣/ ٦٨٧ ، والمفردات ٦١٥ ، واللسان (غنى) ٦/ ٣٣٠٨ .

(٢) الأسْوَد بن يَعْفُر بن عبدالأسود النَّهْشَلي ، أبو الجراح ، أعشى نَهْشل ، شاعر جاهلي مقدم فصيح فحل جواد ، كان ينادم النعمان بن المنذر ، ولما أسن كف بصره . انظر : طبقات فحول الشعراء ١/ ١٤٣ و١٤٧ ، والشعر والشعراء ١٥٢ ، والأغاني ١٣/ ١٧ ، والأعلام ١/ ٣٣٠ .

(٣) الشاهد في المفضليات ٢١٧ ، والحماسة البصرية ٢/ ٤١٢ ، ووضح البرهان للغزنوي ١/ ٣٦٢ ، وتفسير والرازي ١٤/ ١٨٢ ، والخازن ٢/ ٢٦٤ ، والدر المصون ٥/ ٣٨٧ ، وهو من قصيدته الدالية المشهورة التي كانت مثار إعجاب الخلفاء والولاة ، انظر : الأغاني ١٣/ ٢٢ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٩/ ٥ ، وأخرجه من طرق جيدة عدة عن ابن عباس وقتادة وابن زيد ، وانظر : معاني النحاس ٣/ ٥٥ ، والسمرقندي ١/ ٥٥٦ ، والماوردي ٢/ ٢٤٠ ، والبغوي ٣/ ٢٥٩ .

(٥) الشاهد لحاتم الطائي في ديوانه ٥١ ، ومعاني الزَّجَّاج ٢/ ٢٥٨ ، وتفسير الثعلبي ٦/١ ، وابن عطية ٦/ ١١ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٣٢ ، والقرطبي ٧/ ٢٥٢ ، والبحر ٤/ ٣٤٦ ، وفي الديوان :

غنينـــا زمـــاناً بـــالتَّصعلكِ والغِنـى ... كـمـا الـدَّهـرُ في أيَّـامِـهِ الـعُـسْرُ والـيُـسرُ

كَسَينا صُرُوفَ الـدَّهـرِ لِيناً وغِلظَـةً ... وكُـلاً سَقَـانـاهُ بـكأسيـهـمـا الـدهـرُ

قال : فمعنى (غنينا زماناً) ؛ أي عشـنا زمانـاً ، بالتصعلك وهو الفقر»[١] . ووافقه ابن الأنباري على هذا المعنى ، فقال في قوله : ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا﴾ : «كأن لم يستغنوا فيها ، يقال : غني الرجل يغنى[٢] : إذا استغنى»[٣] وعلى هذا هو من الغنى الذي هو ضد الفقر ، وليس من الإقامة[٤] في شيء ، يؤكد هذا المعنى ما روي عن قتادة أنه قال في هذه الآية : «كأن لم ينعموا فيها»[٥] . ووجه التشبيه في : ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا﴾ أن حال المكذبين يشبه حال من لم يكن قط في تلك الديار ، كما قال الشاعر :

كأنْ لم يكُنْ بينَ الحَجُونِ إلى الصَّفـا
أنيسٌ ولـم يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَـامِـرُ
بَلَـى نحـنُ كـنَّا أهلَـهَا فأبـادَنـا
صُرُوفُ اللَّيالي والجُدُودُ العَواثِرُ[٦]

(١) انظر : معاني الزَّجّاج ٢/ ٢٥٨ .

(٢) لفظ : (يغنى) ساقط من (ب) .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) قال ابن عطية في تفسيره ٦/ ١٠ : «الذي استقريت عن العرب أنَّ غنيت في المكان إنما يقال في الإقامة التي هي مقترنة بتنعم وعيش مرضي» اهـ . والمشهور عن أهل اللغة والتفسير أنها لمطلق الإقامة ، قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ١/ ٢٢١ : «أي لم ينزلوا فيها ولم يعيشوا فيها» . وانظر : غريب القرآن لليزيدي ١٤٨ ، وتفسير غريب القرآن ١٧٩ ، ونزهة القلوب ٤٨٧ ، وتفسير المشكل ٨٦ .

(٥) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢٣٣ ، والطبري ٩/ ٥ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٢٤ بسند جيد بلفظ : (كأن لم يعيشوا فيها كأن لم ينعموا فيها) اهـ .

(٦) البيتان في السيرة لابن هشام ١/ ١٢٦ ، والعقد الفريد ٥/ ٥٩ ، وشرح القصائد لابن الأنباري ٢٥٦ ، والأغاني ١٥/ ١٠ ، ١٦ ، ٢٣ ، ووضح البرهان للغزنوي ١/ ٣٦٢ ، والروض الأنف ١/ ١٢٧ ، والرازي ١٤/ ١٨٢ ، ومعجم البلدان ٢/ ٢٢٥ ، والحماسة البصرية ٢/ ٤١١ ، واللسان (حجن) ٢/ ٧٩٢ ، والبيت الأول في الصحاح (حجن) ٥/ ١٠٩٧ ، والأفعال للسرقسطي ٣/ ٥٥٤ ، وابن عطية ٦/ ٩ ، والبحر ٤/ ٣٤٦ ، وعند الأكثر هما لعمرو بن الحارث الجُرْهُمي ، وقيل : هما لـمُضَاض بن عمرو الجرهمي ، وقيل : هما للحارث الجرهمي . (والحَجُون) : جبل بأعلى مكة . =

وقولـــه تعالى : ﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا ﴾ ، إبانة عن ســـوء حال المكذب نبياً من أنبيـــاء الله في أنه بمنزلة من لم يســـتمتع بالدنيا ؛ إذ حصـــل في العذاب وصار إلى الخسران .

وقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ ، هذا ابتداء منقطع من الفصل الأول ، جملة من المبتدأ والخبر[١] . قال ابن الأنباري : «ووقع التكرير لتعظيم الذم لهم و[٢] تفظيع ما يستحقون من الجزاء على جهلهم ، والعرب تكرر مثل هذا في التفخيم والتعظيم ، فيقول الرجل [للرجل][٣] : أخوك الذي ظلمنا ، أخوك الذي أخذ أموالنا ، أخوك الذي شتم أعراضنا»[٤] .

٩٣. قوله تعالى : ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ ﴾ ، قال الكلبي : «خرج من بين أظهرهم ، ولم يعذب قومُ نبي حتى يخرج من بينهم»[٥] .

وقال أهل المعاني : «أعرض عنهـــم إعراضَ آيسٍ منهم لما نزل العذاب بهم ، وذلـــك أنه كان مقبلاً عليهـــم بالوعظ والدعاء إلى الحق ، فلـــما تمادوا في غيهم ، فأخذهم الله- عز وجل- ببأسه ، تولى عنهم»[٦] .

---

= انظر : معجم البلدان ٢/ ٢٢٥ ، (والصَّفَا) : مكان مرتفع من جبل أبي قبيس ، بينه وبين المسجد الحرام عرض الوادي الذي هو طريق وسوق ، انظر : معجم البلدان ٣/ ٤١١ ، والعواثر : جمع عاثرة ، وهي الحادثة التي تعثر بصاحبها . انظر : اللسان (عثر) ٥/ ٢٨٠٧ .

(١) انظر : البيان ١/ ٣٦٨ ، والتبيان ١/ ٣٨٤ ، والفريد ٢/ ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، والدر المصون ٥/ ٣٨٥-٣٨٧ .

(٢) لفظ : (الواو) ساقط من (ب) .

(٣) لفظ : (للرجل) ساقط من (ب) .

(٤) ذكره ابن الجوزي في تفسيره ٣/ ٢٣٣ ، وهو عند الرازي ١٤/ ١٨٢ من بدون نسبة .

(٥) تنوير المقباس ٢/ ١١٢ ، وذكره الرازي في تفسيره ١٤/ ١٨٢ .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٦/ ٩ ، والسمرقندي ١/ ٥٥٦ ، وقد سبق لمثل هذا زيادة بيان .

وقوله تعالى : ﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ ؛ أي كيف يشتد حزني[١] . يقال : أَسِيت[٢] على الشيء آسَى[٣] أسىً ، إذا اشتد حزنه عليه .

قال امرؤ القيس :

يَقُولونَ لَا تَهْلِكْ أَسىً وتَجَمَّلِ[٤]

وقوله تعالى : ﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ﴾ استفهام معناه الإنكار ؛ أي لا آسى عليهم . ومعنى الآية : أن شعيباً -عليه السلام- يتسلى عنهم بما يتذكر من حاله معهم في مناصحته لهم ، وبتأديته رسالة ربه إليهم ، وأنه لا ينبغي له أن يأسى عليهم مع تمردهم في كفرهم[٥] .

٩٤. قوله تعالى : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ﴾ ، قال ابن عباس : [«يريد][٦] في مدينة»[٧] ، والقرى[٨] في كتاب الله كلها المدائن ،

---

(١) انظر : مجاز القرآن ١/ ٢٢٢ ، ومعاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٥٩ ، ونزهة القلوب ٧٣ ، ومعاني النحاس ٣/ ٥٦ .

(٢) الأسى مفتوح مقصور : الحزن . انظر : العين ٧/ ٣٣٢ ، والجمهرة ١/ ٢٣٨ ، وتهذيب اللغة ١/ ١٦٣ ، والصحاح ٦/ ٢٢٦٨ ، ومقاييس اللغة ١/ ١٠٦ ، والمفردات ٧٧ ، واللسان (أَسَى) ١/ ٨٢ .

(٣) في (ب) : (أساً) .

(٤) ديوانه ١١١ ، وطبقات فحول الشعراء ١/ ٥٩ ، والشعر والشعراء ٦٤ ، وجمهرة أشعار العرب ٩٥ ، والصناعتين ٢٢٩ ، وهو من معلقته المشهورة ، وأوله :

وُقوفاً بها صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ

قال النحاس في شرح المعلقات ١/ ٥ : «الصحب : الجماعة ، ومطيهم واحده مطية ، وهي : الراحلة ، والأسى : الحزن ، وتجمل ؛ أي أظهر جميلاً» اهـ . وانظر : شرح القصائد لابن الأنباري ٢٤ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٩/ ٦ ، والسمرقندي ١/ ٥٥٦ .

(٦) لفظ : (يريد) ساقط من (أ) .

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢١١ .

(٨) قال الزَّجَّاج في معانيه ٢/ ٣٥٩ : «يقال لكل مَدينة : قَرية ، سميت قرية ؛ لاجتماع الناس فيها» اهـ . وانظر : الزاهر ٢/ ١٠٠ ، ١٠١ .

وقوله : ﴿مِّن نَّبِيٍّ﴾ محذوف الصفــة ، والتقدير : من نبي[١] فكُذب ، أو فكذبــه أهلها ، إلا أخذناهم . كذلك قال أهل التفســير[٢] ، وعلى هذا يصح المعنى .

وقولـــه تعــالى : ﴿إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ . قال ابـــن عباس : « يريد : الفقر والأسقام »[٣] . وقال السدي : «يعني : الفقر والجوع»[٤] .

قال[٥] أبو إســحاق : «قيل : ﴿ٱلۡبَأۡسَآءِ﴾ : كل ما نالهم من شدة في أموالهم ، ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ : ما نالهم من الأمراض ، قال : وقيل : على العكس من ذلك»[٦] .

وقوله تعالى : ﴿لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ﴾ ، قال ابن عباس : «يريد : كي يســتكينوا ويرجعوا»[٧] .

٩٥-٩٦ . قوله تعالى : ﴿ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ﴾ ، مضى الكلام في حقيقة التبديــل عند قولــه : ﴿بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا﴾ [النســاء : ٥٦] ، ومعنى :

---

(١) لفظ : (نبي) ساقط من (أ) .

(٢) انظر : تفسير السمرقندي ١/ ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، والبغوي ٣/ ٢٥٩ ، وابن عطية ٦/ ١٣ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٣٣ ، والرازي ١٤/ ١٨٣ .

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٥/ ١٥٢٥ ، وانظر : تفسير الطبري ٩/ ٧ ، والماوردي ٢/ ٢٤٢ ، وقد سبق له زيادة تخريج .

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف ٦/ ٢ .

(٥) في (ب) : (وقال) .

(٦) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٥٩ ، وقال ابن عطية ٦/ ١٣ : «البأساء : المصائب في الأموال والهموم وعوارض الزمن ، والضراء : المصائب في البدن كالأمراض ونحوها ، هذا قول ابن مسعود وكثير من أهل اللغة . . . .» اهـ .

(٧) ذكره الثعلبي في تفسيره ٦/ ٢ ، والواحدي في الوسيط ١/ ٢١١ بلا نسبة .

﴿ٱلسَّيِّئَةِ﴾ و﴿ٱلْحَسَنَةَ﴾ هاهنا : الشدة والرخاء . عن ابن عباس[١] والحسن[٢] وقتادة[٣] ومجاهد[٤] .

قال عطاء عن ابن عباس : «يريد : بدل البؤس والمرض الغنى والصحة»[٥] .

وقال أهل اللغة : «السيئة[٦] كل ما يسوء صاحبه ، والحسنة[٧] ما يحسن عليه أثره» .

وقال أبو علي : «السيئة والحسنة قد جاءتا في التنزيل على ضربين ؛ أحدهما : سيئة مأخوذ بها ، وحسنة مُثاب عليها ، لقوله : ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾[٨] [الأنعام : ١٦٠] ، والثاني : لما يستثقل[٩] في الطباع أو يُسْتَحفُّ[١٠] كما في هذه الآية ، وكقوله : ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾ [الأعراف : ١٣١] ، وكذلك الفساد ، قد يكون[١١] فساداً معاقباً عليه ، كقوله : ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٩/ ٧ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٢٦ بسند جيد .

(٢) ذكره الماوردي في تفسيره ٢/ ٢٤٢ ، عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد .

(٣) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢٣٣ ، والطبري ٩/ ٧ بسند جيد .

(٤) ذكره الماوردي ٢/ ٢٤٢ ، وفي تفسير مجاهد ١/ ٢٤٠ ، ٢٤١ : «مكان الشر الرخاء والعدل والعافية والولد» اهـ . وأخرجه الطبري ٩/ ٧ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٢٦ بسند جيد ، وفي رواية عند الطبري قال : «السيئة : الشر ، والحسنة : الخير» اهـ .

(٥) في تنوير المقباس ٢/ ١١٣ نحوه ، وذكره المؤلف في الوسيط ١/ ٢١١ بلا نسبة .

(٦) انظر : العين ٧/ ٣٢٧ ، وتهذيب اللغة ٢/ ١٥٨٣ ، ومقاييس اللغة ٣/ ١١٣ ، والمفردات (سوء) ٤٤١ .

(٧) انظر : العين ٣/ ١٤٣ ، وتهذيب اللغة ١/ ٨٢١ ، والمفردات (حسن) ٢٣٥ .

(٨) نص الآية [١٦٠] من سورة الأنعام : ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ .

(٩) في (ب) : (ما يستثقل) .

(١٠) في (ب) : (ويستخف) .

(١١) (وقد يكون) .

ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: ٧٧]، ويكون على غير ذلك؛ كقوله: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ﴾ [الروم: ٤١] يعني: الجدب»[(١)]

والمعنى: أنه تعالى أخبر أنه يأخذ أهل المعاصي بالشدة تارة وبالرخاء تارة[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَفَوا۟﴾[(٣)]. قال أبو عبيد: «قال الكسائي: يقال: قد عفا الشعر وغيره إذا كثر، يَعْفُو فهو عافٍ، ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَفَوا۟﴾ يعني: كثروا، وفي بعض الحديث: «إذا عفا الوَبَر وبرأ الدبر حلت العمرة لمن اعتمر»[(٤)].

---

(١) الحجة لأبي علي ٥/ ١٠٣.

(٢) انظر: تفسير الطبري ٩/ ٧، ومعاني النحاس ٣/ ٥٦، والسمرقندي ١/ ٥٥٧.

(٣) العَفُوُّ على فَعُول: كثير العفو، وهو: ترك العقوبة، وعفا الشيء: إذا درس ونقص، وعفا إذا زاد وكثر، وأعفيت الشعر، وعفوته: إذا كثرته وزدت فيه. انظر: العين ٢/ ٢٥٨، والأضداد لقطرب ١١٤، والجمهرة ٢/ ٩٣٨، واشتقاق أسماء الله للزَّجَّاجي ١٣٤، والصحاح ٦/ ٢٤٣١، ومقاييس اللغة ٤/ ٥٦، والمجمل ٣/ ٦١٥، والمفردات (عفا) ٥٧٤.

(٤) هذا طرف من كلام ابن عباس رضي الله عنهما، أخرج البخاري، رقم: ١٥٦٤، كتاب: الحج، باب: التمتع والإقران والإفراد، وفي رقم: ٣٨٣٢، كتاب: مناقب الأنصار، باب: أيام الجاهلية، ومسلم في صحيحه، كتاب: الحج، باب: تقليد الهدى وإشعاره عند الإحرام، رقم: ١٢٤٠، عن ابن عباس قال: «كانوا يرون العمرة في أشهر الحج من الفجور، ويجعلون المحرم صفر، ويقولون: إذا برأ الدبر وعفا الأثر حلت العمرة لمن اعتمر ....». قال الإمام النووي في شرح مسلم ٣/ ٣٠٨، ٣٠٩: «يعني: أهل الجاهلية، والدبر: يعنون دبر ظهور الإبل بعد انصرافها من الحج، فإنها كانت تدبر بالسير عليها للحج، وعفا الأثر؛ أي درس وامحى، والمراد: أثر الإبل وغيرها في سيرها، عفا أثرها لطول مرور الأيام» اهـ. وانظر: النهاية ٣/ ٢٦٦.

ويقال للشعر إذا طال ووَفَى : عفا[١] ، ومنه قول زهير :

أَذَلكَ أَمْ أَقَبُّ البَطْنِ جأبٌ

عليهِ من عَقِيقَتِهِ عِفَاءُ[٢]

وقد عَفَّيت الشيء وأعْفَيتهُ ـ لغتان ـ إذا كثرته[٣] ، ومنه قوله ـ عليه السلام ـ أنه : «أمر أن تحفى الشوارب ، وتُعفى اللِّحى»[٤] ، يعني : توفر وتكثر»[٥] .

وقال ابن الأنباري[٦] : «يقال : عفا الشيء : إذا زاد وكثر ، وأنشد للبيد :

وَلَكِنَّا نُعِضُّ السَّيْفَ مِنهَا بأَسْوُقِ عَافيَاتِ اللَّحْمِ كُومِ[٧]

---

(١) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة ٣/ ٢٤٩٠ ، عن أبي عبيد عن الكسائي ، وانظر : الكامل المبرِّد ١/ ٤٣٠ .

(٢) الشاهد في شرح ديوان زهير لثعلب ٧٥ ، وتهذيب اللغة ٣/ ٢٤٩٠ ، واللسان (عفا) ٥/ ٣٠٢٠ ، والدر المصون ٥/ ٣٨٩ ، «والأقب : الضامر ، والجأب : الغليظ ، وعقيقته : وبره ، والعفاء : صغار الوبر والريش ، وهو هنا شعر الحمار الذي ولد وهو عليه ، يقول : أذلك الظليم أم هذا الحمار يشبه ناقتي . أفاده ثعلب ، وقال : ويروى : أذلك أم شَتِيم الوجهِ جأْب ، وشتيم : كريه الوجه صاحب شر» اهـ . وهو كذلك في ديوانه ١٥ .

(٣) في (ب) : (إذا كثر به) .

(٤) أخرج البخاري في صحيحه ، رقم : ٥٨٩٣ ، كتاب : اللباس ، باب : إعفاء اللحى ، ومسلم ، كتاب : الطهارة ، باب : خصال الفطرة ، رقم : ٢٥٩ ، عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ أنه قال : «أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى» . وفي رواية لمسلم عن النبي ﷺ ، أنه أمر بإحفاء الشوارب وإعفاء اللحى .

(٥) أبو عبيد في غريب الحديث ١/ ٩٣ ، ونحوه قال ابن الأنباري في الزاهر ١/٤٢٨ ، ٤٢٩ ، وشرح القصائد ٢١ ، ٢٢ ، وانظر : النهاية ٣/ ٢٢٦ ، ١/ ٤١٠ .

(٦) الأضداد لابن الأنباري ٨٧ ، والزاهر ١/ ٤٢٩ ، وشرح القصائد ٢١ .

(٧) ديوانه ١٨٦ ، ومجاز القرآن ١/ ٢٢٢ ، وتهذيب اللغة ٣/ ٢٤٩٣ ، واللسان (عفا) ٥/ ٣٠٢١ ، والدر المصون ٥/ ٣٨٩ ، وبلا نسبة في الكامل للمبرِّد ١/ ٤٣٠ ، وتفسير ابن عطية ٦/ ١٥ .

أراد: كثيرات اللحم»، فمعنى قوله: ﴿حَتَّىٰ عَفَوا﴾؛ أي كثروا[(١)]، في قول ابن عباس[(٢)]، ومجاهد[(٣)]، والسدي، وابن زيد[(٤)].

قال عطاء عن ابن عباس: «يريد: حتى كثروا فسمنوا، وكثرت أموالهم»[(٥)]. وروي عنه أيضاً: «حتى جموا»[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾، يعني: لما صاروا إلى الرخاء ﴿وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا﴾ من الدهر الشدة والرخاء، وتلك عادة الدهر، ولم يكن ما مسنا من البأساء والضراء عقوبة من الله، فكونوا على ما أنتم عليه كما كان آباؤكم ولم يقلعوا[(٧)] عن الكفر بما مسهم من الضراء، والله تعالى أخذهم بالضراء ليعتبروا ويقلعوا عن الكفر، وتكذيب الأنبياء فلم يعتبروا، وقالوا من غرَّتهم وجهلهم: قد أصاب آباءنا في الدهر مثل ما أصابنا. وهذا

---

(١) وهو قول أهل اللغة والتفسير عامة، انظر: مجاز القرآن ١/ ٢٢٢، وغريب القرآن لليزيدي ١٤٨، وتفسير غريب القرآن ١٧٩، والكامل للمبرِّد ١/ ٤٣٠، وتفسير الطبري ٩/ ٨، ومعاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٥٩، ونزهة القلوب ٣٢٥، ومعاني النحاس ٣/ ٥٦، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٥٧، وتفسير المشكل ٨٦.

(٢) ذكره البخاري في صحيحه ٥/ ١٩٥، في تفسير سورة الأعراف، وأخرجه الطبري في تفسيره ٩/ ٨، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٢٦ من طرق جيدة عدة.

(٣) تفسير مجاهد ١/ ٢٤١، وأخرجه الطبري ٩/ ٨ من طرق جيدة عدة.

(٤) أخرجه الطبري ٩/ ٨، من طرق جيدة عدة عن السدي وابن زيد، وأخرجه عن إبراهيم النخعي والضحاك، وذكره الماوردي ٢/ ٢٤٢، عن ابن عباس ومجاهد والسدي.

(٥) قوله: كثروا، وكثرت أموالهم، سبق تخريجها، أما قوله: «سمنوا»، فلم أقف عليها عن ابن عباس، وأخرج ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٢٧، بسند جيد عن الحسن قال: «حتى سمنوا». وذكره هود الهواري في تفسيره ٢/ ٣٢، والماوردي ٢/ ٢٤٢، عن الحسن.

(٦) أخرجه الطبري ٩/ ٨ بسند ضعيف، وذكره الثعلبي ٦/ ٢، وجَمَّ الشيء واستجم: كثر، ومال جَمٌّ: كثير. انظر: اللسان (جمم) ٢/ ٦٨٦.

(٧) في (ب): (ولم يفعلوا)، وهو تحريف.

معنى قول المفسرين[١] في هذه الآية ، قال ابن عباس : وهذا كما قال في سورة الأنعام : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ الآية[٢] [الأنعام : ٤٤] .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً ﴾ .

قال المفسرون[٣] : «لما فسدوا على الأمرين جميعاً أخذهم الله بغتة آمن ما كانوا ؛ ليكون أعظم في الحسرة .

وقوله تعالى : ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ . قال ابن عباس : «يريد بنزول العذاب»[٤] .

وقال أبو إسحاق : «بيّن الله - عز وجل - تأولهم بخطئهم في قولهم : ﴿ وَقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ ﴾ ، وقد علموا أن الأمم قد أهلكت قبلهم بكفرهم ، وإنما أخبر الله تعالى بهذا عن الأمم السالفة لتعتبر أمة محمد ﷺ ، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ ﴾[٥] [الأعراف : ٩٦] ، قال ابن عباس : «وحدوا الله واتقوا الشرك»[٦] . وقال عطاء عنه : «يريد : آمنوا بالله وحده ، وصدقوا أنبياءه ، وخافوا الوعيد»[٧] .

---

(١) هذا كلام الزَّجَّاج في معانيه ٢/ ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ونحوه قال النحاس في معانيه ٣/ ٥٧ ، والماوردي ٢/ ٢٤٣ ، والبغوي ٣/ ٢٦٠ ، وابن عطية ٦/ ١٤ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٣٤ ، والرازي ١٤/ ١٨٣ ، ١٨٤ ، وانظر : تفسير الطبري ٩/ ٨ ، والسمرقندي ١/ ٥٥٧ ، وابن كثير ٢/ ٢٦٠ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٩/ ٩ ، والسمرقندي ١/ ٥٥٧ ، والبغوي ٣/ ٢٦٠ .

(٤) تنوير المقباس ٢/ ١١٤ ، وهو قول الأكثر ، انظر : السمرقندي ١/ ٥٥٧ ، والثعلبي ٢/ ١ ب ، والوسيط للواحدي ١/ ٢١٢ ، والبغوي ٣/ ٢٦٠ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٣٤ ، والرازي ١٤/ ١٨٤ .

(٥) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٦٠ .

(٦) تنوير المقباس ٢/ ١١٤ ، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢١٢ .

(٧) لم أقف عليه .

وقوله تعالى: ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾. قال المفسرون: «بركات السماء بالقطر، وبركات الأرض بالنبات والثمار»(١). وقال ابن عباس: «يريد: الأمطار والخصب وكثرة المواشي والأنعام»(٢)، ومضى الكلام في معنى(٣) البركة والمبارك.

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟﴾ يعني: الرسل، ﴿فَأَخَذْنَٰهُم﴾ بالجدوبة والقحط، ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ من الكفر والمعصية. قال ابن عباس: «يعني: مدائن معروفة أهلكت بالجدب»(٤).

قال أصحاب المعاني: «والآية بيان أن الإيمان بالله والاتقاء يوجب إسباغ الإنعام، والتكذيب يوجب الإهلاك والعذاب».

٩٧. قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ الآية. هذه ألف الاستفهام ومعناها: الإنكار [عليهم أن يأمنوا، وقد ذكرنا قديماً لم(٥) دخل الاستفهام معنى الإنكار](٦)، والفاء في ﴿أَفَأَمِنَ﴾ للعطف، وهو عطف جملة على جملة(٧).

---

(١) انظر: معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٦٠، والنحاس ٣/ ٥٧، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٥٧، والماوردي ٢/ ٢٤٣، والبغوي ٣/ ٢٦٠، وابن عطية ٦/ ١٦، ١٧، وقال أبو حيان في البحر ٤/ ٣٤٨: «الظاهر أن قوله: ﴿بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لا يراد بها معين، ولذلك جاءت نكرة، والمعنى: لأتيناهم بالخير من كل وجه» اهـ. بتصرف.

(٢) تنوير المقباس ٢/ ١١٤، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢١٢.

(٣) انظر: لفظ: (مبارك) في البسيط، النسخة الأزهرية: ١/ ١٩٩ ب.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) انظر: البسيط، [البقرة: ٧٥]، قوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٧) انظر: معاني الأخفش ٢/ ٣٠٧، والزَّجَّاج ٢/ ٣٦٠، والمسائل المنثورة لأبي علي الفارسي ١٩٧، وتفسير الزمخشري ٢/ ٩٨، وابن عطية ٦/ ١٨، والبحر ٤/ ٣٤٨، ٣٤٩.

قال ابن عباس : «يعني : مكة وما حولها»[(١)] .

قال الزَّجَّاج : «أفأمنت الأمة التي كذبت النبي ﷺ ﴿أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا﴾»[(٢)] ، فعلى هذا المراد بأهل القرى الذين كذبوا محمداً ﷺ وكفروا به ، وقال آخرون : «هذا عام ، و[(٣)] معناه البيان عما ينبغي أن يكون عليه العباد من الحذر لبأس الله – عز وجل – وسطواته[(٤)] بالمبادرة إلى طاعته واتباع مرضاته»[(٥)] .

٩٨. قوله تعالى : ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ﴾ الآية . قرأ أكثر القراء[(٦)] : ﴿أَوَأَمِنَ﴾ بفتح الواو ، وهو حرف العطف دخل على همزة الاستفهام ، كما دخل في قوله : ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ﴾ [يونس : ٥١] ، وقوله : ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا﴾ [البقرة : ١٠٠] . وهذه القراءة أشبه بما قبله وما بعده ؛ لأن ما قبله : ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ﴾ [الأعراف : ٩٧] ، وما بعده : ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ [الأعراف : ٩٩] ، ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ﴾[(٧)] [الأعراف : ١٠٠] .

وقرأ نافع وابن عامر : (أَوْ أَمِنَ) ساكنة الواو ، و(أو) يستعمل على ضربين : أحدهما : أن يكون بمعنى أحد الشيئين كقولك : زيدٌ أو عمرو جاء ، كما تقول : أحدهما جاء ، وهي إذا كانت للإباحة والتمييز كذلك أيضاً ؛ لأنها لأحد الشيئين

---

(١) تنوير المقباس ٢/ ١١٤ ، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢١٢ .

(٢) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٦٠ ، ومثله قال النحاس في معانيه ٣/ ٥٨ .

(٣) لفظ (الواو) ساقط من (ب) .

(٤) في (ب) : (وسلطانه) .

(٥) وأكثرهم على الأول ، وأنه وعيد للكافرين المعاصرين للرسول أن ينزل بهم مثل ما نزل بالأمم السابقة . انظر : تفسير البغوي ٣/ ٢٦٠ ، وابن عطية ٦/ ١٧ ، والقرطبي ٧/ ٢٥٣ ، والبحر ٤/ ٢٤٩ .

(٦) يقرأ : ﴿أَوَأَمِنَ﴾ بإسكان الواو وتحريكها ؛ فقرأ ابن عامر ونافع وابن كثير ﴿أَوْأَمِنَ﴾ بإسكان الواو غير أن ورشاً يلقي حركة الهمزة من (أَمِنَ) على الواو من ﴿أَوْ﴾ على أصله ، وقرأ الباقون بفتح الواو . انظر : السبعة ٢٨٦ ، والمبسوط ١٨٢ ، والتذكرة ٢/ ٤٢١ ، والتيسير ١١١ ، والنشر ٢/ ٢٧٠ .

(٧) قال أبو علي في الحجة ٤/ ٥٥ : «فكما أن هذه الأشياء في هذه الآيات حروف عطف دخل عليها حرف الاستفهام ، كذلك يكون قوله : ﴿أَوَأَمِنَ﴾» اهـ .

كقولك : جالس الحسن أو ابن سيرين ، ويدلك على أنها ليست بمعنى الواو أنه إذا جالس أحدهما فقد ائتمر[١] الأمر ولم يخالف ، وإنما جاز له الجمع بين مجالستهما من حيث كان كل واحد منهما مجالسته بمعنى مُجالسة الآخر ، ليس من حيث كانت (أو) بمعنى (الواو) .

والضرب الثاني : أن يكون للإضراب[٢] عما قبلها . كقولك : (أنا أخرج) ، ثم تقول : (أو أقيم) ، أضربت عن الخروج وأثبتَّ الإقامة . كأنك قلت : (لا بل أقيم) ، كما أنك في قولك : (إنها لإبل أو[٣] شاء) مُضرِب عن الأول ، فوجه هذه القراءة : أنه جعل (أو) للإضراب ، لا على أنه أبطل الأول ، ولكن كقوله : ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمۡ يَقُولُونَ﴾ [السجدة : ١-٣] ، فكأن المعنى في هذه الآية : أأمنوا هذه الضروب من معاقبتهم والأخذ لهم ، وإن شئت جعلت (أو) هاهنا التي لأحد الشيئين ، ويكون المعنى : أفأمنوا إحدى هذه العقوبات[٤] .

وقوله تعالى : ﴿ضُحًى﴾ ، الضحى[٥] : صدر النهار في وقت انبساط الشمس ، وأصله الظهور من قولهم : ضَحَا للشمس[٦] : إذا برز لها . قال أبو

---

(١) في (ب) : (فقد أتم الأمر) ، وائتَمر الأمر ؛ أي امتثله ، انظر : اللسان (أمر) ١/ ١٢٧ .

(٢) في (ب) : (الإضراب) ، وهو تحريف .

(٣) النص كله من الحجة لأبي علي ٤/ ٥٤ ، وفيه في قولك : «إنها الإبل أم شاء» .

(٤) ما تقدم هو نص كلام أبي علي في الحجة ٤/ ٥٣-٥٥ ، وانظر : معاني القراءات ١/ ٤١٤ ، وإعراب القراءات ١/ ١٩٦ ، والحجة لابن خالويه ١٥٨ ، ولابن زنجلة ٢٨٩ ، والكشف ١/ ٤٦٨ .

(٥) الضحى : أصل يدل على بروز الشيء وظهوره ، وهو انبساط الشمس وامتداد النهار ، وسمي الوقت به ، والضحى بالضم والقصر لأول ارتفاع الشمس ، والضحاء بالفتح والمد لقوة ارتفاعها قبل الزوال . انظر : العين ٣/ ٢٦٥ ، والجمهرة ٢/ ١٠٥٠ ، والصحاح ٦/ ٢٤٠٦ ، ومقاييس اللغة ٣/ ٣٩١ ، والمجمل ٢/ ٥٧٤ ، والمفردات ٥٠٢ ، واللسان (ضحى) ٥/ ٢٥٥٩ .

(٦) في تهذيب اللغة ٣/ ٢٠٩٤ : «يقال : ضَحِيَ بفتح ثم كسر يَضْحَى إذا برز الشمس» .

الهيثم[(١)] : «والضُّحَى على فُعَل حين تطلع الشمس فيصفو ضوؤها»[(٢)] . قال الحسن : «والمعنى : إنهم لا يجوز لهم أن يأمنوا ليلاً ولا نهاراً»[(٣)] .

وقوله تعالى : ﴿يَلْعَبُونَ﴾ . قال الزَّجَّاج : «يقال لمن كان في عمل لا يُجدي عليه أو في ضلال : إنما أنت لاعب ، وإنما قيل لهم : ﴿يَلْعَبُونَ﴾ ؛ أي وهم في غير ما يجدي عليهم»[(٤)] .

٩٩. قوله تعالى : ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ الآية . قد ذكرنا معنى المكر في اللغة ، ومعنى مكر الله في سورة آل عمران عند قوله : ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران : ٥٤] .

قال المفسرون : «معنى مكر الله : استدراجه إياهم بالنعمة والصحة ، وذلك مما يبطرهم ويحملهم على المعصية والتمادي في الغي ، فيكون في الحقيقة إضراراً بهم من حيث لا يشعرون»[(٥)] .

---

(١) أبو الهيثم خالد بن يزيد الرازي لغوي . تقدمت ترجمته .

(٢) تهذيب اللغة (ضحى) ٣/ ٢٠٩٤ .

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢١٢ .

(٤) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٦٠ ، ونحوه قال النحاس في معانيه ٣/٥٨ ، وانظر : تفسير السمرقندي ١/ ٥٥٧ ، والبغوي ٣/ ٢٦٠ ، وابن عطية ٦/ ١٨ ، والرازي ١٤/ ١٨٥ ، والقرطبي ٧/ ٢٥٤ ، والبحر ٤/ ٣٤٩ ، وأكثرهم قال : «ساهون لاهون في غاية الغفلة والإعراض والاشتغال بما لا يجدي» .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٩/ ٩ ، والبغوي ٣/ ٢٦٠ ، وابن عطية ٦/ ١٨ .

وقـــال الزَّجَّاج في هذه الآية[(١)] : «أي فأمنـــوا[(٢)] عذاب الله أن يأتيهم بغتة» . وهذا القول غير الأول .

١٠٠. قوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ﴾ ، قال ابن عباس ومجاهد والسدي وابن زيد[(٣)] : «أو لم يتبين» ، والمراد بقوله : ﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ﴾ : كفار مكة ومن حولهم ، قاله ابن عباس[(٤)] ومجاهـــد[(٥)] ، و[(٦)] أما فاعل الهدايـــة في قوله : ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ ، فقال[(٧)] الزَّجَّاج : «كأن المعنى : أو لم يبين الله أنه لو يشاء»[(٨)] .

---

(١) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٦٠ ، وهو قول النحاس في معانيه ٣/ ٥٨ ، والسمرقندي١/ ٥٥٧ ، والمكر : إيصال الشيء إلى الغير بطريق خفي لمن يستحقه عقوبة له . وهو صفة ثابتة لله على ما يليق بجلاله وعظمته ، والمكر يحمل حقيقة على بابه . انظر : الفتاوى ٣/ ١١١ ، ١١٢ ، وقال ابن القيم كما في بدائع التفسير ٢/ ٢٦١ : «قوله تعالى : ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ إنما هو في حق الفجار والكفار ، ومعنى الآية فلا يعصي ويأمن مقابلة الله على مكر السيئات بمكره به ﴿إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ ، والذي يخافه العارفون بالله من مكره أن يؤخر عنهم عذاب الأفعال فيحصل منهم نوع اغترار ، فيأنسوا بالذنوب فيجيئهم العذاب على غرة وفترة» اهـ .

(٢) في (ب) : (أي أفأمنوا) ، وهو الأنسب بالسياق ، وعند الزَّجَّاج في معانيه ٢/ ٣٦٠ : (أي وأمنوا) .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٩/ ١٠ من طرق جيدة عدة عن ابن عباس ومجاهد والسدي وابن زيد ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٢٩ بسند جيد عن مجاهد ، وهو في تفسيره ١/ ٢٤١ قال ابن أبي حاتم «وروي عن السدي وعطاء الخراساني مثل ذلك» ، وهذا القول هو قول أهل التفسير واللغة عامة . انظر : مجاز القرآن ١/ ٢٢٣ ، ومعاني الأخفش ٢/ ٣٠٧ ، والزَّجَّاج ٢/ ٣٦١ ، وتفسير الطبري ٩/ ٩ ، ومعاني النحاس ٣/ ٥٨ ، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٥٨ .

(٤) تنوير المقباس ٢/ ١١٥ ، وذكره أبو حيان في البحر ٤/ ٣٥٠ .

(٥) لم أقف عليه ، وهو قول السمرقندي ١/ ٥٥٨ ، والقرطبي ٧/ ٢٥٤ .

(٦) لفظ : (الواو) ساقط من (ب) .

(٧) في (ب) : (قال الزَّجَّاج فقال المعنى أو لم يبين) ، وهو تحريف .

(٨) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٦١ ، وهو قول السمرقندي ١/ ٥٥٨ .

وقال غيره: «المعنى[١] أو لم يهد لهم مشيئتنا»، (فأن)[٢] في قوله: ﴿أَن لَّوْ نَشَآءُ﴾ في موضع رفع؛ لأنه فاعل (يهد)، والمعنى: أو لم يهد لهم أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم؛ كما قال في آية أخرى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ [السجدة: ٢٦]، وهذا هو قول أبي عبيد[٣].

وقوله تعالى: ﴿أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾. قال ابن عباس: «يريد: أخذناهم»[٤]. وقال الكلبي[٥] ومجاهد[٦]: «عذبناهم».

وقوله تعالى: ﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾. قال ابن الأنباري: «هذا فعل مستأنف و[٧]منقطع من الذي قبله؛ لأن قوله: أصبنا ماضٍ، ﴿وَنَطْبَعُ﴾ مستقبل»[٨].

وقال أبو إسحاق: «المعنى: ونحن نطبع على قلوبهم»[٩].

---

(١) لفظ: (المعنى) ساقط من (ب).

(٢) في (ب): (وأن) بالواو.

(٣) في (ب): (أبو عبيدة)، ولم أقف عليه عنهما، وقال السمين في الدر ٥/ ٣٩٣: «الأظهر في فاعل يهدي أنه المصدر المؤول من أن وما في حيزها، والمفعول محذوف، والتقدير: أو لم يهد؛ أي يبين ويوضح للوارثين مآلهم وعاقبة أمرهم، وإصابتنا إياهم بذنوبهم لو شئنا ذلك، فقد سبكنا المصدر من أن ومن جواب لو» اهـ. وانظر: إعراب النحاس ١/ ٦٢٧، والمشكل ١/ ٣٢٤، وغرائب الكرماني١/ ٤١٥، والبيان ١/ ٣٦٩، والتبيان ٣٨٤، والفريد ٢/ ٣٣٦، وفي الجميع الفاعل قوله: ﴿أَن لَّوْ نَشَآءُ﴾.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) تنوير المقباس ٢/ ١١٥.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).

(٨) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢١٣، والسمين في الدر ٥/ ٣٩٤.

(٩) معاني الزَّجّاج ٢/ ٣٦١، وفيه: (لأنه لو حمل على ﴿أَصَبْنَٰهُم﴾ لكان، (ولطبعنا) لأنه على اللفظ الماضي، وفي معناه. ويجوز أن يكون محمولاً على الماضي، ولفظه لفظ المستقبل، كما ﴿أَن لَّوْ نَشَآءُ﴾. معناه: لو شئنا) اهـ.

قال أبو بكر : «ويجوز أن يكون معطوفاً على أصبنا ، إذ كان بمعنى : نصيب ، والتأويل : أن لو نشاء نصيبهم ونطبع ، فوضع الماضي في موضع المستقبل عند وضوح معنى الاستقبال ؛ كقوله تعالى : ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾ [الفرقان : ١٠] ، والمعنى : يجعل ، يدل على ذلك قوله : ﴿وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾»[١] [الفرقان : ١٠] .

قال الفرَّاء : «وجاز أن تُرد (يَفْعَلُ) على (فَعَلَ) في جواب (لو) ، كما قال : ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ﴾ [يونس : ١١] ، قوله : ﴿فَنَذَرُ﴾ مردودة على ﴿لَقُضِىَ﴾ ، وإذا جاءك جواب (لو) آثرت فيه (فَعَلَ) على (يَفْعَلُ) ، وعطف (فَعَلَ) على (يَفْعَلُ) ، (ويفعل) على (فَعَلَ) جائز ؛ لأن التأويل كتأويل الجزاء»[٢] . وفي قوله : ﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ تكذيب للقدرية ، ودليل على أن الله تعالى إذا شاء طبع على قلبٍ ، فلا يعي خيراً ولا يسمع هدى[٣] .

١٠١. قوله تعالى : ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا﴾ ، قال ابن عباس : «﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ : التي أهلكتْ أهلها ، يعني : قرى قوم نوح وعاد وثمود ، وقوم لوط وشعيب ، ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ : نتلو عليك من

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢١٣ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٣٥ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ٣٥١ ، والسمين في الدر ٥/ ٣٩٤ .

(٢) انظر : معاني الفرَّاء ١/ ٣٨٦ ، وقال أبو حيان في البحر ٤/ ٣٥٠ ، ٣٥١ : «الظاهر أنها جملة مستأنفة ؛ أي نحن نطبع على قلوبهم ، والمعنى : إن من أوضح الله له سبل الهدى ، وذكر له أمثالاً ممن أهلكه الله تعالى بذنوبهم ، وهو مع ذلك دائم على غيه ، لا يرعوي ، يطبع الله على قلبه ، فينبو سمعه عن سماع الحق» اهـ . وانظر : إعراب النحاس ١/ ٦٢٧ ، والكشاف ٢/ ٩٩ ، وابن عطية ٦/ ٢٠ ، والرازي ١٤/ ١٨٧ ، والفريد ٢/ ٣٣٦ ، والدر المصون ٥/ ٣٩٥ .

(٣) انظر : تفسير الرازي ١٤/ ١٨٧ .

أخبارها كيف أهلكــت . قال : يعزي نبيه بما صنعـوا بأنبيائهم ، وما صنع الله بهم»[(١)] .

وقــال أهل المعــاني : «إنما قصَّ الله أنبــاء القرى لما في ذلك مــن الاعتبار بما كانــوا عليه من الاغترار بطول الإمهال مع اتســاع النِعَم ، حتى توهموا أنهم على صواب»[(٢)] .

وقولــه تعالى : ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ . قال ابــن عباس : «يريد : الأنبياء الذين أُرسلوا إليهم»[(٣)] .

وقولــه تعــالى : ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ﴾ . قــال ابن عباس[(٤)] والســدي[(٥)] : «فما كان أولئك الكفار ليؤمنوا عند إرســال الرسل بما كذبــوا يوم أخذ ميثاقهم ، حــين أخرجهم من ظهر آدم ، فآمنــوا كرهاً ، وأقروا باللسان ، وأضمروا التكذيب» .

---

(١) في تنوير المقباس ٢/ ١١٥ نحوه ، وذكره الثعلبي ٦/ ٣/ أ ، والواحدي في الوسيط ١/ ٢١٤ ، والبغوي ٣/ ٢٦١ ، والقرطبي ٧/ ٢٥٥ ، والخازن ٢/ ٢٦٦ بلا نسبة ، وقال أبو حيان في البحر ٤/ ٣٥٢ : «الخطاب للرسول ﷺ ، والقرى هي بلاد قوم نوح وهود وصالح وشعيب بلا خلاف بين المفسرين» اهـ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٩/ ١٠ ، والرازي ١٤/ ١٨٨ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) ذكره الثعلبي في تفسيره ٦/ ٣ ، والبغوي ٣/ ٢٦١ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٣٦ ، والرازي ١٤/ ١٨٨ ، والقرطبي ٧/ ٢٥٥ ، والخازن ٢/ ٢٦٧ ، عن ابن عباس والسدي .

(٥) أخرجه الطبري ٩/ ١١ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٣٠ بسند جيد .

وقال مجاهد: «فما كانوا- لو أحييناهم بعد هلاكهم- ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل هلاكهم»[(١)].

وقال آخرون: «﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾، بالمعجزات والآيات التي سألوها، فما كانوا ليؤمنوا- بعد ما رأوا العجائب- بما كذبوا به من قبل رؤيتهم تلك العجائب»[(٢)]. وهذا الوجه كأنه اختيار أبي إسحاق؛ لأنه قال: «هذا إخبار عن قوم لا يؤمنون، كما قال -عز وجل- لنوح: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦]، واحتج على هذا بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، قال: وهذا يدل على أنه قد طبع على قلوبهم، قال: والكاف في ﴿كَذَٰلِكَ﴾ نصب؛ المعنى: مثل ذلك الذي طبع الله على قلوب كفار الأمم الخالية، يطبع الله على قلوب الكافرين الذين كتب عليهم ألَّا يؤمنوا أبداً»[(٣)].

---

(١) تفسير مجاهد ١/ ٢٤١، وأخرجه الطبري ٩/ ١١، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٣٠، ١٧٠أ بسند جيد، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ١٩٤، ورد هذا القول الطبري في تفسيره ٩/ ١٢، وقال: «وهو تأويل لا دلالة عليه من ظاهر التنزيل، ولا من خبر عن الرسول صحيح» اهـ. وقال الشنقيطي في أضواء البيان ٢/ ٣٢٩: «هو قول بعيد من ظاهر الآية» اهـ.

(٢) ذكر هذا القول الثعلبي في تفسيره ٦/ ٣ب، وابن الجوزي ٣/ ٢٣٦، وهو اختيار الواحدي في الوسيط ١/ ٢١٣، والبغوي ٣/ ٢٦١، واختار الطبري ٩/ ١١، أن المعنى: فما كانوا ليؤمنوا بما سبقَ في علم الله، يوم أخذ الميثاق أنهم يكذبون به ولم يؤمنوا به؛ لاستحالة التغيير في ما سبق به العلم الأزلي، وأخرجه بسند جيد عن أبي بن كعب والربيع ابن أنس، وقال الشنقيطي في أضواء البيان ٢/ ٣٢٩: «ومعنى الآية فما كانوا ليؤمنوا بما جاءتهم به الرسل بسبب تكذيبهم بالحق أول ما ورد عليهم، وهذا القول حكاه ابن عطية، واستحسنه ابن كثير، وهو من أقرب الأقوال لظاهر الآية، ووجهه ظاهر؛ لأن شؤم المبادرة إلى تكذيب الرسل سبب للطبع على القلوب، والإبعاد عن الهدى والآيات الدالة على هذا المعنى كثيرة» اهـ. وانظر: تفسير ابن عطية ٦/ ٢١، وبدائع التفسير ٢/ ٢٦٢، وابن كثير ٢/ ٢٦٢.

(٣) انظر: معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٦١، ٣٦٢، والأخفش ٢/ ٣١٧، والنحاس ٣/ ٥٩، وإعراب النحاس ١/ ٦٢٧.

١٠٢. قوله تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾. قال ابن عباس: «يريد: الوفاء بالعهد الذي عاهدهم، وهم في صلب آدم، حيث يقول: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾»[١] [الأعراف: ١٧٢]، ونحو هذا قال مجاهد[٢] ومقاتل[٣].

قال أصحاب المعاني: «إذا أُخذ على الإنسان العهد فنقضه، قيل: ليس له عهد؛ أي كأنه لم يعهد إليه، فلما أخذ الله تعالى[٤] على هؤلاء العهد بالتوحيد والمعرفة، وأقروا بذلك، فلما خالفوا ذلك لم يكن لهم عهد، فقال الله تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾[٥].

وروي عن ابن مسعود: «أن العهد هاهنا معناه: الإيمان، كقوله: ﴿إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾[٦] [مريم: ٨٧]. يعني: آمن، وقال: لا إله إلا الله»[٧].

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢١٤، وابن الجوزي ٣/ ٢٣٦، والرازي ١٤/ ١٨٨، والقرطبي ٧/ ٢٥٥، وأبو حيان في البحر ٤/ ٣٥٤.

(٢) أخرجه الطبري ٩/ ١٢، عن أبي بن كعب ومجاهد، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ١٩٥.

(٣) تفسير مقاتل ٢/ ٥٢.

(٤) لفظ: (تعالى) ساقط من (ب).

(٥) انظر: تهذيب اللغة (عهد) ١/ ١٣٥ـ١٣٨، وإعراب النحاس ٢/ ١٤٠، وتفسير الرازي ١٤/ ٨٨.

(٦) لفظ: (الرحمن) ساقط من (ب).

(٧) ذكره الرازي في تفسيره ١٤/ ٨٨، وأبو حيان في البحر ٤/ ٣٥٤، وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ١/ ٢٢٣: «أي وفاء ولا حفيظة».

وقوله تعالى: ﴿وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾.[١] قال الزَّجَّاج: «دخلت ﴿إِن﴾ واللام على معنى التوكيد واليمين»[٢].

قال ابن عباس: «يريد: لعاصين»[٣]. وقال الضحاك: «لناقضين»[٤].

١٠٣. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم﴾، الكناية يجوز أن تعود إلى الأنبياء الذين[٥] جرى ذكرهم، ويجوز أن تعود إلى الأمم الذين تقدم إهلاكهم[٦].

وقوله تعالى: ﴿فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾[٧]، قال ابن عباس[٨]: «فكذبوا بها: يعني: بالعصا والتسع الآيات»[٩]. وقال أبو إسحاق: «قوله: ﴿فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾؛ أي

---

(١) لفظ: «أكثرهم» مكرر في (أ).

(٢) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٦٢، وانظر: إعراب النحاس ١/ ٦٢٧، والمشكل ١/ ٢٩٧، والتبيان ٣٨٥، والفريد ٢/ ٣٣٧، والدر المصون ٥/ ٣٩٩.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢١٤ من دون نسبة.

(٤) لم أقف عليه، وهذا القول هو قول السمرقندي في تفسيره ١/ ٥٥٨، والثعلبي ٦/ ٤ أ، والبغوي ٣/ ٢٦١، وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ١/ ٢٢٣: «أي الكافرين»، وقال الطبري ٩/ ١٢: «أي ما وجدنا أكثرهم إلا فسقة عن طاعة ربهم تاركين عهده ووصيته»، وانظر: الماوردي ٢/ ٢٤٤.

(٥) وهو قول الأكثر. انظر: الطبري ٩/ ١٣، والسمرقندي ١/ ٥٥٨، والبغوي ٣/ ٢٦٢، وابن الجوزي ٣/ ٢٣٧، والقرطبي ٧/ ٢٥٦.

(٦) انظر: تفسير السمرقندي ١/ ٥٥٨، ٥٥٩، والكشاف ٢/ ١٠٠، والرازي ١٤/ ١٨٩، والبحر ٤/ ٣٥٤، وقال ابن عطية ٦/ ٢٤: «الضمير عائد على الأنبياء المتقدم ذكرهم وعلى أممهم» اهـ. والجمع أولى.

(٧) سقط من (ب) تفسير قوله تعالى: ﴿فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ الآيات [١٠٣، ١٠٥] من سورة الأعراف، وهو سقط من الناسخ، حيث جاء في نصف الصفحة ١٥٩ أ تفسير باقي الآية [١٠٥] بعد الآية [١٠٣].

(٨) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢١٤، وابن الجوزي ٣/ ٢٣٧.

(٩) انظر: تفصيل ذلك في عرائس المجالس ١٩٠، وتفسير ابن كثير ٢/ ٢٦٣.

فظلموا بالآيات التي جاءتهم ؛ لأنهم إذا جاءتهم الآيات فكفروا ، فقد ظلموا أبين الظلم ؛ لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه ، فجعلوا بدل الإيمان بها الكفر ، فذلك معنى : ﴿فَظَلَمُواْ بِهَا﴾[(١)] ، وقوله : ﴿فَٱنظُرْ﴾ ؛ أي بعين قلبك كيف كان عاقبتهم وكيف فعلنا بهم .

١٠٥. قوله : ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ ، وقرأ نافع[(٢)] : ﴿حَقِيقٌ عَلَيَّ﴾ مشددة الياء ، و﴿حَقِيقٌ﴾ على هذه القراءة يجوز أن يكون بمعنى : فاعل . قال شمر : «تقول العرب : حَق عليَّ أن أفعل ذلك»[(٣)] .

وقال الليث : «حَق الشيء معناه : وجب ، ويحِق عليك أن تفعل كذا ، وحقيق عليَّ أن أفعله ، فهذا بمعنى : فاعل»[(٤)] .

قال الزَّجَّاج : «والمعنى : واجب علي ترك القول على الله جل وعز إلا بالحق»[(٥)] . ونحو هذا قال ابن عباس في تفسيره هذه الآية ، فقال : «يقول : الواجب علي ﴿أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾[(٦)]» ، ويجوز أن يكون بمعنى : مفعول . قال الليث : «وحقيق فعيل في موضع مفعول»[(٧)] .

---

(١) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٦٢ ، ومثله قال النحاس في معانيه ٣/ ٦٠ .

(٢) قرأ نافع : ﴿حَقِيقٌ عَلَيَّ﴾ بتشديد الياء مع فتحها على أنها ياء إضافة ، وقرأ الباقون : ﴿عَلَىٰٓ﴾ بتخفيف الياء وإسكانها على أنها حرف جر . انظر : السبعة ٢٨٧ ، والمبسوط ١٨٣ ، والتذكرة ٢/ ٤٢١ ، والتيسير١١١ ، والنشر ٢/ ٢٧٠ .

(٣) تهذيب اللغة (حق) ١/ ٨٧٥ .

(٤) تهذيب اللغة ١/ ٨٧٦ ، وانظر : العين (حق) ٣/ ٦ .

(٥) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٦٢ .

(٦) لم أقف عليه .

(٧) تهذيب اللغة (حق) ١/ ٨٧٦ .

قال شـمر : «وتقول العرب : حق عليَّ أن أفعـل كذا ، وإني لمحقوق عليَّ أن أفعـل خيراً ؛ أي حقَّ عليَّ ذاك ، بمعنى : اسـتحق»[١] ، هذا معنى كلامه ، وعلى هذا تقول : فلان مَحْقُوق عليه أن يفعل كذا ، ومَحْقُوق بأن يفعل كذا ، ومَحْقُوق أن يفعل كذا[٢] قال الأعشى :

لَمَحْقُوقَةٌ أَنْ تَسْتَجِيبي لِصَوْتِهِ

وَأَنْ تَعْلَمِي أَنَّ الْـمُعَانَ مُوفَّقُ[٣]

وقال جرير[٤] :

قصِّرْ فإنَّكَ بالتَّقصِيرِ مَحْقُوقُ

وحجة نافع في تشـديد الياء أن (حق) يُعَدَّى (بعلى) . قال الله تعالى : ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ﴾ [الصافات : ٣١] ، وقال : ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ﴾ [الإسراء : ١٦] . فحقيق يُوصـل (بعلى) من هذا الوجـه أيضاً ، فإن ﴿حَقِيقٌ﴾ بمعنـى : واجب ، فكما أن (وجب) يتعدى (بعـلى) ، كذلك تعدَّى ﴿حَقِيقٌ﴾ بـه ، إذا أريد به ما أريد

(١) تهذيب اللغة ٣/ ٣٧٤ .

(٢) انظر : الجمهرة ١/ ١٠٠ ، واشتقاق أسماء الله للزَّجَّاجي ١٧٨ ، والصحاح ٤/ ١٤٦٠ ، ومقاييس اللغة ٢/ ١٥ ، والمجمل ١/ ٢١٥ ، والمفردات ٢٤٦ ، واللسان (حق) ٢/ ٩٤١ .

(٣) ديوانه ١٢٠ ، والعين ٣/ ٦ ، ومجاز القرآن ١/ ٤٤ ، والصاحبي ٣٥٩ ، والصناعتين ١٤٣ ، وأمال ابن الشجري ٢/ ٥٦ ، واللسان (حق) ٢/ ٩٤١ ، والدر المصون ٥/ ٤٠٥ ، وقبله :

وَإِنَّ امْـرءاً أَسْـرى إِلَيْكِ وَدُونَـهُ فَـيَـافٍ تَـنُـوفَـاتٌ وَبَـيْـداءُ خَيْفَقُ

يقول : إن الذي قطع في سبيلك الليالي الطوال ، وتفصله عنك الصحارى والقفار التي يخفق فوقها السراب ، لمن البديهي أن تستجيبي له ؛ لأنه أقرب للرشد والصواب ، أفاده في حاشية الديوان .

(٤) ديوانه ٣١٢ ، وتهذيب اللغة ١/ ٨٧٦ ، واللسان (حق) ٢/ ٩٤١ ، والدر المصون ٥/ ٤٠٥ ، وصدره :

قُلْ للأُخَيْطِلِ إِذْ جَدَّ الجراءُ بنا

وفي الديوان : (أقصر) بدل (قصر) ، وهو هنا يهجو الأخطل . والجراء : الإقدام والشجاعة . انظر : اللسان (جرأ) ١/ ٥٨١ .

بواجب ، وقراءة العامة : ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ﴾ مرسلة الياء ، و﴿حَقِيقٌ﴾ على هذه القراءة بمعنى : محقوق ، و﴿عَلَىٰٓ﴾ بمعنى الباء[(١)] .

قال الفرَّاء : «والعرب تجعل الباء[(٢)] في موضع (على) ، فتقول : رميت على القوس وبالقوس ، وجئت على حال حسنة وبحال حسنة»[(٣)] .

قال الأخفش : «هذا كما قال : ﴿وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ﴾ [الأعراف : ٨٦][(٤)] ، وكما وقعت الباء في قوله : ﴿بِكُلِّ صِرَٰطٍ﴾ موقع على ، كذلك ﴿عَلَىٰٓ﴾ وقعت موضع الباء في قوله : ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ﴾ ، ويؤكد هذا الوجه قراءة عبدالله : (حقيق بأن لا أقول)[(٥)] و﴿حَقِيقٌ﴾ على هذه القراءة يرتفع بتقدير : أنا حقيق بأن لا أقول ، وعلى قراءة نافع يرتفع بالابتداء ، وخبره ﴿أَن لَّآ أَقُولَ﴾[(٦)] .

---

(١) ما تقدم في توجيه القراءة قول أبي علي في الحجة ٤/ ٥٦ ، ٥٧ ، وانظر : معاني المفردات ١/ ٤١٤ ، والحجة لابن خالويه ١٥٩ ، ولابن زنجلة ٢٨٩ ، والكشف ١/ ٤٦٩ ، ٤٧٠ .

(٢) انظر : مغني اللبيب ١/ ١٠٤ وسبق أن : (الظاهر عدم التناوب ، والأولى التضمين) . قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ١/ ٢٢٤ : «مجازه حق علي أن لا أقول إلا الحق ، ومن قرأها : ﴿حَقِيقٌ﴾ على أن لا أقول ، ولم يضف ﴿عَلَىٰٓ﴾ إليه ، فإنه يجعل مجازه حريص على أن لا أقول ، أو فحق أن لا أقول» اهـ .

(٣) معاني الفرَّاء ١/ ٣٨٦ ، وذكر مثله الطبري في تفسيره ٩/ ١٣ .

(٤) معاني الأخفش ٢/ ٣٠٧ .

(٥) قراءة عبدالله بن مسعود –رضي الله عنه– في معاني الفرَّاء ١/ ٣٨٦ ، والنحاس ٣/ ٦١ ، ومختصر الشواذ ٥٠ ، وإعراب القراءات ١/ ١٩٧ ، وتفسير ابن عطية ٦/ ٢٥ ، والرازي ١٤/ ١٩١ ، وذكرها البغوي ٣/ ٢٦٢ ، والقرطبي ٧/ ٢٥٦ عن أبي ابن كعب والأعمش . وانظر : الكشاف ٢/ ١٠٠ ، والبحر ٤/ ٣٥٥ .

(٦) انظر : إعراب النحاس ٦٢٨ ، والمشكل ١/ ٢٩٧ ، والبيان ١/ ٣٦٩ ، والتبيان ٣٨٥ ، والفريد ٢/ ٣٣٨ ، والبحر ٤/ ٣٥٥ ، والدر المصون ٥/ ٤٠١ ، وعلى قراءة العامة : ﴿حَقِيقٌ﴾ عند الواحدي خبر لمبتدأ محذوف تقديره أنا ، وعلى قراءة نافع أكثرهم على أنه صفة لرسول أو خبر ، وقوله : ﴿أَن لَّآ أَقُولَ﴾ فاعل بحقيق ، كأنه قال : «يحق ، ويجب أن لا أقول» . قال السمين «وهذا أعرب الوجوه لوضوحه لفظاً ومعنى» اهـ .

ومعنى قوله : ﴿إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾[1]] ، قال ابن عباس : «يريد : أنه لا إله غيره»[2] .

ومعنى هذا : أن موسى يقول : واجب عليَّ ألَّا أقول في وصف الله إلا ما هو الحق ، وهو توحيده وتنزيهه عن الشرك .

وقوله تعالى : ﴿قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ . قال ابن عباس : «يريد بالعصا»[3] .

وقوله تعالى : ﴿فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ ؛ أي أطلق عنهم وخلهم ، وكان[4] فرعون قد استخدمهم في الأعمال الشاقة من نحو ضرب اللبن ، ونقل التراب[5] .

١٠٧. قوله تعالى : ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ﴾ ؛ أي العصا ، وهي مؤنثة ، والثعبان : الحية الضخم الذكر في قول جميع أهل اللغة[6] ، وهو أعظم الحيات في قول الفرَّاء[7] . وقوله : ﴿مُّبِينٞ﴾ . قال الزَّجَّاج : «أي بين أنه حية لا لبس فيه»[8] .

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) ، كما سبق الإشارة إليه .

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢١٥ من دون نسبة .

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢١٥ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٣٧ .

(٤) في (ب) : (وقال وكان) .

(٥) أخرج الطبري في تاريخه ١/ ٣٨٦ عن محمد بن إسحاق قال : «كان فرعون يعذب بني إسرائيل ، ويجعلهم خدماً وخولاً وصنفهم في أعماله ، فصنف يبنون ، وصنف يحرثون ، وصنف يزرعون له ، ومن لم يكن في صنعة ، فعليه الجزية» اهـ . وانظر : عرائس المجالس ١٦٧ ، والبداية والنهاية١/ ٢٣٧ .

(٦) انظر : العين ٢/ ١١١ ، والجمهرة ١/ ٢٦٠ ، وتهذيب اللغة ١/ ٤٨٠ ، والصحاح ١/ ٩٢ ، ومقاييس اللغة ١/ ٣٧٨ ، والمجمل ١/ ١٥٩ ، والمفردات ١٧٣ ، واللسان (ثعب) ١/ ٤٨١ ، ٤٨٢ .

(٧) معاني الفرَّاء ٣٨٧ ، وانظر : مجاز القرآن ١/ ٢٢٥ ، وغريب القرآن لليزيدي ١٤٨ ، ومعاني النحاس ٣/ ٦١ .

(٨) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٦٣ ، وفيه : (أي مبين أنها حية) .

١٠٨. قوله تعالى: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾، معنى النزع في اللغة: قلع الشيء وإخراجه عن مكانه المتمكن فيه[١]، قال ابن عباس: «يريد: إخراج يده»[٢].

قال الزَّجَّاج: «والمعنى: إخراجها من جيبه ومن جناحه، يدل على ذلك قوله: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ الآية[٣] [النمل: ١٢]، وقوله: ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ [طه: ٢٢]»[٤].

١٠٩. وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾، قال ابن عباس: «وكان لها نور ساطع يضيء ما بين السماء والأرض»[٥].

١١٠. قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾. قال ابن عباس: «يريد: من ملككم»[٦].

قال المفسرون: «لما قال موسى لفرعون: ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الأعراف: ١٠٥] وأراه الآية، قال الأشراف من قومه: إن هذا ساحر، يريد أن يخرجكم معشر القبط من أرضكم، ويزيل ملككم بتقوية أعدائكم بني إسرائيل عليكم»[٧].

---

(١) انظر: العين ١/ ٣٥٧، والجمهرة ٢/ ٨١٧، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٥٥٢، والصحاح ٣/ ١٢٨٩، ومقاييس اللغة ٥/ ٤١٥، والمجمل ٣/ ٨٦٣، والمفردات ٧٩٨، واللسان (نزع) ٧/ ٤٣٩٥.

(٢) أخرجه الطبري ٩/ ١٥، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٣٣، بسند جيد.

(٣) لفظ: (الآية) ساقط من (ب).

(٤) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٦٣، وفيه: «يدل على أن معنى نزع يده إخراجها من جيبه وإخراجها من جناحه، وجناح الرجل عضده، وقل: جناح الرجل عِطفُه» اهـ.

(٥) ذكره الثعلبي في تفسيره ٦/ ٤ ب،٥ أ، وابن الجوزي ٣/ ٢٣٨، والرازي ١٤/ ١٩٦، والقرطبي ٧/ ٢٥٧، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢١٦ عن الكلبي.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) انظر: تفسير الطبري ٩/ ١٦، والسمرقندي ١/ ٥٥٩، والثعلبي ٦/ ٥ أ، والبغوي ٣/ ٢٦٣.

قوله تعالى: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾. ذكر أبو إسحاق فيه ثلاثة أوجه: «إحداها[(١)]: أن يكون هذا جواباً من فرعون لما قال الملأ: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾، قال فرعون مجيباً لهم: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾»، قال ابن عباس: «يريد: تشيرون به عليَّ»[(٢)]، فعلى هذا أضمر القول، وتم كلام الملأ عند قوله: ﴿مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾. والتقدير: قال: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾، وهذا[(٣)] الوجه ذكره الفرَّاء[(٤)] أيضاً.

قال أبو إسحاق: «وجائز أن يكون ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ من قول الملأ[(٥)]؛ كأنهم خاطبوا فرعون ومن يخصه»، قال: «وجائز أن يكون الخطاب لفرعون وحده؛ لأنه يقال للرئيس المطاع: ما ترون[(٦)] في هذا؟ أي ما ترى أنت وحدك»[(٧)].

قال ابن الأنباري على هذا الوجه: «والملوك الغالب عليها[(٨)] أن يكون لها أتباع يأتمرون بأمرها[(٩)]، ويقفون عند قولها[(١٠)]، فلما كان هذا معروفاً للملوك خاطبوه- وهو واحد- بخطابه، ومعه أتباعه وأهل مملكته»[(١١)].

---

(١) في (أ): (أحد لها)، وهو تحريف.

(٢) تنوير المقباس ٢/ ١١٧، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢١٦، وابن الجوزي ٣/ ٢٣٨، وأخرج ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٣٣، بسند جيد عن ابن عباس، قال: «استشار الملأ في ما يرى» اهـ.

(٣) في (أ): (وعلى هذا).

(٤) معاني الفرَّاء ١/ ٣٨٧، ولم يذكر غيره، وهو قول أكثرهم. انظر: الطبري ٩/ ١٦، والسمرقندي ١/ ٥٥٩، والثعلبي ٦/ ٥أ، والبغوي ٣/ ٢٦٣.

(٥) وهو اختيار ابن عطية ٦/ ٣٠، قال: «الظاهر أنه من كلام الملأ بعضهم إلى بعض» اهـ.

(٦) في (أ): (ما ترى)، وهو تحريف.

(٧) في معاني الزَّجَّاج ٢/ ٢٦٤، ٢٦٥: (أي ما ترى أنت وجندك). وانظر: إعراب النحاس ٢/ ١٤٢.

(٨) في (ب): (عليهم).

(٩) في (ب): (بأمرهم).

(١٠) في (ب): (قولهم).

(١١) لم أقف عليه، وانظر: الأضداد لابن الأنباري ٤١٦-٤١٩.

١١١. وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ﴾، وقرئ: (أرجئه) مهموزاً(١)، وهما لغتان قرئ بهما، يقال: أرجأت الأمر وأرجيته: إذا أخرته، ومنه قوله: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ﴾ [التوبة: ١٠٦]، ﴿تُرۡجِي مَن تَشَآءُ﴾ [الأحزاب: ٥١] قرئ في الآيتين(٢) باللغتين(٣)، وكان حمزة وعاصم يقرآن بغير همزة، وجزم الهاء من ﴿أَرۡجِهۡ﴾، قال الفرَّاء: وهي لغة العرب يقفون على الهاء المكنَّى عنها في الوصل إذا تحرك ما قبلها، أنشدني بعضهم:

فَيُصْلِحُ اليَوْمَ وَيُفْسِدُه غَدَاً(٤)

---

(١) فيها ست قراءات، ثلاث مع الهمز، وهي:
أ. قراءة ابن كثير وهشام عن ابن عامر: (أرجئهو) بهمزة ساكنة متصلة بواو في الوصل.
ب. قراءة أبو عمرو: (أرْجِئْهُ) بضم الهاء من غير إشباع.
ج. قراءة ابن ذكوان عن ابن عامر بهمزة ساكنة وكسر الهاء من غير إشباع.
وثلاث من غير همز، وهي:
أ. قراءة عاصم وحمزة بكسر الجيم وسكون الهاء وصلاً ووقفاً: ﴿أَرۡجِهۡ﴾.
ب. قراءة الكسائي بكسر الهاء متصلة بياء في الوصل: (أرجهي)، وهي رواية عن عاصم ونافع.
ج. قراءة نافع بكسر الهاء من غير إشباع: ﴿أَرۡجِهِ﴾.
انظر: السبعة ٢٨٧، والمبسوط ١٨٣، والتذكرة ٢/ ٤٢١، والتيسير ١١١.

(٢) في (ب): (بالآيتين).

(٣) قرأ نافع وحمزة والكسائي في آية [التوبة: ١٠٦]: ﴿مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ﴾، وفي آية [الأحزاب: ٥١]: ﴿تُرۡجِي مَن تَشَآءُ﴾ بغير همز فيها، وقرأ الباقون بالهمز: (مرجئون) (وترجئ)، وروي عن عاصم الوجهان فيهما، وانظر: السبعة ٢٨٧و٥٢٣، والمبسوط ١٩٦، ٣٠١، والتذكرة ٢/ ٤٤٣، والتيسير ١١٩، والنشر ١/ ٤٠٦.

(٤) هذا رجز لدويد بن زيد بن نهد القضاعي في طبقات فحول الشعراء ١/ ٣١، ٣٢، والشعر والشعراء ٤٨، وجمهرة الأمثال١/ ٨٤، وبلا نسبة في معاني الفرَّاء ١/ ٣٨٨، وتفسير الطبري ٩/ ١٦، وابن عطية ٦/ ٣١، والرازي ١٤/ ١٩٨، وقبله:
أَنْحَى عَلَيَّ الدَّهْرُ رِجْلاً وَيَدَا ... يُقْسِمُ لَا يُصْلِحُ إِلَّا أَفْسَدَا
فَيُصْلِحُ اليَوْمَ وَيُفْسِدُه غَدَاً

قال : وكذلك يفعلون بهاء التأنيث ، فيقولون : هذه طلحهْ قد أقبلت ، وأنشد :

لَمَّا رَأى[(١)] أَنْ لَا دَعَةْ وَلَا شِبَعْ[(٢)]

ولا وجه لهذا عند البصريين في القياس ولا الاستعمال .

قال الزَّجَّاج : «وهذا شعر لا يعرف قائله ، ولا هو بشيء ، ولو قاله شاعر مذكور لقيل له : أخطأت ؛ لأن الشاعر قد يجوز أن يخطئ» قال : «وهذا مذهب لا يعرج عليه»[(٣)] .

---

(١) هذا رجز لمنظور بن حبة الأسدي في تهذيب إصلاح المنطق ١/ ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، وشذا العرف ١٣٦ ، وبلا نسبة في معاني الفرَّاء ١/ ٢٨٨ ، وإصلاح المنطق ٩٥ ، وتفسير الطبري ٩/ ١٧ ، وتهذيب اللغة (ضجع) ٣/ ٢ ، والمحتسب ١/ ١٠٧ ، وسر صناعة الإعراب ١/ ٣٢١، والخصائص ٣/ ١٦٣ ، والمنصف ٢/ ٣٢٩، والصحاح (رطا) ٦/ ٢٣٥٨ ، والمخصص ٨/ ٢٤ ، وكنز الحفاظ ١/ ٣٠٢، واللسان (ضجع) ٥/ ٢٥٥٤ ، وعجزه :

مَالَ إِلى أَرْطَأَةِ حِقْفٍ فاضْطَجَعْ

وهو يصف الذئب ، والحقف : ما اعوج من الرمل .

(٢) معاني الفرَّاء ١/ ٣٨٨ ، ومثله قال الطبري ٩/ ١٧ .

(٣) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، وانظر : معاني الأخفش ٢/ ٣٠٨ ، وإعراب النحاس ١/ ٣٦٠ ، ومعاني القراءات ١/ ٤١٥ ، وإعراب القراءات ١/ ١٩٨ ، والحجة لابن خالويه ١٥٩ ، ولأبي علي الفارسي ٤/ ٦٠ ، ولابن زنجلة ٢٨٩ ، والكشف ١/ ٤٧٠ ، وقال أبو حيان في البحر ٤/ ٣٦٠ : «وما ذهب إليه من غلط هذه القراءة وأنها لا تجوز قول فاسد ؛ لأنها قراءة ثابتة متواترة روتها الأكابر عن الأئمة ، وتلقتها الأمة بالقبول ، ولها توجيه في العربية فلا وجه لإنكارها» اهـ . وقال السمين في الدر ٥/ ٤١٢ : «تسكين هاء الكناية لغة ثابتة له شواهد كثيرة» اهـ . بتصرف .

فأما التفسير فقال ابن عباس في قوله : ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ : «يريد : أرجئ أمره وأمر أخيه ولا تعجل»[١] ، ففسره بالتأخير ، وهو قول الحسن[٢] .

قال الزَّجَّاج : «تفسير ﴿أَرْجِهْ﴾ : أخِّره» ، وقال : «ومعنى أخِّره : أخِّر أمره ، ولا تعجل في أمره بحكم ، فتكون عجلتك حجة عليك»[٣] .

وقال أهل المعاني[٤] : «إنهم طلبوا معارضة المعجزة بالحيلة ، توهماً منهم أنهم يقابلون السحر بالسحر على طريق المكيدة» .

وقال الكلبي وقتادة[٥] في تفسير ﴿أَرْجِهْ﴾ : «احبسه» ، قال الكلبي : «احبسه وأخاه هارون حتى تنظر في أمره ولا تقتلهما[٦] ولا تؤمن بهما»[٧] . قال أصحاب النظر : «القول في تفسير ﴿أَرْجِهْ﴾ هو الأول ؛ لأن فرعون قد علم أنه لا يقدر على حبسه بعد ما رأى أمر العصا ، مع أن الإرجاء في اللغة التأخير لا الحبس»[٨] .

وقوله تعالى : ﴿وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ . قال الليث : «المدينة فَعِيلة تهمز في الفعائل ؛ لأن الياء زائدة ، ولا تهمز ياء (المعايش) لأنها مفاعل والياء

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٣٣ بسند ضعيف بلفظ : (أخره وأخاه) ، وذكره الماوردي في تفسيره ٢/ ٢٤٥ ، والقرطبي ٧/ ٢٥٧ .

(٢) ذكره الماوردي ٢/ ٢٤٥ ، وهو قول أكثرهم ، قال الطبري ٩/ ١٦ : «الإرجاء في كلام العرب التأخير» اهـ . وانظر : مجاز القرآن ١/ ٢٢٥ ، وغريب القرآن لليزيدي ١٤٨ ، وتفسير غريب القرآن ١٧٩ ، ونزهة القلوب ٧٣ ، ومعاني النحاس ٣/ ٦٢ ، وتفسير المشكل ٨٦ .

(٣) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٦٥ .

(٤) انظر : والرازي ١٤/ ١٩٨ .

(٥) أخرجه الطبري ٩/ ١٧ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٣٣ ، بسند جيد عن قتادة .

(٦) في (ب) : (ولا تقبلهما) .

(٧) تنوير المقباس ٢/ ١١٧ ، وهو قول السمرقندي ١/ ٥٥٩ .

(٨) هذا قول الثعلبي في الكشف ٦/ ٥ .

أصليــة ، ونحو ذلك قال الفرَّاء[(١)] وغيره ، قال : وكل أرض يبنى بها حصن فهي مدينة»[(٢)] .

وقال أبو القاســم الزَّجَّاجي[(٣)] : «اختلف أصحابنــا في المدينة ، فمنهم من يجعلهــا (فَعِيلة) ، ومنهم من يجعلها (مَفْعِلة) ، ومنهم من يجعلها مَفْعُولة ، أما من قال : إنها فعيلة ذهب إلى قولهم : مَدَن بالمكان يمدن مدُوناً : إذا أقام به ، ويستدل بإطباق القراء على همز ﴿ٱلْمَدَآئِنِ﴾ وهي فعائل كصحيفة وصحائف ، وســفينة وسفائن ، والياء إذا كانت زائدة في الواحدة همزت في الجمع كقبيلة وقبائل ، وإذا كانت[(٤)] من نفس الكلمة لم تهمز في الجمع نحو معيشة ومعايش .

قــال ابن الأنباري : «مدن الرجل إذا أتى المدينــة»[(٥)] . وهذا يقوي قول من يقول : إنها فعيلة والميم فيها أصل ، وكذلك قولهم في الجمع : مُدن هو على فُعل ، والميم أصل ، والمدن[(٦)] في الحقيقة : جمــع المدين ؛ لأن المدينة لا تجمع على مُدن ، ولكن تجمع على المداين ، ومثل هذا سُفن كأنهم جمعوا سفينة على سفين ، ثم جمعوها على ســفن ، كذلك المدن ، وأما من قال إنها مفعلة ، فإنــه يقول : معنى المدينة : المملوكة ، من دانه يدينه ؛ أي ساســه وأذاله[(٧)] ، فقولنــا : مدينة من (دان) مثل معيشــة ، وجمعها مداين على مفاعل ، كمعايش غير مهموز ، يكون اسماً للمكان

---

(١) لم أقف عليه في معانيه .

(٢) تهذيب اللغة ٤/ ٣٣٦٣ ، وانظر : العين ٨/ ٥٣ ، والجمهرة ٢/ ٦٨٣ ، والصحاح ٦/ ٢٢٠١ ، ومقاييس اللغة ٥/ ٣٠٦ ، والمجمل ٣/ ٨٢٦ ، والمفردات ٧٦٣ ، واللسان (مدن) ٧/ ٤١٦١ .

(٣) أبو القاسم الزَّجَّاجي : عبدالرحمن بن إسحاق البغدادي النحوي ، تقدمت ترجمته .

(٤) في (ب) : (كان) .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) في (ب) : (مدن) .

(٧) كذا في (أ) ، وفي (ب) : (وأذاله) ، ولعله : وأذله .

والأرض التي دانهم[١] السلطان ؛ أي ساسهم وقهرهم ، وقال المبرِّد[٢] : «مدينة أصلها (مَدْيونة) ، من دانه يدينه : إذا قهره وأذله ، فاستثقلوا حركة الضمة على الياء فسكنوها ، ونقلوا حركتها إلى ما قبلها ، فاجتمع ساكنان : الواو المزيدة[٣] التي هي واو المفعول ، والياء التي هي من نفس الكلمة ، فحذفت الواو لأنها زائدة ، وحذف الزائد أولى من حذف الأصلي ، ثم كسروا الدال لتسلم الياء ، فلا تنقلب واواً لانضمام ما قبلها فيختلط[٤] ذوات الواو بذوات الياء ، وكذلك المبيع والمخيط والمكيل»[٥] .

وكان الأخفش[٦] يذهب إلى أن المحذوف الياء ؛ لأنها من نفس الكلمة فهي أولى بالحذف من الواو التي جلبت للمعنى وهي واو المفعول ، فقال له أبو عثمان المازني[٧] : «فإذا كان المحذوف الياء عندكم ، فلم قلبت الواو ياء وقبلها حرف مضموم ؟» ، فقال : «كسرت ما قبل الواو لتنقلب الواو ياء ، فيفرق بين ذوات الواو[٨] وذوات الياء» ، فالياء في قولنا : مبيع ومخيط هي ياء يبيع ويخيط عند سيبويه[٩] .

---

(١) في (ب) : (ذانهم) .

(٢) لم أقف عليه في كتبه ، وذكره والرازي ١٤/ ١٩٩ ، والسمين في الدر ٥/ ٤١٣ .

(٣) في (ب) : (والمزيدة) .

(٤) في (أ) : (فتختلط) .

(٥) لم أقف عليه في كتبه ، وذكره عند والرازي ١٤/ ١٩٩ ، والسمين في الدر ٥/ ٤١٣ .

(٦) قال الأخفش في معانيه ٢/ ٢٩٣ : «إنما يهمز ما كان على مفاعل ، إذا جاءت الياء زائدة في الواحد ، والألف والواو التي تكون الهمزة مكانها نحو مدائن ؛ لأنها فعائل ، ومن جعل المداين من دان يدين لم يهمز ؛ لأن الياء حينئذ من الأصل» اهـ .

(٧) انظر : المصنف ١/ ٢٩٦-٣٠١و ٣١١-٣١٤ .

(٨) لفظ : (فيفرق بين ذوات الواو) مكرر في (ب) .

(٩) انظر : الكتاب ٤/ ٣٤٨ ، ٣٤٩ .

وعند الأخفش[١] هي واو (مبيوع)، قلبت ياء لانكسار ما قبلها، والمدينة[٢] على رأي المبرِّد (مفعولة)، وتأنيثها من جهة المعنى، والمراد: الأرض المدينة أو البقعة أو البلدة التي ساسها السلطان.

وقال الفرَّاء: «تقول العرب: دنته أدينه إذا ملكته، والمدينة الأرض التي ملكها سايسها[٣]، ومن هذا يقال للأمة مدينة؛ أي مملوكة، وهي في الأصل مديونة[٤].

ومنه قول الأخطل[٥]:

رَبَتْ وزكى في كومِها ابنُ مَدِينَةٍ … يَظَلُّ على مِسحاتِهِ يَتركَّلُ[٦]

يعني: ابن أمةٍ.

---

(١) انظر: المصنف ١/ ٢٩٧.

(٢) في (ب): (فالمدينة).

(٣) في (ب): (أسايسها).

(٤) لم أقف عليه. وانظر: الصحاح (مدن) ٦/ ٢٢٠١.

(٥) الأخطل: غِيَاث بن غَوْث بن الصَّلت التغلبي، شاعر نصراني، تقدمت ترجمته.

(٦) ديوانه ٢٢٤، والعين ٨/ ٥٣، والمعاني الكبير ١/ ٤٧٢، والجمهرة ٢/ ٦٨٤، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٣٦٣، والمصنف ١/ ٣١٢، والصحاح (ركل) ٤/ ١٧١٣، ومقاييس اللغة ١/ ٣٣٤، واللسان (مدن) ٧/ ٤١١٦، ورواية الديوان:

رَبَتْ وربَا في حَجرها ابنُ مدينةٍ

وهو يصف الخمر، وابن مدينة؛ أي العالم بأمرها، ويتركل؛ أي يفتت الرمل، أفاده في حاشية الديوان.

فهذا ذكر اختلافهم في هذا الحرف»[١] ، والصحيح أنها (فعيلة) لاجتماع القراء على همز ﴿ٱلْمَدَآئِنِ﴾ ، والذين قالوا : إنها مفعلة أو مفعولة . قالوا : إنما همزت المدائن تشبيهاً بالقبائل والصحائف ، كما همز نافع (المعائش) ، وقد ذكرنا ذلك مستقصىً عند قوله : ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰئِشَ﴾ [الأعراف : ١٠] .

وأما التفسير فقال ابن عباس في قوله : ﴿وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ : «يريد : في مدائن صعيد مصر[٢] رجالاً يحشروا إليك ما في الصعيد من السحرة»[٣] .

قال الكلبي : «وكانت له مدائن ، فيها السحرة عُدَّة للأشياء ؛ إذا حزبه أمر أرسل إليهم»[٤] . قال ابن عباس : «وكان رؤساء السحرة بأقصى مدائن الصعيد»[٥] .

١١٢. قوله تعالى : ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾ ، وقرئ[٦] : ﴿سَحَّارٍ﴾ ، فمن قرأ ﴿سَٰحِرٍ﴾ فحجته قوله : ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ﴾ [طه : ٧٠] ﴿لَعَلَّنَا

---

(١) ذكره والرازي ١٤/ ١٩٩ ، والسمين في الدر ٥/ ٤١٣ عن الزَّجَّاجي ، ولم أقف عليه في ما لدي من كتبه ، وقال أبو حيان في البحر ٤/ ٣٤٢ : «المدينة معروفة مشتقة من مدن ، فهي فعيلة ، ومن ذهب إلى أنها مفعلة من (دان) فقوله ضعيف ؛ لإجماع العرب على الهمز في جمعها ، قالوا : (مدائن) بالهمز ، ولا يحفظ فيه مداين بالياء ، ولا ضرورة تدعو إلى أنها مفعلة ، ويقطع بأنها فعيلة جمعهم لها على فُعُل ، قالوا : مدن كما قالوا : صحف في صحيفة» اهـ . ونحوه قال السمين في الدر ٥/ ٤١٢ .

(٢) الصعيد بمصر ، بلاد واسعة كبيرة ، فيها مدن عظام عدة . انظر : معجم البلدان ٣/ ٤٠٨ .

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢١٧ ، وأخرج الطبري ٩/ ١٨ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٣٤ ، عن ابن عباس في قوله : ﴿وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ . قال : (الشرط) .

(٤) ذكره الثعلبي في تفسيره ٦/ ٥ ب ، والبغوي ٣/ ٢٦٣ بلا نسبة .

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢١٧ ، والرازي ١٤/ ١٩٩ ، وذكره الثعلبي في عرائس المجالس ١٨٥ ، عن عطاء .

(٦) قرأ حمزة والكسائي ﴿سَحَّارٍ﴾ على وزن فعال بتشديد الحاء وألف بعدها ، وقرأ الباقون : ﴿سَٰحِرٍ﴾ على وزن فاعل بتخفيف الحاء وكسرها وألف قبلها . انظر : السبعة ٢٨٩ ، والمبسوط ١٨٣ ، والتذكرة ٢/ ٤٢٢ ، والتيسير ١١٢ ، والنشر ٢/ ٢٧٠ .

نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ﴾ [الشعراء: ٤٠]، والسحرة جمع ساحر، مثل كاتب وكتبة، وفاجر وفجرة، ومن حجته أيضاً[١] قوله تعالى: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأعراف: ١١٦]، واسم الفاعل من سحروا ساحر، ومن قرأ: ﴿سَحَّارٍ﴾ فحجته أنه قد وصف (بعليم)، ووصفه به يدل على تناهيه فيه وحذقه به؛ فحسن لذلك أن يذكر بالاسم[٢] الدال على المبالغة في السحر[٣].

١١٣. قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ﴾ الآية. في الكلام محذوف يدل عليه باقي الكلام وهو: فأرسل وجاء السحرة، ولا يجوز أن يتأول على أنهم تسامعوا، وجاءوا من غير أن يرسل؛ لأنه خلاف ظاهر الكلام والقصة[٤].

وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا﴾. قال ابن عباس: «يريد: المال والجوائز»[٥]، ولم يقل: فقالوا[٦] لأن المعنى: لما جاؤوا قالوا، فلم يصح دخول الفاء على هذا الوجه.

---

(١) لفظ: (أيضاً) ساقط من (ب).

(٢) في (ب): (أن يذكر الاسم).

(٣) ما تقدم هو قول أبي علي في الحجة ٤/ ٦٤، وانظر: معاني القراءات ١/ ٤١٦، وإعراب القراءات ١/ ١٩٩، والحجة لابن خالويه ١٦٠، ولابن زنجلة ٢٩١، والكشف ١/ ٤٧١.

(٤) انظر: تفسير الطبري ٩/ ١٨.

(٥) في تنوير المقباس ٢/ ١١٧: (أي هدية تعطينا) اهـ.

(٦) ذكره السمين في الدر ٥/ ٤١٣، ٤١٤، عن الزمخشري ثم قال: «وهذا قد سبقه إليه الواحدي، والأظهر أن الجملة لا محلسلها من الإعراب؛ لأنها استئناف جواب لسؤال مقدر، ولذلك لم تعطف بالفاء» اهـ. وانظر: إعراب النحاس ١/ ٦٣١، والكشاف ٢/ ١٠٢.

وقرأ ابن كثير ونافع[١] : ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ مكسورة الألف على الخبر ، والاستفهام أحسن في هذا الموضع ؛ لأنهم يستعملون[٢] عن الأجر ، وليس يقطعون على أن لهم الأجر . ويقوي ذلك إجماعهم في الشعراء[٣] على الهمز للاستفهام ، وحجة ابن كثير ونافع أنهما أرادا همزة الاستفهام ، ولكنهما حذفا ذلك من اللفظ ، وكثيراً ما تحذف همزة الاستفهام من اللفظ ، وهي ثابتة في المعنى كقوله : ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾ [الشعراء : ٢٢] ، فذهب[٤] كثير من الناس إلى أن معناه : (أو تلك) الاستفهام[٥] وقد جاء ذلك في الشعر[٦] :

أَفْرَحُ أَنْ أُرْزَأَ الكِرَامَ وَأَنْ
أُوْرَثَ ذَوْداً شَصَائِصاً نَبَلاً[٧]

---

(١) قرأ ابن كثير ونافع وحفص عن عاصم ﴿إِنَّ لَنَا﴾ بهمزة واحدة مكسورة على لفظ الخبر ، وقرأ أبو عمرو بهمزة ممدودة ، والباقون بهمزتين على الاستفهام . انظر : السبعة ٢٨٩ ، والمبسوط ١٨٣ ، والتذكرة ١/ ١٥٢ـ١٥٤ ، والتيسير ١١٢ ، والنشر ١/ ٣٧٢ .

(٢) كذا في النسخ : (يستعملون) ، ولعلها : (يستعملون) أو يسألون .

(٣) آية الشعراء هي قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾[الشعراء :٤١] .

(٤) في (ب) : (يذهب) .

(٥) انظر : معاني الأخفش ٢/ ٤٢٦ ، ومعاني الزَّجَّاج ٤/ ٨٦ ، ٨٧ ، وتفسير الطبري ١٩/ ٦٨ ، ٦٩ ، وإعراب النحاس ٢/ ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، قال الأخفش «قوله : ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾ ، فيقال : هذا استفهام ، كأنه قال : أو تلك نعمة تمنها ، ثم فسر فقال : ﴿أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ ، وجعله بدلاً من النعمة» اهـ .

(٦) ما تقدم هو قول أبي علي في الحجة ٤/ ٦٥ ، ٦٦ ، انظر : معاني القراءات ١/ ٤١٧ ، وإعراب القراءات ١/ ٢٠٠ ، والحجة لابن خالويه ١٦١ ، والكشف ١/ ٤٧٢ .

(٧) الشاهد : لحضرمي بن عامر الأسدي في أمالي القالي ١/ ٦٧ ، واللسان (جزأ) ١/ ٦١٣ ، (وشص) ٧/ ٤٧ ، وبلا نسبة في العين ٨/ ٣٢٩ ، وأدب الكاتب ١٧٩ ، والكامل للمبرِّد ١/ ٦٢ ، والجمهرة ١/ ٣٧٩ ، والأضداد لابن الأنباري ٩٣ ، وتهذيب اللغة ٢/ ١٨٧٤ ، والصحاح (شص) ٣/ ١٠٤٣ ، ومقاييس اللغة ٥/ ٣٨٣ ، والدر المصون ١/ ٢٥٨ ، قال ابن منظور في اللسان (جزأ) ١/ ٦١٣ في شرحه للبيت : «شصائص جمع شصوص ، وهي الناقة قليلة اللبن ، نبلاً أي صغاراً ، يريد : أأفرح فحذف الهمزة على طريق الإنكار ؛ أي لا وجه للفرح بموت الكرام من إخواني لإرث شصائص لا ألبان لها» اهـ .

وقوله تعالى : ﴿إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ ، ﴿نَحْنُ﴾ يجوز أن يكون تأكيداً للضمير المتصل في ﴿كُنَّا﴾ ، ويجوز أن يكون فصلاً بين الخبر والاسم فلا موضع له حينئذٍ[(١)] .

١١٤. قوله تعالى : ﴿قَالَ نَعَمْ﴾ ، هذه إجابة من فرعون للسحرة في سؤالهم المال والأجر على الغلبة ، ووعد منه إياهم بذلك[(٢)] .

وقوله تعالى : ﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ ، معطوف على معنى الجملة ؛ كأنه قيل : نعم[(٣)] لكم ذلك ، ﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾[(٤)] . قال ابن عباس : «يريد : أشرككم في ملكي ، وأوليكم على أرضي»[(٥)] .

وقال الكلبي : «﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ عندي في المنزلة ، يعني : أول من يدخل علي وآخر من يخرج»[(٦)] .

وقال الزَّجَّاج : «أي ولكم من الأجر المنزلة الرفيعة عندي»[(٧)] .

١١٥. قوله تعالى : ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾ .

---

(١) انظر : البحر ٤/ ٣٦١ ، والدر المصون ٤١٤ ، ٤١٥ .

(٢) انظر : الطبري ٩/ ١٩ ، والسمرقندي ١/ ٥٦٠ .

(٣) لفظ : (نعم) ساقط من (ب) .

(٤) انظر : الفريد ٢/ ٣٤١ ، والبحر ٤/ ٣٦١ ، والدر المصون ٥/ ٤١٥ .

(٥) في تنوير المقباس ٢/ ١١٧ ، نحوه وأخرج الطبري ٩/ ١٩ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٣٥ ، بسند جيد عن ابن عباس قال : «قالوا : فما أجرنا إن غلبنا ؟ فقال لهم : أنتم قرابتي وخاصتي ، وأنا صانع إليكم كل شيء أحببتم» اهـ .

(٦) ذكره الثعلبي في تفسيره ٦/ ٦أ ، والبغوي ٣/ ٢٦٥ ، والخازن ٢/ ٢٧١ .

(٧) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٦٦ ، وفيه : (أي لكم مع الأجر المنزلة الرفيعة عندي) اهـ .

روى أبو العباس[(١)] عن سلمة[(٢)] عن الفرَّاء قال : «قال الكسائي في باب إِمَّا وأَمَّا : إذا كنت آمراً أو ناهياً أو مخبراً فهي مفتوحة ، وإذا كنت[(٣)] مشترطاً أو شاكاً أو مخيراً فهي مكسورة ، تقول من ذلك في المفتوحة : أَمَّا الله فاعبد[(٤)] ، وأما الخمر فلا تشربها ، وأما زيد فقد خرج ، وتقول[(٥)] في النوع الثاني إذا كنت مشترطاً : إِمَّا تعطينَّ زيداً فإنه يشكرك ، قال الله تعالى : ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ﴾ [الأنفال : ٥٧] .

وتقول في الشك : لا أدري من قام إِمَّا زيد وإِمَّا عمرو .

وتقول في التخيير[(٦)] : لي بالكوفة دار فإما أن أسكنها وإما أن أبيعها»[(٧)] ، والفرق بين (إما) إذا كانت للشك وبين (أو) : أنك إذا قلت : جاءني زيد أو عمرو ، فقد يجوز أن يكون بنيت كلامك على اليقين ، ثم أدركك الشك ، فقلت : أو عمرو . فصار الشك فيهما جميعاً .

فأول الاسمين[(٨)] في (أو) يجوز أن يكون خبراً يحسن السكوت عليه ، ثم يعترض الشك فيستدرك بالاسم الآخر ، ألا ترى أنك تقول : قام أخوك ، وتسكت ، ثم تشك فتقول : أو أبوك ، وإذا ذكرت (إِمَّا) فإنما تبني كلامك على

---

(١) أبو العباس : هو ثعلب أحمد بن يحيى ، إمام . تقدمت ترجمته .

(٢) سلمة بن عاصم البغدادي ، صاحب الفرَّاء ، إمام ، تقدمت ترجمته .

(٣) في (ب) : (وإذا كان) ، وهو تحريف .

(٤) في (أ) : (فاعبدوا) .

(٥) في (ب) : (فتقول) .

(٦) في تهذيب اللغة ١/ ٢٠٧ ذكر : «إذا كنت مخيراً أو مختاراً فهي المكسورة ، تقول في التخيير : تعلَّم إِمَّا الفقه وإِمَّا النحو ، وتقول في المختار : لي بالكوفة دار وأنا خارج إليها ، فإما أن أسكنها ، وإما أن أبيعها» .

(٧) تهذيب اللغة (إما ، وأما) ١/ ٢٠٧ ، وذكره والرازي ١٤/ ٢٠٢ ، عن الفرَّاء والكسائي .

(٨) في (أ) : (فالأول أسمين) ، وهو تحريف .

الشك من أوله، فليس يجوز أن تقول: ضربت إما[١] عبدالله وتسكت[٢]، وأما[٣] دخول (أن) في قوله: ﴿إِمَّآ أَن تُلْقِيَ﴾ [الأعراف: ١١٥] وسقوطها من قوله: ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٦]، فقال الفرَّاء: «أدخل ﴿أَن﴾ في ﴿إِمَّآ﴾ في هذه الآية؛ لأنه في موضع أمر بالاختيار، وهي في موضع نصب، كقول القائل: اختر ذا أو ذا. كأنهم قالوا: اختر أن تُلقي أو نلقي، وقوله تعالى: ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ ليس[٤] فيه أمر بالتخيير؛ ألا ترى أن الأمر لا يصلح هاهنا فلذلك لم يكن فيه أن»[٥]؟

وأما التفسير فقوله: ﴿إِمَّآ أَن تُلْقِيَ﴾، فقال ابن عباس: «يريد: عصاه ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾؛ أي ما معنا من الحبال والعصي»[٦]، فمفعول الإلقاء محذوف من الموضعين جميعاً[٧].

---

(١) في (ب): (أبا)، وهو تحريف.

(٢) ما تقدم هو قول الفرَّاء في معانيه ١/ ٣٨٩، وانظر: الكتاب ١/ ٩٥، ١٤٢، و٣/ ٣٣٢، و٤/ ٢٣٥، وحروف المعاني ٦٣، ٦٤، ومعاني الحروف ١٢٩-١٣١، والصاحبي ٢٠٦، والمغني لابن هشام ١/ ٥٥، ٦١.

(٣) في (ب): (في أما).

(٤) لفظ: (ليس) ساقط من (ب)، قال الهمداني في الفريد ٢/ ٣٤١: «دخلت (أن) في آية الأعراف؛ لأنه أمر، كأنه قيل: اختر إما أن تلقي أنت وإما نحن، والأمر مستقبل و(أن) عَلَم للاستقبال، فدخلت لتحقيق هذا المعنى، ولم تدخل في آية التوبة؛ لأنه خبر والخبر لم يحتج إلى أن» اهـ. ملخصاً.

(٥) معاني الفرَّاء ١/ ٣٨٩، وقال السمين في الدر ٥/ ٤١٥، ٤١٦: «إنما أتى هنا بأن المصدرية بخلاف آية التوبة؛ لأن (أن) وما بعدها هنا إما مفعول وإما مبتدأ، والمفعول به والمبتدأ لا يكونان فعلاً صريحاً بل لا بد أن ينضم إليه حرف مصدري يجعله في تأويل اسم، وأما آية التوبة فالفعل بعد إما، إما خبر ثانٍ لـ(آخرون) وإما صفة له، والخبر والصفة يقعان جملة فعلية من غير حرف مصدري» اهـ.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٣٥، بسند جيد.

(٧) انظر: إعراب النحاس ١/ ٦٣١، وقال السمين في الدر ٥/ ٤١٦: «حذف مفعول الإلقاء للعلم به، والتقدير: إما أن تلقي حبالك وعصيك؛ لأنهم كانوا يعتقدون أن يفعل كفعلهم، أو نلقي حبالنا وعصينا» اهـ.

١١٦. قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلْقُواْ﴾، يقال على هذا: لم جاز أن يأمرهم موسى بالإلقاء، وهو كفر منهم؟

والجواب: إن معناه: ألقوا إن كنتم محقين، وألقوا على ما يصح، ويجوز دون ما يفسد[١] ولا يجوز[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ﴾، يعني: تلك العصي والحبال، وهي مذكورة في قوله: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ﴾ [طه: ٦٦] في سورة طه.

وقوله تعالى: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾. قال ابن عباس: «يريد: حيث رأوها حيات»[٣]، قال العلماء من أصحاب المعاني[٤]: «﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾؛ أي قلبوها عن صحة إدراكها بما تخيل من الأمور المموّهة بلطف الحيلة التي تجري مجرى الخفَّة والشعبذة مما لا يرجع إلى حقيقة، والمُحدث في العين ذلك التخيل هو الله -عز وجل- عندما أظهروا من تلك المخاريق، إلا أنه منسوب إليهم؛ لأنهم عرضوها بها لو لم يعملوه لم يقع، كمن جعل طفلاً تحت الثلج، فهو القاتل له في الحكم، والله خلق الموت فيه وأماته»[٥].

---

(١) في (أ): (ما يفسده)، وهو تحريف.

(٢) وقيل: إن هذا تهديد؛ أي ابتدئوا بالإلقاء، فسترون ما يحل بكم من الافتضاح، وقيل: أمرهم بذلك ليبين كذبهم وتمويههم، انظر: تفسير والرازي ١٤/ ٢٠٣، والقرطبي ٧/ ٢٥٩.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) لفظ: (المعاني) ساقط من (ب).

(٥) انظر: تفسير والرازي ١٤/ ٢٠٣، وفيه قال: «قال الواحدي بل المراد ﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾؛ أي قلبوها عن صحة إدراكها بسبب تلك التمويهات» اهـ.

وقوله تعالى : ﴿وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ . قال المبرِّد : «أرهبوهم ، والسين زائدة»[١] . وكذلك قال المؤرج : «أفزعوهم»[٢] .

وقال الزَّجَّاج : «أي استدعوا رهبة الناس حتى رهبهم الناس»[٣] .

وقوله تعالى : ﴿وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ . قال أهل التفسير : «وذلك أنهم ألقوا حبالاً غلاظاً وخشباً طوالاً ، فإذا هي حيات قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضاً»[٤] .

قال أهل المعاني : «قوله :﴿بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ ؛ أي عظيم الشأن عند من يراه من الناس بما يملأ الصدر بهوله ، ويوفي على غيره من السحر ببعد مرام الحيلة فيه وشدة التمويه به ، فهو لذلك عظيم» .

١١٧. قوله تعالى : ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ . قال ابن عباس : « يريد : وألهمنا موسى ﴿أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾»[٥] ، ﴿فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ﴾ ؛ أي فألقاها ﴿فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ﴾ ، وقرأ حفص[٦] : ﴿تَلْقَفُ﴾ مخففاً .

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢١٨ ، والرازي ١٤/ ٢٠٣ ، والسمين في الدر ٥/ ٤١٦ .

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢١٨ .

(٣) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٦٦ ، ومثله ذكر النحاس في معانيه ٣/ ٦٣ ، وانظر : مجاز القرآن ١/ ٢٢٥ ، وتفسير غريب القرآن ١/ ١٧٩ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٩/ ٢٠ ، وأخرج عن السدي وابن إسحاق والقاسم بن أبي بزة بسند جيد نحوه . وانظر : تفسير السمرقندي ١/ ٥٦٠ .

(٥) ذكره الرازي في تفسيره ١٤/ ٢٠٤ ، عن الواحدي عن ابن عباس .

(٦) قرأ حفص عن عاصم ﴿تَلْقَفُ﴾ بإسكان اللام وتخفيف القاف ، وقرأ الباقون بفتح اللام وتشديد القاف . انظر : السبعة ٢٩٠ ، والمبسوط ١٤٨ ، والتذكرة ٢/ ٤٢٣ ، والتيسير ١١٢ ، والنشر ٢/ ٢٧١ ، وانظر في : توجيه القراءات معاني القراءات ١/ ٤١٨ ، وإعراب القراءات ١/ ٢٠٠ ، والحجة لابن زنجلة ٢٩٢ ، والكشف ١/ ٤٧٣ .

قال ابن السكيت : «اللقف[١] مصدر لقفْت الشيء ألقفه لقفاً إذا أخذته فأكلته أو ابتلعته ، ورجل ثقف لقف سريع الأخذ»[٢] .

وقال اللحياني : «ومثله ثقْف لَقْفُ ، وثَقِف[٣] لقف ، وثقيف لقيف بين الثقافة واللقافة»[٤] . قال الفرَّاء : «لقِفت الشيء ألقفه لقفاً ولقفاناً» . قال : «وهو في التفسير يبتلع»[٥] .

وقال الليث : «لقفني تلقيفاً فلقفته والتَقَفْتُه وتلقَّفْتُه»[٦] .

وقال أبو عبيدة : «تلقف وتلقم واحد»[٧] ، وأنشد :

أنت عَصَا موسى الَّتي لمْ تَزَلْ
تلقفُ ما يأْفِكُهُ السَّاحرُ[٨]

---

(١) انظر : جمهرة اللغة ٢/ ٩٦٦ ، والصحاح ٤/ ١٤٢٨ ، والمجمل ٣/ ٨١٢ ، والمفردات ٧٤٤ ، واللسان (لقف) ٧/ ٤٠٦٢ .

(٢) تهذيب اللغة ٤/ ٣٢٨٨ ، وفيه ويقال : «رجل ثقف لقف إذا كان ضابطاً لما يحويه قائماً به» اهـ . وانظر : إصلاح المنطق ٦٤ .

(٣) في (أ) : «وثقف ولقف» ، وهو تحريف .

(٤) في تهذيب اللغة ١/ ٤٨٩ : (روى أبو عبيد عن الأحمر ، إنه لثَقْف لَقْف ، وثَقِف لَقِف ، وثقيف لقيف بين الثقافة واللقافة) اهـ . وذكره الرازي في تفسيره ١٤/ ٢٠٤ ، عن اللحياني .

(٥) معاني الفرَّاء ١/ ٣٩٠ ، وتهذيب اللغة ٧/ ٤٠٦٢ .

(٦) تهذيب اللغة ٧/ ٤٠٦٢ وفيه : (لقَّفني تلقِيفاً فلقفْتُه والتَقفْتُه) اهـ . وفي العين ٥/ ١٦٤ : (لقفني تلقيفاً فلقفته وتلَقَّفْتُه والتَقَفْتُه أعم) اهـ .

(٧) الحجة لأبي علي ٤/ ٦٦ ، وفي مجاز القرآن ١/ ٢٢٥ : (أي تلهم ما يسحرون ويكذبون ؛ أي تلقمه) اهـ .

(٨) لم أقف على قائله ، وهو في معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٦٦ ، وتفسير الماوردي ٢/ ٢٤٦ ، والقرطبي ٧/ ٢٦٠ ، والدر المصون ٥/ ٤١٧ .

قال ابن عباس في قوله: ﴿تَلْقَفُ﴾ «يريد: تبتلع»[١].

قال المفسرون: «لما ألقى موسى العصا صارت حية عظيمة حتى سدت الأفق، ثم فتحت فاها ثمانين ذراعاً، وابتلعت ما ألقوا من حبالهم وعصيهم»[٢].

وقوله تعالى: ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾. معنى الإفك في اللغة: قلب الشيء عن وجهه، ومنه قيل للكذب: إفك؛ لأنه مقلوب عن وجهه[٣]. قال ابن عباس: ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾[٤] «يريد: يكذبون»[٥].

وقال الزَّجَّاج: «معنى ﴿يَأْفِكُونَ﴾: يأتون بالإفك[٦]: وهو الكذب، وذلك أنهم زعموا أن عصيهم وحبالهم حيات، وكذبوا في ذلك، إنما جعلوا فيها الزئبق وصوَّروها بصور الحيات، فاضطرب الزئبق لأنه لا يستقر. قال الله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾»[٧] [طه: ٦٦].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٣٦، بسند جيد.

(٢) انظر: تفسير الطبري ٩/ ٢١. وقد أخرج عن قتادة والسدي وابن إسحاق، والقاسم بن أبي بزة، وابن عباس نحوه.

(٣) انظر: العين ٥/ ٤١٦، وتهذيب اللغة ١/ ١٧٤، والصحاح ٤/ ١٥٧٢، والمجمل ١/ ٩٩، ومقاييس اللغة ١/ ١١٨، والمفردات ٧٩، واللسان (إفك) ١/ ٩٧.

(٤) لفظ: (ما) ساقط من (ب).

(٥) ذكره الرازي في تفسيره ١٤/ ٢٠٤.

(٦) في (ب): (يأتون في الأفك).

(٧) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٦٦.

١١٨. قولــه تعــالى : ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ﴾ . قال مجاهــد : «ظهــر»[١] ، وهو قول الحسن[٢] وغيره[٣] ، وقال الفرَّاء : «فتبيّن الحق من السحر»[٤] .

قال أهل المعاني : «الوقوع : ظهور الشيء بوجوده نازلاً إلى مستقره»[٥] .

قال المفسرون : «وذلك أن السـحرة قالوا : لو كان ما صنع موسـى سحراً لبقيت حبالنـا وعصينا ، وعادت إلى حالها الأولى ولم تُفقد ، فلما فُقدت علموا أن ذلك أمر من أمر الله تعالى ، فذلـك قوله : ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾»[٦] . ﴿مَا﴾ يجوز أن يكون بمعنى (الذي) ، فيكون المعنى : بطل الحبال والعصي الذي عملوا به السحر ؛ أي زال وذهب بفقدانها ، ويجوز أن يكون بمعنى المصدر ، كأنه قيل : بطل عملهم[٧] .

١١٩. قولــه تعالى : ﴿فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ﴾ ، قــال ابن عبــاس : «يريد : فرعون وملأه وجيشــه»[٨] ، ومعنى ﴿هُنَالِكَ﴾ ؛ أي عند ذلك المجمع ، وهو ظرف مبهم ، (وهنا ، وهنــاك ، وهنالك) ، كقولــك : (ذا) (وذاك) (وذلك)[٩] ، ودخلت اللام في (هنالك) للدلالة على بعد المكان المشار

---

(١) تفسير مجاهد ١/ ٢٤٢ ، وأخرجه الطبري ٩/ ٢٢ من طرق جيدة عدة .

(٢) ذكره الماوردي في تفسيره ٢/ ٢٤٦ ، والواحدي في الوسيط ١/ ٢١٩ ، والبغوي ٣/ ٢٦٥ ، والرازي ١٤/ ٢٠٥ ، عن مجاهد والحسن .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٣٦ ، بسند جيد عن ابن عباس .

(٤) معاني الفرَّاء ١/ ٣٩١ .

(٥) انظر : تفسير والرازي ١٤/ ٢٠٥ .

(٦) هذا قول الفرَّاء في معانيه١/ ٣٩١ .

(٧) انظر : الفريد ٢/ ٣٤٢ ، والدر للسمين ٥/ ٤١٧ ، ونقل قول الواحدي الرازي في تفسيره ١٤/ ٢٠٥ .

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٣٦ ، بسند جيد .

(٩) انظر : الكتاب ٢/ ٧٨ ، وقال السمين في الدر ٥/ ٤١٨ : «هنالك يجوز أن يكون مكاناً ؛ أي غلبوا في المكان الذي وقع فيه سحرهم ، وهذا هو الظاهر . قيل : ويجوز أن يكون زماناً ، وهذا ليس أصله ، وقد أثبت له بعضهم هذا المعنى . . . .» اهـ . ملخصاً .

إليه، كما دخلت في (ذلك) لبعد المشار إليه، (فهناك) لما بعد قليلاً، (وهنالك) لما كان أشد بعداً، والكاف للمخاطبة.

وقوله تعالى: ﴿وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ﴾؛ أي انصرفوا ذليلين، والصاغر: الذليل من الصغر والصَّغار، وقد ذكرنا ذلك[(١)].

١٢٠. قوله تعالى: ﴿وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾. قال ابن عباس: «يريد: خروا لله عابدين سامعين مطيعين»[(٢)].

وقال مقاتل: «ألقاهم الله ساجدين»[(٣)].

وقال الأخفش: «من سرعة ما سجدوا كأنهم أُلقوا؛ لأنهم لم يتمالكوا أن وقعوا ساجدين، وكأن ملقياً ألقاهم»[(٤)].

وقال غيره[(٥)]: «ألقاهم ما رأوا من عظيم آيات الله عز وجل؛ بأن دعاهم إلى السجود له».

١٢١. قوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، قيل في التفسير: «إن موسى قال للسحرة: أتؤمنون بي إن غلبتكم؟ فقالوا: لنأتين اليوم بسحر لا

---

(١) سورة الأنعام، الآية [١٢٤].

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢١٩.

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف ٦/ ٦ ب، والبغوي ٣/ ٢٦٦، وفي تفسير مقاتل ٢/ ٥٤: قال: «﴿وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾ لله» اهـ.

(٤) ذكره السمرقندي في تفسيره ١/ ٥٦١، والثعلبي ٦/ ٦ ب، والبغوي ٣/ ٢٦٦، ولم أقف عليه في معانيه.

(٥) هذا قول الطبري في تفسيره ٩/ ٢٢، وانظر: تفسير الماوردي ٢/ ٢٤٦.

يغلبه سـحر ، ولئن غلبتنا لنؤمنن بـك ، فلما غلبهم ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾»[١] .

١٢٢. قوله تعالى : ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ . إنما خصهما بالذكر بعد دخولهما في جملة العالمين ؛ لأن فيه معنى الذي دعا إلى الإيمان به موسـى وهارون ، وقيـل : خصهما بالذكـر تفضيلاً وتشريفـاً ، كقوله : ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة : ٩٨] .

وقيل في التفسـير : «إنهم لما ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ، قال لهم فرعون : إياي يعنون . قالوا : ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾»[٢] .

١٢٣. قوله تعالى : ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾ . قال الكلبي : «يقول : صدقتم بموسـى من قبل أمري إياكـم»[٣] . ونحو ذلك قال الفرَّاء[٤] .

وفي (أامنتم) ثلاثة أوجـه من القراءة[٥] ؛ أحدهـا : تحقيق الهمزتين ، وهو مذهب أهل الكوفـة ، وأصل ﴿ءَامَنتُم﴾ آآمنتم عـلى (أفعلتم) إحدى الهمزتين للإفعـال ، والثانية ألفان ، فخففـت الثانية ، فدخلت هاهنا همزة الاسـتفهام ،

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٩/ ٢٢ ، عن ابن عباس ، وابن مسعود ، وناس من أصحاب رسول الله ﷺ .

(٢) ذكره السمرقندي في تفسيره ١/ ٥٦١ ، والثعلبي ٦/ ٦ ب ، والبغوي ٣/ ٢٦٦ .

(٣) تنوير المقباس ٢/ ١١٨ ، وهو قول مقاتل في تفسيره ٢/ ٤٥ ، وذكره عن مقاتل الثعلبي ٦/ ٧ أ ، والبغوي ٣/ ٢٦٦ .

(٤) معاني الفرَّاء ١/ ٣٩١ .

(٥) قرأ حفص عن عاصم ﴿ءَامَنتُم﴾ بهمزة واحدة غير ممدودة على لفظ الخبر ، وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم (أءامنتم) بهمزتين ، وقرأ الباقون : (ءآمنتم) بهمزة واحدة ممدودة . انظر : السبعة ٢٩٠ ، والمبسوط ١٨٤ ، والتذكرة ٢/ ٤٢٣ ، والتيسير ١١٢ ، والنشر ١/ ٣٦٨ .

واجتمعت مع همزة أفعل فحققهما الكوفيون ، وقرأ أبو عمرو ونافع بهمزة بعدها ألف ممدودة تكون في التقدير ألفين ، فالهمزة همزة الاستفهام ، والألفان الأولى منهما الهمزة التي هي في[1] أفعلتم خففت ، والثانية[2] المنقلبة عن فاء الفعل .

وقرأ حفص : ﴿ءَامَنتُم﴾ بلفظ الخبر من غير مد ، ووجه[3] الخبر أنه يخبرهم بإيمانهم على وجه التقريع لهم[4] ، والإنكار عليهم ، وكذلك أيضاً وجه الاستفهام يوبخهم به ، وينكره عليهم[5] .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ . قال الكلبي : «لصنيع صنعتموه في ما بينكم وبين موسى في مصر قبل خروجكم إلى هذا الموضع»[6] ؛ أي إنكم تواطأتم على هذا الأمر لتستولوا على مصر ؛ فتخرجوا منها أهلها وتتغلبوا عليها بسحركم .

وقوله تعالى : ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ، قال ابن عباس : «يريد تهدداً[7] منه للذين آمنوا بالله»[8] .

---

(١) لفظ : (في) ساقط من (ب) .
(٢) في : (أ) : (والثالثة) ، وهو تحريف .
(٣) في (ب) : (ولفظ الخبر) .
(٤) لفظ : (لهم) ساقط من (ب) .
(٥) هذا قول أبي علي في الحجة ٤/ ٦٨-٧١ . وانظر : معاني القراءات ١/ ٤١٩ ، وإعراب القراءات ١/ ٢٠١ ، والحجة لابن خالويه ١٦١ ، ولابن زنجلة ٢٩٣ ، والكشف ١/ ٤٧٣ .
(٦) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢١٩ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٤٣ .
(٧) في (ب) : (يريد تهديداً) .
(٨) لم أقف عليه .

قال أهل المعاني : «معنى التهديد في هذا اللفظ : أن فيه معنى أقدمتم بالجهل على سبب الشر ، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ما[١] يظهر لكم مما[٢] يؤدي إليه إقدامكم على ما فعلتم ، وهذا أبلغ من الإفصاح به»[٣] .

١٢٤. قوله تعالى : ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ ﴾ الآية . استعمل لفظ التقطيع هاهنا لمكان الأيدي وهي جمع .

وقوله تعالى : ﴿وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ . قال عبدالعزيز بن يحيى : «على مخالفة ، وهو أن يقطع من كل شق طرف ، كاليد اليمنى مع الرجل اليسرى»[٤] . قال سعيد بن جبير : «وفرعون أول من فعل ذلك»[٥] .

١٢٥. قوله تعالى : ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ . هذا جواب السحرة لفرعون لما توعدهم بالقطع والصلب . قال ابن عباس في هذه الآية : «يريد : راجعون إلى ربنا بالتوحيد والإخلاص»[٦] .

وقال غيره[٧] : «راجعون إلى ثواب ربنا وجنته ، ولكنه فخم بالإضافة إلى : لله ، وهذا يدل على أنهم صبروا على وعيده بما توقعوا من الله تعالى من عظيم الثواب» .

---

(١) في (ب) : (من) .
(٢) في (ب) : (ما) .
(٣) انظر : تفسير الطبري ٩/ ٢٣ .
(٤) لم أقف عليه .
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٣٧ ، بسند جيد ، وذكره الثعلبي ٦/ ٧أ ، وأخرجه الطبري ٩/ ٢٣ ، بسند لا بأس به عن سعيد بن جبير عن ابن عباس .
(٦) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢٢٠ .
(٧) انظر : تفسير الطبري ٩/ ٢٤ ، والسمرقندي ١/ ٥٦١ .

١٢٦. قوله[١] تعالى: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا﴾.
يقال: نقمتُ، أنقِم إذا بالغت في كراهية الشيء، وقد مرَّ عند قوله: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ﴾ [المائدة: ٥٩].

قال[٢] عطاء عن ابن عباس: «يريد: ما لنا عندك من ذنب، ولا ركبنا منك مكروهاً تعذبنا عليه ﴿إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا﴾»[٣].

وقال الضحاك: وما تطعن علينا[٤] ﴿إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا﴾؛ أي إلا إيماننا ﴿بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا﴾. يعنون: ما أتى به موسى من الآيات في العصا واليد، آمنوا بها أنها من عند الله لا يقدر على مثلها إلا الله تعالى[٥].

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾، معنى الإفراغ في اللغة: الصَّب، يقال: درهم مُفْرَغ إذا كان مصبوباً في قالب ليس بمضروب، وأصله من إفراغ الإناء، وهو صب ما فيه أجمع حتى يخلو الإناء، وهو من الفراغ، فاستعمل في الصب على التشبيه بحال إفراغ الإناء[٦].

قال مجاهد: «اصبب علينا الصبر عند الصلب والقطع حتى لا نرجع كفاراً»[٧].

---

(١) في (ب): (وقوله).
(٢) في (ب): (وقال).
(٣) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢٢٠، والرازي ١٤/ ٢٠٩، وذكره الثعلبي في الكشف ٦/ ٧ أ، والبغوي ٣/ ٢٦٦ من قول عطاء فقط.
(٤) ذكره الثعلبي في الكشف ٦/ ٧ أ، والبغوي ٣/ ٢٦٦.
(٥) انظر: تفسير الطبري ٩/ ٢٤، والسمرقندي ١/ ٥٦١.
(٦) انظر: العين ٤/ ٤٠٨، وتهذيب اللغة ٣/ ٢٧٧٧، والصحاح ٤/ ١٣٢٤، ومقاييس اللغة ٤/ ٤٩٣، والمفردات ٦٣٢، واللسان (فرغ) ٦/ ٣٣٩٦.
(٧) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢٢٠، وابن الجوزي ٣/ ٢٤٣، والرازي ٤/ ٢٠٩.

وقـال الزَّجَّاج : «أي أنزل علينا صبراً يشـتمل علينـا»(١) ، وإنما ذكر لفظ الاشتمال لمعنى(٢) الإفراغ ، وهو أنك إذا صببت شيئاً على شيء شمله وعمَّه .

وقوله تعالى : ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ . قال مجاهد : «مخلصين بالعبادة»(٣) .

وقال ابن كيسان : «أي على دين موسى»(٤) .

١٢٧. قوله تعـالى : ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ الآيـة . هذا إغراء من الملأ وتحريض لفرعون على موسـى ، وإنكار أن يتركه مقيماً على مخالفته .

قال سـعيد بن جبير : «كان فرعون قد مُلئ رعباً من موسـى ، وكان إذا رآه بال كما يبول الحمار ، ولم يعلم قوم فرعون ذلك الرعب من فرعون ، فأنكروا عليه خلاف عادة الملوك في السطوة لمن خالف عليهم وشقِّ العصا ، ولم يعلموا أنه غير قادر على قهره»(٥) .

وقوله تعـالى : ﴿لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ . قال ابن عباس : «يريد : يعبدوا الله ويوحدوه»(٦) .

---

(١) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٦٧ ، ومثله ذكر النحاس في معانيه ٣/ ٦٤ .

(٢) في (ب) : (بمعنى) .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) تنوير المقباس ٢/ ١١٩ .

وقال غيره: «أراد بالإفساد في الأرض دعاءهم الناس إلى مخالفة فرعون في عبادته وتجهيلهم إياه»[١]، وهذا راجع إلى ما قاله ابن عباس؛ لأن عبادة الله وتوحيده تتضمن مخالفة فرعون وتجهيله.

وقوله تعالى: ﴿وَيَذَرَكَ﴾. قال ابن الأنباري: «إنه ينتصب على الصرف[٢] عن الأول، يراد به ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، وقد ترك أن يطيعك وأن يعبد آلهتك». وهذا قول الفرَّاء[٣]، واحتج على هذا بقراءة أُبيٍّ: «أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض، وقد تركوا أن يعبدوك»[٤].

قال أبو بكر: «وقال بعض النحويين: الواو نائبة عن الفاء، والتقدير: فيذرك وآلهتك»[٥]، وهذا قول أبي إسحاق، قال: «نصب ﴿وَيَذَرَكَ﴾ على جواب الاستفهام بالواو، والمعنى: أيكون منك أن تذر موسى وأن يذرك موسى»[٦]. قال أبو بكر: «وحمله بعض الناس على إعراب (يُفسدوا)، وفي هذا بُعدٌ؛ لأن توحيده مع جمع (يفسدوا) يدل على انقطاعه منه»[٧].

---

(١) انظر: تفسير الطبري ٩/ ٢٤، ٢٥، والسمرقندي ١/ ٥٦٢، والماوردي ٢/ ٢٤٨.

(٢) واو الصرف: هي واو المعية عند الكوفيين. انظر: معجم المصطلحات النحوية والصرفية ١٢٥.

(٣) انظر: معاني الفرَّاء ١/ ٣٩١، وهو قول الطبري في تفسيره ٩/ ٢٥.

(٤) ذكر القراءة أيضاً عن أُبيٍّ: أبو عبيد في فضائل القرآن ١٢٧، والطبري في تفسيره ٩/ ٢٥، والنحاس في إعراب القرآن ١/ ٦٣٢، وابن عطية ٦/ ٤٢، والقرطبي ٧/ ٢٦٢، وأبو حيان في البحر ٤/ ٣٦٧، وجاء عند الجميع إلا النحاس (وقد تركوك أن يعبدوك).

(٥) انظر: الإيضاح لابن الأنباري ٢/ ٦٦٣، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢٢١، وانظر: معاني القراءات ١/ ٤١٩، ٤٢٠.

(٦) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٦٧، وانظر: إعراب النحاس ١/ ٦٣٢.

(٧) قال ابن الأنباري في الإيضاح ٢/ ٦٦٣: «قال اليزيدي ﴿وَيَذَرَكَ﴾ منصوب على معنى: ﴿لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وليذرك وآلهتك» اهـ. وقال السمين في الدر ٥/ ٤٢٣: «في النصب وجهان: أظهرهما أنه على العطف على ﴿لِيُفْسِدُوا۟﴾، والثاني: النصب على جواب الاستفهام» اهـ.

وقوله تعالى : ﴿وَءَالِهَتَكَ﴾ . قال أبو بكر : «كان ابن عباس ينكر قراءة العامة ، ويقرأ : (وإلاهتك) ؛ أي عبادتك ، ويقول :[١] إن فرعون كان يُعبد ولا يَعبد»[٢] ، وبه قرأ الضحاك وابن مسعود والشعبي وابن أبي إسحاق[٣] .

قال الزَّجَّاج : «والمعنى : ويذرك وربوبيتك (فإلاهتك) بمنزلة ربوبيتك»[٤] . وقرأ العامة : ﴿وَءَالِهَتَكَ﴾ على جمع إله مثل إزار وآزرة ، وقد مرَّ مستقصىً شرحه في أول الكتاب[٥] ، وعلى هذه القراءة فقد روي عن ابن عباس أنه قال : «كان فرعون قد صنع لقومه أصناماً صغاراً ، وأمرهم بعبادتها ، وقال : أنا ربكم ورب هذه الأصنام ، فذلك قوله : ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[٦] [النازعات : ٢٤] ، ونحو ذلك قال الزَّجَّاج ، فقال : «إن فرعون كان له أصنام يعبدها قومه تقرباً إليه»[٧] .

وقال الحسن : «كان فرعون يعبدالأصنام»[٨] ، فعلى هذا كان يَعبد ويُعبد . وقال السدي : «كان يعبد ما يستحسن من البقر ، وكانوا إذا رأوا بقرة حسناء ،

---

(١) أخرج الطبري ٩/ ٢٥ ، ٢٦ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٣٨ من طرق جيدة عن ابن عباس أنه قرأ : ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ بكسر الألف ، وقال : «إنما كان فرعون يُعْبدُ ولا يَعْبُدُ» اهـ . وأخرج أبو عبيد في فضائل القرآن ١٧٢ ، القراءة بسند جيد ، وانظر : الدر المنثور ٣/ ٢٠٠ .

(٢) ذكره عن ابن الأنباري السمين في الدر ٥/ ٤٢٤ ، وانظر : تفسير والرازي ١٤/ ٢١١ .

(٣) ذكرها الثعلبي في الكشف ٦/ ٧ ب ، ٦/ ٨ أ عن ابن مسعود وابن عباس وابن أبي إسحاق والضحاك والشعبي ، وذكرها البغوي ٣/ ٢٦٧ ، والخازن ٢/ ٢٧٣ ، عن ابن مسعود وابن عباس والشعبي والضحاك ، وذكرها عن ابن مسعود وابن عباس أكثرهم . انظر : مختصر الشواذ ٥٠ ، والمحتسب ١/ ٢٥٦ ، وابن عطية ٦/ ٤٣ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٤٤ ، والبحر ٤/ ٣٦٧ وهي قراءة مجاهد كما أخرجه الطبري ٩/ ٢٦ ، بسند جيد .

(٤) لم أقف عليه في معانيه ، وذكره عن الزَّجَّاج ابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٢٤٤ .

(٥) انظر : البسيط ، تفسير البسملة من الفاتحة .

(٦) ذكره الثعلبي في الكشف ٦/ ٧ ب ، وابن الجوزي ٣/ ٢٤٤ ، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢٢١ من رواية الكلبي عن ابن عباس .

(٧) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٦٧ .

(٨) أخرجه الطبري ٩/ ٢٥ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٣٨ من طرق جيدة عدة ، وذكره الثعلبي ٦/ ٧ب ، والماوردي ٢/ ٢٤٨ ، والبغوي ٣/ ٢٦٧ .

أمر قومه أن يعبدوها ، وعلى ذلك أخرج السامري عجلاً»[١] ، ونحو هذا روي عن سليمان التيمي[٢] .

وقوله تعالى : ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ﴾ . قال ابن عباس : «كان فرعون قد ترك قتل أبناء بني إسرائيل ، فلما أتاه موسى بالرسالة- وكان من أمره ما كان- أمر بإعادة القتل عليهم ، فذلك قوله : ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ﴾[٣]» .

قال أهل المعاني : «إنما دعي فرعون إلى قتل موسى ، لكنه لم يطمع في ذلك لما رأى من قوة أمره وعلوِّ شأنه ، فعدل عن ذلك إلى إضعاف بني إسرائيل بقتل أبنائهم واستحياء نسائهم للمهنة والخدمة»[٤] .

وقوله تعالى : ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَـٰهِرُونَ﴾ ، قال ابن عباس : «يريد : وإنَّا على ذلك قادرون»[٥] .

١٢٨. قوله تعالى : ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ ، وهم الذين اتبعوه وآمنوا به . قال ابن عباس : «لما آمنت السحرة اتبع موسى ستمائة ألف من بني إسرائيل» ، ﴿ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ﴾ «وذلك أنهم شكوا إلى موسى إعادة قتل أبنائهم ، فقال موسى : ﴿ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ﴾ على ما يفعل بكم» . قاله ابن عباس[٦] .

---

(١) أخرجه الطبري ٩/ ٢٥ ، بسند جيد .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٣٨ ، بسند جيد ، وذكره النحاس في معانيه ٣/ ٦٥ .

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف ٦/ ٨ أ ، والواحدي في الوسيط ١/ ٢٢١ ، والبغوي ٣/ ٢٦٧ .

(٤) انظر : تفسير الماوردي ٢/ ٢٤٨ ، والرازي ١٤/ ٢١١ ، ٢١٢ .

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢٢١ .

(٦) ذكره الثعلبي في الكشف ٦/ ٨ أ ، والبغوي ٣/ ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، وأخرج الطبري ٩/ ٢٧ بسند ضعيف عن ابن عباس قال : «لما آمنت السحرة اتبع موسى ستمائة ألف من بني إسرائيل» اهـ .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ . هذا إطماع من موسى قومه في أن يورثهم الله أرض فرعون وقومه ؛ أي يعطيهم بعد إهلاكهم ، وذلك معنى الإرث ، وهو جعل الشيء للخلف بعد السلف .

وقوله تعالى : ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ . قال ابن عباس : «أي الجنة لمن اتقى الله في الآخرة»(١) .

وقال غيره : «العاقبة(٢) هاهنا النصر والظفر»(٣) ، ومعنى العاقبة : ما تؤدي إليه البادئة(٤) من خير أو شر ، إلا أنه إذا قيل : العاقبة له ، فهو في الخير(٥) .

١٢٩. قوله تعالى : ﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا﴾ . قال ابن عباس : «أي بالقتل الأول ، ﴿قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا﴾ بالرسالة ، ﴿وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ بإعادة القتل عليهم والإتعاب في العمل» . ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾ ، قال(٦) : « وعسى من الله واجب»(٧) ، قال سيبويه : «عسى(٨) طمع وإشفاق»(٩) . قال

---

(١) تنوير المقباس ٢/ ١١٩ ، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢٢١ .

(٢) في (ب) : (وقال غيره معنى العاقبة) ، وهو تحريف .

(٣) هذا قول الثعلبي في الكشف ٦/ ٨ أ ، والبغوي ٣/ ٢٦٧ ، وانظر : الماوردي ٢/ ٢٤٩ ، والظاهر من الآية مجموع الأمرين النصر والظفر والجنة .

(٤) في (ب) : (التادية) .

(٥) انظر : تهذيب اللغة ٣/ ٢٥٠٤ ، واللسان (عقب) ٥/ ٣٠٢٢ ، وقال الراغب في المفردات ٥٧٥ : «العاقبة إطلاقها يختص بالثواب ، وبالإضافة قد تستعمل في العُقوبة» اهـ .

(٦) لفظ : (قال) ساقط من (ب) .

(٧) تنوير المقباس ٢/ ١٢٠ ، وأخرج البيهقي في سننه ٩/ ١٣ بسند جيد عنه ، قال : «كل عسى في القرآن فهي واجبة» اهـ . وذكره السيوطي في الإتقان ٢/ ٢٤١ .

(٨) في (ب) : (وعسى) .

(٩) الكتاب ٤/ ٢٣٣ .

الزَّجَّاج : «وما يطمع الله -عز وجل- فيه فهو واجب ، وهو معنى قول المفسرين : عسى من الله واجب»[١] .

وقوله تعالى : ﴿أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾ ، يعني : فرعون وقومه . ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ، قال ابن عباس : «يملككم ما كان يملك فرعون»[٢] .

وقوله تعالى : ﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ . قال أبو إسحاق : «أي يرى ذلك بوقوع ذلك منكم ؛ لأن الله لا[٣] يجازيهم على ما يعلمه منهم ، إنما يجازيهم على ما يقع منهم»[٤] ، وهذه الآية تسلية من موسى لقومه بما وعدهم عن ربه من إهلاك فرعون وقومه ، وجعلهم بدلاً منهم ليعملوا بطاعته ، ثم حقق الله ذلك ، فغرق فرعون وقومه ، واستخلفهم في ديارهم وأموالهم .

١٣٠. قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ الآية . السنين : جمع السنة[٥] ، وقد ذكرنا[٦] كيف كانت السنة في الأصل والاختلاف فيها عند قوله : ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [البقرة : ٢٥٩] .

---

(١) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٦٧ ، وانظر : مجاز القرآن ١/ ٢٢٥ .

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢٢٢ بلا نسبة ، ونقل ابن الجوزي ٣/ ٢٤٦ عن ابن عباس أنه قال : «أرض مصر» اهـ .

(٣) لفظ : (لا) ساقط من (ب) .

(٤) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٦٧ .

(٥) انظر : العين ٤/ ٨ ، والجمهرة ١/ ١٣٥ ، وتهذيب اللغة ٢/ ١٧٨٢ ، والصحاح ٦/ ٢٢٣٥ ، والمجمل ٢/ ٤٧٤ ، ومقاييس اللغة ٣/ ١٠٣ ، والمفردات ٤٢٩ ، واللسان (سنة) ٤/ ٢١٢٧ .

(٦) انظر : البسيط ، النسخة الأزهرية ١/ ١٥٦أ .

قال أبو علي الفارسي : «السنة على معنيين ؛ أحدهما : يراد بها الحول والعام ، والآخر : يراد بها الجدب ، وهو[١] خلاف الخصب ، فممَّا أريد به الجدب هذه[٢] الآية ، وقوله ﷺ : «اللهم سنين كسنيِّ يوسف»[٣] ، وقول عمر رضي الله عنه : «إنا لا نقطع في عام السنة»[٤] ؛ أي في عام الجدب .

وقول حاتم[٥] :

فإنَّا نُهِينُ المالَ مِنْ غَيْرِ ظنَّةٍ ... ولا يَشْتَكِينا في السنينَ ضَرِيرُها

---

(١) لفظ : (هو) ساقط من (ب) .

(٢) في (ب) : (في هذه الآية) .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : الاستسقاء ، باب : دعاء النبي ﷺ ، رقم : ١٠٠٦ ، ومسلم رقم : ٦٧٥ عن أبي هريرة رضي الله عنه ، كتاب : المساجد ، باب : استحباب القنوت ، وأخرجه البخاري برقم : ٤٨٢١ ، كتاب : التفسير ، باب : يغشى الناس في تفسير سورة الدخان ، ومسلم رقم : ٢٧٩٨ ، كتاب : صفة الجنة والنار ، باب : الدخان ، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه .

(٤) الأثر أخرجه عبدالرزاق في المصنف ١٠/ ٢٤٢ ، وابن أبي شيبة ٥/ ٥١٦ ، ٢٨٥٧٧ بسند ضعيف عن عمر ابن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال : «لا يقطع في عذق ، ولا في عام السنة» اهـ . وأورده الحافظ في تلخيص الحبير ٤/ ٧٠ ، وقال : «أخرجه إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني في جامعه عن أحمد بن حنبل ، وقال : سألت أحمد عنه ، فقال : العذق : النخلة ، وعام سنة : عام المجاعة ، فقلت لأحمد تقول به ؟ قال : إي لعمري» اهـ . وذكره الألباني في إرواء الغليل ٨/ ٨٠ ، وقال : «ضعيف أخرجه ابن أبي شيبة» اهـ .

(٥) ديوانه ٦٢ ، والبحر المحيط ٤/ ٣٦٩ ، والدر المصون ٥/ ٤٢٧ ، وفي الديوان : «وما» بدل «ولا» .

أي لا يشتكينا الفقر في المحل ؛ لأنا نسعفه ونكفيه ، ولما كانت السنة يُعْنى بها الجدب اشتقوا منها كما يشتق من الجدب ، فقيل : أسنتوا كما يقال : أجدبوا»[(١)] .

قال الشاعر[(٢)] :

وَرِجالُ مَكَّةَ مُسْنِتُونَ عِجَافُ

وقالوا في جمع السنة : سنون وسنين ، وإنما جمعت هذا الجمع للنقصان الذي لحقها ، وقد مرَّ بيان هذا في هذا الكتاب[(٣)] .

قال أبو زيد : «وبعض العرب يقول : هذه سنين ، ورأيت سنيناً فيعرب النون»[(٤)] .

---

(١) الحجة لأبي علي ٢/ ٣٦٩ـ٣٧٢ .

(٢) الشاهد لعبدالله بن الزِّبَعْرَى في ديوانه ٥٣ ، والصحاح (هشم) ٥/ ٢٠٥٨ ، والقرطبي ٧/ ٢٦٤ ، واللسان (سنن) ٤/ ٢١١١ ، ولمطرود بن كعب الخزاعي في الاشتقاق ١٣ ، وتهذيب اللغة (هشم) ٤/ ٣٧٦٤ ، ولابنة هاشم بن عبدمناف في العين ٣/ ٤٠٥ ، والمبهج لابن جني : ٦٠ ، واللسان (هشم) ٨/ ٤٦٦٨ ، وبلا نسبة في النوادر لأبي زيد ١٦٧ ، والكامل للمبرِّد ١/ ٢٠٩ ، والمقتضب ٢/ ٣١١ ، ٣١٥ ، وسر صناعة الإعراب ٥٣٥ ، والرازي ١٤/ ٢١٤ ، والبحر ٤/ ٣٦٩ ، والدر المصون ٥/ ٤٢٧ ، وصدره :

عَمْرُو العُلَا هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِه

وعمرو هو ابن هاشم ، جد النبي ﷺ ، سمّي هاشماً ؛ لأنه هشم الخبز فجعله ثريداً ، ومسنتون ؛ أي أصابتهم سنة وقحط ، وعجاف : هزل وضعف . انظر : حاشية ديوان عبدالله بن الزبعرى ٥٢ ـ ٥٤ .

(٣) انظر : البسيط ، النسخة الأزهرية ١/ ٧٣ أ ، ١٥٦ أ .

(٤) تهذيب اللغة ٢/ ١٧٨٢ ، وزاد : «وبعضهم يجعلها نون الجمع ، فيقول : هذه سنون ، ورأيت سنين ، وهذا هو الأصل ؛ لأن النون نون الجمع ، والسنة سنة القحط» اهـ .

ونحو ذلك قال الفرَّاء[١] ، فمن ذلك قول الشاعر[٢] :

دَعَانيَ مِنْ نَجْدٍ فَإِنَّ سِنِينَهُ
لَعِبْنَ بِنَا شِيباً وَشَيَّبْنَنَا مُرْداً

وقال أبو إسحاق : «السنين في كلام العرب : الجدوب ، يقال : مستهم السنة ، [ومعناه : جدب السنة][٣] وشدة السنة»[٤] .

قال عطاء عن ابن عباس في قوله : ﴿أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ﴾ ، «يريد : بالجوع»[٥] .

وقال الفرَّاء : «﴿بِٱلسِّنِينَ﴾ : بالقحط والجدوبة عاماً بعد عام»[٦] .

قال ابن عباس[٧] وقتادة[٨] والمفسرون[٩] : «السنون لأهل البوادي ، ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ لأهل القرى» .

---

(١) معاني الفرَّاء ٢/ ٩٢ ، وفيه : (وهي لغة كثيرة في أسد وتميم وعامر ، وأنشدني بعض بني عامر) ، ثم ذكر الشاهد .

(٢) الشاهد للصمة بن عبدالله القشيري في ديوانه ٦٠ ، وبلا نسبة في مجالس ثعلب ١٤٧ ، ٢٦٦ ، والحجة لأبي علي ٢/ ٣٧٤ ، والتكملة لأبي علي ٥٠٣ ، وأمالي ابن الشجري ٢/ ٢٦١ ، والرازي ١٤/ ٢١٤ ، واللسان (نجد) ٧/ ٤٣٤٦ ، والدر المصون ٥/ ٤٢٦ ، والشاهد : (فإن سنينه) ، إذ نصب سنين بالفتحة ، ولم يعاملها معاملة المذكر السالم في نصبها بالياء . انظر : الخزانة ٨/ ٥٨ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٤) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٦٨ ، وفيه : (وشدة السنة ونقص الثمرات) اهـ .

(٥) تنوير المقباس ٢/ ١٢٠ ، وفيه : (بالقحط والجوع عاماً بعد عام) اهـ .

(٦) معاني الفرَّاء ١/ ٣٩٢ .

(٧) لم أقف عليه .

(٨) أخرجه الطبري ٩/ ٢٩ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٤٢ بسند جيد .

(٩) انظر : الكشف للثعلبي ٦/ ٩ أ ، والبغوي ٣/ ٢٦٨ ، والرازي ١٤/ ٢١٤ .

وقال الزَّجَّاج : «إنما[١] أخذوا بالضر ؛ لأن أحوال الشدة ترق القلب ، وترغب في ما عند الله وفي الرجوع ، ألا ترى إلى قوله : ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء : ٦٧] ، وقوله : ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾»[٢] [فصلت : ٥١] .

وقوله تعالى : ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ ، قال ابن عباس : «يريد : كي تتعظوا»[٣] .

وقال أهل المعاني : «في (لعل) من الله تعالى أن معناه : أنه عاملهم معاملة الشاك إظهاراً للعدل بعد معرفته وعلمه أنَّهم يذَّكرون أم لا . كما جاء الابتلاء والاختبار من الله تعالى للعبد على هذا التقدير»[٤] .

١٣١ . قوله تعالى : ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾ ، قال ابن عباس[٥] والمفسرون[٦] : «معنى ﴿ٱلْحَسَنَةُ﴾ يريد بها : الغيث والخصب والثمار والمواشي والألبان والسعة في الرزق ، والعافية والسلامة» .

---

(١) في (ب) : (وإنما) .

(٢) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٦٨ .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) نقل هذا القول والرازي ١٤/ ٢١٥ ، عن الواحدي ، وقال الطبري ٩/ ٢٨ في تفسير الآية «يقول : عظة لهم وتذكيراً لهم ؛ لينزجروا عن ضلالتهم ويفزعوا إلى ربهم بالتوبة» اهـ . وانظر : معاني النحاس ٣/ ٦٧ .

(٥) تنوير المقباس ٢/ ١٢٠ ، وذكره الرازي في تفسيره ١٤/ ٢١٥ .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٩/ ٢٩ ، وأخرج عن مجاهد وابن زيد من طرق جيدة نحوه ، وانظر : معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٦٨ ، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٦٣ ، والثعلبي ٦/ ٩أ ، والماوردي ٢/ ٢٥١ .

وقوله تعالى : ﴿قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾ ؛ أي إنَّا مستحقوه[١] على العادة التي جرت لنا من نعمنا وسعة أرزاقنا في بلادنا ، ولم يعلموا أنه من الله فيشكروا عليه ، ويقوموا بحق النعمة فيه .

وقوله تعالى : ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ ، يريد : القحط والجدب والمرض والبلاء والضرِّ ، ﴿يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥ﴾ ؛ أي يتشاءموا ، وقالوا : إنما أصابنا هذا الشر بشؤم موسى وقومه ، والتطير : التشاؤم في قول جميع المفسرين[٢] .

وقوله تعالى : ﴿يَطَّيَّرُواْ﴾ هو في الأصل يتطيروا ، فأدغمت التاء في الطاء ؛ لأنهما من مكان واحد من طرف اللسان وأصول الثنايا[٣] .

وقوله تعالى : ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ . قال ابن عباس : «يريد : شؤمهم عند الله»[٤] ، يريد من قبل الله ؛ أي إنما جاءهم الشؤم بكفرهم بالله وجرأتهم[٥] عليه .

---

(١) انظر : تفسير غريب القرآن ١٧٩ ، وتأويل مشكل القرآن ٣٩١ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٩/ ٢٩ ، وأخرجه من طرق جيدة عن مجاهد وابن زيد . وانظر : معاني النحاس ٣/ ٥٦٨ ، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٦٣ ، والثعلبي ٦/ ٩أ ، والماوردي ٢/ ٢٥١ .

(٣) هذا قول الزَّجَّاج في معانيه ٢/ ٣٦٨ .

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢٢٣ ، والبغوي ٣/ ٢٦٩ بلفظ : «شؤمهم عند الله ومن قبل الله» . وأخرج الطبري ٩/ ٣٠ بسند جيد عن ابن عباس قال : «يقول : مصائبهم عند الله» اهـ . وفي رواية قال : «الأمر من قبل الله» اهـ . وذكره الثعلبي ٦/ ٩أ ، والبغوي ٣/ ٢٦٩ عنه أنه قال : «طائرهم ما قضى الله عليهم وقدر لهم» اهـ .

(٥) في (ب) : (وجرأتهم على الله عليه) ، وهو تحريف .

وقـــال الكلبي : «يقول : إن الذي أصابهم هو مـــن الله»[١] ، وهذا قول أكثر المفسرين[٢] في الطائر أن معناه هاهنا : الشؤم ، ومثل هذا قوله تعالى في قصة ثمود وتشاؤمهم بنبيهم : ﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَـٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [النمل : ٤٧] .

قال الفرَّاء : «كما تشـاءمت اليهـود بالنبي ﷺ بالمدينـة ، فقالوا[٣] : غلت أسعارنا ، وقلت أمطارنا مُذْ أتانا»[٤] .

قال الأزهري : «وقيل للشؤم : طائر وطَيْر وطِيَرة ؛ لأن العرب كان من شأنها عِيَافَةُ الطير وزجرها ، والتَّطيُّر ببارحها ، وبنَعيق غربانها ، وأخذها ذات اليسـار إذا أثاروها ، فَسَمَّوا الشؤم طَيْراً وطائِراً وطِيَرَة لتشاؤمهم بها .

ثم أعلم الله -تعالى- على لسان رسوله أن طِيَرَتهم باطلة ، فقال : «لا طِيَرة ولا هام»[٥] ، وكان النبي ﷺ[٦] يتفاءل ولا يَتَطَير[٧] ، وأصل الفأل : الكلمة الحسنة

---

(١) تنوير المقباس ٢/ ١٢٠ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٩/ ٢٩ ، ٣٠ ، ومعاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، والنحاس ٣/ ٦٨ ، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٦٣ ، والماوردي ٢/ ٢٥١ .

(٣) لفظ : (فقالوا) ساقط من (أ) .

(٤) معاني الفرَّاء ١/ ٣٩٢ .

(٥) حديث متفق عليه . أخرجه البخاري رقم : ٥٧٧٠ ، كتاب : الطب ، باب : لا هامة ، ومسلم رقم : ٢٢٢٠ ، كتاب : السلام ، باب : لا عدوى ولا طيرة ، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال : «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر» اهـ . والهامة : طائر معروف . وقيل : إن عظام الميت وروحه تنقلب هامة تطير ، والصفر : داء يأخذ البطن . انظر : صحيح مسلم بشرح النووي ١٤/ ٣١٠ .

(٦) في (أ) : (عليه السلام) .

(٧) أخرج البخاري ، رقم : ٥٧٥٧ ، كتاب : الطب ، باب : الفأل . ومسلم ، رقم : ٢٢٢٣ ، ٢٢٢٤ ، كتاب : السلام ، باب : الطيرة والفال ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : «لا طيرة وخيرها الفأل ، قالوا : وما الفأل ؟ قال : الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم» . وفي رواية لمسلم قال : «أحب الفأل الصالح» . وأخرجا عن أنس عن النبي ﷺ قال : «لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل الصالح ، الكلمة الحسنة» اهـ .

يَســمعُها عليل فيتأول فيها ما يدل على برئه ، والطــيرة : مضادة للفأل ، وكانت العرب مذهبها في الفأل والطِّيَرة واحد[١] ، فأثبت النبي ﷺ الفأل واستحسـنه ، وأبطل الطِّيَرة ونهى عنها»[٢] .

وقـال أبو عبيدة في قولـه : ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ ؛ «أي حظهم»[٣] ، وهذا معنـى ما روي عن ابن عباس أنـه قال : «طائرهم ما قُـضِي عليهم وقُدِّر لهم»[٤] .

والعرب تقول : أطرت المال وَطيَّرته بين القوم فَطَار لكل[٥] منهم سَـهمُه ؛ أي صار لـه[٦] . ومنه الحديث : «أطره خُمراً بين نسـائك»[٧] ؛ أي فرقه ، وطائر كل واحد ما يطير له ؛ أي يخصه ، ومنه قول لبيد :

تَطِيرُ عَـدَائِدُ الأَشْـرَاكِ شَفْعـاً ... وَوِتْـراً والزَّعَـامَــةُ لِلْغُلَامِ[٨]

---

(١) في (أ) : (واحداً) .

(٢) تهذيب اللغة (طير) ٣/ ٢١٥٠ .

(٣) مجاز القرآن ١/ ٢٢٦ ، وفيه : «مجازه إنما طائرهم ، وتزاد (ألا) للتنبيه والتوكيد ، ومجاز طائرهم حظهم ونصيبهم» اهـ .

(٤) سبق تخريجه .

(٥) في (ب) : (فطار لكل واحد منهم سهمه) .

(٦) النص من تهذيب اللغة ٣/ ٢١٥٠ .

(٧) أخرج مسلم في صحيحه ، رقم : ٢٠٧١ ، كتاب : اللباس والزينة ، باب : استعمال إناء الذهب والفضة ، وأبو داود ٤/ ٣٢٢ ، رقم : ٤٠٤٣ ، والنسائي ٨/ ١٩٧ ، ١٩٨ ، كتاب : الزينة ، باب : ذكر الرخصة للنساء في لبس السيراء ، وباب النهي عن لبس الإستبرق ، عن علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- قال : أهديت لرسول الله ﷺ حلة سيراء فبعث بها إلي فلبستها ، فعرفت الغضب في وجهه ، فقال : «إني لم أبعثها إليك لتلبسها ، إنما بعثت بها إليك لتشققها خمراً بين النساء» . وفي رواية «فأمرني فأطرتها بين نسائي» اهـ . وحلة سيراء ؛ أي مضلعة بالحرير ، وأطرتها ؛ أي قسمتها بأن شققتها بينهن ، أفاده الخطابي في حاشية سنن أبي داود .

(٨) ديوانه ٢٠٠ ، وتهذيب اللغة ٣/ ٢١٥٠ ، والدر المصون ٥/ ٤٢٩ ، وتطير ؛ أي تخرج ، والعدائد : المال والميراث وقيل : الأنصباء . والأشراك : الشركاء ، والزعامة : الرياسة والحظ من المغنم .

الأشراك : الأنصباء ، واحدها شرك ؛ أي قسم المال للذكر مثل حظ الأنثيين ، فطارت الأنصاب شفعاً ووتراً لمستحقيها ، وخلصت الرئاسة للذكور من الأولاد[(١)] ، وليس هذا من باب الشؤم والتطير في شيء ، وكلا القولين قد حكاه الزَّجَّاج ، فقال في قوله : ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ : «ألا إنما الشؤم الذي يلحقهم هو الذي وعدوا به في الآخرة ، لا[(٢)] ما ينالهم في الدنيا» .

[قال : «وقال بعضهم[(٣)] : ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ حظهم ، والمعنى واحد»[(٤)] ، فجعل تفسير قوله : ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ ما وعدوا في الآخرة مما ينالهم في الدنيا][(٥)] ، يريد : أن جميع ما يصيبهم في الدنيا والآخرة هو من الله تعالى ، وجعل معنى القولين في الطائر واحداً وإن اختلف الأصلان ؛ لأن المعنى فيهما : ما يصيبهم من شرٍّ وضرٍّ .

وقوله تعالى : ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ . قال الكلبي[(٦)] : يعني : أهل مصر لا يعلمون أن الذي أصابهم من الله تعالى[(٧)] .

١٣٢. قوله تعالى : ﴿وَقَالُواْ﴾ ، يعني آل فرعون لموسى ﴿مَهۡمَا تَأۡتِنَا﴾ ، اختلف النحويون[(٨)] في أصل ﴿مَهۡمَا﴾ على قولين :

---

(١) هذا من تهذيب اللغة ٣/ ٢١٥٠ .

(٢) في النسخ : (إلى ما ينالهم في الدنيا) ، وهو تحريف .

(٣) هذا قول أبي عبيدة في مجاز القرآن ١/ ٢٢٦ .

(٤) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٦٩ .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٦) لم أقف عليه .

(٧) لفظ : (تعالى) ساقط من (أ) .

(٨) انظر : تأويل مشكل القرآن ٥٣٢ ، والأصول لابن السراج ٢/ ١٥٩ ، ٢٢٠ ، وحروف المعاني للزَّجَّاجي ٢٠ ، والصاحبي ٢٧٥ ، ومغني اللبيب ١/ ٣٣٠ .

أحدهما : أن أصلها (ما ما) ، الأولى هي : (ما) الجزاء ، والثانية : هي التي[١] تزاد توكيداً للجزاء ، كما تزاد في سائر حروف الجزاء ،كقولهم : أمَّا ومتى وكيفما[٢] ، قال الله تعالى : ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ﴾ [الأنفال : ٥٧] ، وهو كقولك : إن تثقفنهم ، ثم أبدلوا من ألف (ما) الأولى هاء[٣] ؛ كراهة لتكرار اللفظ فصار (مهما) ، هذا قول الخليل[٤] ومذهب البصريين .

وقال الكسائي : «الأصل مه[٥] التي بمعنى : الكف ؛ أي اكفف دخلت على (ما) التي للجزاء ، كأنهم قالوا : اكفف ما تأتنا به من آية»[٦] .

قال الزَّجَّاج : «والتفسير الأول هو الكلام ، وعليه استعمال الناس»[٧] . وقال بعضهم : «هي كلمة على حيالها يجازى بها ، فيجزم ما بعدها على تقدير إن»[٨] .

---

(١) لفظ : (التي) ساقط من (ب) .

(٢) في النسخ : كقولهم : «أما ، ومتى ما وكيفما» . وأصل النص في تهذيب اللغة ٤/ ٣٤٦٠ وفيه : (مثل إنما ومتى وكيفما) .

(٣) في (ب) : (ما) ، وهو تحريف .

(٤) انظر : الكتاب ٣/ ٥٩ ، ٦٠ ، والعين ٣/ ٣٥٨ .

(٥) في (ب) : (الأصل فيه التي بمعنى الكف) ، وهو تحريف .

(٦) ذكره الثعلبي في الكشف ٦/ ٩ب عن الكسائي ، وقال سيبويه في الكتاب ٣/ ٦٠ بعد ذكر قول الخليل السابق : «وقد يجوز أن يكون مَهْ كإذ ضم إليها ما» اهـ .

(٧) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٦٩ ، ونحوه قال الأزهري في تهذيب اللغة ٤/ ٣٤٦٠ قال : «والقول الأول أقيس» اهـ . وانظر : البيان ١/ ٣٧١ ، والتبيان ٣٨٧ .

(٨) انظر : إعراب النحاس ١/ ٦٣٣ ، والمشكل ١/ ٢٩٩ ، وغرائب الكرماني ١/ ٤١٩ ، والدر المصون ٥/ ٤٣١ .

١٣٣. قوله تعالى : ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ . اختلفت الرواية عن ابن عباس في تفسـير ﴿ٱلطُّوفَانَ﴾ ، فقال في رواية عطاء : «المـوت[(١)]»[(٢)] قال : «وكل طوفان في القرآن هو الغرق سوى هذا»[(٣)] . وهو قول مجاهد[(٤)] .

وروي ذلـك مرفوعـاً ، أخبرناه العروضي -رحمه الله- قراءة ، وسـعيد بن العباس القـرشي[(٥)] كتابة ، قالا : أبنـا[(٦)] الأزهري ، أبنا المنـذري عن أبي بكر الخطابي[(٧)] عن محمد بن يزيد[(٨)] ، عـن يحيى بن يمان[(٩)] عن المنهال بن خليفة[(١٠)]

(١) في (ب) : (هو الموت) .

(٢) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وإنما ذكره أكثرهم من قول عطاء بن أبي رباح ، وقد أخرجه الطبري ١٣/ ٥١ من طرق جيدة عدة عن عطاء ، وذكره النحاس في معانيه ٣/ ٦٩ ، والثعلبي في تفسيره ٦/ ٩ب ، والماوردي ٢/ ٢٥١ عن عطاء .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) تفسير مجاهد ١/ ٢٤٤ ، وأخرجه الطبري ٩/ ٣١ من طرق جيدة عدة .

(٥) لفظ : (القرشي) ساقط من (ب) .

(٦) في (ب) : (أخبرنا الأزهري أخبرنا المنذري) .

(٧) لم أستطع معرفته بعد طول بحث .

(٨) محمد بن يزيد بن كثير العجلي ، أبو هشام الرفاعي الكوفي ، قاضي المدائن ، إمام ، فقيه ، مقرئ ، محدث ، صدوق ، فيه لين . توفي سنة ٢٤٨هـ . انظر : الجرح والتعديل ٨/ ١٢٩ ، وتاريخ بغداد ٣/ ٣٧٥ ، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ١٥٣ ، وميزان الاعتدال ٤/ ٦٨ ، وتهذيب التهذيب ٣/ ٧٣٥ .

(٩) يحيى بن يمان العجلي ، أبو زكريا الكوفي ، إمام ، عابد ، مقرئ ، محدث ، صدوق ، يخطئ ، وتغير بآخر عمره . توفي سنة ١٨٩هـ .
انظر : تاريخ بغداد ١٤/ ١٢٠ ، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٣٥٦ ، وميزان الاعتدال ٤/ ٤١٦ ، وتهذيب التهذيب ٤/ ٤٠١ .

(١٠) المنهال بن خليفة العجلي ، أبو قدامة الكوفي ، ضعيف ، روى عن عطاء بن أبي رباح ، وحجاج بن أرطاة وغيرهما ، وروى عنه وكيع وعبدالله بن المبارك وغيرهما .
انظر : الجرح والتعديل ٨/ ٣٥٧ ، وميزان الاعتدال ٤/ ١٩١ ، وتهذيب التهذيب ٤/ ١٦٢ ، وتقريب التهذيب ٥٤٧ (٦٩١٧) .

عن الحجاج(١) عن الحكم بن ميناء(٢) عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : «الطوفان : الموت»(٣) .

وقال في رواية الضحاك(٤) : «الطوفان : الغرق» .

وقال في رواية أبي ظبيان(٥) : «الطوفان : أمر من أمر الله [طاف](٦) بهم» . ثم قرأ : ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ﴾(٧) [القلم : ١٩] .

---

(١) حجاج بن أرطاة بن ثور النخعي ، أبو أرطاة الكوفي ، القاضي ، إمام ، فقيه ، صدوق ، كثير الخطأ والتدليس ، توفي سنة ١٤٥هـ .
انظر : الجرح والتعديل ٣/ ١٥٣ ، وتاريخ بغداد ٨/ ٢٣٠ ، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٦٨ ، وميزان الاعتدال ١/ ٤٥٨ ، وتهذيب التهذيب ١/ ٣٥٦ .

(٢) الحكم بن ميناء الأنصاري المدني ، من أولاد الصحابة ، روى عن بلال وعائشة وابن عمر وابن عباس وأبي هريرة وغيرهم ، وهو إمام ثقة . انظر : الجرح والتعديل ٣/ ١٢٧ ، وتهذيب التهذيب ١/ ٤٧٠ ، وتقريب التهذيب ١٧٦ (١٤٦٣) .

(٣) هذا حديث ضعيف ، أخرجه الطبري ٩/ ٣١ ، ٣٢ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٤٤ ، والأزهري في تهذيب اللغة ٣/ ٢١٥٤ ، وذكره ابن كثير في تفسيره ٢/ ٢٦٨ ، وقال : «هو حديث غريب» ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٥١٩ ، وزاد نسبته إلى أبي الشيخ وابن مردويه . وضعفه الشيخ أحمد شاكر ـ رحمه الله تعالى ـ في حاشية الطبري ؛ لضعف المنهال بن خليفة العجلي .

(٤) قوله : وقال ؛ أي ابن عباس رضي الله عنهما ، وقد أخرجه الطبري ٩/ ٣١ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٤٥ بسند ضعيف .

(٥) أبو ظبيان ، حصين بن جندب بن عمرو بن الحارث الجنبي الكوفي ، إمام ، تابعي ، ثقة ، فقيه ، روى عن جرير بن عبدالله ، وأسامة بن زيد ، وابن عباس وغيرهم ، توفي سنة ٩٠هـ . انظر : طبقات ابن سعد ٦/ ٢٢٤ ، والجرح والتعديل ٣/ ١٩٠ ، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٦٢ ، وتهذيب التهذيب ١/ ٤٤١ .

(٦) لفظ : (طاف) ساقط من (أ) .

(٧) أخرجه الطبري ٩/ ٣١ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٤٤ بسند لا بأس به .

وروي عنه أيضاً أنه قال: «الطوفان هو الماء، أرسل الله عليهم السماء»[١]، وهذا القول اختيار الفرَّاء، فقد قال: «أرسل الله عليهم [السماء][٢] سبتاً[٣]، فلم تقلع ليلاً ولا نهاراً، فضاقت بهم الأرض من تهدم بيوتهم وشغلهم عن ضياعهم، فسألوه أن يرفع عنهم، فرفع، فلم يتوبوا»[٤]، وهذه الأقوال غير خارجة عن مذهب أهل اللغة[٥]، فقال الليث[٦]: «الطوفان: الماء الذي يغشى كل مكان، وشبه العجاج ظلام الليل بذلك فسماه طوفاناً حيث يقول:

وَعمَّ طُوفَانُ الظلامِ الأثأبَا[٧]»

وقال أبو إسحاق: «الطوفان من كل شيء: ما كان كثيراً محيطاً مطيفاً بالجماعة كلها، كالغرق الذي يشمل المدن الكثيرة، يقال له: طوفان، وكذلك القتل الذريع طوفان، والموت الجارف طوفان»[٨] انتهى كلامه.

---

(١) أخرجه الطبري ٩/ ٣٢، ٦١، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٤٥ من طرق جيدة عدة.

(٢) لفظ: (السماء) ساقط من (ب).

(٣) أي أسبوعاً من السبت إلى السبت.

(٤) معاني الفرَّاء ١/ ٣٩٢.

(٥) انظر: المنجد لكراع ٢٥٥، والبارع ٦٨٢، والصحاح ٤/ ١٣٩٧، والمجمل ٢/ ٥٨٩، ومقاييس اللغة ٣/ ٤٣٢، والمفردات ٥٣٢، واللسان (طوف) ٥/ ٢٧٢٣.

(٦) النص في العين ٧/ ٤٥٨.

(٧) ملحق ديوان العجاج ٢/ ٢٦٨، والمنجد ٢٥٥، والبارع ٦٨٢، وتهذيب اللغة ٣/ ٢١٥٤، والصحاح ٤/ ١٣٩٧، والمجمل ٢/ ٥٨٩، ومقاييس اللغة ٣/ ٤٣٢، واللسان (طوف) ٥/ ٢٧٢٤، والدر المصون ٥/ ٤٣٣، وأوله:

حتَّى إذا مَا يَوْمُهَا تَصَبْصَبَا

وفي العين قال: «الأثأب: شجر شبه الطرفاء إلا أنه أكبر منه» اهـ.

(٨) معاني الزَّجَّاج ٤/ ١٦٤، وتهذيب اللغة ٣/ ٢١٥٤.

وهــو فعلان[١] من الطــواف[٢] ؛ لأنه يطوف حتى يعــم ، قال الأخفش : «وواحدته في القياس طوفانة»[٣] ، وأنشد :

غيَّرَ الجِــدَّةَ مــن آيــاتِهــا    خُرُقُ الرِّيـحِ وطُـوفَـانُ الـمَطَرْ[٤]

وقال أبو العباس : «الطوفان مصدر ، مثل الرجحان والنقصان ، ولا حاجة به إلى أن نطلب له واحداً»[٥] .

وأكثــر المفسرين على أن معناه هاهنا : المطر الكثــير[٦] ، فقد قال ابن عباس وســعيد بن جبير وقتادة ومحمد بن إسحاق[٧] : «لما أبى[٨] فرعون وقومه الإيمان دعا عليهم موســى ، فقال : يا رب ، إن عبدك فرعــون بغى وعتا ، وإن قومه قد نقضوا عهدك ، رب فخذهم بعقوبة ، فأرســل الله عليهم السماء بالماء ، فامتلأت بيوت القبط ماء ، حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم ، من جلس منهم غرق ، ولم يدخل بيوت بني إسرائيل من الماء قطرة ، ودام ذلك عليهم ســبعة أيام ، فقالوا لموسى : ادعُ لنا ربك يكشف عنا فنؤمن لك ، فدعا ربه ، فرفع عنهم الطوفان ، فلم يؤمنوا ،

---

(١) وعليه يكون اسم جنس ، كقمح وقمحة وشعير وشعيرة ، أفاده السمين في الدر ٥/ ٤٣٢ .

(٢) في (ب) : (من الطوف) ، وهو تحريف .

(٣) معاني الأخفش ٢/ ٣٠٨ وزاد فيه : (وهي من طاف يطوف) اهـ .

(٤) البيت لحسيل بن عرفطة الأسدي ، شاعر جاهلي ، في النوادر لأبي زيد ٧٧ ، وتفسير الطبري ٩/ ٣٢ ، والماوردي ٢/ ٢٥٢ ، وبلا نسبة في تهذيب اللغة ٣/ ٢١٥٤ ، والصحاح ٤/ ١٣٩٧ ، والمنصف ٢/ ٢٢٨ ، وتفسير ابن عطية ٦/ ٤٩ ، واللسان ٥/ ٢٧٢٤ ، والبحر ٤/ ٣٧٣ ، والدر المصون ٥/ ٤٣٣ .

(٥) تهذيب اللغة ٣/ ٢١٥٤ ، وجعله السمين في الدر ٥/ ٤٣٢ ، من قول المبرِّد في آخرين .

(٦) انظر : مجاز القرآن ١/ ٢٢٦ ، وتفسير غريب القرآن ١٨٠ ، ومعاني النحاس ٣/ ٦٩ ، وتفسير المشكل ٨٦ .

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره ٩/ ٣٤ ، من طرق جيدة عدة عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة والسدي ومحمد بن إسحاق ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٥٠ من طرق جيدة عدة عن ابن عباس ، وأخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢٣٤ ، بسند جيد عن قتادة .

(٨) في (ب) : (لما أتى) ، وهو تصحيف .

فأنبت الله لهم في تلك السنة ما لم ينبته قبل ذلك من الكلأ والزرع، فقالوا: هذا ما كنا[(١)] نتمنى، وما كان ذلك الماء إلا نعمة علينا، فبعث الله عليهم الجراد»، وهو معروف، والواحدة: جرادة[(٢)] ونبت مجرود قد أكل الجراد زورقه[(٣)].

[وقال اللحياني: «أرض جَرِدَة ومَجرُودَة قد لحسها الجراد»[(٤)]، وإذا أصاب الجراد الزرع][(٥)] قيل: جُرِد الزرع، وأصل هذا كله من الجَرْد وهو: أخذك الشيء من الشيء جرفاً وسحقاً، ومن هذا يقال للثوب الذي قد ذهب زِئْبِرُه[(٦)]: جَرْد، وأرض جَرْداء: لا نبات فيها، ومكان أجْرَد[(٧)].

قالوا: «فأكلت الجراد عامة زروعهم[(٨)] وثمارهم، حتى إن كانت لتأكل الأبواب والسقوف حتى تقع دورهم، ولا تدخل بيوت بني إسرائيل فعجُّوا وأعطوا موسى عهد الله لئن كشف الله ذلك أن يؤمنوا، فدعا موسى فكشف الله الجراد بعد ما أقام عليهم سبعة أيام، وكان قد بقيت من غلاتهم بقية. فقالوا: قد بقي لنا ما هو كافينا، فما نحن بتاركي ديننا، فبعث الله عليهم القُمَّل».

---

(١) لفظ: (كنا) ساقط من أصل (أ)، وملحق بالهامش.

(٢) الذكر والأنثى فيه سواء، يقال: جرادة ذكر، وجرادة أنثى، كنملة وحمامة، مشتق من الجَرْد، أفاده السمين في الدر ٥/ ٤٣٤.

(٣) زورقه؛ أي خضرته، انظر: اللسان (زرق) ٣/ ١٨٢٧.
وفي أصل (أ): (زورقها ثم صحح إلى زورقه)، ولعله ورقه، وفي (ب): (ونبت مجرود قد أكل الجراد والزرع) اهـ. وعند والرازي ١٤/ ٢١٨: (ونبت مجرود قد أكل الجراد ورقه) اهـ.

(٤) تهذيب اللغة (جرد) ١/ ٥٧٣.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٦) الزئبر، بالكسر مهموز: ما يعلو الثوب الجديد ويظهر من درز الثوب. انظر: اللسان (زأبر) ٣/ ١٧٩٩.

(٧) انظر: العين ٦/ ٧٥-٧٧، والمنجد ١٦٥، والجمهرة ١/ ٤٤٦، والصحاح ٢/ ٤٥٥، والمجمل ١/ ١٨٦، ومقاييس اللغة ١/ ٤٥٢، والمفردات ١٩١، واللسان (جرد) ١/ ٥٨٧.

(٨) في (ب): (زرعهم).

واختلفـــوا فيه ، فقال ابن عباس في رواية عطاء : «هو الدبى»[١] [ومثل ذلك روى الوالبي عنه[٢] .

وهو قول مجاهد[٣] والسدي وقتادة[٤] والكلبي[٥] قالوا : «القمل الدبى[٦] : الصغار التي لا أجنحة لها][٧]» .

وقال عكرمة : «هي بنات الجراد»[٨] . وهـــذا القول هو اختيار الفرَّاء قال : «القُمَّل : الدبى التي لا أجنحة لها»[٩] .

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢٢٨ من رواية عطاء عن ابن عباس .

(٢) أخرجه الطبري ٩/ ٣٢ ، ٣٣ من طرق جيدة عدة عن علي بن أبي طلحة ، وعطية العوفي ، والضحاك عن ابن عباس ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٤٦ من طرق عن عكرمة والضحاك عن ابن عباس .

(٣) تفسير مجاهد ١/ ٢٤٤ .

(٤) أخرجه الطبري ٩/ ٣٣ من طرق جيدة عن مجاهد وقتادة والسدي ، وأخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢٣٤ ، بسند جيد عن قتادة .

(٥) تنوير المقباس ٢/ ١٢١ . وذكره هود الهواري في تفسيره ٢/ ٣٨-٣٩ ، والثعلبي ٦/ ١٠أ ، والواحدي في الوسيط ١/ ٢٢٨ ، والبغوي ٣/ ٢٧٠ .

(٦) الدبى : قال في اللسان (دبى) ٣/ ١٣٢٥ : «الدبى : الجراد قبل أن يطير ، وقيل : هو أصغر ما يكون من الجراد والنمل ، وقيل : هو نوع يشبه الجراد» اهـ .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٨) أخرجه الطبري ٩/ ٣٣ بسند ضعيف .

(٩) معاني الفرَّاء ١/ ٣٩٢ ، وانظر : الزاهر ١/ ٢٢٢ .

وقال[١] في رواية سعيد بن جبير : «القُمَّل : هو السوس الذي يخرج من الحنطة» . وهو قول الحسن وسعيد بن جبير ، قالا[٢] : «القُمَّل : دواب سود صغار»[٣] . وهو قول الليث في القُمَّل . قال : «هو الذَّر الصغار»[٤] .

وقال ابن السكيت : «القُمَّل شيء يقع في الزرع ، ليس بجراد فيأكل السنبلة وهي غضة قبل أن تخرج ، فيطول الزرع ولا سنبل له»[٥] ، [قال][٦] الأزهري : «وهذا هو الصحيح»[٧] . وذكره عطاء[٨] .

قالوا : «فتتبع القُمَّل ما بقي من حروثهم وأشجارهم ، فأكله ولحس الأرض كلها» ، هذا على قول من قال : إنه الدبى ، ومن قال : إنه السوس ، فقال سعيد ابن جبير : «كان الرجل يخرج عشرة أقفزة[٩] إلى الرحى ، فلا يرد منها إلا ثلاثة أقفزة» .

---

(١) قوله : «وقال» ؛ أي ابن عباس ، وقد أخرجه الطبري ٩/ ٣٢ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٤٧ بسند جيد عنه .

(٢) في (ب) : (قال) ، وهو تحريف .

(٣) أخرجه الطبري ٩/ ٣٣ بسند ضعيف عن سعيد بن جبير والحسن ، وأخرجه الطبري ٩/ ٣٣ ، عن سعيد بن جبير بسند جيد من وجه آخر .

(٤) تهذيب اللغة ٣/ ٣٠٤٧ ، وانظر : العين ٥/ ١٧٦ .

(٥) تهذيب اللغة ٣/ ٣٠٤٧ .

(٦) لفظ : (قال) ساقط من (ب) .

(٧) تهذيب اللغة ٣/ ٣٠٤٧ ، وانظر : الجمهرة ٢/ ٩٧٤ ، والصحاح ٥/ ١٨٠٥ ، والمجمل ٣/ ٧٣٤ ، ومقاييس اللغة ٥/ ٢٩ ، والمفردات ٦٨٤ ، واللسان (قمل) ٦/ ٣٧٤٣ .

(٨) ذكره ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٤٧ ، والثعلبي ٦/ ١٠ أ ، والبغوي ٣/ ٢٧٠ عن عطاء الخرساني قال : «هو القَمْل» اهـ .

(٩) القفيز : من المكاييل معروف ، وهو مكيال تتواضع الناس عليه . انظر : اللسان (قفز) ٦/ ٣٧٠١ ، والأثر أخرجه الطبري ٩/ ٣٤ بسند جيد ، فيه : «فكان الرجل يخرج عشرة أجربة إلى الرحى ، فلا يرد منها ثلاثة أقفزة» اهـ .

وقال أبو عبيدة[(١)] والأخفش[(٢)] : «القُمَّل عند العرب : الحمنان ، وهي ضرب من القردان» . وروى أبو عبيد عن أبي الحسن العدوي[(٣)] : «القمل : دواب صغار من جنس القردان إلا أنها أصغر منها ، واحدتها قُمَّلة»[(٤)] ، ويؤكد هذا القول ما روي عن أبي العالية[(٥)] في تفسير هذا الحرف قال : «أرسل الله الحمنان على دوابهم ، فأكلها حتى لم يقدروا على الميرة»[(٦)] .

قالوا : «وكان القمل يدخل[(٧)] بين ثوب أحدهم وبين جلده[(٨)] فيعضه ، وأخذت أشعارهم وأبشارهم ، ولزم جلودهم ، كأنه الجُدري عليهم ، ومنعهم النوم والقرار ، وكل هذا من فعل القُراد ، فصرخوا وصاحوا إلى موسى : إنا نتوب ولا نعود فادعُ لنا ربَّك ، فدعا[(٩)] موسى ، فرفعَ الله القُمَّل عنهم ، فنكثوا وعادوا لأخبثِ أعمالِهم ، فدعا موسى عليهم ، فأرسل الله عليهم الضفادع يدخل في طعامهم وشرابهم وأوانيهم وفرشهم ، فكان أحدهم يُصبح وهو[(١٠)] على فراشه متراكب ، ويجلس الرجل إلى ذَقَنه في الضفادع ، ويهمُّ أن يتكلم فيثب الضفدع في فيه ، فبكوا وشكوا إلى موسى ، وقالوا : هذه المرة نتوب ولا نعود ،

---

(١) مجاز القرآن ١/ ٢٢٦ .

(٢) ذكره الثعلبي ٦/ ١٠أ عن الأخفش ، ولم أقف عليه في معانيه .

(٣) أبو الحسن الأعرابي العدوي ، لعله علي بن الحسن بن عبيد بن محمد الشيباني أبو الحسن ، المعروف بابن الأعرابي البغدادي ، صاحب أدب ورواية للأخبار ، روى عن أبي خالد يزيد بن يحيى الخزاعي وأبي العتاهية الشاعر وغيرهما ، انظر : تاريخ بغداد ١١/ ٣٧٣ ، واللباب لابن الأثير ١/ ٧٤ .

(٤) معاني النحاس ٣/ ٧٠ ، وتهذيب اللغة ٣/ ٣٠٤٧ ، وقال بعده النحاس «وليس هذا بناقض لما قاله أهل التفسير ، لأنه يجوز أن تكون هذه الأشياء كلها أرسلت عليهم ، وهي كلها تجتمع في أنها تؤذيهم» اهـ .

(٥) ذكره الثعلبي في الكشف ٦/ ١٠ب .

(٦) الميرة : الطعام يمتاره الناس ونحوه مما يجلب للبيع . انظر : اللسان (مير) ٧/ ٤٣٠٦ .

(٧) في (ب) : (دخل) ، وهو تحريف .

(٨) في (ب) : (جلدهم) .

(٩) في (ب) : (لدعا) ، وهو تحريف .

(١٠) في أصل (أ) : (وهي) ، ثم صحح في الأعلى إلى (وهو) ، وهو الأولى .

فأخذ عهودهم ومواثيقهم ، ثم دعا ربه فكشف عنهم الضفادع ، فعادوا لكفرهم وتكذيبهم ، فدعا عليهم موسى ، فأرسل الله[(١)] عليهم الدم ، فسال النيل عليهم دماً ، وصارت مياههم كلها دماً ، فكان الإسرائيلي إذا اغترف صار ماء ، والقبطي يغترف دماً»[(٢)] .

وقوله تعالى : ﴿ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾ . قال المفسرون : «كان العذاب يمكث[(٣)] عليهم من السبت إلى السبت ، وبين العذاب إلى العذاب شهر ، فذلك معنى قوله : ﴿ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾[(٤)] .

وقال مجاهد : «﴿مُّفَصَّلَٰتٍ﴾ : مبينات ظاهرات»[(٥)] .

قال الزَّجَّاج : «و﴿ءَايَٰتٍ﴾ منصوبة على الحال[(٦)]» ، [وقوله : ﴿فَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ . قال ابن عباس[(٧)] : «يريد : عن عبادة الله»][(٨)] .

---

(١) لفظ : (الله) ساقط من (ب) .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) في (ب) : (نكث) ، وهو تحريف .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٩/ ٣٩ ، ٤٠ ، أخرجه عن ابن عباس وابن جريج وابن إسحاق من طرق جيدة ، انظر : معاني الفرَّاء ١/ ٣٩٣ والزَّجَّاج ٢/ ٣٧٠ ، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٦٥ ، الماوردي ٢/ ٢٥٣ .

(٥) ذكره الهمداني في الفريد ٢/ ٣٤٩ ، القرطبي ٧/ ٢٧١ ، أخرج الطبري ٩/ ٤٠ بسند ضعيف عن مجاهد قال : «معلومات» اهـ . وقال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن١٨٠ : «أي بين الآية والآية فصل ومدة» اهـ . وانظر : معاني النحاس ٣/ ٧١ .

(٦) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٧٠ . انظر : إعراب النحاس ١/ ٦٣٤ ، والمشكل ١/ ٢٩٩ ، والبيان ١/ ٣٧١ ، والتبيان ٣٨٨ ، والفريد ٢/ ٣٤٩ ، والدر المصون ٥/ ٤٣٤ .

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢٢٩ ، والرازي ١٤/ ٢١٨ بلا نسبة ، وفي تنوير المقباس ٢/ ١٢٢ «أي عن الإيمان ولم يؤمنوا» اهـ .

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

١٣٤. قوله[(١)] تعالى: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ﴾، ذكرنا معنى ﴿وَقَعَ﴾ عند قوله: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم﴾ [الأعراف: ٧١]. وذكر[(٢)] الكلام في ﴿ٱلرِّجْزُ﴾ عند قوله: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا﴾ [البقرة: ٥٩] في البقرة، وهو اسم للعذاب الذي كانوا فيه من الجراد وما ذكر بعده، في قول ابن عباس[(٣)] والحسن[(٤)] ومجاهد وقتادة[(٥)].

وقال سعيد بن جبير: «﴿ٱلرِّجْزُ﴾ معناه هاهنا: الطاعون، وهو العذاب السادس، أصابهم فمات به من القبط سبعون ألف إنسان في يوم واحد»[(٦)].

---

(١) في (ب): (وقوله تعالى).

(٢) لفظ: (وذكر) ساقط من (ب).

(٣) أخرجه الطبري ٩/ ٣٤، ٣٥ بسند ضعيف، أخرج الطبري ٩/ ٤١، ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٥٠، عن ابن عباس بسند جيد، قال: «الطاعون».

(٤) ذكره الماوردي ٢/ ٢٥٣، عن الحسن ومجاهد وقتادة وابن زيد.

(٥) أخرجه الطبري ٩/ ٤١ من طرق جيدة عدة عن مجاهد وقتادة وابن زيد، وأخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٥٠ بسند جيد عن مجاهد، أخرجه عبدالرزاق ١/ ٢/ ٢٣٤ بسند جيد عن قتادة.

(٦) أخرجه الطبري ٩/ ٤٠ بسند لا بأس به.
والظاهر أن المراد به العذاب المتقدم الذكر من الطوفان وغيره، وهو قول الجمهور. قال ابن عطية ٦/ ٥٣ بعد ذكر قول سعيد بن جبير المتقدم: «هذا ضعيف، هذه الأخبار وما شاكلها إنما تؤخذ من كتب بني إسرائيل، فلذلك ضعفت» اهـ.
وقال والرازي ١٤/ ٢١٩: «القول الأول أقوى؛ لأن لفظ الرجز مفرد محلى بالألف واللام، فينصرف إلى المعهود السابق، وأما غيرها فمشكوك فيه، فحمل اللفظ على المعلوم أولى من حمله على المشكوك فيه» اهـ.
وانظر: مجاز القرآن ٢/ ٢٢٧، وتفسير غريب القرآن ١٨٠، وتفسير الطبري ٩/ ٤١، ومعاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٧٠، والنحاس ٣/ ٧١، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٦٥.

وقوله تعالى: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾. معنى العهد[1] في اللغة: التقدم في الأمر، ومن هذا يقال للوصية: عهد؛ لأنه يتقدم فيه بالوثيقة، فمعنى قوله: ﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾؛ «أي بما أوصاك وتقدم إليك أن تدعوه به»، وهو قول أبي العالية[2].

وقال عطاء عن ابن عباس[3]: «بما نبّأك واستخصّك».

وقال المؤرج: «بما أعلمك»[4]. وكل هذا يعود معناه إلى [معنى][5] الوصية والتقدم[6].

وقوله تعالى: ﴿وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، كانوا قد أخذوا بني إسرائيل بالكدِّ الشديد[7]، فوعدوا موسى -على دعائه بكشف العذاب عنهم- الإيمان به، والتخلية عن بني إسرائيل وإرسالهم معه يذهب بهم أين يشاء. وذكرنا هذا عند قوله: ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الأعراف: ١٠٥].

---

(١) أصل العهد حفظ الشيء ومراعاته، والعهد: الوصية والتقدم إلى صاحبك بشيء. واليمين والأمان والموثق والذمة. انظر: العين ١/ ١٠٢، الجمهرة ٢/ ٦٦٨، وتهذيب اللغة ٣/ ٢٦٠٦، والصحاح ٢/ ٥١٥، والمجمل ٣/ ٦٣٤، ومقاييس اللغة ٤/ ١٦٧، والمفردات ٥٩١، واللسان (عهد) ٥/ ٣١٤٨.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٣٠ من دون نسبة.

(٣) ذكره البغوي ٣/ ٢٧٢ عن عطاء فقط.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) لفظ: (معنى) ساقط من (ب).

(٦) انظر: مجاز القرآن ١/ ٢٢٧، وتفسير الطبري ٩/ ٤١، والماوردي ٢/ ٢٥٣، وابن الجوزي ٣/ ٢٥٢.

(٧) هذا قول الزَّجَّاج في معانيه ٢/ ٣٧٠، وانظر: تفسير الطبري ٩/ ٤١، ومعاني النحاس ٣/ ٧١.

١٣٥. قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ﴾. قال ابن عباس[(١)]: «يريد: إلى الأجل الذي غرقهم[(٢)] الله فيه».

وقوله تعالى: ﴿إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾؛ أي ينقضون العهد ولا يوفون بما عاهدوا، وأصل النكث أن تنكث أخلاق[(٣)] الأخبية والأكسية فتغزل ثانية، وهي تسمى: أنكاثاً، وواحدها نِكْثُ، والذي ينكثها نكاث، ثم يقال: نكَث فلان عهده إذا نقضه بعد إحكامه، كما ينكث مخيط الصوف بعد إبرامه[(٤)].

١٣٦. قوله تعالى: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾، معنى الانتقام في [اللغة][(٥)]: سلب النعمة بالعذاب[(٦)]، قال الليث: «انتقم إذا كافأه عقوبة بما صنع»[(٧)].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٥٠ بسند ضعيف، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٢٠٧.

(٢) في (ب): (عرفهم)، وكذلك جاء عند الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٣٠. وقال البغوي ٣/ ٢٧٢: (يعني إلى الغرق في اليم) اهـ.

وقال ابن عطية ٦/ ٥٤: «الأجل يراد به غاية كل واحد منهم بما يخصه من الهلاك، والموت هذا اللازم من اللفظ كما تقول: أخذت كذا إلى وقت، وأنت لا تريد وقتاً بعينه، وقيل: الأجل هنا: الغرق؛ لأن أكثر هذه الطائفة مات منه، فالإشارة هنا بالأجل إنما هي إلى الغرق، وهذا ليس بلازم؛ لأنه لا بد أنه مات منهم قبل الغرق عالم، وبقي بمصر خلق لم يغرق، فأين الغرق من هؤلاء؟ وذكر بعض الناس أن معنى الكلام: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ﴾ المؤجل ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾، ومحصول هذا التأويل أن العذاب كان مؤجلاً، والمعنى الأول أفصح؛ لأنه تضمن توعُّداً ما» اهـ. بتصرف.

(٣) الأخلق: اللين الأملس المصمت، وثوب خلق بال. انظر: اللسان ٢/ ١٢٤٧.

(٤) انظر: العين ٥/ ٣٥١، والجمهرة ١/ ٤٣١، وتهذيب اللغة ٤/٣٦٥٨، والصحاح ١/ ٢٩٥، والمجمل ٣/ ٨٨٤، ومقاييس اللغة ٥/ ٤٧٥، والمفردات ٨٢٢، واللسان (نكث) ٨/ ٤٥٣٦.

(٥) لفظ: (اللغة) ساقط من (ب).

(٦) انظر: الجمهرة ٢/ ٩٧٧، والصحاح ٥/ ٢٠٤٥، والمجمل ٣/ ٨٨٠، ومقاييس اللغة ٥/ ٤٦٤، والمفردات ٨٢٢، واللسان (نقم) ٨/ ٤٥٣١.

(٧) تهذيب اللغة ٤/ ٣٦٥٤، وانظر: العين ٥/ ١٨١.

وقوله تعالى : ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ ؛ أي في البحر[(١)] ، وأظنه[(٢)] قد مرَّ .

وقوله تعالى : ﴿وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ ، اختلفوا في الكناية في ﴿عَنْهَا﴾ ؛ فقيل : إنها تعود إلى النقمة التي دلت عليها (انتقمنا) ، والمعنى : وكانوا عن النقمة قبل حلولها ﴿غَٰفِلِينَ﴾[(٣)] ، وعلى هذا دل كلام ابن عباس ؛ لأنه قال في قوله : ﴿عَنْهَا﴾ : «عما يراد بهم من الغرق»[(٤)] .

وقيل : الكناية تعود إلى الآيات ، وهو اختيار الزَّجَّاج ؛ لأنه قال : «أي كانوا لا يعتبرون بالآيات التي تنزل بهم»[(٥)] .

فإن قيل على هذا : إن الغفلة حال تعتري الإنسان تنافي[(٦)] الفطنة ، وليست من فعل الإنسان ، فَلِمَ جاء الوعيد على الغفلة ؟

---

(١) هذا هو قول أهل اللغة والتفسير ، انظر : مجاز القرآن ١/ ٢٢٧ ، وتفسير غريب القرآن ١٨٠ ، وتفسير الطبري ٩/ ٤٢ ، ومعاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٧١ ، والنحاس ٣/ ٧٢ ، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٦٥ ، وانظر : العين ٨/ ٤٣١ ، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٩٨٤ ، والصحاح ٥/ ٢٠٦٥ ، ومقاييس اللغة ٦/ ١٥٣ ، والمفردات ٨٩٣ ، واللسان (يمم) ٨/ ٤٩٦٦ .

(٢) الظاهر أنه لم يمر ؛ لأن أول موضع ورد فيه لفظ ﴿ٱلْيَمِّ﴾ في هذه الآية ، وانظر : تعريف البحر عند الواحدي في البسيط ، [البقرة : ٥٠] .

(٣) هذا هو قول الطبري في تفسيره ٩/ ٤٢ ، والبغوي ٣/ ٢٧٣ .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٧١ ، والنقمة من الآيات ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٣/ ٢٥٢ ، والرازي ١٤/ ٢٢٠ .

(٦) في (ب) : (تعتري الإنسان ما في الفطنة) ، وهو تحريف .

والجواب : أنهم تعرّضوا[(١)] لها ، حتى صاروا لا يفطنون بها ، وقيل : إن الغفلة هاهنا المراد بها الإعراض[(٢)] عن الآيات ، وهم أعرضوا عنها حتى صاروا كالغافلين عنها[(٣)] .

١٣٧. قوله تعالى : ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ﴾ الآية . معنى أورثناهم الأرض ؛ أي مكناهم فيها بعد إهلاك مَنْ كان بها ، مع الحكم بأن لهم أن[(٤)] يتصرّفوا فيها[(٥)] .

وقوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ﴾ . معنى الاستضعاف في اللغة : طلب الضعف[(٦)] بالاستطالة والقهر ، ثم كثر حتى صار استضعفته بمعنى : وجدته ضعيفاً بامتحاني إياه ، كأنه طلب حال ضعفه بمحنته فوجده . قال مقاتل[(٧)] ، والمفسرون[(٨)] : ﴿يُسْتَضْعَفُونَ﴾ ؛ أي بقتل الأبناء واستحياء النساء .

---

(١) في (ب) : (يعرضوا) .

(٢) في (أ) : (الإعراب) .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٩/ ٤٢ ، وابن عطية ٦/ ٥٥ ، والرازي ١٤/ ٢٢١ ، وقال السمين في الدر ٥/ ٤٣٨ : «قال الجمهور : إنهم تعاطوا أسباب الغفلة ، فذموا عليها كما يذم الناسي على نسيانه لتعاطيه أسبابه» اهـ .

(٤) لفظ : (أن) ساقط من (ب) .

(٥) انظر : تفسير الطبري ١٣/ ٧٦ .

(٦) الضَّعْف والضُّعْف بالفتح والضم لغتان خلاف القوة ، وقيل : الضَّعف بالفتح في العقل والرأي ، والضُّعف بالضم في البدن ، واستضعفته : وجدته ضعيفاً ، وأضعفته ؛ أي صيرته ضعيفاً .
انظر : العين ١/ ٢٨١ ، والجمهرة ٢/ ٩٠٣ ، وتهذيب اللغة ٣/ ٢١١٩ ، والصحاح ٤/ ١٣٩٠ ، والمجمل ٢/ ٥٦٢ ، ومقاييس اللغة ٣/ ٣٦٢ ، والمفردات ٥٠٦ ، واللسان (ضعف) ٥/ ٢٥٨٧ .

(٧) تفسير مقاتل ٢/ ٥٩ .

(٨) انظر : تفسير الطبري ٩/ ٤٣ ، والماوردي ٢/ ٢٥٤ ، والبغوي ٣/ ٢٧٣ .

وقوله تعالى: ﴿مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا﴾ . [قال ابن عباس[١] وغيره[٢] : «يريد: مشارق أرض الشام ومصر، ومغاربها][٣] ؛ أي جهات الشرق بها[٤] والغرب»، وهو قول الحسن وقتادة[٥] .

وقال مقاتل: «مشارق الأرض المقدسة ومغاربها»[٦]، فالأرض على هذا مخصوصة .

وقال الزَّجَّاج: «فكان منهم داود وسليمان ملكا الأرض»[٧]، ذهب إلى أن الأرض هاهنا اسم الجنس ولم يخص[٨] .

وقوله: ﴿ٱلَّتِي بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾ ؛ أي بإخراج الزروع والثمار والنبات والأشجار والعيون والأنهار .

وقوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ .

---

(١) تنوير المقباس ٢/ ١٢٣ .

(٢) انظر: تفسير السمرقندي ١/ ٥٦٥، والماوردي ٢/ ٢٥٤، والبغوي ٣/ ٢٧٣، وابن الجوزي ٣/ ٢٥٣ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٤) لفظ: (بها) ساقط من (ب) .

(٥) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢٣٤، ٢٣٥، والطبري ٩/ ٤٣، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٥١ من من عدة طرق جيدة الحسن وقتادة، وهو قول سفيان الثوري في تفسيره ١١٣ . وانظر: الدر المنثور ٣/ ٥٢٦ .

(٦) تفسير مقاتل ٢/ ٥٩، وزاد فيه: (وهي الأردن وفلسطين) اهـ .

(٧) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٧١، وهو قول النحاس في معانيه ٣/ ٧٢ .

(٨) أكثرهم على أن المراد: الشام؛ لأنها هي التي كانت تحت تصرف فرعون، والمتصفة بأنها التي بارك فيها، وهو اختيار الطبري ٩/ ٤٣، وابن عطية ٦/ ٥٦، والرازي ١٤/ ٢٢١ .

قال ابن عباس : «يريد : مواعيد ربك التي لا خلف فيها ولا ناقض لها»[1] . ونحو ذلك قال الزَّجَّاج[2] وغيره : «يعني : ما وعدهم الله من إهلاك عدوهم واستخلافهم في الأرض» .

قال مقاتل : «وهي الكلمة التي في القصص : ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إلى قوله : ﴿يَحْذَرُونَ﴾»[3] [القصص : ٥ ، ٦] ، وقال أهل المعاني : «معنى تمام الكلمة الحسنى : إنجاز الوعد الذي[4] تقدم بإهلاك عدوهم واستخلافهم في الأرض ، وإنما كان الإنجاز تماماً[5] للكلام ؛ لتمام[6] النعمة به ، وإنما قيل : ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ ؛ لأنه وعد بما يحبون»[7] .

وقوله تعالى : ﴿بِمَا صَبَرُوا۟﴾ ، قال ابن عباس : «يريد : على عذاب فرعون وصنيعه بهم»[8] ، وهذا إخبار عن حسن عاقبة الصبر على الحق .

وقوله تعالى : ﴿وَدَمَّرْنَا﴾ ، قال الليث[9] : «الدمار : استئصال الهلاك ، يقال : دَمَرَ القومُ يَدْمُرُون دَمَاراً ؛ أي هلكوا ودَمَرَهم : مَقَتَهم ، ودمَّر عليهم تدميراً»[10] .

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٣١ .

(٢) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٧١ وهو قول الطبري ٩/ ٤٤ ، وأخرجه بسند جيد عن مجاهد .

(٣) تفسير مقاتل ٢/ ٥٩ ، وقال النحاس في معانيه ٣/ ٧٢ ، ٧٣ : قيل : «يعني بالكلمة : ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف :١٢٩]» اهـ .

(٤) في أصل (أ) : (التي ثم صحح إلى الذي) .

(٥) في (أ) : (تمام) .

(٦) لفظ : (لتمام) ساقط من (ب) .

(٧) انظر : تفسير الماوردي ٢/ ٢٥٤ ، والرازي ١٤/ ٢٢٢ .

(٨) تنوير المقباس ٢/ ١٢٣ ، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢٣١ بلا نسبة .

(٩) تهذيب اللغة ٢/ ١٢٢٥ ، وانظر : العين ٨/ ٣٩ ، والجمهرة ٢/ ٦٣٨ ، والصحاح ٢/ ٦٥٩ ، والمجمل ٢/ ٣٣٥ ، ومقاييس اللغة ٢/ ٣٠٠ ، والمفردات ٣١٨ ، واللسان (دمر) ٣/ ١٤٢٠ .

(١٠) في تهذيب اللغة (ودمرهم الله تدميراً) .

وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾. قال ابن عباس: «يريد: المصانع[(١)]، ﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾؛ أي يسقفون من القصور»[(٢)] ونحو ذلك.

قال مجاهد: «أي يبنون البيوت والقصور والمساكن»[(٣)].

قال الزَّجَّاج[(٤)]: «يقال: عَرَشَ يعرُش [ويعرِش][(٥)] إذا بنى».

وقال مقاتل: «أهلكنا ما عمل فرعون وقومه بأرض مصر وما بنوا من المنازل والبيوت»[(٦)].

١٣٨. قوله تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾، يقال: جاوز الوادي إذا قطعه وخلفه وراءه، وجاوز بغيره: عبر به[(٧)].

---

(١) ذكره والرازي ١٤/ ٢٢٢.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٣١، وأخرج الطبري ٩/ ٤٤، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٥٢، عن ابن عباس بسند جيد، قال: «يبنون».

(٣) تفسير مجاهد ١/ ٢٤٥، وأخرجه الطبري ٩/ ٤٤، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٥٢ من طرق جيدة، وفيه: «يبنون البيوت والمساكن ما بلغت وكان عنبهم غير معروش» اهـ.

(٤) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٧١.

(٥) لفظ: (ويعرش) ساقط من (ب)، وهو بكسر الراء، والثاني بضمها عَرش يَعْرِش ويَعْرُش. وانظر: اللسان (عرش) ٥/ ٢٨٨١.

(٦) تفسير مقاتل ٢/ ٦٠.

(٧) الجوز: قطع الشيء، يقال: جُزْت الموضع: سلكته وسرت فيه، وأَجَزْته: خلفته وقطعته، وأَجزْته: نَفذتُه، وجَاوَزْت الشيء إلى غيره وَتَجاوَزته بمعنى جزته.

انظر: العين ٦/ ١٦٥، وتهذيب اللغة ١/ ٥١٩، والصحاح ٣/ ٨٧٠، والمجمل ١/ ٢٠٣، ومقاييس اللغة ١/ ٤٩٤، والمفردات ٢١١، واللسان (جوز) ٢/ ٧٢٤.

﴿فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ ، قال ابن عباس : «يعبدونها مقيمين عليها»[١] .

قال الزَّجَّاج : «يواظبون عليها و[٢]يلازمونها ، يقال لكل من لزم شيئاً وواظب عليه[٣] : عكَف يعكُف ويعكِف ، ومن هذا قيل للملازم المسجد : معتكف»[٤] ، وكل واحد من الكسر والضم في عيني الكلمتين لغة ، مثل : يعرُش ويعرِش ويبطُش[٥] ويبطِش .

قال قتادة[٦] : «كان أولئك القوم من لخم[٧] ، وكانوا نزولاً بالرقة»[٨] .

---

(١) تنوير المقباس ٢/ ١٢٣ ، وذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٣١ .

(٢) (الواو) ساقطة من (ب) .

(٣) في (ب) : (عليها) ، وهو تحريف .

(٤) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٧١ ، ونحوه قال النحاس في معانيه ٣/ ٧٣ ، وانظر : مجاز القرآن ١/ ٢٢٧ ، وتفسير غريب القرآن ١٨٠ .

(٥) هذا قول أبي علي في الحجة ٤/ ٧٤ ، ٧٥ ، والضم والكسر في ﴿يَعْرِشُونَ﴾ و﴿يَعْكُفُونَ﴾ لغة وقراءة سبعية ، قرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم (يَعْرُشُونَ) بضم الراء ، وقرأ الباقون بكسرها ، وقرأ حمزة والكسائي و(يَعْكِفُونَ) بكسر الكاف ، والباقون بضمها . انظر : السبعة ٢٩٢ ، والمبسوط ١٨٤ ، والتذكرة ٢/ ٤٢٤ ، والتيسير ١١٣ ، والنشر ٢/ ٢٧١ ، وانظر : توجيه القراءة في معاني القراءات ١/ ٤٢١ ، وإعراب القراءات ١/ ٢٠٤ ، والحجة لابن خالويه ١٦٢ ، ولابن زنجلة ٢٩٤ ، والكشف ١/ ٤٧٥ .

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢٣٢ ، والبغوي ٣/ ٢٧٣ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٥٤ ، وأخرج الطبري ٩/ ٤٥ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٥٣ بسند ضعيف عن قتادة قال : «على أصنام لهم على لخم» .

(٧) لَـخْم : قبيلة من كهلان ، ولخم أخو جُذام عم كندة ، وهم حي من اليمن ، ومنهم كانت ملوك العرب في الجاهلية ، ونزلوا الحيرة وهم آل عمرو بن عدي بن نصر اللخمي ، وقيل هم آل المنذر .
انظر : اللسان (لخم) ٧/ ٤٠١٨ ، ونهاية الأرب ٣٦٧ .

(٨) الرَّقَّة ، بالفتح مدينة مشهورة على الفرات من بلاد الجزيرة ، بينها وبين حَران ثلاثة أيام ، ويقال لها : الرقة البيضاء . انظر : معجم البلدان ٣/ ٥٩ .

وقال ابن جريج: «كانت تلك الأصنام تماثيل بقر، وذلك أول شأن العجل»[(١)].

وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾، قال عطاء: «يريد: من دون الله. ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾، يريد: جهلتم نعمة ربكم وما صنع بكم»[(٢)].

قال أهل المعاني: «هذه الآية تخبر عن جهل عظيم من بني إسرائيل؛ حيث توهّموا أنه يجوز عبادة غير الله بعدما رأوا الآيات التي توالت على قوم فرعون حتى غرَّقهم الله في البحر بكفرهم وعبادتهم غيره، فلم يردعهم ذلك عن أن قالوا لنبيهم: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾»[(٣)].

١٣٩. قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ﴾، قال الليث: «التَّبار[(٤)]: الهلاك، تَبرَ الشيءُ يَتْبَرُ تباراً، والتتبير: الإهلاك»[(٥)]. ومنه قوله: ﴿تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾[(٦)] [الفرقان: ٣٩]، قال المفسرون: ﴿مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ﴾ مهلك ومدمّر[(٧)].

---

(١) أخرجه الطبري ٩/ ٤٥ بسند جيد.

(٢) ذكر الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٣٢، عن ابن عباس قال: «جهلتم نعمة ربكم في ما صنع بكم».

(٣) انظر: تفسير الطبري ٩/ ٤٥، والسمرقندي ١/ ٥٦٦، وابن الجوزي ٣/ ٢٥٤.

(٤) التبر: الكسر والإهلاك، وتبره تتبيراً؛ أي كسره وأهلكه، وكل شيء كَسرته فقد تبرته. انظر: الجمهرة ١/ ٢٥٣، والصحاح ٢/ ٦٠٠، والمجمل ١/ ١٥٣، ومقاييس اللغة ١/ ٣٦٢، والمفردات ١٦٢، واللسان (تبر) ١/ ٤١٦.

(٥) العين ٨/ ١١٧، وفي تهذيب اللغة ١/ ٤٢٥، عن الليث قال: (تَبِر الشيء يَتْبرُ تَباراً).

(٦) جاء في النسخ: (تبرناهم تتبيراً)، وهو تحريف.

(٧) انظر: مجاز القرآن ١/ ٢٢٧، وغريب القرآن لليزيدي ١٥٠، وتفسير غريب القرآن ١٨٠، وتفسير الطبري ٩/ ٤٦، وأخرجه بسند جيد عن السدي، وانظر: معاني الزَّجّاج ٢/ ٣٧١، والنحاس ٣/ ٧٣، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٦٦، والماوردي ٢/ ٢٥٥.

وقوله تعـــالى : ﴿وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ ، قال ابن عبـــاس : «يريد : أن عملهم للشيطان ، وليس لله فيه نصيب»[١] .

قال أهل المعاني[٢] : «ومعنى البطـــلان : انتفاء الشيء بعدمه أو بعدم معناه ، والمعنى في بطلان عملهم : إنه لا يعود عليهم بنفع ولا بدفع ضر ، فكأنه بمنزلة ما لم يكن من هذا الوجه ، وهذا بيان عن حال من عمل لغير الله كيف يصير أمره إلى الهلاك ، وعمله إلى الشيطان[٣]» .

١٤٠. قوله تعالى : ﴿قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا﴾ ، يقال : بغيت[٤] فلاناً شـــيئاً ، وبغيته له ، قال الله تعالى : ﴿يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ﴾ [التوبة : ٤٧] ؛ أي يبغون لكم ، وقال كعب بن زهير :

إذا ما نَتَجْنَا أَرْبَعاً عــــامَ كُفْـأَةٍ بَغَاها خَنَاسِـــيراً فأهْلَكَ أَرْبَعا[٥] ؛

أي بغى لها خناسير ، وهي الدواهي ، وفي انتصاب قوله : ﴿إِلَٰهٗا﴾ وجهان ؛

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٣٣ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٩/ ٤٦ ، والرازي ١٤/ ٢٢٤ .

(٣) في (ب) : (إلى البطلان) .

(٤) البغي : طلب الشيء ؛ يقال : بَغَيْت الشيء أبغيه : إذا طلبته ، وَبَغَيتك الشيء : إذا طلبته لك ، وأَبغَيْتُك الشيء : إذا أَعَنْتُك على طلبه ، وأبغيتك الشيء أيضاً : جعلتك طالباً له . انظر : العين ٤/ ٤٥٣ ، والجمهرة ١/ ٣٧١ ، والبارع ٤٣٤ ، والصحاح ٦/ ٢٢٨٢ ، والمجمل ٢/ ١٢٩ ، ومقاييس اللغة ١/ ٢٧١ ، والمفردات ١٣٦ ، واللسان (بغي) ١/ ٣٢٢ .

(٥) ديوانه ٤٣ ، وإصلاح المنطق ١١٣ ، وتهذيب اللغة ١/ ٣٦٧ ، واللسان (بغى) ١/ ٣٢٢ ، والكفأة : نتاج عام واحد ، والخناسير : الدواهي والمصائب . يقول : إنه لا حظَّ له إذ أنتج أربع نوق عدت عليه عوادي الزمن فأهلكتها ، ولم تبق منها شيئاً . انظر : حاشية الديوان ، وتهذيب إصلاح المنطق ١/ ٣١٥ .

أحدهما : الحال كأنه قيل : أطلب لكم غير الله معبوداً ، ونصب (غير) في هذا[١] على المفعول به .

[الثاني : أن ينصب ﴿إِلَٰهًا﴾ على المفعول به][٢] ، (وغير) على الحال المقدمة التي لو تأخرت كانت صفة ، كما تقول : أبغيكم إلهاً غير الله[٣] .

وقوله تعالى : ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ . قال ابن عباس : «يريد : أكرمكم من بين الخلائق أجمعين»[٤] .

وفي هذا قولان ؛ أحدهما : تخصيص ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ، بأن يقال : عالمي زمانهم ، وهو قول الحسن[٥] والمفسرين[٦] ، والثاني : التفضيل[٧] ، وهو أن يقال : أراد بقوله : ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ . ما خصّهم[٨] به من الآيات وإرسال موسى وهارون نبيين منهم ، وإهلاك عدوهم في البحر وإنجائهم

---

(١) في (ب) : (ونصب غير في هذا الوجه على المفعول به) .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٣) قال السمين في الدر ٥/ ٤٤٥ : «في نصب (غير) وجهان : أحدهما : أنه مفعول به لأبغيكم ، تقديره : أبغي لكم غير الله ؛ أي أطلب لكم ، وفي (إلهاً) على هذا وجهان ؛ أحدهما : وهو الظاهر أنه تمييز لغير . والثاني أنه حال . وفيه نظر . والثاني من وجهي (غير) : أنه منصوب على الحال من (إلهاً) ، (وإلهاً) هو المفعول به لأبغيكم ، والأصل : أبغي لكم إلهاً غير الله ، فغير الله صفة لإله ، فلما قدمت صفة النكرة عليها نصبت حالاً» اهـ . ملخصاً .
وانظر : إعراب النحاس ١/ ٦٣٥ ، والمشكل ١/ ٣٠١ ، والبيان ١/ ٣٧٣ ، والتبيان ٣٨٩ ، والفريد ٢/ ٣٥٤ .

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٣٣ .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٩/ ٤٦ ، والسمرقندي ١/ ٥٦٦ ، وقال ابن الجوزي في تفسيره ٣/ ٢٥٤ : «قال المفسرون منهم ابن عباس ومجاهد العالمون هاهنا عالمو زمانهم» اهـ .

(٧) في (ب) : (والثاني تخصيص الفضل وهو أن يقال . . . .) .

(٨) في (ب) : (ما خصصهم) .

منهم ، إلى غير ذلك مما فضلوا فيه خاصاً على جميع العالمين ، ثم غيرهم يفضلهم في غير هذه الآيات ، مثال هذا : رجل يعلم علماً واحداً ، ففاخره إنسان يعلم كثيراً من العلوم ، ولا يعلم ذلك العلم الواحد ، فصاحب العلم الواحد يفضل عليه[(١)] بذلك العلم الواحد ، ثم يفضل صاحب العلوم ويصير حقيقة الفضل له ، ولكن لا ينكر تفضيل الأول عليه بما خُصّ به ، وهذا قول أهل النظر[(٢)] ، وهذه الآية تضمنت توبيخاً لهم حين[(٣)] طلبوا إلهاً غير الله ، وهو الذي ينال كل الخير وكل النعم منه .

١٤١. قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ . مفسر إلى آخر الآية في سورة البقرة[(٤)] .

١٤٢. قوله تعالى : ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً﴾ ، قال أبو علي الفارسي[(٥)] وغيره من النحويين[(٦)] : «تقدير الآية : وواعدنا موسى انقضاء ثلاثين

---

(١) قوله : «يفضل عليه بذلك العلم الواحد» مكرر في (ب) .

(٢) انظر : تفسير والرازي ١٤/ ٢٢٥ ، وقال ابن عطية في تفسيره ٦/ ٦٢ : «العالمين لفظ عام ، يراد به تخصيص عالم زمانهم ؛ لأن أمة محمد ﷺ أفضل منهم بإجماع ، اللهم إلا أن يراد بالفضل كثرة الأنبياء منهم ، فإنهم فضلوا في ذلك على العالمين بالإطلاق» اهـ .

(٣) في (ب) : (حتى) .

(٤) انظر : البسيط ، [البقرة :٤٩] .

(٥) انظر : الحجة لأبي علي ٢/ ٦٤ ، ٦٥ ، والإغفال ١١٠٢ .

(٦) انظر : معاني الأخفش ١/ ٩٣ ، ومعاني الزَّجَّاج ١/ ١٣٣ ، وتفسير الطبري ١/ ٢٨٠ ، وإعراب النحاس ١/ ٦٣٥ ، والمشكل ١/ ٩٤ ، قال الطبري ١/ ٢٨٠ في معنى آية [البقرة :٥١] : ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ . المعنى : «وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة بتمامها ، فالأربعون ليلة كلها داخلة في الميعاد ، وقد زعم بعض نحويي البصرة أن معناه : وإذ واعدنا موسى انقضاء أربعين ليلة ؛ أي رأس الأربعين ، وذلك خلاف ما جاءت به الرواية عن أهل التأويل وخلاف ظاهر التلاوة» اهـ . وقال ابن عطية ٦/ ٦٥ : «وكل المفسرين على أن الأربعين كلها ميعاد» اهـ .

ليلــة ، يترقب بعدهــا المفاجأة» ، وقد بيَّنا هذا بياناً شــافياً في ســورة البقرة[١] .

قال ابن عبــاس[٢] والمفسرون[٣] : «كانت[٤] تلك الثلاثين ذو القعدة ، أمره الله تعالى أن يصوم فيها ، ويتفرّد للعبادة ، ويعمل فيها بما يقربه إلى الله -عز وجل- ليكلمه ، فلما انسلخ الشهر استاك موسى لمناجاة ربه يريد إزالة[٥] الخلوف»[٦] .

وقال أبو العالية : «أكل من لحاء شــجرٍ فأوحى الله إليه : يا موسى لا كلّمتك حتى يعود فوك على[٧] ما كان عليه ، أمــا علمت أن رائحة الصائم أحب إليّ من ريح المســك ، وأمره بصيام عشرة أيام من ذي الحجة ليكلّمه بخلوف فيه ، فذلك قوله : ﴿وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾»[٨] .

---

(١) انظر : البسيط ، [البقرة :٥٢] .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٥٦ بسند جيد ، وذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٣٤ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٥٥ ، والسيوطي في الدر ٣/ ٢١٤ .

(٣) أخرج عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢٣٦ ، والطبري ٩/ ٤٧ ، ٤٨ من طرق جيدة عن مجاهد نحوه ، وانظر : معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٧٢ ، والنحاس ٣/ ٧٤ ، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٦٧ ، وابن كثير ٢/ ٢٧١ .

(٤) في النسخ : (كان) ، والأولى (كانت) .

(٥) في (ب) : (يريد لإزالة الخلوف) .

(٦) الخُلوف بالضم : تغير رائحة الفم لتأخر الطعام . انظر : اللسان (خلف) ٢/ ١٢٤١ .

(٧) في (ب) : (يعود فوك كما كان عليه) .

(٨) ذكره الثعلبي في الكشف ١٩٦أ ، والبغوي ٣/ ٢٧٥ .

وقوله تعالى : ﴿فَتَمَّ مِيقَـٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ﴾ . الميقات[١] : ما قُدِّر ليعمل فيه عمل من الأعمال ، ولهذا قيل : مواقيت الحج ، وهي المواضع التي[٢] قُدِّرت للإحرام به ، فمعنى قوله : ﴿فَتَمَّ مِيقَـٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ﴾ ؛ أي تم الوقت الذي قدّره الله لصوم موسى وعبادته أربعين ليلة[٣] .

قال أبو علي الفارسي : «هذا كقولك : تم القوم عشرين[٤] رجلاً ، والمعنى : تم القوم معدودين هذا العدد ، كذلك تم الميقات معدوداً هذا العدد[٥] ، وقد جاء (الميقات) في موضع (الميعاد) ، كما جاء (الوقت) في موضع الوعد في قوله : ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ﴾ [الحجر : ٣٨] ، ومما يبيّن تقاربها قوله : ﴿فَتَمَّ مِيقَـٰتُ رَبِّهِۦٓ﴾[٦] [الأعراف : ١٤٢] ، وفي الأخرى : ﴿وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ﴾ [البقرة : ٥١] ، وقال : ﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ﴾ [البروج : ٢] ، وقال : ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ﴾ [الحجر : ٣٨] ، وقال : ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ﴾[٧] [الواقعة : ٥٠] ، فإن قيل : فلِمَ قال : ﴿فَتَمَّ مِيقَـٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ﴾ ، وقد دل ما تقدم على هذا ؟ قيل : للبيان الذي لا

(١) الميقات : مصدر الوقت ، وهو الوقت المضروب للفعل والموضع . قال السمين في الدر ٥/ ٤٤٦ ، ٤٤٧ : «الفرق بين الميقات والوقت ، أن الميقات ما قدر فيه عمل من الأعمال ، والوقت وقت للشيء من غير تقدير عمل أو تقديره» اهـ . وانظر : العين ٥/ ١٩٩ ، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٩٢٨ ، والصحاح ١/ ٢٦٩ ، ومقاييس اللغة ٦/ ١٣١ ، والمفردات ٨٧٩ ، واللسان (وقت) ٨/ ٤٨٨٧ .

(٢) في أصل (أ) : (لذي) ثم صحح إلى (التي) .

(٣) لفظ : (ليلة) ساقط من (أ) .

(٤) في النسخ : (عشرون) ، وهو تحريف .

(٥) وعليه يكون نصب أربعين على الحال ؛ أي تم ميقات ربه معدوداً أربعين ليلة . انظر : المشكل ١/ ٣٠١ ، والبيان ١/ ٣٧٤ ، والتبيان ٣٩٠ ، والفريد ٢/ ٣٥٦ ، والدر المصون ٥/ ٤٤٧ .

(٦) لفظ : (فتم) ساقط من (ب) .

(٧) الحجة لأبي علي ٢/ ٦٥ .

يجوز معه توهم[١] أتممنا الثلاثين بعشر منها . كأنه كان عشرين ليلة ، ثم أتم بعشر فصار ثلاثين[٢] .

وقوله تعالى : ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَـٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾ . يقال :[٣] خَلَفَ فلان مكان فلان يَخْلُفُ[٤] إذا كان في مكانه . قال المفسرون : «فلما أراد موسى الانطلاق إلى الجبل استخلف أخاه هارون على قومه»[٥] . وقال الفرَّاء : «يقال : خلفتك ؛ أي كنت خليفتك ، فأنا أخلفك خلافة»[٦] .

وقوله تعالى : ﴿وَأَصْلِحْ﴾ . قال ابن عباس : «يريد : الرفق بهم والإحسان إليهم»[٧] ، فعلى هذا معناه : وأصلح أمرهم ، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ ؛ (أي طريق العاصين) . قاله ابن عباس والكلبي[٨] ، كأنه يقول : لا تطع من عصى الله ولا توافقه على أمره .

---

(١) جاء في هامش (أ) زيادة : (توهم مضاف للجملة . . . .) ، وزيادة كلام لم أستطع معرفته .

(٢) أكثرهم على أن الجملة تأكيد وإيضاح ، وقيل : إنها لإزالة توهم أن تكون عشر ساعات ، وقيل : فائدتها إزالة توهم العشر من الثلاثين ، وقال السمين في الدر ٥/ ٤٤٨ : «الجملة الظاهر أنها للتأكيد ، وقيل : هي للتأسيس ، لاحتمال أن يتوهم متوهم بعشر ساعات أو غير ذلك وهو بعيد جداً» اهـ . ملخصاً . وانظر : معاني النحاس ٣/ ٧٤ ، وإعراب النحاس ١/ ٦٣٥ ، والمشكل ١/ ٣٠١ ، وتفسير الماوردي ٢/ ٢٥٦ ، وابن عطية ٦/ ٦٦ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٥٥ ، والرازي ١٤/ ٢٢٦ ، والفريد ٢/ ٣٥٥ ، والبحر ٤/ ٣٨١ .

(٣) في (ب) : (فقال) ، وهو تحريف .

(٤) الخلافة : النيابة عن الغير ، وخلف فلان فلاناً ، قام بالأمر عنه . انظر : العين ٤/ ٢٦٥ ، وتهذيب اللغة ١/ ١٠٨٩ ، والصحاح ٤/ ١٣٥٤ ، ومقاييس اللغة ٢/ ٢١٠ ، والمفردات ٢٩٤ ، واللسان (خلف) ٢/ ١٢٣٥ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٩/ ٤٨ ، والسمرقندي ١/ ٥٦٧ ، والبغوي ٣/ ٢٧٥ .

(٦) لم أقف عليه بعد طول بحث عنه .

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٣٤ ، والبغوي ٣/ ٢٧٥ ، والخازن ٢/ ٢٨١ .

(٨) تنوير المقباس ٢/ ١٢٥ .

١٤٣. قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾ ، قال الزَّجَّاج : «أي في الوقت الذي وقتنا لـــه»[١] ، ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ . قال المفـــسرون : «خصّ الله تعالى[٢] موسى -عليه السلام- بأن أسمعه كلامه من غير أن يكون بينهما أحد ، فلما سمع كلام الله تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾»[٣] .

قال الزَّجَّاج : «المعنى : أرني نفســك أنظر إليك»[٤] ، وهذا يقطع بأن موسى سأل رؤية الباري ، ولو كانت الرؤيا لا تصح في وصفه ما سأل موسى ذلك ؛ لأنه كان أعلم بالله من أن يســأله ما يســتحيل في وصفه ، وليس يحتمل قوله : ﴿أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ إلا أنه سأله أن يريه نفسه لينظر إليه ، وليس يصح أن يقال : إنه سأل أمراً عظيماً على تقديــر : أرني أمراً ، أنظر إلى أمرك ، ثم حذف المفعول والمضاف ؛ لأن ســياق الآية يدل على بطلان هذا ، وهو قوله : ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ ﴿فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ﴾ . ولا يجــوز أن يحمــل جميع هذا على حــذف المضاف ، ولأنه لو ســأل آية وأمراً لأعطاه الله تعالى ما ســأل كما أعطاه سائر الآيات ، وأي معنى لإحالته على اســتقرار الجبل ووقوعه مغشياً عليه ، وتوبته بعد ذلك ، هذا كله لا يكون في سؤاله أمراً وعلامة[٥] .

قال أبو إسحاق : «ليس في الكلام دليل على أن موسى أراد أن يرى أمراً عظيماً من أمر الله عــز وجل ؛ لأن الله تعالى أراه من الآيات مــا لا غاية بعده : العصا ، واليد ، وفرق البحر ، فكان يســتغني بما أراه عــن أن يطلب أمراً من أمر الله -عز

---

(١) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٧٢ ، ونحوه قال الطبري ٩/ ٤٩ ، والنحاس في معانيه ٣/ ٧٤ .

(٢) لفظ : (تعالى) ساقط من (ب) .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٩/ ٤٩ ، ٥٠ ، وقد أخرجه من طرق جيدة عن السدي وابن إسحاق والربيع بن أنس ، وانظر : معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٧٣ ، والسمرقندي ١/ ٥٦٧ .

(٤) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٧٣ .

(٥) انظر : بدائع التفسير ٢/ ٢٦٤-٢٦٦ .

وجل - عظيماً ، ولكنه لما سـمع كلام الله تعالى[(١)] ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾ ؛ أي قد سمعت كلامك ، فأنا أحب أن أراك»[(٢)] .

وقوله تعالى : ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ . هذا[(٣)] أيضاً دليل على جواز الرؤية ، لأنه لو كان مستحيل الرؤية لقال : لا أرى ، ألا ترى أنه لو كان في يد رجل حجر ، فقال له إنسان : ناولني هذا لآكل ، فإنه يقول : (هذا لا يؤكل) ، ولا يقول : لا تأكل ، ولو كان في يده بدل الحجر تفاحة لقال : لا تأكل ؛ أي هذا مما يؤكل ولكنك لا تأكل .

وفي قوله : ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ ، إبطال قول من يقول : إن موسى سأل الرؤية لقومه ؛ لأنهم[(٤)] قالوا : ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةً﴾ [النساء : ١٥٣] ، فسأل موسى الرؤية ليتبيّن لهم أن ذلك لا يجوز ، وذلك أنه لو كان سؤال الرؤية لقومه لقال[(٥)] : لن يروني ، ولقال موسى : أرهم[(٦)] ، فلما قال : ﴿أَرِنِيٓ﴾ ، وقيل له : ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ بطل أن يكون السؤال لقومه ، وقول من قال : إن (لن)[(٧)] للتأبيد دعوى على أهل اللغة ، وليس يشهد لذلك كتاب ولا نقل ولا إسناد ولا أصل[(٨)] ، ولكن معنى قول : ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ ؛ أي في الدنيا ، كما قال عبدالعزيز بن يحيى الكناني : «قوله : ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ جواب قول موسى : ﴿أَرِنِيٓ﴾ ، فلا يقع على الآخرة ؛ لأن موسى لم

---

(١) لفظ : (تعالى) ساقط من (أ) .

(٢) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٧٤ وزاد فيه : (وهذا خطأ لا يعرفه أهل اللغة) اهـ .

(٣) في (ب) : (في هذا أيضاً دليل) .

(٤) انظر : الكشاف ٢/ ١١٣ .

(٥) في (أ) : (قال) ، وهو تحريف .

(٦) في (ب) : (أراهم) ، وهو تحريف .

(٧) لفظ : (لن) ساقط من (ب) .

(٨) لن : حرف يدل على النفي في المستقبل ، قال ابن هشام في المغني ١/ ٢٨٤ : «لن : حرف نفي واستقبال ولا تفيد توكيد النفي ولا تأبيده خلافاً للزمخشري ، وكلاهما دعوى بلا دليل» اهـ . انظر : العين ٨/ ٣٥٠ ، والكتاب ٤/ ٢٢٠ ، وحروف المعاني ٨ ، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٣٠٣ ، ومعاني الحروف ١٠٠ ، ورصف المباني ٣٥٥ ، واللسان (لن) ٧/ ٤٠٨٢ .

يقل : أرني في الآخرة ، إنما سأل الرؤية في الدنيا فأجيب عما سأل»[١] ، والجواب يكون على وفق السؤال ، كيف وقد نص ابن عباس في رواية عطاء في قوله : ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ . قال : «لن تراني في الدنيا»[٢] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾ . قال مقاتل : «لما قال موسى : ﴿أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ قال له ربه : ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ ، ولكن اجعل بيني وبينك ما هو أقوى منك ، وهو الجبل ﴿فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾ ؛ أي سكن وثبت ، ﴿فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾ ، وإن لم يستقر مكانه فإنك لا تطيق رؤيتي ، كما أن الجبل لا يطيق رؤيتي»[٣] .

قال الكلبي[٤] وغيره[٥] : «والجبل في قوله : ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ﴾ ، أعظم جبل بمدين[٦] ، يقال[٧] له : زبير[٨]»[٩] .

---

(١) (ولا أصل) ساقط من (ب) ، ونقل قول الواحدي الرازي في تفسيره ١٤/ ٢٣٣ .

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف ١٩٦ أ .

(٣) تنوير المقباس ٢/ ١٢٥ . وذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٣٦ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٥٦ ، وهذا هو الحق ومذهب أهل السنة والجماعة .
قال ابن كثير ٢/ ٢٧٢ : «استدل المعتزلة على نفي الرؤية في الدنيا والآخرة بهذه الآية ، وهذا أضعف الأقوال ؛ لأنه قد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ بأن المؤمنين يرون ربهم في الدار الآخرة» اهـ .
وانظر : الإبانة للأشعري ١٣ـ٢١ ، وتفسير الماوردي ٢/ ٢٥٧ ، وابن عطية ٦/ ٦٨ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٥٦ ، والقرطبي ٧/ ٢٧٨ .

(٤) تفسير مقاتل ٢/ ٦١ .

(٥) تنوير المقباس ٢/ ١٢٥ ، وذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٣٧ .

(٦) ذكره ابن الجوزي ٣/ ٢٥٧ ، عن ابن عباس ، ذكره الثعلبي في عرائس المجالس ٢٠١ ، عن السدي ، وانظر : تفسير السمرقندي ١/ ٥٦٧ ، والماوردي ٢/ ٢٥٨ .

(٧) مدين : مدينة على بحر القلزم محاذية لتبوك . انظر : معجم البلدان ٥/ ٧٧ .

(٨) في (ب) : (فقال زبير) ، وهو تحريف .

(٩) الزبير بفتح الزاء وكسر الباء : اسم للجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام . انظر : معجم البلدان ٣/ ١٣٢ ، واللسان (زبر) ٣/ ١٨٠٦ .

=

قال أصحابنا: «علَّقَ الله تعالى جواز الرؤية على استقرار الجبل، واستقراره كان جائزاً، ولكن لم يفعل الله، كذلك الرؤية كانت جائزة، ولكن الله لم يخلقها لموسى، وضدُّ هذه الآية قوله: ﴿وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]. علَّق دخولهم الجنة بما يستحيل وجوده فلا يدخلونها قط».

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ﴾، قال الزَّجَّاج[١] وجميع أهل اللغة[٢]: «أي ظهر وبان، ومنه يقال: جلوت العروس إذا أبرزتها، وجلوت المرآة والسيف إذا أخرجته من الصدى»[٣].

وقوله تعالى: ﴿جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾. قال أبو إسحاق: «يجوز ﴿دَكّٗا﴾ بالتنوين، و﴿دَكَّآءَ﴾ بغير تنوين؛ أي جعله مدقوقاً مع الأرض، يقال: دككت الشيء إذا دققته، أدكه دكاً، والدكاء والدكاوات: الروابي التي مع الأرض ناشزة عنها لا تبلغ أن تكون جبلاً»[٤]، فعلى هذا الدك مصدر، والدكاء[٥] اسم.

---

= وقد أجمع أهل التفسير على أن جبل المناجاة هو الطور، فكأن الزبير اسم آخر له أو لموضع معين من الطور، والله أعلم. انظر: تفسير مبهمات القرآن للبلنسي ٢/ ٧٢٧، ٧٢٨.

(١) ذكره الثعلبي في الكشف ١٩٦ عن المتكلمين من أهل السنة، وانظر: زاد المسير ٣/ ٢٥٦.

(٢) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٧٣، وفي تهذيب اللغة ١/ ٦٢٤، قال الزَّجَّاج «أي ظهر وبان، وهو قول أهل السنة والجماعة» اهـ.

(٣) انظر: العين ٦/ ١٨٠، والجمهرة ١/ ٤٩٢، والصحاح ٦/ ٢٣٠٣، والمجمل ١/ ١٩٣، ومقاييس اللغة ١/ ٤٦٨، والمفردات ٢٠٠، واللسان (جلا) ٢/ ٦٧٠.

(٤) هذا قول ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ١٨٠، وانظر: تفسير الطبري ٩/ ٥٢، ونزهة القلوب ١٥٨، وتفسير المشكل ٨٧.

(٥) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٧٣.

أخـــبرني العروضي -رحمه الله- عن الأزهري قال : أخبرني المنذري عن أحمد ابـــن يحيى أنه قال : «قال الأخفش في قوله : ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾[(١)] بالتنوين ، كأنه قال : دكَّـــه دكًّا مصدر مؤكد[(٢)] ، قال : ويجوز جعله ذا[(٣)] دك ، كقوله : ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف : ٨٢] .

قال : ومن قرأ[(٤)] : ﴿دَكَّآءَ﴾ ممدودة ، أراد : جعله مثل دكاء ، فحذف (مثل) ، قال : والدكاء : الناقة التي لاسنام لها»[(٥)] ، فمعنى[(٦)] قوله : ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ ؛ أي مثل دكاء في أنه بقي أكثره .

قال أبو العبـــاس : «ولا حاجة به إلى إضمار (مثـــل) ، والمعنى : جعل الجبل أرضاً دكاء»[(٧)] .

فحصل من هذه الأقوال أن من قرأ : ﴿دَكًّا﴾ بالتنوين ، كان الدك مصدراً بمعنـــى المفعول على قول[(٨)] أبي إســـحاق ، وعلى قول الأخفـــش يكون مصدراً مؤكداً ؛ لأنه يقول : معنى قولـــه : ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ ؛ أي دكَّه دكًّا ، ويجوز على قوله أيضاً أن يكون بمعنى : ذا دكٍّ ؛ أي ذا كسر فحذف المضاف ، ومن قرأ بالمدِّ ،

---

(١) الدَّك : الدق وكسر الشيء وتفتيته ، ومنه الناقة الدكاء ، وهي التي لا سنام لها . انظر : العين ٥/ ٢٧٤ ، والجمهرة ١/ ١١٤ ، والصحاح ٤/ ١٥٨٣ ، والمجمل ٢/ ٣١٨ ، ومقاييس اللغة ٢/ ٢٥٨ ، والمفردات ٣١٦ ، واللسان (دك) ٣/ ١٤٠٤ .

(٢) في (ب) : (مؤكدة) .

(٣) في تهذيب اللغة ٢/ ١٢١٢ : (ويجوز جعله أرضاً ذات دك) اهـ .

(٤) قرأ حمزة والكسائي ﴿دَكَّآءَ﴾ بالمد والهمز من غير تنوين ، وقرأ الباقون : ﴿دَكًّا﴾ بالقصر والتنوين من غير مد ولا همز . انظر : السبعة ٢٩٣ ، والمبسوط ١٨٥ ، والتذكرة ٢/ ٤٢٥ ، والتيسير ١١٣ ، والنشر ٢/ ٢٧١ ، ٢٧٢ .

(٥) انظر : معاني الأخفش ٢/ ٣٠٩ .

(٦) في (ب) : (ومعنى) .

(٧) تهذيب اللغة ، (دك) ٢/ ١٢١٢ .

(٨) لفظ : (قول) ساقط من (ب) .

فعلى قول الأخفش : (الدكاء) : الناقة الذاهبة السنام ، والمضاف محذوف ، وعلى قـــول أبي العباس : (الدكاء) : الأرض غير الغليظة المرتفعة ، ولا حاجة إلى تقدير المضاف[١] .

فأما التفسير ، فقال المفسرون[٢] : «ساح في الأرض فهو يذهب حتى الآن» . وهو قول الحســـن[٣] وسفيان[٤] ، وأبي بكر[٥] الهذلي[٦] ، وهذا على قراءة من قرأ بالمد ، وقال الكلبي[٧] : ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ ؛ أي كسراً جبالاً صغاراً»[٨] .

(١) أكثرهم على أن من قرأ بالمد جعله صفة ؛ أي جعل الجبل أرضاً ملساء دكاء ، ومن قرأ بالقصر والتنوين جعله مصدراً .
انظر : الحجة لأبي علي ٤/ ٧٥ ، ومعاني القراءات ١/ ٤٢٢ ، وإعراب القراءات١/ ٢٠٥ ، والحجة لابن خالويه١٦٣ ، والكشف ١/ ٤٧٥ .

(٢) أكثرهم على أن معنى جعله ﴿دَكًّا﴾ ؛ أي مستوياً ألصقه بالأرض . انظر : مجاز القرآن ١/ ٢٢٨ ، وغريب القرآن لليزيدي ١٥٠ ، وتفسير غريب القرآن١٨٠ ، ونزهة القلوب ٢٢٧ ، وتفسير المشكل ٨٧ .

(٣) ذكره الماوردي ٢/ ٢٥٨ ، عن الحسن وسفيان الثوري .

(٤) تفسير سفيان الثوري ١١٣ ، وأخرجه الطبري ٩/ ٥٣ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٦١ من طرق جيدة عن سفيان الثوري .

(٥) أبو بكر الهذلي البصري مشهور بكنيته ، وهو سلمى بن عبدالله بن سلمى ، وقيل اسمه : روح ، روى عن الحسن البصري والشعبي وعكرمة وغيرهم ، وهو علامة ، إخباري ، متروك الحديث ، توفي سنة ١٦٧هـ . انظر : ميزان الاعتدال ٤/ ٤٩٧ ، والمغني في الضعفاء ٢/ ٧٧٣ ، وتهذيب التهذيب ٤/ ٤٩٨ .

(٦) أخرجه الطبري ٩/ ٥٣ بسند جيد .

(٧) تنوير المقباس ٢/ ٢٢٥ ، وذكره الثعلبي ١٩٦ب ، والبغوي ٣/ ٢٧٨ .

(٨) في (ب) : (أي كسرا جبالا لا صغار) ، وهو تحريف .

وروي هــذا المعنى مرفوعــاً عن أنس بن مالك أن النبــي ﷺ قال في قوله : ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ : «صــار لعظمته ســتة أجبل ، فوقعت ثلاثــة بالمدينة ، أحد وورقان ، ورضوى[١] ، ووقع ثلاثة بمكة ثور[٢] وثبير وحراء»[٣] .

وهذا التفســير يقوي قراءة من قرأ بالتنوين ، والتفســير الموافق للقراءتين ما روي عــن[٤] ابن عباس أنه قال : «جعله ترابــاً»[٥] . ونحو ذلك قول مسروق : «صار صحراء[٦] تراباً»[٧] .

وقوله تعالى : ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ . قال الليث : «الصعق مثل الغشي يأخذ الإنسان»[٨] .

---

(١) أحد بالضم : جبل أحمر في شمال المدينة المنورة ، بينه وبينها قرابة ميل ، انظر : معجم البلدان١/ ١٠٩ ، وورقان بالفتح ثم الكسر : جبل عظيم أسود على يمين المصعد من المدينة إلى مكة ، انظر : معجم البلدان ٥/ ٣٧٢ ، ورضوى بالفتح ثم السكون : جبل بالمدينة قرب ينبع ، انظر : معجم البلدان ٣/ ٥١ .

(٢) ثَوْر بالفتح ثم السكون : جبل مشهور في مكة خلفها على طريق اليمن ، انظر : معجم البلدان ٢/ ٨٦ ، وثبير بالفتح ثم الكسر وسكون الياء : جبل في مكة . انظر : معجم البلدان ٢/ ٧٢ ، وحراء بالكسر والتخفيف والمد : جبل مشهور على ثلاثة أميال من مكة . انظر : معجم البلدان ٢/ ٢٣٣ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٦٠ ، والواحدي في الوسيط ٢/ ٢٣٧ ، ٢٣٨ بسند ضعيف جدّاً ، فيه : الجلد بن أيوب البصري متروك الحديث ، انظر : ميزان الاعتدال ١/ ٤٢٠ ، والمغني في الضعفاء ١/ ١٣٥ ، ولسان الميزان ٢/ ١٣٣ ، وذكر الحديث ابن كثير في تفسيره ٢/ ٢٧٢ ، وقال : «هذا حديث غريب بل منكر» ، وذكر الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٢٤ ، نحوه عن ابن عباس عن النبي ﷺ ، وقال : «رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه طلحة بن عمرو المكي ، وهو متروك» اهـ . وذكره الشوكاني في فتح القدير ٢/ ٣٥٨ ، وزاد نسبته إلى أبي الشيخ وابن مردويه وأبي نعيم في الحلية والديلمي ، وانظر : الدر المنثور ٣/ ٢٢١ ، ٢٢٢ .

(٤) في (ب) : (ما روي عن أنس عن ابن عباس) ، وهو تحريف .

(٥) أخرجه الطبري ٩/ ٥٣ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٦٠ بسند جيد .

(٦) في (ب) : (صر صخرا تراباً) ، وهو تحريف .

(٧) ذكره الثعلبي في الكشف ١٩٦ ب .

(٨) تهذيب اللغة ٢/ ٢٠١٨ ، وانظر : العين ١/ ١٢٨ ، وتأويل مشكل القرآن١ ٥٠ .

والصعقة : الغشية ، يقال : صعِق الرجل وصعَق ، فمن قال : صعِق ، قال : فهو صعِق ، ومن قال : صعَق قال : فهو مصعوق ، ويقال أيضاً : صعق إذا مات ، ومنه قال : ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر : ٦٨] فسروه الموت ، ومنه قوله : ﴿يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ [الطور : ٤٥] ؛ أي يموتون ، ويقال : أصعقته الصيحة ؛ أي قتلته .

وأنشد الفرَّاء :

أُحَادَ وَمَثْنَى أَصْعَقتها صَوَاهِلُهْ[١]

أي قتلها صوته[٢] .

فأما التفسير : فقال ابن عباس[٣] ، والحسن[٤] ، وابن زيد[٥] : «مغشيّاً عليه» . وقال قتادة : «ميتاً»[٦] .

---

(١) الشاهد لابن مقبل في ديوانه ٢٥٢ ، وصدره :

ترى النُّعَراتِ الزُّرقَ تحتَ لَبَانه

وهو في : إصلاح المنطق ٢٠٥ ، والمعاني الكبير ٦٠٦ ، والأضداد لابن الأنباري ٣٠٢ ، والصحاح (صعق) ٤/ ١٥٠٧ ، والمخصص ٨/ ١٨٤ ، واللسان (صعق) ٤/ ٢٤٥٠ ، وبلا نسبة في معاني الفرَّاء ١/ ٢٥٥ ، ٣٤٥ ، ومجالس ثعلب ١٢٨ ، والتكملة لأبي علي ٤٢٥ ، والنُّعَرات جمع نُعَرَة : ذباب يسقط على الدواب ، واللبان : الصدر ، وصواهله جمع صاهله ، وهو الصهيل ، والشاعر يصف فرساً بشدة صهيله ، وأنه يقتل الذباب .

(٢) النص كله من تهذيب اللغة ٢/ ٢٠١٨ ، ٢٠١٩ ، وانظر : الجمهرة ٢/ ٨٨٥ ، والمجمل ٢/ ٥٣٣ ، ومقاييس اللغة ٣/ ٢٨٥ ، والمفردات (صعق) ٤٨٤ .

(٣) أخرجه الطبري ٩/ ٥٣ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٦١ من طرق جيدة .

(٤) ذكره الماوردي ٢/ ٢٥٨ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٥٧ عن ابن عباس والحسن وابن زيد ، وذكره البغوي ٣/ ٢٧٨ عن ابن عباس والحسن .

(٥) أخرجه الطبري ٩/ ٥٣ بسند جيد .

(٦) أخرجه الطبري ٩/ ٥٣ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٦١ بسند جيد ، وذكر النحاس في معانيه ٣/ ٧٥ عن قتادة أنه قال : «أي مغشياً عليه» اهـ .

والذي يدل على صحة قول ابن عباس قوله : ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾ .

قال الزَّجَّاج : «ولا يكاد يقال للميت : قد أفاق من موته ، ولكن يقال للذي يغشى عليه ، والذي قد ذهب عقله : قد أفاق من علته ؛ لأن الله -عز وجل- قال في الذين ماتوا : ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾»[١] [البقرة : ٥٦] .

وقوله تعالى : ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ ؛ أي تنزيهاً لك[٢] من السوء . ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ ؛ أي من مسألتي الرؤية . قاله[٣] الكلبي[٤] ومجاهد[٥] ، والمعنى : من مسألتي الرؤية في الدنيا ؛ لأن هذه القصة وقعت من مسألته الرؤية في الدنيا .

وقال أهل العلم : «إن الرؤية وإن كانت جائزة فإن موسى سألها من غير استئذان من الله تعالى ، فلذلك[٦] تاب لأنه كان بغير إذن ، وهذا إجماع من الأمة أن توبته لم تكن عن معصية ؛ لأن عندنا سأل الرؤية لنفسه ، ولا يكون هذا[٧]

(١) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٧٣ ، ومثله ذكر الأزهري في تهذيب اللغة (صعق) ٢/ ٢٠١٨ ، وهذا القول أظهر ، وهو اختيار الجمهور ، قال ابن الأنباري في الزاهر ٢/ ١٢١ : «فيه قولان : أحدهما : قد غُشي عليه ، والقول الآخر : قد مات . والأول هو الكثير المشهور» اهـ . وانظر : تفسير غريب القرآن ١٨٠ ، والطبري ٩/ ٥٣ ، وابن عطية ٦/ ٧١ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٥٧ ، والرازي ١٤/ ٢٣٥ .

(٢) انظر : معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٧٤ .

(٣) في (ب) : (قال) ، وهو تحريف .

(٤) تنوير المقباس ٢/ ١٢٥ .

(٥) أخرجه سفيان الثوري في تفسيره ١١٣ ، عبدالرزاق ١/ ٢/ ٢٣٨ ، والطبري ٩/ ٥٥ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٦٢ من طرق جيدة .

(٦) في (ب) : (فكذلك) ، وهو تحريف .

(٧) في (ب) : (لهذا) ، وهو تحريف .

السؤال عندنا معصية[(١)] ، وعند من خالفنا[(٢)] : سأل الرؤية لقومه مع علمه أن ذلك لا يكون ، أو سأل أمراً عظيماً ، وكل واحد من هذين لا يكون معصية»[(٣)] .

وقوله تعالى : ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ . قال مجاهد : «وأنا أول قومي إيماناً»[(٤)] ، وقاله السدي أيضاً[(٥)] .

وقال أبو العالية : «وأنا أول من آمن أنه لا يراك أحد قبل يوم القيامة»[(٦)] . واختاره الزَّجَّاج ، فقال : «أي أول المؤمنين بأنك لا ترى في الدنيا»[(٧)] .

---

(١) انظر : تفسير الطبري ٩/ ٥٥ ، وابن عطية ٦/ ٧١ .

(٢) انظر : الكشاف ٢/ ١١٢ ـ ١١٦ .

(٣) انظر : تفسير الماوردي ٢/ ٢٥٩ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٥٧ ، وقال القرطبي ٧/ ٢٧٩ : «أجمعت الأمة على أن هذه التوبة ما كانت عن معصية ، فإن الأنبياء معصومون ، وأيضاً عند أهل السنة والجماعة الرؤية جائزة ، وعند المبتدعة سأل لأجل القوم ليبين لهم أنها غير جائزة ، وهذا لا يقتضي التوبة ، فقيل : أي تبت إليك من قتل القبطي ، وقيل : قالها على جهة الإنابة إلى الله والخشوع له عند ظهور الآيات» اهـ .

(٤) أخرجه الطبري ٩/ ٥٦ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٦٢ ، من طرق جيدة .

(٥) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٩٧أ ، والواحدي في الوسيط ٢/ ٢٣٨ ، والبغوي ٣/ ٢٧٩ ، عن مجاهد والسدي ، وأخرجه الطبري ٩/ ٥٦ ، من طرق جيدة عن السدي عن عكرمة عن ابن عباس ، وأخرج الطبري ٩/ ٥٥ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٦٢ ، من طرق جيدة عن ابن عباس قال : «أنا أول من آمن أنه لا يراك أحد من خلقك في الدنيا» اهـ .

(٦) أخرجه الطبري ٩/ ٥٥ ، بسند لا بأس به ، وذكره السمرقندي في تفسيره ١/ ٥٦٨ .

(٧) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٧٤ ، وهذا هو الظاهر ، وهو اختيار الطبري ٩/ ٥٦ ، وقول الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ في الرد على الجهمية ٩٦ : «يعني : أول المصدقين أنه لا يراك أحد في الدنيا إلا مات» ، وانظر : مرويات الإمام أحمد في التفسير ٢/ ١٩٧ ، وقال ابن كثير ٢/ ٢٧٣ : «وهذا قول حسن له تجاه» اهـ . وانظر : تأويل مشكل القرآن ٢٨١ .

١٤٤. قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾. الاصطفاء[١]: استخلاص الصفوة لما لها من الفضيلة.

ومعنى ﴿ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾. قال ابن عباس: «يريد: فضلتك على الناس»[٢].

وقال الزَّجَّاج: «أي اتخذتك صفوة على الناس»[٣].

﴿بِرِسَٰلَٰتِي﴾، وقرئ[٤]: (برسالتي)، والرسالة تجري مجرى المصدر؛ فيجوز إفرادها في موضع الجمع، وإن لم يكن المصدر من (أرسل)[٥]، وقد تقدم الكلام في هذا[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَبِكَلَٰمِي﴾. هذا يدل على أنه سمع كلام الله -عز وجل- من غير واسطة؛ لأن ما يكون بواسطة يدخل في حد الرسالة، وأشار أبو إسحاق إلى أن معنى اصطفائه: هو تخصيصه بكلامه من غير واسطة؛ لأنه قال: «لأن

---

(١) الصَّفْو والصفاء ممدود: خلوص الشيء من الشوب، نقيض الكدر، وصفوة كل شيء: خالصه وخيره، والاصطفاء: الاختيار وتناول صفوة الشيء، افتعال من الصفوة، واستصفيت الشيء إذا استخلصته. انظر: العين ٧/ ١٦٢، والجمهرة ٢/ ٨٩٣، وتهذيب اللغة ٢/ ٢٠٢٢، والصحاح ٦/ ٢٤٠١، ومقاييس اللغة ٣/ ٢٩٢، والمجمل ٢/ ٥٣٥، والمفردات ٤٨٧، واللسان (صفو) ١٤/ ٢٤٦٨.

(٢) ذكره الرازي في تفسيره ١٤/ ٢٣٦.

(٣) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٧٤.

(٤) قرأ نافع وابن كثير (برسالتي) بغير ألف بعد اللام على التوحيد، وقرأ الباقون: ﴿بِرِسَٰلَٰتِي﴾ بألف بعد اللام على الجمع. انظر: السبعة ٢٩٣، والمبسوط ١٦٣، والتذكرة ٢/ ٤٢٥، والتيسير ١١٣، والنشر ٢/ ٢٧٢.

(٥) هذا قول أبي علي في الحجة ٤/ ٧٧، وانظر: معاني القراءات ١/ ٣٣٦، وإعراب القراءات ١/ ٢٠٧، والحجة لابن خالويه ١٦٣، ولابن زنجلة ٢٩٥، والكشف ١/ ٤٦٧.

(٦) انظر: البسيط، نسخة جامعة الإمام ٣/ ٥٨ب.

الملائكة تنزل إلى الأنبياء بكلام الله عز وجل»[(١)] ؛ أي تفضيله موسى[(٢)] أنه سمع كلام الله من غير ملك ، وإنما كان كلام الله تعالى لموسى من غير واسطة بينه وبينه فضيلة وشرفاً ؛ لأن من أخذ العلم عن العالم المعظم كان أجلَّ رتبة ممن أخذه عن واحد عنه ، كما نقول في الأسانيد إلى النبي ﷺ ؛ فإن أقربها إليه أعزها وأجلها[(٣)] .

وقوله تعالى : ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ﴾ . قال ابن عباس : «يريد : ما فضلتك وكرمتك» ، وقوله : ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ ، «يعني : لأنعمي والطائعين لي»[(٤)] .

١٤٥. قوله تعالى : ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ﴾ . قال ابن عباس : «يريد : ألواح التوراة»[(٥)] .

---

(١) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٧٥ .

(٢) انظر : تفسير البغوي ٣/ ٢٧٩ ، والرازي ١٤/ ١٩٢ .

(٣) انظر : معرفة علوم الحديث للحاكم ١١٢ ، ١١٣ ، وقال ابن الصلاح في علوم الحديث ٢٥٦ : «طلب العلو سنة ، وتستحب الرحلة فيه ، وهو يبعد من الخلل ، وأجل أنواع العلو القرب من رسول الله ﷺ بإسناد نظيف غير ضعيف» اهـ .

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٣٩ .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٦٣ بسند جيد ، وذكره السمرقندي ١/ ٥٦٩ ، والواحدي في الوسيط ٢/ ٢٣٩ والبغوي ٣/ ٢٨٠ ، ٢٨١ ، والخازن ٢/ ٢٨٧ .

واختلفوا في الألواح[(١)] من أي شيء كانت، وكيف كانت الكتابة، فقال الربيع[(٢)]: «كانت الألواح من بُرْد»[(٣)].

وقال الحسن: «كانت من خشب نزلت من السماء»[(٤)].

وقال وهب: «كانت من صخرة صماء، لينها الله لموسى، فقطعها منها بيده»[(٥)].

وقال ابن جريج: «كانت من زمرد[(٦)]، أمر الله جبريل حتى جاء بها من عدن»[(٧)]. ونحو ذلك قال مجاهد[(٨)] ومقاتل[(٩)].

---

(١) قال محمد أبو شهبة في كتاب الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ٢٠١ـ٢٠٣: «ذكر في الألواح ممَّ هي، وما عددها، أقوالاً كثيرة، وفيها ما يخالف المعقول والمنقول، وهي متضاربة يرد بعضها بعضاً، مما نحيل أن يكون مرجعها المعصوم ﷺ، وإنما هي من الإسرائيليات، حملها عنهم بعضهم بحسن نية، وليس تفسير الآية متوقفاً على كل هذا الذي رووه، والذي يجب أن نؤمن به أن الله أنزل الألواح على موسى، وفيها التوراة وما ذكروه لا يجب علينا الإيمان به، والأولى عدم البحث فيه؛ لأنه لا يؤدي إلى فائدة ولا يوصل إلى غاية» اهـ. ملخصاً.

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٩٧ب، والبغوي ٣/ ٢٨١، وأخرجه الطبري ٩/ ٦٦، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٦٣ بسند جيد عن الربيع بن أنس عن أبي العالية.

(٣) البُرْد بالضم: ثَوْب مخطط وأكسية يتلحف بها. انظر: القاموس (برد): ٣٤١.

(٤) ذكره الماوردي في تفسيره ٢/ ٢٦٠، والبغوي ٣/ ٢٨١، وابن عطية ٦/ ٧٤، وابن الجوزي ٣/ ٢٥٨، والرازي ١٤/ ٢٣٦، والخازن ٢/ ٢٨٧.

(٥) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٩٧ب، والبغوي ٣/ ٢٨١، وابن الجوزي ٣/ ٢٥٨، والرازي ١٤/ ٢٣٦، والخازن ٢/ ٢٨٧.

(٦) انظر: القاموس (زمرد) ٢٨٥، (وورد) ٣٢٥.

(٧) أخرجه الطبري ٩/ ٦٦، بسند جيد، وذكره الثعلبي في تفسيره ١٩٧/ ب، والبغوي ٣/ ٢٨١، والخازن ٢/ ٢٨٧، والسيوطي في الدر ٣/ ٢٢٤.

(٨) أخرجه الطبري ٩/ ٦٦، من طرق جيدة بلفظ: من زمرد، وفي رواية (من زمرد أخضر).

(٩) تفسير مقاتل ٢/ ٦٣، وفيه: (كانت من زمرد وياقوت).

وقال الكلبي[١] : «كانت من زبرجدة[٢] خضراء» .

وأما الكتابة ، فقال : ابن جريج : «كتبها جبريل بالقلم الذي كتب به الذكر ، واستمد من نهر النور ، فكتب به الألواح»[٣] .

وقال مقاتل : «﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ﴾ كنقش الخاتم»[٤] .

قال عطاء عن ابن عباس : «وكانت الألواح يومئذ ستة ، ثم صارت أربعة وعشرين مِمَّ ضُمَّ إليها من الوصايا والمواعظ»[٥] .

وقوله تعالى : ﴿مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ ، قيل : من كل شيء يحتاج إليه في دينه من الحلال والحرام ، والمحاسن والقبائح[٦] . وهذا معنى قول ابن عباس : «يريد : مما افترض وأحلَّ وحرَّم ونهى وأمر»[٧] .

وقوله تعالى : ﴿مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ ، قال ابن عباس : «يريد : هداية إلى كل أمر هو لله رضى»[٨] .

---

(١) ذكره الثعلبي ١٩٧ب ، والواحدي في الوسيط ٢/ ٢٣٩ ، والبغوي ٣/ ٢٨١ ، والخازن ٢/ ٢٨٧ .

(٢) الزَّبَرْجَد بالفتح : جَوْهر . انظر : القاموس (زبرجد) ٣٦٤ .

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٩٧/ ب ، والواحدي في الوسيط ٢/ ٢٣٩ ، والبغوي ٣/ ٢٨١ ، والرازي ١٤/ ٢٣٦ ، والخازن ٢/ ٢٨٧ .

(٤) تفسير مقاتل ٢/ ٦٢ ، وفيه : (نقراً كنقش الخاتم) اهـ .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٩/ ٥٧ ، ومعاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٧٥ ، والنحاس ٣/ ٧٦ .

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٣٩ ، وأخرج ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٦٣ ، بسند جيد عن ابن عباس قال : «كان الله ـعز وجلـ كتب في الألواح ذكر محمد ﷺ ، وذكر أمته ، وما ادخر لهم عنده ، وما يسر عليهم في دينهم ، وما وسع عليهم في ما أحل لهم» اهـ .

(٨) في تنوير المقباس ٢/ ١٢٦ ، نحوه ، وذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٤٠ من دون نسبة ، وأخرج ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٦٥ بسند جيد عن ابن عباس في قوله : ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ «قال : تبياناً لكل شيء» اهـ .

وقال الكلبي : ﴿مَّوۡعِظَةً﴾ نهي عن الجهل ﴿وَتَفۡصِيلًا لِّكُلِّ شَيۡءٍ﴾[من الحلال والحرام(١) .

وقال مجاهد :](٢) ﴿وَتَفۡصِيلًا لِّكُلِّ شَيۡءٍ﴾ مما أمروا به ونهوا عنه(٣) ، والتفصيل معناه : التبيين(٤) ، ذكرنا ذلك في قوله : ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾(٥) [الأنعام : ٥٥] .

وقوله تعالى : ﴿فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ﴾ . قال ابن عباس(٦) ومقاتل(٧) والكلبي(٨) : (بجد) ، وقال الزَّجَّاج : «﴿بِقُوَّةٖ﴾ في دينك وحجتك»(٩) ، وقال أهل المعاني : «بصحة عزيمة ؛ لأنه لو أخذه بضعف نية لأداه إلى فتور العمل به»(١٠) .

---

(١) قال الماوردي في تفسيره ٢/ ٢٦٠ : «قيل : الموعظة : النواهي ، والتفصيل : الأوامر ، وهو معنى قول الكلبي» اهـ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٣) تفسير مجاهد ١/ ٢٤٦ ، وأخرجه الطبري ٩/ ٥٧ من طرق جيدة .

(٤) قال محمد أبو شهبة في كتاب الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ٢٠٣ : «المحققون من المفسرين سلفاً وخلفاً على أن المراد : أن فيها تفصيلاً لكل شيء مما يحتاجون إليه في الحلال والحرام والمحاسن والقبائح ، مما يلائم شريعة موسى وعصره ، وإلا فقد جاء القرآن الكريم بأحكام وآداب وأخلاق لا توجد في التوراة قط» اهـ .

(٥) لفظ : ﴿سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ ساقط من (ب) .

(٦) أخرجه الطبري ٩/ ٥٨ بسند ضعيف ، وأخرج ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٦٥ بسند ضعيف عن ابن عباس قال : «بجد وحزم» .

(٧) تفسير مقاتل ٢/ ٦٣ ، وفيه : «يعني : التوراة بالجد والمواظبة عليه» اهـ .

(٨) تنوير المقباس ٢/ ١٢٦ .

(٩) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٧٥ ، ومثله قال النحاس في معانيه ٣/ ٧٧ .

(١٠) ذكره البغوي ٣/ ٢٨١ ، والخازن ٢/ ٢٨٨ .

وقولـه تعـالى : ﴿وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَا﴾ . قال ابن عبـاس في رواية عطـاء : «يريد : يحلُّوا حلالهـا ، ويحرموا حرامهـا ويتدبروا أمثالهـا ، ويعملوا بمحكمها ، ويقفوا عند متشابهها»[١] .

وذكر أبو إسـحاق في هذا وجهين : «أحدهما : أنهم أُمروا بالخير ، ونهوا عن الشرِّ ، وعرفوا ما لهم في ذلك ، فقيل : ﴿وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَا﴾ .

قـال : ويجوز أن يكون ما أمرنا به من الانتصار بعد الظلم ، ونحو القصاص في الجروح ، فهذا كله حسـن ، والعفو أحسن من القصاص ، والصبر أحسن من الانتصار ، ونظير هذه الآية قوله : ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [الزمر : ٥٥] ، وقوله : ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ﴾[٢] [الزمر : ١٨] .

وقال قُطرب[٣] : ﴿يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَا﴾ ؛ أي بحسنها ، وكلها حسن ، كقوله : ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾ [العنكبوت : ٤٥]» .

وقول الفرزدق :

بَيْتاً دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ[٤]

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٤٠ ، والبغوي ٣/ ٢٨١ ، والخازن ٢/ ٢٨٨ ، وأخرج الطبري ٩/ ٥٨ بسند ضعيف عن ابن عباس قال : «أمر موسى أن يأخذها بأشد مما أمر به قومه» اهـ .

(٢) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٧٥ ، ونحوه الأزهري في تهذيب اللغة (حسن) ١/ ٨٢٣ .

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٩٧ب ، والواحدي في الوسيط ٢/ ٢٤٠ ، والبغوي ٣/ ٢٨١ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٥٩ ، والرازي ١٤/ ٢٣٧ .

(٤) ديوانه ٢/ ١٥٥ ، والكامل ٢/ ٣٠٨ ، والصاحبي ٤٣٤ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٥٩ ، والرازي ١٤/ ٢٣٧ ، واللسان (كبر) ٦/ ٣٨٠٨ ، والدر المصون ٥/ ٤٥٤ ، والخزانة ٨/ ٢٤٢ ، وأوله : إن الذي سمك السماء بنى لنا . والشاهد فيه : (أعز وأطول) ، فقد استعمل صيغتي التفضيل في غير التفضيل ، إذ لو كانتا للتفضيل لكان الفرزدق يعترف بأن لمهجوه- وهو جرير- بيتاً دعائمه عزيزة طويلة ، وهذا لا يقصده الشاعر .

وقال أهل المعاني : «أحسنها الفرائض والنوافل ، وهي ما يستحق عليها الثواب ، وأدونها في الحسن المباح ؛ لأنه لا يستحق عليه حمد ولا ثواب»[(١)] .

وقوله تعالى : ﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ . قال ابن عباس[(٢)] في رواية عطاء والحسن[(٣)] ومجاهد[(٤)] : «هي جهنم» ؛ أي فلتكن منكم على ذُكْر لتحذروا أن تكونوا منهم ، وهي[(٥)] تتضمن وعيداً وتهديداً لمن خالف أمر الله ، كما تقول لمن تخاطبه : سأريك غداً إلى ما يصير حال من خالف أمري[(٦)] .

---

(١) انظر : معاني النحاس ٣/ ٧٧ ، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٦٩ ، والماوردي ٢/ ٢٦٠ ، ٢٦١ ، والبغوي ٣/ ٢٨١ ، وابن عطية ٦/ ٧٥ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٥٩ ، وقال الطبري في معنى الآية ٩/ ٥٨ : «يقول : يعملوا بأحسن ما يجدون فيها ، والعمل بالمأمور به أحسن من العمل بالمنهي عنه» اهـ . وانظر : الفتاوى لشيخ الإسلام ١٦/ ٦ ، و١٧/ ١٢ .

(٢) تنوير المقباس ٢/ ١٢٦ ، وذكره والرازي ١٤/ ٢٣٨ ، عن ابن عباس ومجاهد والحسن ، وذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٤٠ عن عطاء والحسن ومجاهد ، وذكره البغوي ٣/ ٢٨١ ، ٢٨٢ ، والخازن ٢/ ٢٨٩ ، عن عطاء والحسن ، وأخرج ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٦٦ بسند ضعيف عن ابن عباس قال : «دار الكفار» اهـ .

(٣) أخرجه الطبري ٩/ ٥٩ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٦٦ من طرق جيدة ، وذكره النحاس في معانيه ٣/ ٧٧ ، والثعلبي ١٩٧ب .

(٤) ذكره الماوردي ٢/ ٢٦١ ، وابن عطية ٦/ ٧٧ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٦٠ ، والقرطبي ٧/ ٢٨٢ عن مجاهد والحسن ، وفي تفسير مجاهد ١/ ٢٤٦ قال : «مصيرهم في الآخرة» اهـ . وأخرجه الطبري ٩/ ٥٩ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٦٦ من طرق جيدة ، وهذا القول ظاهر ، وهو اختيار الطبري ٩/ ٥٩ ، وابن كثير ٢/ ٢٧٥ ؛ لأن الجملة متصلة بما قبلها ، فهي من تمامها ، وأولى الأمور أن يختم الأمر بالعمل بالوعيد على من ضيعه .
وقال ابن كثير «هذا أولى ـ والله أعلم ـ لأن هذا كان بعد انفصال موسى وقومه عن مصر ، وهو خطاب لبني إسرائيل قبل دخولهم التيه ، والله أعلم» اهـ .

(٥) في (ب) : (وهو) .

(٦) هذا قول الطبري ٩/ ٥٩ .

وقال قتادة : «سأدخلكم الشام فأريكم[1] منازل الكافرين الذين كانوا سكانها من الجبابرة والعمالقة ؛ أي لتعتبروا بها ، وما صاروا إليه من النكال فيها»[2] ، وهذا معنى قول الكلبي : «﴿دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ : ما مروا عليه إذا سافروا من منازل عاد وثمود والقرون الذين أهلكوا»[3] .

١٤٦. قوله تعالى : ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ . قال ابن عباس : «يريد : الذين يتجبرون على عبادي ، ويحاربون أوليائي ، ويستحلون محارمي حتى لا يؤمنوا بما جئت به»[4] ، فالآيات على قول ابن عباس : هي القرآن ، و﴿ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ﴾ هم : المشركون .

قال[5] ابن الأنباري : «والمعنى على هذا ﴿سَأَصْرِفُ﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ﴾ عن قبول آياتي والتصديق بها لعنادهم الحق ؛ عوقبوا بأن حرموا الهداية وسُتِر عنهم الحق ، وهذا كقوله : ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف : ٥] ،

---

(١) في (ب) : (وأيكم) .

(٢) ذكره الثعلبي ١٩٧ب ، والماوردي ٢/ ٢٦١ ، والواحدي في الوسيط ٢/ ٢٤١ ، والبغوي ٣/ ٢٨٢ ، وابن عطية ٦/ ٧٧ ، وأخرج عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢٣٦ ، والطبري ٩/ ٥٩ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٦٦ من طرق جيدة عن قتادة قال : «منازلهم» اهـ . وقال ابن الصلاح في علوم الحديث ٢٨١ : «بلغنا عن أبي زرعة الرازي أن يحيى بن سلام المفسر حدث عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله : ﴿دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ قال : مصر ، واستعظم أبو زرعة هذا واستقبحه ، وذكر أنه في تفسير سعيد عن قتادة : مصيرهم» اهـ .

(٣) ذكره الثعلبي ١٩٧ب ، والبغوي ٣/ ٢٨٢ ، وابن عطية ٦/ ٧٧ ، والرازي ١٤/ ٢٣٨ ، والخازن ٢/ ٢٨٩ ، وذهب الزمخشري في تفسيره ٢/ ١١٧ ، وابن عطية ٦/ ٧٧ ، والقرطبي ٧/ ٢٨٢ إلى أن المراد : منازل القرون الذين أهلكوا ، ومنها مصر دار فرعون وقومه ، ويمكن الجمع بين القولين بأن الآية تضمنت الوعد للمؤمنين بدخول الأرض الموعودة ، ومنازل القرون الماضية ، والوعيد للفاسقين بهلاكهم ودخولهم جهنم ، والله أعلم .

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٤١ ، والبغوي ٣/ ٢٨٢ ، والخازن ٢/ ٢٨٩ .

(٥) في (ب) : (كما قال) .

وقولـه : ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ [التوبة : ١٢٧]» . وذكر قولاً آخر ، قال : «المعنى : ﴿سَأَصْرِفُ﴾ عن إبطال ﴿ءَايَٰتِيَ﴾ وعن الاعتراض عليها هؤلاء الكفرة ، كما تقول : وهو يمنعني من زيد ؛ أي من ضربه ، وأذاه ، وكما قال عبدالمطلب لما قصدت الحبشة البيت : «إن لهذا البيت[(١)] رباً سيمنع منه»[(٢)] ؛ أي سيمنع من تخريبه وقتل أهله»[(٣)] .

وقال ابن جريج : «الآيات خلق السموات والأرض ، يعني : أصرفهم عن الاعتبار بما فيها»[(٤)] . وهو قول ابن زيد[(٥)] ومقاتل[(٦)] .

قال أبو إسحاق : «أي أجعل جزاءهم الإضلال عن هداية ﴿ءَايَٰتِيَ﴾» .

قال : ومعنى : ﴿يَتَكَبَّرُونَ﴾ أنهم يرون أنهم أفضل الخلق ، وأن لهم من الحق ما ليس لغيرهم ، وهذه الصفة -أعني : المتكبر- لا تكون إلا لله عز وجل[(٧)] خاصة ؛ لأنه هو الذي له القدرة والفضل الذي ليس لأحد مثله ، فبذلك يستحق أن يقال له : المتكبر ، وليس لأحد أن يتكبر ؛ لأن الناس في الحقوق سواء ، وليس

---

(١) هذه كلمة سارت مسير الأمثال ، وذلك أن أبرهة الحبشي لما سار لهدم الكعبة ، وأشرف على مكة ، وجد إبلاً لعبدالمطلب ، وأخذها فذهب عبدالمطلب إليه ، وكلمه في الإبل ، فعجب أبرهة منه ، وقال : «أتكلمني في الإبل ولا تكلمني في بيت فيه عزك وشرفك ؟ فقال عبدالمطلب : أنا رب الإبل وللبيت رب سيمنعه» ، وفي رواية (يحميه) . انظر : السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٥١ ، والروض الأنف :١/ ٦٩ ، والسيرة النبوية لأبي شهبة ١٦٧ـ ١٦٩ .

(٢) في (ب) : (عنه) .

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٤١ .

(٤) أخرجه الطبري ٩/ ٦٠ ، بسند جيد .

(٥) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٩٧/ ب ، عن ابن زيد وابن جريج .

(٦) تفسير مقاتل ٢/ ٦٣ ، والأكثر على أن الآية عامة ؛ أي سأمنع وأصد عن النظر في الآيات الكونية والشرعية والتفكر والاستدلال بها ، انظر : الطبري ٩/ ٦٠ ، ومعاني النحاس ٣/ ٧٨ ، والسمرقندي ١/ ٥٦٩ ، والبغوي ٣/ ٢٨٢ ، وابن عطية ٦/ ٧٨ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٦٠ .

(٧) في (أ) : (جل وعز) .

لأحد ما ليس لغيره، وهو المتكبر جل وعز، فأعلم أن هؤلاء ﴿يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾[1].

وقال غيره من أهل المعاني[2]: «التكبر: إظهار كبر النفس على غيرها»، وصفة متكبر صفة ذم في جميع العباد، وصفة مدح[3] في القديم جل وعز؛ لأنه يستحق إظهار الكبر على من سواه لأن ذلك حق، وهذا المعنى في صفة غيره باطل.

وقال أحمد بن يحيى: «﴿يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ من الكِبَر لا من الكِبْر[4]؛ أي يتفضلون، ويرون أنهم أفضل من غيرهم»[5]، وهذا الذي قاله أحمد قريبٌ من الأول، بل هو بعينه معنى.

وقوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ﴾ حجة على القدرية[6]، و[7]دليل ذلك أن له أن يصرف عن الإيمان من شاء.

---

(١) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٧٦.

(٢) انظر: معاني النحاس ٣/ ٧٩، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٦٩، والماوردي ٢/ ٢٦٢.

(٣) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزَّجَّاج ٣٥، واشتقاق أسماء الله للزَّجَّاجي ١٥٥، ٢٤١، والأسماء والصفات للبيهقي ٩٣.

(٤) قوله: من الكِبَر، هو: بكسر الكاف وفتح الباء، لا من الكِبْر الذي بفتح الكاف وسكون الباء، والتكبر: التعظم، وكِبَر بكسر الكاف وفتح الباء: الهرم ضد الصغر. وكِبْر بسكون الباء: العظمة. وكَبُر بفتح الكاف وضم الباء: عظم. انظر: العين ٥/ ٣٦١، والجمهرة ١/ ٣٢٧، والصحاح ٢/ ٨٠١، والمجمل ٣/ ٧٧٦، ومقاييس اللغة ٥/ ١٥٣، والمفردات ٦٩٦، واللسان (كبر) ٥/ ١٢٥.

(٥) تهذيب اللغة (كبر) ١٠/ ٢١٠، ٢١١.

(٦) انظر: تفسير والرازي ١٥/ ٣، ٤.

(٧) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).

وقوله تعـــالى : ﴿وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ﴾ . قال ابن عباس : «يريد ســـبيل الهدى والبيان الذي جاء من الله ، ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ ، قال : يريد : لا يتخذوه ديناً ، ﴿وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ﴾ ، يريد : طاعة الشـيطان وضلالته ، ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ ، يريد : ديناً»[١] .

وقوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ ، قال الزَّجَّاج : ﴿ذَٰلِكَ﴾ يصلح أن يكون نصباً على معنى : فعل الله بهم ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾[٢] .

وقوله تعـــالى : ﴿وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ ؛ أي جحدوا الإيـــمان بها والنظر فيها والتدبر لها[٣] .

١٤٧. وقوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْأَٰخِرَةِ﴾ ، قال ابن عباس : «يريد : الثواب والعقاب»[٤] ، وهذا معنى وليس بتفســير ، وذلك أن تفسيره : ولقاء[٥] الدار الآخرة ، وهي موعد الثواب والعقاب ، ومن أنكرها فقد أنكر الثواب والعقاب[٦] .

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٤١ ، ٢٤٢ من دون نسبة ، وانظر : تفسير الطبري ١٣/ ١١٤ ، ١١٥ ، ومعاني الزَّجَّاج ٣/ ٣٧٦ ، والنحاس ٣/ ٧٩ ، والسمرقندي ١/ ٥٧٠ ، والماوردي ٢/ ٥٧ .

(٢) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٧٦ ، وفيه : (ذلك يصلح أن يكون رفعاً ؛ أي أمرهم ذلك ، ويجوز أن يكون نصباً . . . .) اهـ . وقال أبو حيان في البحر ٤/ ٣٩٠ ، والسمين في الدر ٥/ ٤٥٧ ، ٤٥٨ : «الأظهر أنه مبتدأ ، خبره الجار بعده ؛ أي ذلك الصرف بسبب تكذيبهم ، وجوز فيه النصب ، فقدره ابن عطية ٧/ ١٦٢ ، فعلنا ذلك ، فجعله مفعولاً به ، وقدره الزمخشري ٢/ ١١٧ ، صرفهم الله ذلك الصرف بعينه ، فجعله مصدراً» اهـ . وانظر : الفريد ٢/ ٣٦٠ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٩/ ٦١ ، ومعاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٧٦ ، النحاس ٣/ ٨٠ .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) قال الطبري ٩/ ٦١ في معنى الآية «يقول : وهؤلاء المستكبرون في الأرض بغير الحق ، وكل مكذب حجج الله ورسله وآياته ، وجاحد أنه يوم القيامة مبعوث بعد مماته ، ومنكر لقاء الله في آخرته ، ذهبت أعمالهم فبطلت . . . .» اهـ .

(٦) انظر : تفسير البغوي ٣/ ٢٨٣ .

تعالى : ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ ؛ أي صارت كأنها لم تكن . قال ابن عباس : «يريد : ضل سعيهم»[(١)] ، وقوله : ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ . لا بد فيه من تقدير محذوف ؛ أي إلا بما [كَانُوا۟][(٢)] ، أو على ﴿مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أو جزاء ﴿مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ .

١٤٨. قوله تعالى : ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ ، قال المفسرون[(٣)] ؛ «أي من بعد انطلاقه ومجيئه إلى الجبل[(٤)] للميقات» .

﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ ، قال الليث : «الحَلْي كل حلية حليت بها امرأة ، والجمع حُلي ، وتحلَّت المرأة اتخذت حُلياً ولبسته ، وحَلَّيتها أنا ؛ أي ألبستها[(٥)] ، واتخذته لها مَخال[(٦)] قال[(٧)] : ولغة حَليت المرأة ؛ أي لَبِسَتْه»[(٨)] .

---

(١) لم أقف عليه .

(٢) لفظ : (كانوا) ساقط من النسخ ، وقال الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٤٢ في تفسير الآية «أي بما كان أو على ما كانوا يعملون» اهـ .
وقال السمين في الدار ٥/ ٤٥٨ ، ٤٥٩ : «قال الواحدي هنا لا بد من تقدير محذوف ؛ أي إلا بما كانوا أو على ما كانوا أو جزاء ما كانوا ، قال السمين لأن نفس ما كانوا يعملونه لا يجزونه ، إنما يجزون بمقابله ، وهو واضح» اهـ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٩/ ٦٢ ، ومعاني النحاس ٣/ ٥٠ ، والسمرقندي ١/ ٥٧٠ .

(٤) في (ب) : (إلى الجبل والميقات) .

(٥) في النسخ : (أي لبسته) ، وهو تحريف .

(٦) لفظ : (لها مخال) ساقط من (ب) ، ولم ترد في تهذيب اللغة ١/ ٨٨٩ ، ولعلها مَحال بالحاء المهملة ، وهو ضرب من الحُلي ، انظر : القاموس (محل) ١٣٦٥ .

(٧) لفظ : (قال) ساقط من (أ) .

(٨) تهذيب اللغة ١/ ٨٨٩ ، وانظر : العين ٣/ ٢٩٦ .

وأنشد :

وحَلْي الشَّوَى منها إذا حَلِيَتْ به على قَصَباتٍ لا شِخاتٍ ولا عُصْلِ[(١)]

وقال ابن السكيت : «حَلَيْت المرأة وأنا أحليها إذا جعلت لها حلياً ، وبعضهم يقول : حلوتها ، بهذا المعنى»[(٢)] .

قال الزَّجَّاج : «ويقرأ[(٣)] : (من حَلْيِهِـم) ، فمن قرأ : ﴿حُلِيِّهِمْ﴾ فهو جمع حَلي مثل حقوٍ[(٤)] وحُقيٍّ ، ومن كسر الحاء أتبع الحاء كسرة اللام»[(٥)] .

قال أبو علي الفارسي : «يقال : حَلْي وحُلي مثل ثَدْي وثُدِي ، ومن الواو حَقْو وحُقِي ، وحِلي على وزن (فعول) قلبت واو فعول ياء لوقوعها قبل الياء التي هي لام ، كما أبدلت واو مفعول في (مَرْمِي) ، وأبدلت من ضمة عين (فُعُول) كسرة ، كما أبدلت ضمة عين مفعول في (مَرْمى) وإن كانت اللام واواً أبدلت منها الياء ، وذلك نحو حَقْوٍ وحقي ، وإنما أبدلت الواو ياء لإدغامها في الياء ، فأما الحاء التي

---

(١) الشاهد لذي الرمة في ديوانه ٥٧ ، وبلا نسبة في تهذيب اللغة ١/ ٨٨٩ ، واللسان (حلى) ٢/ ٩٨٥ ، قال الخطيب التبريزي في شرحه : «يريد بالشوى : يديها ورجليها ، والقصبات : العظام التي فيها المخ ، ولا شخات ؛ أي لا دقاق ، ولا عصل : معوجة» اهـ .

(٢) إصلاح المنطق ١٣٩ ، وتهذيب اللغة ١/ ٨٨٩ . والحَلْي بفتح الحاء وسكون اللام جمع (حُلِي) بضم الحاء وكسر اللام : وهو ما تزين به من مصوغ المعادن أو الحجارة .
انظر : الصحاح ٦/ ٢٣١٨ ، ومقاييس اللغة ٢/ ٩٤ ، والمجمل ١/ ٢٤٧ ، والمفردات ، (حلى) ٢٥٤ .

(٣) قرأ حمزة والكسائي (حِلِيِّهِمْ) بكسر الحاء واللام والياء مع تشديد الياء ، وقرأ الباقون مثلها ، إلا أنهم ضموا الحاء : ﴿حُلِيِّهِمْ﴾ ، وقرأ يعقوب : (حَلْيِهم) بفتح الحاء وسكون اللام وكسر الياء مع تخفيفها ، انظر : السبعة ٢٩٤ ، والمبسوط ١٨٥ ، والتذكرة ٢/ ٤٢٥ ، والتيسير ١١٣ ، والنشر ٢/ ٢٧٢ .

(٤) الحَقْو : الكَشْح ، والإزار أو مقعده ، والحقو : الخاصرة وجانب الشيء ، والحَقْو : الموضع المرتفع عن السيل وموضع الريش من السهم . انظر : اللسان (حقو) ٢/ ٩٤٨ .

(٥) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٢٨٦ وفيه : «فمن قرأ : (حَلْيِهِمْ) بالفتح ، فالحَلْي : اسم لما يحسن به من الذهب والفضة ، ومن قرأ : ﴿حُلِيِّهِمْ﴾ بضم الحاء ، فهو : جمع حَلْي ، مثل حَقْو وحُقِيٍّ ، ومن كسر الحاء أتبع الحاء كسر اللام» اهـ . وانظر : معاني الأخفش ٢/ ٣١٠ .

هي فاء في الحُلي، فإنها بقيت مضمومة كما كانت مضمومة في كُعُوب وفُلُوس، ومثال هذا مما أبدلت الواو منها ياء، وأبدلت في ضمتها الكسرة، قولهم: أدحي النعام[١] وآري الدابة[٢]، هما (فاعول)، إلا أن اللام من أدحي واو قلبت ياء، ومن آري ياء، والكسرة في البناءين مبدلة[٣] من ضمةٍ.

فأما قراءة من كسر الحاء من[٤] (حِلِيِّهِمْ) فوجه ذلك أن الكسر من الجموع قد غير عما كان الواحد عليه في اللفظ والمعنى، ألا ترى أن الاسم المكسر في الجمع يدل بالتكسير على الكثرة، فغير الفاء أيضاً في التكسير، وذلك أنه لما غير الاسم تغييرين، وهو إبدالك الواو ياء، وإبدال الضمة كسرة، قوي هذا التغيير على تغيير الفاء، ومثال هذا: الاسم المنسوب إليه، فإنه تغير عما[٥] كان عليه لفظاً ومعنى، فتغير اللفظ ما لحقه من الزيادات، وتغير المعنى هو أنه صار صفة، وكان قبلُ اسماً فقوي التغيير للنسب على تغيير الفاء حتى قالوا: بِصْري بكسر الباء، ودُهري بضم الدال في النسبة إلى البصرة وإلى الدهر، فهذا وجه كسر الحاء، وقد جاء حرفان نادران من هذا القبيل، ولم تقلب الواو ياء في الجمع، وذلك ما حُكي من قولهم: إنكم لتنظرون في نُحُوٍّ كثيرة، وما أنشده أحمد بن يحيى:

وأصبحتَ من أدنى حُمُوَّتِها حما[٦]

---

(١) أدحي النعام: مبيضها في الرمل. انظر: اللسان (دحى) ٣/ ١٣٣٨.

(٢) آري الدابة: محبس الدابة. انظر: اللسان (أرى) ١/ ٦٨.

(٣) في (ب): (مبدوله).

(٤) لفظ: (من) مكرر في (ب).

(٥) في (ب): (كما كان)، وهو تحريف.

(٦) الشاهد لعبدالله بن عجلان، شاعر جاهلي، كما في الشعر والشعراء ٤٧٩، وصدره:
ألا إنَّ هنداً أصبحَتْ منكَ محرما
وهو بلا نسبة في العين ٣/ ٣١٢، وتهذيب اللغة ١/ ٩٠٩، واللسان (حمى) ٢/ ١٠١٣، وأوله عندهم:
لقدْ أصبحَتْ أسماءُ حجراً محرماً
والشاعر كانت له زوجة فطلقها، وتزوجها أخوه، يقول: أصبحت أخاً زوجها بعد ما كنت زوجها.

فجــاءت الواو في الحُمُوَّة مصححــةً ، وكان القياس أن ينقلب ياء من حيث كان جمعاً ، ولحــاق تاء التأنيث في الحموة على حد عمومــة وخيوطة ، ومما يؤكد كسر الفاء في (حِلِيِّهِم) قولهــم : قِسِيٌّ من جمع (قوس) ، ألا ترى أنا لا نعلم أحداً يسكن إلى روايته حكى فيه غير الكسر في الفاء ، فهذا مما يدل على تمكن الكسرة في هذا الباب الذي هو الجمع ، وأما ما كان من هذا النحو واحداً كالـمُضي والصُّلي مصــدر صَلِيَ ، فإن الفاء منه لا يكسر كما كُسر في الجموع ؛ لأن الواحد لم يتغير فيه المعنى كما تغير في الجمع ، على أنّ أبا عمــر[١] حكى عن أبي زيد : «أوَى إليه إوياً بالكسر»[٢] ، «فأما قوله : ﴿وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان : ٢١] ، وقال في أخرى[٣] : ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾ [مريــم : ٦٩] ، فإن الواو في (االعتو) لما كان طرفاً أبدل في الجمع ، ولا يلزم فيه البدل كما يلزم في الجمع»[٤] .

---

(١) في النسخ : (عمرو) ، والتصحيح من الحجة لأبي علي ٤/ ٨٦ ، وهو : صالح بن إسحاق الجرمي مولاهم أبو عمر البصري ، إمام نحوي ، لغوي ، صدوق ، ورع ، فقيه ، أخذ عن أبي زيد وأبي الحسن الأخفش وأبي عبيدة والأصمعي وغيرهم ، وله مصنفات مفيدة ، منها الفرخ في النحو ، والأبنية ، والعروض ، توفي سنة ٢٢٥هـ .
انظر : طبقات النحويين للزبيدي ٨٤ ، وتاريخ بغداد ٩/ ٣١٣ ، وأنباه الرواة ٢/ ٨٠ ، ومعجم الأدباء ١٢/ ٥ ، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٨٥ ، والبلغة ١١٣ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (أوى) ١/ ٢٣٦ .

(٣) في (أ) : (أخريهم) ، وهو تحريف .

(٤) الحجة لأبي علي ٤/ ٨٠ـ٨٨ مع بعض الاختصار ، وانظر : معاني القراءات ١/ ٤٢٣ ، وإعراب القراءات ١/ ٢٠٧ ، والحجة لابن خالويه ١٦٤ ، ولابن زنجلة ٢٩٦ ، والكشف ١/ ٤٧٧ .

وكانت قصة الحلي والعجل على ما ذكره المفسرون(١) : «إن بني إسرائيل كان لهم عيد يتزينون فيه ، ويستعيرون من القبط الحلي ، فاستعاروا حلي القبط لذلك اليوم ، فلما أخرجهم الله من مصر وغرَّقهم ، بقيت تلك الحلي في أيديهم ، فجمع السامري ذلك الحلي ، وكان رجلاً مطاعاً فيهم ذا قدر ، وكانوا قد سألوا موسى أن يجعل لهم إلهاً يعبدونه كما رأوا قوم فرعون يعبدون أصناماً ، فصاغ السامري عجلاً ، وجعله في بيت ، وأعلمهم أن إلههم وإله موسى عنده ، فذلك قوله : ﴿عِجۡلٗا جَسَدٗا﴾ .

قال الزَّجَّاج : «والجسد هو الذي لا يعقل ولا يميز ، إنما معنى الجسد معنى الجثة فقط»(٢) .

وقال الفرَّاء : «كان جسداً مجوفاً»(٣) .

وأكثر أهل التفسير(٤) على أنه صار جسداً ذا لحم ودم ، قال وهب : «جسداً لحماً ودماً»(٥) .

[و](٦) قال قتادة : «جعله الله جسداً لحماً ودماً له خوار»(٧) .

---

(١) أخرج الطبري في تفسيره ٩/ ٦٢ قصة الحلي والعجل بسند ضعيف عن ابن عباس وسعيد بن جبير ، ومن طرق جيدة عن مجاهد والسدي وابن زيد وابن إسحاق . وانظر : معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٧٧ ، وإعراب القراءات لابن خالويه ١/ ٢٠٨ ، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٧٠ .

(٢) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٧٧ ، ومثله قال النحاس في معانيه ٣/ ٨٠ ، ٨١ .

(٣) معاني الفرَّاء ١/ ٣٩٣ .

(٤) انظر : تفسير البغوي ٣/ ٢٨٣ ، وذكر هذا القول ابن عطية ٦/ ٨٢ ، وقال : «وهذا ضعيف لأن الآثار في أن موسى برده بالمبارد تكذب ذلك» اهـ .

(٥) ذكره الثعلبي في الكشف ١٩٧ ب ، والواحدي في الوسيط ٢/ ٢٤٣ .

(٦) لفظ : (الواو) ساقط من (أ) .

(٧) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢٣٦ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٦٨ بسند جيد .

وقــال عطاء : «قال الله تعالى لموســى : ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ﴾ [طه : ٨٥] ، قال موســى : يا رب ، هذا الســامري أخرج لهم عجلاً من حليهــم ، فمن[١] جعل له جســداً ؟ يريد الجســم[٢] واللحم والــدم ، ومن جعل له خــواراً ؟ قال الله [تعالى][٣] : أنا ، قال موسى : وعزتك وجلالك ما أضلهم غيرك ، قال : صدقت يا حكيم الحكماء»[٤] .

وقال الحسن : «قبض الســامري قبضة [تراب][٥] من أثر فرس جبريل يوم قطع البحر ، فقذف ذلك التراب في[٦] العجل ، فتحوّل لحماً ودماً»[٧] .

قال أبو إسحاق : «ويقال في التفسير : إنه سمع صوته مرة واحدة فقط»[٨] . وهذا يروى عن ابن عباس[٩] كما قاله الحســن وأبو إسحاق[١٠] : «إن السامري كان قــد أخذ قبضة من تراب أثر فرس جبريل ، ثــم ألقاها في العجل ، وأنه خار خورة واحدة ولم يثن» .

---

(١) في (ب) : (من جعل) .

(٢) في (ب) : (يريد بالجسم اللحم والدم) .

(٣) لفظ : (تعالى) ساقط من (أ) .

(٤) لم أقف عليه ، وهو أثر غريب منكر .

(٥) لفظ : (تراب) ساقط من (أ) ، وملحق أعلى السطر في (ب) .

(٦) في (أ) : (ذلك التراب في في العجل) .

(٧) ذكره هود الهواري في تفسيره ٢/ ٤٦ ، والواحدي في الوسيط ٢/ ٢٤٣ .

(٨) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٧٧ ، ومثله قال الفرَّاء في معانيه ١/ ٣٩٣ .

(٩) أخرجه الطبري ٩/ ٦٢ من طرق ضعيفة ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٦٨ من طرق جيدة .

(١٠) ليس في معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٧٧ ، أنه أخذ من أثر الفرس ، ولعل الواحدي يقصد أنه خار مرة واحدة فقط .

وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ﴾ . قال ابن عباس : «يريد : لا يرشدهم إلى دين»[١] ، يريد : العجل .

قال أصحابنا : «هذا يدل على أن من لا يكون متكلماً لا يجوز أن يكون إلهاً ، وأن الإله هو الذي يتكلم ويهدي السبيل»[٢] . وقوله : ﴿ اتَّخَذُوهُ ﴾ ؛ أي إلهاً ومعبوداً ، كقوله : ﴿ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ [البقرة : ٥١] ؛ أي إلهاً ، وقد مرَّ .

وقوله تعالى : ﴿ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ . قال ابن عباس : «يريد : مشركين»[٣] . قال أهل المعاني : «وهذه الآية إخبار عن جهل بني إسرائيل في اتخاذهم العجل إلهاً وهو لا يهديهم سبيلاً ، ولا يستطيع كلاماً فيدعو إلى رشدٍ أو يصرف عن غيٍّ»[٤] .

١٤٩. قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ ﴾ ، قال ابن عباس[٥] والمفسرون[٦] : «أي ندموا على عبادتهم العجل» .

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٤٣ بلا نسبة . وقال الزَّجَّاج ٢/ ٣٧٨ في معنى الآية «أي لا يبين لهم طريقاً إلى حجة» اهـ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٩/ ٦٢ .

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٤٣ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٦٢ .

(٤) قال الطبري ٣/ ١١٧ في معنى الآية «يخبر جل ذكره عنهم أنهم ضلوا بها لا يضل بمثله أهل العقل ، وذلك أن الرب -جل جلاله- الذي له ملك السموات والأرض ومدبر ذلك ، لا يجوز أن يكون جسداً له خوار لا يكلم أحداً ، ولا يرشد إلى خير . . . .» اهـ .

(٥) تنوير المقباس ٢/ ١٢٨ ، وذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٤٤ .

(٦) انظر : مجاز القرآن ١/ ٢٢٨ ، وغريب القرآن لليزيدي ١٥٠ ، وتفسير غريب القرآن ١٨٠ ، ١٨١ ، وتفسير الطبري ٩/ ٦٢ ، والسمرقندي ١/ ٥٧١ ، والبغوي ٣/ ٢٨٣ ، وقال والرازي ١٥/ ٧ : «اتفقوا على أن المراد : اشتد ندمهم على عبادة العجل» اهـ .

قال الفــرَّاء : «يقال : سُــقِط في يده ، وأُسْــقِط من الندامة ، وسُــقط أكثر وأجود»[(١)] .

وقــال الزَّجَّاج : «يقال للرجل النادمِ على مــا فعل ، الخَسِرِ على ما فرط منه : قد سُــقِط في يده وأُسْقِط»[(٢)] . قال الأزهري : «وإنما حَسَّنَ قولَهم : سُقِطَ في يده ، بضم السين غير مسمّىً فاعله : الصفةُ ، وهي قولهم : (في يده) ، ومثله قول امرئ القيس :

فدعْ عَنْكَ نهباً صيحَ في حَجَراتِه ... ولكنْ حديثاً ما حديثُ الرَّواحِلِ[(٣)]

أي صاح المنتهــب في حجراته ، وكذلك[(٤)] المراد : ســقط الندم في يده»[(٥)] انتهى كلامه .

---

(١) معاني الفرَّاء ١/ ٣٩٣ ، وفيه زاد (وأسقط لغة) . وانظر : معاني الأخفش ٢/ ٣١٠ .

(٢) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٧٨ ، ونحوه قال النحاس في معانيه ٣/ ٨١ .

(٣) ديوانه ١٣٥ ، واللسان (سقط) ٤/ ٢٠٣٩ ، والدر المصون ٥/ ٤٦١ ، وفي الديوان : (دع) بدل فدع ، والنهب : الغارة والسلب ، وحجراته : نواحيه ، والرواحل : النوق .

(٤) في (ب) : (ولذلك) ، وهو تحريف .

(٥) تهذيب اللغة (سقط) ٢/ ١٧١٣ .

فقد بانَ بقول المفسرين وأهل اللغة أن قولهم : (سُــقط في يده) معناه : نَدِم ، وأن هذا اللفظ يســتعمل في صفة النادم ، فأما القــول في أصله ومأخذه ، فلم أر لأحد من الأئمة فيه شيئاً أرتضيه إلا ما ذكره أبو القاسم الزَّجَّاجي ، وهو أنه قال : «قوله : ﴿ سُقِطَ فِىٓ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ بمعنى[١] ندموا ، نظمٌ لم يُســمع قبل القرآن ولا عرفته العرب ، ولم يوجد ذلك في أشــعارهم ، والذي يــدل على صحة ذلك أن شعراء الإسلام لما ســمعوا هذا النظم ، واستعملوه في كلامهم خفي عليهم وجه الاستعمال ؛ لأن عادتهم لم تَجْرِ بِهِ ، فقال أبو نواس[٢] :

ونَشْوَةٌ سُقِطْتُ منْهَا في يَدي[٣]

وأبو نواس هو العالم النَّحْرير[٤] ، فأخطأ في استعمال هذا اللفظ ؛ لأن فُعِلْتُ لا يُبنَى إلا من فعل[٥] متعدٍّ ، وسُقط لازم لا يُعدَّى إلا بحرف الصفة ؛ لا يُقال : سُــقِطت كما لا يقال : رُغِبتُ ، وغُضِبتُ ، إنما يقــال : رُغِب فيَّ ، وغُضِبَ عليَّ ، وذكر أبو حاتم[٦] : «سُقط فلان في يده ، بمعنى : ندم» ، وهذا خطأ مثل قول أبي

---

(١) في (ب) : (معناه) .

(٢) أبو نُواس : هو الحسن بن هانئ الحكمي مولاهم أبو علي البصري ، شاعر مشهور ، عالم باللغة ، فصيح ، أخذ عن أبي زيد وأبي عبيدة وغيرهما ، وهو شاعر مجيد ، لكن فسقه ظاهر ، أكثر من النظم في المجون والخمر والغلمان ، وغلب عليه اللهو ، وذكر عنه التوبة في آخر عمره . توفي سنة ١٩٥هـ أو بعدها ، وقد قارب الستين سنة .

انظر : الشعر والشعراء ٥٣٨ ، وتاريخ بغداد ٧/ ٤٣٦ ، ووفيات الأعيان ٢/ ٩٥ ، ولسان الميزان ٧/ ١١٥ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤/ ٢٥٧ ، والأعلام ٢/ ٢٢٥ .

(٣) ليس في ديوانه ، ولم أقف على تكملته . ونقله السمين في الدر ٥/ ٤٦٢ عن الواحدي ، وذكره الميداني عن الزَّجَّاجي في مجمع الأمثال ٢/ ٣٣١ .

(٤) النّحْرير : الحاذق الماهر العاقل المجرب ، وقيل : «الرجل الفطن المُتْقِن البصير في كل شيء» ، انظر : اللسان (نحر) ٧/ ٤٣٦٥ .

(٥) انظر : تصحيح التصحيف ، وتحرير التحريف للصفدي ٣١٤ .

(٦) أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني . تقدمت ترجمته ، والنص عنه في مجمع الأمثال ٢/ ٣٣١ ، وانظر : اللسان ٤/ ٢٠٣٨ ، والتاج (سقط) ١٠/ ٢٨٣ .

نواس ؛ لأنه لو جاز : سُقط فلان في يده ، لجاز : سقطت في يدي ، ولو كان الأمر على ما ذكره لكان النظم : ولـمَّا سُقطوا في أيديهم ، أو سقط القوم في أيديهم .

وحقيقة معنى السقوط[١] : نزول الشيء من أعلى إلى أسفل ، ووقوعه على الأرض ، ولهذا قالوا : سقط المطر ، ويسمى الجليد سَقِيطاً ، ويقال : سقط من يدي شيء ، وأسْقَطت المرأة ولدها ، ومنه سَقْط النار والولد ، وسِقْطا الخِبَاء : جانباه اللذان يسقطان على الأرض ، هذا أصل ، ثم توسعوا واستعاروا هذه اللفظة حيث لا يكون هناك نزول من أعلى إلى أسفل تشبيهاً ، فقالوا للخطأ من الكلام : سَقَط ؛ لأنهم شبهوه بما لا يحتاج إليه فيسقط ، ويقال للرجل إذا أخطأ : كان ذلك منه سَقطة[٢] ، شبهوا ذلك [بـ]السقطة[٣] على الأرض ، ومعنى ﴿سُقِطَ فِىٓ أَيۡدِيهِمۡ﴾ ؛ أي سقط الندم في أيديهم ، ولم يذكر الندم ، وقيل : سُقط ، على ما لم يُسم فاعله ، كما يقال : رُغب في فلان ، على ما بيَّنا ، وذكر اليد هاهنا لوجهين :

أحدهما : أنه يقال للذي يحصل على شيء ، وإن كان ذلك مما لا يكون في اليد : قد[٤] حصل في يده مكروه ، يُشَبَّه ما يحصل في النفس وفي القلب بما يرى بالعين ، وخصت اليد بالذكر ؛ لأن مباشرة الذنوب بها ، فاللائمة ترجع عليها لأنها هي الجارحة العظمى ، فيسند إليها ما لم تباشره ، كقوله : ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ﴾ [الحج : ١٠] ، وكثير من الذنوب لم تقدمه اليد[٥] .

---

(١) انظر : (سقط) في العين ٥/ ٧١ ، والجمهرة ٢/ ٨٣٥ ، والصحاح ٣/ ١١٣٢ ، والمجمل ٢/ ٤٦٦ ، ومقاييس اللغة ٣/ ٨٦ ، والمفردات ٤١٤ .

(٢) في (ب) : (سقطاً) .

(٣) لفظ : (الباء) ساقط من (ب) .

(٤) في (ب) : (فقد) ، وهو تحريف .

(٥) انظر : تفسير القرطبي ٧/ ٢٨٦ .

الوجه الثاني : أن الندم حدث يحصل في القلب[١] ، وأثره يظهر في اليد ؛ لأن النادم[٢] يعض يده ، ويضرب إحدى يديه على الأخرى ، كقوله تعالى : ﴿ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا ﴾ [الكهف : ٤٢] ، فتقليب الكف عبارة عن الندم ؛ لأن من ندم على شيء قلب كفيه ، وصفق اليمنى على اليسرى تحسراً على ما فعل .

ومن هذا أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ﴾ [الفرقان : ٢٧] ؛ أي ندماً وتحسراً على كفره بالله ، فلما كان أثر الندم يحصل في اليد من الوجه الذي ذكرنا أضيف سقوط الندم إلى اليد ؛ لأن الذي يظهر للعيون من فعل النادم هو تقليب الكف وعض الأنامل واليد ، كما أن السرور معنى في القلب يستشعره الإنسان ، والذي يظهر من حاله الاهتزاز والحركة والضحك وما يجري مجراه ، والقراءة المشهورة ﴿ سُقِطَ ﴾ على ما لم يُسمّ فاعله ، وهذا الفاعل إذا ظهر لا بد من أن يكون الندم على ما ذكره الزَّجّاج وغيره[٣] ، هذا الذي ذكرناه معنى كلامه ، وبعض لفظه ، وهو صحيح واضح لا غبار عليه .

[و][٤] قوله تعالى : ﴿ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ ﴾ ؛ أي وعلموا أنهم قد ابتلوا بمعصية الله ، ﴿ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا ﴾ ، وهذا الندم والاستغفار إنما كان بعد رجوع موسى إليهم .

---

(١) في (ب) : (يحصل بالقلب) .

(٢) انظر : مجمع الأمثال ٢/ ٣٣١ .

(٣) لم أقف عليه عن الزَّجّاجي في كتبه بعد طول بحث عنه ، وذكره الميداني في مجمع الأمثال ٢/ ٣٣١ ، عن الزَّجّاجي مختصراً ، ونقله السمين في الدر ٥/ ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، وجعل الكلام في ذكر اليد من قول الواحدي ، وقال الرازي في تفسيره ١٥/ ٨ : «حكى الواحدي عن بعضهم أن هذا مأخوذ من السقيط ، وهو ما يغشى الأرض بالغدوات شبه الثلج ، ومعنى سقط في يده ؛ أي وقع في يده السقيط ، والسقيط يذوب بأدنى حرارة ولا يبقى ، فصار مثلاً لكل من خسر في عاقبته ، ولم يحصل من سعيه على طائل وكانت الندامة آخر أمره» اهـ . ملخصاً . وانظر : جمهرة الأمثال ٢/ ٢١٦ ، والمستقصى ٢/ ١١٩ .

(٤) لفظ : (الواو) ساقط من (ب) .

١٥٠. قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾، اختلفوا في معنى الأسف؛ فقيل: الأسف: الشديد الغضب، وهو قول أبي الدرداء[١]، وعطاء عن ابن عباس[٢] واختيار الزَّجَّاج[٣]، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥]؛ أي أغضبونا، واختاره ابن قتيبة أيضاً، فقال: «يقال: آسفني فأسفت؛ أي أغضبني فغضبت، ومنه قوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾»[٤].

و[٥]قال ابن عباس[٦] والسدي[٧] والحسن[٨]: «الآسف: الحزين»، ونحو ذلك قال الكلبي[٩]، والقولان متقاربان[١٠]؛ لأن الغضب من الحزن، والحزن من الغضب، فإذا[١١] جاءك ما تكره ممن هو دونك غضبت، وإذا جاءك ممن هو

---

(١) أخرجه الطبري ٩/ ٦٤ بسند ضعيف، وذكره الثعلبي في تفسيره ١٩٧ب، والبغوي ٣/ ٢٨٤، وابن الجوزي ٣/ ٢٦٣، والرازي ١٥/ ١٠، والقرطبي ٧/ ٢٨٦، ابن كثير ٢/ ٢٧٦، والسيوطي في الدر ٣/ ٢٣٥.

(٢) ذكره والرازي ١٥/ ١٠.

(٣) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٧٨، واختاره أكثرهم. انظر: مجاز القرآن ١/ ٢٢٨، وغريب القرآن لليزيدي ١٥٠، تفسير الطبري ٩/ ٦٤، ومعاني النحاس ٣/ ٨٢، ونزهة القلوب ٧٤.

(٤) تفسير غريب القرآن ١٧٣.

(٥) لفظ: (الواو) ساقطة من (ب).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٦٩ من طرق جيدة، وذكره الماوردي في تفسيره ٢/ ٢٦٢، والسيوطي في الدر ٣/ ٢٣٥.

(٧) أخرجه الطبري ٩/ ٦٣ بسند جيد، وذكره الثعلبي في تفسيره ١٩٧ب، والبغوي في معالم التنزيل ٣/ ٢٨٤، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٢٨٦، ٢٨٧ عن ابن عباس والسدي.

(٨) أخرجه الطبري ٩/ ٦٤ بسند جيد، وذكره ابن الجوزي في تفسيره ٣/ ٢٦٣، والرازي ١٤/ ١٠ عن ابن عباس والحسن والسدي.

(٩) تنوير المقباس ٢/ ١٢٨، وذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٤٤ عن الكلبي والسدي.

(١٠) انظر: تفسير ابن عطية ٦/ ٨٦، ونقل قول الواحدي، والرازي ١٥/ ١٠.

(١١) في (ب): (وإذا).

فوقك حزنت ، يسمى أحدهما : حزناً ، والآخر : غضباً ، وأصلهما أن يصيبك ما تكره .

يدل على هذا ما قاله الليث : «الأسَفُ في حال الحُزن ، وفي حال الغَضَب إذا جاءك أمر ممن هو دونك فأنت أسف ، [أي غضبان ، وقد آسَفَك ، وإذا جاءك أمر ممن هو فوقك(١) فحزنت له ، ولم تطقه فأنت أسـف](٢) ؛ أي حزين»(٣) ، ومن هذا قال القائل(٤) :

فحُزْنُ كلِّ أخي حزن أخو الغضبِ

فبين مقاربة ما بينهما ، وعلى هذين المعنيين اسـتعملت العرب الأسف . قال الأعشى :

أرى رجلاً منهُمْ أسيفـاً كأنَّمـا يَضُمُّ إلى كشـحيهِ كفّـاً مخضَّبَا(٥)

---

(١) في العين ٧/ ٣١١ : (ممن هو فوقك أو من مثلك فأنت أَسِف) ، وفي تهذيب اللغة ١/ ١٦١ ، عن الليث : (وإذا جاءك أمر فحزنت له ولم تطقه . . . .) .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٣) تهذيب اللغة ١/ ١٦١ .

(٤) الشاهد لأبي الطيب المتنبي في ديوانه ٤٣٦ ، وبلا نسبة في المفردات (أسف) ٧٥ ، والدر المصون ٥/ ٤٦٦ ، وعمدة الحفاظ ١٦ ، وبصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي ٢/ ١٨٥ وأوله : (جزاك ربك) بالأحزان مغفرة . وانظر : شرح البيت في شرح ديوان المتنبي للواحدي٦١١ .

(٥) ديوانه٨٠ ، ومجالس ثعلب ٣٨ ، وتهذيب اللغة ١/ ١٦١ ، ومقاييس اللغة ١/ ١٠٣ ، واللسان ١/ ٧٩ ، والدر المصون ٥/ ٤٦٦ ، وفي الديوان : «رجلاً منكم» بدل (منهم) .

يقول : كأن يده قطعت واختضبت بدمه ، فغضب لذلك ، فهذا في الغضب ، وأما في الحزن فما روي في حديث عائشة -رضي الله عنها[(١)]- أنها قالت :«إن أبا بكر رجل أسيف»[(٢)] .

قال أبو عبيد : «الأسيف : السريع الحزن والكآبة[(٣)] ، قال : ويقال من هذا كله : أسفت آسف أسفاً»[(٤)] ، فعلى هذا كان موسى غضبان على قومه لأجل عبادتهم العجل ، ﴿أَسِفًا﴾ حزيناً ؛ لأن الله فتنهم ، وقد كان قال له : ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ﴾[طه : ٨٥] .

وقال الكلبي : ﴿أَسِفًا﴾ حزيناً لعبادة العجل[(٥)] .

وقوله تعالى : ﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِيَ﴾[(٦)(٧)] ؛ أي بئسما عملتم بعدي ، يقال : خلَّفه بما يكره ، وخَلَفه بما يحب إذا عمل خلفه ذلك العمل . قال ابن عباس : «يريد : اتخاذهم العجل وكفرهم بالله»[(٨)] .

---

(١) في (أ) : (عنهما) .

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٤) في الأذان ، باب : حد المريض أن يشهد الجماعة ، وفي باب : من أسمع الناس تكبير الإمام ، رقم : ٧١٢ ، وفي باب : الرجل يأتم بالإمام ويأتم الناس بالمأموم ، رقم : ٧١٣ ، وفي كتاب : الأنبياء ، باب : قوله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [يوسف :٧] ، وأخرجه مسلم رقم : ٤١٨ ، كتاب : الصلاة ، باب : استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرها ، رقم : ٣٣٨٤ ، عن عائشة -رضي الله عنها- قالت : قال النبي ﷺ في مرضه : «مروا أبا بكر فليصل بالناس» ، فقلت : «إنه رجل أَسيف . . . .» الحديث .

(٣) تهذيب اللغة ١/ ١٦١ ، وفي غريب الحديث لأبي عبيد ١/ ١٠٠ قال : «سريع الحزن والبكاء» اهـ .

(٤) غريب الحديث ١/ ١٠٠ ، وتهذيب اللغة ١/ ١٦١ ، وزاد : «والأسِف : الغضبان المتلهف على الشيء ، ومنه قوله تعالى : ﴿غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾» اهـ . وانظر : المنجد ١٠٨ ، والصحاح ٤/ ١٣٣٠ ، والمجمل ١/ ٩٥ ، ومقاييس اللغة ١/ ١٠٣ ، والمفردات (أسف) ٧٥ .

(٥) في النسخ : (إنا قد فتنا) ، وهو تحريف .

(٦) تنوير المقباس ٢/ ١٢٨ ، وذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٤٤ .

(٧) في (ب) تكرار : (من بعدي) .

(٨) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٤٤ .

وقوله تعالى: ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾، معنى العَجَلة[1]: التقدم بالشيء قبل وقته، ولذلك صارت مذمومة، والسرعة غير مذمومة؛ لأن معناها: عمل الشيء في أقل أوقاته.

قال الفرَّاء[2] والزَّجَّاج[3]: «يقال: عجلت الشيء إذا سبقته، وأعجلته؛ أي استحثثته».

ومعنى ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾[4]. قال ابن عباس: «يعني: ميعاد ربكم فلم تصبروا له»[5].

وقال الحسن[6]: «وعد ربكم الذي وعدتم من الأربعين ليلة، وذلك أنهم قدروا أنه مات لما لم يأت على رأس الثلاثين ليلة».

وقال عطاء[7]: «يريد: تعجلتم سخط ربكم»، وقال الكلبي: «أعجلتم بعبادة العجل قبل أن يأتيكم أمر من ربكم»[8].

---

(١) انظر: العين ١/ ٢٢٧، والجمهرة ١/ ٤٨٢، وتهذيب اللغة ٣/ ٢٣٤١، والصحاح ٥/ ١٧٥٩، والمجمل ٣/ ٦٤٩، ومقاييس اللغة ٤/ ٢٣٧، والمفردات ٥٤٨، واللسان (عجل) ٥/ ٢٨٢١.

(٢) معاني الفرَّاء ١/ ٣٩٣، ومثله قال الطبري ٩/ ٦٤.

(٣) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٧٨.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٤٥، وابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٢٦٤، والرازي ١٥/ ١١.

(٦) ذكره الماوردي ٢/ ٢٦٣، والواحدي في الوسيط ٢/ ٢٤٥، والبغوي ٣/ ٢٨٤، وابن الجوزي ٣/ ٢٦٤، والرازي ١٥/ ١١.

(٧) ذكره والرازي ١٥/ ١١.

(٨) تنوير المقباس ٢/ ٢٢٨، وذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٤٥، والبغوي ٣/ ٢٨٤، والرازي ١٥/ ١١.

وقولــه تعــالى : ﴿ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ ﴾ . قال ابــن عباس : «يريــد : التي فيها التوراة»[(١)] .

وروي أن النبي ﷺ قال : «يرحم الله أخي موسى ما المـُـخبَر كالمعاين ، لقد أخبره الله بفتنة قومه ، فعرف أن ما أخبره ربه حق ، وإنه على ذلك لمتمســك بما في يديه ، فرجع إلى قومه ورآهم[(٢)] فألقى الألواح»[(٣)] .

وقوله تعــالى : ﴿ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ﴾ . قال الكلبي : «بذؤابة أخيه ، وشعره بيده اليمنى ، ولحيته باليسرى»[(٤)] .

وقال ابن الأنباري : «لما رجع موســى فوجدهم مقيمــين على المعصية أكبر ذلك واســتعظمه ، وأقبل على أخيه هارون بالملامة ، ومد يده إلى رأســه لشــدة موجدته عليه ، إذ لم يلحق به فيعرفه مــا جرى بنو إسرائيل إليه من الأمر العظيم

---

(١) ذكره أكثرهم بلا نسبة . انظر : الوسيط ١/ ٢٤٥ ، والبغوي ٣/ ٢٨٤ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٦٤ ، والرازي ١٥/ ١١ .

(٢) في (ب) : (ورآهم) ، وهو تحريف .

(٣) أخرج أحمد في المسند ٤/ ١٤٧ رقم : ٢٤٤٦ ، تحقيق أحمد شاكر ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٧٠ ، والحاكم في المستدرك ٢/ ٣٢١ من طرق جيدة عن ابن عباس ، أن النبي ﷺ قال : «ليس الخبر كالمعاينة ، إن الله -عز وجل- أخبر موسى بما صنع قومه في العجل ، فلم يلق الألواح ، فلما عاين ما صنعوا ألقى الألواح ، فانكسرت» اهـ . واللفظ لأحمد . وقال الحاكم : «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ، ووافقه الذهبي في التلخيص .
وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٢٣٥ ، وزاد نسبته إلى (عبد بن حميد والبزار وابن حبان والطبراني وأبي الشيخ وابن مردويه) .
وأخرج أحمد ٣/ ٢٥٤ ، رقم : ١٨٤٢ ، والقضاعي في مسند الشهاب ٢/ ٢٠١ ، ٢٠٢ ، رقم : ١١٨٢-١١٨٤ ، والخطيب في تاريخ بغداد ٣/ ٣٦٠ ، و٨/ ٢٨ من طرق جيدة ، عن أنس وأبي هريرة وابن عباس أن النبي ﷺ قال : «ليس الخبر كالمعاينة» اهـ . وانظر : المقاصد الحسنة للسخاوي ٤١٤ ، وكشف الخفاء ٢/ ١٦٨ .

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٤٥ .

ليرجع فيتلافاهم ، وهذا بيِّن في قوله : ﴿ قَالَ يَـٰهَـٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴾ الآية [طه : ٩٢] ، فأعلمه هارون أنه إنما أقام بين أظهرهم خوفاً على نفسه من القتل ، وهذا بيِّن في قوله : ﴿ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي ﴾ ، فكان مد موسى يده إلى رأس أخيه عند توهمه أنه قد عصى الله بمقامه وتركه اللحوق به ، وتعريفه ما أحدث قومه بعده ، فلما سمع [موسى][(١)] اعتذار هارون ، زال عنه ما كان لحقه مما توهمه على أخيه ، و﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي ﴾[(٢)] الآية»[(٣)] .

وقوله تعالى : ﴿ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ ﴾ قرئ بكسر الميم وفتحها[(٤)] ، [فمن][(٥)] كسر الميم فقال الزَّجَّاج : «فإنه أضاف إلى نفسه بعد أن جعلها[(٦)] اسماً واحداً» ، فعلى هذا قولهم : يا ابن أُمِّ ، بمنزلة يا غلامِ أقبل ، تحذف الياء ؛ لأن النداء باب حذف ، وتبقى الكسرة دليلاً على المحذوف .

قال الفـرَّاء : «وذلك أنه كثـر في الكلام ، فحذفت العـرب منه الياء ، ولا يكادون يحذفون الياء إلا من الاسم المنادى ، يضيفه المنادي إلى نفسه ، إلا قولهم : يا ابن عمِّ ويـا ابن أمِّ ، وذلك أنه يكثر استعمالها[(٧)] في كلامهم ، فإذا جاء ما لا

---

(١) لفظ : (موسى) ساقط من (ب) .

(٢) لفظ : (﴿ وَلِأَخِي ﴾) ساقط من (أ) .

(٣) ذكر الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٤٥ عن الكلبي نحوه . وذكره ابن الجوزي ٣/ ٢٦٤ بلا نسبة .

(٤) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم (قَالَ ابنَ أُم) بكسر الميم ، وكذلك في آية (يَبنَؤُمِّ) [طه :٩٤] ، وقرأ الباقون بفتحها . انظر : السبعة ٢٩٥ ، والمبسوط ١٨٥ ، والتذكرة ٢/ ٤٢٦ ، والتيسير ١١٣ ، والنشر ٢/ ٢٧٢ .

(٥) لفظ : (الفاء) ساقط من (ب) .

(٦) في (أ) : (جعلهما) ، وفي معاني الزَّجَّاج ٢/ ٢٧٨ : (جعله) .

(٧) في (ب) : (استعمالهم) .

يستعمل أثبتوا[١] الياء ، فقالوا : يا ابن أبي ، ويا ابن أخي ، ويا ابن خالتي»[٢] . انتهى كلامه .

ومعنى هذا : إن الياء لا تحذف إلا من المنادى إذا أضفته إلى نفسك ، نحو : يا غلام ، ولا تحذف من الاسم مع المضاف إليه المنادى إذا أضفته إلى نفسك نحو[٣] : يا غلام غلامي[٤] لا يجوز حذف الياء هاهنا ، وكذلك يا ابن أبي ، ويا ابن أخي ، وجاز في : يا ابن أم ، ويا ابن عم لكثرتهما[٥] في الكلام ، فجعل الابن مع الأم والعم اسماً واحداً وحذفت الياء كما حذفت من يا غلام ، وقد جاء يا ابن أمي بإثبات الياء على الأصل ، كقول أبي زبيد :

يا ابنَ أمِّي ويا شُقَيِّقَ نفسِي أنتَ خَلَّيْتَني لدهرٍ كؤودِ[٦]

---

(١) في (ب) : (بينوا) .

(٢) معاني الفرَّاء ١/ ٣٩٤ .

(٣) لفظ : (نحو) ساقط من (ب) .

(٤) في (ب) : (يا غلام يا غلامي) .

(٥) في (ب) : (لكثرتها) .

(٦) ديوانه ٤٨ ، والكتاب ٢/ ٢١٣ ، وتفسير الطبري ٩/ ٦٧ ، والأضداد لابن الأنباري ٢٩٣ ، والحجة لأبي علي ٤/ ٩٠ ، واللسان (شقق) ٤/ ٢٣٠١ ، وبلا نسبة في المقتضب ٤/ ٢٥٠ ، ومعاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٧٩ ، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٦٣٩ ، ٦٤٠ ، وإعراب القراءات ١/ ٢٠٩ ، والتفسير للماوردي ٢/ ٢٦٤ ، والأمالي لابن الشجري ٢/ ٢٩٤ ، وهذه هي رواية النحاة في كتبهم ، والشاهد : يا ابن أمي ، فقد أثبت الياء وهو قليل ، والرواية في الديوان :

يا ابنَ خنساءَ شقَّ نفسِي يا جلاجٍ خليتَنِي لدهرٍ شديدِ

وهو من قصيدة طويلة ، يرثي بها ابن أخته لجلاج ، انظر : الاختيارين للأخفش ٥٤١٨ ، وجمهرة أشعار العرب ٢٦٢ .

قال سـيبويه : «فهذا بمنزلة القصوى الذي استعمل فيه الأصل الذي رفض في غيره»[١] .

وهذا الذي ذكرنا قول البصريين والكوفيين بلا اختلاف بينهما .

فأما[٢] من فتح فقال : ﴿ٱبْنَ أُمَّ﴾ فمذهب البصريين[٣] فيه أنهم جعلوا : ابن وأم شـيئاً واحداً ، نحو : خمسة عشر ، ومذهب الكوفيين أنهم قالوا : يا ابن أمَّ ويا ابن عمَّ ، فنصبوا كما ينصب المفرد في بعض الأحوال ، نحو : يا حسرتا ويا ويلتا ، فكأنهم قالوا : يا أماه ويـا عماه ، وهذا قول الفرَّاء[٤] ، وعلى هذا الفتحة في (ابن) كالفتحة في المنادى المضاف ، والفتحة في (أم) كالفتحة في أمَّاه وعمَّاه ، والصحيح قول البصريين ، وهو أن الفتحة في ابن كالفتحة في خمسة ، من قولهم : خمسة عشر ، والفتحة في أم كالفتحة[٥] في عشر .

---

(١) هذا نص قول أبي علي الفارسي في الحجة ٤/ ٩٠ ، ولم أقف عليه عن سيبويه ، وانظر : الكتاب ٢/ ٢١٣ ، ٢١٤ .

(٢) في (ب) : (وأما) .

(٣) انظر : معاني الأخفش ٢/ ٣١٠ ، والزَّجَّاج ٢/ ٢٧٨ ، وإعراب النحاس ١/ ٦٤٠ .

(٤) معاني الفرَّاء ١/ ٣٩٤ ، وانظر : تفسير الطبري ٩/ ٦٧_٦٨ .

(٥) هنا في (أ) وقع تكرار وخلط ، ففيها : (والصحيح قول البصريين ، وهو أن الفتحة في ابن كالفتحة في خمسة من قولهم خمسة عشر ، والفتحة في أم كالفتحة في أمَّاه وعمَّاه ، والصحيح قول البصريين وهو أن الفتحة في ابن كالفتحة في خمسة من قولهم خمسة عشر والفتحة في أم كالفتحة في عشر فإن قيل . . . .) .

فإن قيل : لما لا يجوز أن يكون المراد يا ابن أمَّا ، فحذف الألف كما حذفت ياء الإضافة في : يا غــلام ؟ قيل : ليس مثله ، ألا ترى أن من حذف الياء من يا غلام أثبتها في يا غلام غلامي ، فلو كانت الألف مقدرة في يا ابن أم لمْ تحذف كما لم تحذف في قوله(١) :

يا ابنةَ عمَّا لا تلومِي واهجعِي

فالألف لا تحذف حيث تحذف الياء ، ألا ترى أنَّ من قال : ﴿ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ﴾ [الكهف : ٦٤] ، ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ [الفجر : ٤] ، فحذف الياء من الفواصل لم يكن عنده في نحـــو ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾ [الليل : ١-٢] إلا الإثبات . فإن قيل : فما تقولون(٢) في بيت الكتاب :

رهطُ مرجومٍ ورهطُ ابنِ المعلِّ(٣)

---

(١) الشاهد لأبي النجم الفضل بن قدامة العجلي في ديوانه ١٣٤ ، والكتاب ٢/ ٢١٤ ، والنوادر ١٩ ، والأصول١/ ٣٤٢ ، والجمل للزَّجَّاجي ١٦٠ ، والصحاح ، (عمم) ٥/ ١٩٩٢ ، الأمالي لابن الشجري ٢/ ٢٩٥ ، واللسان (عمم) ٥/ ٣١١١ ، وبلا نسبة في المقتضب ٤/ ٢٥٢ ، والحجة لابن خالويه ١٦٥ ، والحجة لأبي علي ٤/ ٩١ ، والبغداديات ٥٠٦ ، والعسكريات ١٣٥ ، ومعاني الحروف للروماني ١٤٨ ، والمحتسب ٢/ ٢٣٨ ، والمدخل للحدادي ٥٤٧ ، ورصف المباني ٢٣٥ ، والدر المصون ٥/ ٤٦٨ ، وهو رجز بعده .

لا تسمَعيني منكَ لوماً واسمعي

الشاهد فيه : يا ابنة عمَّا ، والأصل يا ابنةَ عمي ، فقلب الياء ألفاً كراهة اجتماع الكسرة والياء .

(٢) في (ب) : (فما تقول) .

(٣) الشاهد للبيد بن ربيعة في ملحق ديوانه ١٩٩ ، والكتاب ٤/ ١٨٨ ، ومجاز القرآن ٢/ ١٦٠ ، وطبقات فحول الشعراء ٢/٤٤٨ ، وكتاب الكتاب لابن درستويه ١٠٤ ، والحجة لأبي علي ١/ ١٤١ ، والبغداديات ٥٠٦ ، والخصائص ٢/ ٢٩٣ ، والأمالي لابن الشجري ٢/ ٢٩٣ ، واللسان (رجم) ٣/ ١٦٠٣ ، وبلا نسبة في الجمهرة ١/ ٤٦٦ ، والعسكريات ١٣٣ ، والمحتسب ١/ ٣٤٢، وسر صناعة الإعراب ٢/ ٥٢٢ ، والمقرب ٢/ ٢٩ ، وصدره :

وقبيل من لكيز شاهد

والشاهد ابن المعل ، والأصل المعلى فحذف للضرورة ، وقبيل : القبيلة ، وشاهد ؛ أي حاضر ، ولكيز =

وهو يريد: المعلى؟

وفي ما أنشد أبو الحسن:

فلستُ بمدركٍ ما فاتَ مني بلهفَ ولا بليتَ ولا لَو اني[(١)]

يريد: بلهفى، فحذف الألف؟ قال أبو علي الفارسي: «والجواب: أن ذلك يجوز في الشعر[(٢)]، ولا يجوز في الاختيار وحال السعة، ولا ينبغي أن يحمل قوله: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ﴾[(٣)] [طه: ٩٤] على هذا»[(٤)].

وقال أبو علي في هذه المسألة في سورة طه: «من[(٥)] قال: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ﴾ [طه: ٩٤]، أراد: يا ابن أمَّا فحذف الألف كما يحذف الياء من غلامي في النداء [إذا قال: يا غلام وحذف الياء، من المضاف إليه، وإن كانت لا تحذف من المضاف إليه][(٦)] إذا قال: يا غلام غلامي، كما تحذف من المضاف إذا قال: يا غلام؛ لأن هذا الاسم قد كثر استعماله فيغير عن أحوال النظائر، والفتحة في ﴿أَبْنَ﴾ على هذا نصبة كما أنها في قولك: يا غلام أمي، كذلك.

---

= من عبدقيس، ومرجوم: لقب رجلاً من عبدقيس، وابن المعلى هو جد الجارود بن بشير بن عمرو بن المعلى، أفاده عبدالسلام هارون -رحمه الله تعالى- في حاشية الكتاب ٤/ ١٨٨.

(١) لم أعرف قائله، وهو في معاني الأخفش ١/ ٦٥، والحجة لأبي علي ٤/ ٩٢، والعسكريات ١٣٤، وكتاب الشعر ١/ ٢٨٢، والخصائص ٣/ ١٣٥، وسر صناعة الإعراب ٢/ ٥٢١، والمحتسب ١/ ٢٧٧، والأمالي لابن الشجري ٢/ ٢٩٣، والإنصاف ١/ ٣٩٠، والمقرب ١/ ١٨١، والممتع ٢/ ٦٢٢، واللسان (لهف) ٧/ ٤٠٨٧.

(٢) في (ب): (والجواب أن ذلك يجوز في الاختيار وحال السعة)، وهو تحريف.

(٣) الحجة لأبي علي ٤/ ٩٢، وما قبله منه أيضاً. انظر: الحجة ٤/ ٨٩-٩٣.

(٤) أي بالفتح.

(٥) في (ب): (ما قال)، وهو تحريف.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

قال : ويجوز أن يكون جعل ابن وأمَّ جميعاً بمنزلة اسم واحد فبناهما على الفتح ، والفتحة في الأول ليست بنصبة كما كانت في الوجه الأول ، ولكنها بمنزلة الفتحة في خمسة من خمسة عشر ، والاسمان في موضع ضم بالنداء ، فهذان وجهان . ومن قال : ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمِّ ﴾ بالكسر ، احتمل أيضاً أمرين : أحدهما : أن يكون أضاف ابناً إلى أمٍّ ، وحذف الياء من الثاني ، وكان الوجه إثباتها ، مثل : يا غلام غلامي ، والآخر : أن يكون جعل الاسم الأول مع الثاني اسماً واحداً وأضافه إلى نفسه ، ثم حذف الياء ، كما تحذف من أواخر المفردة ، نحو : يا غلام»[1] .

قال المفسرون[2] : «وكان هارون أخا موسى لأبيه وأمِّه ، وإنما قال : يا ﴿ٱبْنَ أُمَّ ﴾ ليستعطفه عليه ويرققه»[3] .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى ﴾ . قال الكلبي : «استذلوني وقهروني»[4] . ﴿وَكَادُواْ ﴾ وهمُّوا أن ﴿يَقْتُلُونَنِى ﴾ ﴿ فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ ﴾ ، يعني : أصحاب العجل . ﴿وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ الذين عبدوا العجل ؛ أي في موجدتك[5] عليَّ ، وعقوبتك لي لا تجعلني معهم[6] .

١٥١. قوله تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى ﴾ . قال الكلبي : «رب اغفر لي ذنبي ؛ أي ما صنعت إلى أخي»[7] ، يريد : ما أظهرت من الموجدة على هارون وهو بريء مما يوجب العتب عليه ؛ لأنه لم يكن منه تقصير

---

(١) الحجة لأبي علي ٥/ ٢٤٨ ، وانظر : معاني القراءات ١/ ٤٢٥ ، وإعراب القراءات١/ ٢٨٠ ، والحجة لابن خالويه ١٦٤ ، ولابن زنجلة ٢٩٧ ، والكشف ١/ ٤٧٨ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٩/ ٦٨ ، والسمرقندي ١/ ٥٧١ ، والبغوي ٣/ ٢٨٤ .

(٣) في (ب) : (ويرفقه) .

(٤) تنوير المقباس ٢/ ١٢٩ ، وذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٤٦ .

(٥) وَجَدت عليه مَوْجِدَة ؛ أي غضبت ، ووجدت عليه ؛ أي حزنت . انظر : اللسان (وجد) ٨/ ٤٧٧٠ .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٩/ ٦٩ ، والسمرقندي ١/ ٥٧١ .

(٧) تنوير المقباس ٢/ ١٢٩ .

في الإنكار على عبدة العجل، إذ بلغ الأمر به أن[1] هموا بقتله؛ لشدة إنكاره.

وقوله تعالى: ﴿وَلِأَخِي﴾. إنما استغفر لأخيه لأنه ظنه مقصراً في الإنكار على عبدة العجل، وإن لم يقع ذلك التقصير منه، [و][2] كأنه يقول: اغفر لأخي إن قصر في الإنكار، كذلك[3] قال أهل المعاني[4] في استغفار موسى لأخيه هاهنا.

وقوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾. قال عطاء عن ابن عباس[5]: «يريد: في سعة جنتك».

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾. إخبار عن موسى أن الله تعالى بهذه الصفة، وهو يدل على قوة طمع الداعي في نجاح طلبته؛ لأن من هو ﴿أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ يُؤمل منه الرحمة.

١٥٢. قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ الآية. قد ذكرنا[6] في مواضع أن المفعول الثاني من مفعولي الاتخاذ محذوف على تقدير: اتخذوا العجل إلهاً[7] ومعبوداً، يدل على هذا المحذوف قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾ [طه: ٨٨]، وللمفسرين، وأهل المعاني، في هذه الآية طريقان:

---

(١) في (أ): (إذا بلغ الأمر به لاهموا)، وهو تحريف.
(٢) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).
(٣) في (ب): (لذلك)، وهو تحريف.
(٤) انظر: تفسير الطبري ٩/ ٦٩، ومعاني النحاس ٣/ ٨٣، والسمرقندي ١/ ٥٧١.
(٥) لم أقف عليه، وفي تنوير المقباس ٢/ ١٢٩: (قال: في جنتك)، وذكر الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٤٦ عن عطاء قال: «أي في جنتك» اهـ.
(٦) انظر: البسيط، [البقرة: ٥١].
(٧) انظر: تفسير الطبري ٩/ ٧٠، ومعاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٧٩، والنحاس ٣/ ٨٤.

أحدهما : أن المراد بالذين اتخذوا العجل : الذين باشروا عبادة العجل .

وقوله تعالى : ﴿ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ . قال عطاء عن ابن عباس : «يريد : في الدنيا»[١] ، يعني : أولئك تيب[٢] عليهم بقتلهم أنفسهم ، فلا يلحقهم الغضب في الآخرة ، وتفسير هذا الغضب في الدنيا قاله أبو العالية ، قال : «هو ما أمروا به من قتلهم أنفسهم»[٣] .

وقوله تعالى : ﴿وَذِلَّةٌ فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ . قال الزَّجَّاج : «الذلة لحقتهم بأنهم رأوا أنهم قد ضلوا فذلوا»[٤] . وعلى هذا معنى قوله : ﴿سَيَنَالُهُمْ﴾ - وقد نالهم الغضب و[الذلة][٥] ، وهذه السين للاستقبال - هو أن هذه الآية إخبار[٦] عما أخبر الله به موسى حين أخبره بافتتان قومه واتخاذهم العجل ، أخبره أيضاً أن أولئك سينالهم غضب وذلة ، ويُحتاج إلى تقدير محذوف ، كأنه قيل : وقلنا لموسى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ ﴾ الآية ، والقول كثيراً ما يُضمر في الكلام .

الثاني : أن المراد بالذين اتخذوا العجل أبناؤهم الذين كانوا في زمن النبي ﷺ ، وهذا مذهب ابن عباس وعطية العوفي ، قال ابن عباس : «هم الذين أدركوا النبي وآباؤهم الذين عبدوا العجل»[٧] . وقال في قوله[٨] : ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ﴾ : « عذاب في الآخرة» ، ﴿وَذِلَّةٌ فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ ، قال : « وهي الجزية »[٩] .

---

(١) لم أقف عليه .

(٢) في (ب) : (تبت) .

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٩٨ أ ، والبغوي ٣/ ٢٨٥ .

(٤) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٧٩ ، وفيه : «والذلة ما أمروا به من قتل أنفسهم» .

(٥) لفظ : (الذلة) ساقط من (أ) .

(٦) في (ب) : (هو أن هذه الأخبار) ، وهو تحريف .

(٧) ذكره الخازن ٢/ ٢٩٢ .

(٨) في (ب) : (في قولهم) ، وهو تحريف .

(٩) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٩٨ أ ، والبغوي ٣/ ٢٨٥ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٦٥ ، والخازن ٢/ ٢٩٢ .

وقال العوفي : «أراد : سـينال أولادهم الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ غضب وذلة» ، قال : «وهو ما أصاب بني قريظة والنضير من القتل والجلاء»[(١)] .

وعلى هذا الطريق تحمل الآية على وجهين :

أحدهما : أن العرب تُعيِّر الأبناء بمعاير الآباء وتنسبها إليهم ، كما تفعل ذلك في المناقب ، وهو كثير في أشـعارهم يقولون للأبناء : فعلتم كذا وكذا ، وإنما فعل ذلك من مضى من آبائهم ، كذلك هاهنا الله تعالى وصف [هؤلاء][(٢)] اليهود الذين كانـوا في زمن النبي ﷺ باتخاذ العجل ، وإن كان آباؤهـم فعلوا ذلك تعييراً لهم كعادة[(٣)] العرب .

الوجـه الثاني : أن الآية من باب حذف المضـاف على ما ذكره عطية العوفي ، والمعنـى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ ﴾ الذين باشروا ذلك ﴿ سَيَنَالُهُمْ ﴾[(٤)] ؛ أي سينال أولادهم ، ثم حذف المضاف لدلالة الكلام عليه[(٥)] .

وقوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴾ . قـال ابن عباس : «يريد : كذلك أعاقـب من اتخذ إلهاً من دوني أو تولى غيري»[(٦)] . وقـال أهل المعاني : «كل مفترٍ في ديـن الله فجزاؤه غضب الله والذلة في الدنيا ، يؤكد هذا ما روي عن مالك ابن

---

(١) ذكره الثعلبي ١٩٨أ ، والواحدي في الوسيط ٢/ ٢٤٨ ، والبغوي ٣/ ٢٨٥ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٦٦ ، والخازن ٢/ ٢٩٢ .

(٢) لفظ : (هؤلاء) ساقط من (ب) .

(٣) في (ب) : (لعادة) .

(٤) لفظ : (سينالهم) سقط من (أ) .

(٥) والقول الأول أظهر ، وهو أن ذلك مختص بالمتخذين للعجل إلهاً لا لمن بعدهم من ذراريهم ، وهو اختيار الجمهور ، انظر : تفسير الطبري ٩/ ٦٩ ، ٧٠ ، ومعاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٧٩ ، وتفسير ابن عطية ٦/ ٩٠ ، والقرطبي ٧/ ٢٩١ ، ٢٩٢ ، وقال النحاس في معانيه ٣/ ٨٤ : «وهذا القول أصح ؛ لأن الجزية لم تؤخذ منهم ، وإنما أخذت من ذريتهم» اهـ .

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٤٨ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٦٦ .

أنس[١] [رحمه الله][٢] أنه قال: «ما من مبتدع إلا وهو يجد فوق رأسه ذلة، ثم قرأ هذه الآية»[٣]، والمبتدع: مفترٍ في دين الله.

١٥٣. قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟﴾، قال ابن عباس[٤]: «يريد: الشرك، مثل قوله في النساء: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [النساء: ١٨]، ﴿ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا﴾[٥]؛ أي رجعوا عنها وتركوها، قال ابن عباس: «يعني: قبل حلول العذاب، وقبل الموت». وقوله: ﴿وَءَامَنُوٓا۟﴾، قال: «يريد: صدّقوا أنه لا إله غيري ولا شريك معي»[٦].

---

(١) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي، أبو عبدالله المدني، من تابعي التابعين، إمام، حافظ، ثقة، ثبت، فقيه، محدث، إمام دار الهجرة، وأحد أئمة المذاهب المتبوعة، أجمع العلماء على إمامته وجلالته وعلو مرتبته في الفقه والحديث، وفضله ومناقبه وثناء الأئمة عليه كثير. توفي ـ رحمه الله ـ سنة ١٧٩هـ، وله ٨٦ سنة. انظر: تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٧٥، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٤٨، وتذكرة الحفاظ ١/ ٢٠٧، وتهذيب التهذيب ٤/ ٨.

(٢) لفظ: (رحمه الله) ساقط من (ب).

(٣) أخرجه الثعلبي في تفسيره ١٩٨، وذكره ابن الجوزي ٣/ ٢٦٦، والرازي ١٥/ ١٣، والقرطبي ٧/ ٢٩٢، والخازن ٢/ ٢٩٣، وأخرج الطبري ٩/ ٧٠، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٧١، من طرق جيدة عدة عن أبي قلابة وسفيان بن عيينة نحوه.

(٤) لفظ: (﴿ثُمَّ تَابُوا۟﴾) ساقط من (أ).

(٥) تنوير المقباس ٢/ ١٢٩، وذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٤٨.

(٦) لم أقف عليه.

١٥٤. قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾، قال المفسرون[١]، وأهل اللغة[٢]: «أي سكن»، والسكوت أصله السكون والإمساك عن الشيء، وإنما يقال: سكت إذا أمسك عن الكلام، وجاز ﴿سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾، ولا يجوز صمت هاهنا؛ لأن ﴿سَكَتَ﴾ بمعنى: سكن، وصمت[٣]، معناه: سدَّ فاه عن الكلام.

قال أصحاب النظر: «وإنما قيل لسكون الغضب: سكوت، وليس الغضب مما يجوز أن يتكلم[٤] لأنه لما كان بفورته[٥] دالاً على ما في النفس للمغضوب عليه، كان بمنزلة الناطق بذلك، فإذا سكنت تلك الفورة كان بمنزلة الساكت عما كان متكلماً».

وقال عكرمة: «المعنى: سكت موسى عن الغضب»[٦] فقلب، كما قالوا: أدخلت القلنسوة[٧] في رأسي، والمعنى: أدخلت رأسي في القلنسوة، قال أبو إسحاق: «والقول الأولى، الذي معناه: سكن، وهو قول أهل العربية»[٨].

---

(١) انظر: مجاز القرآن ١/ ٢٢٩، ومعاني الأخفش ٢/ ٣١١، وغريب القرآن لليزيدي ١٥٠، وتفسير غريب القرآن ١٨١، وتفسير الطبري ٩/ ٧١، ونزهة القلوب ٢٦٤، ومعاني النحاس ٣/ ٨٥، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٧٢، وتفسير المشكل ٨٧.

(٢) انظر: العين ٥/ ٣٠٥، والجمهرة ١/ ٣٩٨، وتهذيب اللغة ٢/ ١٧١٨، والصحاح ١/ ٢٥٣، والمجمل ٢/ ٤٦٨، ومقاييس اللغة ٣/ ٨٩، والمفردات ٤١٦، واللسان (سكت) ٤/ ٢٠٤٦.

(٣) انظر: العين ٧/ ١٠٦، وتهذيب اللغة ٢/ ٢٠٥١، والصحاح ١/ ٢٥٦، والمجمل ٢/ ٥٤٠، ومعجم المقاييس ٣/ ٣٠٨، واللسان (صمت) ٤/ ٢٤٩٣.

(٤) في (ب): (يتكلم به).

(٥) في (ب): (لأنه كان نفورته)، وهو تحريف.

(٦) ذكره والرازي ١٥/ ١٤، والقرطبي ٧/ ٢٩٣.

(٧) القَلَنْسُوة: من ملابس الرؤوس معروفة، انظر: اللسان (قلس) ٦/ ٣٧٢٠.

(٨) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٧٩، وقال الخازن ٢/ ٢٩٣: «والقول الأول أصح؛ لأنه قول أهل اللغة والتفسير» اهـ. وقال السمين في الدر ٥/ ٤٧٢: «القول بالقلب ينبغي ألّا يجوز لعدم الاحتياج إليه مع ما في القلب من الخلاف» اهـ.

وقوله تعالى : ﴿ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ﴾ ؛ لأنه كان قد ألقاها .

وقوله تعالى : ﴿ وَفِي نُسْخَتِهَا ﴾ . قد ذكرنا معنى النسخ[(١)] في ما تقدم ، وهو : اكتتابك كتاباً عن كتاب حرفاً بحرف ، تقول : نَسَخْتُه وانْتَسَخْتَهُ ، فالأصل نُسْخةٌ ، والمكتوب عنه نُسخةٌ ؛ لأنه قام مقامه[(٢)] .

قال ابن عباس[(٣)] وعمرو بن دينار[(٤)] : «لما ألقى موسى الألواح تكسرت ، فصام أربعين يوماً ، فردت عليه ، وأعيدت الألواح ، وفيها الذي في الأولى»[(٥)] . فعلى هذا معنى : ﴿ وَفِي نُسْخَتِهَا ﴾ ؛ أي في ما[(٦)] نسخ منها ، وإن كانت الألواح لم تتكسر ، وأخذها موسى بعينها بعدما ألقاها ، فمعنى : ﴿ وَفِي نُسْخَتِهَا ﴾ ؛ أي وفي المكتوب فيها ، وذلك المكتوب انتسخ من أصل فيسمى نسخة .

وقوله تعالى : ﴿ هُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾ . قال ابن عباس[(٧)] وغيره[(٨)] : «هدى من الضلالة ، ورحمة من العذاب» . ﴿ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ . قال : «يريد : الخائفين من ربهم»[(٩)] ، واختلفوا في وجه دخول اللام في قوله : ﴿ لِرَبِّهِمْ ﴾ ؛ فقال الكسائي : «لما تقدم المفعول على الفعل حسنت اللام»[(١٠)] ، قال : «وهذا مما مات

---

(١) انظر : البسيط ، النسخة الأزهرية ١/ ٧٨ب .
(٢) هذا قول الأزهري في تهذيب اللغة (نسخ) ٤/ ٣٥٥٨ .
(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٩٨أ ، والبغوي ٣/ ٢٨٥ ، والرازي ١٥/ ١٥ ، والقرطبي ٧/ ٢٩٣ ، والخازن ٢/ ٢٩٣ .
(٤) عمرو بن دينار ، لعله عمرو بن دينار الجمحي ، أبو محمد المكي الأثرم ، تقدمت ترجمته .
(٥) ذكره الثعلبي ١٩٨أ ، والبغوي ٣/ ٢٨٥ ، والخازن ٢/ ٢٩٣ .
(٦) في (ب) : (أي وفي ما) .
(٧) تنوير المقباس ٢/ ١٣٠ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١٩٨أ ، والخازن ٢/ ٢٩٣ .
(٨) انظر : تفسير الطبري ٩/ ٧١ ، ومعاني النحاس ٣/ ٨٥ ، والسمرقندي ١/ ٥٧٢ .
(٩) تنوير المقباس ٢/ ١٣٠ ، وذكره ابن الجوزي ٣/ ٢٦٧ ، والخازن ٢/ ٢٩٣ .
(١٠) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٩٨أ ، والبغوي ٣/ ٢٨٦ .

من الغريب، وقد كان يقال: لك أكرمت، ولك حدثت[١]، فمات ولو قلت: (أكرمت لك) تريد: أكرمتك، كان قبيحاً، وهو جائز، كما تقول: هو مكرم لك، وهو ضارب لك، بمعنى: مكرمك وضاربك، فحسن في موضع، وقبح في آخر، والأصل واحد»[٢].

قال النحويون: «لمـّا تقدم المفعول ضعف عمل الفعل فيه، فصار بمنزلة ما لا يتعدّى، فأدخل اللام»[٣].

وقال أبو علي الفارسي وهو قول أكثر النحويين: «قد يزاد بحروف الجر في المفعول، وإن كان الفعل متعدياً، وذلك نحو: قرأت السورة، وقرأت بالسورة[٤]، وألقى يده، وألقى بيده، وفي القرآن: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤]، وفي موضع آخر ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ﴾ [النور: ٢٥]»[٥]. فعلى هذا قوله: ﴿لِرَبِّهِمْ﴾[٦] اللام صلة وتأكيد، كقوله: ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ [النمل: ٧٢].

---

(١) في (ب): (ولك حديث).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) انظر: اللامات للزَّجَّاجي ١٤٧، والهروي ٣٤، وقال ابن هشام في المغني ١/ ٢١٧: «هي لام التقوية، وهي المزيدة لتقوية عامل ضعف إما بتأخر نحو ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ أو بكونه فرعاً في العمل» اهـ.

(٤) في (ب): (نحو قرأت السورة وألقى يده، وفي القرآن)، وهو تحريف.

(٥) الإيضاح العضدي ١/ ١٩٧، ١٩٨، وانظر: المسائل العسكريات ١٢٨.

(٦) في (ب): ﴿لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾.

وقد ذكرنا مثل هذا في قوله : ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ [آل عمران : ٧٣] ، وقال بعضهم : إنها[١] لام أجلٍ ، والمعنى : هم[٢] لأجل ربهم[٣] ﴿ يَرْهَبُونَ ﴾ ، لا رياء ولا سمعة .

١٥٥. قوله تعالى : ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ ﴾ ، الاختيار : افتعال من لفظ الخير ، يقال : اختار الشيء ؛ أي أخذ خيره وخياره[٤] ، وأصل اختار : اختير ، فلما تحركت الياء وقبلها فتحة قلبت ألفاً ، نحو : قال وباع ، وفي الأسماء (دار) (وناب) ، أصلهما[٥] دَوَرٌ ونَيَبٌ ، ولهذا استوى لفظ الفاعل والمفعول ، فقيل فيهما : (مختار) والأصل مُختَيِر : ومُختَيَر ، فقلبت الياء فيهما ألفاً فاستويا في اللفظ[٦] .

قال جماعة النحويين[٧] : «معناه : واختار موسى [من][٨] قومه ، فحذفت (من) ووصل الفعل فنصب ، يقال : اخترت من الرجال زيداً [واخترت الرجال زيداً]»[٩] .

---

(١) في (ب) : (وقال بعضهم ألها لام) ، وهو تحريف .

(٢) في (ب) : (والمعنى والذين هم) .

(٣) انظر : معاني الأخفش ٢/ ٣١١ ، وتفسير الطبري ٩/ ٧١ ، وإعراب النحاس ١/ ٦٤١ ، والتبيان ٣٩١ ، والفريد ٢/ ٣٦٧ ، والدر المصون ٥/ ٤٧٢ .

(٤) في (ب) : (وختاره) .

(٥) في (ب) : (أصلها) .

(٦) انظر : العين ٤/ ٣٠١ ، والبارع ٢٢٤ ، وتهذيب اللغة ١/ ٩٥٩ ، ٩٦٠ ، والصحاح ٢/ ٦٥١ ، والمجمل ٢/ ٣٠٨ ، ومقاييس اللغة ٢/ ٢٣٣ ، والمفردات ٣٠١ ، واللسان (خير) ٣/ ١٢٩٩ .

(٧) انظر : الكتاب ١/ ٣٧ ، ومعاني الأخفش ٢/ ٣١٢ ، والمقتضب ٤/ ٣٣٠ ، ومعاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٨٠ ، وإعراب النحاس ٢/ ١٥٤ .

(٨) لفظ : (من) ساقط من (ب) .

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

وأنشدوا قول الفرزدق(١) :

منَّا الذي اختيرَ الرِّجالَ سماحَـةً وجـوداً إذا هبَّ الرِّيـاحُ الزَّعـازعُ

قال الفرَّاء : «وإنما استجيز وقوع الفعل عليهم إذا طُرحت (من) ؛ لأنه مأخوذ من قولك : هؤلاء خير القوم ، وخير من القوم ، فلما جازت الإضافة مكان (من) ، ولم يتغير المعنى استجازوا أن يقولوا : اخترتكم رجلاً ، واخترت منكم رجلاً»(٢) .

وأنشد للراعي(٣) :

فقلت(٤) له(٥) اخترها قلوصاً سمينة

ونـاب علينا مثـلُ نابِـكَ في الحيـا

أراد : اختر منها ، قال أبو علي : «والأصل في هذا الباب أن من الأفعال ما يتعدَّى إلى المفعول الثاني بحرف جر ، ثم يتسع فيحذف حرف الجر فيتعدى الفعل

---

(١) ديوانه ٢/ ٤١٨ ، والكتاب ١/ ٣٩ ، والكامل ١/ ٣٣ ، وتفسير الطبري ٩/ ٧٤ ، والأمالي لابن الشجري ٢/ ١٣١ ، واللسان (خير) ٣/ ١٢٩٩ ، والدر المصون ٥/ ٤٧٤ ، وبلا نسبة في معاني الأخفش ٢/ ٣١٢ ، والمقتضب ٤/ ٣٣٠ ، ومعاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٨٠ ، وإعراب النحاس ١/ ٦٤٢ ، وانظر : شرحه في الخزانة ٩/ ١٢٣ ـ ١٢٥ .

(٢) معاني الفرَّاء ١/ ٣٩٥ .

(٣) الرَّاعي : عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل النميري أبو جندل البصري ، شاعر أموي ، لقب بالراعي ؛ لكثرة وصفه الإبل ، وتوفي بعد سنة ٩٠هـ . انظر : طبقات فحول الشعراء ٢/ ٢٩٨ ، والشعر والشعراء ٢٦٥ ، والأغاني ٢٤/ ١٦٨ ، والأعلام ٤/ ١٨٨ .

(٤) ديوانه ٢٥٩ ، والدر المصون ٥/ ٤٧٣ ، وبلا نسبة في معاني الفرَّاء ٢/ ٣٩٥ ، وتفسير الطبري ٩/ ٧٥ ، والقلوص : الفتية من الإبل ، والناب : المسنة ، والحيا : الخصب والمطر لإحيائه الأرض فتخصب ، والحيا : الشحم والسمن ، وصدره في الديوان ، وطبقات فحول الشعراء ٢/ ٥٢١ :

فـقـلـتُ لـربِّ الـنـابِ خـذْهـا ثنية

(٥) في (أ) : (فقلت لها) ، وهو تحريف .

إلى المفعول الثاني ، من ذلك قولك : اخترت من الرجال زيداً[(١)] ، ثم يُتسع فيقال : اخترت الرجال زيداً ، وأستغفر الله من ذنبي ، [وأستغفر الله ذنبي][(٢)] ، وكذلك أمرت زيداً الخير ، وأمرته بالخير .

قال الشاعر :

أستغفرُ الله ذنباً لستُ مُحْصِيَه[(٣)]

وقال آخر :

أمرتُكَ الخيرَ فافعلْ[(٤)] ما أُمِرتَ بِهِ»[(٥)]

---

(١) النص في الإيضاح العضدي ١/ ٢٠٠ وفيه : (فمن ذلك قولك : اخترت زيداً من الرجال . . . .) .

(٢) لفظ : (واستغفر الله ذنبي) ساقط من (ب) ، وفي الإيضاح (واستغفرت الله ذنبي) .

(٣) لم أعرف قائله ، وهو في الكتاب ١/ ٣٧ ، ومعاني الفرَّاء ١/ ٢٣٣ ، وأدب الكاتب ٤١٩ ، وتأويل مشكل القرآن ٢٢٩ ، والمقتضب ٤/ ٣٣١ ، والأصول ١/ ١٧٨ ، والخصائص ٣/ ٢٤٧ ، والصاحبي ٢٩١ ، والمخصص ١٤/ ٧١ ، واللسان (غفر) ٦/ ٣٢٧٤ ، والدر المصون ٥/ ٤٧٤ ، وعجزه :

ربُّ العبادِ إليه الوجهُ والعملُ

والشاهد أستغفر الله ذنباً ، حيث بدلًا من فقد حذف حرف الجر من ثاني مفعولي (استغفر) الذي تعدى إليه بوساطة الحرف ، والأصل : أستغفر الله من ذنب . انظر : الخزانة ٣/ ١١١ .

(٤) في (أ) : (وافعل) .

(٥) الشاهد مختلف في نسبته ، وهو في ديوان عمرو بن معد يكرب ٦٣ ، والعباس بن مرداس ١٣١ ، وخفاف بن ندبة ١٢٦ ، ونسب إلى زرعة بن السائب أو أعشى طرود ، وهو في الكتاب ١/ ٣٧ ، ومعاني الأخفش ٢/ ٣١٢ ، والكامل للمبرِّد ١/ ٣٣ ، والمقتضب ٤/ ٣٣١ ، وتفسير الطبري ٩/ ٧٤ ، والأصول ١/ ١٧٨ ، والبغداديات ٢٨٣ ، والمحتسب ١/ ٥١ ، والمخصص ١٤/ ٧١ ، والأمالي لابن الشجري ٢/ ٥٥٨ ، والدر المصون ٥/ ٤٧٤ ، وعجزه :

فقدْ تركتُكَ ذا مالٍ وذا نشبِ

والنشب : المال الثابت كالضياع ونحوها ، والشاهد : (أمرتك الخيرَ) ، إذ حذف الجار ، والأصل : أمرتك بالخير . انظر : الخزانة ٩/ ١٢٤ .

وقوله تعالى : ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا﴾ . قال السدي : «أمر الله موسى أن يأتيه[١] [في] ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل ، ووعدهم موعداً ، فاختار موسى سبعين رجلاً ليعتذروا»[٢] .

وقال ابن يسار[٣] : «اختارهم ليتوبوا إليه مما صنعوا ، ويسألوه التوبة على[٤] من ورائهم من قومهم»[٥] .

وقال وهب : «إنهم لم يصدقوا موسى أنه يسمع كلام الله ، وقالوا : يحضرك طائفة منا حتى يكلمك ، فيسمعوا كلامه فنؤمن ، وتذهب التهمة»[٦] .

وقوله تعالى : ﴿فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ . قال ابن عباس : «يريد : ماتوا»[٧] . قال الزَّجَّاج : «والرجفة : الحركة الشديدة ، يقال : إنهم رجف بهم الجبل فماتوا»[٨] .

قال ابن يسار ، والسدي : «إنما أخذتهم الرجفة ؛ لأنهم قالوا : ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾»[٩] [النساء : ١٥٣] ، وقال ابن عباس : «إنهم قالوا في دعائهم : اللهم أعطنا ما لم تعطه أحداً قبلنا ، ولا تعطه أحداً بعدنا ، فكره الله ذلك من دعائهم ، فأخذتهم الرجفة»[١٠] .

---

(١) لفظ : (في) ساقط من (ب) .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٩/ ٧٢ بسند جيد .

(٣) ابن يسار : هو محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي ، إمام تقدمت ترجمته .

(٤) في (ب) : (عن من ورائهم) .

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره ٩/ ٧٢ بسند جيد .

(٦) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٩٨أ .

(٧) تنوير المقباس ٢/ ١٣٠ ، وذكره السمرقندي في تفسيره ١/ ٥٧٣ .

(٨) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٨٠ ، وانظر : معاني النحاس ٣/ ٨٦ .

(٩) أخرجه الطبري ٩/ ٧٢ بسند جيد عن السدي وابن إسحاق .

(١٠) أخرجه الطبري ٩/ ٧٢ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٧٤ بسند جيد .

وروى أبو الجوزاء[١] عنه قال : «إنما أخذتهم الرجفة لأنهم كانوا [لم][٢] ينهوا عن عبادة العجل»[٣] .

ونحـــو ذلك قال قتادة وابن جريج[٤] والقرظـــي[٥] ، قالوا : «إنهم لم يزايلوا قومهم حين عبدوا العجل ، ولم يأمروهم بالمعروف ، ولم ينهوهم عن المنكر» .

وقال وهـــب : «لم تكن تلك الرجفة موتـــاً ، ولكن القوم لـمَّـــا رأوا تلك الهيبـــة أخذتهم الرعدة ، ورجفوا حتـــى كادت أن تبين منهم مفاصلهم ، وتنقص ظهورهم ، وخاف موسى عليهم الموت ، فعند ذلك بكى ودعا فكشف الله عنهم تلك الرجفة»[٦] .

وقوله تعـــالى : ﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّىَ﴾ . قال الزَّجَّاج : «أي لو شئت أمتهم من قبل أن تبتليهم بما أوجب عليهم الرجفة»[٧] .

وقال الســـدي : «قال موســـى : يا رب ، كيف أرجع إلى بني إسرائيل ، وقد أهلكت خيارهم ، وليس معي رجل واحد ، فما الذي يصدقونني به أو يأمنوني[٨] عليه بعد هذا ، فأحياهم الله»[٩] .

---

(١) أبو الجوزاء البصري هو أوس بن عبدالله الربعي . تقدمت ترجمته .

(٢) لفظ : (لم) ساقط من (ب) .

(٣) أخرجه الطبري ٩/ ٧٣ ، ٧٤ من طرق جيدة .

(٤) أخرجه الطبري ٩/ ٧٤ بسند جيد عن قتادة وابن جريج .

(٥) ذكره الثعلبي ١٩٨ب ، والبغوي ٣/ ٢٨٦ عن قتادة وابن جريج ومحمد بن كعب القرظي .

(٦) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٩٨ب ، والبغوي ٣/ ٢٨٦ ، والخازن ٢/ ٢٩٤ .

(٧) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٨٠ .

(٨) في (ب) : (أو يأمنونني علي) .

(٩) أخرجه الطبري في تفسيره ٩/٧٦ ، وفي التاريخ ١/٤٢٨ بسند جيد ، وذكره الثعلبي ١٩٨ب ، والرازي ١٥/ ١٨ .

فمعنى قوله : ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم﴾ ﴿وَإِيَّٰىَ﴾ ، أن موسى خاف أن يتهمه بنو إسرائيل على السبعين إذا عاد إليهم ، ولم يصدقوه أنهم ماتوا ، فقال لربه : لو شئت أهلكتنا قبل خروجنا للميقات ، وكانوا[١] بنو إسرائيل يعاينون ذلك ، ولا يتهمونني .

وقوله تعالى : ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ . قال الفرَّاء : «ظن موسى أنهم أُهلكوا باتخاذ [أصحابه][٢] العجل ، [فقال : ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ ، يعني : عبدة العجل][٣] ، وإنما أهلكوا لمسألتهم الرؤية ، وقولهم[٤] : ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾[٥] [النساء : ١٥٣] ، و[٦]هذا قول الكلبي[٧] وجماعة .

وقال قوم : «لا يجوز أن يُظن بموسى أن الله- عز وجل- يهلك قوماً بذنوب غيرهم ، ولكن قوله : ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ استفهام على تأويل الجحد ، وأراد : لست تفعل ذلك ، كما تقول : أتهين من يكرمك ؟ أي لست تهين من يكرمك» ، وهذا قول ابن الأنباري[٨] ، [و][٩] على هذا أنكر موسى أن يكون سبب إهلاكهم فعل السفهاء ، وكأنه لم يعلم سبب إهلاكهم ، وأنكر أن يكون فعل السفهاء سبب الإهلاك[١٠] .

---

(١) في (ب) : (وكان) .

(٢) لفظ : (أصحابه) ساقط من (ب) .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٤) في (ب) : (وقوله تعالى) .

(٥) معاني الفرَّاء ١/ ٣٩٥ .

(٦) لفظ : (الواو) ساقط من (ب) .

(٧) ذكره هود الهواري في تفسيره ٢/ ٤٩ ، والخازن ٢/ ٢٩٥ .

(٨) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٤٩ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٦٩ ، والسمين في الدر ٥/ ٤٧٦ .

(٩) لفظ : (الواو) ساقط من (ب) .

(١٠) انظر : إعراب النحاس ١/ ٦٤٢ ، ومعاني النحاس ٣/ ٨٧ .

[و][١] قال المبرِّد: «هذا استفهام استعطاف؛ أي لا تهلكنا»[٢].

وقوله: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾. الكناية في قوله: ﴿هِيَ﴾ تعود إلى الفتنة، [كما تقول: إن هو إلا زيد، وإن هي إلا هند، والمعنى: إن تلك الفتنة][٣] التي وقع فيها السفهاء لم تكن ﴿إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾؛ أي اختبارك، وابتلاؤك، وهذا تأكيد لقوله: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾؛ لأن معناه: لا تهلكنا بفعلهم، فإن تلك الفتنة كانت اختباراً منك وابتلاءً أضللت بها قوماً فافتتنوا، وهديت قوماً فعصمتهم حتى ثبتوا على دينك[٤]، فذلك معنى قوله: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ﴾[٥]. وهذه الآية من الحجج الظاهرة على القدرية التي لا يبقى لهم معها عذر[٦].

١٥٦-١٥٧. قوله تعالى: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾؛ أي أوجب لنا، والكتابة تذكر بمعنى الإيجاب، وقد مضى ذلك، وسؤالهم الحسنة في الدنيا والآخرة كسؤال المؤمنين من هذه الأمة، حيث أخبر الله عنهم في قوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [البقرة: ٢٠١]، ومضى تفسير هذه الآية.

(١) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).
(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٩٨ب، والواحدي في الوسيط ١/ ٢٤٩، والبغوي ٣/ ٢٨٧، وابن الجوزي ٣/ ٢٦٩، والرازي ١٥/ ١٩.
(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).
(٤) انظر: تفسير الطبري ٩/ ٧٦، ومعاني النحاس ٣/ ٨٨، وإعراب النحاس ١/ ٦٤٢، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٧٣.
(٥) لفظ: (﴿وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ﴾) ساقط من (ب).
(٦) انظر: تفسير والرازي ١٥/ ١٩، والقرطبي ٧/ ٢٩٦، والخازن ٢/ ٢٩٥.

و[١]قال ابن عباس في الآية في هذه السورة: «يريد: اقبل وفادتنا، وردنا بالمغفرة والرحمة»، ﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾، قال: «يريد: حسنة، يعني: الجنة»[٢]، وقول ابن عباس: «يريد: حسنة»، يعني: إن تقدير الآية: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ حسنة.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾. قال جميع المفسرين[٣] وأهل المعاني[٤]: «تبنا ورجعنا إليك بتوبتنا». قال الليث: «الهَوْد التوبة»[٥].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ﴾. قال ابن عباس: «يريد: على الذنب اليسير»[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾. قد ذكرنا[٧] قديماً أن رحمة الله تعالى إرادته الخير[٨]، وإرادته الخير تنقسم إلى أقسام كثيرة، وكل خيرٍ من خير الدنيا والآخرة أصاب أحداً فذلك من رحمته، ثم من تلك الخيرات ما هو أعم وأوسع، ومنها ما هو أخصُّ.

---

(١) (الواو) ساقطة من (ب).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٥٠.

(٣) انظر: تفسير الطبري ٩/ ٧٧، ٧٨، وأخرجه من طرق جيدة عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وإبراهيم التيمي وقتادة والسدي والضحاك وأبي العالية، وانظر: تفسير السمرقندي ١/ ٥٧٣، والماوردي ٢/ ٢٦٦.

(٤) انظر: مجاز القرآن ١/ ٢٢٩، وغريب القرآن لليزيدي ١٥١، وتفسير غريب القرآن١٨١، ومعاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٨٠، ونزهة القلوب ٤٧٨، ومعاني النحاس ٣/ ٨٨، وتفسير المشكل ٨٧.

(٥) تهذيب اللغة ٤/ ٣٦٨٩، وانظر: العين (هود) ٤/ ٧٦، والزاهر ٢/ ٢١٤.

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٥٠.

(٧) انظر: البسيط، تفسير (بسم الله الرحمن الرحيم) أول الكتاب.

(٨) الرحمة: صفة من صفات الله تعالى تثبت له كما أثبتها لنفسه، ولا يلزم من إثباتها مشابهة صفة المخلوقين ولا نؤولها بإرادة الخير، كما يفعل أهل التأويل. انظر: تفسير الطبري ٩/ ٨٠، ومختصر الصواعق لابن القيم ٣/ ٨٦٩.

والأحســـن في تفسير هذه الآية ما ذهب إليه الحســـن وقتادة[١] ، وهو : (أن رحمته وســعت في الدنيا البار والفاجر ، وهي يوم القيامة للمتقين خاصة) ، وقد بين [عطية العوفي][٢] هذا أحسن بيان فقال : «إن الكافر يرزق ويدفع عنه بالمؤمن لســعة -رحمة الله- للمؤمن ، فيعيش فيها ، فإذا صار إلى الآخرة وجبت للمؤمن خاصة ، كالمســتضيء بنار غيره إذا ذهب صاحب الســراج بسراجه»[٣] . وهذا اختيار الزَّجَّاج[٤] ، وذكر أبو بكر بن الأنباري وجهين في هذه الآية :

أحدهمــا : «أن الرحمة يراد بها الصنــع والأفضال ، وما يخلــو من صنع الله وأفضاله مؤمنٌ ولا كافر ، كالمطر يســمى الرحمة ، وما خرج منه كافر ولا غيره» ، وهذا معنــى ما ذكرنا عن المفسرين أنهــم قالوا : «رحمته وســعت في الدنيا البار والفاجر» .

الوجه الثاني : «أن رحمته[٥] تســع كل شيء يجوز أن يدخل فيها ، وأن يكون مستحقاً لها[٦] ، كقولهم : فلان يحسن كل شيء ، يريدون من الأشياء التي يحسنها أمثالــه ، ومن هذا قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعــام : ٤٤] ، يعني : مما يجوز أن يفتح عليهم ، وكذلك[٧] : ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ [النمل : ٢٣]، معناه : من الأشياء التي يمكن أن يؤتاها مثلها .

---

(١) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢٤٣ ، الطبري ٩/ ٨٠ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٧٨ بسند جيد عن الحسن وقتادة .

(٢) لفظ : (عطية العوفي) ساقط من (ب) .

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٩٨ب ، والواحدي في الوسيط ٢/ ٢٥٠ ، والبغوي ٣/ ٢٨٧ .

(٤) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٨٠ .

(٥) في (ب) : (أن رحمته وسعت تسع) ، وهو تحريف .

(٦) انظر : معاني الأخفش ٢/ ٢١٣ .

(٧) في (ب) : (وكذلك في) .

وهــذا مذهب جماعة المفسرين(١) ، وهو أنهم قالوا : هذا من العام الذي أريد به(٢) الخاص»(٣) .

وقوله تعالى : ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ ، يعني : فســأوجبها في الآخرة ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ ، وهــذا معنى قول المفسريــن(٤) : «وهي يــوم القيامة للمتقين خاصــة» ، وهذا تخصيص بعد التعميم باللفظ ، وبيــان [ذلك](٥) أن ذلك يجب في الآخرة لمن اتصف بما ذكر في قوله تعالى : ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ إلى آخر الآية . قال ابن عباس : «﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ يريد : أمة محمد ﷺ»(٦) .

وقولــه تعالى : ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ﴾ . قال عطاء عــن ابن عباس : «يريد : صدقات الأموال عند محلها»(٧) .

وروي أيضــاً عنه أنــه قال في قولــه : ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ﴾ : «يطيعون الله ورســوله»(٨) ، كأنه ذهب إلى ما يزكي النفس ويطهرها من الأعمال(٩) ، وبه قال الحسن(١٠) .

---

(١) انظر : تفسير الطبري ٩/ ٨٠ ، والسمرقندي ١/ ٥٧٣ ، والماوردي ٢/ ٢٦٧ .

(٢) في (ب) : (منه) .

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٢٧١ ، وفيه قال ابن الأنباري «أن الرحمة تسع كل الخلق إلا أن أهل الكفر خارجون منها ، فلو قدر دخولهم فيها لوسعتهم» اهـ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٩/ ٨٠ .

(٥) لفظ : (ذلك) ساقط من (ب) .

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ٩/ ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٢ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٨٠ من طرق جيدة عدة .

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٨٠ بسند ضعيف ، وقال الماوردي في تفسيره ٢/ ٢٦٧ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٧١ «هذا هو قول الجمهور» اهـ . ورجحه ابن عطية ٦/ ٩٩ .

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره ٩/ ٨١ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٨٠ بسند جيد ، ولفظ ابن أبي حاتم ، قال : «يعني : طاعة الله والإخلاص» .

(٩) هذا توجيه الطبري ٩/ ٨١ ، وانظر : الماوردي ٢/ ٢٦٧ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٧١ .

(١٠) ذكره الماوردي ٢/ ٢٦٧ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٧١ .

وقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ . قال : «يريد : بما أنزلت[١] على محمد والنبيين قبله يصدِّقون»[٢] .

قال المفسرون[٣] : «إنّ وفد بني إسرائيل سألوا الله تعالى ، فقالوا : ﴿ وَٱكْتُبْ لَنَا ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾ . فسألوه النعمة في الدنيا والآخرة ، وتقربوا إليه بالتوبة من المعاصي ، فأخبرهم الله تعالى أنه واسع الرحمة بقوله : ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ ، فكانوا هم من جملة من وسعتهم الرحمة ، ثم خص أمة محمد ﷺ بذكرهم وأوجب لهم الرحمة بقوله : ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾» .

ولهذا قال نوف[٤] البكالي : «ألا تحمدون ربّاً[٥] حفظ غيبتكم ، وأخذ لكم بسهمكم[٦] ، وجعل وفادة بني إسرائيل لكم ؟»[٧] .

وروى عطاء أيضاً عن ابن عباس أيضاً في هذه الآية أنه قال : «هذه الوفادة صارت للصالحين من أمة محمد»[٨] ، ثم زاد في البيان أن المراد بقوله : ﴿ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ هذه الأمة ، فقال : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ﴾ . [والأمي][٩]

---

(١) كذا في (النسخ) : (بما أنزلت) ، والأولى : (بما أُنزل) .

(٢) تنوير المقباس ٢/ ١٣٢ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٩/ ٨١ ، وقد أخرجه من طرق جيدة عدة عن قتادة ، وابن جريج ، وأبي بكر الهذلي ، ونوف البكالي .

(٤) نوف بن فضالة الحميري البكالي أبو يزيد الشامي . تقدمت ترجمته .

(٥) في (ب) : (ربنا) .

(٦) في (ب) : (لسهمكم) .

(٧) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، والطبري ٩/ ٨٣ ، من طرق جيدة عدة .

(٨) أخرجه الطبري ٩/ ٨٢ ، ٨٣ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٨٠ ، من طرق جيدة عدة .

(٩) لفظ : (والأمي) ساقط من (ب) .

الـــذي لا يكتـــب ولا يقرأ في قـــول جميع المفسريـــن[١]، قال الزَّجَّـــاج: «معنى ﴿ٱلۡأُمِّيَّ﴾: الذي هو على خِلْقَـــة الأُمَّة، لم يتعلم الكتاب فهو على جبلته»[٢].
وقد قال ﷺ: «إنَّا أمَّة أمِّيَّة لا نكتب ولا نحسُب»[٣].

قال الأزهري: «[وقد][٤] قيـــل للنبي ﷺ: الأمّي؛ لأن أمة العرب لم تكن تكتب ولا تقرأ المكتوب، وبعثه الله رســـولاً، وهو لا يكتب ولا يقرأ من كتاب، وكانت هـــذه الخلة إحدى آياته المعجزة؛ لأنه تلا عليهـــم كتاب الله منظوماً تارة بعـــد تارة بالنظم الذي أُنزل عليه، فلم يغيّره ولم يبدل ألفاظه، وكان الخطيب من العرب إذا ارتجل خطبة ثم أعادها زاد فيها أو نقص، فحفظه الله على نبيِّه كما أنزله وأبانه من سائر من بعثه إليهم بهذه الآية، وفي ذلك أنزل الله: ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾»[٥] [العنكبـــوت: ٤٨]، وقد مضى صدر من الكلام في معنى الأمِّي عند قوله: ﴿وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨].

وقوله تعـــالى: ﴿ٱلَّذِي يَجِدُونَـهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيـلِ﴾؛ أي يجدونه بنعته وصفته، وهو مذكور في الكتابـــين بنعوته وصفاته، قد عرف ذلك أهلهما.

---

(١) انظر: تفسير الطبري ٩/ ٨٠، ومعاني النحاس ٣/ ٨٩، والسمرقندي ١/ ٥٧٤.

(٢) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٨١، والأُمَّة بضم الهمزة وفتح الميم المشددة، انظر: اللسان (أمم) ١/ ١٣٨، وجبلته بالكسر؛ أي خلقته، وقال الزَّجَّاج في معانيه ١/ ١٥٩: «معنى الأمي في اللغة المنسوب إلى ما عليه جبلة أُمَّته؛ أي لا يكتب فهو في أنه لا يكتب على ما ولد عليه» اهـ.
وقال الأزهري في تهذيب اللغة ١/ ٢٠٤: «قيل للذي لا يكتب: أمي؛ لأن الكتابة مكتسبة، فكأنه نُسب إلى ما ولد عليه؛ أي هو على ما ولدته أُمه عليه» اهـ.

(٣) أخرجه البخاري رقم (١٩١٣) في كتاب: الصوم، باب: قول النبي ﷺ: «لا نكتب ولا نحسب»، مسلم رقم: ١٠٨٠، كتاب: الصيام، باب: وجوب صوم رمضان، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

(٤) لفظ: (قد) ساقط من (ب).

(٥) تهذيب اللغة (أم) ١/ ٢٠٤.

وقوله تعالى: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾. قال الزَّجَّاج: «يجوز أن يكون ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ استئنافاً، ويجوز أن يكون المعنى ﴿يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ﴾ أنه ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾»[(١)]. وعلى هذا يكون الأمر بالمعروف، وما ذكر بعده، من صفته التي[(٢)] ذكرت في الكتابين.

وقال أبو علي في ما استدرك عليه: «لا وجه لقوله: ﴿يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا﴾ أنه ﴿يَأْمُرُهُم﴾ إن كان يعني: إن ذلك مراد؛ لأنه لا شيء يدل على حذفه، ولأنا لم نعلمهم حذفوا هذا في شيء.

قال: وتفسير الآية: إن وجدت فيها المتعدي إلى مفعولين و﴿مَكْتُوبًا﴾ مفعول ثانٍ، والمعنى: يجدون ذكره أو اسمه مكتوباً».

قال سيبويه: «تقول إذا نظرت في هذا الكتاب[(٣)]: هذا عمرو، وإنما المعنى: هذا اسم عمرو، وهذا ذكر عمرو، وقال: إن هذا يجوز على سعة الكلام»[(٤)]، فالمفعول الأول في الآية قائم مقام المضاف إليه، يدل على[(٥)] هذا أن المكتوب عندهم الاسم والذكر لا الرسول نفسه، ألا ترى أن المفعول الثاني هاهنا يجب أن يكون الأول، كقوله: وجدت زيداً منطلقاً، فالمنطلق في المعنى هو الأول، فلو جعلت الهاء في قوله: ﴿يَجِدُونَهُۥ﴾ المفعول الأول من دون تقدير حذف المضاف، لم يكن المفعول الثاني هو الأول فلا يستقيم ذلك، فأما قوله[(٦)]:

---

(١) الإغفال لأبي علي ٨١٧، وفي معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٨١، قال: «قوله: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ يجوز أن يكون ﴿يَأْمُرُهُم﴾ مستأنفاً» اهـ.

(٢) في (ب): (الذي).

(٣) في الكتاب ٣/ ٢٦٩، والإغفال ٨١٨: (تقول إذا نظرت في الكتاب).

(٤) الكتاب ٣/ ٢٦٩.

(٥) في (ب): (يدل على أن هذا أن)، وهو تحريف.

(٦) في النسخ: (قولهم)، وهو تحريف.

﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ فهو عندي تفسير لما كُتب، كما أن قول: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٩] تفسير لوعدهم، وكما أن قوله: ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩] تفسير للمثل، ولا يجوز أن يكون حالاً من المفعول الأول، ألا ترى أنه إذا كان المعنى: يجدون ذكره أو اسمه، لم يجز أن يكون يأمرهم حالاً منه، لأن الاسم والذكر لا يأمران إنما يأمر المذكور والمسمى»[(١)].

فأما تفسير المعروف، فقال عطاء عن ابن عباس: يريد: مكارم الأخلاق وخلع الأنداد، وصلة الأرحام»[(٢)]، وقال الكلبي: «أي بالتوحيد وشرائع الإسلام»[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾. قال عطاء: «يريد: عن عبادة الأوثان وقطع الأرحام، والكفر بما أنزل الله على النبيّين»[(٤)].

وقال الكلبي: «هو ما لا يُعرف في شريعة ولا سنة»[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾. قال عطاء: «يريد: ما حُرِّم عليهم في التوراة والإنجيل من لحوم الإبل وشحوم الضأن والمعز والبقر»[(٦)]، وقيل[(٧)]:

---

(١) الإغفال ٨١٧- ٨٢٠، وانظر: الدر المصون ٥/ ٤٧٩- ٤٨١، وذكر رد الفارسي على الزَّجَّاج، وقال: «وهذا الرد تحامل منه عليه؛ لأنه أراد تفسير المعنى وهو تفسير حسن» اهـ.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٥٣، وابن الجوزي ٣/ ٢٧٢، وذكره الثعلبي ١٩٩أ، والبغوي ٣/ ٢٨٩، والقرطبي ٧/ ٢٩٩، الخازن ٢/ ٢٩٨، عن عطاء فقط.

(٣) تنوير المقباس ٢/ ١٣٢.

(٤) ذكره الثعلبي ١٩٩أ، والبغوي ٣/ ٢٨٩، والقرطبي ٧/ ٢٩٩، والخازن ٢/ ٢٩٨، وجعله الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٥٣، وابن الجوزي ٣/ ٢٧٢، من قول ابن عباس.

(٥) ذكره السمرقندي في تفسيره ١/ ٥٧٤، بلا نسبة.

(٦) لم أقف عليه، وانظر: معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٨١، والنحاس ٣/ ٨٩.

(٧) هذا هو قول الطبري ٩/ ٨٤، والثعلبي ١٩٩أ، والماوردي ٢/ ٢٦٩، والبغوي ٣/ ٢٨٩.

«هي الحلالات التي كان أهل الجاهلية تحرمها من البحائر والسوائب والوصائل والحوامي» .

وقوله تعالى : ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ . قال عطاء عن ابن عباس[(١)] : «يريد : ﴿ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ﴾ وما ذكر[(٢)] في [المائدة :٣] إلى قوله : ﴿ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌ﴾» .

[و][(٣)] قوله تعالى : ﴿وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ﴾ . ذكرنا معنى (الإصر) في آخر سورة البقرة . واختلف[(٤)] القراء هاهنا ، فقرءوا : ﴿إِصۡرَهُمۡ﴾(وآصارهم)[(٥)] ، قال أبو علي الفارسي : «الإصر : مصدر يقع على الكثرة مع إفراد لفظه ، ويدل على ذلك إضافته ، وهو مفرد إلى الكثير ، كما قال : ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ﴾[(٦)] [البقرة : ٢٠] . ومن جمع أراد ضروباً من العهود[(٧)] مختلفة ، والمصادر قد تجمع إذا اختلفت ضروبها كما تجمع سائر الأجناس»[(٨)] .

---

(١) ذكره الرازي في تفسيره ١٥/ ٢٤ ، وأخرج الطبري ٩/ ٨٤ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٨٣ بسند جيد عن ابن عباس قال : «هي لحم الخنزير والربا وما كانوا يستحلونه من المحرمات من المآكل التي حرمها الله» اهـ .

(٢) في (ب) : «وما ذكره» ، وهو يريد قوله تعالى : ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌ﴾ [المائدة :٣] .

(٣) لفظ : (الواو) ساقط من (ب) .

(٤) في (ب) : (واختلفوا) .

(٥) قرأ ابن عامر : (آصارهم) بفتح الهمزة والصاد ، وألف بعدها على الجمع ، وقرأ الباقون : ﴿إِصۡرَهُمۡ﴾ بكسر الهمزة وسكون الصاد من غير ألف بعدها على الإفراد ، انظر : السبعة ٢٩٥ ، والمبسوط ١٨٥ ، والتذكرة ٢/ ٤٢٦ ، والتيسير ١١٣ ، والنشر ٢/ ٢٧٢ .

(٦) في (ب) : (فلو شاء) ، وهو تحريف .

(٧) في الحجة لأبي علي ٤/ ٩٤ : (أراد ضروباً من المآثم مختلفة) .

(٨) الحجة لأبي علي ٤/ ٩٣ ، وانظر : معاني القراءات ١/ ٤٢٥ ، وإعراب القراءات ١/ ٢١٠ ، والحجة لابن خالويه ١٦٥ ، ولابن زنجلة ٢٩٨ ، والكشف ١/ ٤٧٩ .

قال ابن عباس: «يريد: العهد[١] الثقيل الذي كان أخذ على بني إسرائيل بالعمل بما في التوراة»[٢].

وهو قول الحسن والضحاك والسدي ومجاهد[٣]، والمعنى: ويُسقط عنهم ثقل العهد الذي أُخذ عليهم.

قال الزَّجَّاج: (والإصر ما عقدته من عقد ثقيل)[٤].

وقال سعيد بن جبير: «هو شدة العبادة»[٥].

وقال ابن جريج: «من اتّبع محمداً ﷺ من أهل الكتاب، وُضِعَ عنه ما كان عليه من التشديد في دينه»[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾. قال المفسرون[٧]: «وهي الشدائد التي كانت في العبادة، كقطع أثر البول، وقتل النفس في التوبة، وقطع الأعضاء الخاطئة، وتتبّع العروق من اللحم».

---

(١) في (أ): (يريد: بالعهد).

(٢) أخرجه الطبري ٩/ ٨٥، ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٨٣ من طرق جيدة عدة.

(٣) أخرجه الطبري ٩/ ٨٥، من طرق عدة عن مجاهد والحسن والسدي والضحاك، وذكره الثعلبي ١٩٩ أ، والبغوي ٣/ ٢٨٩، عن هؤلاء.

(٤) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٨١، وانظر: تفسير غريب القرآن ١٨١، ونزهة القلوب ١٢٣، وتفسير المشكل ٨٧.

(٥) أخرجه الطبري ٩/ ٨٥، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٨٣، من طرق جيدة عدة.

(٦) أخرجه الطبري ٩/ ٨٥ بسند جيد عن ابن جريج عن مجاهد، وذكر النحاس في معانيه ٣/ ٩٠، وقال: «الأقوال فيه متقاربة؛ أي ما يثقل عليهم» اهـ.

(٧) انظر: تفسير الطبري ٩/ ٨٥، وقد أخرجه من طرق عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد.

قال ابن قتيبة : «﴿ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ ﴾ ، تحريم الله عليهم كثيراً مما أطلقه الله لأمة محمد ﷺ ، وجعله أغلالاً ؛ لأن التحريم يمنع ، كما يقبض الغُل اليد فاستعيرت»[(١)] .

وقال الزَّجَّاج : «الأغلال تمثيل ، ألا ترى أنك تقول : قد جعلت هذا طوقاً في عنقك ، وليس هناك طوق ، وإنما تأويله : أني قد ولّيتك هذا وألزمتك القيام [به][(٢)] ، فجعلت لزومه[(٣)] كالطوق في عنقك . قال : ﴿ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ ؛ أنه من قَتَل قُتِل ، لا تقبل في ذلك ديّةٌ ، وكان عليهم إذا أصاب جلودهم شيء من البول أن يقرضوه ، وكان عليهم أن لا يعملوا في السبت»[(٤)] .

وقال عطاء عن ابن عباس : «يريد : كانت بنو إسرائيل إذا قامت تصلي لبسوا المسوح[(٥)] ، وغلّوا أيديهم إلى أعناقهم تواضعاً لله»[(٦)] ، فعلى هذا القول الأغلال غير مستعارة .

وقوله تعالى : ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ ﴾ ، قال ابن عباس : «يعني : من اليهود»[(٧)] ، ﴿ وَعَزَّرُوهُ ﴾ ، «يريد : وقروه»[(٨)] ، وقد ذكرنا الكلام في معنى التعزير مستقصى عند قوله : ﴿ وَعَزَّرْتُمُوهُمْ ﴾ [المائدة : ١٢] .

---

(١) تأويل مشكل القرآن ١٤٨ ، وانظر : تفسير غريب القرآن ١٨١ ، وقال القرطبي ٧/ ٣٠٠ : «الأغلال عبارة مستعارة لتلك الأثقال ، هذا قول جمهور المفسرين» اهـ .

(٢) لفظ : (به) ساقط من (ب) .

(٣) في (أ) : (لزومه له) ، وفي معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٨١ : (لزومه لك) .

(٤) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٨١ ، ونحوه قال النحاس في معانيه ٣/ ٩١ .

(٥) المُسُوح جمع مِسْح : وهو الكساء من الشعر ، انظر : اللسان (مسح) ٧/ ٤١٩٨ .

(٦) ذكره والرازي ١٥/ ٢٥ ، بلا نسبة .

(٧) تنوير المقباس ٢/ ١٣٢ .

(٨) أخرجه الطبري ٩/ ٨٥ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٨٥ بسند جيد عن ابن عباس قال : «حموه ووقّروه» ، وانظر : الأضداد لابن الأنباري ١٤٧ ، واللسان (عزر) ٥/ ٢٩٢٥ .

و﴿وَنَصَرُوهُ﴾ ؛ أي على عدوه ، ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ ، قال المفسرون[1] : «يعني : القرآن» .

وقال عطاء : «يريد : الهدى والبيان والرشاد»[2] .

وقال الزَّجَّاج : «أي اتبعوا الحق الذي بيانه في القلوب كبيان النور»[3] .

١٥٩. قوله تعالى : ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ﴾ ، قال ابن عباس : « يريد : يدعون إلى الحق»[4] .

قال الزَّجَّاج : «أي يدعون الناس إلى الهداية بالحق»[5] .

﴿وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ ، قال ابن عباس : «يريد : يعملون»[6] .

وقال الزَّجَّاج : «وبالحق يحكمون»[7] ، والعَدْل : الحكم بالحق ، يقال : هو يقضي بالحق ، ويعدل ، وهو حكم عادل[8] ، ومنه قوله : ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء : ١٢٩] وقوله : ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ﴾ [الأنعام : ١٥٢] .

---

(١) انظر : تفسير الطبري ٩/ ٨٦ ، والسمرقندي ١/ ٥٧٤ ، والماوردي ٢/ ٢٦٩ .

(٢) ذكره والرازي ١٥/ ٢٥ ، بلا نسبة .

(٣) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٨٢ ، ونحوه قال النحاس في معانيه ٣/ ٩١ .

(٤) تنوير المقباس ٢/ ١٣٣ ، وهو قول الأكثر ، انظر : تفسير السمرقندي ١/ ٥٧٥ ، الثعلبي ١٩٩أ ، والبغوي ٣/ ٢٩٠ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٧٤ ، والرازي ١٥/ ٣٢ .

(٥) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٨٢ .

(٦) تنوير المقباس ٢/ ١٣٣ .

(٧) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٨٢ .

(٨) هذا قول الليث في تهذيب اللغة ٣/ ٢٣٥٨ ، وانظر : العين ٢/ ٣٨ ، والجمهرة ٢/ ٦٦٣ ، والصحاح ٥/ ١٧٦٠ ، ومقاييس اللغة ٤/ ٢٤٦ ، والمجمل ٣/ ٦٥١ ، والمفردات ٥٥١ ، واللسان (عدل) ٥/ ٢٨٣٨ .

واختلفوا في هذه الأمة العادلة من قوم موسى، فأكثر المفسرين قالوا: «إنهم قوم وراء الصين آمنوا بالنبي ﷺ وتركوا تحريم السبت، يجمعون، ولا يتظالمون، ولا يتحاسدون، لا يصل إلينا منهم أحد، ولا منَّا إليهم، ليس لأحد منهم مال من دون صاحبه يستقبلون قبلتنا»، وهذا معنى قول عطاء والكلبي والربيع والضحاك وابن جريج والسدي[١].

وقال أهل النظر[٢]: «هم قوم كانوا مستمسكين بالحق في وقت ضلالتهم بقتل أنبيائهم»، وقيل[٣]: «إنهم من آمن بالنبي ﷺ كابن سلام[٤]، وغيره من مؤمني أهل الكتاب».

١٦٠. قوله تعالى[٥]: ﴿وَقَطَّعْنَـٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾، قد مضى الكلام في معنى (الأسباط) في سورة البقرة.

---

(١) أخرجه الطبري ٩/ ٨٨، بسند جيد عن ابن جريج والسدي، وذكره الثعلبي ١٩٩أ، عن عطاء، والكلبي، والربيع، والضحاك، وابن جريج، والسدي، وذكره البغوي ٣/ ٢٩٠، الخازن ٢/ ٣٠٠، عن الكلبي، والضحاك والربيع، وذكره الماوردي ٢/ ٢٧٠، وابن الجوزي ٣/ ٢٧٤، عن ابن عباس والسدي، وهذا قول غريب ضعفه: ابن عطية ٦/ ١٠٩، والرازي ١٥/ ٣١، والخازن ٢/ ٣٠٠، والألوسي ٩/ ٨٥، وقال محمد أبو شهبة في الإسرائيليات والموضوعات ٢٠٦: «هذا من خرافات بني إسرائيل، وأسانيدها ضعيفة واهية، وليس هناك ما يشهد لها من عقل ولا نقل صحيح، وهي مخالفة للمعقول، والمشاهد الملموس» اهـ. بتصرف.

(٢) انظر: إعراب النحاس ٦٤٤، وتفسير الماوردي ٢/ ٢٧٠، وابن الجوزي ٣/ ٢٧٥.

(٣) هذا قول الكلبي كما ذكره الماوردي ٢/ ٢٧٠، وابن الجوزي ٣/ ٢٧٤، وانظر: تفسير البغوي ٣/ ٢٩١، والظاهر أن الآية عامة، تشمل الذين تمسكوا بالحق، وبه يعدلون في زمن موسى عليه السلام، والذين آمنوا بمحمد ﷺ، وهو اختيار محمد أبو شهبة في الإسرائيليات والموضوعات ٢٠٨.

(٤) هو عبدالله بن سلام بن الحارث الخزرجي، أبو يوسف الإسرائيلي، تقدمت ترجمته.

(٥) في (ب): (وقوله تعالى) بالواو.

قال الفــرَّاء : «إنما قال : ﴿ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ ﴾ والســبط ذكــر ؛ لأن [ما][(١)] بعده ﴿ أُمَمًا ﴾ فذهب التأنيــث إلى الأمم ، ولو كان (اثني عشر) لتذكير الســبط كان جائزاً»[(٢)] .

واحتجَّ النحويون على هذا بقول الشاعر :

وإنَّ قريشــاً كلَّهَــا عــشرُ أبطنٍ وأنتَ بريءٌ مــْن قبائلِهَا العشرِ[(٣)]

ذهب بالبطن إلى القبيلة والفصيلة ؛ لذلك[(٤)] أنَّث ، والبطن مذكر .

وقــال الزَّجَّــاج : «المعنــى : ﴿ وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ ﴾ فرقــة ، ﴿ أَسۡبَاطًا ﴾ [مــن نعت فرقــة ، كأنه قــال : جعلناهم أســباطاً وفرقناهم أســباطاً ، فتكون ﴿ أَسۡبَاطًا ﴾][(٥)] بدلاً من ﴿ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ ﴾»[(٦)] ، فحصل من هذا أن التأنيث في العدد

---

(١) لفظ : (ما) ساقط من (ب) .

(٢) معاني الفرَّاء ١/ ٣٩٧ .

(٣) الشاهد للنواح الكلابي ، وهو في الكتاب ٣/ ٥٦٥ لرجل من بني كلاب ، وبلا نسبة في : معاني الفرَّاء ١/ ١٢٦ ، والكامل للمبرِّد ٢/ ٢٥٠ ، والمقتضب ٢/ ١٤٦ ، وتفسير الطبري ٩/ ٨٨ ، والأصول ٣/ ٤٧٧ ، والأمالي للزَّجَّاجي ٧٥ ، والصاحبي ٤٢٥ ، والخصائص ٢/ ٤١٧ ، والمخصص ١٧/ ١١٧ ، والإنصاف ٦١٨ ، واللسان ، (كلب) ٧/ ٣٩١٠ ، والدر المصون ٥/ ٢٣٦ ، والشاهد : (عشر أبطن) ، حيث بدل فقد أنث أبطن وحذف الهاء من (عشر) حملاً للبطن على معنى القبيلة بقرينة ذكر القبائل بعدها . انظر : الخزانة ٧/ ٣٩٥ ، وفي المراجع السابقة :

وإنَّ كلاباً هذه عشرُ أبطنٍ

ولم أقف على رواية الواحدي إلا عند الثعلبي ٦/ ١١ب ، والقرطبي ٧/ ٣٠٣ ، والدر المصون ٥/ ٤٨٦ .

(٤) في (ب) : (كذلك) ، وهو تحريف .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٦) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٨٢ ، ٣٨٣ وزاد : وهو الوجه . وانظر : معاني الأخفش ٢/ ٣١٣ ، وإعراب النحاس ١/ ٦٦٤ ، والمشكل ١/ ٣٠٣ .

[إنـما وقع لتقدير الفرقة في الكلام ، ولهذا جمع الأسـباط ، وإن كان العدد][١] لا يفسر بالجمع ؛ لأن الأسباط في الحقيقة نعتُ المفسر المحذوف وهو الفرقة ، ويجوز أن يكون الأسباط كما ذكر بدلاً من العدد ، فيكون المعنى : قطعناهم أسباطاً .

وقد ذكرنا في أول الكتاب[٢] أن البدل يقدر فيه تكرير العامل ، ونصَّ أبو علي على هذا القول فقال : «ليس الأسباط بتفسير ، ولكنه بدل من ﴿ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ ﴾»[٣] .

وقوله تعالى : ﴿فَٱنۢبَجَسَتْ﴾ بَجْسُ الماء وانبجاسـه : انفجاره ، يقال : بَجَسَ الماء يبجس [بجساً][٤] وانبجس وتبجس : إذا تفجر .

هذا قول أهـل اللغة[٥] والمفسريـن[٦] في معنى الانبجـاس والانفجار[٧] وأنهما سـواء ، وفرّق قوم بينهما[٨] ، فقالوا : «الانبجاس : خروج الجاري بقلة ، والانفجار : خروجه بكثرة» ، وهذا يروى عـن أبي عمرو بن العلاء[٩] ، ويؤكد

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٢) لم أقف عليه بعد طول بحث عنه في مظانه .

(٣) كتاب التكملة ٢٦١ ، وقال السمين في الدر ٥/ ٤٨٤ : «تمييز ﴿ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾ محذوف لفهم المعنى ، تقديره : ﴿ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾ فرقة و﴿أَسْبَاطًا﴾ بدل من ذلك التمييز ، لأن أسباط مذكر وجمع» اهـ .

(٤) لفظ : (بجساً) ساقط من (أ) .

(٥) انظر : العين ٦/ ٥٨ ، والجمهرة ١/ ٢٦٧ ، وتهذيب اللغة ١/ ٢٧٧ ، والصحاح ٣/ ٩٠٧ ، والمجمل ١/ ١١٦ ، ومقاييس اللغة ١/ ١٩٩ ، واللسان (بجس) ١/ ٢١٢ .

(٦) انظر : مجاز القرآن ١/ ٢٣٠ ، وغريب القرآن لليزيدي ١٥١ ، وتفسير غريب القرآن ١٨٢ ، وتفسير الطبري ٩/ ٨٩ ، ونزهة القلوب ١٢٦ ، ومعاني النحاس ٣/ ٩٢ ، وتفسير المشكل ٨٧ .

(٧) انظر : العين ٦/ ١١١ ، والجمهرة ١/ ٤٦٣ ، وتهذيب اللغة ٣/ ٢٧٤٣ ، والصحاح ٢/ ٧٧٨ ، والمجمل ٣/ ٧١٢ ، ومقاييس اللغة ٤/ ٤٧٥ ، والمفردات ٦٢٥ ، واللسان (فجر) ٦/ ٣٣٥١ .

(٨) قال الراغب في المفردات ١٠٨ : «الانبجاس أكثر ما يقال في ما يخرج من شيء ضيق ، والانفجار يستعمل فيه ، وفي ما يخرج من شيء واسع» اهـ .
وانظر : عمدة الحفاظ ٣٩ ، والدر المصون ٥/ ٤٨٧ ، ٤٨٨ .

(٩) ذكره الثعلبي ٦/ ١٢أ ، والبغوي ٣/ ٢٩٢ ، والرازي ١٥/ ٣٣ ، والسمين في الدر ٥/ ٤٨٨ .

هـــذا الفرق ما قال عطاء : «كان يظهر على كل موضع من الحجر يضربه موســى -عليه الســـلام- مثل ثدي المرأة فيعرق أولاً ثم يسيل»[١] ، وباقي الآية مفسر[٢] في سورة البقرة .

١٦٣. قوله تعـــالى : ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ﴾ ، قال أهل المعاني : «ســـلهم ســـؤال توبيخ على مـــا كان منهم في أمر القرية مـــن فاحش الخطيئة[٣] وشنيع الســـيئة ، والســـؤال قد يكون للتقرير والتوبيخ ، كما تقول لمن تلومه على جفائه : هل شـــتمتك ؟ هل ضربتـــك ؟ وأنت تعلم أنك لم تفعل ، وإنما تسأله لتُقرِّره وتوبّخه .

ومعنى سؤال النبي ﷺ أهل الكتاب عن هذه القرية ، وقد أخبره الله بقصتها ، تقريرهم بقديم كفرهم ، وســـلوكهم مســـلك أســـلافهم في المخالفة وارتكاب المعصية ، وأن يعلمهم ما لا يعلم إلا بكتاب أو وحي» ، وهذا معنى قول المبرِّد[٤]

(١) ذكره الثعلبي ٦/ ١٢ أ .

(٢) انظر : البسيط ، [البقرة :٦٠] .

(٣) في (ب) : (الخطايا) .

(٤) انظر : ما اتفق لفظه واختلف معناه للمبرِّد ٤٢ .

والزَّجَّاج[(١)] وغيرهما[(٢)] ، وتلك القرية هي أيلة[(٣)] في رواية عكرمة والوالبي عن ابن عباس[(٤)] ، وقال في رواية[(٥)] عطاء : «هي الطَّبرية»[(٦)] ، وهو قول الزهري[(٧)] .

وقوله تعالى : ﴿ٱلَّتِي كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِ﴾ ، الحضور : نقيض الغيبة ؛ أي التي هي مجاورة البحر ، وبقربه وعلى شاطئه[(٨)] ، كقوله : ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ﴾ [البقرة : ١٩٦] ، والحضرة[(٩)] : قرب الشيء ، تقول : كنت بحضرة الدار .

---

(١) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٨٤ .

(٢) انظر : مجاز القرآن ١/ ١٨٣ ، ١٨٤ ، وتأويل مشكل القرآن ١٧٩ ، ومعاني النحاس ٣/ ٩٢ .

(٣) أيلة بالفتح : مدينة على ساحل بحر القلزم (البحر الأحمر) مما يلي الشام ، وقيل : هي مدينة عامرة في بلاد الشام بين الفسطاط ومكة على شاطئ بحر القلزم ، انظر : معجم البلدان ١/ ٢٩٢ .

(٤) أخرجه الطبري ٩/ ٩٠ ، ٩١ من طرق جيدة عدة عن عكرمة وعلي بن أبي طلحة الوالبي ، عن ابن عباس ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٩٧ ، والحاكم في المستدرك ٢/ ٣٢٢ ، عن عكرمة عن ابن عباس ، وقال الحاكم : «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» اهـ . ووافقه الذهبي في التلخيص .

(٥) لم أقف عليه عن ابن عباس .

(٦) طبرية مدينة في الشام من أعمال الأردن ، مطلة على بحيرة طبرية المشهورة ، انظر : معجم البلدان ٤/ ١٧ .

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٩٧ ، والنحاس في معانيه ٣/ ٩٣ ، بسند جيد ، وذكره الثعلبي ٦/ ١٢ب ، والماوردي ٢/ ٢٧١ ، والمشهور أنها أيلة ، وهو قول الأكثر ، فقد أخرجه الطبري ٩/ ٩٠ ، ٩١ ، من طرق عن ابن عباس ومجاهد وعبدالله بن كثير والسدي وقتادة ، وقال ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٩٧ : «وروى عن سعيد بن جبير والضحاك» اهـ . وزاد الماوردي ٢/ ٢٧١ نسبته إلى عكرمة ، وزاد ابن الجوزي ٣/ ٢٧٦ نسبته إلى ابن مسعود والحسن ، وحكاه الأزهري في تهذيبه ١/ ٢٣٣ ، عن الليث ، وحكاه هود الهواري ٢/ ٥٣ عن الكلبي ، وقال والرازي ١٥/ ٣٦ : «الأكثرون على أن تلك القرية أيلة» اهـ . وهو اختيار ابن كثير ٢/ ٢٨٦ ، ورجح الطبري ٩/ ٩١ : أنها مدينة حاضرة البحر من دون تحديد ، لعدم الدليل القاطع ، وهذا هو الظاهر لوجود الخلاف في تحديدها ، ولأنه لا يترتب على تحديدها كبير فائدة .

(٨) انظر : تفسير الطبري ٩/ ٩١ .

(٩) هذا قول الليث في تهذيب اللغة ١/ ٨٤٧ ، وانظر : العين ٣/ ١٠١ ، والجمهرة ١/ ٥١٥ ، والصحاح ٢/ ٦٣٢ ، ومقاييس اللغة ٢/ ٧٥ ، والمجمل ١٢٤٠ ، والمفردات ٢٤١ ، واللسان (حضر) ٢/ ٩٠٦ .

وقوله تعالى: ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾. قال ابن عباس: «يريد: يصيدون الحيتان ويفعلون ما نهوا عنه»[(١)]. والمعنى: إذ يظلمون في السبت، ومضى الكلام في هـذا عند قوله: ﴿الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ﴾[(٢)] [البقرة: ٦٥]، وقوله: ﴿لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ﴾[(٣)] [النساء: ١٥٤]. وموضع ﴿إِذْ﴾ نَصْب؛ لأن المعنى: سلهم إذ عدوا[(٤)]، وحقيقة السؤال وقع عن الاعتداء لا عن القرية، لأن التوبيخ[(٥)] يقع به، وإنما ذكرت القرية لأنهم بها اعتدوا.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ﴾، موضع ﴿إِذْ﴾ نصب أيضاً بـ (يعدون)، المعنى: سلهم إذ عدوا في وقت الإتيان[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾؛ أي ظاهرة على الماء، قاله الزَّجَّاج[(٧)]، وشُرَّع جمع شارع وشارعة.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٥٧، وأخرج الطبري ٩/ ٩٢، ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٩٨ والحاكم في المستدرك، وصحَّحه ٢/ ٣٢٢، ٣٢٣ من طرق جيدة عدة نحوه.
وهو قول أهل اللغة والتفسير، انظر: مجاز القرآن ١/ ٢٣٠، وغريب القرآن لليزيدي ١٥١، وتفسير غريب القرآن ١٨٢، وتفسير الطبري ٩/ ٩٢، ومعاني الزَّجَّاج ٢/ ١٨٤، النحاس ٣/ ٩٣، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٧٧، وتفسير المشكل ٨٧.

(٢) لفظ: (منكم) ساقط من (أ).

(٣) انظر: البسيط، نسخة جستربتي ٢/ ٣٣ب.

(٤) انظر: معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٨٤، وإعراب النحاس ١/ ٦٤٥، والمشكل ١/ ٣٠٤.

(٥) انظر: إعراب النحاس ١/ ٦٤٥.

(٦) هذا قول الزَّجَّاج في معانيه ٢/ ٣٨٤، وانظر: البيان ١/ ٣٧٦، والتبيان ١/ ٣٩٣، والفريد ٢/ ٣٧٥، والدر المصون ٥/ ٤٩٢.

(٧) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٨٤، وهو قول أهل اللغة والتفسير. انظر: مجاز القرآن ١/ ٢٣٠، وتفسير غريب القرآن ١٨٢، وتفسير الطبري ٩/ ٩٢، ونزهة القلوب ٢٩٠، ومعاني النحاس ٣/ ٩٣، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٧٧، وتفسير المشكل ٨٧.

قال شـــمر : «وكل شيء دان من شيء فهو شـــارع ، ودار شـــارعة دنت من الطريق ، ونجوم شـــوارع دنت من المغيب»[١] ، وعلى هذا الحيتان كانت تدنو من القرية بحيث يُمكنهم صيدها .

قال ابن عباس[٢] ومجاهد[٣] والمفـــسرون[٤] : «إن اليهود أُمروا باليوم الذي أمرتم به ، يوم الجمعة ، فتركوه واختاروا الســبت ، فابتلوا به ، وحُرِّم عليهم فيه الصيد ، وأمـــروا بتعظيمه إن أطاعوا لم يؤجـــروا[٥] وإن عصَوا عُذِّبوا ، فإذا كان يوم السبت شرعت لهم الحيتان ينظرون إليها في البحر ، فإذا انقضى السبت ذهبت فلم تُرَ إلى السبت المقبل ، بلاء ابتلوا به ، فذلك معنى قوله : ﴿ وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ﴾» . يقال : سبتت اليهود ؛ أي قامت بأمر سبتها .

قـــال الفرَّاء : «ومعنى ﴿ يَسْبِتُونَ ﴾ يفعلون ســبتهم ، ﴿ وَيَوْمَ ﴾ منصوب بقوله : ﴿ لَا تَأْتِيهِمْ ﴾»[٦] .

---

(١) تهذيب اللغة ٢/ ١٨٥٩ ، وانظر : العين ١/ ٢٥٢ ، والجمهرة ٢/ ٧٢٧ ، والصحاح ٣/ ١٢٣٦ ، والمجمل ٢/ ٥٢٦ ، ومقاييس اللغة ٣/ ٢٦٢ ، والمفردات ٤٥٠ ، واللسان (شرع) ٤/ ٢٢٣٩ .

(٢) أخرجه الطبري ٩/ ٩١ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٩٨ ، والحاكم في المستدرك ٢/ ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، وصححه من طرق جيدة عدة عن ابن عباس نحوه .

(٣) تفسير مجاهد ١/ ٢٤٨ ، وذكره والرازي ١٥/ ٣٧ ، عن ابن عباس ومجاهد .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٩/ ٩١ ، وأخرجه ١٣/ ١٩٠ـ١٩٨ ، من طرق عن عبدالله بن مسعود والحسن وقتادة ، وابن زيد ، وأبي صالح ماهان الحنفي ، وانظر : معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٨٤ ، والنحاس ٣/ ٩٣ ، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٧٧ ، والثعلبي ٦/ ١٣أ ، والماوردي ٢/ ٢٧٢ ، وذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٥٧ ، والخازن ٢/ ٣٠٢ ، عن المفسرين .

(٥) كذا في النسخ : (لم يؤجروا) ، وكذلك عند الثعلبي ٦/ ١٣ أ ، والأقرب أنه : (إن أطاعوا أجروا) .

(٦) معاني الفرَّاء ١/ ٣٩٨ ، وانظر : تفسير الطبري ٩/ ٩٢ ، وإعراب النحاس ١/ ٦٤٥ ، والمشكل ١/ ٣٠٤ ، والتبيان ١/ ٣٩٤ ، والفريد ٢/ ٣٧٥ ، والدر المصون ٥/ ٤٩٣ .

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم﴾، في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ وجهان ذكرهما الزَّجَّاج وابن الأنباري؛ أحدهما: قال الزَّجَّاج: «أي مثل هذا الاختبار الشديد نختبرهم، وموضع[1] الكاف نصب بنبلوهم»[2].

وقال أبو بكر: (ذلك) إشارة إلى ما بعده يراد به: ﴿نَبۡلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفۡسُقُونَ﴾، كذلك البلاء الذي وقع بهم في أمر الحيتان وينقطع الكلام عند قوله: ﴿لَا تَأۡتِيهِمۡ﴾[3].

الوجه الثاني: قال الزَّجَّاج: «ويحتمل على بُعدٍ أن يكون ﴿وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ لَا تَأۡتِيهِمۡۚ كَذَٰلِكَ﴾؛ أي لا تأتيهم شرعاً، ويكون ﴿نَبۡلُوهُم﴾ مستأنفاً»[4].

وقال أبو بكر: «وعلى هذا الوجه ﴿كَذَٰلِكَ﴾ راجعة على الشروع في قوله: ﴿يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعًا﴾. والتقدير: ﴿وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ لَا تَأۡتِيهِمۡ﴾[5] الإتيان بالشروع، وموضع الكاف على هذا الوجه نصب بالإتيان على الحال؛ أي لا تأتي مثل ذلك الإتيان»[6].

وقوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفۡسُقُونَ﴾. قال ابن عباس: «يريد: بعصيانهم رب العالمين خُذلوا»[7].

---

(١) في (أ): (فموضع).

(٢) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٨٥، وانظر: إعراب النحاس ١/ ٦٤٥.

(٣) انظر: الإيضاح لابن الأنباري ٢/ ٦٦٧، والقطع للنحاس ١/ ٢٦٤، والمكتفى للداني ٢٧٧.

(٤) في (ب): (وهم لا يسبتون)، وهو تحريف.

(٥) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٨٥، وزاد: (وذلك القول الأول قول الناس وهو الجيد) اهـ.

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٥٧، والسمين في الدر ٥/ ٤٩٣، ٤٩٤، وقال الهمداني في الفريد ٢/ ٣٧٥: «الكاف في موضع نصب على أنه نعت لمصدر محذوف، وفيه تقديران: أحدهما: نبلوهم بلاء مثل ذلك البلاء الشديد، ويوقف على ﴿تَأۡتِيهِمۡ﴾، وهو الوجه وعليه الجمهور، والثاني: لا تأتيهم إتياناً مثل ذلك الإتيان الذي يأتي يوم السبت، ويوقف على ﴿كَذَٰلِكَ﴾» اهـ.

(٧) تنوير المقباس ٢/ ١٣٦.

وقال الزَّجّاج: «أي شددت عليهم المحنة بفسقهم»[١].

١٦٤. وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾ الآية. قال أهل التفسير[٢]: «افترق أهل القرية ثلاث فرق: فرقة صادت وأكلتْ، وفرقة نهت وزجرت، وفرقة أمسكت عن الصيد، وقالت للفرقة الناهية: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾».

قال الزَّجّاج: «لاموهم على موعظة قوم يعلمون أنهم غير مقلعين، فقالت الفرقة الناهية للذين لاموهم: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾؛ أي موعظتنا إياهم ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾، والمعنى: أن الأمر بالمعروف واجب علينا، فعلينا موعظة هؤلاء عذراً إلى الله تعالى»[٣]، والمعذرة مصدر كالعذر.

و[٤]قال أبو زيد: «عذرته أعذِره عُذراً ومعذِرةً وعُذرَى»[٥]، ومعنى عذره في اللغة[٦]: قام بعذرِه، وقبل[٧] عذره، يقال: من يعذرني؛ أي من يقوم بعذري، وعذرت فلاناً في ما صنع؛ أي قمت بعذره، فعلى هذا معنى قوله: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾؛ أي قيام منا بعذر أنفسنا إلى الله، فإنَّا إذا طولبنا بإقامة النهي عن المنكر،

(١) معاني الزَّجّاج ٢/ ٣٨٥.

(٢) أخرجه الطبري ٩/ ٩٣-٩٨ من طرق جيدة عدة عن ابن عباس وقتادة، وأخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢٣٩، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٠٠، والحاكم وصححه ٢/ ٣٢٢، من طرق جيدة عدة عن ابن عباس، وانظر: تفسير السمرقندي ١/ ٥٧٧، والثعلبي ٦/ ١٤أ، والماوردي ٢/ ٢٧٢، ٢٧٣.

(٣) انظر: معاني الزَّجّاج ٢/ ٣٨٥، وتفسير الطبري ٩/ ٩٢، ومعاني النحاس ٣/ ٩٤، وتهذيب اللغة، (عذر) ٣/ ٢٣٦٥.

(٤) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).

(٥) الحجة لأبي علي ٤/ ٩٧، وتفسير والرازي ١٥/ ٣٨.

(٦) انظر: العين ٢/ ٩٣، والجمهرة ٢/ ٦٩٢، و الصحاح ٢/ ٧٣٧، والمجمل ٣/ ٦٥٤، ومقاييس اللغة ٤/ ٢٥٣، والمفردات ٥٥٥، واللسان (عذر) ٥/ ٢٨٥٤.

(٧) في (ب): (وقيل).

قلنا : قد فعلنا ، فنكون بذلك معذورين . وقال الأزهري : «المعذرة اسم على مفعلة من عذر يعذر ، وأقيم مقام الاعتذار ، كأنهم قالوا : موعظتنا اعتذار إلى ربنا ، فأقيم الاسم مقام الاعتذار ، يقال : اعتذر فلان اعتذاراً وعذرة[١] ومعذرة من ذنبه فعذرته»[٢] .

وذكرنا معنى الاعتذار ، وأصله[٣] في اللغة في سورة براءة عند قوله[٤] : ﴿لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم﴾ [التوبة : ٦٦] .

وقال ابن الأعرابي : «يقال : لي في هذا الأمر عُذر وعذرى ومعذرة ؛ أي خروج من الذنب»[٥] .

قال أبو علي : «لم يريدوا أن يعتذروا عذراً مستأنفاً من أمر ليموا عليه ، ولكنهم قيل لهم : ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا﴾ ؟ فقالوا : ﴿مَعۡذِرَةً﴾ ؛ أي موعظتنا معذرة[٦] ، ومن نصب ﴿مَعۡذِرَةً﴾[٧] فقال سيبويه[٨] : «لو قال رجل لرجل : معذرةً إلى الله ، وإليك من كذا وكذا لنصب»[٩]»[١٠] .

---

(١) لفظ : (وعذرة) ساقط من (ب) .

(٢) تهذيب اللغة (عذر) ٣/ ٢٣٦٥ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) في النسخ عند قوله : «قل : ﴿لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم﴾» وهو تحريف ، وفي سورة التوبة قال الله تعالى : ﴿قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ﴾ [التوبة : ٩٤] .

(٥) تهذيب اللغة (عذر) ٣/ ٢٣٦٥ .

(٦) هذا قول سيبويه في الكتاب ١/ ٣٢٠ ، وحكاه الفارسي في الحجة عنه أيضاً ٤/ ٩٨ ، وهذا التوجيه على قراءة الرفع عندهما .

(٧) قرأ حفص عن عاصم ﴿مَعۡذِرَةً﴾ بالنصب ، وقرأ الباقون بالرفع ، انظر : السبعة ٢٩٦ ، والمبسوط ١٨٦ ، والتذكرة ٢/ ٤٢٧ ، والتيسير ١١٤ ، والنشر ٢/ ٢٧٢ .

(٨) الكتاب ١/ ٣٢٠ ، وانظر : الإيضاح لابن الأنباري ٢/ ٦٦٨ .

(٩) في (ب) : (وكذا النصب) ، وهو تحريف .

(١٠) الحجة لأبي علي ٤/ ٩٨ ، وعليه قراءة الرفع خبر لمبتدأ مضمر ؛ أي موعظتنا معذرة ، وعلى قراءة =

قال الزَّجَّاج[١] : «المعنى : نعتذر معذرةً» .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ ؛ أي جائز عندنا أن ينتفعوا بالمعذرة ، فيتقوا الله ويتركوا العَدْو[٢] .

وقال بعضهم[٣] : «وكانوا فرقتين : فرقة نهت عن السوء ، وفرقة عملت بالسوء» ، وهذا قول الكلبي[٤] ، وحكاه الزَّجَّاج[٥] ، وعلى هذا فالذين قالوا : ﴿لِمَ تَعِظُونَ﴾ الفرقة المعتدية .

قال الكلبي : «المعتدية نحو من سبعين ألفاً أتاهم طوائف نحو من اثني عشر ألفاً ، وهم الذين كرهوا الصيد في السبت ، وقالوا : انتهوا قبل أن ينزل بكم العذاب ، فإنا قد علمنا أن الله منزل بكم بأساً عاجلاً إن لم تنتهوا ، فقالوا لهم : فلم تعظوننا إذاً إن كنتم قد علمتم أن الله منزل بنا عذابه»[٦] .

---

= النصب مفعول لأجله ؛ أي وعظناهم لأجل المعذرة ، أو على المصدر ؛ أي نعتذر معذرة ، وانظر : معاني القراءات ١/ ٤٢٧ ، وإعراب القراءات ١/ ٤١٠ ، والحجة لابن خالويه ١٦٦ ، والحجة لابن زنجلة ٣٠٠ ، والكشف ١/ ٤٨١ ، والدر المصون ٥/ ٤٩٥ .

(١) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٨٦ ، وفيه قال : «ويجوز النصب على معنى يعتذرون معذرة» ، وانظر : معاني الفرَّاء ١/ ٣٩٨ ، وتفسير الطبري ٩/ ٩٣ ، وإعراب النحاس ١/ ٦٤٥ ، وتفسير المشكل ١/ ٣٠٤ ، والبيان ١/ ٣٧٦ ، والتبيان ١/ ٣٩٤ ، والفريد ٢/ ٣٧٦ .

(٢) هذا قول الزَّجَّاج في معانيه ٢/ ٣٨٥ .

(٣) أخرجه الطبري ٩/ ٩٢ بسند جيد عن ابن زيد ، وانظر : تفسير السمرقندي ٢/ ٥٧٨ .

(٤) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢٣٩ ، وحكاه الطبري في تفسيره ٩/ ٩٢ ، وهود الهواري ٢/ ٥٣ ، ٥٤ عن الكلبي .

(٥) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٨٦ .

(٦) انظر : تفسير الثعلبي ٦/ ١٣ ، ١٤ ، والبغوي ٣/ ٢٩٣ ، والقرطبي ٧/ ٣٠٧ .

والقول الأول[١] أصح ؛ لأنهم لو كانــوا فرقتين ، وكان قوله : ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ خطاباً من الناهية المعتدية ، لقالوا : ولعلكم[٢] تتقون .

١٦٥. قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ﴾ ، قال ابن عباس : «أي تركوا ما وعظوا به»[٣] ، ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾ ، يعني : الفرقة الناهية ، واختلفوا في الفرقة الممسـكة غير الناهية الذين قالوا : ﴿لِمَ تَعِظُونَ﴾ ، فقال ابن عباس في رواية عطاء بن السـائب[٤] : «أسـمع الله يقول : ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾ إلى قولـه : ﴿يَفْسُقُونَ﴾ ، فليـت شعري ما فعل بهؤلاء الذين قالوا : ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا﴾»[٥] . فمذهبه في هذه الرواية الوقف في الفرقة الممسكة .

---

(١) هذا قول الثعلبي ٦/ ١٤ أ ، ونقله الرازي في تفسيره ١٥/ ٣٩ ، عن الواحدي ، واختاره ابن عطية ٦/ ١١٧ ، والخازن ٢/ ٣٠٣ ، وقال القرطبي ٧/ ٣٠٧ : «القول الأول قول جمهور المفسرين ، وهو الظاهر من الضمائر في الآية» اهـ .

(٢) في (ب) : (ولعلهم) .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٠١ بسند جيد ، وذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٥٨ ، وانظر : تفسير الطبري ٩/ ٩٩ ، ومعاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٨٦ ، والنحاس ٣/ ٩٤ ، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٧٧ ، والثعلبي ٦/ ١٤ ب ، والماوردي ٢/ ٢٧٢ .

(٤) عطاء بن السائب بن يزيد الثقفي ، أبو يزيد الكوفي ، إمام تابعي عابد من كبار العلماء ، ثقة ، ساء حفظه في آخر عمره ، توفي سنة ١٣٦هـ ، انظر : طبقات ابن سعد ٦/ ٣٣٨ ، والجرح والتعديل ٦/ ٣٣٢ ، وسير أعلام النبلاء ٦/ ١١٠ ، وتهذيب التهذيب ٣/ ١٠٣ ، ومقدمة فتح الباري ٤٢٥ .

(٥) أخرجه عبدالرزاق ١/ ٢/ ٢٣٩_٢٤٢ ، والطبري ٩/ ٩٨ ، والحاكم صححه ٢/ ٣٢٢_٣٢٣ من طرق جيدة عدة .

وروي عنه أيضاً أنه قال : «كانــوا أثلاثاً ؛ ثلثاً نهى ، وثلثاً قالوا : ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا﴾ ، وثلثاً أصحاب الخطيئة ، فما نجا إلا الذين نهوا وهلك سائرهم»[(١)] .

وهــذا قول ابن زيد أيضاً ، قال : «كانوا ثلاث فــرقٍ : فرقة اعتدت ، وفرقة نهت ، وفرقــة لم تنه ، وقالــت : ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا﴾ ، فنجــت الناهية ، وهلكت الفرقتان ، قال : وهذه الآية أشد آية في القرآن في ترك النهي عن المنكر»[(٢)] .

وروى ابــن جريج عن عكرمة قال : «دخلت على ابــن عباس وهو ينظر في المصحف ويبكي قبل أن يذهب بصره ، فقلت : ما يبكيك ؟ فذكر قصة أصحاب أيلة ، ثم قرأ قوله[(٣)] : ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ﴾ ، وقال : أســمع الله ذكر الذين نهوا ولا أسمع الذين سكتوا ، ونحن نرى أشياء ننكرها فلا نقول فيها ولا نغيرها .

---

(١) أخرجه الطبري ٩/ ٩٧ ، وابن أبي حاتم ١٦٠٠ من طرق جيدة ، وذكره ابن كثير في تفسيره ٢/ ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، وقال : «نص الله على نجاة الناهين ، وهلاك الظالمين ، وسكت عن الساكتين ؛ لأن الجزاء من جنس العمل ، فهم لا يستحقون مدحاً فيمدحوا ، ولا ارتكبوا عظيماً فيذموا ، ومع هذا فقد اختلف الأئمة فيهم ، فروي عن ابن عباس بإسناد جيد أنه قال : «ما نجا إلا الذين نهوا ، وهلك سائرهم» ، ولكن رجوعه إلى قول عكرمة في نجاة الساكتين أولى من القول بهذا ؛ لأنه تبين حالهم بعد ذلك . والله أعلم اهـ . بتصرف .
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى ١٧/ ٣٨٢ : «أنجى الله الناهين ، وأما أولئك الكارهون للذنب الذين قالوا : ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا﴾ ، فالأكثرون على أنهم نجوا ؛ لأنهم كانوا كارهين فأنكروا بحسب قدرتهم ، وأما من ترك الإنكار مطلقاً فهو ظالم يعذب» اهـ .

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره ٦/ ١٣ب ، والواحدي في الوسيط ٢/ ٢٦٠ ، والبغوي ٣/ ٢٩٤ ، والخازن ٢/ ٣٠٣ .

(٣) لفظ : (قوله) ساقط من (ب) .

قال[١] عكرمة : فقلت له : جعلني الله فداك ، ألا تراهم قد أنكروا حين قالوا : ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ ، وإن لم يقل الله : أنجيتهم ، لم يقل أيضاً أهلكتهم ، ولم أزل به حتى عرفته أنهم نجوا ، قال : فأعجبه ذلك من قولي ، فرضي ، وأمر لي ببردين فكسانيهما»[٢] .

وهذا أيضاً مذهب الحسن ويمانٍ .

قال الحسن : «نجت فرقتان ، وهلكت فرقة ، وهم الذين أخذوا الحيتان»[٣] .

وقال يمان : «نجت الطائفتان ؛ الذين قالوا : ﴿لِمَ تَعِظُونَ﴾ ، والذين قالوا : ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ ، وأهلك الله أهل معصيته»[٤] .

---

(١) في (أ) : (وقال) .

(٢) أخرجه عبدالرزاق ١/ ٢/ ٢٤٠-٢٤٢ ، والطبري ٩/ ٦٤ ، وابن خالويه في إعراب القراءات ١/ ٢١٢-٢١٤ ، والحاكم ٢/ ٣٢٢ ، ٣٢٣ وصححه من طرق جيدة .
وأخرج الطبري ٩/ ٩٥ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٠٠ بسند جيد عن ابن عباس قال : «نجت فرقتان ، وأهلك الله أهل معصيته الذين أخذوا الحيتان فجعلهم قردة وخنازير» اهـ .

(٣) ذكره هود الهواري في تفسيره ٢/ ٥٥ ، والواحدي في الوسيط ١/ ٢٦٠ ، والبغوي ٣/ ٢٩٤ ، وابن عطية ٦/ ١١٦ ، والرازي ١٥/ ٣٨ ، ٣٩ ، والقرطبي ٧/ ٣٠٧ ، والخازن ٢/ ٣٠٢ .

(٤) ذكره الثعلبي في تفسيره ٦/ ١٤أ ، والبغوي ٣/ ٢٩٤ .

وقوله تعالى : ﴿وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾ ؛ أي شديد من العذاب ، قاله ابن عباس[(١)] والحسن[(٢)] ومجاهد[(٣)] وقتادة[(٤)] وابن زيد[(٥)] .

قال ابن الأعرابي : «البَئِس[(٦)] والبَيِس على فَعِل : العذابُ الشديد»[(٧)] .

ونحو ذلك قال الزَّجّاج[(٨)] .

قال أبو علي : «﴿بَـِٔيسٍۭ﴾ على وزن فعيل يحتمل وجهين ؛ أحدهما : أن يكون فعيلاً من بؤس يبؤس بأساً : إذا اشتد .

---

(١) أخرجه أبو عبيد في كتاب اللغات ١٠٦ ، وابن حسنون ٢٥ بسند جيد ، وأخرج عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢٤٠_٢٤٢ ، والطبري ٩/ ١٠٠ ، ١٠١ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٠٢ بسند ضعيف عن ابن عباس ، قال : «أليم وجيع» اهـ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) تفسير مجاهد ١/ ٢٤٨ ، وأخرجه الطبري ٩/ ١٠١ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٠٢ من طرق جيدة بلفظ : (أليم شديد) اهـ .

(٤) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢٣٩ ، والطبري ٩/ ١٠١ من طرق جيدة بلفظ : (موجع) .

(٥) أخرجه الطبري ٩/ ١٠١ بسند جيد ، وهو قول أهل اللغة والتفسير . انظر : مجاز القرآن ١/ ٢٣١ ، وغريب القرآن لليزيدي ١٥٢ ، وتفسير غريب القرآن ١٨٢ ، ومعاني الزَّجّاج ٢/ ٣٨٦ ، ونزهة القلوب١٤١ ، ومعاني النحاس ٣/ ٩٥ ، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٧٧ ، والثعلبي ٦/ ١٤ب ، والماوردي ٢/ ٢٧٢ ، وقال الطبري ٩/ ١٠١ : «أجمعوا على أن معناه : شديد» اهـ .

(٦) في النسخ : (البيئيس ، والبئيس) ، وهو تصحيف .

(٧) تهذيب اللغة (بئس) ١/ ٤١١ ، وانظر : العين ٧/ ٣١٦ ، والصحاح ٣/ ٩٠٧ ، والمجمل ١/ ١٤١ ، ومقاييس اللغة ١/ ٣٢٨ ، والمفردات ١٥٣ ، واللسان (بأس) ١/ ١٩٩ .

(٨) في معاني الزَّجّاج ٢/ ٣٨٦ ، قال : «بئيس ؛ أي شديد ، يقال : بئس يبؤس بأساً : إذا اشتد» اهـ . وانظر : تهذيب اللغة (بئس) ١/ ٤١١ .

والآخــر : ما قاله أبو زيد ، قال : يقال من البؤس ، وهو الفقر : بَئِسَ الرجل يبأس بؤساً وبأساء وبئيساً[(١)] إذا افتقر فهو بائس ؛ أي فقير[(٢)] . فوصف العذاب ببئيس ، وهو مصدر على فعيل ، كالنذير والنكير والشــحيح ، والتقدير : بعذاب ذي بئيس ؛ أي ذي بؤس .

وقرأ نافع[(٣)] : (بيس) ، جعل (بيس) الذي هو فعل اســماً ، فوصف به[(٤)] ، ومثل ذلك قوله : «إن الله ينهى عن قيلَ وقال»[(٥)] .

---

(١) في (ب) : (وبيسا) ، وهو كذلك في الحجة لأبي علي ٤/ ١٠٠ عن أبي زيد .

(٢) هذا وما قبله من قول أبي زيد في تهذيب اللغة (بئس) ١/ ٤١١ ، وذكره الجوهري في الصحاح ٣/ ٩٠٧ ، وقال : «حكاه أبو زيد في كتاب الهمز» اهـ .

(٣) قرأ نافع : (بِيْس) بكسر الباء وسكون الياء من غير همز ، وقرأ ابن عامر : (بِئْسَ) ، بكسر الباء وبعدها همزة ساكنة ، وقرأ الباقون : ﴿بَئِيسٍ﴾ بفتح الباء وبعدها همزة مكسورة وبعدها ياء ساكنة ، وروى أبو بكر عن عاصم أنه قرأ : (بَيْئَس) على وزن فيعل ، بفتح الباء وبعدها ياء ساكنة وبعدها همزة مفتوحة .

انظر : السبعة ٢٩٦ ، والمبسوط ١٨٦ ، والتذكرة ٢/ ٤٢٧ ، والتيسير ١١٤ ، والنشر ٢/ ٢٧٢ .

(٤) في (ب) : (فوصف به العذاب ببيس) ، ولا يوجد ذلك في الحجة لأبي علي ٤/ ١٠٠ .

(٥) هذا حديث صحيح أخرجه البخاري في صحيحه ، رقم : ١٤٧٧ ، كتاب : الزكاة ، باب : قول الله : ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ﴾ ، ومسلم رقم : ١٧١٥ ، كتاب : الأقضية ، باب : النهي عن كثرة السائل من غير حاجة ، عن المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ أن الرسول ﷺ قال : «إن الله كره لكم ثلاثاً : قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال» اهـ . وفيهما (قيلَ وقالَ) بالفتح .

ويروى : «قيلٍ وقالٍ»[١] ، ونحوه : مُذ شُبَّ[٢] إلى دبَّ ، ومذ شبٍّ إلى دبٍّ[٣] ، فكما استعملت هذه[٤] الألفاظ أسماءً وأفعالاً ، كذلك (بيس) جعله اسماً بعد أن كان فعلاً ، فصار وصفاً مثل نِقضٍ[٥] ونضوٍ[٦] .

---

(١) يريد : الرواية الأولى بالفتح ، والثانية بالكسر منوناً ، وقد أخرج مسلم رقم : ١٧١٥ ، كتاب : الأقضية ، باب : النهي عن كثر المسائل ، عن المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ قال : «إن الله نهى عن ثلاث : قيلَ وقالَ وكثرة السؤال وإضاعة المال» اهـ . وفيه : (قيلٍ وقالٍ) بالكسر منوناً .
قال النووي في شرح مسلم ١٢/ ١٦ : «اختلفوا في حقيقة (قيلَ وقالَ) على قولين ؛ أحدهما : أنهما فعلان ، فقيل : مبني لما لم يسم فاعله ، وقال : فعل ماض ، والثاني : أنهما اسمان مجروران منونان ؛ لأن القيل والقال والقول والقالة كلها بمعنى» اهـ .
وانظر : فتح الباري ١٢/ ٤٠٧ .

(٢) في الحجة ٤/ ١٠١ : (مِنْ شبَّ إلى دبَّ ومن شبٍّ إلى دبٍّ) ، وأشار المحقق إلى ورود (مذ) في بعض النسخ ، وهذا من أمثال العرب تقول :
(أعييتني من شبَّ إلى دبَّ ومن شبٍّ إلى دُبٍّ)
أي من لدن شببت إلى أن دببت على العصا هرماً ، وهو مثل يضرب للبغيض ، ولمن يكون في أمر عظيم غير مرضي ، فيمتد فيه أو يأتي بما هو أعظم منه .
انظر : جمهرة الأمثال ١/ ٥٤ ، ومجمع الأمثال ١/ ١٩٨ ، والمستقصى ١/ ٢٥٧ .

(٣) أي بالفتح والكسر مع التنوين وعدمه ، فمن نوَّنه جعله بمنزلة الاسم بإدخال (من) عليه ، ومن لم ينونه جعله على وجه الحكاية للفعل ، أفاده الميداني في مجمع الأمثال١/ ١٩٨ .

(٤) في (ب) : (هذا) ، وهو تحريف .

(٥) نِقْض ، بكسر النون وسكون القاف ، وهو المهزول من الإبل والخيل ، انظر : اللسان (نقض) ٨/ ٤٥٢٤ .

(٦) نِضْو بكسر النون وسكون الضاد : المهزول من جميع الدواب ، وقد يستعمل في الإنسان ، انظر : اللسان (نضا) ٧/ ٤٤٥٧ .

وقرأ ابن عامر : (بِئْسَ)[١] ، وهو مثل قراءة نافع إلا أنه حقق الهمزة ، وروى أبو بكر[٢] عن عاصم : (بيأس) ، وهو وصف مثل ضيغم[٣] وحيدرٍ[٤] ، وهو بناء كثير في الصفة»[٥] .

١٦٦. قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ﴾ الآية . نظم الآية لا يصح إلا بتقدير محذوف ؛ لأن معنى العتُو[٦] : الإباء والعصيان ، وإذا عتوا عما نهوا عنه فقد أطاعوا ؛ لأنهم أبوا ما نهوا عنه ، وهو صيد الحيتان في السبت ، ولكن التقدير : فلما عتوا عن ترك ما نهوا عنه ، ثم حذف المضاف ، وإذا أبوا ترك المنهي عنه كان ذلك ارتكاباً[٧] .

---

(١) في : (أ) : (بيئس) ، وفي (ب) : (يس) ، وهو تصحيف .

(٢) أبو بكر : هو أبو بكر بن عياش الأسدي ، أحد الرواة عن عاصم ، إمام ، تقدمت ترجمته .

(٣) ضيغم بفتح الضاء وسكون الياء وفتح الغين : الأسد والواسع الشدق والذي يعَض ، واسم الشاعر ضيغم الأسدي . انظر : اللسان (ضغم) ٥/ ٢٥٩٢ .

(٤) حيدر بفتح الحاء وسكون الياء وفتح الدال : اسم ، انظر : اللسان (حدر) ٢/ ٨٠٣ .

(٥) الحجة لأبي علي ٤/ ١٠٠_١٠٢ ، وانظر : معاني القراءات ١/ ٤٢٨ ، وإعراب القراءات ١/ ٢١١ ، والحجة لابن زنجلة ٣٠٠ ، والكشف ١/ ٤٨١ ، وقال ابن خالويه في الحجة ١٦٦ : «هذه القراءات لغات مشهورات مستعملات في القراءة» اهـ .

(٦) عَتَا ؛ أي استكبر وجاوز الحد ، وقال الزَّجَّاج ٢/ ٣٨٦ : «العاتي : الشديد الدخول في الفساد ، المتمرد الذي لا يقبل موعظة» اهـ .
وانظر : العين ٢/ ٢٢٦ ، والجمهرة ٢/ ١٠٣٢ ، وتهذيب اللغة ٣/ ٢٣١٣ ، والصحاح ٦/ ٢٤١٨ ، والمجمل ٣/ ٦٤٦ ، ومقاييس اللغة ٤/ ٢٢٥ ، والمفردات ٥٤٦ ، واللسان (عتا) ٥/ ٢٧٩٤ .

(٧) انظر : تفسير الطبري ٩/ ١٠١ ، وإعراب النحاس ١/ ٦٤٨ ، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٧٨ ، والرازي ١٥/ ٤٠ ، والخازن ٢/ ٣٠٣ ، قال الطبري «أي تمردوا في ما نهوا عنه وتمادوا فيه» اهـ . وقال النحاس «أي تجاوزوا في معصية الله جل وعز» اهـ .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ ، مفسر في سورة البقرة[(١)] .

١٦٧. قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ ﴾ ، اختلفوا في معنى ﴿ تَأَذَّنَ ﴾ ، فقال أهل اللغة[(٢)] : «تأذن بمعنى أذن ؛ أي أعلم» ، ونحو ذلك قال الحسن[(٣)] ، وقال ابن عباس : «وإذ قال ربك»[(٤)] ، وهو معنى وليس بتفسير ، وذلك أن الإعلام يكون بالقول ، ففي أعلم معنى قال .

وقال في رواية عطاء : «حتم ربك»[(٥)] ، وقال الزَّجَّاج : «معناه : تألى ربك»[(٦)] . وأكثر أهل اللغة على «أن التأذن بمعنى : الإيذان ، وهو الإعلام»[(٧)] .

---

(١) انظر : البسيط ، [البقرة :٦٦] .

(٢) الأذان : الإعلام ، وأذن بمعنى عَلِمَ ، وأذن له أذناً : استمع ، وتأذن فلان : أعلم وآذن ، وتأذن الأمير في الكلام ؛ أي تقدم وأعلم ونادى فيهم بالتهديد والنهي ، وقال الخليل في العين ٨/ ٢٠٠ : «الأذان اسم للتأذين ، والتأذن من قولك : تأذنت لأفعلن كذا يراد به : إيجاب الفعل في ذلك ؛ أي سأفعل لا محالة ، وتأذنت : تقدمت ، كالأمير يتأذن قبل العقوبة ، ومنه : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ ﴾» اهـ. وانظر : تهذيب اللغة ١/ ١٣٩ ، ١٤٠ ، والصحاح ٥/ ٢٠٦٨ ، والمجمل ١/ ٩١ ، ومقاييس اللغة ١/ ٧٥ ، والمفردات ٧٠ ، واللسان (أذن) ١/ ٥١ .

(٣) ذكره هود الهواري في تفسيره ٢/ ٥٦ ، والماوردي ٢/ ٢٧٣ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٧٩ .

(٤) تنوير المقباس ٢/ ١٣٧ ، وذكره الثعلبي ٦/ ١٥ب ، والبغوي ٣/ ٢٩٥ .

(٥) ذكره ابن الجوزي ٣/ ٢٧٩ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ٤١٣ عن عطاء فقط ، وجاء عند الثعلبي ٦/ ١٥ب ، والبغوي ٣/ ٢٩٥ عن عطاء قال : «حكم ربك» .

(٦) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٨٧ ، وتألى ؛ أي حلف وأقسم .

(٧) وهو قول أهل التفسير أيضاً ، قال النحاس في معانيه ٣/ ٩٦ : «قال أهل التفسير معناه : أعلم ربك ، وهذا قول حسن ؛ لأنه يقال : تعلم بمعنى أعلم» اهـ .
وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ١/ ٢٣١ : «أي أمر من الإذن وأحل وحرم ونهى» اهـ .
وانظر : غريب القرآن لليزيدي ١٥٢ ، وتفسير غريب القرآن ١/ ١٨٢ ، وتفسير الطبري ٩/ ١٠٢ ، ونزهة القلوب ١٥٨ ، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٧٨ ، وتفسير المشكل ٨٧ .

وقال أبو علي الفارسي : «قال سيبويه : «آذن : أعلم ، وأذَّن : نادى وصاح للإعلام ، منه قوله تعالى : ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الأعراف : ٤٤] . قال : وبعض العرب يجري أذنت مجرى آذنت ، فيجعل أذن وآذن بمعنى»[(١)] . فإذا كان أَذَّن أعلم في لغة بعضهم ، فَتَأَذَّن تفعَّل من هذا ، وليس تفعل هنا بمنزلة تَقَيَّس[(٢)] وتَشَجَّع[(٣)] ، ولكنه بمنزلة (فعَّل) كما أن تَكَبَّر في قوله : ﴿ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر : ٢٣] . ليس على حد (تكبَّر زيد) إذا تعاطى الكبر ، ولكن ﴿ٱلۡمُتَكَبِّرُ﴾ بمنزلة الكبير ، كما أن قوله[(٤)] : ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [يونس : ١٨] تقديره : علا ، وليس على حد (تغافل) (وتناسى) إذا أظهر[(٥)] شيئاً من ذلك ليس فيه ، فبناء الفعلين يتفق والمعنى يختلف ، كذلك ﴿تَأَذَّنَ﴾ بمنزلة عَلِمَ ، ومثل (تَفَعَّلَ) في أنه يراد به (فَعَلَ) ، قول زهير :

تَعَلَّمْ أن شرَّ النَّاسِ قومٌ يُنادَى في شعارِهِم يسار[(٦)]

ليس يريد : تعلَّم هذا عن جهل ، كما يريدون بقولهم : تعلم الفقه ، وإنما يريد به : اعلم ، كذلك ﴿تَأَذَّنَ﴾ معناه عَلِم ، ومما يدل على أن معناه العلم وقوع

---

(١) في الكتاب ٤/ ٦٢ قال سيبويه : «وقد يجيء فعلت وأفعلت في معنى واحد ، نحو : أذنت ، وآذنت : أعلمت وأذنت النداء والتصويت بإعلان ، وبعض العرب يجري أذنت وآذنت مجرى سمَّيت وأسميتُ» اهـ .
وانظر : الحجة لأبي علي ٢/ ٤٠٤ .

(٢) تَقَيَّسَ ، بالفتح . يقال : تقيس الرجل ؛ أي انتسب إلى قبيلة قيس . انظر : اللسان (قيس) ٦/ ٣٧٩٤ .

(٣) انظر : الكتاب ٤/ ٧١ .

(٤) في (أ) : (قوله) : ﴿عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [النحل :٣] ، وفي الحجة ٢/ ٤١١ ، كما أن قوله عز وجل : ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ﴾ [الإسراء :٤٣] .

(٥) في (ب) : (ظهر) .

(٦) ديوانه ٥١ ، ومعاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٨٧ ، الثعلبي ٦/ ١٥ب ، وابن عطية ٦/ ١٢٤ ، ووضح البرهان للغزنوي ١/ ٣٦٨ ، والقرطبي ٧/ ٣٠٩ ، وتعلم ؛ أي اعلم ، والشعار : العلامة . ويسار : اسم راعي إبل له ، انظر : شرح ديوان زهير لثعلب ٢١٩ .

لام اليمين بعده ، كما يقع بعد العلم في نحو : علم الله لأفعلن ، وكأن المعنى في ﴿تَأَذَّنَ﴾ : علم ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ ، فتعلق[1] الجواب به ، كما يتعلق بالقسم من حيث استعمل استعمال القسم»[2] .

وقد ذكرنا استعمال العلم بمعنى القسم في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ﴾ [البقرة : ١٠٢] في سورة البقرة .

وقوله تعالى : ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ ، يعني : على اليهود . وقوله : ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ فيه تقديم وتأخير ؛ أي ليبعثن عليهم من يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة][3] .

قال ابن عباس[4] والحسن[5] وسعيد بن جبير[6] وقتادة[7] : «هم العرب ، محمد وأمته ، بعثهم الله على اليهود يقاتلونهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية» ، ومعنى البعث هاهنا : إرسالهم عليهم وأمرهم بذلك .

---

(١) في (ب) : (يتعلق) .

(٢) الحجة لأبي علي ٢/ ٤٠٤-٤١٢ . وانظر : ابن عطية ٦/ ١٢٤ ، والقرطبي ٧/ ٣٠٩، والدر المصون ٥/ ٥٠٠ ومعنى الآية علم الله ليبعثن ، ويقتضي أن ذلك العلم منه مقترن بإنفاذ وإمضاء ، كما تقول في أمر عزمت عليه غاية العزم : علم الله لأفعلن كذا ، وأجري مجرى فعل القسم كعلم الله ، ولذلك أجيب بما يجاب به القسم ، وهو ﴿لَيَبْعَثَنَّ﴾ ، أفاده ابن عطية والسمين ، وقالا : «قالت فرقة : تأذن : أعلم ، وهو قلق من جهة التصريف ، إذ نسبة تأذن إلى الفاعل غير نسبة أعلم ، وبين ذلك فرق بين التعدي وغيره» اهـ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٤) أخرجه الطبري ٩/ ١٠٢ ، ١٠٣ من طرق جيدة عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة والسدي وابن زيد ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٠٤ من طرق جيدة عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وابن زيد .

(٥) ذكره الماوردي ٢/ ٢٧٣ ، عن ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة .

(٦) أخرجه -أيضاً- النحاس في معانيه ٣/ ٩٧ بسند جيد عن سعيد بن جبير ، وذكره الثعلبي ٦/ ١٥ب .

(٧) أخرجه -أيضاً- عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢٣٩ ، ٢٤٠ بسند جيد عن قتادة .

وقال عطاء: «يريد: بُخْتُ نصَّر[١] وغيره إلى اليوم»[٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾، قال ابن عباس: «يريد: في الدنيا والآخرة»[٣].

ومعنى هذا: أنه سريع العقاب لمن استحق تعجيله؛ لأنه لا يتأخر عن وقت إرادته. عاقب اليهود في الدنيا بسوء العذاب[٤].

١٦٨. قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا﴾، قال ابن عباس: «يريد: فرقناهم في جميع البلاد»[٥].

قال أهل المعاني[٦]: «فرقهم الله تعالى فتشتت أمرهم، ولم تجتمع لهم كلمة»[٧].

---

(١) بخت نصر قائد وملك من ملوك بابل قبل الميلاد، قال في القاموس (نصر): ٦٢١: «بخت نصر بالتشديد أصله بوخت، ومعناه: ابن ونصر كبقم صنم، وكان وجد عند الصنم، ولم يعرف له أب، فنسب إليه خرب بيت المقدس» اهـ. وانظر: أخباره في تاريخ الطبري ١/ ٥٣٨-٥٦٠، والكامل لابن الأثير ١/ ٢٦١-٢٧١.

(٢) ذكره والرازي ١٥/ ٤٢، والقرطبي ٧/ ٣٠٩ بلا نسبة. والقول الأول هو قول أهل التفسير، كما ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٦١ وهو اختيار القرطبي ٧/ ٣٠٩، والظاهر أن الآية عامة، قال ابن عطية ٦/ ١٢٥: «الصحيح أنها عامة في كل من حال اليهود معه هذه الحال» اهـ.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) انظر: تفسير الطبري ٩/ ١٠٣، والسمرقندي ١/ ٥٧٨.

(٥) أخرج الطبري ٩/ ١٠٤، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٠٥ بسند جيد نحوه، وفي الدر المنثور ٣/ ٢٥٥، ومسائل نافع بن الأزرق ١٦٤ عن ابن عباس قال: «﴿أُمَمًا﴾؛ أي فرقاً».

(٦) لفظ: (قال أهل المعاني فرقهم الله تعالى) ساقط من (أ).

(٧) انظر: مجاز القرآن ١/ ٢٣١، وتفسير غريب القرآن ١/ ١٨٢، وتفسير الطبري ٩/ ١٠٤، ومعاني النحاس ٣/ ٩٨، وتفسير الماوردي ٢/ ٢٧٤.

وقولــه تعالى : ﴿ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ . قــال ابن عبــاس[١] ومجاهد[٢] : «يريد : الذين أدركوا النبي ﷺ وآمنوا به» .

وقال الكلبي : «يعني : الذين ذكرهم في قوله : ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف : ١٥٩] ، وهم الذين وراء الصين»[٣] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ ، قال : «يريد : الذين كفروا»[٤] .

وقوله : ﴿ وَبَلَوْنَٰهُم ﴾ ؛ أي عاملناهم معاملة المبتلي المختبر . ﴿ بِٱلْحَسَنَٰتِ ﴾ ، وهي : النعيم والخصب والعافية ، ﴿ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ ، وهي : الجدب والشدائد[٥] .

قال أهل المعاني : «وكل واحد من الحسنات والسيئات يدعو إلى الطاعة ، أما النعم فلارتباطها والازدياد[٦] منها ، وأما النقم فلكشفها ، والسلامة منها»[٧] .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ . قال ابن عباس : «يريد : كي يتوبوا»[٨] .

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٦١ ، والبغوي ٣/ ٢٩٥ ، والرازي ١٥/ ٤٢ ، والخازن ٢/ ٣٠٤ عن ابن عباس ومجاهد .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٠٥ بسند جيد .

(٣) تنوير المقباس ٢/ ١٣٧ ، وذكره الثعلبي ٦/ ١٥ب ، والبغوي ٣/ ٢٩٥ ، ورجح الطبري ٩/ ١٠٤ ، والخازن ٢/ ٣٠٤ : أنهم من آمن بالله ورسوله ، وثبت منهم على دينه قبل مبعث عيسى عليه الصلاة والسلام ، قال الخازن «هذا هو الصحيح ، ويدل عليه قوله بعد : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ ﴾[الأعراف :١٦٩] ، والخلف بعد الذين وصفهم بالصلاح من بني إسرائيل» اهـ .

(٤) انظر : تنوير المقباس ٢/ ١٣٧ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٩/ ١٠٤ ، ومعاني النحاس ٣/ ٩٨ ، والسمرقندي ١/ ٥٧٨ ، والماوردي ٢/ ٢٧٤ .

(٦) في (أ) : (ولازديادها وأما) .

(٧) انظر : تفسير ابن الجوزي ٣/ ٢٨٠ ، والرازي ١٥/ ٤٣ ، والخازن ٢/ ٣٠٤ .

(٨) تنوير المقباس ٢/ ١٣٧ ، وذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٦٢ .

قال أهل المعـــاني : «إنهم مارُّون على وجوههم في جهـــة الباطل ، فدعوا إلى الرجوع عنه إلى جهة الحق ، والانصرافُ عن الباطل رجوعٌ إلى الحق» .

١٦٩. قوله تعـــالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ ﴾ ، قال ابن عباس : «فخلف من بعد هؤلاء الذين قطعناهم خلفٌ من اليهود»[١] .

وقال في رواية عطاء : «يريد : نسلاً منهم»[٢] .

يعني : أولاد هؤلاء الذين فرقهم في البلاد .

وقولـــه تعالى : ﴿خَلۡفٌ﴾ . قـــال الزَّجَّاج : «يقال للقـــرن الذي يجيء في أثر قرن : خلف ، والخلف ما أخلف عليك بدلاً مما أخذ منك ، ويقال في هذا : خلف أيضاً»[٣] .

وقـــال الفرَّاء : «﴿ خَلۡفٌ ﴾ ؛ أي قرن بجزم اللام ، والخَلَف ما اســـتخلفته ، تقول : أعطاك الله خلفاً مما ذهب لك»[٤] .

---

(١) تنوير المقباس ٢/ ١٣٨ ، وذكره ابن الجوزي ٣/ ٢٨٠ .

(٢) لم أقف عليه ، ورجح الطبري ٩/ ١٠٥ : (أن المراد خلف سوء من اليهود ؛ لأنه لا دليل يوجب صحة القول به على صرف الخبر عنهم إلى غيرهم) ، وقال النحاس في معانيه ٣/ ٩٨ : «قال مجاهد يعني النصارى ، وقال غيره : يعني أبناءهم ، وهذا أولى القولين ، والله أعلم ، لأنه يقال لولد الرجل : خلفه» اهـ .

(٣) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٨٨ ، وزاد : «فأما ما أخلف عليك بدلاً مما ذهب منك ، فهو الخلف بفتح اللام» اهـ .

(٤) معاني الفرَّاء ١/ ٣٩٩ ، وزاد : «وأنت خلف سوء ، سمعت من العرب» اهـ .

وقـد توافقا في هذا القـول ، وقال أحمد بن يحيى : «النـاس كلهم يقولون : خَلَف صدق ، وخَلَف سوء ، وخَلْف[(١)] للسـوء لا غير ، وأبو عبيدة[(٢)] معهم ، ثم[(٣)] انفرد وحده ، فقال : ويقال للصدق أيضاً : خَلْف»[(٤)] .

قال الأزهري : «وأخبرني المنذري بإسناده عن الفرَّاء قال : الخَلْف يذهب به إلى الذم ، والخَلَف خلف صالح ، وقد يكون في الرديء خَلَف ، وفي الصالح خَلْف ؛ لأنهم يذهبون به[(٥)] إلى القرن ، قال : فأرى الفرَّاء قد أجاز في الصالح خَلْف كما أجازه أبو عبيدة»[(٦)] ، وعلى هذا ينشد لحسان :

لنا القدمُ الأولى عليهِمْ وخلفُنا ... لأوَّلنا في طاعةِ اللهِ تابعُ[(٧)]

---

(١) أي بسكون اللام .

(٢) في مجاز القرآن ١/ ٢٣٢ ، قال : «خلْف ساكن ثاني الحروف ، وإن شئت حرَّكت الحرف الثاني ، وهما في المعنى واحد ، كما قالوا : أثْر وأثَر ، وقوم يجعلونه إذا سكنوا ثاني حروفه إذا كانوا مشركين ، وإذا حركوه جعلوه خلفاً صالحاً» اهـ .

(٣) لفظ : (ثم) ساقط من (ب) .

(٤) تهذيب اللغة (خلف) ١/ ١٠٨٦ .

(٥) لفظ : (ب) ساقط من النسخ .

(٦) تهذيب اللغة (خلف) ١/ ١٠٨٦ .

(٧) ديوانه ٤٨ ، وسيرة ابن هشام ٣/ ٣٠٨ ، وتفسير الطبري ٩/ ١٠٤ ، والثعلبي ٦/ ١٦ أ ، وابن عطية ٦/ ١٢٧ ، والقرطبي ٧/ ٣١١ ، واللسان (خلف) ٢/ ١٢٣٩ ، والخازن ٢/ ٣٠٥ ، والبحر ٤/ ٤١٥ ، والدر المصون ٥/ ٥٠٣ ، وفي الديوان : (لنا القدم الأولى إليك وخلفنا) ، بسكون اللام .

وقال ابن السكيت: «يقال: هذا خلف صدق، وهذا خلف سوء، وهؤلاء خلف سوء، جمعه وواحده[1] سواء، وأنشد[2]:

وبقيتُ في خَلْفٍ كجلدِ الأجربِ»[3]

وقال أصحاب العربية[4]: «الخلفُ المستعمل في الذم مأخوذ من الخَلَف، وهو الفساد، يقال للرديء من القول: خلف، ومنه المثل: نطق خلفاً[5]، وخَلَف النبيذ يخلف خُلُوفاً وخلفاً إذا فسد، وكذلك الفم إذا تغيرت رائحته».

---

(١) في (ب): (وواحد سواء)، وهو تحريف.

(٢) الشاهد للبيد في ديوانه ٣٦، والعين ٤/ ٢٦٦، والكامل للمبرِّد ٤/ ٣٣، وجمهرة أشعار العرب ٦٩، وتفسير الطبري ٩/ ١٠٥، والجمهرة ١/ ٦١٥، وأمالي القالي ١/ ١٥٨، والصحاح (خلف) ٤/ ١٣٥٤، وديوان المعاني ٢/ ١٩٨، وتفسير الثعلبي ٦/ ١٦أ، وخلْف بسكون اللام، وصدره:

ذهبَ الَّذينَ يُعاشُ في أكنافِهِمْ

(٣) إصلاح المنطق ١٣، ٦٦، وتهذيب اللغة (خلف) ١/ ١٠٨٦.

(٤) انظر: تفسير الطبري ٩/ ١٠٤، وأمالي القالي ١/ ١٥٨.

(٥) هذا من أمثال العرب المشهورة، يضرب للرجل يطيل الصمت ثم يتكلم بالخطأ. يقال: سَكَتَ ألفاً ونطق خلفاً؛ أي سكت عن ألف كلمة، ونطق بواحدة رديئة، انظر: إصلاح المنطق ٦٦، وأمالي القالي ١/ ١٥٨، وجمهرة الأمثال ١/ ٥٠٩، ومجمع الأمثال ١/ ٣٣٠، والمستقصى ٢/ ١١٩.

وقال النضر : «الخلف بتحريك اللام وإسكانها في القرن السوء واحد ، فأما في القرن الصالح فتحريك اللام لا غير ، وأنشد[١] :

إنا وجدنا خلفاً[٢] بئسَ الخلفِ»[٣]

فجمع اللغتين في المذموم ، وأكثر أهل اللغة[٤] على هذا إلا الفرَّاء وأبا عبيدة ، فإنهما أجازا في الصالح جزم اللام[٥] .

وقوله تعالى : ﴿ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ ﴾ . قال أبو عبيد : «جميع متاع الدنيا عَرَض بفتح الراء ، يقال : إن الدنيا عرَض حاضر ، وأما العَرْض بسكون الراء ،

---

(١) لم أقف على قائله ، وهو في كتب الفرق لقطرب ٦٨ ، وللأصمعي ٧٨ ، ٧٩ ، ولأبي حاتم السجستاني ٣٦ ، ولثابت بن أبي ثابت ٤٤ ، والكامل للمبرِّد ٣/ ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، والجمهرة ١/ ٦٠٧ ، وتهذيب اللغة ١/ ١٠٥٠ ، والصحاح ٤/ ١٣٥٢ ، وتفسير القرطبي ٧/ ٣١١ ، واللسان ٢/ ١٢٣٨ ، وتاج العروس (خضف) ١٢/ ١٧٤ ، وعجزه :

عبداً إذا ما ناءَ بالحملِ خضفَ

(٢) في (ب) : (خلفنا) ، وكذا في الدر المصون ٥/ ٥٠٣ ، وفي غيره (خلفاً) .

(٣) تفسير الثعلبي ٦/ ١٦ أ ، والبحر ٤/ ٤١٦ ، والدر المصون ٥/ ٥٠٣ ، وفي تهذيب اللغة ١/ ١٠٩٢ : قال «النضر بن شميل : الخلْف يكون في الخير والشر ، وكذلك خلَف» اهـ .

(٤) انظر : العين ٤/ ٢٦٥ ، والجمهرة ١/ ٦١٥ ، والصحاح ٤/ ١٣٥٤ ، والمجمل ٢/ ٣٠٠ ، ومقاييس اللغة ٢/ ٢١٠ ، والمفردات ٢٩٣ ، واللسان (خلف) ٢/ ١٢٤١ ، وقال السمين في الدر ٥/ ٥٠٣ : «هذا قول جماعة أهل اللغة إلا الفرَّاء وأبا عبيدة» اهـ . بتصرف .

(٥) والحاصل أن خلف بفتح اللام وإسكانها ، قيل : بمعنى واحد ، وقيل : الساكن في الطالح ، والمفتوح في الصالح ، وأكثرهم على جواز الفتح والسكون في الرديء ، وأما الصالح فبالفتح فقط ، قال المبرِّد في الكامل ٤/ ٣٣ : «قلما يستعمل خلف بالسكون إلا في الشر» اهـ . وقال الماوردي ٢/ ٢٧٤ : «هو بالتسكين في الذم ، وبالفتح في الحمد ، وهذا أظهر وفي قول الشعراء أشهر» اهـ . وانظر : معاني الأخفش ٢/ ٣١٣ ، وتفسير غريب القرآن ١/ ١٨٢ ، ونزهة القلوب ٢١٩ ، وتفسير المشكل ٨٨ ، وزاد المسير ٣/ ٢٨٠ ، والبحر ٤/ ٤١٥ .

فما خالف العين[1] ، الدراهم والدنانير التي هي الثمنات ، وجمعه عُروض ، وكأن العَرْض من العَرَضِ ، وليس كل عَرَض عَرْضاً»[2] .

قال ابن عباس[3] : «يأخذون الطمع إذا عرض لهم حلالاً أو حراماً من الرشى[4] وغيرها» .

وقال عطاء عنه : «يريد : ما أشرف لهم من الدنيا»[5] ، و﴿ٱلْأَدْنَىٰ﴾ تذكير (الدنيا) ، وأراد عرض هذه الدار الدنيا ، فلما ترك الاسم المؤنث ذكر النعت[6] ، وفي ﴿ٱلْأَدْنَىٰ﴾ قول آخر[7] لمجاهد نذكره بعيد .

---

(١) في تهذيب اللغة ٣/ ٢٣٩٥ : (فما خالف الثمنين : الدنانير والدراهم من متاع الدنيا وأثاثها) اهـ .

(٢) تهذيب اللغة ٣/ ٢٣٩٥ ، وفيه : (فكل عَرْض داخل في العَرَض ، وليس كل عَرَض عَرْضاً) اهـ .
وانظر : العين ١/ ٢٧١ ، ومجاز القرآن ١/ ٢٣٢ ، ومعاني الأخفش ٢/ ٣١٣ ، ٣١٤ ، والجمهرة ٢/ ٧٤٧ ، والصحاح ٣/ ١٠٨٢ ، والمجمل ٢/ ٦٥٩ ، ومقاييس اللغة ٤/ ٢٦٩ ، والمفردات ٥٥٩ ، واللسان (عرض) ٥/ ٢٨٧٧ .

(٣) تنوير المقباس ٢/ ١٣٨ ، وفي زاد المسير ٣/ ٢٨١ ، عن ابن عباس قال : «يأخذون ما أحبوا من حلال أو حرام» اهـ . انظر : الدر المنثور ٣/ ٢٥٥ ، ٢٥٦ .

(٤) الرُّشَا : جمع رشوة ، انظر : اللسان (رشا) ٣/ ١٦٥٣ ، وقال الماوردي ٢/ ٢٧٥ ، في معنى الآية «يعني : الرشوة على الحكم في قول الجميع» اهـ .

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره ٩/ ١٠٦ ، بسند ضعيف ، وذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٦٢ ، وأخرج ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٠٨ بسند جيد عن عطاء نحوه .

(٦) هذا قول الثعلبي ٦/ ١٧ أ ، والأدنى : الأقرب ، والدنو غير مهموز : مصدر دنا يدنو إذا قرب .
انظر : العين ٨/ ٧٥ ، وتهذيب اللغة ٢/ ١٢٣٣ ، والصحاح ٦/ ٢٣٤١ ، والمجمل ٢/ ٣٣٦ ، ومقاييس اللغة ٢/ ٣٠٣ ، والمفردات ٣١٨ ، واللسان (دنا) ٣/ ١٤٣٦ .

(٧) لفظ : (آخر) ساقط من (أ) .

قال المفسرون : «ذمَّ الله تعالى بهذه الآية اليهود ﴿ وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ فقرؤوه، وعلموه، وضيعوا[(١)] العمل به، وخالفوا حكمه، يرتشون في حكم الله وتبديل كتابه وتغيير صفة رسوله»[(٢)] .

﴿ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا ﴾ . قال ابن عباس[(٣)] والمفسرون[(٤)] : «كانوا يتمنون على الله المغفرة، يقولون : ما عملنا بالليل كفر عنا [بالنهار، وما عملنا بالنهار كفر عنا][(٥)] بالليل» و[(٦)] قوله تعالى : ﴿ وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ﴾ ، قال ابن عباس : « إذا أصابوا عرضاً مثل رشوتهم تلك التي أصابوا بالأمس قبلوه»[(٧)] .

وقال مجاهد : «﴿ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ ﴾ ، ما أشرف لهم اليوم شيء من الدنيا حلال أو حرام أخذوه وتمنوا على الله المغفرة، وإن وجدوا من الغد مثله أخذوه»[(٨)] ، فالأدنى على هذا عبارة عن اليوم الأدنى، وهو اليوم الذي هم فيه .

ونحو هذا قال قتادة[(٩)] والسدي[(١٠)] وقالوا : «هذا إخبار عن إصرارهم على الذنوب» . وقال الحسن : «هذا إخبار عن حرصهم على الدنيا، وأنهم لا يشبعهم شيء»[(١١)] .

---

(١) في (ب) : (وضيعوه العمل وخالفوا)، وهو تحريف .
(٢) هذا قول الثعلبي ٦/ ١٦ب، عن المفسرين، وانظر : البغوي ٣/ ٢٩٦، والقرطبي ٧/ ٣١١ .
(٣) تنوير المقباس ٢/ ١٣٨ .
(٤) انظر : تفسير الطبري ٩/ ١٠٧، ومعاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٨٨، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٧٨، والثعلبي ٦/ ١٦ب .
(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .
(٦) لفظ : (الواو) ساقط من (ب) .
(٧) تنوير المقباس ٢/ ١٣٨، وهو قول الطبري ٩/ ١٠٦، والسمرقندي ١/ ٥٧٨ .
(٨) تفسير مجاهد ١/ ٢٤٩، وأخرجه الطبري ٩/ ١٠٧، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٠٧ من طرق جيدة .
(٩) أخرجه عبدالرزاق ١/ ٢/ ٢٤٠، بسند جيد .
(١٠) أخرجه الطبري ٩/ ١٠٦، من طرق جيدة عن قتادة والسدي .
(١١) ذكره الماوردي ٢/ ٢٧٥، وابن الجوزي ٣/ ٢٨١، والرازي ١٥/ ٤٤ .

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾. قال عطاء عن ابن عباس: «وكّد الله في التوراة ﴿أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾، فقالوا: الباطن».

قال ابن عباس: «يعني: قولهم: ﴿سَيُغْفَرُ لَنَا﴾، فذلك قولهم على الله غير الحق»[(١)].

وقال ابن جريج: «أي في ما يرجون على الله من مغفرة ذنوبهم، التي لا يزالون يعودون لها ولا يتوبون منها، فذلك قولهم على الله غير الحق»[(٢)].

وقال الزَّجَّاج: «قوله: ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ﴾ يدل على إصرارهم على الذنب، والله- عز وجل- وعد بالمغفرة في العظائم التي توجب النار مع التوبة، فقال: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾»[(٣)].

وبيان هذا ما قاله بعض المفسرين قال: «ليس في التوراة ميعاد المغفرة مع الإصرار»[(٤)]، وقوله تعالى: ﴿وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ﴾؛ أي فهم ذاكرون لما[(٥)] أخذ عليهم لأنهم قد قرؤوه[(٦)].

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٦٣، وابن الجوزي ٣/ ٢٨١.

(٢) أخرجه الطبري ٩/ ١٠٦ بسند جيد عن ابن جريج عن ابن عباس، وعبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج الأموي المكي إمام، لم يسمع من ابن عباس، انظر: سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٣٤، وتهذيب التهذيب ٢/ ٦٠١.

(٣) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٨٨، وانظر: تفسير الطبري ٩/ ١٠٧، ومعاني النحاس ٣/ ١٠٠، والسمرقندي ١/ ٥٧٨.

(٤) ذكره البغوي ٣/ ٢٩٦، وابن الجوزي ٣/ ٢٨١، والرازي ١٥/ ٤٤.

(٥) في (ب): (ذاكرون ما أخذ عليهم).

(٦) هذا قول الزَّجَّاج في معانيه ٢/ ٣٨٨، وانظر: تفسير الطبري ٩/ ١٠٧، ومعاني النحاس ٣/ ١٠٠، والسمرقندي ١/ ٥٧٩.

١٧٠. وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ﴾، يقال: مسَّكت[١] بالشيء، وتمسَّكت به، واستمسكت به، وامتسكت به[٢]، وروى أبو بكر عن عاصم[٣]: (يُمسِكُونَ) مخففة، وحجته قوله: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وقوله: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾[٤] [الأحزاب: ٣٧]، ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾[٥] [المائدة: ٤]، والتشديد أقوى؛ لأن التشديد للكثرة، وهاهنا أريد به الكثرة؛ لأنه قال في موضع آخر: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾ [آل عمران: ١١٩]. والإيمان بكل الكتاب يوجب التمسك الذي هو للكثرة[٦]، ولأنه يقال: أمسكته، وقلَّ ما يقال: أمسكت به[٧].

قال عطاء عن ابن عباس: «يريد: أمة محمد ﷺ»[٨].

---

(١) مسك أصل يدل على حبس الشيء، وإمساك الشيء: التعلق به وحفظه، واستمسكت بالشيء إذا تحريت الإمساك.
ويقال: أمسكت عنه كذا؛ أي منعته، انظر: العين ٥/ ٣١٨، والجمهرة ٢/ ٨٥٥، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٣٩٦، والصحاح ٤/ ١٦٠٨، والمجمل ٣/ ٨٣٠، ومقاييس اللغة ٥/ ٣٢٠، والمفردات ٧٦٨، واللسان (مسك) ٧/ ٤٢٠٣.

(٢) لفظ: (به) ساقط من (أ).

(٣) قرأ أبو بكر عن عاصم (يُمْسِكُونَ) بسكون الميم وتخفيف السين، وقرأ الباقون بفتح الميم وتشديد السين، انظر: السبعة ٢٩٧، والمبسوط ١٨٦، والتذكرة ٢/ ٤٢٨، والتيسير ١١٤، والنشر ٢/ ٢٧٣.

(٤) لفظ: ﴿زَوْجَكَ﴾ ساقط من (أ).

(٥) في (أ): (وكلوا)، وكذا في الحجة لأبي علي ٤/ ١٠٣٦، وفي (ب): (كلوا)، وهو تحريف.

(٦) في (ب): (الذي هو الكثرة).

(٧) ما تقدم هو قول أبي علي في الحجة ٤/ ١٠٣، ١٠٤، وانظر: معاني القراءات ١/ ٤٢٩، وإعراب القراءات ١/ ٢١٤، والحجة لابن خالويه ١٦٦، ولابن زنجلة ٣٠١، والكشف ١/ ٤٨٢.

(٨) ذكره الثعلبي ٦/ ١٧ب، والبغوي ٣/ ٢٩٧، عن عطاء فقط.

وقال عامة المفسرين[١] : «نزلـت في مؤمني أهل الكتاب» ، فعلى قول عطاء المراد بالكتـاب : القرآن ، وعلى قـول المفسرين المراد به : التـوراة ، وأما معنى التمسك بالكتاب ، فقال الفرَّاء[٢] : «معناه[٣] : يأخذون بما فيه» . وقال الزَّجَّاج : «أي يؤمنون بـه ويحكمون بما فيه»[٤] . وقال غيره : «التمسـك بالكتاب ارتباط بـه على ما بيَّن فيه ، كالقابض على الشيء الذي يرجـو النجاة من قبله والفوز من جهته»[٥] .

وقولـه تعـالى : ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ . إنما ذكرت ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ مـع دخولها في التمسك بالكتاب ؛ للبيان عن جلالة موقعها ، وعظم منزلتها في طاعة الله ، وأنها من أوكد الأمور التي يجب المحافظة عليها[٦] ، واختلف النحويون[٧] في إعراب الآية ، فقـال قوم : هذه الآية معطوفة على ما قبلهـا ، والتقدير : ﴿وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ ، ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ﴾ ، وقـال الأكثـرون منهـم : ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ مبتـدأ ، ثم اختلفوا في خبره ، فقال قـوم[٨] : خبره محذوف تقديره : ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ نعطيهـم أجرهـم ، ودلَّ عـلى هذا

---

(١) انظر : تفسير مجاهد ١/ ٢٤٩ ، وأخرجه الطبري ٩/ ١٠٨ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٠٩ ، من طرق جيدة عن مجاهد وابن زيد ، وهو اختيار السمرقندي ١/ ٢٧٩ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٨٢ ، والقرطبي ٧/ ٢١ ، والخازن ٢/ ٣٠٦ .

(٢) معاني الفرَّاء ١/ ٣٩٩ .

(٣) في (ب) : (معناه يحكمون يأخذون بما فيه) .

(٤) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٨٩ ، ومثله قال الأزهري في تهذيب اللغة (مسك) ٤/ ٣٣٩٧ .

(٥) قال الطبري ٩/ ١٠٨ في معنى الآية «الذي يعملون بما في كتاب الله» ، وانظر : معاني النحاس ٣/ ١٠٠ ، وتفسير السمرقندي ١/ ٢٧٩ .

(٦) انظر : تفسير والرازي ١٥/ ٤٥ ، والخازن ٢/ ٣٠٦ ، والبحر ٤/ ٤١٧ .

(٧) انظر : الكشاف ٢/ ١٢٨ ، وابن عطية ٦/ ١٢٩ ، والرازي ١٥/ ٤٥ .

(٨) انظر : غرائب التفسير ١/ ٤٢٦ ، والبيان ١/ ٣٧٩ ، والتبيان ٣٩٥ ، والفريد ٢/ ٣٨٢ ، والدر المصون ٥/ ٥٠٧ .

المحذوف قوله : ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ ؛ [لأن فيه معنى التعليل ، فكان في ذكر العلة ما يغني عن المعلول .

وقال الزَّجَّاج : «الذي أختار أن يكون التقدير : ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾][1] منهم»[2] ، فعلى هذا الخبر قوله : ﴿إِنَّا﴾ ، والعائد إلى المبتدأ محذوف ، وهو (منهم) .

قال ابن الأنباري : «وخص ﴿ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ بأن وعدهم حفظ الأجر ، إذ كان منهم من لم يُصلح ؛ فتكاملت آثامه بتضييعه وصايا ربه ، وإقدامه على تكذيب النبيين ، ودفع ما يقف على نعته من أمر محمد ﷺ» .

قال أبو بكر : «وقال بعض النحويين : الراجع إلى المبتدأ قوله : ﴿ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ ، وتلخيص المعنى : إنَّا لا نضيع أجرهم فأظهرت كنايتهم بالمصلحين ، كما يُقال : عليٌّ لقيتُ الكسائي ، وأبو سعيد رويت عن الخدري[3] ، يراد[4] : لقيته ورويتُ عنه ، وأنشد :

فيا ربَّ ليلى أنتَ في كلِّ موطنٍ وأنتَ الَّذي في رحمةِ اللهِ أطمعُ[5]

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٢) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٨٨ ، وهو قول النحاس في إعراب القرآن ١/ ٦٤٨ ، ٦٤٩ ، ومكي في المشكل ١/ ٣٠٥ .

(٣) تقدمت ترجمته .

(٤) في (ب) : (يقال لقيته) ، وهو تحريف .

(٥) الشاهد بلا نسبة في زاد المسير ٣/ ٢٨٣ ، ومغني اللبيب ١/ ٢١٠ ، ٢/ ٥٠٤ ، ٥٤٦ ، وقال السيوطي في شرح شواهد المغني ٢/ ٥٥٩ : «قيل : إنه لمجنون بني عامر» اهـ . وهو ليس في ديوانه .

أراد في رحمته[(١)] فأظهر الهاء»[(٢)]، وهــذان الوجهان ذكرهما أبو بكر؛ معنى قول الزَّجَّاج[(٣)] في هذه الآية، والأول منهما[(٤)] اختياره[(٥)].

١٧١. ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٧١].

قولــه تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾، اختلفت[(٦)] عبــارات أهل اللغة[(٧)] والتفســير[(٨)] في معنى ﴿نَتَقْنَا﴾، فقال الليث: «النَّتــق: الجذب، تقول: نتقت الغرب من البئر نتقاً إذا جذبتــه بمرَّة جذبة، وبعث الله الملائكة فنتقوا جبل طور فاقتلعوه من أصله حتى أطلعوه على عسكر بني إسرائيل»[(٩)].

---

(١) في (ب): (في رحمته أطمع فأظهر).

(٢) ذكره ابن الجوزي ٣/ ٢٨٢، ٢٨٣.

(٣) انظر: معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٨٨، ٣٨٩.

(٤) في (ب): (منها).

(٥) قال أبو حيان في البحر ٤/ ٤١٨: «والظاهر أن قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ استئناف مرفوع بالابتداء، وخبره الجملة بعده، ولا ضرورة إلى ادعاء الحذف» اهـ.

(٦) في (ب): (اختلف)، وهو تحريف.

(٧) انظر: الجمهرة ١/ ٤٠٨، ومقاييس اللغة ٥/ ٣٨٧، والمجمل ٣/ ٨٥٤، والمفردات ٧٩٠، واللسان (نتق) ٧/ ٤٣٣٧.

(٨) أخرج الطبري ٨٢/ ١١٠ من طرق جيدة عن ابن عباس وقتادة قالا: «أي رفعنا»، وأخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٦١٠ من طرق جيدة عن ابن عباس وعطاء.

(٩) العين ٥/ ١٢٩، ١٣٠، وفي تهذيب اللغة ٤/ ٣٥٠٥، قال الليث: «النتق: الجذب، ونتقت الغَرْب من البئر إذا جذبته بمرة» اهـ. والغَرْب بفتح الغين وسكون الراء: الدلو العظيمة، انظر: اللسان (غرب) ٦/ ٣٢٢٧.

وقال[١] الفرَّاء في كتاب المصادر : «يقــول : علَّقنا[٢] الجبل فوقهم فرفعناه ، نتقهُ ينتقُهُ نتقاً»[٣] .

وقــال في المعاني : ﴿ نَتَقْنَا ﴾ : رفعنا[٤] ، وقال بعــض أهل اللغة[٥] : «أصل النتق : الزعزعــة والنفض ، ومن هذا يقال : نتقت السـقاء إذا نفضته لتقلع منه زبدتــه»[٦] ، وإلى هذا القول ذهب مجاهد وابن قتيبة ، قال مجاهد : ﴿ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ ﴾ كما تنتق الزبدة»[٧] .

وقال ابن قتيبة : «﴿ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ ﴾ ؛ أي زعزعناه ، ومنه يقال : نتقت السقاء ؛ أي نفضته ؛ لتقلع الزبدة منه» .

وقال أبو عبيدة : «أصل النتق : قلع الــشيء من موضعه والرمي به ، يقال : نتق ما في الجراب إذا رمى به وصبَّه ، وامرأة ناتق منتاق إذا كثر ولدها ؛ لأنها ترمي بأولادها رمياً»[٨] .

---

(١) في (ب) : (فقال) .

(٢) في (ب) : (علقت) .

(٣) ذكره الثعلبي ٦/ ١٧/ ب ، وذكره الطبري ٩/ ١١٠ عن بعض الكوفيين .

(٤) معاني الفرَّاء ١/ ٣٩٩ ، وزاد : «رفع الجبل على عسكرهم فرسخاً فرسخاً» اهـ .

(٥) ذكره في تهذيب اللغة ٤/ ٣٥٠٥ بلا نسبة ، وهو في أكثر المراجع المذكورة .

(٦) أخرجه الطبري ٩/ ١٠٩ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦١٠ بسند ضعيف .

(٧) تفسير غريب القرآن ١٨٢ ، وانظر : غريب القرآن لليزيدي ١٥٢ ، ومعاني النحاس ٣/ ١٠١ .

(٨) ذكره والرازي ١٥/ ٤٥ ، والسمين في الدر ٥/ ٥٠٩ ، وذكره الطبري ٩/ ١١٠ ، عن بعض البصريين ، وقال الشيخ أحمد شاكر في الحاشية «يعني : أبا عبيدة» ، وفي مجاز القرآن ١/ ٢٣٢ ، قال : «أي رفعنا فوقهم» اهـ . وفي الصحاح ٤/ ١٥٥٨ : (قال أبو عبيدة : أي زعزعناه) اهـ .

وأحسن العبارات وأجمعها[١] أن يقال: معنى ﴿نَتَقْنَا الْجَبَلَ﴾: رفعناه باقتلاع له من أصله.

وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾. قال عطاء عن ابن عباس: «كأنه سقيفة»[٢]، والظلة[٣]: كل ما أظلك من سقف بيت، أو سحابة، أو جناح حائط، والجمع ظلل وظلال[٤]. أما[٥] تفسير الآية وقصتها فقد ذكرنا في سورة البقرة عند قوله: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ [البقرة: ٦٣].

وقوله تعالى: ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾، قال المفسرون[٦]: «علموا وأيقنوا»، وقال أهل المعاني: «قوي في نفوسهم ﴿أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ إن خالفوا»[٧]، وهذا هو

---

(١) هذا هو الظاهر واختيار أكثرهم، انظر: تفسير الطبري ٩/ ١٠٩، ونزهة القلوب ٤٤٥، ٤٤٦، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٧٩، وتفسير المشكل ٨٨، وتفسير ابن الجوزي ٣/ ٢٨٣، والرازي ١٥/ ٤٥، والقرطبي ٧/ ٣١٣، وقال أبو حيان في البحر ٤/ ٤١٨: «النتق: الجذب بشدة، وفسره بعضهم بغايته وهو القلع» اهـ.

وقال السمين في الدر ٥/ ٥٠٩، ٥١٠: «اختلفت فيه عبارات أهل اللغة، وكلها معانٍ متقاربة» اهـ. بتصرف.

وقال ابن عطية ٦/ ١٣٠: «أي اقتلعنا ورفعنا، وقد جاء في القرآن بدل هذه اللفظة في هذه القصة بعينها ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾[البقرة: ٦٣]» اهـ.

(٢) ذكره والرازي ١٥/ ٤٥، وذكره الثعلبي ٦/ ١٨أ، والبغوي ٣/ ٢٩٧ عن عطاء فقط.

(٣) انظر: العين ٨/ ١٤٨، والجمهرة ١/ ١٥٣، وتهذيب اللغة ٣/ ٢٢٤٦، والصحاح ٥/ ١٧٥٥، والمجمل ٢/ ٥٩٩، ومقاييس اللغة ٣/ ٤٦١، والمفردات (ظلل) ٥٣٥.

(٤) في (ب): (ظلل وأظلال)، وفي اللسان (ظلل) ٥/ ٢٧٥٥: (كل شيء أظلك فهو ظلَّة، ويقال: ظلٌّ وظلال وظلة وظلل، والظلُّ بالكسر جمعه أظلال وظلال وظلول) اهـ.

(٥) في (ب): (فأما).

(٦) انظر: السمرقندي ١/ ٥٧٩، والثعلبي ٦/ ١٨أ، والماوردي ٢/ ٢٧٦، والبغوي ٣/ ٢٩٧، وابن الجوزي ٣/ ٢٨٣، والخازن ٢/ ٣٠٦، وذكره عن المفسرين والرازي ١٥/ ٤٥.

(٧) ذكره الماوردي ٢/ ٢٧٦، والرازي ١٥/ ٤٥.

الأظهر[1] في معنى الظن، ومضى الكلام فيه عند قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٦].

١٧٢. وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾، قال الزَّجَّاج: «موضع ﴿وَإِذْ﴾ نصب، المعنى[2] واذكر ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾»[3]، وقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾، قوله: ﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾ بدل من قوله: ﴿مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ﴾، والمعنى: وإذ أخذ ربك من ظهور بني آدم.

قاله الزَّجَّاج[4]، وهو معنى قول الكناني[5]، قال: «لم يذكر ظهر آدم، وإنما أخرجوا جميعاً من ظهره؛ لأن الله -تعالى- أخرج ذرية آدم بعضهم من ظهور بعض، على نحو ما يتوالد الأبناء من الآباء؛ لذلك[6] قال: ﴿مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾، واستغنى عن ذكر ظهر آدم لما عُلم أنهم كلهم بنوه وأخرجوا من ظهره، فترك ذكر ظهر آدم وذكر ظهور[7] بنيه»[8].

---

(١) واختاره أيضاً والرازي ١٥/ ٤٥، وقال ابن عطية ٦/ ١٣٣، وأبو حيان ٤/ ٤٢٠: قال المفسرون «معناه: أيقنوا، وليس كذلك بل هو غلبة ظن مع بقاء الرجاء» اهـ.

(٢) في (ب): (والمعنى).

(٣) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٩٠، وانظر: إعراب النحاس ١/ ٦٤٩، والمشكل ١/ ٣٠٥، والبيان ١/ ٣٧٩، والتبيان ٣٩٥، والفريد ٢/ ٣٨٣.

(٤) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٩٠، وفيه: (والمعنى: وإذ أخذ ربك ذريتهم وذرياتهم جميعاً) اهـ. وقال السمين في الدر ٥/ ٥١١: «﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾ بدل من قوله: ﴿مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ بإعادة الجار، والظاهر أنه بدل بعض من كل» اهـ. وهذا قول الأكثر، انظر: المشكل ١/ ٣٠٦، والبيان ١/ ٣٧٩، والتبيان ٣٩٥، والفريد ٢/ ٣٨٣.

(٥) الكناني: هو الإمام عبدالعزيز بن يحيى المكي. تقدمت ترجمته.

(٦) في (ب): (كذلك)، وهو تحريف.

(٧) لفظ: (وذكر ظهور) ساقط من (ب).

(٨) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢٦٦، ٢٦٧، وهو عند الثعلبي ٦/ ١٩ أ، والبغوي ٣/ ٢٩٩، بلا نسبة.

وقوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، وقـرئ[1]: ﴿وَذُرِّيَّتِهِمْ﴾ جمعاً، وقد ذكرنا معنى الذرية والكلام فيها عند قوله: ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ [البقرة: ١٢٤].

وبيّنا أن الذرية تقع على الواحد والجمع، فمن أفردها هاهنا فلأنه قد استغنى عن جمعه بوقوعه على الجمـع، فصار كالبشر، فإنه يقع على الواحد كقوله: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ [يوسـف: ٣١]، وعلى الجمع كقوله: ﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ [التغابن: ٦]. وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [إبراهيم: ١٠].

وكما لم يجمع (بشر) بتصحيح ولا تكسـير كذلك لا تجمع الذرية، ومن جمع قال: إن الذرية إن كان واحداً فلا إشـكال في جواز الجمـع فيه، وإن كان جمعاً فجمعه أيضاً حسـن؛ لأنك قد رأيت الجموع المكسرة قد جُمعت نحو: الطرقات والجُزرات[2] وصَوَاحبات يوسف[3].

---

(١) قرأ ابن عامر وأبو عمرو ونافع: ﴿وَذُرِّيَّتِهِمْ﴾ بألف على الجمع مع كسر التاء، وقرأ الباقون: (وذُرِّيَّتَهُمْ) بغير ألف على التوحيد مع فتح التاء، انظر: السبعة ٢٩٨، والمبسوط ١٨٦، والتذكرة ٢/ ٤٢٨ والتيسير١١٤، والنشر ٢/ ٢٧٣.

(٢) الجُزرات بالضم: جمع الجمع كطُرق وطرقات، وهي جمع جُزُر، والجُزُر جمع جَزُور، وهي الناقة المجزورة؛ أي المعدة للذبح، انظر: اللسان (جزر) ١/ ٦١٤.

(٣) صَوَاحبات يوسف: أي مثلهن في الإلحاح، جمعوا (صواحب) جمع السلامة، انظر: اللسان (صحب) ٤/ ٢٤٠٠، ٢٤٠١، وقد أخرج أحمد في المسند ٤/ ٤١٢، وابن ماجه رقم: ١٢٣٢ـ١٢٣٥، كتاب: إقامة الصلاة، باب: ما جاء في صلاة النبي في مرضه، والنسائي ١/ ٢٩٣، ٩٠٦، كتاب: الإمامة من طرق جيدة، باب: الائتمام بالإمام، أن النبي ﷺ قال في مرضه: «مروا أبا بكر فليصل بالناس»، فقالت عائشة: إنه رجل رقيق، فقال: «إنكن صواحبات يوسف مروه فليصل بالناس» الحديث. وأصله في الصحيح، أخرجه البخاري رقم: ٦٦٤١، كتاب: الأذان، باب: حد المريض أن يشهد الإمامة، ومسلم رقم: ٤١٨ـ٤٢٠، وفيه: «إنكن صواحب يوسف» كتاب: الصلاة، باب: استخلاف الإمام إذا عرض له عذر، قال ابن حجر في الفتح ٢/ ١٥٣: «صواحب جمع صاحبة، والمراد أنهن مثل صواحب يوسف في إظهار خلاف ما في الباطن» اهـ.

وما تقدم قول أبي علي في الحجة ٤/ ١٠٥، ١٠٦، وقال الأزهري في معاني القراءات ١/ ٤٢٩: «المعنى واحد في الذرية والذريات» اهـ. وانظر: إعراب القراءات ١/ ٢١٤، والحجة لابن خالويه ١٦٧، ولابن زنجلة ٣٠١، والكشف ١/ ٤٨٣.

وأما تفسير الآية ففيه مذهبان ؛ أحدهما (وهو مذهب المفسرين وأهل الأثر) ما روى مسلم[(١)] بن يسار الجهني : «أن عمر -رضي الله عنه- سُئل عن هذه الآية ، فقال : سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها ، فقال : «إن الله خلق آدم ، ثم مسح ظهره ، فاستخرج منه ذرية [فقال : خلقت هؤلاء للجنة ، وبعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية][(٢)] ، فقال : خلقت هؤلاء للنار ، وبعمل أهل النار يعملون» .

فقال رجل : يا رسول الله ، ففيم العمل ؟ فقال رسول الله ﷺ : «إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة ، حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة ، فيدخله الجنة ، وإذا خلق العبد للنار ، استعمله بعمل أهل النار ، حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار ، فيدخله الله النار»[(٣)] .

---

(١) مسلم بن يسار الجهني البصري ، تابعي ، روى عن نعيم بن ربيعة الأزدي ، وقيل : روى عن عمر رضي الله عنه ، وروى عنه عبدالحميد بن عبدالرحمن العدوي ، وثَّقه العجلي ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال ابن حجر في التقريب : ٥٣١ (٦٦٥٤) «مقبول» .
انظر : التاريخ الكبير للبخاري ٧/ ٢٧٦ ، وتاريخ العجلي ٢/ ٢٧٨ (١٧٢٣) ، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٥١٤ ، وميزان الاعتدال ٤/ ١٠٨ ، وتهذيب التهذيب ٤/ ٧٤ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٣) أخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٨٩٨ ، وأحمد ١/ ٢٨٩ ، رقم : ٣١١ ، تحقيق أحمد شاكر ، وأبو داود ٥/ ٧٩ ، رقم : ٤٧٠٣ ، والترمذي ، كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة الأعراف ، رقم : ٣٠٧٥ ، وابن أبي عاصم في السنة ١/ ٨٧ ، رقم : ١٩٦ ، والنسائي في تفسيره ١/ ٥٠٤ ، رقم : ٢١٠ ، والطبري ٩/ ١١٣ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦١٢ ، والنحاس في إعراب القرآن ١/ ٦٥٠ ، والآجري في الشريعة ٢/ ٧٤٣ ، وابن منده في الرد على الجهمية ١٤٣ ، ١٤٤ ، والحاكم في المستدرك ١/ ٢٧ ، ٢/ ٣٢٤ ، ٥٤٤ ، والبيهقي في الأسماء والصفات ٢/ ١٤٥ ، والبغوي في تفسيره ٣/ ٢٩٧ ، والواحدي في الوسيط ٢/ ١٦١ من طرق جيدة عن مسلم عن عمر ، وهو مرسل ، وقال الترمذي : «حديث حسن ، ومسلم لم يسمع من عمر ، وقد ذكر بعضهم بين مسلم وعمر رجلاً مجهولاً» اهـ . وقال الحاكم : «هذا حديث صحيح على شرط مسلم» ، وقال البيهقي والذهبي في التلخيص : «فيه إرسال» .
وقال الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم ١/ ٨٧ : «إسناده ضعيف لانقطاعه» اهـ .
وقد أخرجه البخاري في التاريخ الكبير ٨/ ٩٨ ، وأبو داود ٥/ ٨٠ ، رقم : ٤٧٠٤ ، وابن أبي عاصم =

وعن أبي هريرة قال: قال رسـول الله ﷺ: «لما خلق الله آدم مسح على ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته[١] إلى يوم القيامة»[٢]، وذكر حديثاً طويلاً.

وقال ابن عباس في رواية عطاء في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ «يريد: نفض[٣] آدم فأراه ذريته مما خلق إلى يوم القيامة»[٤].

وقال ابن عباس أيضاً: «إن الله خلق آدم، ثم أخرج ذريته من صلبه مثل الذر، فقال لهم: من ربكم؟ قالوا: الله ربنا، ثم أعادهم في صلبه حتى يولد كل من أخذ ميثاقه لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم إلى أن تقوم الساعة»[٥].

---

= في السنة ١/ ٨٨، رقم: ٢٠١، والطبري في تفسيره ٩/ ١١٣، ١١٤، عن مسلم عن نعيم بن ربيعة الأزدي عن عمر، وقال الألباني في ظلال الجنة: «إسناده ضعيف لجهالة نعيم» اهـ.
والحديث له شواهد مرفوعة عن النبي ﷺ، وهذا يجعله صحيحاً لغيره، وذكر الأحاديث ودرجاتها الألباني في الصحيحة ٤/ ١٥٨-١٦٣، وقال: «وجملة القول أن الحديث صحيح، بل هو متواتر المعنى، وجاء عن الإمام إسحاق بن راهويه أنه قال: أجمع أهل العلم أن الله خلق الأرواح قبل الأجساد واستنطقهم وأشهدهم» اهـ. وقال النحاس في معانيه ٣/ ١٠١: «أحسن ما قيل في الآية ما تواترت به الأخبار عن النبي ﷺ: أن الله -جل وعز- مسح ظهر آدم فأخرج منه ذريته أمثال الذر، فأخذ عليهم الميثاق» اهـ.

(١) في (ب): (من ذريتي)، ثم صحح إلى ذريته في أعلى السطر.
(٢) أخرجه الترمذي، كتاب: التفسير، باب: وفي تفسير سورة الأعراف رقم: ٣٠٧٦، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦١٤، وابن منده في الرد على الجهمية ١٤٤، والحاكم ٢/ ٣٢٥، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح، روي من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ» اهـ. وقال ابن منده «هذا حديث صحيح» اهـ. وقال الحاكم: «حديث صحيح على شرط مسلم» اهـ. ووافقه الذهبي في التلخيص، وانظر: الدر المنثور ٣/ ٦٠٣.
(٣) في النسخ: (نقص)، وعلى (أ) تصحيح لم أستطع قراءته، ولعلها: (نفض).
(٤) أخرجه الطبري ٩/ ١١١ بسند جيد.
(٥) أخرجه الطبري ٩/ ١١٦، وابن أبي حاتم ١٤/ ١٦ بسند جيد، وقد أخرج الطبري ٩/ ١١١-١١٨، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦١٤ من طرق كثيرة جيدة نحوه.

وقال أبو العالية : «جمعهم يومئذٍ ، ثم صورهم ، ثم استنطقهم وأخذ عليهم العهد والميثاق ، ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ ، فقال الله تعالى : فإني أرسل إليكم رسلاً يذكرونكم عهدي وميثاقي ، وأنزل عليكم كتبي ، قالوا : نشهد أنك إلهنا وربنا ، ولا رب ولا إله غيرك»(١) .

وقال ابن جريج : «ضرب الله ظهر آدم ، فخرجت كل نفس مخلوقة للجنة بيضاء نقية ، فقال : هؤلاء أهل الجنة ، وخرجت كل نفس مخلوقة للنار سوداء ، فقال : هؤلاء أهل النار أمثال الخردل في صورة الذر»(٢) .

وقال القرظي : «أقر له بالإيمان والمعرفة الأرواحُ قبل أن يخلق أجسادها»(٣) .

وقال مقاتل : «إن الله مسح صفحة ظهر آدم اليمنى ، فأخرج منه ذرية بيضاء كهيئة الذر يتحركون ، ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر ، فقال : يا آدم هؤلاء ذريتك ، ثم قال لهم : ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ ، فقال للبيض : هؤلاء في الجنة برحمتي ، وهم أصحاب اليمين ، وقال للسود : هؤلاء في النار ولا أبالي ، وهم أصحاب الشمال وأصحاب المشأمة ، ثم أعادها جميعاً في صلب آدم ، فأهل القبور محبوسون حتى يخرج أهل الميثاق كلهم من

---

(١) أخرجه عبدالله بن أحمد في زوائد المسند ٥/ ١٣٥ ، والطبري ٩/ ١١١ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦١٥ ، وابن منده في الرد على الجهمية ١٤٣ ، ١٤٤ ، والحاكم ٢/ ٣٢٣ ، ٣٢٤ عن أبي العالية عن أبي بن كعب رضي الله عنه ، وقال الحاكم : «حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» اهـ . ووافقه الذهبي . وقال أحمد شاكر في حاشية الطبري «إسناده صحيح» اهـ .
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٢٥ وقال : «رواه عبدالله بن أحمد عن شيخه محمد بن يعقوب الربالي ، وهو مستور وبقية رجاله رجال الصحيح» اهـ . وانظر : الدر المنثور ٣/ ٦٠٠ .

(٢) أخرجه الطبري ٩/ ١١٤ بسند لا بأس به ، عن ابن جريج عن الزبير بن موسى المكي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٢٥٩ ، وذكره القرطبي ٧/ ٣١٦ ، عن ابن جريج .

(٣) أخرجه الطبري ٩/ ١١٧ بسند ضعيف ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٢٥٩ .

أصلاب الرجال وأرحام النســاء . قال الله تعالى في من نقض العهد الأول : ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾[(١)] [الأعراف : ١٠٢]»[(٢)] .

وهذا أيضاً قول عكرمة[(٣)] والكلبي وسعيد بن جبير[وسعيد[(٤)] بن المسيب] والضحاك[(٥)] وأبي صالح[(٦)] ، هذا كلام أهل التفسير في هذه الآية .

فأمــا أصحــاب المعاني فقــال أبو إســحاق : «جائــز أن يكــون الله تعالى جعــل لأمثال[(٧)] الذَّر فهــماً يعقل به ، كما قــال : ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ﴾ [النمل : ١٨] ، وكما قال : ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ﴾ [الأنبياء : ٧٩]»[(٨)] .

وقــال أبو بكر بن الأنباري : «مذهب أصحــاب الحديث وكبراء أهل العلم في هــذه الآية ، هو : أن الله- عز وجل- أخرج ذريــات آدم من صلبه وأصلاب أولاده ، وهــم في صور الذر ، وأخذ عليهم الميثاق أنه خالقهم وأنهم مصنوعوه ؛ فاعترفوا بذلك وقبلــوا ، وذلك بعد أن ركب فيهم عقــولاً عرفوا بها ما عرض

---

(١) لفظ : (الواو) ساقط من (ب) .

(٢) تفسير مقاتل ٢/ ٧٢- ٧٤ .

(٣) ذكره والرازي ١٥/ ٤٧ ، عن عكرمة والكلبي وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب والضحاك .

(٤) لفظ : (سعيد بن المسيب) ساقط من (أ) ، وذكره عنه ابن القيم في كتاب الروح ٢١٥ .

(٥) أخرجه الطبري ٩/ ١١٤ ، ١١٧ من طرق جيدة عن سعيد بن جبير ، وعطاء والنضر بن عربي الباهلي والضحاك والسدي والكلبي ، وانظر : الرد على الجهمية لابن منده ١٤٤ .

(٦) ذكره ابن القيم في كتاب الروح ٢١٤ ، عن السدي ، عن أبي صالح ، عن ناس من الصحابة .

(٧) في (ب) : (جعل الأمثال) ، وهو تحريف .

(٨) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٩٠ ، وانظر : معاني النحاس ٣/ ١٠١ .

عليهم ، كما جعــل للجبل عقلاً حتى خوطب[١] ، وكما فعــل ذلك بالبعير[٢] لما سجد ، وبالنخلة[٣] حين سمعت وانقادت حين دعيت»[٤] .

وقــال صاحب النظم : «ليس بين قول النبي ﷺ : «إن الله مســح ظهر آدم فأخــرج منه ذريته» و[بــين][٥] الآية اختلاف بحمد الله ؛ لأنــه -عز وجل- إذا

---

(١) ذكره الخازن ٢/ ٣٠٩ ، عن ابن الأنباري ، وفيه : كما جعل للجبال عقولاً ، حتى خوطبوا بقوله تعالى : ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ [سبأ : ١٠] اهـ . وأخرج الحاكم في المستدرك ٢/ ٦٢٠ عن علي -رضي الله عنه- قال : «كنا مع النبي ﷺ بمكة ، فخرج في بعض نواحيها ، فما استقبله شجر ولا جبل إلا قال : السلام عليك يا رسول الله» ، قال الحاكم : «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي . وانظر : صحيح مسلم ، رقم : ٢٢٧٧ من حديث جابر بن عبدالله ، كتاب : الفضائل ، باب : فضل نسب النبي ﷺ ، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة .

(٢) أخرج أحمد في المسند ٦/ ٧٦ ، عن عائشة : «أن رسول الله ﷺ كان في نفر من المهاجرين والأنصار ، فجاء بعير فسجد له . . . .» الحديث ، وانظر : البداية والنهاية ٦/ ١٢٣ـ ١٥١ .

(٣) أخرج البخاري ، رقم : (٢٠٩٥) ، في البيوع ، باب : النجار ، عن جابر بن عبدالله -رضي الله عنه- قال : «قعد النبي ﷺ يوم الجمعة على منبر صنع له ، فصاحت النخلة التي كان يخطب عندها ، وبكت على ما كانت تسمع من الذكر ، حتى كادت أن تنشق ، فنزل النبي حتى أخذها فضمها إليه ، فجعلت تئن أنين الصبي الذي يسكت حتى استقرت» . وأخرج ابن ماجه رقم : (٤٠٢٨) ، كتاب : الفتن ، باب : الصبر على البلاء ، بسند جيد عن أنس -رضي الله عنه- قال : «جاء جبريل إلى النبي ﷺ وهو جالس حزين ، فقال : ما لك ؟ فقال : «فعل بي هؤلاء ما فعلوا» قال : «أتحب أن أريك آية ؟» قال : «نعم» ، قال : «ادع تلك الشجرة» ، فدعاها فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه ، قال : «قل لها فلترجع» ، فقال لها فرجعت حتى عادت إلى مكانها . . . .» ، وأخرج الحاكم في المستدرك ٢/ ٦٢٠ عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال : «جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : بم أعرف أنك رسول الله ؟» فقال : «أرأيت إن دعوت عذق هذه النخلة أتشهد أني رسول الله ؟» قال : نعم ، فدعا العذق فنزل وجعل ينقز على الأرض حتى أتى النبي ﷺ ، ثم قال له : «ارجع» ، فرجع حتى عاد مكانه» ، قال الحاكم : «حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه» ، ووافقه الذهبي ، وانظر : الصحيح المسند من دلائل النبوة للوادعي ٧٣ـ١٩٧ .

(٤) ذكره الخازن ٢/ ٣٠٩ ، وابن القيم في كتاب الروح ٢٢٠ ، وذكره الألباني في الصحيحة ٤/ ١٦١ وقال : «في كلامه إشارة لطيفة إلى طريقة الجمع بين الآية والحديث ، وهو قوله : إن الله أخرج ذرية آدم من صلبه وأصلاب أولاده» اهـ . وانظر : تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ١٤٥ـ١٤٧ .

(٥) لفظ : (بين) ساقط من (أ) .

أخذهم من ظهر آدم فقد أخذهم من ظهور ذريته ؛ لأن ذرية آدم ذرية لذريته بعضهم من بعض .

قال : وحصل الفائدة بهذا الفصل ، أنه قد أثبت الحجة على كل منفوس ممن بلغ ، وممن لم يبلغ بالميثاق الذي أخذه عليهم ، وزاد على من بلغ منهم الحجة بالآيات والدلائل التي نصبها في نفسه وفي العالم ، وبالرسل المنفذة إليهم ، مبشرين ومنذرين ، وبالمواعظ والمثلات المنقولة إليهم أخبارها»[(١)] .

وقال جماعة من المفسرين : «إن أهل السعادة من الذرية أقروا طوعاً ، وإن أهل الشقاوة أقروا تقية وكرهاً ، وذلك معنى قوله : ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا﴾[(٢)] [آل عمران : ٨٣] ، وقال مقاتل : من مات صغيراً دخل الجنة بمعرفته بالميثاق[(٣)] الأول ، ومن بلغ العقل لم يُغن عنه الميثاق الأول شيئاً حتى يؤمن ، وكان الميثاق الأول حجة عليهم»[(٤)] ، وهذا الذي ذكره مذهب من يقول : إن أطفال المشركين يدخلون[(٥)] الجنة ، فأما من لا يحكم لهم بالجنة ، فإنه يقول : من كان من أهل الشقاوة من الذرية السوداء أقرَّ بالمعرفة كرهاً ، فلم يغن ذلك عنه شيئاً . فأمَّا سوق ألفاظ الآية وما بعدها من هذه القصة على هذا التفسير فقوله : ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡ﴾ ، قال الزَّجَّاج[(٦)] : «المعنى قال : ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡ﴾ ، وهو إيجاب للإقرار عليهم بربوبيته» .

---

(١) ذكره الخازن ٢/ ٣١٠ ، وابن القيم في كتاب الروح ٢١٦ .

(٢) انظر : تفسير السمرقندي ١/ ٥٧٩_٥٨٢ ، والرد على الجهمية لابن منده ١٤٣ ، والبغوي ٣/ ٢٩٨ .

(٣) في (أ) : (بمعرفته في الميثاق) .

(٤) تفسير مقاتل ٢/ ٧٤ .

(٥) قال القرطبي في تفسيره ٧/ ٣١٧ : «هذه المسألة اختلف فيها لاختلاف الآثار ، والصحيح أن أطفال المشركين في الجنة» اهـ . وانظر : التذكرة ٥٩٨ .

(٦) هذا قول ابن الجوزي ٣/ ٢٨٤ ، ولم أقف عليه عن الزَّجَّاج ، وانظر : الزاهر ٢/ ٥٠ .

وقوله : ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ . قال ابن عباس : «هو جواب منهم له وإقرار له بالربوبية ولأنفسهم بالعبودية»[(١)] .

وقوله تعالى : ﴿شَهِدْنَآ﴾ ، قال الكلبي : «لما أقروا ، قال الله للملائكة : اشهدوا ، فقال : ﴿شَهِدْنَآ﴾»[(٢)] ، و[(٣)]قال ابن عباس في رواية عطاء : «قالت[(٤)] الملائكة : شهدنا على إقراركم»[(٥)] .

وقال السدي : «هذا خبر من الله تعالى عن نفسه وملائكته أنهم شهدوا على إقرار بني آدم»[(٦)] ، فعلى هذه الأقوال[(٧)] يحسن الوقف على قوله : ﴿بَلَىٰ﴾ ؛ لأن كلام الذرية قد انقطع .

وقوله تعالى : ﴿أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾ . يجوز أن يتعلق ﴿أَن﴾ بقوله : ﴿شَهِدْنَآ﴾ ؛ أي شهدنا عليهم بالإقرار لئلا تقولوا ، فأسقط (لا)[(٨)] كما قال : ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل : ١٥] . يريد : لئلا تميد .

---

(١) أخرج ابن منده في الرد على الجهمية ١٤٤ من طرق جيدة عن ابن عباس في الآية ، قال : «أخذ عليهم كلهم عهودهم على الإيمان والمعرفة له ، والتصديق به وأشهدهم على أنفسهم فآمنوا وصدقوا وعرفوا وأقروا» اهـ .

(٢) تنوير المقباس ٢/ ١٤٠ ، وذكره هود الهواري ٢/ ٥٨ ، والواحدي في الوسيط ٢/ ٢٦٨ ، والبغوي ٣/ ٣٠٠ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٨٥ .

(٣) لفظ : (الواو) ساقط من (ب) .

(٤) في (أ) : (قال) .

(٥) لم أقف عليه ، وانظر : الرد على الجهمية لابن منده ١٤٣ .

(٦) أخرجه الطبري ٩/ ١١٨ بسند جيد ، وذكره الثعلبي ٦/ ٤٩ ب ، والواحدي ٢/ ٢٦٨ ، والبغوي ٣/ ٣٠٠ ، وانظر : الطبري ٩/ ١١٨ .

(٧) انظر : تفسير والرازي ١٥/ ٥٢ .

(٨) لفظ : (لا) ساقط من (أ) .

وكما قال القطامي(١) :

رأينا ما يرى البصراءُ فيهَا
فآلينَا عليهَا أنْ تُباعَا(٢)

أراد : ألّا تباعا ، هذا مذهب الكوفيين(٣) ، وعند البصريين المحذوف مضاف بتقدير : شهدنا كراهة أن تقولوا ، ومضى الكلام في هذا عند قوله : ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾ [النساء : ١٧٦] .

ويمكن أن تعلق ﴿أَن﴾ (بأشهدهم) ، وهذا أوضح في التأويل ، والمعنى : ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ لئلا تقولوا ، أو(٤) كراهية أن تقولوا ، ولا يصح الوقف على ﴿شَهِدْنَآ﴾ لتعلق ﴿أَن﴾ بما قبله ، هذا كله كلام أبي بكر(٥) .

---

(١) تقدمت ترجمته .

(٢) ديوانه ٤٣ ، وتفسير الطبري ٩/ ١١٨ ، والدر المصون ٥/ ٥١٣ ، وهو يصف ناقته ، يقول : (لا تباع لما رأينا من حسنها) .

(٣) انظر : إعراب النحاس ١/ ٦٥١ ، والمشكل ١/ ٣٠٦ ، والبيان ١/ ٣٧٩ ، والتبيان ٣٩٥ ، والفريد ٢/ ٣٨٤ ، والدر المصون ٥/ ٥١٣ . قال السمين «قوله : ﴿أَن تَقُولُواْ﴾ مفعول لأجله ، والعامل إما ﴿شَهِدْنَآ﴾ ؛ أي شهدنا كراهة أن تقول ، هذا تأويل البصريين ، وأما الكوفيين فقاعدتهم تقدير (لا) النافية ؛ أي لئلا تقولوا» اهـ .

(٤) في (أ) : (لئلا تقولوا وكراهية أن تقولوا) .

(٥) الإيضاح لابن الأنباري ٢/ ٦٦٩ ، ٦٧٠ ، وقال الداني في المكتفى ٢٧٨ـ٢٨٠ : «قال جماعة : ﴿شَهِدْنَآ﴾ وقف كافٍ ، وهو من قول بني آدم ؛ أي شهدنا أنك ربنا وإلهنا ، وهو قول أُبي وابن عباس» .
وقال ابن الأنباري «ليس بوقف ؛ لأن ﴿أَن﴾ متعلقة بما قبلها» ، وقال جماعة : التمام على ﴿بَلَىٰ﴾ و﴿شَهِدْنَآ﴾ من قول الملائكة ، وهو قول مجاهد والضحاك والسدي ، وقيل : هو من قول الله تعالى والملائكة ، وهو قول أبي مالك ، ويروي عن السدي أيضاً ، ومن قرأ : ﴿أَن تَقُولُواْ﴾ بالتاء فالوقف على ﴿بَلَىٰ﴾ ؛ لأن (أن) متعلقة بما قبل ﴿بَلَىٰ﴾ من قوله : ﴿وَأَشْهَدَهُمْ﴾» اهـ . ملخصاً .
وقال النحاس في القطع ١/ ٢٦٥ ، ٢٦٦ : «على القراءة بالتاء ، يجب أن يكون الوقف على ﴿بَلَىٰ﴾ ؛ لأن ﴿شَهِدْنَآ﴾ عند أهل التأويل ليس من كلام الذين قالوا : ﴿بَلَىٰ﴾ ، ومن قرأ بالياء فأكثر أهل =

وقال بعضهم : قوله : ﴿شَهِدْنَآ﴾ من كلام الذرية ، والمعنى : شـــهدنا على أنفســنا بهذا الإقرار ، وهو معنى قول[(١)] مقاتل ، وعلى هذا لا يحسن الوقف على ﴿بَلَىٰ﴾ ، ولا يتعلق ﴿أَن تَقُولُواْ﴾ بشـــهدنا ، وإنما يتعلق بقوله : ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾[(٢)] ، وذكر صاحـــب النظم][(٣)] وجهاً آخـــر في قوله : ﴿شَهِدْنَآ﴾ عن بعضهم ، وهو : « أن يكون قولـــه : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾ إلى قوله : ﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾ تمام قصة الميثـــاق ، ثم ابتدأ عز وجل خبراً آخر يذكر ما يقولـــه المشركون يوم القيامة فقال : ﴿شَهِدْنَآ﴾ بمعنى : نشهد ، كما قال الحطيئة[(٤)] :

شَهِدَ الْحُطَيْئَةُ حِينَ يَلْقَى رَبَّه[(٥)]

---

= التأويل يقول : التقدير ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أن يقولوا ؛ أي كراهة أن يقولوا أو لأن يقولوا ؛ فالكلام على هذا متصل» اهـ . ملخصاً .

(١) تفسير مقاتل ٢/ ٧٢ ، وفيه :«﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بإقرارهم ﴿قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ إنك ربنا ، قال الله للملائكة : اشهدوا عليهم بالإقرار ، قالت الملائكة : قد شهدنا» اهـ .

(٢) ذكره عن الواحدي السمين في الدر ٥/ ٥١٣ ، وقال : «كأنه رأى أن التركيب يصير ﴿شَهِدْنَآۛ أَن تَقُولُواْ﴾ سواء قرئ بالغيبة أو الخطاب ، والشاهدون هم القائلون في المعنى ، فكان ينبغي أن يكون التركيب شهدنا أن نقول نحن ، وهذا غير لازم لأن المعنى : شهد بعضهم على بعض ، فبعض الذرية قال : شهدنا أن يقول بعضهم الآخر كذلك» اهـ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٤) الحطيئة : جرول بن أوس بن مالك الغطفاني ، أبو مليكة . تقدمت ترجمته .

(٥) ديوانه برواية وشرح ابن السكيت ١١٠ ، وسر صناعة الإعراب ١/ ٣٩٨ ، ووضح البرهان للغرنوي ٢/ ٣٥١ ، واللسان (حسب) ٢/ ٨٦٦ ، والدر المصون ٥/ ٥١٤ ، وبلا نسبة في مجالس ثعلب ٣٨٨ ، والمدخل للحدادي ٢٣٤ ، وعجزه :

أنَّ الوليدَ أحقُّ بالعذرِ

والوليد : الوليد بن عقبة بن أبي معيط الأموي ، يقال : إنه سكر ، فأمر بجلده ، فقال الحطيئة هذه الأبيات ، والشاهد : شهد الحطيئة ، يريد : يشهد فوضع الماضي موضع المستقبل .

أي يشـــهد ، فيكون تأويلــه نشـــهد[١] ﴿أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ ؛ أي إنكم ســتقولون ذلك ، فتكون القصــة الأولى خبراً عن جميع المخلوقــين بأخذ الميثاق عليهم ، والقصة الثانية خبراً عن المشركين خاصة»[٢] .

واختلف القــراء في قولــه : ﴿أَن تَقُولُواْ﴾ [الأعـراف : ١٧٢] ، ﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ﴾ [الأعراف : ١٧٣] ، فقــرأ[٣] أبو عمرو بالياء[٤] جميعــاً ؛ لأنّ الذي تقدم من الكلام على الغيبة ، وهــو قولــه : ﴿مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ لئلا يقولوا ، وقرأ الباقون بالتــاء ؛ لأنه قد جرى في الكلام خطاب ، وهو قوله : ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ ، وكلا[٥] الوجهــين حســن ؛ لأن الغيــب هم المخاطبون في المعنى[٦] .

قال المفسرون : «هذه[٧] الآية تذكــير بما أخذ على جميع المكلفين من الميثاق ، واحتجاج عليهــم ؛ لئلا يقــول الكفــار ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا﴾ الميثاق ﴿غَـٰفِلِينَ﴾ لم نحفظه ولم نذكره» ، فإن قيل : كيف يحتج عليهم بميثاق لا يذكرونه ؟ قيل :[٨] نسيانهم لذلك لا يســقط الاحتجاج بعد أن أخبر الله -تعالى- عن أخذ

---

(١) في (ب) : (يشهد) بالياء .

(٢) ذكره ابن القيم في كتاب الروح ٢٢٩ ، والسمين في الدر ٥/ ٥١٣ ، ٥١٤ .

(٣) قرأ أبو عمرو : ﴿تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الأعراف :١٧٢] ، ﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ﴾ [الأعراف :١٧٣] بالياء فيهما على الغيبة ، وقرأهما الباقون بالتاء على الخطاب ، انظر : السبعة ٢٩٨ ، والمبسوط ١٨٦ ، والتذكرة ٢/ ٤٢٩ ، والتيسير ١١٤ ، والنشر ٢/ ٢٧٣ .

(٤) في (أ) : (فقرأ أبو عمر وجميعاً بالياء) .

(٥) في (أ) : (فكلا) .

(٦) هذا قول أبي علي في الحجة ٤/ ١٠٧ ، وانظر : معاني القراءات ١/ ٤٢٩ ، وإعراب القراءات ١/ ٢١٥ ، والحجة لابن زنجلة ٣٠٢ ، والكشف ١/ ٤٨٣ .

(٧) في (أ) : (وهذه) .

(٨) انظر : تفسير الطبري ٩/ ١١٨ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٨٥ .

ذلك عليهم على لسان صاحب المعجزة ، وإذا صح ذلك بقول الصادق ، قام في النفوس مقام الذكر ، فالاحتجاج به قائم صحيح[(١)] .

قال عوف[(٢)] : «وسيذكرون الميثاق يوم القيامة»[(٣)] .

١٧٣. قوله تعالى : ﴿ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ ﴾ الآية ، قال المفسرون : «هذا قطع لعذر الكفار فلا يستطيع أحد من الذرية أن يقول يوم القيامة : ﴿ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ ﴾ ؛ أي قبلنا ، ونقضوا العهد . ﴿ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ﴾ صغاراً وكباراً فاقتدينا[(٤)] بهم ، ﴿ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ ؛ أي أفتعذبنا بما فعل المشركون المكذبون بالتوحيد ، وإنما اقتدينا بهم وكنا في غفلة عن الميثاق ، وعما نطالب به الآن من التوحيد ، وآباؤنا أشركوا ، وحملونا على مذهبهم في الشرك في صبانا ، فجرينا على مذهبهم واقتدينا بهم ، فلا ذنب لنا إذ كنا مقتدين بهم ، والذنب في ذلك لهم ، كما[(٥)] قالوا في موضع آخر : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ ﴾ الآية [الزخرف : ٢٢] ، فلا يمكنهم أن يحتجوا بمثل هذا الكلام ، ويكون الآباء على الإشراك بعد تذكير الله تعالى بأخذ الميثاق بالتوحيد على كل واحد من الذرية» ، هذا هو الكلام على مذهب أهل الأثر[(٦)] .

---

(١) انظر : تفسير السمرقندي ١/ ٥٨١ ، والبغوي ٣/ ٣٠٠ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٨٥ .

(٢) لعله عوف بن أبي جميلة العبدي ، أبو سهل الأعرابي البصري ، واسم أبيه رزينة ، إمام ثقة من علماء البصرة ، ومن صغار التابعين ، رمي بالقدر والتشيع ، توفي سنة ١٤٦هـ أو١٤٧هـ ، وله ٨٦ سنة ، انظر : الجرح والتعديل ٧/ ١٥ ، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٣٨٣ ، وميزان الاعتدال ٣/ ٣٠٥ ، وتهذيب التهذيب ٣/ ٣٣٦ ، وتقريب التهذيب ٤٣٣ برقم : ٤٢١٩ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) في (ب) : (فاقتديناهم) ، وهو تحريف .

(٥) لفظ : (كما) ساقط من (ب) .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٩/ ١١٨ ، والبغوي ٣/ ٣٠٠ ، والرازي ٣/ ١٧١ ، والخازن ٢/ ٣١١ .

فأما مذهب أهل النظر، فقال أبو إسحاق: «وقال بعضهم: إن الله -عز وجل- أخرج بني آدم بعضهم من ظهور بعض، ومعنى: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾: أن كل بالغ يعلم أن الله- عز وجل- واحد؛ لأن كل ما خلق الله دليل على توحيده، فمعنى: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ دلهم بخلقه على توحيده»[1].

وشرح أبو بكر هذا، فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ﴾ ذريات[2] ﴿بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾؛ أي أخرجهم وأنشأهم بعد أن كانوا نطفاً في أصلاب الآباء إلى الدنيا على ترتيبهم في الوجود ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أنه ربهم بما أظهر من آياته وبراهينه التي تضطرهم إلى أن يعلموا أنه خالقهم، فليس من أحد إلا وفيه من صنعة ربه ما ينبه على أنه بارئه ونافذ الحكم فيه، فلما عرفوا ذلك، ودعاهم كل ما يرون ويشاهدون إلى التصديق به، كانوا بمنزلة الشاهدين والمشهدين على أنفسهم بصحته، كما قال في غير هذا الموضع: ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٧]، يريد: هم بمنزلة الشاهدين، وإن لم يقولوا: نحن كفرة، وكما يقول الرجل: قد شهدت جوارحي بقولك، يريد: قد عرفته، فكأن جوارحي لو استشهدت وفي وسعها أن تنطق لشهدت، ومن هذا الباب أيضاً ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨]، يريد: أعلم وبيَّن، فأشبه إعلامه وتبيينه ذلك شهادة من يشهد عند الحكام وغيرهم»[3].

وزاد صاحب النظم لهذا المذهب بياناً حكاية عن بعضهم، فقال: «إن الله- عز وجل- لما خلق الخلق ونفذ علمه فيهم بما هو كائن، صار ما لم يكن بعد مما هو كائن كالكائن عنده، إذ علمُه بكونه مانعٌ من غير كونه، فشائع في مجاز العربية أن يُوضَع ما هو منتظر مما لم يقع بعد موضعَ الواقع؛ لسبق علمه بوقوعه، وكما قال

---

(١) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٩٠.

(٢) كذا في النسخ، وهو تفسير، وليس قراءة.

(٣) ذكره ابن الجوزي ٣/ ٢٨٦، وابن القيم في كتاب الروح ٢٢١.

عز وجل : ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾ [الأعراف : ٥٠] وأمثاله ، فيكون تأويل قوله : ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ ﴾ : وإذ يأخذ ربك ، وكذلك قوله : ﴿ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾ ؛ أي ويشهدهم بما يركبه فيهم من العقل الذي يكون به الفهم ، ويجب به الثواب والعقاب ، فكل من ولد وبلغ الحنث وعقل الضر والنفع وفهم الوعد والوعيد والثواب والعقاب ، صار كأن الله تعالى أخذ عليه الميثاق في التوحيد بما ركب فيه من العقل ، وأراه من الآيات والدلائل[1] على حدوثه وضعفه ، وأنه لا يجوز أن يكون قد خلق نفسه ، وإذا لم يجز ذلك ، فلا بد من خالق هو غيره ليس كمثله ، وكل[2] من بلغ وعقل فقد أخذ عليه العهد والميثاق ، إذ جعل فيه السبب الذي به يؤخذ الميثاق ، وهو العقل ، واحتج أصحاب هذا القول بقوله : ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الأحزاب : ٧٢] ، قالوا : فالأمانة هاهنا عهد وميثاق ، وامتناع السموات والأرض من حملها خلوهما من العقل الذي يكون به الفهم ، وحمل الإنسان إياها[3] لمكان[4] العقل فيه» .

---

(١) في النسخ : (والدليل) ، وهو تحريف .

(٢) في (ب) : (ليس كمثله وهو من بلغ) ، وهو تحريف .

(٣) لفظ : (إياها) ساقط من (أ) .

(٤) في (ب) : (مكان) ، وهو تحريف .

قال صاحب النظم : «ونحن إلى ما روي[١] عن رسـول الله ﷺ ، وما ذهب إليه أهل العلم والسنة من السـلف الصالح ، أَمْيَلُ وله أَقْبَلُ وبه آنَسُ[٢] ، والله- عز وجل- ولي التوفيق لما هو أولى وأهدى بمنِّه»[٣] .

١٧٤. و[٤] قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ ﴾ ؛ أي وكما بينا في[٥] أمر الميثاق نبيِّن الآيات ؛ ليتدبرها العباد ، فيرجعوا إلى مدلولها ويعملوا بموجبها دون ما سوَّلت لهم أنفسهم ، ودعت إليه أهواؤهم ، وهو معنى قوله : ﴿ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ؛ أي ولكـي يرجعـوا عـمَّا هم عليه مـن الكفر

---

(١) انظر : بعض الأحاديث في مرويات الإمام أحمد في التفسير ٢/ ٢٠٩ـ٢١٥ .

(٢) هذا هو الظاهر ، فالراجح أن الله َ مسح ظهر آدم ، واستخرج منه ذريته ، وأخذ عليهم العهد بلسان المقال ؛ لثبوته مرفوعاً إلى النبي ﷺ ، وموقوفاً على غيره من الصحابة رضي الله عنهم ، والأحاديث فيه صحيحة بل متواترة المعنى ، وقد ذكرها الطبري ٩/ ١١١ـ١١٨ ، وابن كثير ٢/ ٢٩٣ ، والسيوطي في الدر ٣/ ٢٥٨ـ٢٦٥ ، والشوكاني ٢/ ٣٨٣ـ٣٨٥ ، والألباني في الصحيحة ١/ ٦٨ـ٧١ ، رقم : ٤٧ـ٥٠ ، و٩٧ ، رقم : ١٧٢ ، و٤/ ١٥٨ ، رقم : ١٦٢٣ ، قال الشوكاني ٢/ ٣٨٣ : «هذا هو الحق الذي لا ينبغي العدول عنه ، ولا المصير إلى غيره ، لثبوته مرفوعاً إلى النبي ﷺ وموقوفاً على غيره من الصحابة ، ولا ملجئ للمصير إلى المجاز ، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل» اهـ .
وقال الألباني في الصحيحة ٤/ ١٦٢ : «جملة القول أن فيه أحاديث صحيحة بل متواترة المعنى ، وأنه لا تعارض بينها وبين آية أخذ الميثاق ، فالواجب ضمها إليها ، وأخذ الحقيقة من مجموعها ، وبذلك تنجو من مشكلتين بل مفسدتين كبيرتين : الأولى : رد الأحاديث بزعم معارضتها للآية ، والأخرى : تأويلها تأويلاً يبطل معناها أشبه ما يكون بتأويل المبتدعة» اهـ . بتصرف ، وهو اختيار جمهور المفسرين ، ومنهم : النحاس في معانيه ٣/ ١٠١ ، والسمرقندي ١/ ٥٧٩ـ٥٨٢ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٨٣ـ٢٨٦ ، والرازي ١٥/ ٤٦ـ٥٢ ، والخازن ٢/ ٣٠٧ـ٣١١ ، والألوسي ٩/ ٩٩ـ١٠٩ ، والشنقيطي ٢/ ٣٣٤ـ٣٣٨ .

(٣) ذكره ابن القيم في كتاب الروح ٢٢٨ .

(٤) لفظ : (الواو) ساقط من (أ) .

(٥) لفظ : (الفاء) ساقط من (ب) .

والضلالة إلى التوحيد والطاعة(١)، وقيل: إلى ما أخذ عليهم من الميثاق في التوحيد، والرجوع إلى ذلك الميثاق رجوع إلى التوحيد(٢).

١٧٥. قوله تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾ الآية.

قال ابن عباس(٣) وابن مسعود(٤) ومجاهد(٥): «نزلت في بلعم بن باعوراء(٦)»، دعا على موسى وقومه، وكان عنده اسم الله الأعظم، فقصد موسى بلده الذي هو فيه، وغزا أهله وكانوا كفاراً، فلم يزل قوم بلعم به حتى دعا عليهم، وقيل(٧) «أجبره(٨) ملكهم على(٩) ذلك، وكان مجاب الدعوة بذلك الاسم الذي كان عنده، فاستجيب له، ووقع موسى وبنو إسرائيل في التيه بدعائه،

---

(١) هذا قول أكثرهم، انظر: تفسير الطبري ٩/ ١١٩، والسمرقندي ١/ ٥٨٢، والثعلبي ٦/ ١٩ ب، والبغوي ٣/ ٣٠٠، وابن الجوزي ٣/ ٢٨٦.

(٢) ذكره والرازي ١٥/ ٥٣، والخازن ٢/ ٣١١.

(٣) أخرجه الطبري ٩/ ١٢٠، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦١٧ من طرق جيدة، وفيهما قال: «هو رجل من مدينة الجبارين، يقال له: بلعم»، وفي رواية عند الطبري (بلعم بن باعر)، وعند ابن أبي حاتم (بلعم ابن باعوراء)، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٢٦٧ بلفظ: (بلعم بن باعوراء).

(٤) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢٤٣، والنسائي في التفسير ١/ ٥١٠، والطبري ٩/ ١٢٠، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦١٦، والحاكم في المستدرك ٢/ ٣٢٥ من طرق جيدة، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/ ٢٥، وقال: «رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح» اهـ. وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٢٦٧، والكل من دون ذكر قصته، وجاء عند النسائي، والطبراني، ورواية عند الطبري (بلعم)، وعند الحاكم: (بلعم بن باعوراء)، وفي الباقي: (بلعم بن أبر).

(٥) تفسير مجاهد ١/ ٢٥٠، وأخرجه الطبري ٩/ ١٢٠ من طرق جيدة من دون ذكر قصته.

(٦) بلعم بن باعور، مختلف فيه، فقيل: هو من مدينة الجبارين، وقيل: من أهل اليمن، وقيل: من الكنعانيين، وهو: بلعم بن باعور بن سموم بن فرستم بن مآب بن لوط بن هارون، أوتي العلم والحكمة، انظر: أخباره في تاريخ الطبري ١/ ٤٢٧، والكامل لابن الأثير ١/ ٢٠٠، وتفسير مبهمات القرآن للبلنسي ١/ ٤٩٦.

(٧) هذا قول مقاتل في تفسيره ٢/ ٧٥.

(٨) في (ب): (أجبر)، وهو تحريف.

(٩) لفظ: (على) ساقط من (أ).

فقال موسى : يا رب ، بأي ذنب وقعنا في التيه ؟ قال : بدعاء بلعام ، قال : فكما سمعت دعاءه عليَّ ، فاسمع دعائي عليه ، فدعا موسى عليه أن ينزع عنه الاسم الأعظم والإيمان ، فسلخه الله مما كان عليه ، ونزع منه المعرفة ، فخرجت من صدره كحمامة[(١)] بيضاء[(٢)] فهذا[(٣)] قصته» .

قال عطاء عن ابن عباس : «أعان أعداء الله على أوليائه»[(٤)] يعني : بدعائه . وقوله : ﴿ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾ . قال ابن زيد : «هو أنه كان لا يسأل شيئاً إلا أعطاه إياه»[(٥)] ، وقال عكرمة[(٦)] : «أوتي كتاباً من كتب الله تعالى[(٧)]» .

وقيل[(٨)] : «هو أنه لما أراد أن يدعو عليهم ، قيل له في المنام : لا تدعُ عليهم ، ثم همّ ثانياً ، فكلّمته أتان له قد ركبها ، حجة عليه ، فقالت : ويحك يا بلعم !

---

(١) في (ب) : (نُخامة) ، وعند الثعلبي ٦/ ٢١ب ، والوسيط ٢/ ٢٧٠ ، والبغوي ٣/ ٣٠٢ : (حمامة) .

(٢) أخرج الطبري ٩/ ١٢٢ ، ١٢٣ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦١٧ بسند جيد عن ابن عباس ، قال : «هو رجل من مدينة الجبارين ، يقال : له بلعم ، يعلم اسم الله الأعظم ، فلما نزل بهم موسى أتاه قومه ، فقالوا : إن موسى رجل حديد ، ومعه جنود كثيرة ، وإنه إن يظهر علينا يهلكنا ، فادع الله أن يرده عنا ، قال : إني إن دعوت عليه ذهبت دنياي وآخرتي ، فلم يزالوا به حتى دعا عليهم ، فسلخ مما كان عليه» اهـ . وذكره والرازي ١٥/ ٥٤ ، عن ابن مسعود وابن عباس ومجاهد ، وذكر الخازن ٢/ ٣١١ ، ٣١٣ ، هذا ونحوه ، وقال : «هذا من الإسرائيليات ، ولا يلتفت إلى ما يسطره أهل الأخبار إذا خالف الأصول ، وسبب وقوع بني إسرائيل في التيه عبادة العجل أو قولهم لموسى : ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾ [الأعراف :١٣٨] لا دعاء بلعم عليهم ، وعلى تقدير صحة القصة فموسى دعا عليه ؛ لعلمه بكفره ومقابلة لدعائه عليه» اهـ . بتصرف .

(٣) في (ب) : (فلهذا) ، وهو تحريف ، والأولى : فهذه .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) أخرجه الطبري ٩/ ١٢٢ بسند جيد ، وذكره الثعلبي ٦/ ٢٣أ ، والبغوي ٣/ ٣٠٤ .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٦١٨ بسند جيد .

(٧) لفظ : (تعالى) ساقط من (أ) .

(٨) أخرجه الطبري ٩/ ١٢٥ ، ١٢٦ من طرق عن السدي وغيره .

أتذهب إلى نبي الله والمؤمنين تدعو عليهم فلم ينزع عن ذلك» ، وقال أهل المعاني : «﴿ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾ . علمناه حجج التوحيد وفهمناه أدلته حتى صار عالماً بها» .

وقوله تعالى : ﴿فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾ . قال عطاء عن ابن عباس : «يريد : خرج من محبة الله[١] إلى معصيته ، ومن رحمة الله إلى سخطه»[٢] .

ومعنى ﴿ٱنسَلَخَ﴾ خرج من المِسْلَاخ[٣] ، وهو القشر والجلد ، ويقال : الحية تنسلخ[٤] عن جلدها ، ثم يقال لكل من فارق شيئاً : انسلخ منه .

وقوله تعالى : ﴿فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ . قال عبدالله[٥] بن مسلم : «أي أدركه ، يقال : أتبعت القوم إذا لحقتهم» .

قال أبو عبيد : «يقال : أتبعت القوم مثال أفعلت[٦] إذا كانوا قد سبقوك فلحقتهم ، ويقال : ما زلت أتبعهم حتى أتبعتهم ؛ أي حتى أدركتهم»[٧] .

---

(١) انظر : الطبري ٩/ ١٢٤ ، والرازي ١٥/ ٥٤ .

(٢) ذكره والرازي ١٥/ ٥٤ بلا نسبة ، وأخرج الطبري ٩/ ١٢٤ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦١٨ بسند جيد عن ابن عباس في الآية ، قال : «نزع منه العلم» ، وفي تنوير المقباس ٢/ ١٤٠ : «﴿فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾ : فخرج منها» اهـ .

(٣) انظر : العين ٤/ ١٩٨ ، والجمهرة ١/ ٥٩٨ ، وتهذيب اللغة ٢/ ١٧٣٠ ، والصحاح ١/ ٤٢٣ ، والمجمل ٢/ ٤٧٠ ، ومقاييس اللغة ٣/ ٩٤ ، والمفردات ٤١٩ ، واللسان (سلخ) ٤/ ٢٠٦٣ .

(٤) في (أ) : (سلخت) ، ساقط وملحق بأسفل السطر ، وكأنه سلخت الحية عن جلدها .

(٥) تفسير غريب القرآن ١٨٢ ، وزاد : «وتبعتهم : سرت في إثرهم» اهـ . وانظر : غريب القرآن لليزيدي ١٥٣ ، وتفسير المشكل ٨٨ .

(٦) لفظ : (أفعلت) غير واضح في (ب) ، وكأنه : (افتعلت) .

(٧) تهذيب اللغة ١/ ٤٢٥ ، وزاد : «واتبعتهم ، مثل : افتعلت إذا مروا بك فمضيت معهم ، وتبعتهم تبعاً مثله» اهـ .

وقال أبو زيد: «تقول: رأيت القوم فأتبعتهم إتباعاً: إذا سبقوك فأسرعت نحوهم، ومرُّوا عليَّ فاتَّبعتهم اتِّباعاً: إذا ذهبت معهم ولم يسبقوك»[(١)]، فعلى هذا معنى: أتبعه الشيطان؛ أي أسرع خلفه[(٢)]، ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾؛ لأنه أدركه فأضله، هذا الذي ذكره أبو زيد حقيقة معنى الإتباع.

قوله تعالى: ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾. قال ابن عباس: «فأطاع الشيطان وكان من الضالين»[(٣)].

و[(٤)] قال أهل المعاني: «هذا بيان عن حال من أوتي الهدى، فانسلخ منه إلى الضلال والعمى، ومال مع الهوى حتى تلاعب به الشيطان، فصار إلى الهلاك والردى، وخاب في الآخرة والأولى، قصَّ الله قصته؛ ليحذر الناس من مثل حاله»[(٥)].

---

(١) الحجة لأبي علي ٥/ ١٦٧، وأصل تبع: التلو والقفو، وهل تبعه، وأتبعه بمعنى أو بينهما فرق؟ قيل: بكل منهما، وأبدى بعضهم الفرق بأن تبعه مشى في أثره، وأتبعه إذا وازاه في المشي، وقيل: اتبعه بمعنى استتبعه، وقال الخليل في العين ٢/ ٨٨: «وأتبع فلان فلاناً إذا تبعه يريد شراً، قال تعالى: ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾» اهـ. وانظر: الجمهرة ١/ ٢٤٥، والصحاح ٣/ ١١٨٩، ومقاييس اللغة ١/ ٣٦٢، والمجمل ١/ ١٥٣، والمفردات ١٦٢، واللسان (تبع) ١/ ٤١٦، ٤١٧.

(٢) قال الطبري ٩/ ١٢٣، ١٢٤: «أي صيره لنفسه تابعاً، ينتهي إلى أمره في معصية الله، ويخالف أمر ربه في معصية الشيطان وطاعة الرحمن» اهـ. وانظر: معاني النحاس ٣/ ١٠٥، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٨٢، والماوردي ٢/ ٢٨٠.

(٣) تنوير المقباس ٢/ ١٤١، وذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٧٠، وانظر: معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٩١، والماوردي ٢/ ٢٨٢، وابن الجوزي ٣/ ٢٨٩.

(٤) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).

(٥) انظر: والرازي ١٥/ ٥٥.

وقال عبدالله بن عمرو[(١)][(٢)] وسعيد بن المسيب، وزيد بن أسلم[(٣)]، وأبو روق[(٤)]: «نزلت هذه الآية في أمية[(٥)] بن أبي الصلت، وكان قد قرأ الكتب،

---

(١) عبدالله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم السهمي القرشي أبو محمد، صحابي، إمام، عابد، زاهد، أحد السابقين المكثرين، وأحد العبادلة الفقهاء، أسلم قبل أبيه، وهاجر قبل الفتح، وشهد الفتوح، وكتب عن النبي ﷺ علماً كثيراً، وكان مجتهداً في العبادة صواماً قواماً تالياً لكتاب الله تعالى، وله مناقب وفضائل ومقام راسخ في العمل والعلم، وثناء الأئمة عليه كثيرة، توفي -رضي الله عنه- سنة ٦٥هـ، وله ٧٢ سنة، انظر: الحلية ١/ ٢٨٣، والاستيعاب ٣/ ٨٦، ١٦٣٦، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٧٩، وتذكرة الحفاظ ١/ ٧١، والإصابة ٢/ ٣٥١، وتهذيب التهذيب ٢/ ٣٩٣.

(٢) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢٤٣، والنسائي في التفسير ١/ ٥٠٨، ٥١١، الطبري ٩/ ١٢٢، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦١٦، من طرق جيدة، وذكر الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٢٥، وقال: «رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح» اهـ. وذكره ابن حجر في الفتح ٧/ ١٥٤، وقال: رواه ابن مردويه بإسناد قوي» اهـ. وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٢٦٥، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ، وقال ابن كثير في تفسيره ٢/ ٢٩٤: «قد روى من غير وجه عنه، وهو صحيح إليه، وكأنه إنما أراد أن أمية يشبهه، فإنه كان قد اتصل إليه علم كثير من علم الشرائع المتقدمة، ولكنه لم ينتفع بعلمه، فإنه أدرك زمن رسول الله ﷺ، وبلغته أعلامه وآياته ومعجزاته، وظهرت لكل من له بصيرة، ومع هذا اجتمع به ولم يتبعه، وصار إلى موالاة المشركين ومناصرتهم وامتدحهم ورثى أهل بدر من المشركين بمرثاة بليغة قبحه الله، وقد جاء في بعض الأحاديث: «أنه ممن آمن لسانه ولم يؤمن قلبه» فإن له أشعاراً ربانية وحكماً وفصاحة، ولكنه لم يشرح الله صدره للإسلام» اهـ.

(٣) زيد بن أسلم العدوي العمري، مولاهم أبو عبدالله المدني، إمام تابعي ثقة، عالم، عابد، مفسر، فقيه، وكان من العلماء الأبرار، له حلقة للعلم في مسجد رسول الله ﷺ، وله تفسير رواه عنه ابنه عبدالرحمن، توفي -رحمه الله تعالى- سنة ١٣٦هـ، انظر: الجرح والتعديل ٣/ ٥٥٤، والحلية ٣/ ٢٢١، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٣١٦، وتذكرة الحفاظ ١/ ١٣٢، وتهذيب التهذيب ١/ ٦٥٨، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٥/ ٤٤٢.

(٤) ذكره الثعلبي ٦/ ٢١ب، وابن الجوزي ٣/ ٢٨٧، والرازي ١٥/ ٥٤، عن سعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وأبي روق، وذكره البغوي ٣/ ٣٠٣، والخازن ٢/ ٣١٣، عن سعيد بن المسيب وزيد بن أسلم، وذكره الواحدي في أسباب النزول ٢٢٧، والقرطبي ٧/ ٣٢٠ عن زيد بن أسلم.

(٥) في النسخ: (أمية بن الصلت)، وهو تحريف. وقد تقدمت ترجمته. وفيها بيان حاله وأخباره، وانظر: السيرة النبوية، للدكتور مهدي رزق الله أحمد ٧٢-٧٦، والقول بأنه (بلعام) أشهر وعليه الأكثر، أفاده ابن الجوزي ٣/ ٢٨٨، والقرطبي ٧/ ٣٢١، وابن حجر في الفتح ٧/ ١٥٤، والظاهر العموم كما رجحه الطبري ٩/ ١٢٣، وقال أبو حيان في البحر ٤/ ٤٢٢، ٤٢٣: «اختلف المفسرون في ذلك، =

وعلم أن الله مرسل رسولاً في ذلك الوقت، ورجا أن يكون هو، فلما أُرسِلَ محمد ﷺ حسده، ثم مات كافراً، ولم يؤمن بالنبي ﷺ، وهو الذي قال فيه النبي ﷺ: «آمن شعره وكفر قلبه»[١]، يريد: أن شعره كشعر المؤمنين، وذلك أنه يوحد الله في شعره، ويذكر دلائل توحيده من خلق السماء والأرض وأحوال الآخرة والجنة والنار.

١٧٦. قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا﴾. قال ابن عباس: «﴿لَرَفَعْنَٰهُ﴾ بعلمه بها»[٢]؛ أي بالآيات، يعني وفقناه للعمل بها، فكنا نرفع بذلك منزلته.

وقال عطاء[٣] عنه: «يريد: لعصمتُه عن معاصي»، وهو اختيار الزَّجَّاج؛ لأنه قال: «أي لو شئنا أن نحول في ما بينه وبين المعصية لفعلنا»[٤]، وهذا كالقول الأول؛ لأنه إذا لم يعصمه عن المعصية لم يوفقه للعمل بالآيات، ولو وفقه عصمه عن المعصية، ولو عصمه استحق الرفعة بالآيات.

---

= وطولوا في قصته، وذكروا ما الله أعلم به، والجمهور على أنه شخص معين، والأولى في مثل هذا أن يحمل على التمثيل لا على الحصر في معين؛ فإنه يؤدي إلى الاضطراب والتناقض» اهـ. بتصرف.

(١) قال الألباني في الضعيفة ٤/ ٥٢، رقم: ١٥٤٦: «ضعيف، أخرجه ابن الأنباري في المصاحف، وفي إسناده أبو بكر الهذلي متروك، وأخرجه الخطيب وابن عساكر في التاريخ، وإسناده ضعيف، فيه الكلبي متهم بالكذب» اهـ. بتصرف، وانظر: الجامع الصغير للسيوطي ١/ ٤، وكشف الخفاء للعجلوني ١/ ١٩، ٢٠.

(٢) أخرجه الطبري ٩/ ١٢٧، بسند ضعيف، وذكره الثعلبي ٦/ ٢٣ب، والبغوي ٣/ ٣٠٤، والخازن ٢/ ٣١٥، وقال ابن الجوزي ٣/ ٢٩٠: «هاء الكناية تعود إلى الإنسان المذكور، وهو قول الجمهور، والمعنى: ولو شئنا لرفعنا منزلته بما علمناه» اهـ. وهو اختيار الطبري ٩/ ١٢٧، والسمرقندي ١/ ٥٨٣.

(٣) ذكره الثعلبي ٦/ ٢٣ب، والبغوي ٣/ ٣٠٤، والخازن ٣/ ٣١٥ عن عطاء فقط، وانظر: تفسير الماوردي ٢/ ٢٨٠.

(٤) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٩١، وهو قول النحاس في معانيه ٣/ ١٠٦.

وقوله تعالى : ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ .

قال الفرَّاء : «ركن إليها وسكن» . قال : «ويقال : خلد إلى الأرض بغير ألف ، وهــي قليلة»[١] ، ونحو ذلك قال الزَّجَّاج[٢] والكســائي[٣] في خلد وأخلد[٤] ، وقال أصحاب العربية : «أصل الإخلاد اللزوم على الدوام ، وكأنه قيل : لزم الميل إلى الأرض ، ومن هذا يقال : أخلد فلان بالمكان إذا لزم الإقامة به»[٥] .

قال مالك[٦] بن نويرة :

بـأبنـاءِ حيٍّ مِنْ قبائـلِ مــالكٍ ... وعمرِو بنِ يربوعٍ أقامُوا فأخلدُوا[٧]

---

(١) هنا في (ب) وقع اضطراب في ترتيب الأوراق ، فوقع الوجه ب من الصفحة ١٧٧ في ١٨٥ب .

(٢) معاني الفرَّاء ١/ ٣٩٩ ، وانظر : غريب القرآن لليزيدي ١٥٣ ، وتفسير غريب القرآن ١/ ١٨٢ ، وتفسير الطبري ٩/ ١٢٨ ، وتفسير المشكل ٨٨ .

(٣) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٩١ ، وقال الأخفش في معانيه ٢/ ٣١٥ : «لا نعلم أحداً يقول : خلد ، وقوله : ﴿أَخْلَدَ﴾ ؛ أي لجأ إليها» اهـ .

(٤) تهذيب اللغة (خلد) ١/ ١٠٨٠ . انظر : العين ٤/ ٢٣١ ، والمنجد لكراع ٧٨ ، والجمهرة ١/ ٥٧٩ ، والصحاح ٢/ ٤٦٩ ، والمجمل ٢/ ٢٩٩ ، ومقاييس اللغة ٢/ ٢٠٧ ، والمفردات ٢٩١ ، واللسان (خلد) ٢/ ١٢٢٥ .

(٥) انظر : مجاز القرآن ٢/ ٢٣٣ ، وتفسير الطبري ٩/ ١٢٨ ، ونزهة القلوب ٧٤ ، والدر المصون ٥/ ٥١٦ .

(٦) مالك بن نويرة بن جمرة بن شداد اليربوعي التميمي ، أبو حنظلة ، شاعر فحل ، وفارس مغوار ، من أرداف الملوك في الجاهلية . يقال له : الجفول ، وسمي ذا الخمار نسبة إلى فرسه ، أدرك الإسلام فأسلم ، وولاه رسول الله ﷺ صدقات قومه بني يربوع ، فبقي كذلك حتى وفاة النبي ﷺ ، ثم اضطرب عمله ، ولم يحمد ، ورأى خالد بن الوليد ما استوجب قتله عنده فقتله ، وقيل : ارتد فقتل في حروب الردة ، انظر : طبقات فحول الشعراء ١/ ٢٠٤ ، والشعر والشعراء ٢٠٩ ، والأغاني ١٥/ ٢٨٩ ، ومعجم المرزباني ٢٣٢ ، والإصابة ٣/ ٣٥٧ ، والأعلام ٥/ ٢٦٧ .

(٧) الشاهد في الأصمعيات ١٩٣ ، وتفسير الطبري ٩/ ١٢٨ ، والثعلبي ٦/ ٢٣ ب والرازي ١٥/ ٥٦ ، وبدائع التفسير لابن القيم ٢/ ٣١٠ ، والدر المصون ٥/ ٥١٦ .

قال ابن عباس : «﴿ وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾[١] ، يريد : مال إلى الدنيا»[٢] .
وقال مقاتل : «رضي بالدنيا»[٣] .

وقال الزَّجَّاج : «ولكنه سكن إلى الدنيا»[٤] . فهؤلاء فسروا ﴿ ٱلْأَرْضِ ﴾ في هذه الآية بالدنيا ، وذلك لأن الدنيا هي الأرض ؛ لأن ما فيها من العقار والرباع[٥] والضياع كلها أرض ، وسائر متاعها يستخرج من الأرض ، فالدنيا كلها هي الأرض[٦] ، فصلح أن يعبر عنها بالأرض لأنها هي[٧] .

وقوله تعالى : ﴿ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾ . قال ابن عباس : «يريد : ما زيّن له الشيطان»[٨] .

وقال ابن زيد : «كان هواه مع القوم»[٩] .

وقال أهل المعاني : «انقاد لما دعاه إليه الهوى ، والهوى يدعو إلى أمور تجر إلى الهلاك ، فكان القابل لدعاه متبعاً له»[١٠] .

---

(١) لفظ : (الواو) ساقط من (ب) .
(٢) تنوير المقباس ٢/ ١٤١ ، وذكره والرازي ١٥/ ٥٦ .
(٣) تفسير مقاتل ٢/ ٧٥ ، وفيه : «رضي بالدنيا وركن إليها» اهـ .
(٤) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٩١ ، وقال أيضاً : «المعنى : أنه سكن إلى لذات الأرض» اهـ . وقال الطبري ١٣/ ٢٦١ : «سكن إلى الحياة الدنيا في الأرض ، ومال إليها ، وآثر لذاتها وشهواتها على الآخرة» اهـ . وانظر : معاني النحاس ٣/ ١٠٦ ، والسمرقندي ١/ ٥٨٣ ، والماوردي ٢/ ٢٨٢ .
(٥) الرِّباع : جمع ربع ، وهي الدار والمحلة والموضع يرتع فيه في الربيع ، انظر : القاموس (ربع) ٧١٨ .
(٦) جاء في (ب) بعد قوله : «كلها هي الأرض» ، تكرار قوله : «سائر متاعها» إلى «كلها هي الأرض» وعليه ضرب .
(٧) انظر : تفسير ابن الجوزي ١/ ٢٩٠ ، والرازي ١٥/ ٥٦ ، والخازن ٢/ ٣١٥ ، وقال القرطبي ٧/ ٣٢٢ : «كأن المعنى : لزم لذات الأرض ، فعبر عنها بالأرض ؛ لأن متاع الدنيا على وجه الأرض» اهـ .
(٨) لم أقف عليه .
(٩) أخرجه الطبري ٩/ ١٢٨ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٢٠ بسند جيد .
(١٠) انظر : معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٦١ .

وقال أهل[(١)] العلم : «هذه الآية من أشد الآي على أصحاب العلم ، وذلك أن الله تعالى أخبر أنه آتاه آياته من اسمه الأعظم والدعوات المستجابة والعلم والحكمة ، فاستوجب بالسكون إلى الدنيا واتباع الهوى تغيير النعمة عليه ، والانسلاخ عنها ، ومن الذي سلم من هاتين الخلتين ، إلا من عصمه الله»[(٢)] .

وقوله تعالى : ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ ، قال الليث : «اللَّهث لهث الكلب عند الإعياء وعند شدة الحر ، وهو إدلاع اللسان من العطش»[(٣)] . وقال الفرَّاء[(٤)] في المصادر : «يقال اللهْثُ واللهَث واللهثان»[(٥)] . قال مجاهد : «هذا مثل الذي يقرأ الكتاب ولا يعمل به»[(٦)] . و[(٧)] قال ابن عباس : «معناه : إن تحمل عليه الحكمة لم يحملها ، وإن ترك لم يهتد لخير ، كالكلب إن كان رابضاً لهث وإن طرد لهث»[(٨)] .

---

(١) قال النحاس في إعراب القرآن ١/ ٦٥٢ : «في هذه الآية أعظم الفائدة لمن تدبرها ، وذلك أن فيها منعاً من التقليد لعالم إلا بحجة يبينها ، لأن الله ـ عز وجل ـ أخبر أنه أعطى هذا آياته ، فانسلخ منها ، فوجب أن يخاف مثل هذا على غيره ، وألَّا يقبلَ منه إلا بحجة» اهـ .

(٢) انظر : تفسير البغوي ٣/ ٣٠٤ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٠٩ ، والرازي ١٥/ ٥٦ ، والخازن ٢/ ٣١٥ .

(٣) تهذيب اللغة ٤/ ٣٣٠٦ ، وانظر : العين (لهث) ٤/ ٤٢ .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) قال السمين في الدر ٥/ ٥١٧ : «يقال : لهث يلهث ـ بفتح العين في الماضي والمضارع ـ لَهْثاً ، ولُهْثاً بفتح اللام وضمها : وهو خروج لسانه في حال راحته وإعيائه ، وأما غيره من الحيوان فلا يلهث إلا إذا أعيا أو عطش» اهـ . وفي الصحاح ٢/ ٢٩٢ : «اللهثان بالتحريك : العطش ، وبالتسكين : العطشان ، وقد لهث لهثاً ولهاثاً ، مثل سمع سماعاً ، ولهث بالفتح يلهث لَهثاً ، ولُهاثاً بالضم ، إذا أخرج لسانه من التعب أو العطش ، وكذلك الرجل إذا أعيا» اهـ .
وانظر : الجمهرة ١/ ٤٣٣ ، والمجمل ٣/ ٧٩٦ ، ومقاييس اللغة ٥/ ٢١٤ ، والمفردات ٧٤٨ ، واللسان (لهث) ٧/ ٤٠٨٣ .

(٦) تفسير مجاهد ١/ ٢٥١ ، وأخرجه الطبري ٩/ ١٢٩ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٢٠ من طرق جيدة .

(٧) لفظ : (الواو) ساقط من (ب) .

(٨) أخرجه الطبري ٩/ ١٢٩ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٢٠ بسند جيد .

وقال الحسن : «هو المنافق لا يُنيب[(١)] إلى الحق ، دُعي أو لم يدع ، وعظ أو لم يوعظ ، كالكلب يلهث طرداً وتركاً»[(٢)] .

وروي معمر[(٣)] عن بعضهم قال : «هو الكافر ، ضال إن وعظته وإن لم تعظه»[(٤)] ، فهذا قول المفسرين في تفسير هذا المثل ، ويحتاج إلى الشرح حتى يتبيّن وجه التمثيل بين هذا الكافر وبين الكلب ، وهو أن يقال : أراد أن هذا الكافر إن زجرته لم ينزجر ، وإن تركته لم يهتد ، فالحالتان عنده سواء كحالتي الكلب ؛ فإنه إن طرد وحمل عليه بالطرد كان لاهثاً ، وإن ترك وربض كان أيضاً لاهثاً ، فهو [في الحالتين لاهث كهذا الكافر][(٥)] : في الحالتين ضال ، وذلك أن بلعام زُجر ونهي عن الدعاء على موسى ، فلم ينزجر ولم ينتفع بالزجر ، يبين هذا ما قاله أبو إسحاق ، قال : «ضرب الله تعالى للتارك لآياته والعادل عنها أحسن[(٦)] شيء في أخس أحواله مثلاً ، فقال : ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ ﴾ ، إذا كان الكلب لهثان ؛ لأن التمثيل به على أنه على كل حال حملت عليه أو لم تحمل ، فمعناه : فمثله كمثل الكلب لاهثاً»[(٧)] .

---

(١) في (ب) : (لا يثبت) .

(٢) ذكره الثعلبي ٦/ ٢٤ أ ، وفيه : (لا ينيب) ، وأخرج الطبري ٩/ ١٢٩ بسند جيد عن الحسن في الآية ، قال : «هذا مثل الكافر ميت الفؤاد» اهـ .

(٣) معمر بن راشد بن أبي عمرو الأزدي . تقدمت ترجمته .

(٤) أخرجه الطبري ٩/ ١٢٩ ، بسند جيد عن معمر عن بعضهم ، وذكره الثعلبي ٦/ ٢٤أ ، وقال الشيخ أحمد شاكر في حاشية الطبري «كأنه يعني بقوله عن بعضهم الكلبي ، ولذلك نكره» اهـ .
وقد أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢٤٤ ، عن معمر عن الكلبي ، وذكره هود الهواري ٢/ ٦٠ عن الكلبي .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٦) في (أ) : (أخس شيء في أخس أحواله) ، وفي (ب) : (أحسن شيء في أحسن أحواله) ، وعند الزَّجَّاج في معانيه ٢/ ٣٩١ : (أحسن مثل في أخس أحواله) .

(٧) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٩١ ، ونحوه قال النحاس في معانيه ٣/ ١٠٦ .

فقد بيَّن أبو إسحاق أنه مثل بالكلب إذا كان لاهثاً، واللهث في الكلاب طباع، وقد كشف ابن قتيبة عن هذا المعنى فقال: «كل شيء يَلهثُ إنما يلهث من إعياء أو عطش إلا الكلب، فإنه يلهث في حال الكلال، وحال الراحة، وحال الري، وحال العطش، فضربه الله مثلاً لهذا الكافر[١]، فقال: إن وعظته فهو ضال، وإن تركته فهو ضال كالكلب، إن طردته لهث، وإن تركته على حاله لهث»[٢] انتهى كلامه، وهذا التمثيل لم يقع لكل كلب إنما وقع بالكلب اللاهث، وذلك بأخس ما يكون وأبشعه[٣] ثم قال عزَّ من قائل: ﴿ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾، فعمَّ بهذا التمثيل جميع المكذبين بآيات الله.

قال عطاء عن ابن عباس: «يريد: أهل مكة كانوا يتمنون هادياً يهديهم، وداعياً يدعوهم إلى طاعة الله، فلما جاءهم من لا يشكون في صدقه كذبوه»[٤]، والتمثيل بينهم وبين الكلب كالتمثيل الأول، فإنهم لم يهتدوا لما تركوا، ولم يهتدوا أيضاً لما دعوا بالرسول والكتاب، وزجروا بالوعيد، وكانوا ضالين عن الرشد في الحالتين كهذا الكلب اللاهث في الحالتين لاهث طرد أو ترك[٥].

وقوله تعالى: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ﴾. قال عطاء[٦]: «يريد: قصص الذين كفروا وكذبوا أنبياءهم. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، يريد: يتعظون»[٧].

---

(١) في تأويل مشكل القرآن ٣٦٩: (لمن كذب بآياته).

(٢) تأويل مشكل القرآن ٣٦٩.

(٣) في (ب): (كأنها أشنعه)، وقال القرطبي ٧/ ٣٢٣: «هذا المثل في قول كثير من أهل العلم بالتأويل عام في كل من أوتي القرآن فلم يعمل به، وقيل: هو في كل منافق، والأول أصح» اهـ. وانظر: تفسير الطبري ١٣/ ٢٧٣، والسمرقندي ١/ ٥٨٣، وبدائع التفسير ٢/ ٣١٢_٣١٤.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٧٢، والرازي ١٥/ ٥٧، وذكره البغوي ٣/ ٣٠٥ بلا نسبة.

(٥) في (ب): (ترك وطرد)، وانظر: تفسير الطبري ٩/ ١٢٩، والسمرقندي ١/ ٥٨٣.

(٦) لفظ: (عطاء) ساقط من (ب).

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٧٢، وابن الجوزي ٣/ ٢٩١، وذكره والرازي ١٥/ ٥٧ بلا نسبة.

١٧٧. قوله تعالى: ﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ﴾ الآية. قال الليث: «ساء يسوء فعل لازم ومجاوز، يقال: ساء الشيء يسوء، فهو سيئ إذا قبح، وساءه يسوؤه مساءة، ويقال: ساء ما فعل صنيعاً؛ [أي قبُح صنيعه صنيعاً، ومن هذا الباب قوله: ﴿سَآءَ مَثَلًا﴾](١)؛ أي قبح مثلهم»(٢).

قال ابن عباس(٣): يريد بئس مثل القوم ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾.

فأما تقدير الآية في الإعراب، فأكثر النحويين(٤) قالوا: «تقديره: ساء مثلاً مثل القوم](٥) ثم حذف المضاف»، وهو قول أبي إسحاق(٦)، وعلى هذا انتصب ﴿مَثَلًا﴾ على التمييز، و﴿سَآءَ﴾ هاهنا بمنزلة (بئس)، ألا ترى أن ابن عباس فسره به، ولو قلت: (بئس) رجلاً زيد، نصبت رجلاً على التشبيه بالمفعول، وهو بمعنى التمييز، لأنك إذا قلت: (بئس) جاز أن تذكر شيئاً آخر سوى مثلاً، ورجلاً(٧) من حمار وفرس، وأي ما كان(٨)، فإذا ذكرت نوعاً ميزته من سائر الأنواع، وفي (ساء) ضمير فاعل لأنه فعل، والفعل لا يخلو من فاعل، فصار المميز كالمفعول، وارتفع ﴿ٱلْقَوْمُ﴾ لأنه أقيم مقام المضاف، والمضاف كان يرتفع

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٢) تهذيب اللغة ١٥٨٣، مع بعض الاختلاف والزيادة، وانظر: العين ٧/ ٣٢٧، والجمهرة ١/ ٢٣٧، والصحاح ١/ ٥٥، ومقاييس اللغة ٣/ ١١٣، والمفردات ٤٤٢، واللسان (ساء) ٤/ ٢١٣٨.

(٣) تنوير المقباس ٢/ ١٤٢، وذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٧٢.

(٤) انظر: إعراب النحاس ١/ ٦٥٢، والتبيان ٣٩٦، والدر المصون ٥/ ٥١٨.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٦) معاني القرآن ٢/ ٢٩١، وهو قول الأخفش في معانيه ٢/ ٣١٥، وأبو علي الفارسي في الإيضاح ١٢٨، وقال ابن الشجري في أماليه ٣/ ١٨٣: «ساء بمنزلة (بئس)، وقوله: ﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ﴾»، الصواب أن تقديره: (ساء مثلاً مثلُ القوم، ومن زعم أن التقدير: ساء مثلاً هم القوم، فقد أخطأ خطأً فاحشاً) اهـ. بتصرف.

(٧) في (ب): (ورجلاً بين حمار وفرس).

(٨) انظر: الكتاب ٢/ ١٧٥-١٧٩.

كما يرتفع (زيد) في قولك : بئس رجــلاً زيد ، وارتفاعه من وجهين : أحدهما أن يكون مبتدأ ، ويكون (بئس) وما عملته فيــه خبره ، والثاني : أن يكون لما قلت : بئس رجلاً ، قيل لك : من هو ؟ ، فقلت : زيد ؛ أي هو زيد ، فيكون رفعه على أنه ابتداء محذوف[١] .

وقال بعضهم : «تقدير الآية[٢] : ساء مثل القوم ، ثم حول الفعل من المثل إلى القوم ، فخرج المثل مفــسراً كقولهم : قَرَّ بِهِ عيناً ، وضاق به[٣] ذرعاً ، وطاب زيدٌ نفساً ، وألم رأسه ، ووجع بطنه»[٤] .

قال أهل المعاني : «هذه الآية بيان عن ذم المكذب بآيات الله ، بأن مثله أســوأ مثل ، وأن نفسه ظلم ، وحظه خسر»[٥] .

١٧٨. قوله تعالى : ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾ . قال ابن عباس[٦] : «يريد : من يرشــده الله[٧] إلى دينه» .

---

(١) ذكره أبو علي في الإيضاح ١٢٦ـ١٢٨ ، وانظر : البيان ١/ ٣٨٠ ، والفريد ٢/ ٣٨٦ .

(٢) ذكره الثعلبي ٦/ ٢٤ب ، وقال مكي في المشكل ١/ ٣٠٦ : «في ﴿سَآءَ﴾ ضمير الفاعل ، و﴿مَثَلًا﴾ تفسير ، و﴿ٱلْقَوْمُ﴾ رفع بالابتداء ، وما قبله خبره أو رفع على إضمار مبتدأ ، تقديره : ساء المثل مثلاً هم القوم الذين . مثل : نعم رجلاً زيدٌس اهـ . وانظر : غرائب الكرماني١/ ٤٢٨ .

(٣) لفظ : (به) ساقط من (ب) .

(٤) انظر : تفسير الثعلبي ٦/ ٢٤ب .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) انظر : تنوير المقباس ٢/ ١٤٢ .

(٧) في (ب) : (من يرشد الله) .

وقال ابن كيسان[(١)] : «يريد : من يتول الله تنبيهه وإرشاده ﴿ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ﴾» ، يجوز إثبات الياء فيه على الأصل ، ويجوز حذفها استخفافاً ، كما قيل في بيت الكتاب :

وطرتُ بمنصلي[(٢)] في يعملاتٍ دوامي[(٣)] الأيدِ يخبطنَ السَّريحا

ومن أبياته أيضاً :

كنواحِ ريشِ حمامةٍ نجديَّةٍ ومسحتُ باللثتينِ عصفَ الأثمدِ[(٤)]

قال أبو الفتح[(٥)] : «يريد : كنواحي ، فحذف الياء لأنه شبه المضاف إليه بالتنوين ، فحذف الياء لأجله كما يحذفها لأجل التنوين ؛ لأنهما يتعاقبان ، كما شبه

---

(١) لم أقف عليه .

(٢) الشاهد لمضرس بن ربعي الأسدي في اللسان (ثمن) ١/ ٥٠٩ ، (يدي) ٤٩٥١ ، وبلا نسبة في الكتاب ١/ ٢٧ و٤/ ١٩٠ ، والجمهرة ١/ ٥١٢ ، والإغفال ٨٨٠ ، وسر صناعة الإعراب ٢/ ٥١٩ ، ٧٧٢ ، والخصائص ٢/ ٢٦٩ ، ٣/ ١٣٣ ، والمنصف ٢/ ٧٣ ، والصحاح (ثمن) ٥/ ٢٠٨٩ ، و(يدي) ٦/ ٢٥٣٩ ، وأمالي ابن الشجري ٢/ ٢٨٩ ، والإنصاف ٤٢٩ ، وتفسير الرازي ١٥/ ٥٩ ، واللسان (خبط) ٢/ ١٠٩٣ ، والدر المصون ٥/ ٥٢٠ ، والمغني لابن هشام ١/ ٢٢٥ ، وهو لمضرس أو ليزيد بن الطثرية في اللسان (جزر) ١/ ٦١٥ ، وشرح شواهد المغني للسيوطي ٢/ ٥٩٨ ، والمنصُل : السيف ، ويعملات : جمع يعملة ، وهي الناقة القوية على العمل ، والسريح : جلود أو خرق تشد على الأخفاف حين تحفى الناقة ، والشاهد : الأيد ، حيث حذف الياء للضرورة ، والأصل الأيدي .

(٣) في (ب) : (دوام) ، وكذا في بعض نسخ سر صناعة الإعراب ٢/ ٥١٩ ، كما أشار محقِّقه في الحاشية .

(٤) الشاهد لخفاف بن ندبة الأسدي في ديوانه ٥١٤ ، والكتاب ١/ ٢٧ ، والإنصاف ٤٣٠ ، واللسان (تيز) ١/ ٤٦٠ ، (يدي) :٤٩٥١ ، وشرح شواهد المغني ١/ ٣٥٤ ، وبلا نسبة في : المنصف ٢/ ٢٢٩ ، سر صناعة الإعراب ٢/ ٧٧٢ ، والصحاح (يدي) ٦/ ٢٥٣٩ ، وتفسير الرازي ١٥/ ٥٩ ، والدر المصون ٥/ ٥٢٠ ، والمغني لابن هشام ١/ ١٠٥ ، وعصف الأثمد : ما سحق من حجر الكحل ، وهو يصف شفتي المرأة ، ويشبهها بنواحي الريش ، يقول : «مسحت اللثتين بعصف الأثمد فقلب» . والشاهد : (كنواح) ، والأصل كنواحي ، فقد حذفَ الياء للضرورة .

(٥) أبو الفتح عثمان بنُ جني ، نحوي مشهور . تقدمت ترجمته .

الأول لام المعرفة في الأيد بالتنوين ، من حيث كانت هذه الأشياء من خواص الأسماء ومتعقبة عليها ، فحذف الياء لأجل اللام ، كما يحذف لأجل التنوين . قال : هكذا أخذت من لفظ أبي علي»[١] .

وقوله تعالى : ﴿وَمَن يُضْلِلْ﴾ ، قال عطاء عن ابن عباس : «يريد : من يضله[٢] الله ويخذله ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ ، يريد : خسروا الدنيا والآخرة»[٣] .

١٧٩. قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾[٤] . قال عطاء عن ابن عباس : «يريد : لا يعقلون بها ثواباً ، ولا يخافون عقاباً»[٥] .

وقال الكلبي : «لا يعقلون بها الخير والهدى»[٦] .

﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ .

قال عطاء : «يريد : سبيل الهدى والرشاد» ، ﴿وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾ .

قال : «يريد مواعظ الله والقرآن»[٧] .

---

(١) سر صناعة الإعراب ٢/ ٧٧٢ ، ٧٧٣ ، وانظر : قول أبي علي الفارسي في الإغفال ٨٨٠ ، ٨٨١ .
(٢) في (ب) : (يضلله) .
(٣) ذكره الواحدي ٢/ ٢٧٢ ، والرازي ١٥/ ٥٩ بلا نسبة .
(٤) هنا في (ب) : رجوع إلى الأصل في ترتيب الأوراق ، فوقع تفسير الآية في ١٧٧ب .
(٥) ذكره القرطبي ٧/ ٣٢٤ بلا نسبة .
(٦) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٧٤ .
(٧) ذكره أكثرهم بلا نسبة ، انظر : تفسير الثعلبي ٦/ ٢٥ أ ، والواحدي في الوسيط ٢/ ٢٧٤ ، والبغوي ٣/ ٣٠٦ ، والقرطبي ٧/ ٣٢٤ ، والخازن ٢/ ٣١٧ .

قال مقاتل : «﴿لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا﴾ الآية . يقول الله تعالى : ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ [البقرة : ٧] ، فمن ثم لم تفقه قلوبهم ، ولم تبصر أعينهم ، ولم تسمع آذانهم»[(١)] .

وقال أهل المعاني : «إنما نفى عنهم الإدراكات ؛ لأنهم يعرضون في جميع ذلك إعراض من لا يدرك ، فهم في تركهم الحق وإعراضهم عنه بمنزلة من لا يفقه ولا يبصر ولا يسمع»[(٢)] .

وهذه الآية صريحة في الرد على القدرية ؛ لأن الله تعالى ذكر أنه خلق كثيراً من الإنس والجن للنار ، وهم الذين حقت عليهم الكلمة الأزلية بالشقاوة والعذاب ، ومن خلقه الله لجهنم ، فلا حيلة له في الخلاص[(٣)] .

وقوله تعالى : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ . قال الكلبي : «شبههم بالأنعام في المأكل والمشرب»[(٤)] .

وقال مقاتل : «يأكلون ويشربون ، لا يلتفتون إلى الآخرة ، كما تأكل الأنعام وتشرب لا همة لها إلا الأكل ، فهي تسمع ولا تعقل ، كذلك الكافر»[(٥)] .

وقوله تعالى : ﴿بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ﴾ .

---

(١) تفسير مقاتل ٢/ ٧٦ .

(٢) انظر : تفسير ابن الجوزي ٣/ ٢٩٢ ، والخازن ٢/ ٣١٧ .

(٣) انظر : تفسير والرازي ١٥/ ٦٠ ، ٦١ ، والقرطبي ٧/ ٣٢٤ .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) تفسير مقاتل ٢/ ٧٦ .

قال عطــاء : «يريد[١] : إن الأنعــام تعرف ربها وتحذر الهــلاك»[٢] ، وقال الكلبي : «لأن الأنعام مطيعة لله ، والكافر[٣] غير مطيع لله»[٤] .

قال مقاتل : «هم أخطأ طريقاً من الأنعام ؛ لأن الأنعام تعرف ربها وتذكره ، وهم لا يعرفون ربهم ولا يذكرونه»[٥] .

وقال أبو إسحاق في قوله : ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ : «وذلك أن الأنعام تُبصر منافعها ومضارها ، فتلزم بعض ما تبصره ، وهؤلاء يعلم[٦] أكثرهم أنه معاند فيقدم على النار»[٧] .

قال مقاتل : «يعني : كفار مكة»[٨] .

وقوله تعالى : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ .

قال عطاء : «عــما أعدّ الله لأوليائــه[٩] من الثواب ، وما أعــدّ لأعدائه من العقاب»[١٠] .

وقال الكلبي : «عن أمر الآخرة ، وما فيها من العذاب»[١١] .

---

(١) لفظ : (يريد) ساقط من (أ) .
(٢) في القرطبي ٧/ ٣٢٥ ، قال عطاء : «الأنعام تعرف الله والكافر لا يعرفه» اهـ .
(٣) لفظ : (والكافر) ساقط من (ب) .
(٤) ذكره والرازي ١٥/ ٦٥ ، والقرطبي ٧/ ٣٢٥ ، والخازن ٢/ ٣١٨ بلا نسبة .
(٥) تفسير مقاتل ٢/ ٧٦ .
(٦) في (ب) : (وهؤلاء لا يعلم) ، وهو تحريف .
(٧) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٩٢ ، وانظر : معاني النحاس ٣/ ١٠٧ .
(٨) تفسير مقاتل ٢/ ٧٦ .
(٩) في (ب) : (عما أعد الله أوليائه) ، وهو تحريف .
(١٠) ذكره والرازي ١٥/ ٦٥ ، وأبو حيان في البحر ٤/ ٤٢٨ .
(١١) تنوير المقباس ٢/ ١٤٢ ، وذكره الواحدي ٢/ ٢٧٥ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٩٢ بلا نسبة .

١٨٠. قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾. قال المفسرون: «هي ما ذكره أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن لله- تبارك وتعالى- تسعة وتسعين اسماً مائة غير واحدة»[(١)]، ثم ذكرها[(٢)]، وكل اسم ورد به

(١) أخرج البخاري في صحيحه، رقم: ٢٧٣٦، كتاب: الشروط، باب: ما يجوز من الاشتراط والثُّنْيا في الإقْرار، ورقم: ٧٣٩٢، كتاب: الدعوات، باب: لله مائة اسم غير واحدة، ورقم: ٦٤١٠، كتاب: التوحيد، باب: لله -عز وجل- مائة اسم غير واحد، ومسلم رقم: ٢٦٧٧، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة»، وفي رواية لمسلم «من حفظها».

(٢) الحديث الذي فيه ذكر الأسماء، أخرجه ابن ماجه، كتاب: الدعاء، رقم: ٣٨٦٠، والترمذي، رقم: ٣٥٠٧، كتاب: الدعوات عن رسول الله، والحاكم في المستدرك ١/ ١٦، ١٧، والبيهقي في سننه١٠/ ٢٧، وفي الأسماء والصفات ١٥-١٩، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة»، ثم سرد الأسماء وفيها اختلاف وزيادة ونقص، وقال الترمذي: «هذا حديث غريب، وذكر الأسماء ليس له، إسناده صحيح» اهـ.
وقال شيخ الإسلام في الفتاوى ٦/ ٣٧٩-٣٨٢، و٨/ ٩٦، ٩٧، و٢٢/ ٤٨٢: «إسناده ضعيف، وتعيينها ليس من كلام النبي ﷺ باتفاق أهل المعرفة بالحديث، ولم يرد في تعيينها حديث صحيح عن النبي ﷺ» اهـ.
وقال ابن كثير في تفسيره ٢/ ٢٩٨: «الذي عول عليه جماعة من الحفاظ أنَّ سرد الأسماء في هذا الحديث مدرج فيه» اهـ.
وانظر: أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٨٠٢-٨١٦، وفتح الباري ١١/ ٢١٤-٢٢٩، وتلخيص الحبير ٤/ ١٧٢-١٧٤، والدر المنثور ٣/ ٢٦٩، ٢٧٠.

التوقيف[١] فهو داخل في هذا ، ألا ترى أن الله تعالى ذكر الأسماء بلفظ التعريف ، فدل أنها محصورة ، معدودة ، معلومة بالشرع[٢] .

وقوله تعالى : ﴿ فَٱدۡعُوهُ بِهَا ﴾ ، دعــاؤه بها تعظيمه بذكرها ، كقولك : يا قدير يا عليم يا كريم ، قال أبو إســحاق[٣] : «لا ينبغي أن تدعوه بما لم يصف به نفسه ، أو لم يُسمِّ به نفسه ، فلا ينبغي أن يقال : سَخيٌّ بمعنى : جواد ، ولا رفيق بمعنى : رحيم ، ولا جلد بمعنى : قوي ؛ لأنه لم يصف نفسه بهذه الألفاظ» .

وقال غــيره : «في هذه الآية دليل عــلى أن من أفضل الدعــاء أن تدعوا الله بالأسماء الحسنى كما ذكر الله وأمر به»[٤] .

---

(١) أسماء الله ـعز وجل-عز وجل- توقيفية ، لا مجال للعقل فيها ، فلا يجوز تسميته بما لم يرد به السمع ، بل يجب الوقوف فيها على ما جاء في الكتاب والسنة ؛ لأن ذلك من الأمور الغيبية ، ولأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء ، ولأن تسميته بما لم يسم به نفسه أو إنكار ما سمى به نفسه جناية في حقه تعالى ، فوجب سلوك الأدب في ذلك ، والاقتصار على ما جاء به النص ، أفاده الشيخ : محمد بن صالح العثيمين ـرحمه الله تعالى ـ في القواعد المثلى ١٣ ، وانظر : شرح أسماء الله الحسنى للرازي ٣٦ .

(٢) قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين في القواعد المثلى ١٣ ، ١٤ : «أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد معين ، وما استأثر الله تعالى به في علم الغيب ، لا يمكن لأحد حصره ولا الإحاطة به ، والحديث لا يدل على حصر الأسماء بهذا العدد ، ولو كان المراد الحصر لكانت العبارة : إن أسماء الله تسعة وتسعون اسماً ، من أحصاها دخل الجنة أو نحو ذلك ، فمعنى الحديث أن هذا العدد من شأنه أن من أحصاها دخل الجنة ، وعلى هذا فيكون قوله : «من أحصاها دخل الجنة» جملة مكملة لما قبلها ، وليست مستقلة ، ونظير هذا أن تقول : عندي مائة درهم أعددتها للصدقة ، فإنه لا يمنع أن يكون عندك دراهم أخرى لم تعدها للصدقة» اهـ .

وقال النووي في شرح مسلم ١٧/ ٧ ، ٨ : «اتفق العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه عز وجل ، فليس معناه أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين ، وإنما مقصود الحديث أن هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة ، فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصرها» اهـ . وانظر : الأسماء والصفات ٢٧ ، والفتاوى لشيخ الإسلام ٦/ ٣٨١ ، وفتح الباري ١١/ ٢١٤ .

(٣) انظر : معاني الزَّجّاج ٢/ ٣٩٢ ، وفيه بعض الاختلاف ونحوه قال النحاس في معانيه ٣/ ١٠٨ .

(٤) انظر : بدائع التفسير لابن القيم ٢/ ٣١٦ .

وقوله تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾. وقرأ[١] حمزة: (يَلْحَدونَ)، ووافقه عاصم[٢] والكسائي في النحل، قال الفرَّاء: «يُلحدون ويَلْحَدُونَ لغتان، يقال: لحدت لحداً وألحدت»[٣].

قال أهل اللغة[٤]: «معنى الإلحاد في اللغة: الميل عن القصد»، وقال ابن السكيت: «الملحد: العادل عن الحق، المدخل فيه ما ليس فيه، يقال: قد ألحد في الدين ولحد»[٥]، وقال غيره من أهل اللغة: «الإلحاد: العدل عن الاستقامة والانحراف عنها، ومنه اللَّحد الذي يحفر جانب القبر خلاف الضريح الذي يحفر في وسطه»[٦]، والأجود قراءة العامة؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾ [الحج: ٢٥].

---

(١) قرأ حمزة: (يَلحدُونَ) هنا، وفي النحل: (لِّسَانُ الَّذي يَلحَدُونَ) [النحل :١٠٣]، وفي فصلت: (إِنَّ الَّذينَ يَلحِدُونَ) [فصلت :٤٠] بفتح الياء والحاء في الثلاثة، ووافقه الكسائي في النحل، وقرأ الباقون جميع ذلك بضم الياء وكسر الحاء، انظر: السبعة ٢٩٨، والمبسوط ١٨٦، والتذكرة ٢/ ٤٢٩، والتيسير ١١٤، والنشر ٢/ ٢٧٣.

(٢) كذا في النسخ وعند والرازي ١٥/ ٧١، وهو وهم أو تحريف من الناسخ، فعاصم يقرأ بضم الياء وكسر الحاء في المواضع الثلاثة كما سبق، وانظر: سورة النحل في السبعة ٣٧٥، والمبسوط ٢٢٦، والتذكرة ٢/ ٤٦٤.

(٣) ذكره والرازي ١٥/ ٧١، ولم أقف عليه في معانيه، وفي تهذيب الأزهري، (لحد) ٤/ ٣٢٤٣، معاني القراءات ١/ ٤٣٠، قال الفرَّاء «يقرأ: (يَلحَدُونَ) بالفتح؛ أي يميلون إليه، وبالضم؛ أي يعترضون» اهـ. بتصرف. وانظر: كتاب الأفعال للسرقسطي ٢/ ٤١١.

(٤) لفظ: (اللغة) غير واضح في (ب).

(٥) هذا قول الأزهري في تهذيب اللغة ٤/ ٣٢٤٢، وانظر: العين ٣/ ١٨٢، والجمهرة ١/ ٥٠٥، والصحاح ٢/ ٥٣٤، ومقاييس اللغة ٥/ ٢٣٦، والمجمل ٣/ ٨٠٣، والمفردات ٧٣٧، واللسان (لحد) ٧/ ٤٠٠٥.

وقال ابن الأنباري في الزاهر ١/ ١٤٣، ١٤٤: «الملحد في كلام العرب الجائر عن الحق، ويقال: قد لحدت الرجل إذا أدخلته اللحد، وألحدته إذا صنعت له لحداً، ويقال: قد ألحد الرجل ولحد: إذا جار، وفرق الكسائي بينهما، فقال: ألحد: جار، ولحد: ركن» اهـ.

(٦) هذا قول أبي علي في الحجة ٤/ ١٠٨، ونحوه ذكر اليزيدي في غريب القرآن ١٥٣، وانظر: مجاز القرآن ١/ ٢٣٣، وتفسير غريب القرآن ١٨٣، ونزهة القلوب ٥٠٩، وتفسير المشكل ٨٨.

والإلحاد أكثر في كلامهم لقولهم : ملحد ، ولا تكاد تسمع[١] العرب لاحداً ، فمن جمع بينهما في قراءته ، فكأنه أراد الأخذ بكل واحدة من اللغتين[٢] .

قال ابن عباس ومجاهد[٣] : «﴿ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ هم المشركون ، عدلوا بأسمـــاء الله عما هي عليه فسمّوا بها أوثانهم ، وزادوا فيها ونقصوا منها ، واشتقوا اللات من الله ، والعزى من العزيز ، ومناة من المنان» .

وقال أهل المعاني : «الذين يلحدون في أسـماء الله : الذين[٤] يسمّون الله بما لم يسمِّ به نفسه ، ولم ينطق به كتاب ، ولا دعا إليه رسول»[٥] .

يــدل على صحة هــذا ما روي عن ابــن عباس أنه قــال : «﴿يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ ؛ أي يكذبون»[٦] .

(١) ذكره السمين في الدر ٥/ ٥٢٣ ، عن الواحدي ، وقال : «امتناعهم عن مجيء اسم فاعل الثلاثي يدل على قلته ، ومن كلامهم لحده اللاحد» اهـ .

(٢) هذا قول أبي علي الفارسي في الحجة ٤/١٠٨ ، وانظر : إعراب القراءات ١/ ٢١٥ ، والحجة لابن خالويه ١٦٨ ، ولابن زنجلة ٣٠٣ ، والكشف ١/ ٤٨٤ ، وقال الطبري في تفسيره ٩/ ١٣٤ : «الصواب أنهما لغتان بمعنى واحد ، غير أن قراءة الضم أشهر وأفصح» اهـ . وانظر : معاني الأخفش ٢/ ٣١٥ ، وإعراب النحاس ١/ ٦٥٣ ، ومعانيه ٣/ ١٠٨ .

(٣) أخرج الطبري ٩/ ١٣٣ ، ١٣٤ بسند ضعيف عن ابن عباس ومجاهد نحوه ، وأخرج ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٢٣ ، بسند ضعيف عن ابن عباس نحوه ، وذكره الثعلبي في تفسيره ٦/ ٢٥ب ، والماوردي ٢/ ٢٨٢ ، والواحدي في الوسيط ٢/ ٢٧٦ ، والبغوي ٣/ ٣٠٧ ، والخازن ٢/ ٣١٩ ، عن ابن عباس ومجاهد ، وقال ابن الأنباري في الزاهر ١/ ١٤٣ : «قال المفسرون : هو اشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز» اهـ .

(٤) لفظ : (الذين) ساقط من (ب) .

(٥) ذكره الثعلبي ٦/ ٢٥ب ، والبغوي ٣/ ٣٠٧ ، والخازن ٢/ ٣١٩ ، عن أهل المعاني .

(٦) أخرجه الطبري ٩/ ١٣٤ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٢٣ بسند جيد .

وقال زيد بن أسلم : «يميلون عن الحق»[١] ، فكل من سمَّى الله بما لم يرد به توقيف ، فقد كذب في ذلك[٢] التسمية ، ومال عن الحق[٣] .

وقوله تعالى : ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ ؛ أي جزاء ما كانوا يعملون في الآخرة[٤] .

١٨١. قوله تعالى : ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ﴾ الآية . روى قتادة وابن جريج عن النبي ﷺ : «أنها هذه الأمة»[٥] .

وروي أيضاً أنه قال : «هذه لكم ، وقد أعطى الله قوم موسى مثلها»[٦] .

---

(١) ذكره الثعلبي ٦/ ٢٥ب .

(٢) كذا في النسخ : (ذلك) ، والأولى : (تلك) .

(٣) قال أهل العلم : «الإلحاد في أسماء الله تعالى أنواع : أحدها : أن يسمى الأصنام بها ، والثاني : تسميته بما لا يليق بجلاله ، والثالث : وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص ، الرابع : تعطيل الأسماء عن معانيها ، وجحد حقائقها وأنها مجرد أعلام فقط ، وألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني ، الخامس : تشبيه صفاته بصفات خلقه تعالى الله عما يقول المشبهون علواً كبيراً» ، أفاده ابن القيم في بدائع التفسير ٢/ ٣١٤ ، وانظر : إعراب النحاس ١/ ٦٥٣ ، وأحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٨١٦ ، والقرطبي ٧/ ٣٢٨ .

(٤) لفظ : (أي جزاء ما كانوا يعملون) ساقط من (ب) .

(٥) أخرجه الطبري ٩/ ١٣٥ من طرق جيدة عن ابن جريج وقتادة وهو مرسل ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٢٧٢ ، وقال : «أخرجه ابن جرير وابن المنذر ، وأبو الشيخ عن ابن جريج ، وأخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة» اهـ .
وذكره الثعلبي ٦/ ٢٦ أ ، والماوردي ٢/ ٢٨٣ ، عن قتادة وابن جريج .

(٦) أخرجه الطبري ٩/ ١٣٥ بسند جيد عن قتادة ، وهو مرسل وتابع لما سبق عن قتادة .

وقال الربيع بن أنـــس : «قرأ النبي ﷺ هذه الآية ، فقال : «إنّ من أمتي قوماً على الحق حتى ينزل عيسى بن مريم»[(١)] .

وقال ابن عباس : «يريد : أمة محمد ﷺ ، وهم المهاجرون والأنصار ، والذين اتّبعوهم بإحسان»[(٢)] .

وقوله تعالى : ﴿يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ . قــد ذكرنا ما فيه عند قوله : ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ﴾ [الأعراف : ١٥٩] .

١٨٢. قوله تعــالى : ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ : قال الكلبي : «يعني : أهل مكة كذبوا بمحمد والقرآن»[(٣)] .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٢٣ ، وهو مرسل ، وأخرج البخاري ، رقم : ٧٣١١ ، كتاب : التوحيد ، باب : قول النبي ﷺ : «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين» ، ومسلم ، رقم : ١٩٢١ ، كتاب : الإمارة ، باب : فضل الرمي والحث عليه ، عن المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «لا يزال من أمتي قوم ظاهرين على الناس حتى يأتيهم أمر الله» اهـ .

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٧٧ ، والبغوي ٣/ ٣٠٨ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٩٤ ، والرازي ١٥/ ٧٢ ، والخازن ٢/ ٤٢٠ ، وذكره الثعلبي ٦/ ٢٦أ ، عن عطاء فقط ، وأكثرهم على أنه في أمة محمد ﷺ .

وقال النحاس ١/ ٦٥٣ : «دلّ الله ـ جل وعز ـ بهذه الآية أنه لا تخلو الدنيا في وقت من الأوقات من داع يدعو إلى الحق» اهـ . وانظر : السمرقندي ١/ ٥٨٥ ، ابن عطية ٦/ ١٥٨ ، والبحر ٤/ ٤٣٠ .

(٣) تنوير المقباس ٢/ ١٤٣ . وذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٧٧ ، وهو قول السمرقندي ١/ ٥٨٦ ، وذكره ابن الجوزي ٣/ ٢٩٤ ، والرازي ١٥/ ٧٣ ، والقرطبي ٧/ ٣٢٩ ، عن ابن عباس ، والظاهر العموم ، وأول ما يدخل كفار مكة ، وهو اختيار والرازي ١٥/ ٧٣ ، والخازن ٢/ ٣٢٠ ، قال الخازن «هذا أولى ؛ لأن صيغة العموم تتناول الكل إلا ما دل الدليل على خروجه منه» اهـ .

وقوله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾. الاستدراج في اللغة[١]: الأخـذ بطيِّ منزلـةٍ[٢]، وأصله من الـدرج، وهو لفُّ الـشيء، يقال: درجته وأدرجته ودرجته، وأدرجت المرأة صبيها في المعاوز[٣]، وأدرج الميت في أكفانه، وأدرجت الكتاب في الكتاب إذا طويته فيه[٤]، والاسـتدراج هو طي منزلة بعد منزلة، ويجوز أن يكون من الدرجة، فيكون معنى الاستدراج في الأمر: أن يحط درجة بعد درجة حتى ينتهي إلى مقصوده، وهذا معنى الاستدراج في اللغة، وهو معنى قول المفسرين[٥] وأهل المعاني[٦].

وقال أبو عبيدة[٧] والمؤرج[٨]: «الاستدراج أن آتيه من حيث لا يعلم»، وهو معنى قول ابن عباس[٩]: «سنمكر بهم من حيث لا يعلمون».

وقال الكلبي: «يزين لهم أعمالهم فيهلكهم»[١٠].

---

(١) انظر: العين ٦/ ٧٧، والصحاح ١/ ٣١٣، ومقاييس اللغة ٢/ ٢٧٥، والمجمل ٢/ ٣٢٥، والمفردات ٣١١، واللسان (درج) ٣/ ١٣٥٢.

(٢) لفظ: (بطي منزلة) ساقط من (ب).

(٣) المعاوز: جمع معوز بكسر الميم وسكون العين وفتح الواو، وهو الثوب الخلق وخرقة يلف بها الصبي. انظر: اللسان (عوز) ٥/ ٣١٦٩.

(٤) ما تقدم في تهذيب اللغة (درج) ٢/ ١١٦٨.

(٥) انظر: تفسير الطبري ٩/ ١٣٥، والسمرقندي ١/ ٥٨٦، والماوردي ٢/ ٢٨٣.

(٦) انظر: معاني النحاس ٣/ ١٠٩.

(٧) مجاز القرآن ١/ ٢٣٣، وزاد: (ومن حيث تلطف له حتى تغتره). ونحوه قال اليزيدي في غريب القرآن ١٥٤.

(٨) ذكره الثعلبي ٦/ ٢٦ب.

(٩) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٧٧، وذكره الثعلبي ٦/ ٢٦ ب، والبغوي ٣/ ٣٠٨ عن عطاء.

(١٠) ذكره السمرقندي في تفسيره ١/ ٥٨٦، والثعلبي ٦/ ٢٦ ب، والبغوي ٣/ ٣٠٨، والخازن ٢/ ٣٢٠.

وقال الضحاك : «كلما جددوا لنا معصية جددنا لهم نعمة»[١] .

وقال الأزهري : «قيل في قوله تعالى : ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ : سنأخذهم قليلاً من حيث لا يحتسبونه ، وذلك أنه -جل وعز- يفتح عليهم من النعيم ما يغتبطون به ، ويركنون إليه أنساً به[٢] ، ثم يأخذهم على غرَّتهم أغفلَ ما يكونون[٣] ، ولهذا قال عمر-[٤]رضي الله عنه- لما حُمل إليه كنوز كسرى : «اللهم إني أعوذ بك أن أكون مستدرجاً ؛ فإني أسمعك تقول : ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾»[٥] .

وقال عبدالله بن مسلم : «الاستدراج أن يُدنيهم من بأسه قليلاً ، ومنه يقال : درجت فلاناً إلى كذا ، واستدرج فلاناً حتى تعرف ما عنده ، يراد : لا تجاهره ولا تهجم عليه بالسؤال ، ولكن استخرج ما عنده قليلاً قليلاً ، قال : وأصل هذا من الدرجة ، وذلك أن الراقي فيها والنازل منها ينزل مِرْقاة مرقاة ، فاستعير[٦] هذا منها»[٧] . والآية وعيد للمكذب بآيات الله- عز وجل- بأنه يستدرجه إلى العذاب من حيث لا يعلم ما إليه يصير[٨] .

---

(١) ذكره الثعلبي ٦/ ٢٦ب ، والواحدي في الوسيط ٢/ ٢٧٧ ، والبغوي ٣/ ٣٠٨ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٩٥ ، والقرطبي ٧/ ٣٢٩ ، والخازن ٢/ ٣٢٠ ، وقال السجستاني في نزهة القلوب ٢٦٤ عند شرح كلمة ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ : «جاء في التفسير كلما جددوا خطيئة جددنا لهم نعمة وأنسيانهم الاستغفار» اهـ .

(٢) في (ب) : (أنسيأبهم) ، وهو تحريف .

(٣) في (ب) : (ما يكون) ، وهو تحريف .

(٤) ذكره والرازي ١٥/ ٧٣ ، والخازن ٢/ ٣٢٠ ، ولم أقف على إسناده بعد طول بحث .

(٥) تهذيب اللغة (درج) ٢/ ١١٦٨ ، ١١٦٩ .

(٦) في (ب) : (واستعير) .

(٧) تأويل مشكل القرآن ١٦٦ .

(٨) انظر : إعراب النحاس ١/ ٦٥٣ .

١٨٣. قوله تعالى: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾، الإملاء في اللغة[١]: الإمهال وإطالة المدة، وهو نقيض الإعجال، والمليُّ زمان طويل من الدهر، ومنه قوله: ﴿وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٦]؛ أي طويلاً، ويقال: مُلوة، ومِلوة[٢]، وملاوة من الدهر؛ أي زمان طويل[٣]. فمعنى ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾؛ أي أمهلهم، وأطيل لهم مدة عمرهم ليتمادوا في المعاصي، ولا أعاجلهم بالعقوبة على المعصية ليقلعوا عنها بالتوبة والإنابة[٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾، قال ابن عباس[٥]: «يريد: إن مكري شديد»، والمتين من كل شيء: القوي[٦]، وقد متن متانة[٧]، ومعنى كيد[٨] الله هنا: استدراجه إياهم[٩]. قال المفسرون: «نزلت في المستهزئين من قريش،

---

(١) انظر: مجاز القرآن ١/ ٢٣٤، وغريب القرآن لليزيدي ١٥٤، وتفسير غريب القرآن ١٨٣، ونزهة القلوب ١٠١، ١١٥، وتفسير المشكل ٨٨.

(٢) لفظ: (وملوة) ساقط من (ب).

(٣) النص في تهذيب اللغة (ملا) ٤/ ٣٤٣٨، ومُلوة بالضم، ومِلوة بالكسر، ومَلاوة بالفتح. وانظر: العين ٨/ ٣٤٤، والصحاح ٦/ ٢٤٩٦، والمجمل ٣/ ٨٤١، ومقاييس اللغة ٥/ ٣٥٢، والمفردات ٧٧٦، واللسان (ملا) ٧/ ٤٢٥٢.

(٤) انظر: تفسير الطبري ٩/ ١٣٥، ومعاني النحاس ٣/ ١٠٩، والسمرقندي ١/ ٥٨٦.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٧٧، والبغوي ٣/ ٣٠٨، وابن الجوزي ٣/ ٢٩٥، والرازي ١٥/ ٧٤، والخازن ٢/ ٣٢١، والبحر ٤/ ٤٣١.

(٦) انظر: مجاز القرآن ١/ ٢٣٤، وغريب القرآن لليزيدي ١٥٤، وتفسير غريب القرآن ١٨٣، وتفسير أسماء الله الحسنى للزَّجَّاج ٥٥، واشتقاق أسماء الله للزَّجَّاجي ١٩٤.

(٧) انظر: العين ٨/ ١٣١، والجمهرة ١/ ٤١٠، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٣٣٨، والصحاح ٦/ ٢٢٠٠، ومقاييس اللغة ٥/ ٢٩٤، والمفردات ٧٥٨، واللسان (متن) ٧/ ٤١٣٠.

(٨) انظر: العين ٥/ ٣٩٦، وإعراب النحاس ١/ ٦٥٤، ونزهة القلوب ٣٨٥، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٠٧٦، والصحاح ٢/ ٥٣٣، والمفردات (كيد) ٧٢٨.

(٩) انظر: القواعد المثلى لابن عثيمين ٢٠، والمفسرون بين التأويل والإثبات للمغراوي ١٣.

قتلهم الله- عز وجل- في ليلة واحدة، بعد أن أمهلهم حتى صاروا إلى الاغترار بطول السلامة وإسباغ النعمة»[١].

١٨٤. وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾. قال أصحاب المعاني: «التفكير: طلب المعنى بالقلب كطلب الشخص بالعين»[٢]، وتقدير الآية ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ فيعلموا ﴿مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾، كذلك قال ابن كيسان[٣] وغيره، فحذف (يعلموا)؛ لأن التفكر مؤدٍّ إلى العلم، فقام مقامه، وأغنى عن ذكره، وذكر صاحب النظم أن بعض أهل العربية قال: «إن قوله: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ تمام الكلام واتصاله بما قبله، وقوله تعالى: ﴿مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾ نفي مبتدأ»[٤].

وإلى هذا مال ابن الأنباري؛ لأنه قال: «﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ وقف التمام.

قال: ومثل هذا قوله[٥]: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم﴾ [الروم: ٨]، ثم تبتدئ ﴿مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ﴾، وقوله في سبأ: ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ [سبأ: ٤٦] ثم تبتدئ: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾»[٦]، وقد قيل: إن قوله: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾، إلى آخر الآية كلام معترض بين كلامين، على نظم ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾، ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي

(١) ذكره الثعلبي ٦/ ٢٦ب، والبغوي ٣/ ٣٠٨، والقرطبي ٧/ ٣٣٠، والخازن ٢/ ٣٢١، والبحر ٤/ ٤٣١، وقد اختلف العلماء في المستهزئين، من حيث عددهم وكيفية هلاكهم، انظر: مجمع الزوائد ٤/ ٤٦، والدر المنثور ٣/ ٢٧٢.

(٢) ذكره والرازي ١٥/ ٧٥، وانظر: تهذيب اللغة ٣/ ٢٨١٨، والمفردات (فكر) ٦٤٣.

(٣) لم أقف عليه، وضعف هذا القول أبو حيان ٤/ ٤٣٢، والسمين ٥/ ٥٢٥.

(٤) ذكر هذا القول أبو حيان في البحر ٤/ ٤٣٢، والسمين في الدر ٥/ ٥٢٥ بلا نسبة.

(٥) لفظ: (قوله) ساقط من (ب).

(٦) الإيضاح لابن الإنباري ٢/ ٦٧١، ومثله ذكر النحاس في القطع والائتناف ١/ ٢٦٧، والداني في المكتفى ٢٨١.

مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾[(١)] [الأعراف: ١٨٥]، وأدخل بينهما قوله: ﴿مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، فلما انقضى هذا رجع إلى المبتدأ الأول، وهو قوله: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ﴾، فجاء به على لفظ سواه، وهو قوله: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ﴾ [ومعناهما جميعاً واحد؛ لأن قولك: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ﴾، ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ﴾ واحد، والمعنى][(٢)]: أو لم يتفكروا في خلق السموات والأرض[(٣)]، والجِنَّة[(٤)] حالة من الجُنون كالجِلسة والرِّكبة، ودخول ﴿مِّن﴾ في قوله: ﴿مِّن جِنَّةٍ﴾ يوجب ألَّا يكون به نوع من أنواع الجنون.

---

(١) لفظ: (السموات) ساقط من (أ).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٣) لفظ: (الأرض) ساقط من (ب)، ولم أقف على هذا القول في ما لدي من مراجع، وأما إعراب الآية فما: نافية، و﴿بِصَاحِبِهِم﴾: خبر مقدم، ومن: مزيدة، ﴿جِنَّةٍ﴾: مبتدأ؛ أي ما جنة بصاحبهم، وقيل: ما: (استفهامية): مبتدأ، والخبر: ﴿بِصَاحِبِهِم﴾؛ أي شيء استقر بصاحبهم من الجنون، وجملة ﴿مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾ في محل نصب مفعول به لفعل التفكر بعد إسقاط الخافض؛ لأن التفكر من أفعال القلوب فيجوز تعليقه، وهذا هو اختيار أبي حيان في البحر ٤/ ٤٣١، والسمين في الدر ٥/ ٥٢٥، قال أبو حيان ٤/ ٤٣٢: «هذا هو الظاهر، وفي الآية تخريجات ضعيفة ينبغي أن ينزه القرآن عنها وتفكر مما يثبت في اللسان تعليقه، فلا ينبغي أن يعدل عنه» اهـ.
وانظر: غرائب الكرماني ١/ ٤٢٩، والتبيان ٣٩٦، والفريد ٢/ ٣٨٨، والجدول في إعراب القرآن ٩/ ١٢١.

(٤) انظر: مجاز القرآن ١/ ٢٣٤، وغريب القرآن لليزيدي ١٥٤، وتفسير غريب القرآن ١٨٣، وتهذيب اللغة ١/ ٦٧١، والصحاح (جن) ٥/ ٢٠٩٣.

قال الحسن[١] وقتادة[٢] : «إن نبي الله ﷺ قام ليلاً على الصَّفا يدعو قريشاً فخذاً فخذاً[٣] ، فيقول : «يا بني فلان يا بني فلان»[٤] ؛ يحذرهم بأس الله وعقابه ، فقال قائلهم : إنّ[٥] صاحبكم هذا لمجنون بات يصوّت حتى الصباح ، فأنزل الله تعالى هذا الآية» ، وحثّهم على التفكر في أمر الرسول ؛ ليعلموا أنه إنما دعا للإنذار لا لما نسبه إليه الجهّال .

١٨٥. قوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية . قال أهل المعاني : «حثّهم الله على النظر المؤدي إلى العلم ، فقال : ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ؛ ليستدلوا على أن لها صانعاً مدبراً دبرها على ما أراد»[٦] ، قال الزَّجّاج : «والمعنى : ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ﴾ في ما دلهم الله به على توحيده»[٧] ، ومضى الكلام في معنى[٨] ﴿مَلَكُوتِ

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٧٨ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٩٦ ، والرازي ١٥/ ٧٥ ، والبحر ٤/ ٤٣١ عن الحسن وقتادة ، وذكره الخازن ٢/ ٣٢١ عن المفسرين .

(٢) أخرجه الطبري ٩/ ١٣٦ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٢٤ بسند جيد عن قتادة مرسلاً .
وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٢٧٣ ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ عن قتادة ، وذكره الثعلبي ٦/ ٢٦ ب ، والبغوي ٣/ ٣٠٩ ، والكشاف ٢/ ١٣٣ عن قتادة ، وقال ابن حجر في الكافي الشافي ٦٦٩ : «أخرجه الطبري بإسناد صحيح إلى قتادة» اهـ .
وقد أخرج الطبري ١٩/ ١١٨ـ١٢٣ من طرق جيدة عدة نحوه عن جماعة ، منه الصحابة ، وعن قتادة والحسن وغيرهما من دون ذكر الآية ، وذلك عندما نزل عليه قوله تعالى : ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء ٢١٤] ، وانظر : الدر المنثور ٣/ ٢٧٣ .

(٣) فخذ الرجل : نفرة من حيه الذين هم أقرب عشيرته إليه ، فهو فرقة من الجماعات ، أولها الشعب ثم القبيلة ثم الفصيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ، انظر : اللسان (فخذ) ٦/ ٣٣٦٠ .

(٤) لفظ : (يا بني فلان) ساقط من (أ) .

(٥) لفظ : (إن) ساقط من (ب) .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٩/ ١٣٦ ، والبغوي ٣/ ٣٠٩ ، وابن عطية ٦/ ١٦٢ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٩٦ ، والرازي ١٥/ ٧٦ ، والقرطبي ٧/ ٣٣٠ .

(٧) معاني الزَّجّاج ٢/ ٣٩٢ .

(٨) لفظ : (معنى) ساقط من (أ) .

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ في سورة الأنعام . وقوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ ﴾ ؛ أي وفي ما خلق الله من الأشياء كلها ، قال ابن عباس : «يريد : من جليل وصغير»[(١)] .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡ ﴾ ؛ أي وفي (أن) لعل آجالهم قريبة ، فيهلكوا على الكفر ويصيروا إلى النار . و(أن) في[(٢)] ﴿ وَأَنۡ عَسَىٰٓ ﴾ بمعنى : أنه ، فهو مخفف[(٣)] من الثقيل كقول الأعشى[(٤)] :

. . . . . . . . . . . . قد علموا      أن هالك . . . . . . . . . . . . .

أي إنه هالك ، وقد بينًا ذلك في مواضع .

قال الزَّجَّاج : «أي إن[(٥)] كانوا يسوِّفون بالتوبة فعسى ﴿ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡ ﴾»[(٦)] : قال ابن عباس : «يريد : قتلهم يوم بدر ، ويوم أحد»[(٧)] .

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٧٨ ، وانظر : أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٨١٦ .

(٢) في (ب) : (وإن في عسى أن) ، وهو تحريف .

(٣) هذا هو الظاهر ، فأن : مخففة من الثقيلة ، واسمها ضمير الشأن ، وجملة : ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ ﴾ خبرها ، وهذا اختيار أبي حيان في البحر ٤/ ٤٣٢ ، والسمين في الدر ٥/ ٥٢٦ ، وانظر : التبيان ٣٩٧ ، والفريد ٢/ ٣٨٩ .

(٤) ديوانه ١٤٧ ، والبيت :

في فتيةٍ كسيوفِ الهندِ قــدْ علمُــوا      أنْ هــالــكٌ كــلُّ مــنْ يحفَــى وينتعِلُ

هذه رواية النحاة . أما الديوان ففيه :

أنْ ليسَ يدفعُ عن ذي الحيلةِ الحيلُ

وقد سبق تخريجه والكلام عليه .

(٥) في (أ) : (أي إذ كانوا) ، وهو تحريف .

(٦) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٩٢ .

(٧) ذكره القرطبي ٧/ ٣٣٤ ، وهو قول مقاتل في تفسيره ٢/ ٧٨ .

وقولــه تعالى : ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ﴾ . قال : «يريد : فبأيِّ[١] قرآن غير ما جاء به محمد يصدقون»[٢] ، وقال أهل المعاني : «هذا دليل على أن محمداً خاتم الرسل ، وأنّ الوحي ينقطع بعد القرآن»[٣] .

١٨٦. قوله تعالى : ﴿ مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ ﴾ ، قال المفسرون : «ذكر علة إعراضهم عن الإيمان والقرآن ، وهو إضلال الله إياهم»[٤] .

وقوله تعالى : ﴿ وَنَذَرُهُمۡ ﴾ رَفْعٌ بالاستئناف ، وهو مقطوع مما قبله[٥] .

وقرأ[٦] أبو عمرو بالياء لتقدم اســم الله[٧] ســبحانه ، وقرأ حمزة والكسائي بالياء والجزم ، ووجه ذلك في ما يقول ســيبويه[٨] : «إنه عطف على موضع الفاء ومــا بعدها من قولــه : ﴿ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ ﴾ ؛ لأن موضع الفاء مــع ما بعدها جزم

---

(١) في (ب) : (يريد فبغير قرآن) .

(٢) انظر : تنوير المقباس ٢/ ١٤٥ ، وذكره الواحدي ٢/ ٢٧٩ ، والبغوي ٣/ ٣٠٩ ، والقرطبي ٧/ ٣٣٤ بلا نسبة .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٩/ ١٣٦ ، والسمرقندي ١/ ٥٨٦ ، والبغوي ٣/ ٣٠٩ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٩/ ١٣٧ ، والثعلبي ٦/ ٢٧ أ ، والبغوي ٣/ ٣٠٩ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٩٦ ، والقرطبي ٧/ ٣٣٤ ، والخازن ٢/ ٣٢١ .

(٥) هذا على قراءة الرفع ، أما الجزم فلا يوقف على ما قبله ، ولا يبتدأ به ؛ لأنه معطوف على موضع الفاء ، وما بعدها من قوله : ﴿ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ ﴾ فلا يقطع من ذلك ، أفاده الداني في المكتفى ٢٨١ ، وانظر : الإيضاح لابن الأنباري ٢/ ٦٧٢ ، والقطع والائتناف ٢٦٧ ، والتذكرة لابن غلبون ٢/ ٤٢٩ .

(٦) قرأ عاصم وأبو عمرو : ﴿ وَيَذَرُهُمۡ ﴾ بالياء ورفع الراء ، وقرأ حمزة والكسائي بالياء وجزم الراء ، وقرأ الباقون بالنون ورفع الراء ، انظر : السبعة ١٩٨ ، والمبسوط ١٨٧ ، والتذكرة ٢/ ٤٢٩ ، والتيسير ١١٥ ، والنشر ٢/ ٢٧٣ .

(٧) أي قراءة الياء على الغيبة لتقدم اسم الله تعالى ، وهو على لفظ الغيبة ، كما في الحجة لأبي علي ٤/ ١٠٩ ، وانظر : معاني الزَّجّاج ٢/ ٣٩٣ ، وإعراب النحاس ١/ ٦٥٤ .

(٨) الكتاب ٣/ ٩٠ ، وفيه ذكر قراءة الجزم ، وقال : «وذلك لأنه حمل الفعل على موضع الكلام ؛ لأن هذا الكلام في موضع يكون جواباً ؛ لأن أصل الجزاء : الفعل ، وفيه تعمل حروف الجزاء ، ولكنهم قد يضعون في موضع الجزاء غيره» اهـ .

بجواب الشرط» . فحمل ﴿وَيَذَرُهُمْ﴾ على الموضـع ، والموضع جزم ، كقول أبي دواد[(١)] :

فـأبلـونـي بليَّتكـم[(٢)] لعـلِّي أصالحُكُـمْ وأستـدرجْ نويًّا[(٣)]

حمل (أستـدرجْ) على موضع الفاء المحذوفة من قوله : (فلعلي أصالحكم) ، والموضع جزم ، والحمل على الموضع كثير[(٤)] .

---

(١) أبو دواد الإيادي : جارية بن الحجاج ، شاعر جاهلي قديم ، يضرب به المثل في الجود والإجارة ، وأكثر أشعاره في المدح والفخر وأوصاف الخيل ، انظر : الشعر والشعراء ١٤٠ ، والأغاني ١٦/ ٤٠٢ ، والأعلام ٢/ ١٠٦ .

(٢) في (ب) : (بلوتكم) .

(٣) ديوانه ٣٥٠ ، والعسكريات ١١٥ ، والعضديات ١٢٠ ، والخصائص ١/ ١٧٦ ، وسر صناعة الإعراب ٢/ ٧٠١ ، وتفسير ابن عطية ٦/ ١٦٤ ، وشرح شواهد المغني ٢/ ٨٣٩ ، وبلا نسبة في معاني الفرَّاء ١/ ٨٨ ، ٣/ ١٦٨ ، وتأويل مشكل القرآن ٥٦ ، وإعراب النحاس ٣/ ٤٣٩ ، والخصائص ٢/ ٤٢٤ ، والأمالي لابن الشجري ١/ ٤٢٨ ، والبيان ١/ ٣٨٠ ، واللسان (علل) ٥/ ٣٠٨٢ ، ومغني اللبيب ٤٨٦ ، رقم الشاهد ٦٧٠ ، والدر المصون ٥/ ٥٢٨ ، ونسبه ابن هشام في المغني ٢/ ٤٧٧ للهذلي ، والبيت قاله في قوم جاورهم ، فأساؤوا جواره ، يقول : أحسنوا لعلي أرجع إلى جواركم ، وقوله : فأبلوني ؛ أي اصنعوا بي جميلاً ، وأستدرج ؛ أي أرجع أدراجي من حيث أتيت ، ونويا : يريد : نواي ، وهي النية ، والمراد : الوجه الذي يقصده ، والشاهد : وأستدرج ، فقد جزم على المعنى على تقدير جزم أصالحكم .

(٤) ما تقدم قول أبي علي في الحجة ٤/ ١٠٩ ، ١١٠ ، وأكثرهم على أنه جزم عطف على محل قوله : ﴿فَلَا هَادِيَ لَهُۥ﴾ . وقيل : إنه سكون تخفيف لتوالي الحركات .

انظر : معاني القراءات ١/ ٤٣١ ، وإعراب القراءات ١/ ٢١٦ ، والحجة لابن خالويه ١٦٧ ، ولابن زنجلة ٣٠٣ ، والكشف ١/ ٤٨٥ ، والبحر ٤/ ٤٣٣ ، والدر المصون ٥/ ٥٢٨ .

١٨٧. قولــه تعــالى : ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ . قال ابن عبــاس : «إن قوماً مــن اليهود قالوا : يا محمد أخبرنا عن الســاعة ، متى تكــون إن كنت نبياً ؟»[(١)] ، وقال الحســن[(٢)] وقتادة[(٣)] : «هم قريش ، لمحمد ﷺ : أسرَّ إلينا متى الساعة ؟» .

وقوله تعالى : ﴿عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ . قال عطاء عن ابن عباس : «يريد التي لا بعدها ساعة»[(٤)] .

وقال الزَّجَّاج[(٥)] : «الســاعة[(٦)] هاهنا الساعة التي يموت فيها الخلق» ، وقد ذكرنا في ما تقدم معنى الســاعة ، وقوله تعالى : ﴿أَيَّانَ﴾ معناه : الاستفهام[(٧)] عن

---

(١) أخرجه الطبري ٩/ ١٣٧ بسند لا بأس به ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٢٧٤ ، وزاد نسبته إلى ابن إسحاق وأبي الشيخ ، وذكره الثعلبي ٦/ ١٧أ ، والماوردي ٢/ ١٨٧ ، وابن عطية ٦/ ١٦٥ ، ١٦٦ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٩٧ ، والرازي ١٥/ ٨٠ ، والخازن ٢/ ٣٢١ عن ابن عباس ، وهو في سيرة ابن هشام ٢/ ١٩٨ ، ١٩٩ بلا نسبة .

(٢) ذكره الماوردي ٢/ ١٨٧ ، والواحدي في الوسيط ٢/ ٢٨٠ ، والرازي ١٥/ ٨٠ عن الحسن وقتادة .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٩/ ١٣٧ ، ١٣٨ بسند جيد ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٢٧٤ ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد ، وذكره أكثرهم ، واختار الطبري ٩/ ١٣٨ عدم التخصيص ، ولا يبعد حصول السؤال من الجميع ، أو أن اليهود أمروا قريشاً أن تسأل عن ذلك ، والله أعلم .

(٤) انظر : تنوير المقباس ٢/ ١٤٥ .

(٥) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٢٩٣ ، وانظر : إعراب النحاس ١/ ٦٥٤ .

(٦) لفظ : (الساعة) ساقط من (ب) .

(٧) انظر : الكتاب ٤/ ٢٣٥ ، وتأويل مشكل القرآن ٥٢٢ ، وحروف المعاني للزَّجَّاجي ١٢ ، ونزهة القلوب ٧٤ ، وتهذيب اللغة (أيان) ١/ ٢٤٣ ، والمحتسب١/ ٢٦٨ ، والصحاح (أين) ٥/ ٢٠٧٦ ، والصاحبي٢٠١ ، وقال أبو حيان في البحر ٤/ ٤١٩ ، والسمين في الدر ٥/ ٥٢٩ : «أيان ظرف زمان مبني لا يتصرف ، ويليه المبتدأ أو الفعل المضارع دون الماضي ، وأكثر استعمالها في الاستفهام ، وقد تأتي شرطية جازمة لفعلين ، وذلك قليل فيها» .
قال أبو حيان (وهي عندي حرف بسيط لا مركب ، وجامد لا مشتق) .
وقال السمين «الفصيح فتح همزتها ، وهي قراءة العامة ، وقرئ بكسرها ، وهي لغة سليم» اهـ .
وانظر : الإتقان للسيوطي ١/ ٢١٤ .

الوقت الذي لم يجئ ، وهو سؤال عن الزمان[١] على جهة الظرف للفعل كقول الراجز[٢] :

أَيَّانَ تقضي حاجتِي أيَّانا

أي متى أوان قضائها .

وقوله تعالى : ﴿مُرْسَىٰهَا﴾ . المرسى : مفعل من الإرساء وهو الإثبات ، يقال : رسا[٣] الشيء يرسو إذا ثبت وأرساه غيره ، قال الله تعالى : ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾ [النازعات : ٣٢] .

والمرسى[٤] هاهنا مصدر بمعنى : الإرساء كقوله : ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ [هود : ٤١] ؛ أي إجراؤها وإرساؤها[٥] ، فمعنى ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ متى يقع إثباتها ؟ ، قال قتادة[٦] والسدي[٧] : «﴿مُرْسَىٰهَا﴾ قيامها» ، وهو معنى وليس تفسيراً .

---

(١) في (ب) : «وهو سؤال عن السؤال على جهة الظرف» ، وهو تحريف .

(٢) لم أقف على قائله ، وهو في : مجاز القرآن ١/ ٢٣٤ ، وتفسير الطبري ٩/ ١٣٨ ، والثعلبي ٦/ ٢٧ب ، والماوردي ٢/ ٢٨٤ ، وابن عطية ٦/ ١٦٦ ، والفريد للهمداني ٢/ ٣٩٠ ، والقرطبي ٧/ ٣٣٥ ، واللسان (أبن) ١٣/ ٤ ، والبحر ٤/ ٤١٩ ، والدر المصون ٥/ ٥٢٩ ، وتمامه :

أَمَا ترَى لِنَجْحِها إبَّانَا

وإبان كل شيء بالكسر والتشديد : وقته وحينه الذي يكون فيه . انظر : اللسان (أبن) ١/ ١٢ .

(٣) في (ب) : (رسى) .

(٤) في (ب) : (والمرسا) .

(٥) انظر : العين ٧/ ٢٩٠ ، وتهذيب اللغة ٢/ ١٤٠٣ ، والصحاح ٦/ ٢٣٥٦ ، والمجمل ٢/ ٣٧٧ ، ومقاييس اللغة ٢/ ٣٩٤ ، والمفردات ٣٥٤ ، واللسان (رسا) ٣/ ١٦٤٧ .

(٦) أخرجه الطبري ٩/ ١٣٨ بسند جيد عن قتادة ، وذكره النحاس في معانيه ٣/ ١١٠ ، والثعلبي ٦/ ٢٧ب ، والبغوي ٣/ ٣٠٩ عن قتادة .

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٢٦ بسند جيد عن السدي ، وذكره الماوردي ٢/ ٢٨٤ ، وهو قول الطبري ٩/ ١٣٨ ، والسمرقندي ١/ ٥٨٧ .

وقال الزَّجَّاج : «متى وقوعها»[1] .

وقال ابن قتيبة : «متى ثبوتها»[2] ؛ وذلك أنها إذا أثبتت وقعت وثبّتت[3] .

وقوله تعالى : ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ ؛ أي العلم بوقتها و[4] وقوعها ، وهذا من باب إضافة المصدر[5] إلى المفعول ، والمعنى : أنه مستأثر بذلك العلم فلا يعلمها إلا هو ، قال أهل المعاني : «والمعنى في إخفاء أمر الساعة وعلمها عن العباد أنهم إذا لم يعلموا متى تكون كانوا على حذر منها ، فيكون ذلك أدعى إلى الطاعة ، وأزجر عن المعصية»[6] .

وقوله تعالى : ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ .

(١) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٢٩٣ ، وهو قول اليزيدي في غريب القرآن ١٥٤ ، والنحاس في إعرابه ١/ ٦٥٤ .

(٢) تفسير غريب القرآن ١/ ١٨٣ ، وهو قول مكي في تفسير مشكل القرآن ٨٨ ، وانظر : مجاز القرآن ١/ ٢٣٤ .

(٣) المعاني متقاربة ، وقد أخرج الطبري ٩/ ١٣٨ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٢٦ من طرق جيدة عن ابن عباس قال : «منتهاها» ، قال الطبري «وهو قريب من معنى من قال : قيامها ؛ لأن انتهاءها بلوغها وقتها ، وأصل ذلك الحبس والوقوف» اهـ .

(٤) لفظ : (الواو) ساقط من (ب) .

(٥) انظر : التبيان ١/ ٣٩٧ ، والفريد ٢/ ٣٩١ ، والدر المصون ٥/ ٥٣٠ .

(٦) ذكره والرازي ١٥/ ٨٠ ، ٨١ ، والخازن ٢/ ٣٢٢ عن المحققين .

قال الزَّجَّاج[(١)] وابن مسلم[(٢)]: «لا يظهرها في وقتها إلا هو»، وهو معنى قول مجاهد[(٣)]: «لا يأتي بها إلا هــو»، وقال المبرِّد: «لا يقيمها عند وقتها إلا هو»[(٤)]، نظيره قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ [النجم: ٥٨]. والتجلية[(٥)]: إظهار الشيء، والتجلّي: ظهوره، وقد مرَّ.

وقوله تعالى: ﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾. قال ابن عباس[(٦)]: «يريد: ثقلت على أهل الســموات وأهل الأرض»[(٧)]، يريد: كلهم خائفون من الله، المحسن والمسيء، وهذا معنى قول الحســن[(٨)]، يقول: «إذا جاءت ثقلت على السموات والأرض وأهلهــا[(٩)]؛ أي كبرت وعظمت لما فيها من انتشــار النجوم، وتكوير الشمس، وتسيير الجبال».

---

(١) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٩٣.

(٢) تفسير غريب القرآن ١٨٤، وهو قول أكثرهم.
انظر: مجاز القرآن ١/ ٢٣٥، وغريب القرآن ١٥٥، وتفسير الطبري ٩/ ١٣٨، ونزهة القلوب ٤٧٩، ومعاني النحاس ٣/ ١١٠، وتفسير المشكل ٨٨.

(٣) تفسير مجاهد ١/ ٢٥٢، وأخرجه الطبري ٩/ ١٣٨، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٢٧ من طرق جيدة، وأخرج الطبري بسند جيد عن قتادة والسدي نحوه.

(٤) لم أقف عليه، وانظر: الكامل للمبرِّد ١/ ٤٤٢ و٢/ ٤٩٦، ١٠٥٢.

(٥) انظر: تهذيب اللغة ١/ ٦٢٥، والصحاح ٦/ ٢٣٠٣، ومقاييس اللغة (جلا) ١/ ٤٦٨.

(٦) أخرج أبو عبيد في كتاب: اللغات ١٠٧، وابن حسنون ٢٦ بسند جيد عن ابن عباس قال: «﴿ثَقُلَتْ﴾: خفيت بلغة قريش» اهـ.

(٧) تنوير المقباس ٢/ ١٤٥، وذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٨١، وابن الجوزي ٣/ ٢٩٨، وأخرج ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٢٧ بسند ضعيف عن ابن عباس في الآية، قال: «ليس شيء من الخلق إلا يصيبه من ضرر يوم القيامة» اهـ. وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٢٧٤.

(٨) أخرجه عبدالرزاق ١/ ٢/ ٢٤٥، والطبري ٩/ ١٣٩، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٢٧ بسند ضعيف، وذكره هود الهواري ٢/ ٦٣، والثعلبي ٦/ ٢٧ب، والماوردي ٢/ ٢٨٥، والبغوي ٣/ ٣١٠، وابن عطية ٦/ ١٦٧، والرازي ١٥/ ٨١.

(٩) في (ب): (وأهلها).

ونحو من ذلك قال ابن جريج(١)، وقتادة والكلبي(٢): «ثقل علمها على أهل السموات وأهل(٣) الأرض(٤)، فلم يطيقوا إدراكاً لها»(٥)، وهو قول السدي(٦)، واختيار الفرَّاء وابن قتيبة.

[قال الفرَّاء: «ثقل علمها على أهل الأرض والسماء أن يعلموه»(٧).

وقال(٨) ابـن قتيبة: «أي](٩): خفي علمها على أهل السـموات والأرض، وإذا خفي الشيء ثقل»(١٠)، وذكر أبو إسحاق القولين جميعاً، فقال: «قال بعض القوم: ثقل علمها على أهل السـموات(١١) والأرض، وقال قوم: ثقل وقوعها على أهل السـموات والأرض، ثم أعلم الله -عز وجل- كيف وقوعها، فقال:

---

(١) أخرجه الطبري ٩/ ١٣٩ بسند جيد عن ابن جريج، وقتادة، والسدي، وذكره ابن عطية ٦/ ١٦٧، وابن الجوزي ٣/ ٢٩٨، والقرطبي ٧/ ٣٣٥ عن ابن جريج، وقتادة، والسدي، وذكره الماوردي ٢/ ٢٨٥ عن ابن جريج والسدي.

(٢) أخرجه عبدالرزاق ١/ ٢/ ٢٤٤، بسند جيد عن قتادة والكلبي، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢/ ٢٨٥، بسند جيد عن قتادة.

(٣) لفظ: (أهل) ساقط من (ب).

(٤) في (ب) جاء بعد قوله: (والأرض) تكرار قوله: «وأهلها أي كبرت وعظمت . . . والأرض».

(٥) إدراكاً لها؛ أي تحديد وقتها، وأصل الإدراك اللحوق، وأدرك الشيء؛ أي بلغ وقته، انظر: اللسان (درك) ٣/ ١٣٦٣.

(٦) أخرجه الطبري ٩/ ١٣٩، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٢٧ بسند جيد، وذكره والرازي ١٥/ ٨١.

(٧) معاني الفرَّاء ١/ ٣٩٩، وهو قول ابن الأنباري في الإيضاح ٢/ ٦٧٣.

(٨) في (أ): (فقال).

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(١٠) تفسير غريب القرآن ١٨٤، وهو قول أكثرهم، انظر: مجاز القرآن ١/ ٢٣٥، ونزهة القلوب ١٨٤، ومعاني النحاس ٣/ ١١١، وتفسير المشكل ٨٨، والظاهر أن الأقوال متقاربة، والمعنى: ثقل علمها على أهل السماء والأرض، وعظم شأنها، وثقل وقوعها، والعرب تقول لكل شيء عظيم أو نفيس أو خطير: ثقيل، انظر: تهذيب اللغة (ثقل) ١/ ٤٩٠.

(١١) في (ب) خلط، فجاء: «على أهل الأرض والسماء أن يعلموه، وقال ابن قتيبة أي على أهل السموات والأرض، وقال قوم . . . .».

﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ ؛ أي فجـأة»[١] عـلى غفلـة منكم ، وذلك أشـدُّ لها ، كما قال[٢] :

وأفظعُ شيءٍ حينَ يفجؤكَ[٣] البغتُ

و[٤] قوله تعالى : ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ . قال الفرَّاء[٥] : «جاء في التفسير عن ابن عباس[٦] ، كأنك حفيٌّ بهم إذا سـألوك ، حين يسألونك عنها ؛ أي فرح بهم» . فعلى هذا التقدير : يسألونك عنها كأنك حفيٌّ بهم ؛ أي بارٌّ بهم لطيف .

---

(١) لم يذكر الزَّجَّاج في معانيه ٢/ ٢٩٣ ، إلا القول الثاني مع أنه قال : «قيل : فيه قولان ، قال قوم : ثقل وقوعها . . . .» .

(٢) الشاهد ليزيد بن ضبة الثقفي في مجاز القرآن ١/ ١٩٣ ، والكامل للمبرِّد ١/ ١٥١ ، واللسان (بغت) ١/ ٣١٧ ، وعمدة الحفاظ ٥٦ ، وبلا نسبة في العين ٤/ ٣٩٧ ، والجمهرة ١/ ٢٥٥ ، ٢/ ١٠٤٣ ، والزاهر ٢/ ٦ ، والبارع ٣٥٦ ، وتهذيب اللغة ١/ ٣٦٤ ، والصحاح ١/ ٢٤٣ ، والمجمل ١/ ١٣٠ ، ومقاييس اللغة (بغت) ١/ ٢٧٢ ، وتفسير الماوردي ٢/ ٢٨٥ ، وأوله : ولكنَّهُمْ بانوا ولمْ أدرِ بغتةً .

(٣) في النسخ : (يفجأك) ، وهو خلاف ما في المراجع .

(٤) لفظ : (الواو) ساقط من (ب) .

(٥) لم أقف عليه ، وفي معاني الفرَّاء ١/ ٣٩٩ ، قال : «﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ مقدم ومؤخر ، ومعناه : يسألونك عنها كأنك حفي بها ، ويقال في التفسير كأنك حفي ؛ أي كأنك عالم بها» اهـ .
وقال أبو علي الفارسي في البصريات ١/ ٤٦٥ : «﴿حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ ؛ أي عالم بها» اهـ .

(٦) أخرج الطبري ٩/ ١٤٠ ، ١٤١ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٢٨ بسند جيد عن ابن عباس قال : «أي كأنك يعجبك سؤالهم إياك : ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾» اهـ . وأخرجا عنه بسند ضعيف قال : «أي كأنك بينك وبينهم مودة ، كأنك صديق لهم» اهـ . وأخرج الطبري بسند ضعيف عنها ، قال : «أي قريب منهم ، وتحفى عليهم» اهـ .
وقال اليزيدي في غريب القرآن ١٥٥ : «أي عالم بها ، والمعنى : يسألونك كأنك تحفي . وجاء عن ابن عباس أنه قال : كأنك حفي بهم ؛ أي فرح بهم حين يسألونك . ويقال للقاضي والحاكم : الحافي ، وقد تحفينا إلى فلان إذا تحاكمنا» اهـ .

قال ابن الأعرابي: «يقال: حَفِي بي حفاوة، وتحفى بي تحفياً، والتحفي: الكلام واللقاء الحسن»[١]، ومنه قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٧]؛ أي باراً لطيفاً يجيب[٢] دعائي إذا دعوته، وهو[٣] قول الحسن[٤] وقتادة[٥] والسدي[٦]، ويؤيد هذا القول ما روي في التفسير: «إنّ قريشاً قالت لمحمد: إنّ بيننا وبينك قرابة، فأسر إلينا متى الساعة؟ فقال الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ﴾»[٧]؛ أي كأنّك صديق لهم، بارٌّ بهم، فهم يدلون إليك بالقرابة في طلب علم الساعة، يعني: أنك لا تكون حفيّاً بهم ما داموا على كفرهم، وقال[٨] في رواية عطاء: «﴿كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا﴾، يريد: خابرٌ بأمرها»[٩]. وهو قول مجاهد[١٠]، والضحاك وابن زيد[١١] ومعمر[١٢] قالوا:

---

(١) تهذيب اللغة ١/ ٨٥٩، وانظر: العين ٣/ ٣٠٥، ومجالس ثعلب ٣٥٠، والمنجد لكراع ١١٧، الجمهرة ١/ ٥٥٧، والصحاح ٦/ ٢٣١٦، والمجمل ١/ ٢٤٣، ومقاييس اللغة ٢/ ٨٣، والمفردات ٢٤٥، واللسان (حفا) ٢/ ٩٣٥.

(٢) في (ب): (ويجيب).

(٣) في (ب): (وهذا).

(٤) ذكره هود الهواري ٢/ ٦٣، والرازي ١٥/ ٨٢.

(٥) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢٤٥ بسند جيد، وذكره ابن عطية ٦/ ١٦٧، والرازي ١٥/ ٨٢.

(٦) أخرجه الطبري ٩/ ١٤١ بسند جيد، وذكره والرازي ١٥/ ٨٢.

(٧) أخرجه عبدالرزاق ١/ ٢/ ٢٤٥، والطبري ٩/ ١٤٠، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٢٨ من طرق جيدة عن قتادة، وهو مرسل.

(٨) يعني ابن عباس بعد ذكر رواية الفرَّاء عنه.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٢٨ بسند ضعيف، وأخرج ابن حسون في كتاب اللغات ٣٤، والوزان ٦أ بسند جيد عنه، قال: «عالم بلغة قريش» اهـ.

(١٠) تفسير مجاهد ١/ ٢٥١، ٢٥٢، وأخرجه الطبري ٩/ ١٤١٦، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٢٨ من طرق جيدة، وفي رواية عند الطبري قال: «حفي بهم حين يسألونك»، وفي رواية «استحفيت عنها السؤال حتى علمتها»، وصحح هذه الرواية ابن كثير في تفسيره ٢/ ٣٠١، وجاء في رواية عند ابن أبي حاتم قال: «حفي بهم تشتهي أن يسألونك عنها».

(١١) أخرجه الطبري ٩/ ١٤١ من طرق جيدة عن الضحاك وابن زيد، وذكره الثعلبي ٦/ ٢٨أ عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والضحاك.

(١٢) أخرجه الطبري ٩/ ١٤١ بسند جيد عن معمر بن راشد الأزدي عن بعضهم، ولعله الكلبي كما =

«معناه : كأنك عالم بها» . واختاره ابن قتيبة ، وعلى هذا القول ﴿ حَفِيٌّ ﴾ فعيل من الإحفاء ، وهو الإلحاح والإلحاف في السؤال ، ومن أكثر[1] السؤال والبحث عن الشيء علمه ، فحقيقة معنى ﴿حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ [كأنك أكثرت المسألة ، قال ابن قتيبة : ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾][2] ؛ «أي معنـيٌّ بطلـب علمهـا ، ومنه يقـال : تحفى فلان بالقوم»[3] .

وقال أبو عبيدة : «هو[4] من قولهم : تحفى فلان بالمسألة ؛ أي استقصى»[5] .

وقال ابن الأنباري : «﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ ؛ أي سؤول عنها ، والحفيُّ : الشديد السؤال ، ومن ذلك قول الأعشى[6] :

فـإنْ تَسْأَلِـي عنِّي فيـا رُبَّ ســائـلٍ ... حَفِيٍّ عنِ الأعشى بهِ حيثُ أصْعَدَا»[7]

---

= أخرجه عبدالرزاق ١/ ٢/ ٢٤٥ عن معمر عن الكلبي ، وذكره الماوردي ٢/ ٢٨٥ ، عن مجاهد والضحاك وابن زيد ومعمر .

(١) في (ب) : (ومن كبر) ، وهو تحريف .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٣) تفسير غريب القرآن ١٨٤ ، ومثله قال السجستاني في نزهة القلوب ٢٠٣ ، ومكي في تفسير المشكل ٨٨ .

(٤) في (أ) : (وهو) .

(٥) تفسير والرازي ١٥/ ٨٢ ، وفي مجاز القرآن ١/ ٢٣٥ قال : «أي حفي بها ، ومنه قولهم : تحفيت به في المسألة» اهـ .

(٦) ديوان الأعشى الكبير ١٠١ ، والعين ٣/ ٣٠٦ ، وتهذيب اللغة ١/ ٨٥٩ ، والصحاح ٦/ ٢٣١٦ ، والمجمل ١/ ٢٤٣ ، ومقاييس اللغة ٢/ ٨٣ ، والفريد ٢/ ٣٩٢ ، وتفسير القرطبي ٧/ ٣٣٦ ، واللسان (حفا) ٢/ ٩٣٥ ، ٩٣٦ ، والدر المصون ٥/ ٥٣٢ ، وحفي ؛ أي سأل عن حاله ، وبالغ في إكرامه والتلطف به ، وأصعد ؛ أي ذهب في البلاد .

(٧) شرح القصائد ٤٤٧ ، والزاهر ١/ ٣٤٨ ، وتهذيب اللغة ١/ ٨٥٩ ، قال في شرح القصائد «أي كأنك معني بها مستقصٍ في السؤال عنها» .

وذكر أبو إسحاق القولين وقرب بينهما فقال : «﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ﴾ ؛ أي كأنك فرح بسؤالهم ، يقال : قد تحفيت بفلان في المسألة[(١)] إذا سألت عنه سؤالاً أظهرت فيه المحبة والبر ، قال : وأحفى فلان بفلان في المسألة ، فإنما تأويله : الكثرة ، قال : وقيل : ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ كأنك أكثرت المسألة عنها»[(٢)] ، فالقولان راجعان إلى كثرة السؤال ؛ لأنّ العالم بالشيء هو الذي أكثر السؤال عنه حتى تيقنه ، واللطيف البارّ بالإنسان بكثير[(٣)] السؤال عنه وعن أحواله[(٤)] .

فأمّا قوله : ﴿حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ ، والحفاوة إنّما توصل بالباء ، كقوله : ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ [مريم : ٤٧] .

قال الفرّاء[(٥)] والزَّجّاج[(٦)] وابن الأنباري[(٧)] : «هو على التقديم والتأخير ؛ أي ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ عنها[(٨)] ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ﴾ (فعن) من صلة السؤال» ، وقال قوم[(٩)] :

---

(١) في (ب) : (بالمسألة) .

(٢) معاني الزَّجّاج ٢/ ٣٩٣ ، ٣٩٤ .

(٣) في (ب) : (بكثرة) ، وهو تحريف .

(٤) والراجح ـ والله أعلم ـ أن المعنى : كأنك عالم بها ، وقد أخفى الله علمها على خلقه لأنه ظاهر الآية ، قال ابن كثير ٢/ ٣٠٢ : «هذا القول أرجح في المقام» اهـ .
وقال الشوكاني في تفسيره ٢/ ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، وصديق خان في فتح البيان ٥/ ٩٤ : «هذا هو معنى النظم القرآني على مقتضى المسلك العربي» اهـ .

(٥) معاني الفرّاء ١/ ٣٩٩ ، وهو قول الداني في المكتفى ٢٨٢ .

(٦) معاني الزَّجّاج ٢/ ٣٩٣ وهو قول النحاس في معانيه ٣/ ١١١ ، وانظر : القطع للنحاس ١/ ٢٦٨ .

(٧) الزاهر ١/ ٣٤٨ ، وهو قول اليزيدي في غريبه ١٥٥ ، والسجستاني في نزهة القلوب ٢٠٣ ، وحكاه النحاس في إعرابه ١/ ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، والثعلبي ٦/ ٢٨/أ عن أهل التفسير ، وقال السمين في الدر ٥/ ٥٣١ : «لا حاجة إلى التقديم والتأخير ؛ لأن هذه كلها متعلقات للفعل فجملة : ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ﴾ حال من مفعول ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ﴾ معترض ، وصلتها محذوفة ؛ أي حفي بها ، أو عن بمعنى : الباء ، ويضمن معنى شيء يتعدى بعن ؛ أي كأنك كاشف بحفاوتك عنها» اهـ . بتصرف .

(٨) في (ب) : (عنهما) ، وهو تحريف .

(٩) وهو قول الطبري ٩/ ١٤٢ ، وحكاه النحاس في إعرابه ١/ ٦٥٥ ، عن المبرِّد قال : «المعنى ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ﴾ بالمسألة عنها ؛ أي مُلح» اهـ .

«معنى ﴿حَفِيٌّ﴾ سؤول» كما ذكرنا، وإذا كان بمعنى السؤال صح أن يوصل (بعن)، كبيت[١] الأعشى.

وقال أبو علي الفارسي: «الآية تحتمل أمرين: أحدهما: أن تجعل ﴿عَنْهَا﴾ متعلقاً بالسؤال، كأنه ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ عنها ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ﴾ بها فحذف الجار والمجرور، وحسن ذلك لطول الكلام بِعَنْهَا التي من صلة السؤال، قال[٢]: ويجوز أن يكون ﴿عَنْهَا﴾ بمنزلة بها، وتصل الحفاوة مرة بالباء، ومرة بعن، كما أن السؤال يوصل بهما»[٣]، وذكرنا[٤] ذلك في قوله: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٩].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾. أعاد هذا لأنّ هذا الثاني وصل[٥] بقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي لا يعلمون أن علمها عند الله حين سألوا محمداً عما لم يطلعه[٦] الله عليه ولا أحداً من خلقه[٧]، وهذا معنى قول ابن عباس[٨].

---

(١) في (ب): (كقول).

(٢) هذا هو الثاني، وذكر الطبري ٩/ ١٤٠ـ١٤٢ مثله.

(٣) الحجة لأبي علي ٢/ ٢١٤، وانظر: غرائب الكرماني ١/ ٤٣٠، والتبيان ٣٩٧، والفريد ٢/ ٣٩١، والبحر ٤/ ٤٣٥.

(٤) انظر: البسيط، النسخة الأزهرية ١/ ٨٣أ.

(٥) في (أ): (واصل).

(٦) في (ب): (لم أطلعه عليه)، وهو تحريف.

(٧) في (ب): (خلقي)، وهو تحريف.

(٨) أخرجه الطبري ٩/ ١٤٢، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٢٩ بسند ضعيف عن ابن عباس في الآية، قال: «لما سأل الناس محمداً ﷺ عن الساعة، سألوه سؤال قوم، وكأنهم يرون أن محمداً حفي بهم، فأوحى الله إليه: إنما علمها عنده، استأثر بعلمها، فلم يُطلع عليها ملكاً ولا رسولاً» اهـ.
وكرر الجواب لتقرير الحكم، وتأكيده، وليعلم أن ذلك الجواب لا يرجى غيره، وأن الحصر في قوله: ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ حقيقي، ولما تضمنه قوله: ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ من الزيادة والإنكار، وقيل: السؤال الأول: عن وقت قيام الساعة، والثاني: عن مقدار شدتها ومهابتها. انظر: الكشاف ٢/ ١٣٤، ١٣٥، مع حاشية ابن المنير عليه، وابن عطية ٦/ ١٦٩، والرازي ١٥/ ٨٢، وابن عاشور ٩/ ٢٠٥، ٢٠٦.

١٨٨. قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي﴾ الآية. اختلفوا في وجه تفسير هذه الآية، فقال[١] مقاتل: «هذه الآية متصلة بما قبلها، ومعنى قوله: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا﴾ لا أملك أن أسوق إليها خيراً أو أدفع عنها سوءاً حين ينزل بي، فكيف أعلم وأملك علم الساعة»[٢].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾؛ أي إلا ما شاء الله أن يملكني إياه بالتمكين منه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ﴾؛ أي من معرفته حتى أجيب في كل ما أُسأل عنه من الغيب في الساعة وغيرها، وحتى لا يخفى علي شيء، وتم الكلام[٣] هاهنا. ثم قال: ﴿وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾؛ أي ليس بي جنون، وذلك لأنهم نسبوه إلى الجنون، كما ذكرنا في قوله: ﴿مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾[٤] [الأعراف: ١٨٤]، فقال: ﴿وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾.

---

(١) في (ب): (فقال مقال مقاتل هذه ....).

(٢) تفسير مقاتل ٢/ ٧٨، وذكره الثعلبي ٦/ ٢٨ب.

(٣) قال الداني في المكتفى ٢٨٢: «قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧] وقف تام وقوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ١٨٨] كافٍ. وقوله: ﴿وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ أكفى منه، وقوله: ﴿لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨] تام» اهـ. ونحوه قال ابن الأنباري في الإيضاح ٢/ ٦٧٣ والنحاس في القطع ١/ ٢٦٨، وذكر قول الواحدي الرازي في تفسيره ١٥/ ٨٤، ٨٥، وقال: «هذا عندي بعيد جداً، يوجب تفكيك نظم الآية» اهـ.

وقال أبو حيان في البحر ٤/ ٤٣٧: «هذا القول فيه تفكيك لنظم الكلام، واقتصار على أن يكون جواب لو: ﴿لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ﴾ [الأعراف: ١٨٨] فقط، وتقدير حصول علم الغيب يترتب عليه الأمران، لا أحدهما، فيكون إذ ذاك جواباً قاصراً» اهـ.

(٤) في (ب) كما ذكرنا في قوله: ﴿مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾، وهي الآية [٤٦] من سورة سبأ، وانظر: البسيط، النسخة الأزهرية ٤/ ١٧٠ب، سورة سبأ تفسير الآية [٤٦].

قال ابن عباس : «﴿نَذِيرٌ﴾ لمن لا يصدق بما جئت به ، ﴿بَشِيرٌ﴾ لمن اتبعني وآمن بي»(١) ، وعلى هذا فلم يذكر إحدى الطائفتين لدلالة الكلام عليه ، كقوله : ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل : ٨١] .

ويجوز أن يكون نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ للمؤمنين مخصوصاً هاهنا ، وإن كان بعث إلى الكافة بالتبشير والإنذار ؛ لأن نفع ذلك عاد إلى المؤمنين ، فاختصوا به واختص بهم ، كما قال : ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾(٢) [النازعات : ٤٥] . وقد مضى(٣) لهذا ما يشبهه(٤) من النظائر .

وقال ابن عباس : «إنّ أهل مكة قالوا : يا محمد ألا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل أن يغلو ، فتشتري(٥) لتربح عليه عند الغلاء ، وبالأرض التي تريد أن تجدب فترتحل(٦) منها ، فأنزل الله هذه الآية»(٧) .

فعلى هذا معنى قوله : ﴿لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا﴾ ؛ أي اجتلاب نفع بأن أربح ، ﴿وَلَا ضَرًّا﴾ ؛ أي دفع ضر بأن أرتحل عن الأرض التي تريد أن تجدب(٨) ، ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أن أملكه ، ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ ؛ أي ما يكون قبل أن يكون ،

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٨٢ ، وأخرج ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٣٠ بسند جيد عنه قال : «نذير من النار ومبشر بالجنة» اهـ .

(٢) في : (أ) : (إنما أنا منذر) ، وهو تحريف .

(٣) انظر : البسيط ، تفسير سورة البقرة الآية [١١٩] .

(٤) في (ب) : (ما يشبه) ، وهو تحريف .

(٥) في (ب) : (فنشتري من الرخيص لنربح عليه) .

(٦) في (ب) : (فيرتحل) .

(٧) ذكره الثعلبي ٦/ ٢٨ أ ، والبغوي ٣/ ٣١٠ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٩٩ ، والخازن ٢/ ٣٢٣ ، والبحر ٤/ ٤٣٥ ، ٤٣٦ عن ابن عباس ، وذكره السمرقندي ١/ ٥٨٧ ، والواحدي في الوسيط ٢/ ٢٨٢ ، وأسباب النزول ٢٣٢ عن الكلبي .

(٨) هذا قول الفرّاء في معانيه ٢/ ٤٠٠ ، ورواه ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٢٩ بسند ضعيف عن ابن عباس ، وذكره الماوردي ٢/ ٢٨٥ ، وقال : «هذا قول شاذ» اهـ .

﴿لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾ ؛ [أي لاحتجزت في زمـــان الخصب لزمن الجدب . ﴿وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ : وما أصابني الضر والفقر .

وقـــال ابـــن جريـــج[١] : «﴿لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ ، يعنـــي : الهدى والضلالـــة . ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ متـــى أمـــوت . ﴿لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾][٢] من العمل الصالح على حســـب علمي بـــه» ؛ أي إنَّ من يعلم الغيب إنما يعمل الأفضل لعلمه بعلوه على الأدون . ﴿وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ ؛ أي واجتنبت ما ســـيكون من الشر واتقيته . قاله ابن زيد[٣] وهذا مذهب الحسن[٤] والكلبي[٥] ، وقد حصل في تفســـير هذه الآية ثلاثة[٦] أوجه ، وفيها تكذيب للقدرية[٧] حيث جوَّزوا أن يستبد الإنسان بقدرة يجتلب بها المنافع ويدفع بها المضار .

---

(١) أخرجه الطبري ٩/ ١٤٢ بسند جيد ، وذكره الثعلبي ٦/ ٢٨أ ، والماوردي ٢/ ٢٨٥ ، والبغوي ٣/ ٣١١ ، والسيوطي في الدر ٣/ ٢٧٦ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٣) أخرجه الطبري ٩/ ١٤٣ ، وذكره الثعلبي ٦/ ٢٨ب ، والبغوي ٣/ ٣١١ ، والسيوطي في الدر ٣/ ٢٧٦ .

(٤) في (ب) : «الحسين» ، وهو تصحيف . وذكره الماوردي ٢/ ٢٨٦ ، وابن الجوزي ٣/ ٣٠٠ ، والقرطبي ٧/ ٣٣٧ عن الحسن البصري .

(٥) انظر : تنوير المقباس ٢/ ١٤٦ .

(٦) والظاهر العموم ، وعدم التعيين في النفع والضر والغيب ، وتحمل الأقوال على التمثيل لا الحصر ، وهذا هو اختيار الجمهور .
انظر : الطبري ١٤٢ ، ١٤٣ ، ومعاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٩٤ ، والنحاس ٣/ ١١٢ ، وإعراب النحاس ١/ ٦٥٥ ، وتفسير ابن عطية ٦/ ١٧٠ ، وابن الجوزي ٣/ ٢٩٩ ، والرازي ١٥/ ٨٣ ، ٨٤ ، والقرطبي ٧/ ٣٣٩ ، والبحر ٤/ ٤٣٧ .

(٧) انظر : تفسير والرازي ١٥/ ٨٣ ، ٨٤ .

١٨٩. و[١] قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾، قال ابن عباس[٢] والمفسرون[٣]: «يعني: آدم». ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ كما قال في سورة النساء: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١].

وقوله تعالى: ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾، قال ابن عباس: «يريد: ليأنس بها ويأوي إليها»[٤].

قال أهل المعاني: «والحكمة في أنّ الله تعالى خلق حواء من ضلع آدم هو أن يكون آدم إليها أميل، ولها آلف وأحب؛ إذ الشكل إلى شكله أحب[٥]، ولذلك كانت الأشياء تحن إلى أشكالها، وتهرب من أضدادها»[٦]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾. قال المفسرون[٧]: «جامعها»، قال أبو إسحاق: «كنى به عن الجماع

---

(١) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).

(٢) تنوير المقباس ٢/ ١٤٦، وذكره والرازي ١٥/ ٨٥، والسيوطي في الدر ٣/ ٢٧٨.

(٣) انظر: تفسير الطبري ٩/ ١٤٣، وأخرجه بسند جيد عن قتادة والسدي، وبسند ضعيف عن مجاهد، وأخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٣٠ بسند ضعيف عن الضحاك، وقال ابن أبي حاتم «وروي عن مجاهد وأبي مالك وقتادة والسدي ومقاتل بن حيان نحو ذلك» اهـ.
وانظر: معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٩٤، والنحاس ٣/ ١١٣، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٨٨، والثعلبي ٦/ ٢٨ب، والماوردي ٢/ ٧٥، وقال القرطبي ٧/ ٣٣٧: «قال جمهور المفسرين المراد بالنفس الواحدة آدم» اهـ.

(٤) ذكره الثعلبي ٦/ ٢٨ب، والواحدي في الوسيط ٢/ ٢٨٢، والبغوي ٣/ ٣١١، والقرطبي ٧/ ٣٣٧، والخازن ٢/ ٣٢٤ بلا نسبة، ونحوه قال الطبري ٩/ ١٤٣، وانظر: السمرقندي ١/ ٥٨٨، والماوردي ٢/ ٧٥.

(٥) لفظ: (أحب) غير واضح في (أ)، وكأنه: (أجذب).

(٦) انظر: والرازي ١٥/ ٨٩، والبحر ٤/ ٤٣٩.

(٧) انظر: الطبري ٩/ ١٤٣، والسمرقندي ١/ ٥٨٨، والثعلبي ٦/ ٢٨ب، والماوردي ٢/ ٧٥.

أحســن كناية»[١] ، والغِشــيان[٢] : إتيان الرجل المرأة ، وقد غَشِيها وتغشاها إذا علاها ، ومثله تَجلَّلها[٣] .

وقوله تعالى : ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ ، قالــوا[٤] : «يريد : النطفة والمني» ، والحمل[٥] ما كان في البطن أو على رأس الشجر[٦] .

وقوله تعالى : ﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ ؛ أي اســتمرت بذلك الحمل الخفيف ، وقامت وقعدت لم يُثقلها .

---

(١) معاني الزَّجّاج ٢/ ٣٩٥ ، وانظر : معاني النحاس ٣/ ١١٣ .

(٢) انظر : العين ٤/ ٤٢٩ ، وتهذيب اللغة ٣/ ٢٦٦٩ ، والصحاح ٦/ ٢٤٤٦ ، ومقاييس اللغة ٤/ ٤٢٥ ، والمفردات ٦٠٦ ، واللسان (غشى) ٦/ ٣٢٦٢ .

(٣) تَجَلَّله ، بالفتح : علاه ، وجلال كل شيء ، بالكسر : غطاؤه ، انظر : العين ٦/ ١٧ ، وتهذيب اللغة ١/ ٦٤١ ، والصحاح ٤/ ١٦٥٨ ، واللسان (جلل) ٢/ ٦٦٤ .

(٤) انظر : الطبري ٩/ ١٤٣ ، ومعاني الزَّجّاج ٢/ ٣٩٥ ، والسمرقندي ١/ ٥٨٨ ، والثعلبي ٦/ ٢٨أ ، والماوردي ٢/ ٧٥ .

(٥) لفظ : (والحمل ما كان في) غير واضح ، وانظر : مجاز القرآن ١/ ٢٣٦ ، ومعاني الأخفش ٢/ ٣١٥ ، وغريب القرآن ١٥٥ ، ونزهة القلوب ٢٠٣_٢٠٨ ، وإعراب النحاس ١/ ٦٥٦ .

(٦) الحمل ، بفتح الحاء : وما ذكر هو قول الزَّجّاج والمشهور عن أهل اللغة ، أمَّا الحِمل ، بالكسر فهو ما كان على ظهر أو رأس غير شجرة ، وحكي في حمل الشجرة لغتان : الفتح والكسر ، وقيل : ما ظهر فهو حِمل بالكسر ، وما بطن فهو بالفتح ، وقيل : ما كان لازماً للشيء فهو حمل بالفتح ، وما كان بائناً فهو بالكسر ، قال الأزهري في تهذيب اللغة ١/ ٩٢٥ : «الصواب الأول» ، وانظر : العين ٣/ ٢٤٠ ، والجمهرة ١/ ٥٦٦ ، والصحاح ٤/ ١٦٧٦ ، والمجمل ١/ ٢٥٢ ، ومقاييس اللغة ٢/ ١٠٦ ، والمفردات ٢٥٧ ، واللسان (حمل) ٢/ ١٠٠٢ .

قال الكلبي[(١)] والزَّجَّاج[(٢)] : وقولـه : ﴿ فَلَمَّآ أَثْقَلَت ﴾ ؛ أي صارت إلى حال الثقل ودنت ولادتها . ﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا ﴾ ، يعني : آدم وحواء[(٣)] . ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا ﴾ بشراً سوياً مثلنا ، وذلك أنهما أشفقا أن يكون بهيمة أو شيئاً سوى الإنسان ، ويأتي بيان هذا في الآية الثانية .

١٩٠. قوله تعالى : ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾ .

قال المفسرون[(٤)] : «لما حملت حواء أتاها إبليس في غير صورته التي عرفته حواء ، وقال لها : ما الذي في بطنك ؟ قالت ما أدري . قال : إني أخاف أن يكون بهيمة أو كلباً أو خنزيراً ، وما يدريك من أين يخرج ، أمن دبرك فيقتلك أو ينشق بطنك ، فخافت حواء ، فذكرت ذلك لآدم ، فلم يزالا في هم من ذلك ، ثم أتاها ، وقال : إن سألت الله أن يجعله خلقاً سويَّاً مثلك ، ويسهل عليك خروجه حتى تلقيه من بطنك سهلاً ، أتسمينه[(٥)] عبدالحارث ؟ ثم لم يزل بها حتى غرَّها ، فلما ولدت ولداً سويَّ الخلق سمته عبدالحارث برضا آدم وعلمه ، وكان اسم إبليس في الملائكة الحارث ، فذلك قوله : ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ

(١) تنوير المقباس ٢/ ١٤٦ ، وهو قول الأكثر ، انظر : مجاز القرآن ١/ ٢٣٦ ، وتفسير غريب القرآن ١٨٤ ، وتفسير الطبري ٩/ ١٤٤ ، وقد أخرج من طرق جيدة نحوه عن مجاهد والحسن وقتادة والسدي ، وانظر : نزهة القلوب ٢٠٣ ، ومعاني النحاس ٣/ ١١٣ ، والسمرقندي ١/ ٥٨٨ ، والثعلبي ٦/ ٢٨ب ، والماوردي ٢/ ٧٥ .

(٢) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٩٥ ، وهو قول الفرَّاء في معانيه ١/ ٤٠٠ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٩/ ١٤٤ ، ومعاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٩٥ ، والنحاس ٣/ ١١٤ ، والسمرقندي ١/ ٥٨٨ ، والثعلبي ٦/ ٢٨ب ، والماوردي ٢/ ٧٥ .

(٤) ذكره عن المفسرين ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ٢٥٨ ، والواحدي في الوسيط ٢/ ٢٨٣ ، وانظر : معاني الفرَّاء ١/ ٤٠٠ ، وتفسير غريب القرآن ١/ ١٨٤ ، ومعاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٩٥ ، والكامل لابن الأثير ١/ ٤٥ ، والقرطبي ٧/ ٣٣٨ .

(٥) في (ب) : (تسميه) .

﴿فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾» ؛ أي لما آتاهما ولداً سوياً ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾ . قال ابن عباس[١] : «يريد : في تسميتهما[٢] عبدالحارث» .

و[٣] قال الفرَّاء : «﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾ إذ قالت : عبدالحارث ، ولا ينبغي أن يكون عبداً إلا لله[٤] . قال : ولم تعرفه أنه إبليس»[٥] .

وذكر ابن زيد «أنّ النبي ﷺ قال : «خدعهما مرتين ، خدعهما[٦] في الجنة ، وخدعهما في الأرض»[٧]» .

---

(١) أخرجه الطبري ٩/ ١٤٦ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٣٣ ، ١٦٣٤ ، من طرق يقوي بعضها بعضاً ، وأخرجه ابن أبي حاتم من طريق ضعيف عن ابن عباس عن أبي بن كعب ، وأخرج أيضاً من طريق جيد رجاله رجال الصحيح عن ابن عباس قال : «في هذه الآية ما أشرك آدم ، وإن أولها شكر وإن آخرها مثل» اهـ . وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٢٧٧ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر ، وفيه : (وآخرها مثل ضرب لمن بعده) .

(٢) في (ب) : (في تسميتها) .

(٣) لفظ : (الواو) ساقط من (ب) .

(٤) في (ب) : (إلا الله) ، وهو تحريف .

(٥) معاني الفرَّاء ١/ ٤٠٠ .

(٦) لفظ : (خدعهما) ساقط من (ب) .

(٧) أخرجه الطبري ٩/ ١٥٠ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٣٥ بسند جيد عن عبدالرحمن بن زيد ، وهو مرسل ضعيف ، وعند ابن أبي حاتم قال رسول الله ﷺ : «خدعهما مرتين» . قال زيد بن أسلم : «خدعهما في الجنة وخدعهما في الأرض» .

وذكره الثعلبي ٦/ ٣٠ب ، والواحدي في الوسيط ٢/ ٢٨٣ ، والبغوي ٣/ ٣١٣ ، والسيوطي في الدر ٣/ ٢٧٧ .

وهذا الذي ذكرنا معنى قول سعيد بن جبير(١) والكلبي(٢) وأكثر أهل التفسير(٣).

(١) أخرجه الطبري ٩/ ١٤٧، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٣٤ من طرق جيدة.

(٢) لفظ: (والكلبي) ساقط من (ب)، وقد أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢٤٥، بسند جيد عن الكلبي، وذكره هود الهواري ٢/ ٦٥، والثعلبي ٦/ ٢٩أ.

(٣) انظر: تفسير الطبري ٩/ ١٤٦-١٤٩، والسمرقندي ١/ ٥٨٨، والثعلبي ٦/ ٢٨ب، والماوردي ٢/ ٢٨٦، ٢٨٧، والدر المنثور ٣/ ٢٧٧، وقال الطبري «أجمع أهل التأويل على أن المعني بذلك: آدم حواء، وأنهما ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾ في الاسم لا في العبادة» اهـ. بتصرف.

وقد أخرج أحمد والترمذي، رقم: ٣٠٧٧، كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة الأعراف، والطبري ٩/ ١٤٦، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٣٥، والحاكم في المستدرك ٢/ ٥٤٥ كلهم عن عمر بن إبراهيم عن قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي ﷺ، قال: «لما حملت حواء طاف بها إبليس، وكان لا يعيش لها ولد، فقال: سمّيه عبدالحارث، فإنه يعيش، فسموه عبدالحارث فعاش، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره» اهـ.

قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث عمر عن قتادة، ورواه بعضهم ولم يرفعه» اهـ.

وأخرجه ابن عدي في الكامل ٦/ ٨٩، وقال: «هذا -والله أعلم- يرويه عن قتادة غير عمر، وحديثه عن قتادة مضطرب وهو مع ضعفه يكتب حديثه» اهـ. وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي في التلخيص، وقال في الميزان ٣/ ١٧٩: «هو حديث منكر» اهـ. والحديث ضعيف؛ لأن فيه عمر بن إبراهيم العبدي. قال الحافظ في التقريب: ٤١٠ رقم: ٤٨٦٤: «صدوق، في حديثه عن قتادة ضعف» اهـ. وقال ابن كثير في تفسيره ٢/ ٣٠٤، ٣٠٥، والبداية والنهاية ١/ ٩٦: «الحديث معلول من ثلاثة أوجه: أحدها: أن عمر وثّقه ابن معين، ولكن قال أبو حاتم والرازي لا يحتج به، والثاني: أنه روي موقوفاً على سمرة، كما أخرجه الطبري ١٣/ ٣١٠، وهذه علة قادحة في الحديث، وهو أشبه، والمقطوع أن رفعه خطأ، والصواب وقفه، والثالث: أن الحسن البصري فسر الآية بغير هذا، فلو كان عنده عن سمرة مرفوعاً لما عدل عنه، وقد أخرج تفسيره الطبري ٩/ ١٤٨ بأسانيد صحيحة، ولو كان هذا الحديث عنده محفوظاً عن رسول الله ﷺ لما عدل عنه هو ولا غيره، ولا سيما مع تقواه لله وورعه، فهذا يدلك على أنه موقوف على الصحابي، ويحتمل أنه تلقاه من بعض من آمن من أهل الكتاب» اهـ. مجموع بتصرف.

أما الآثار عن الصحابة والتابعين- رضي الله عنهم- فجزم ابن كثير في تفسيره ٢/ ٣٠٦ أنها مأخوذة عن أهل الكتاب قال: «روى الطبري وابن أبي حاتم عن ابن عباس نحوه، وقد تلقى هذه الآثار عن ابن عباس جماعة من أصحابه، مثل مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة، ومن الطبقة الثانية قتادة =

واختلف القراء في قوله : ﴿ شُرَكَآءَ ﴾ . فقرأ نافع[(١)] وأبو بكر : (شركا) بكسر الشين ، وهذا يتوجه على حذف المضاف بتقدير : جعلا له ذا شرك أو ذوي شرك ، فإذا جعلا له ذوي شرك فقد جعلا له شركاء ، فالقراءتان تؤولان إلى معنى واحد ، والضمير في : ﴿لَهُۥ﴾ يعود إلى اسم الله ، كأنه ﴿جَعَلَا﴾ لله ﴿شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ . قال أبو الحسن[(٢)] : «وكان ينبغي لمن قرأ : (شركاً) أن يقول المعنى : (جعلا لغيره شركاً) ؛ لأنهما لا ينكــران أن الأصل لله عز وجل ، فالشرك إنما يجعل[(٣)] لغيره» ،

= والسدي وغير واحد من السلف ، وجماعة من الخلف ومن المفسرين من المتأخرين جماعات لا يحصون كثرة ، وكأنه والله أعلم أصله مأخوذ من أهل الكتاب ، وهذه الآثار يظهر عليها والله أعلم ـ أنها من آثار أهل الكتاب وأخبارهم على ثلاثة أقسام ، فمنها ما علمنا صحته بما دل عليه الدليل من كتاب الله أو سنة رسوله ، ومنها ما علمنا كذبه بما دل على خلافه من الكتاب والسنة أيضاً ، ومنها ما هو مسكوت عنه ، فهو المأذون في روايته ، وهو الذي لا يصدق ولا يكذب ، وهذا الأثر هو من القسم الثاني أو الثالث فيه نظر ، فأما من حدث به من صحابي أو تابعي فإنه يراه من القسم الثالث» اهـ . ملخصاً .

وكذلك ضعف الحديث ، وجعل الروايات من الإسرائيليات ابن العربي في أحكام القرآن ٢/ ٨١٩ ، ٨٢٠ ، والقرطبي ٧/ ٣٣٧ ، والألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة ١/ ٣٤٨ رقم : ٣٤٢ ، والشيخ محمد ابن صالح العثيمين في القول المفيد على كتاب التوحيد ٣/ ٦٧ ، ومحمد أبو شهبة في الموضوعات والإسرائيليات في كتب التفسير ٢٠٩ـ٢١٥ ، وانظر : فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ٢/ ٦١٤ ، والدر النضيد على أبواب التوحيد ٢٨٥ ، وتخريج الأحاديث المنتقدة في كتاب التوحيد للشيخ فريج صالح البهلال ١٠٩ .

(١) قرأ نافع وأبو بكر عن عاصم ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾ بكسر الشين وسكون الراء وتنوين الكاف من غير مد ولا همز ، وقرأ الباقون : ﴿شُرَكَآءَ﴾ بضم الشين وفتح الراء والمد وهمزة مفتوحة من غير تنوين جمع شريك . انظر : السبعة ٢٩٩ ، والمبسوط ١٨٧ ، والتذكرة ٢/ ٤٣٠ ، والتيسير ١١٥ ، والنشر ٢/ ٢٧٣ .

(٢) معاني الأخفش ٢/ ٢١٦ .

(٣) في (أ) : «يجعله» .

حكاه الزَّجَّاج[(١)] وأبو علي هذا[(٢)] عن أبي الحسن ، ثم قال الزَّجَّاج[(٣)] : «هذا على معنى : جعلا له ذا شرك ، فحذف ذا ، مثل : ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾» [يوسف : ٨٢] .

وقال أبو علي : «يجوز أن يكون الكلام على ظاهره ، ولا يقدر حذف المضاف في قوله : ﴿جَعَلَا لَهُۥ﴾ ، وأنت تريد لغيره ، ولكن[(٤)] تقدر حذف المضاف إلى شركٍ ، كما ذكرنا[(٥)] فلا يحتاج إلى تقدير : جعلا لغيره شركاً ؛ لأن تقدير حذف المضاف من شرك بمنزلة جعلا لغيره شركاً»[(٦)] ، وتقدير[(٧)] حذف المضاف من (شركاً) أحسن وأولى من تقدير حذفه من قوله : ﴿لَهُۥ﴾[(٨)] .

قال الزَّجَّاج : «ومن قرأ : (شركاً) فهو مصدر شركت الرجل[(٩)] أشركه شركاً»[(١٠)] ، ومن قرأ : ﴿شُرَكَآءَ﴾ فحجته[(١١)] قوله : ﴿أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِۦ﴾ [الرعد : ١٦] ، وأراد بالشركاء في هذه الآية إبليس ، أوقع الجمع موقع

---

(١) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٩٦ .

(٢) كذا في الأصول ؛ أي حكاه أبو علي عن الأخفش ، والحجة ٤/ ١١١ ، ١١٢ ، وفي معاني الأخفش ٢/ ٣١٦ : «قال بعضهم : (شركاً) ؛ لأن الشرك إنما هو الشركة ، وكان ينبغي في قول من قال هذا أن يقول : فجعلا لغيره شركاً في ما آتاهما» اهـ . وذكر النحاس في إعرابه ١/ ٦٥٦ .

(٣) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٩٦ ، ومثله قال النحاس في إعرابه ٢/ ٦٥٦ ، ٦٥٧ .

(٤) لفظ : (ولكن) ساقط من (أ) .

(٥) جاء بعده في الحجة ٤/ ١١٢ : «فيكون المعنى : جعلا له ذوي شرك ، وإذا جعلا له ذوي شرك كان في المعنى مثل جعلا لغيره شركاً» اهـ .

(٦) الحجة لأبي علي ٤/ ١١١ ، ١١٢ .

(٧) انظر : المشكل ١/ ٣٠٧ ، والبيان ١/ ٣٨١ ، والتبيان ١/ ٣٩٨ ، والفريد ٢/ ٣٩٤ ، والدر المصون ٥/ ٥٣٥ .

(٨) لفظ : (له) ساقط من (ب) .

(٩) في (ب) : (شركت بالرجل) ، وهو تحريف .

(١٠) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٩٦ .

(١١) هذا من الحجة لأبي علي ٤/ ١١٢ ، وانظر : معاني القراءات ١/ ٤٣١ ، وإعراب القراءات ١/ ٢١٦ ، والحجة لابن خالويه ١٦٨ ، لابن زنجلة ٣٠٤ ، والكشف ١/ ٤٨٦ .

الواحد ، وذلك أن من أطاع إبليس فقد أطاع جميع الشياطين[(١)] ، فإن قيل : كيف أضيف الشرك إلى آدم وحواء مع منزلتهما من دين الله ؟ ، والجواب عن هذا : ما روي عن قتادة أنه قال : «أشركا في الاسم ولم يشركا في العبادة»[(٢)] ، يعني : أنهما لم يذهبا إلى أن الحارث ربهما ، لكنهما قصدا إلى أن الحارث كان سبب نجاة الولد وسلامة أمه ، وقد يطلق اسم العبدمضافاً إلى من لا يراد أنه مملوك له كقوله[(٣)] :

وإنِّي لعبدُ الضَّيفِ ما دامَ ثاوياً

يريد : أنه خاضع له مطيع ، ولم يرد أن الضيف ربه ، وقد يقع الاشتراك في الاسم مع وقوع اختلاف في المعنى ، كما يقال لمملوك زيد : هذا عبد زيد ، ثم يقال : إنه عبدالله ، فقد جمعهما اللفظ ، والمعنى مختلف[(٤)] ، يدل على صحة هذا المعنى ما روي أنه قيل لسعيد بن جبير : «أشرك آدم ؟ فقال : معاذ الله ، ولكن حواء لما حملت أتاها إبليس ، فقال : أخبريني عن الذي في بطنك أتلدينه من عينك أم من فيك أم من أنفك ؟ قالت : لا علم لي[(٥)] بذلك .

---

(١) انظر : تفسير الطبري ٩ ١٤٩ .

(٢) أخرجه عبدالرزاق ١/ ٢/ ٢٤٥ ، والطبري ٩/ ١٤٧ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٣٤ ، والداني في المكتفى ٢٨٣ من طرق جيدة عدة ، وذكره يحيى بن سلام في التصاريف ١٠٦ ، والسمرقندي ١/ ٥٨٨ ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٢٧٩ ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر ، قال : «وأخرج عبد بن حميد عن ابن عباس مثله» ، وذكره الثعلبي ٦/ ٣٠ أ عن المفسرين .

(٣) البيت لحاتم الطائي في ديوانه ٤٤ ، وتفسير الثعلبي ٦/ ٣٠أ ، والقرطبي ٧/ ٣٣٩ ، وهو لقيس بن عاصم المنقري في الكامل للمبرِّد ٢/ ١٧٩ ، وللمقنع الكندي في أمالي القالي ١/ ٢٨١ ، وبلا نسبة في : عيون الأخبار ١/ ٢٦٦ ، والوسيط للواحدي ٢/ ٢٨٤ ، وتفسير ابن الجوزي ٣/ ٣٠٣ ، والرازي ١٥/ ٨٨ ، والخازن ٢/ ٣٢٥ ، وعجزه :

وما فيَّ إلَّا تلكَ من شيمةِ العبدِ

(٤) ذكر الطبري في تفسيره ٩/ ١٤٨ : (إجماع أهل التأويل على أن المراد الشرك في الاسم لا في العبادة) .

(٥) لفظ : (لي) ساقط من (ب) .

قال: فإن سألت الله -عز وجل- أن يسهل أمر الولادة عليك أتسمّينه باسمي؟ قالت: نعم، وخبرها أنّ اسمه الحارث، فلما ولدت سمّت الولد عبدالحارث، فذلك قول الله عز وجل: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾»[1].

قال أبو علي: «فعلى هذا التقدير: جعل أحدهما، فحذف المضاف كقوله: ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١].

وقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢]»[2]، وهذا يوضح أن حواء ما قصدت الإشراك بالله من حيث الكفر، ولكن قصدت بالتسمية أن الحارث كان سبب سلامة الولد وسلامة أمه، وعلى هذا ينقطع الكلام عند قوله: ﴿ءَاتَىٰهُمَا﴾.

ثم قال: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[3]، فعاد إلى الخبر عن الكفار ونزّه نفسه عن إشراكهم، فقال: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. قال ابن عباس: «يريد: أهل مكة»[4].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٩/ ١٤٨، والتاريخ ١/ ١٤٩ بسند ضعيف.

(٢) الحجة ٤/ ١١٢، ١١٣ وزاد فيه: «فيكون الذي جعل له شركاً أحدهما، ويخرج آدم من أن ينسب إليه ذلك» اهـ.

وهذا القول رجحه صديق خان في فتح البيان ٥/ ٩٩-١٠٣، وأطال في تقريره قال: «الجاعل هو حواء من دون آدم، ولم يشرك آدم قط، وعلى هذا فليس في الآية إشكال، والذهاب إلى ما ذكرناه متعين تبعاً للكتاب والحديث وصوناً لجانب النبوة عن الشرك بالله تعالى، والذي ذكروه في تأويل الآية يرده كله ظاهر الكتاب والسنة، والقول بأنها سمته بإذن آدم يحتاج إلى دليل، ولعلها سمته بغير إذنه، ثم تابت من ذلك، وصحة إطلاق المثنى على المفرد شائع في كلام العرب، وفي القرآن من ذلك الكثير، ولكنهم لم يذهبوا إليه في هذا الآية مع كونه ظاهر الأمر وواضحه، ومع أنهم ذكروه وذهبوا إليه في مواضع من القرآن والحديث، وهذا عجيب منهم غاية العجب» اهـ. ملخصاً.

(٣) في (ب): (تعالى)، وهو تحريف.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٨٤، وذكره الثعلبي ٦/ ٣٠أ، والبغوي ٣/ ٣١٤ بلا نسبة.

وقال عبدالله بن مسلم : «وإنما جعلا له الشرك بالتسمية لا بالنية والعقد ، وانتهى الكلام في قصة آدم وحواء ، ثم ذكر من أشرك بالعقد والنية من ذريتهما ، فقال : ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ، ولو كان أراد آدم وحواء لقال : عمّا يشركان ، وهذا يدلك[1] على العموم»[2] ، ونحو هذا قال مقاتل ، قال : «انقطع الكلام[3] عند قوله : ﴿فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ ، ثم ذكر كفار مكة ، فقال : ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ﴾»[4] . قال[5] السدي : «هذا من الموصول والمفصول ، يعني : قوله : ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ في شأن آدم وحواء ، ثم قال : ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ . قال : عمّا يشرك المشركون ، لم يعنهما»[6] .

وقال أبو بكر : «قال طائفة من أهل العلم : الذين جعلوا لله شركاء اليهود[7] والنصارى وغيرهم من الكفار الذين هم أولاد آدم وحواء عليهما السلام ، وتأويل الآية : ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَـٰلِحًا﴾ جعل أولادهما له شركاء ، فحذف المضاف»[8] .

---

(١) في (ب) : (يدل) .

(٢) تأويل مشكل القرآن ٢٥٩ .

(٣) قال الداني في المكتفى ٢٨٢ : «قوله : ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ وقف كاف عند أصحاب الوقف ، وهو عندي تام لأنه انقضاء قصة آدم وحواء عليهما السلام ، وقوله : ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يريد : مشركي العرب» اهـ .

وانظر : الإيضاح لابن الأنباري ٢/ ٦٧٤ ، والقطع للنحاس ١/ ٢٦٨ .

(٤) تفسير مقاتل ٢/ ٨٠ .

(٥) في (ب) : (ثم قال) .

(٦) أخرجه عبدالرزاق ١/ ٢/ ٢٤٦ ، والطبري ٩/ ١٤٩ ، وابن أبي حاتم ٥/ ٢٦٣٥ بسند جيد ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ١٧٩ ، وهذا القول هو اختيار الطبري في تفسيره ٩/ ١٤٨ ، والشيخ محمد بن صالح العثيمين في القول المفيد على كتاب التوحيد ٣/ ٦٧ .

(٧) لفظ : (اليهود) ساقط من (ب) .

(٨) ذكره ابن الجوزي في تفسيره ٣/ ٣٠٤ .

وهذا معنى قول الحسن وقتادة وعكرمة ، قال الحسن : «عنى بهذا من أشرك من ذرية آدم ، ولم يعن آدم»(١) .

وروى سعيد(٢) عن قتادة أنه كان يقرأ هذه الآية ، ويقول : «هم اليهود والنصارى ، رزقهم الله أولاداً فهودوا ونصّروا»(٣) . وقال عكرمة : «جعلها لمن بعد آدم ممن أشرك بالله»(٤) .

ويتوجه قول هؤلاء على ما ذكرنا من حذف المضاف ، وهو اختيار ابن كيسان ؛ لأنه قال : «هم الكفار جعلوا له شركاء ، سمّوا أولادهم عبدالعزى ، وعبداللات ، وعبدمناة»(٥) .

---

(١) أخرجه عبدالرزاق ١/ ٢/ ٢٤٥ ، والطبري ٩/ ١٤٨ من طرق جيدة ، وقال ابن كثير في تفسيره ٢/ ٣٠٥ : «أخرجه ابن جرير عن الحسن بأسانيد صحيحة ، وهو من أحسن التفاسير ، وأولى ما حملت عليه الآية» اهـ .

(٢) سعيد بن أبي عروبة البصري ، راوية قتادة ، وأثبت الناس فيه ، إمام ، ثقة . تقدمت ترجمته .

(٣) أخرجه الطبري ٩/ ١٤٨ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٣٤ بسند جيد ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٢٧٩ ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٤) ذكره النحاس في معانيه ٣/ ١١٦ ، والثعلبي ٦/ ٣٠ ب ، والبغوي ٣/ ٣١٤ ، والقرطبي ٧/ ٣٣٩ .

(٥) ذكره الثعلبي ٦/ ٣٠ ب ، والبغوي ٣/ ٣١٤ ، والخازن ٢/ ٣٢٥ ، وهذا القول هو الظاهر الذي عليه أهل التحقيق ، وقد استحسنه البغوي ٣/ ٣١٤ ، والخازن ٢/ ٣٢٥ ، وقال النحاس في معانيه ٣/ ١١٦ : «هذا القول أولى ، والله أعلم ، من أن ينسب إلى الأنبياء -عليهم السلام- مثل هذا» اهـ . وقال في إعرابه ٢/ ١٦٧ : «هذا قول حسن» ، وقال القرطبي ٧/ ٣٣٩ : «هذا قول حسن ، وهو الذي يعول عليه» اهـ .

وقال أبو حيان في البحر ٤/ ٤٤٠ : «من جعل الخطاب للناس ، وليس المراد في الآية بالنفس وزوجها آدم وحواء ، أو جعل الخطاب لمشركي العرب ولقريش ، فيتسق الكلام اتساقاً حسناً من غير تكلف تأويل ولا تفكيك» . وقد اختار هذا القول الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢/ ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، وأطال في تقريره فأجاد وأفاد رحمه الله تعالى ، وانظر : الكشاف ٢/ ١٣٨ ، وابن عطية ٦/ ١٧٤-١٧٦ ، والرازي ١٥/ ٨٦ .

١٩١. قوله تعالى : ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ ، قال ابن عباس : «يريد : أيعبدون ما لا يقدر أن يخلق شيئاً ، ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ يريد : وهم مخلوقون[١] ، يعني : الأصنام»[٢] .

فإن قيل : كيف وحد ﴿يَخْلُقُ﴾ وجمع ، فقال : ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ ، وجعل الواو والنون في جمع غير الناس ؟ فقال ابن الأنباري : «أما الجمع بعد التوحيد فسائغ[٣] من قبل أن ما يقع على الواحد والاثنين والجميع و[٤] المؤنث بلفظها ، وأوقعها الله -عز وجل- على الأصنام المعبودة من دونه ، فوحَّد ﴿يَخْلُقُ﴾ للفظها وبيَّن معناها في قوله جل وعز : ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ ، وأما جمعه الفعل بالواو والنون وأصحابه غير ناس[٥] فالحجة فيه أن الأصنام لما ادعى عابدوها أنها تعقل وتميّز ووصفوها بالسمع والخلق ، أجريت مجرى الناس ، فجعلت علامة جمعها كعلامة جمع أفعال الناس ، وجرى هذا مجرى قوله عز وجل : ﴿فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس : ٤٠] ، وقوله : ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف : ٤] . وقوله : ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾ [النمل : ١٨] .

---

(١) في (ب) : (وهم المخلوقون) .

(٢) انظر : تنوير المقباس ٢/ ١٤٧ ، ومعاني الفرَّاء ١/ ٤٠٠ .

(٣) في (ب) : (فشائع) .

(٤) لفظ : (الواو) ساقط من (ب) .

(٥) انظر : الكتاب ٢/ ٤٧ ، والمقتضب ٢/ ٢٤٤ ، والمغني لابن هشام ٢/ ٣٦٥ .

وقول الشاعر[١] :

تمزَّزتُها والدِّيكُ يدعو صباحَهُ
إذا ما بنُو نَعْشٍ دنَوا فتصوَّبُوا»[٢]

قـــال أصحابنا : «هـــذه الآية تدل على أن من لا يقدر على الخلق لا يســـتحق العبادة ، ولا يقدر على خلق القليل والكثير غير الله ، فلا يســـتحق العبادة غيره ، والقدرية تقول : إن العباد يخلقون أفعالهم ، وهي مخلوقة لهم لا لله»[٣] .

١٩٢. قوله تعـــالى : ﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ . قال ابن عبـــاس : «يريد : إن الأصنـــام لا تنصر من أطاعهـــا ، ولا تنتصر ممن عصاها»[٤] .

---

(١) الشاهد للنابغة الجعدي في ديوانه ٤ ، والكتاب ٢/ ٤٧ ، ومجاز القرآن ٢/ ٣٨ ، والصاحبي ٤١٩ ، ووضح البرهان للغزنوي ١/ ٤٥٠ ، واللسان (نعش) ٧/ ٤٤٧٤ ، وبلا نسبة في مجاز القرآن ١/ ٢٧٦ و٢/ ٨٣ ، ٩٣ ، ومعاني الأخفش ٢/ ٤٢٤ ، والمقتضب ٢/ ٢٢٤ ، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٦١١ ، والصحاح (نعش) ٣/ ١٠٢٢ ، ودلائل الإعجاز ١٣٧ ، والمغني لابن هشام ٢/ ٣٦٥ ، وفي الديوان : شربت بها والديك ، وقوله : تمززتها ، يعني : الخمر ؛ أي تمصص الشراب قليلاً قليلاً ، مزَّه يمزُّه ؛ أي مصَّه ، وبنو نعش ؛ أي بنات نعش ، وهي منازل القمر شبهت بحملة النعش في تربعها ، وتصوبوا : دنوا من الأفق للغروب ، والشاهد : تذكير بنات نعش ؛ لأنه أخبر عنها بالدنو والتصوب كما يخبر عن العقلاء ، انظر : شرح شواهد سيبويه للنحاس ١١٤ ، واللسان (نعش) ٧/ ٤٤٧٤ ، وشرح شواهد المغني للسيوطي ٢/ ٧٨٣ ، والخزانة ٨/ ٨٢ .

(٢) ذكره ابن الجوزي في تفسيره ٣/ ٣٠٤ ، وانظر : تفسير الطبري ١٩/ ٥٩ ، والدر المصون ٥/ ٥٣٦ .

(٣) انظر : تفسير والرازي ١٥/ ٩٠ .

(٤) تنوير المقباس ٢/ ١٤٧ ، وذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٨٤ .

وقال أهل المعاني في قولـــه : ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ ، «النَّصر : المعونة[(١)] عـــلى العدو ، يقول[(٢)] : هذه الأوثان لا تســـتطيع معونتهم عـــلى عدوهم ، وهم يعبدونها عبادة من يقدر على ضرهم ونفعهم»[(٣)] ، وقال الحســـن في قوله : ﴿وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ : «أي ولا يدفعون عن أنفسهم مكروه مَنْ أرادهم[(٤)] بكسر أو نحوه»[(٥)] .

١٩٣. قوله تعـــالى : ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ . يخاطـــب المؤمنين ، يقول : إن تدعـــوا المشركين إلى الهـــدى ، وهو قول ابن عبـــاس والكلبي[(٦)] ، قال ابن عبـــاس في هذه الآية : «يريـــد : إني خذلتهم ، وأمليت لهم في الضلالة»[(٧)] ، فدل هذا الكلام عـــلى أن المراد بقوله : ﴿لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ : المشركون .

قال الكلبي : «وإن تدعوا المشركين إلى الإسلام»[(٨)] .

---

(١) انظر : العين ٧/ ١٠٨ ، والجمهرة ٢/ ٧٤٤ ، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٥٨٤ ، والصحاح ٢/ ٨٢٩ ، ومقاييس اللغة ٥/ ٤٣٥ ، والمفردات ٨٠٨ ، واللسان (نصر) ٧/ ٤٤٣٩ .

(٢) في (أ) : (يقال) .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٩/ ١٥٠ ، والسمرقندي ١/ ٥٨٨ ، والبغوي ٣/ ٣١٤ ، وابن عطية ٦/ ١٧٧ ، والرازي ١٥/ ٩١ .

(٤) كذا في : (ب) ، والوسيط ٢/ ٢٨٤ ، عن الحسن ، وفي : (أ) ، وكذا عند البغوي ٣/ ٣١٤ ، عن الحسن : (من أراد بهم بكسر) ، والأولى : (ممن أرادهم) .

(٥) انظر : الدر المنثور ٥/ ٥٣٦ .

(٦) تنوير المقباس ٢/ ١٤٧ ، وهو اختيار البغوي ٣/ ٣١٥ .

(٧) لم أقف عليه .

(٨) ذكر السمرقندي ١/ ٥٨٨ ، عن الكلبي قال : «يعني : الآلهة ، وإن يدع المشركون آلهتهم إلى أمر لا يتبعهم آلهتهم» اهـ .

وقال قوم(١) : «وإن تدعوا الأصنام التي عبدوها لا يتبعونكم لأنها لا تعقل» . وهو اختيار الفرَّاء(٢) ، والآيات السابقة إخبار عن المشركين ، وهذه الآية خطاب للمؤمنين ، الدليل على ذلك أن المشركين لا يدعون أحداً إلى الهدى(٣) .

وقوله تعالى : ﴿لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ ، وقرأ نافع(٤) بالتخفيف ، وهما لغتان اتبعه اتّباعاً وتبعه تبعاً ، والمراد به : تركهم الانقياد للحق والإذعان للهدى ، والوجه قراءة العامة ؛ لأن (اتَّبع) أكثر في الاستعمال ، ألا ترى أنهم أجمعوا على افتعل في قوله : ﴿وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾(٥) [الأعراف : ١٧٦] .

وقوله تعالى : ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾ . مثل قوله : ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة : ٦] ، وذكرنا ما فيه ، وهناك عطف الفعل على الفعل ، وهاهنا عطف الاسم على الفعل ؛ لأن المعنى : أدعوتموهم أم

---

(١) هذا قول الجمهور وحكاه النحاس في إعرابه ١/ ٦٥٧ عن الأخفش ، وانظر : تفسير الطبري ٩/ ١٥٠ ، والثعلبي ٦/ ٣١أ ، والزمخشري ٢/ ١٣٧ ، وابن عطية ٦/ ١٧٧ ، ١٧٨ ، والرازي ١٥/ ٩١ ، والخازن ٢/ ٣٢٦ ، وابن كثير ٢/ ٣٠٧ .

(٢) معاني الفرَّاء ١/ ٤٠١ .

(٣) قال أبو حيان في البحر ٤/ ٤٤١ ، والسمين في الدر ٥/ ٥٣٧ : «الظاهر أن الخطاب للكفار ، وضمير النصب للأصنام ، والمعنى : وإن تدعو آلهتكم إلى طلب هدى ورشاد كما تطلبونه من الله لا يتابعونكم على مرادكم» ، قال السمين «ويجوز أن يكون الضمير للرسول والمؤمنين ، والمنصوب للكفار ؛ أي وإن تدعوا أنتم هؤلاء الكفار إلى الإيمان» اهـ .

(٤) قرأ نافع : (يَتْبِعُوكُم) بسكون التاء وتخفيفها وفتح الباء ، من تبع ، وقرأ الباقون بفتح التاء وتشديدها وكسر الباء من اتبع ، انظر : السبعة ٢٩٩ ، والمبسوط ١٨٧ ، والتذكرة ٢/ ٣٤٠ ، والتيسير ١١٥ ، والنشر ٢/ ٢٧٤ .

(٥) ما تقدم قول أبي علي في الحجة ٤/ ١١٣ ، ١١٤ ، والجمهور على أنها بمعنى واحد ، وقال بعض أهل اللغة : «تبعه مخففاً إذا مضى خلفه ولم يدركه» ، والمعنى : لا يلحقوكم ، واتَّبعه مشدداً إذا مضى خلفه فأدركه ، والمعنى لا يسيرون على أثركم ولا يركبون طريقتكم في دينكم ، انظر : معاني القراءات ١/ ٤٣٢ ، وإعراب القراءات١/ ٢١٩ ، والحجة لابن خالويه ١٦٩ ، ولابن زنجلة ٣٠٥ ، والكشف ١/ ٤٨٦ ، والدر المصون ٥/ ٥٣٧ ، وفيه : (هما لغتان ، وهو أظهر) اهـ .

صَمَتُّم ، فهما جملتان ؛ الأولى : مركبة من فعل وفاعل ، والثانية ؛ من مبتدأ وخبر ، ويعود معناها إلى معنى الأولى ؛ لأن معناها : صمتُّم ، وقال الفرَّاء : «قوله[1] : ﴿أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾ ، ولم يقل : أم صمتُّم ، وأكثر كلام[2] العرب أن يقولوا : سواء عليَّ أقمت أم قعدت ، ويجوز سواء عليَّ أقمت أم أنت قاعد .

قال : وأنشدني الكسائي :

سـواءٌ عليكَ الفقرُ أمْ بتَّ ليلـةً بأهلِ القبابِ منْ نميرِ بنِ عامرِ[3]

وأنشد بعضهم :

. . . . . أوْ أنـتَ بائـتٌ»[4]

---

(١) وكذلك حكى سيبويه في الكتاب ٣/ ٦٤ : «عن الخليل أن الآية بمنزلة أم صمتُّم» ، وهو قول ابن السراج في الأصول ٢/ ١٦١ ، وأبي علي في كتاب الشعر ١/ ٢٨١ ، ٢/ ٥٤٤ ، وقال في العسكريات ٩٧ ، والبصريات ١/ ٧١١ : «اعلم أن بعض الجمل قد تقوم مقام بعض ، فمن ذلك قوله عز وجل : ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ﴾ ، فهذه التي من الابتداء والخبر موقعة موقع التي هي من الفعل والفاعل ، ألا ترى أنها معادلة ، كما هو كذلك فقد عادل بالابتداء والخبر الجملة التي هي من الفعل والفاعل ، والمعنى : أم صمتُّم» اهـ .

(٢) في معاني الفرَّاء ١/ ٤٠١ : (وعلى هذا أكثر كلام العرب أن يقولوا . . . .) اهـ .

(٣) لم أقف على قائله ، وهو في : تفسير الطبري ٩/ ١٥١ ، وابن عطية ٦/ ١٧٨ ، والبحر ٤/ ٤٤٢ ، والدر المصون ٥/ ٥٣٨ ، وعند الفرَّاء والطبري وأبي حيان سواء عليك النَّفر ، يريد : النفر من منى في أيام الحج ، وهو اليوم الثاني من أيام التشريق ، والشاهد : سواءٌ عليكَ الفقرُ أمْ بتَّ ليلةً ، حيث عادلت (أم) بين المفرد في قوله : الفقر ، وجملة قوله : بت ليلة ، وقال أبو حيان «عطف الجملة الفعلية على اسم مقدر بالفعلية ، إذ الأصل : سواء عليك أنفرت أم بت ، فأوقع النفر موقع أنفرت» اهـ . والقِباب بالكسر ، جمع قبَّة بالضم : بناء من بيوت العرب معروف ، انظر : اللسان (قبب) ٦/ ٣٥٠٧ ، ونمير بن عامر بن صعصعة ، انظر : نهاية الأرب ٣٨٥ .

(٤) معاني الفرَّاء ١/ ٤٠ ، ومثله قال الطبري ٩/ ١٥١ .

وقال غيره من أهل المعاني[١] : «إنما قال : ﴿أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾ ، ولم يقل : أم صمتُّم لإفادة الماضي والحال ، و[٢] ذلك أن المقابلة (بدعوتم) قد دلَّت على معنى الماضي ، واللفظ قد دل على معنى الحال» .

وقال صاحب النظم : «قوله : ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾ ظاهر هذا النظم أن الاستواء واقع بالداعين ، وهو[٣] في المعنى واقع بالمدعوين[٤] ؛ لأن حال الداعي في الدعاء والصمات مختلفة ، وإنما يتفق ويستوي على المدعوين ؛ لأنها أصنام لا تسمع ولا تجيب ، فاستوى[٥] عليها الدعاء والصمات ، وإنما جاز ذلك وحسن ؛ لأنه إذا استوى عليها الدعاء والصمات كان مرجع هذا الاستواء إلى الداعين ؛ لأنهم إنما يدعون ليجابوا ، وإذا لم يجابوا بشيء استوى عليهم الدعاء والصمات .

وقوله تعالى : ﴿أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾ تأويله : أم صمتُّم ، وإنما جاز هذا النظم ؛ لأن رؤوس الآيات كانت على النون[٦] ، وهذا النظم وإن كان قليلاً فقد تكلمت العرب بمثله .

---

(١) انظر : إعراب النحاس ١/ ٦٥٧ ، وغرائب الكرماني ١/ ٤٣١ ، والكشاف ٢/ ١٣٨ ، والتبيان ٣٩٨ ، والفريد ٢/ ٣٩٥ ، والدر المصون ٥/ ٥٣٨ ، وقال أبو حيان في البحر ٤/ ٤٤٢ : «الآية من عطف الجملة الاسمية على الفعلية ، وكانت الجملة الثانية اسمية لمراعاة رؤوس الآيات ، ولأن الفعل يشعر بالحدوث ، واسم الفاعل يشعر بالثبوت والاستمرار ، فكانوا إذا دهمهم أمر معضل فزعوا إلى أصنامهم ، وإذا لم يحدث بقوا ساكتين ، فقيل : لا فرق بين أن تحدثوا لهم دعاء ، وبين أن تستمروا على صمتكم ، فتبقوا على ما أنتم عليه من عادة صمتكم ، وهي الحالة المستمرة» اهـ .

(٢) لفظ : (الواو) ساقط من (ب) .

(٣) في (ب) : (وهي) ، وهو تحريف .

(٤) في (أ) : (واقع بالمدعو) .

(٥) في (ب) : (واستوى) .

(٦) مجموع فواصل آيات الأعراف : (ن ، م ، د ، ل) : الدال في الآية الأولى ، واللام في الآيتين : [١٠٥ ، ١٣٤] ، والميم في الآيات [١٦ ، ٧٣ ، ٥٩ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٦ ، ١٤١ ، ١٥٣ ، ١٦٧ ، ٢٠٠] ، والباقي بالنون .

قال الأعشى[(١)] :

إنْ تركبوا فظهورُ[(٢)] الخيلِ عادَتُنَا
وإنْ نـزَلتُـمْ فـإنَّا معـشرٌ نـزلُ

معناه : إن تركبوا ركبنا ، وإن تنزلوا نزلنا ، فأجاب الشرطين ، وهما فعلان بخبرين اسمين ؛ لأن فيهما دليلاً على الفعل المضمر»[(٣)] .

١٩٤. قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[(٤)] . قال المفسرون[(٥)] : «يعني : الأصنام» ، وقال عطاء عن ابن عباس : «يريد : الملائكة»[(٦)] ، وهذا القول ضعيف من جهتين ؛ أحدهما : إن المشركين في ذلك الوقت كانوا يعبدون الأصنام لا الملائكة ، ولأنه قال بعد هذه الآية : ﴿ أَلَهُمْ

---

(١) ديوانه ١٤٩ ، والكتاب ٣/ ٥١ ، والمحتسب١/ ١٩٥ ، والصاحبي ٤٧٠ ، والأمالي لابن الشجري ٢/ ٢١٩ ، والدر المصون ٤/ ٨٢ ، والمغني ٢/ ٦٩٣ ، والرواية عندهم :
إن تركبوا فركوبُ الخيلِ عادتُنا … أو تنزلونَ فإنَّا معشرٌ نزلُ
وأوله في الديوان :
قالُوا الركوبَ فقُلْنا تلكَ عادتُنا
ويروى : قالوا الطراد ، وهو من معلقته المشهورة ، والشاهد : عطف الجملة الاسمية ، أو أنتم تنزلون على جملة الشرط (إن تركبوا) ، وقيل : هو عطف توهم ، كأنه قال : أتركبون فذلك عادتنا أو تنزلون في الحرب فنحن معروفون بذلك ، انظر : شرح القصائد للنحاس ٢/ ١٥٣ ، وشرح شواهد المغني للسيوطي ٢/ ٥٦٥_٥٦٨ ، والخزانة ٨/ ٥٥٢ .

(٢) لفظ : (فظهور) ، (ونزلتم) لم أقف عليهما إلا في هذه الرواية .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) في (أ) : (يدعون) بالياء ، والمشهور بالتاء ، وذكر ابن خالويه في الشواذ ٤٨ ، أنه قرئ بالياء .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٩/ ١٥١ ، ومعاني النحاس ٣/ ١١٧ ، والسمرقندي ١/ ٥٨٩ ، والثعلبي ٦/ ٣١أ .

(٦) لم أقف عليه ، وحكاه البغوي ٣/ ٣١٥ ، والخازن ٢/ ٣٢٦ عن مقاتل ، وقالا : «والأول أصح» اهـ . وفي تفسير مقاتل ٢/ ٨١ ، قال : «يعني : تعبدون ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ من الآلهة ، إنهم عباد أمثالكم ، وليسوا بآلهة» .

أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآ﴾ [الأعراف: ١٩٥]، فدلت هذه أنه يريد الأصنام التي هي جماد لا توصف بالأيدي الباطشة والأرجل الماشية[(١)]، وقد مضى القول في أن الأصنام لما جمعت جمع ما يعقل في قوله: ﴿وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١].

ومعنى الدعاء المذكور هاهنا يحتمل أن يكون العبادة، ويحتمل أن يكون التسمية، كأنه قيل: إن الذين تدعون آلهة من دون الله، ومعنى ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: غير الله.

وقوله: ﴿عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡ﴾. قال الكلبي: «مملوكون أمثالكم»[(٢)]، وقال الأخفش: «﴿عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡ﴾ في التسخير»[(٣)] فعلى هذا معنى ﴿عِبَادٌ﴾؛ أي مسخرون، مذللون لأمر الله، ومنه سمِّي الرقيق عبداً؛ لأنه مسخر بذلك، وقال قطرب: «مخلوقة أمثالكم»[(٤)]. فأما وصفها بأنهم ﴿عِبَادٌ﴾، وهي موات كالحائط والباب والثوب، فقال أبو بكر ابن الأنباري: «الأصنام- وإن كانت[(٥)] مواتاً- تجري مجرى الباب والثوب والحائط في أنها غير حيوان، فإن المشركين لما ادعوا أنها تعقل وتميز، وتضر وتنفع أجريت مجرى الناس، ولذلك قال: ﴿فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ﴾، ولم يقل: فادعوهن فليستجبن، ولهذا أيضاً قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾، ولم يقل: التي»، وقد سبق[(٦)] بيان هذا، «فإذا صيرت الأصنام كالناس فأوقع عليها

---

(١) انظر: البحر ٤/ ٤٤٣، ٤٤٤.

(٢) تنوير المقباس ٢/١٤٨، وذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٨٥، وهو قول الطبري ٩/ ١٥١، والسمرقندي ١/ ٥٨٩، والبغوي ٣/ ٣١٥.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٨٥، ولم أقف عليه عند غيره.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) في (ب): (كان).

(٦) لم أقف عليه.

﴿ٱلَّذِينَ﴾ ، وقيل في جمعها : فليفعلوا صلـــح أن يقال لها[١] : ﴿عِبَادٌ﴾ ، وامتنع ذلك في الأبـــواب والحيطان والثياب ، إذ كانت هذه الأنواع[٢] ما وصفت قط بما يوصف به الناس من العقل والتمييز»[٣] .

وقوله تعـــالى : ﴿فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ﴾ . قال ابن عباس : «يريد : فاعبدوهم ، هل يثيبونكم[٤] أو يجازونكم»[٥] .

وقـــال أهل المعاني : «معنى هـــذا الدعاء : طلب المنافع وكشـــف المضار من جهتهم ، وذلك ما يُئِس منه من قبلهم ، وعبادة من هذه صفته جهل وســـخف ، والـــلام في : ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟﴾ لام الأمر على معنى التعجيز ، وهو طلب الفعل إن أمكن»[٦] .

وقوله تعـــالى : ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ ؛ أي إن صدقتـــم أن لكم عند الأصنام منفعة أو ثواباً أو شـــفاعة أو نصرة ، قاله ابن عباس[٧] ، وســـلك صاحب النظم في قولـــه : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ طريقـــة أخـــرى ، فقال : «تأويل قوله : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾ ، (أإنَّ) على اســـتفهام ، وفي الاستفهام طرف من الإنكار ، كقوله : ﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ [التغابن : ٦] ، إلا أنه استُثْقِل همزتان ، فاقتصر على إحداهما ، وقد تســـتفهم العرب بغير الألف ، قال الله تعالى : ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا

---

(١) لفظ : (لها) ساقط من (ب) .

(٢) في (أ) : (الأبواب) ، وهو تحريف .

(٣) لم أقف عليه ، وانظر : تفسير والرازي ١٥/ ٩٢ .

(٤) في (ب) : (يثبتونكم) .

(٥) تنوير المقباس ٢/١٤٨ ، وذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٨٥ ، والبغوي ٣/ ٣١٥ ، والقرطبي ٧/ ٣٤٢ .

(٦) انظر : تفسير والرازي ١٥/ ٩٢ .

(٧) ذكره البغوي ٣/ ٥١٥ بلفظ : «﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ إن لكم عندها منفعة» ، وذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٨٥ بلا نسبة .

عَلَيَّ ﴾ [الشعراء: ٢٢]، بمعنى: أو تلك على الإنكار، ولا يجوز أن يكون هذا خبراً؛ لأن تعبيده بني إسرائيل لم يكن منَّة عليه، ومثله قول الشاعر[١]:

أفــرحُ أنْ أرزأَ الكــرامَ وأنْ أورثَ ذوداً شصـائصــاً نبــلاَ

أراد: أأفرح لأنه ينتفي من ذلك، ولا يرضى أن يقال له ذلك، وإنما قال -عز وجــل- منكراً عليهم أن تكون الأصنام عبــاداً أمثالهم؛ لقصورها عن أن تكون مثل العباد في الفهم والســمع والبصر، فحقّرها وضعّفها بهذا الخبر عن أن تبلغ مبلغ العباد، فكيف مبلغ الآلهة، ثم قال عز وجل: فإن كان كما تقولون أنها تنفع وتضر ﴿فَٱدْعُوهُمْ﴾ إلى آخر الآية»[٢].

١٩٥. قوله تعالى: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ﴾، قال ابن عباس: «يريد: مثل بني آدم ممــن جعلت فيه الــروح. ﴿أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ﴾ مثل ما يبطش بنو آدم»[٣]، ومعنى البَطش[٤]: التناول عند الصولة، والأخذ الشــديد في كل شيء: بَطش، ومنه قوله عــز وتعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢].

قال أهل المعاني في هذه الآية: «إنــما أنكر عليهم عبادة من لا رجل له يمشي بها، ولا يد[٥] يبطش بها؛ لأن من عبد جســما هذه صفته فقد عبد ما لا شبهة في اليــأس من ضره ونفعه، فهو ألوم[٦] ممن عبد من له جارحة يمكن أن ينفع بها أو

---

(١) الشاهد لحضرمي بن عامر الأسدي، وقد سبق.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٨٦ بلا نسبة.

(٤) انظر: العين ٦/ ٢٤٠، والجمهرة ١/ ٣٤٢، وتهذيب اللغة ١/ ٣٤٩، والصحاح ٣/ ٩٩٦، ومقاييس اللغة ١/ ٢٦٢، والمفردات ١٢٩، واللسان (بطش) ٦/ ٣٠١.

(٥) لفظ: (ولا يد) ساقط من (ب).

(٦) في (ب): (فهو اليوم)، وفي (أ): (اللوم).

يضر ، فقد عرفهم بهذا أنهم مفضلــون عليهم[١] ، فكيف يعبدون من هم أفضل منه ، فالقصد بالآية بيان جهالتهم في عبــادة الأصنام[٢] ، حيث كانوا أفضل من معبوديهم بما خلق الله لهم من هذه الجوارح التي لم يخلقها لمعبوديهم»[٣] .

وقوله تعــالى : ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ﴾ . قــال ابن عبــاس[٤] : «يريد : الذين تعبــدون[٥] من دون الله ، ﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾ أنتم وشركاؤكــم» ، وهذا يتصل بما قبله اتصال استكمال الحجة عليهم ؛ لأنهم لما فزعوا بعبادة من لا يملك ضراً ولا نفعاً ، قيل لمحمد : قل لهــم : معبودي يملك الضر والنفع ، فلــو اجتهدتم في كيدي لم تصلوا إلى ضري لدفعه عني .

قال الحســن[٦] : «إنهم كانوا يخوفونه بآلهتهم ، فقــال الله تعالى : ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ﴾» ، واختلفوا في إثبات الياء[٧] في ﴿كِيدُونِ﴾ وحذفها ، فقرؤوا بالوجهــين ، ومثلــه : ﴿فَلَا تُنظِرُونِ﴾ ، والقول في ذلك أنَّ الفواصل وما أشــبه الفواصــل من الكلام التام تجري مجرى القــوافي ؛ لاجتماعهما في أن الفاصلة آخر

---

(١) في (ب) : (عليه) .

(٢) لفظ : (الأصنام) ساقط من (ب) .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٩/ ١٥١ ، والسمرقندي ١/ ٥٨٩ ، والماوردي ٢/ ٢٨٧ ، والبغوي ٣/ ٣١٥ ، وابن عطية ٦/ ١٨٠ ، والرازي ١٥/ ٩٢ ، ٩٣ ، وقال ابن الجوزي في تفسيره ٣/ ٣٠٦ : «في الآية تنبيه على تفضيل العابدين على المعبودين وتوبيخ لهم حيث عبدوا من هم أفضل منه» اهـ .

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٦٨٦ بلا نسبة .

(٥) في (أ) : (تدعون) .

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/٢٨٦ ، وابن الجوزي ٣/٣٠٦ ، والرازي ١٥/٩٣ ، والخازن ٢/ ٣٢٧ .

(٧) قرأ أبو عمرو : (ثُمَّ كِيدُوني) بإثبات الياء وصلاً وحذفها وقفاً ، وهي رواية عن ابن عامر ونافع ، وقرأ ابن عامر في رواية بإثبات الياء في الوصل والوقف ، وحذفها الباقون في الحالين ، وقرأ يعقوب وحده : (فَلَا تُنظِرُوني) بإثبات الياء في الوصل والوقف ، وحذفها الباقون في الحالين ، انظر : السبعة ٢٩٩ ، والمبسوط ١٨٨ ، والتذكرة ٢/ ٤٣٢ ، والتيسير ١١٥ ، والنشر ٢/ ٢٧٥ .

الآيــة ، كما أن القافية آخر البيت ، وقد ألزمــوا[1] الحذف هذه الياءات إذا كانت القوافي ، كقوله :

فهلْ يمنعُني ارتيــادي البــلا دَ من قــدرِ المــوتِ أنْ يأتِــينْ[2]

وكذلك الياء التي هي لام ، كقوله :

يلمسُ الأحــلاسَ فـي منزلِـهِ بيــديهِ كـاليهــوديِّ المصــلِّ[3]

ومن أثبت فلأن الأصل الإثبــات[4] ، ومعنى قوله : ﴿فَلَا تُنظِرُونِ﴾ ؛ أي لا تمهلوني ، واعجلوا في كيدي أنتم وشركاؤكم ، وهذه الآية تدل على صحة ما قال صاحب النظم في الآية الأولى ، ألا ترى أنه بيَّن فضل الآدمي على الأصنام في هذه الآية لما بقي[5] بالأولى ، أن تكون الأصنام أمثالهم .

---

(١) في (ب) : (وقد لزموا) ، وهو تحريف .

(٢) الشاهد للأعشى الكبير في ديوانه ٣٥٩ ، والكتاب ٣/ ٥١٣ و٤/ ١٨٧ ، والحجة لأبي علي ٣/ ٢١٩ ، والمحتسب ١/ ٣٤٩ ، وتفسير ابن عطية ٦/ ١٨٢ ، والدر المصون ٣/ ٩٢ ، والشاهد حذف الياء من الفعل (يأتيني) .

(٣) الشاهد للبيد في ديوانه ١٤٢ ، والرازي ١٥/ ٩٣ ، واللسان (لمس) ٧/ ٤٠٧٢ ، ٤٠٧٣ ، وهو في تفسير ابن عطية ٦/ ١٨٢ للأعشى ، ولعله تحريف أو وهم ، ويلمس : يطلب ، والأحلاس : جمع حلس ، وهو كساء رقيق يوضع على ظهر البعير ، والمصل : المصلي ، يعني أنه لا يعقل من غلبه النعاس ، فهو يطلب الأحلاس مائلاً جانبه ، كأنه يهودي يصلي على شق وجهه ، والشاهد حذف الياء من الاسم ، وهو المصلي .

(٤) ما تقدم هو قول أبي علي في الحجة ٤/ ١١٥ ، وانظر : إعراب القراءات ١/ ٢١٩ ، والحجة لابن خالويه ١٦٩ .

(٥) كذا في الأصول ، يريد : أنه ما بقي في الآية السابقة دليل على أن الأنام أمثالهم ، بل هم أفضل .

١٩٦. قولهم تعالى: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ﴾ الآيـــة. قرأ القراء[١]: ﴿وَلِـِّۧيَ﴾ بثلاث ياءات، ياء (فعيل) وهي ساكنة، والثانية لام الفعل وهي مكسورة قد أدغمت[٢] الأولى فيها فصارتا ياء مشددة، والثالثة ياء الإضافة.

وروي عن أبي عمرو بالإدغـــام[٣] الكبير: (وَلِيَّ اللهُ) بياء مشـــددة، ووجه ذلك[٤] أنه حذف الياء التي هي لام فعيل، كما حذفت اللام من قولهم: (ما بليتُ به بالةً)[٥]، وكما حذفت الهمزة التي هي لام في قول أبي الحسن[٦] (من أشياء) كما

---

(١) اختلف عن أبي عمرو، فقرأ بحذف الياء وإثبات ياء واحدة مفتوحة مشددة، وقرأ بكسر الياء المشددة بعد الحذف، وقرأ الباقون بياءين: الأولى مشددة مكسورة، والثانية مخففة مفتوحة. انظر: السبعة ٣٠٠، والمبسوط ٩٧، والنشر ٢/ ٢٧٤، ٢٧٥.

(٢) في (أ): (قد أدغمتا الأولى فصارتا).

(٣) في (أ): (في الإدغام)، وقال ابن الجزري في النشر ٢/ ٢٧٤: «بعضهم يعبر عنه بالإدغام، وهو خطأ، إذ المشدد لا يدغم في المخفف، وبعضهم أدخله في الإدغام الكبير، ولا يصح ذلك لخروجه عن أصوله، ولأن راويه يرويه مع عدم الإدغام الكبير» اهـ.

(٤) قال ابن الجزري في النشر ٢/ ٢٧٤: «اختلف في توجيه الرواية عن أبي عمرو، فخرج فتح الياء على حذف لام الفعل في (وليَّ) وهي الياء الثانية، وإدغام ياء فعيل في ياء الإضافة، وقد حذفت اللام كثيراً في كلامهم، وهو مطرد في اللامات في التحقير، وقد قيل في تخريجها غير ذلك، وهذا أحسن، وأما كسر الياء فوجهها أن يكون المحذوف ياء المتكلم لملاقاتها ساكناً، كما تحذف ياءات الإضافة عند لقيها الساكن، والرواية الحذف وصلاً ووقفاً، أجري الوقف مجرى الوصل» اهـ.

(٥) (ما باليتُ به بالة)؛ أي لم أكترث به، والشاهد: (بالة) فقد حذف الياء تخفيفاً، والأصل بالية، وفي الكتاب ٤/ ٤٠٦: حكي عن الخليل أنَّ من الحذف قولهم: «ما أباليه بالة، كأنها بالية بمنزلة العافية» اهـ. وفي النهاية لابن الأثير ١/ ١٥٦ قال: «وفي حديث ابن عباس: ما أباليه بالة؛ أي لم أكترث به»، وفي اللسان (بلا) ١/ ٣٥٦، ذكر حديث ابن عباس، وقال: «ومن كلام الحسن: لم يبالهم الله بالة؛ أي لا أكترث بهم» اهـ. وأخرج البخاري في صحيحه، رقم: ٦٤٣٤، كتاب: الرقاق، باب: ذهاب الصالحين، عن مرداس الأسلمي ـرضي الله عنهـ عن النبي ﷺ قال: «يذهب الصالحون الأول فالأول، ويبقى حفالة كحفالة الشعير أو التمر لا يباليهم الله بالة» اهـ. وفي النهاية ١/ ١٥٦: «أي لا يرفع لهم قدراً، أو لا يقيم لهم وزناً، يقال: ما باليته وما باليت به؛ أي لم أكترث به» اهـ.

(٦) قول الأخفش في الحجة لأبي علي ٤/ ١١٨، وقال الأزهري في تهذيبه (شيء) ٢/ ١٩٥١: «لم يختلف النحويون في أن (أشياء) جمع شيء، وأنها غير مجراة، وقال الفرَّاء والأخفش أصل (أشياء) أفعلاء إلا =

حذفت الهمزة من قولهم : ســواية إذا أردت به سوائية مثل الكراهية ، وكما استمر الحذف في التحقير في هــذه[١] اللامات نحو : عُطيٍّ في تحقير عطاء بدليل قولهم : سميَّة في تصغير سماء ، فلما حذفت اللام أدغمت ياء فعيل في ياء الإضافة فقلت : (وَلِيَّ اللهُ) ، فهــذه الفتحة فتحة ياء الإضافة[٢] ولا يجــوز أن يدغم الياء التي هي لام في ياء الإضافة ؛ لأنه إذا فعل ذلك انفك الإدغام ، ويذهب ســيبويه إلى «إنك إذا قلــت هذا : وليُّ يزيد ، وعدو وليد ، لم يجُز إدغام الياء التي هي لام في ياء يزيد لانفكاك الإدغام من وليٍّ»[٣] ، وكأن أبا عمرو في قوله : (وَلِيَّ اللهُ) شبه[٤] المنفصل وهو ياء الإضافة بالمتصل ، فحــذف إحدى الياءات من ﴿وَلِـِّۧىَ﴾ كما يحذف من عُطيٍّ ، والباقون أجــازوا اجتماع ثلاث ياءات ؛ لأن يــاء الإضافة منفصل ، ولم يجروا المنفصل مجرى المتصل ، ولا يجوز في عُطيٍّ إلا الحذف لأنه متصل[٥] .

ومعنى ﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ﴾ ؛ أي الذي يتولى حفظي وتصرفي هو الله لا غيره ، ﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ ، يريد : القرآن ؛ أي أنه يتولاني وينصرني ، كما أيدني بإنزال الكتاب[٦] . ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [قــال ابن عباس : «يريد : الذين لا يعدلون بالله شــيئاً ولا يعصونه»[٧] ، وفي هذا مدح الصالحــين][٨] بأن الله -عز وجل- يتولاهم بنصره

---

= إنه كان في الأصل أشيئاء على وزن أشيعاء فاجتمعت همزتان بينهما ألف ، فحذفت الهمزة الأولى» . وانظر : اللسان (شيء) ٤/ ٢٣٦٩ ، ٢٣٧٠ ، ومعجم مفردات الإبدال والإعلال للخراط ١٥٧ .

(١) لفظ : (في هذه) ساقط من (ب) .

(٢) في (ب) : (فتحة بالإضافة) ، وهو تحريف .

(٣) الكتاب ٤/ ٤٤٢ .

(٤) في (ب) : (شبهه) ، وهو تحريف .

(٥) ما تقدم قول أبي علي في الحجة ٤/ ١١٦ـ١٢٠ ، وانظر : معاني القراءات ١/ ٤٣٢ ، وإعراب القراءات ١/ ٢١٧ ، والحجة لابن خالويه ١٦٨ ، والبحر ٤/ ٤٤٦ ، والدر المصون ٥/ ٥٤٢ .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٩/ ١٥٢ ، وإعراب النحاس ١/ ٦٥٩ ، والسمرقندي ١/ ٥٨٩ .

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٨٦ ، والبغوي ٣/ ٣١٥ ، ٣١٦ ، والخازن ٢/ ٣٢٧ .

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

فلا يضرهم(١) عداوة من عاداهم ، وفي ذلك يأس المشركين من أن يضره كيدهم ومكرهم .

١٩٧. قوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ [الأعراف : ١٩٧] ، معنى هذه الآية قد مضى في مثلها من قوله : ﴿وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرًا﴾ [الأعراف : ١٩٢] .

وإنما أعيد هذا المعنى لأن الأول مذكور على جهة التقريع ، وهاهنا ذكر على جهة الفرق بين صفة من تجوز له العبادة ومن لا تجوز ، كأنه قيل : إن ناصره الله ولا ناصر لكم ممن تعبدون(٢) .

١٩٨. قوله تعالى : ﴿وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾ . ذهب الحسن(٣) إلى أن المراد بهذا(٤) : المشركون ، فيكون المعنى : وإن تدعوا ، أيها المؤمنون ، المشركين إلى ﴿ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْ﴾ ؛ أي لا يعقلوا(٥) بقلوبهم ، ﴿وَتَرَىٰهُمۡ﴾ ، يا محمد ﴿يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ﴾ بأعينهم(٦) ﴿وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾ بقلوبهم ، والأكثرون(٧) على أن المراد

(١) في (ب) : (ولا يضرهم) .

(٢) انظر : تفسير والرازي ١٥/ ٩٥ ، والخازن ٢/ ٣٢٧ ، وقال ابن عطية ٦/ ١٨٤ : (إنما كرر ؛ لأن أمر الأصنام وتعظيمها كان متمكناً من نفوس العرب في ذلك الزمن ، ومستولياً على عقولها ، فأوعب القول في ذلك لطفاً من الله تعالى بهم) اهـ .

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٨٧ ، والبغوي ٣/ ٣١٦ ، والخازن ٢/ ٣٢٧ ، وأخرجه الطبري ٩/ ١٥٢ بسند جيد عن السدي ومجاهد ، وهو قول مقاتل في تفسيره ٢/ ٨١ .

(٤) لفظ : (بهذا) ساقط من (ب) .

(٥) في (أ) : (أي يعقلوا) .

(٦) لفظ : (بأعينهم) ساقط من (ب) .

(٧) وهو اختيار أكثرهم ، قال ابن كثير في تفسيره ٢/ ٣٠٧ : «هذا هو الأولى ، وقاله قتادة ، واختاره الطبري ٩/ ١٥٣» اهـ .
وانظر : إعراب النحاس ١/ ٦٥٧ ، والسمرقندي ١/ ٥٨٩ ، والثعلبي ٦/ ٣١أ ، والبغوي ٣/ ٣١٦ ، والكشاف ٢/ ١٣٨ ، والقرطبي ٧/ ٣٣٤ ، والخازن ٢/ ٣٢٧ ، وقال أبو حيان في البحر ٤/ ٤٤٧ : =

بالآيــة الأنام، وبيان صفات ما هي عليه مــن النقص، وظاهر النظم يدل على هذا المقدم[١].

وقوله تعــالى[٢]: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾. قال الفــرَّاء: «يريد: الآلهة أنها صــور لا تبصر، ولم يقــل: وتراها؛ لأن لها أجســاماً وعيونــاً، والعرب تقول للرجــل والقريب من الشيء: هو ينظــر وهو لا يراه، والمنــازل تتناظر إذا كان بعضها بإزاء بعض»[٣]، فمعنــى ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ هاهنا: يقابلونك، ونحو هذا قال ابن الأنباري[٤] فقال: «المعنى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ﴾ يقربون منك ويدنون وهم غير مبصرين»، وذكر وجهاً آخر، فقال: «معنى ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾: يخيّل إليك أنهم يبصرون، وهم غير مبصرين»[٥].

وشرح أبو علي الجرجاني هذه الوجه واختاره، فقال: «قوله: ﴿وَتَرَىٰهُمْ﴾؛ أي تحسبهم، والرؤية على وجهين أحدهما: العلم، وهو كثير كقوله: ﴿مَآ أُرِيكُمْ

---

= «تناسق الضمائر يقتضي أن الضمير للأصنام، ونفى عنها السماع؛ لأنها جماد لا تحس، وأثبت لها النظر على سبيل المجاز، بمعنى أنهم صوروهم ذوي أعين فهم يشبهون من ينظر، وقال الحسن ومجاهد والسدي: «الضمير يعود على الكفار، ووصفهم بأنهم لا يسمعون ولا يبصرون إذ لم يتحصل لهم عن الاستماع والنظر فائدة، ولا حصلوا منه بطائل، وهذا تأويل حسن، ويكون إثبات النظر حقيقة لا مجازاً، ويحسن هذا التأويل الآية بعد هذه ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]؛ أي الذين من شأنهم أن تدعوهم لا يسمعوا وينظرون إليك وهم لا يبصرون فتكون مرتبة على العلة الموجبة لذلك، وهي الجهل» اهـ.

(١) في (ب): (التقدم)، والظاهر أنه يرجح الأول والله أعلم، وهو ظاهر من تقديم قول الحسن هنا، وكذلك في الوسيط ٢/ ٢٨٧.

(٢) جاء في النسخ بعد قوله: «المقدم». قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ وهو تكرار.

(٣) معاني الفرَّاء ١/ ٤٠١.

(٤) الزاهر ١/ ٣٥٢، وفيه قال: «معناه: يواجهونك، يقال: الجبل ينظر إليك، والحائط يراك؛ أي يواجهك ويقابلك» اهـ.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٨٧.

﴿إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ [غافر : ٢٩] ؛ أي مـا أعلمكم إلا ما أعلم ، والآخر : الشـك كقوله ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ [الحج : ٢] ؛ أي تحسبهم كذلك . ومنه قول الشاعر[١] :

ترى الأكمَ منهُ سجَّداً للحوافرِ

أي تحسبها كأنها ساجدة ، وليس للرؤية التي هي العلم هاهنا معنى ، فتأويل قوله : ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾[٢] : تحسبهم ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ ؛ لأن لها أعيناً مصنوعة مركبة بالجواهر حتى يحسب الإنسان أنها تنظر إليه»[٣] ، فمعنى الوجه الأول ﴿وَتَرَىٰهُمْ﴾ : يقابلونك ، والوجه الثاني : تحسبهم يرونك ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾[٤] .

١٩٩ ـ ٢٠٠ . قوله تعالى : ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ ، قال أهل اللغة : «العفو[٥] الفضل ، وما أتى بغير كلفة» . وقد ذكرنا هذا عند قوله : ﴿قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة : ٢١٩] في سورة البقرة .

---

(١) البيت لزيد الخيل ، وصدره :

بجمعٍ تضلُّ البلقَ في حجراتِهِ

وقد سبق تخريجه والكلام عليه .

(٢) لفظ : (إليك) ساقط من (ب) .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) والمعنى متقارب ، قال الطبري ٩/ ١٥٣ : «أي يقابلونك ويحاذونك ، وهم لا يبصرونك ؛ لأنه لا أبصار لهم ، وقيل : ﴿تَرَىٰهُمْ﴾ ، ولم يقل : تراها ؛ لأنها صور مصورة على صور بني آدم عليه السلام» اهـ . ونحوه قال ابن كثير في تفسيره ٢/ ٣٠٧ ، وانظر : إعراب النحاس ١/ ٦٥٩ ، والسمرقندي ١/ ٥٨٩ ، والبغوي ٣/ ٣١٦ ، وابن عطية ٧/ ٢٣٢ ، وابن الجوزي ٣/ ٣٠٧ ، والرازي ١٥/ ٩٥ .

(٥) هذا من تهذيب اللغة (عفا) ٣/ ٢٤٨٩ .

قال مجاهد: «أمر أن يأخذ عفو أخلاق الناس»[(١)]، وهو قول الحسن[(٢)] وعروة[(٣)] بن الزبير[(٤)] وقتادة[(٥)]، والمعنى: اقبل الميسور من أخلاق الناس، ولا تستنقص عليهم فيستنقصوا عليك، ويتولد منه البغضاء والعداوة[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾. العرف والعارفة والمعروف واحد، وهو: كل ما تعرفه النفس من الخير[(٧)] وتبسأ به[(٨)] وتطمئن إليه[(٩)]. قال مقاتل[(١٠)] وعروة[(١١)] والضحاك[(١٢)]: «وأمر بالمعروف»، وهو قول الكلبي[(١٣)].

---

(١) تفسير مجاهد ١/ ٢٥٣، وأخرجه الطبري ٩/ ١٥٣، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٣٧، والنحاس في معانيه ٣/ ١١٩ من طرق جيدة.

(٢) ذكره الماوردي ٢/ ٢٨٨، والواحدي في الوسيط ٢/ ٢٨٨، وابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٣٠٧.

(٣) عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي، تقدمت ترجمته.

(٤) أخرجه عبدالرزاق ١/ ٢/ ١٤٥، والطبري ٩/ ١٥٣، ١٥٤ من طرق جيدة، وذكره ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٣٧.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) هذا من تهذيب اللغة (عفا) ٣/ ٢٤٨٩، وانظر: مجاز القرآن ١/ ٢٣٦، وغريب القرآن ١٥٥، وتفسير غريب القرآن ١/ ١٨٦، وتفسير الطبري ٩/ ١٥٤، ١٥٥.

(٧) لفظ: (من الخير) ساقط من (أ).

(٨) تبسأ به؛ أي تأنس به. انظر: اللسان (بسأ) ١/ ٢٧٩.

(٩) هذا من تهذيب اللغة (عرف) ٣/ ٢٤٠٤.

(١٠) تفسير مقاتل ٢/ ٨١.

(١١) أخرجه عبدالرزاق ١/ ٢/ ٢٤٥، والطبري ٩/ ١٥٥ من طرق جيدة.

(١٢) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٨٨ عن الضحاك، وأخرجه وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٣٨ بسند ضعيف عن الضحاك عن ابن عباس، وقال: «وروي عن عروة والسدي وسفيان الثوري نحوه»، وأخرجه الطبري ٩/ ١٥٦ من طرق جيدة عن السدي وقتادة.

(١٣) تنوير المقباس ٢/ ١٤٩، وذكره هود الهواري في تفسيره ٢/ ٦٧، وهذا قول الأكثر، انظر: مجاز القرآن ١/ ٢٣٦، تفسير سورة الأعراف، تفسير غريب القرآن ١٨٦، وتفسير الطبري ٩/ ١٥٦، ومعاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٩٦، ونزهة القلوب ٣٣٦، ومعاني النحاس ٣/ ١٢٠، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٨٩، وقال النحاس في ناسخه ٢/ ٣٦٣: «هذا هو المعروف في اللغة».

وقال أهل المعاني : «المعروف ما يعرف صوابه عند[(١)] ذوي العقول السليمة»[(٢)] .

وقوله تعالى : ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ .

يقال : لِمَ أمره بالإعراض عنهم مع وجوب النكير عليهم بما يردعهم عن جهلهم ؟ قيل : إن هذا في حال اليأس من صلاحهم ، فيعمل على طريق الاستخفاف بهم ، وصيانة النفس عن مقابلتهم[(٣)] على سفههم[(٤)] .

قال عكرمة : «لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ : «يا جبريل ما هذا ؟» قال : «لا أدري حتى أسأل» ، فذهب ، ثم رجع فقال : «يا محمد ، إن ربك يقول : هو أن تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك»[(٥)] وتفسير جبريل[(٦)] -عليه السلام- لهذه الآية موافق لظاهرها ؛ لأن في وصل القاطع عفواً

---

(١) لفظ : (عند) ساقط من (ب) .

(٢) انظر : إعراب النحاس ١/ ٦٥٩ ، وإحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٨٢٣-٨٢٦ .

(٣) في (ب) : (عن) .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٩/ ١٥٦ ، والناسخ والمنسوخ للنحاس ٢/ ٣٦٤ .

(٥) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢٤٦ ، والطبري ٩/ ١٥٥ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٣٨ بسند جيد عن أمي بن ربيعة المرادي وهو مرسل ، وقال ابن كثير في تفسيره ٢/ ٣٠٨ : «هو مرسل على كل حال ، وقد روي له شواهد من وجوه أخر ، فقد رواه ابن مردويه مرفوعاً عن جابر وقيس بن سعد بن عبادة» اهـ .
وقال ابن حجر في الفتح ٨/ ٣٠٦ ، وفي الكافي الشافي ٦٦ : «رواه الطبري مرسلاً وابن مردويه موصولاً من حديث جابر وقيس» اهـ .
وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٦٢٨ ، وزاد نسبته : «إلى ابن أبي الدنيا وابن المنذر وأبي الشيخ» اهـ .
وأخرجه السمرقندي ١/ ٥٩٠ عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وذكره الماوردي ٢/ ٢٨٨ ، عن ابن زيد ، وذكره والرازي ١٥/ ٩٦ عن عكرمة ، وانظر : مرويات الإمام أحمد في التفسير ٢/ ٢٢٨ .

(٦) ذكره والرازي ١٥/ ٩٦ ، عن أهل العلم .

عن جريمة القطيعة، وإعطاء الحارم من جملة المعروف، والعفو عن الظالم إعراض عن جهله وظلمه.

قال قتادة[١]: «في هــذه الآية أخلاق أمر الله بها نبيه -عليه الســلام- ودلَّه عليها».

وقال عبدالله بن الزبير[٢]: «ما أنزل الله هذه الآية إلا في أخلاق الناس»[٣].

---

(١) أخرجه الطبري ٩/ ١٥٦ بسند جيد.

(٢) عبدالله بن الزبير بن العوام الأسدي، أبو بكر القرشي المكي المدني، صحابي، إمام، عالم، عابد، وأول مولود في المدينة بعد الهجرة، وكان فارساً شجاعاً، له مواقف مشهودة، شهد اليرموك وفتح المغرب وغيرهما، وله قدر كبير في العلم والعبادة والشرف والجهاد، وفضله وثناء الأئمة عليه كثير، تولى الخلافة تسع سنين، وقتل -رضي الله عنه- في ذي الحجة سنة ٧٣هـ.
انظر: الحلية ١/ ٣٢٩، والاستيعاب ٣/ ٣٩، رقم: ١٥٥٣، وتهذيب الأسماء واللغات ١/ ٢٦٦، ووفيات الأعيان ٣/ ٧١، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٣٦٣، والإصابة ٢/ ٣٠٩، وتهذيب التهذيب ٢/ ٣٣٣.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٥/ ١٩٨، تفسير سورة الأعراف، وأبو داود، كتاب: التفسير، باب: خذ العفو وأمر بالعرف رقم: ٤٦٤٣، والنسائي في التفسير ١/ ٥١٢، رقم: ٢١٥، والطبري ٩/ ١٥٤، ووقع في طبعتنا (أبي الزبير) والصواب: (ابن الزبير)، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٣٧، كتاب: الأدب، باب: باب في التجاوز في الأمر، والنحاس في ناسخه ٢/ ٣٦٠، والواحدي في الوسيط ٢/ ٢٨٧، وفي رواية عند البخاري قال: «أمر الله نبيه ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس» اهـ.
وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٢٥: «رواه الطبراني في الأوسط عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه، ورجاله ثقات» اهـ.
وانظر: الدر المنثور ٣/ ٢٨٠، وقال النحاس في ناسخه ٢/ ٣٦٠ بعد الحديث «هذا أولى ما قيل في الآية لصحة إسناده، وأنه عن صحابي يخبر بنزول الآية، وإذا جاء الشيء هذا المجيء لم يسع أحداً مخالفته، والمعنى عليه: خذ العفو؛ أي السهل من أخلاق الناس، ولا تغلظ عليهم، ولا تعنف بهم، وكذا كانت أخلاقه ﷺ أنه ما لقي أحداً قط بمكروه في وجهه، ولا ضرب أحداً بيده» اهـ.
وانظر: شرح الحديث في فتح الباري ٨/ ٣٠٥.

وقـــال الصـــادق[١] : «ليس في القرآن آيــة أجمع لمكارم الأخـــلاق من هذه الآية»[٢] .

وقال عبدالله بن مســـلم : «جمع الله تعالى بهذه الآية لنبيه ﷺ كل خلق عظيم ؛ لأن في أخـــذ العفو صلة القاطعين ، والصفح عن الظالمين ، وإعطاء المانعين ، وفي الأمر بالعرف[٣] تقوى الله وصلة الأرحام ، وصون اللسان عن الكذب ، وغض الطرف عن الحُرمات ، وإنما ســـمّي هذا وما أشبهه عرفاً ومعروفاً ، لأن كل نفس تعرفـــه ، وكل قلب يطمئـــن إليه ، وفي الإعراض عن الجاهلـــين الصبر والحلم ، وتنزيه النفس عن مماراة السفيه ، ومنازعة اللجوج»[٤] ، فهذا الذي ذكرنا طريقة حسنة في هذه الآية[٥] .

وللمفسرين[٦] طريق آخر فيهـــا ، قال ابن عباس : «﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ ﴾ ؛ أي ما[٧] عفا لك من أموالهم ، وهو ما فضل من العيال والكلِّ[٨] ، يقول : ما أتوك به عفواً فخذه ، ولا تســـأل ما وراء ذلك ، وكان هذا قبل بيان فريضة الصدقة ، فلما نزلت آية وجوب الزكاة نُسخت هذه»[٩] .

---

(١) الصادق هو : جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي ، تابعي ، إمام ، عابد ، عالم ، ثقة . تقدمت ترجمته .

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره ٦/ ٣٢أ ، والبغوي ٣/ ٣١٦ ، والزمخشري ٢/ ١٣٩ ، والرازي ١٥/ ٩٦ ، والقرطبي ٧/ ٣٤٥ ، والخازن ٢/ ٣٢٨ .

(٣) في (ب) : (بالمعروف) .

(٤) تأويل مشكل القرآن ٤ ، ٥ .

(٥) لفظ : (الآية) ساقط من (ب) .

(٦) في (ب) : (والمفسرين) ، وهو تحريف .

(٧) في (ب) : (مما عفا لك) .

(٨) الكَلُّ بالفتح واللام : اليتيم ، والكلُّ : الذي هو عيال وثقل على صاحبه . والكلُّ : الوكيل ، وكلَّ الرجل : إذا تعب ، وكلَّ عنه : نبا وضعف ، انظر : اللسان (كلل) ٧/ ٣٩١٩ .

(٩) أخرجه الطبري ٩/ ١٥٤ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٣٨ بسند جيد ، وأخرج ابن أبي حاتم أيضاً عنه بسند جيد ، قال : «﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ ﴾ : الفضل» .

وهذا قول السدي[(١)] ومقاتل[(٢)] والكلبي والضحاك[(٣)].

قال الكلبي: «هو فضل المـــال كان يأخذه بعد الكَلِّ والعيال، ليس فيه شيء مؤقت، ثم نزلت الزكاة المفروضة بعد ذلك فنسخت الفضل»[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء: «يريد: بلا[(٥)] إله إلا الله»، وقال السدي: «بالفضل[(٦)] من المال، نسخته الزكاة».

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾. قـــال الضحاك: «وأعــرض عن المشركين»[(٧)]، وقال مقاتـــل[(٨)] والكلبي[(٩)]: «عــن جميع من جهل عليــك، وجهل أمرك من

(١) أخرجه الطبري ٩/ ١٥٤ بسند جيد.

(٢) تفسير مقاتل ٢/ ٨١.

(٣) أخرجه الطبري ٩/ ١٥٤ بسند ضعيف وذكره النحاس في ناسخه ٢/ ٣٥٨، ٣٥٩، والماوردي ٢/ ٢٨٨، عن ابن عباس والسدي والضحاك، وأخرج ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٣٨ بسند ضعيف عن الضحاك عن ابن عباس قال: «خذ الفضل: أنفق الفضل» اهـ.

(٤) تنوير المقباس ٢/ ١٤٩، وذكره هود الهواري ٢/ ٦٧، عن الكلبي، وذكره الثعلبي ٦/ ٣١/ ب، والبغوي ٣/ ٣١٦، عن ابن عباس والسدي والضحاك، وهو قول أبي عبدالله محمد بن حزم في ناسخه ٣٨، وهبة الله بن سلامة في ناسخه ٧٠، والظاهر عدم النسخ، وأن المعنى: أقبل الميسور من أخلاق الناس، وقد يدخل فيه فضل المال ومكان عن ظهر غنى، فالآية محكمة، وهو اختيار الجمهور، انظر: تفسير الطبري ٩/ ١٥٥، والناسخ والمنسوخ للنحاس ٢/ ٣٦٠، والإيضاح لمكي ٢٥٣، ونواسخ القرآن لابن الجوزي ٣٤٢، وزاد المسير ٣/ ٣٠٨، والنسخ في القرآن للدكتور مصطفى زيد ٢/ ٧٣٢.

(٥) في (ب): (يريد لا إله إلا الله)، والأثر ذكره الثعلبي ٦/ ٣١ب، والبغوي ٣/ ٣١٦، والقرطبي ٧/ ٣٤٦، والخازن ٢/ ٣٢٨، عن عطاء فقط.

(٦) في (ب): (الفضل)، وقد سبق تخريج الأثر، والظاهر أنه في تفسير قوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾، وليس في قوله: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾؛ لأنه محكم.

(٧) لم أقف عليه.

(٨) تفسير مقاتل ٢/ ٨١، ٨٢، وهو قول ابن حزم في ناسخه ٣٨.

(٩) تنوير المقباس ٢/ ١٤٩، وهو قول هبة الله بن سلامة في ناسخه ٧٠.

مشركي مكة ، مثل أبي جهل وغيره ، نسخة آية السيف»[١] ، فعلى هذه الطريقة جميع الآية منسوخة إلا قوله : ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ على قول عطاء[٢] ، والأحسن الطريقة الأولى[٣] .

قال ابن زيد[٤] : «لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ : «كيف يا رب والغضب» ؟ فنزل قوله تعالى : ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾»[٥] [الأعراف : ٢٠٠] ، نزغ الشيطان : وساوسه ونخسه في القلب بما يسول للإنسان من المعاصي[٦] ، روى أبو عبيد عن أبي زيد : «نزغت بين القوم إذا أفسدت»[٧] ، وقال الليث : «النزغ أن تنزغ بين قوم فتحمل بعضهم على بعض بفساد ذات بينهم»[٨] .

---

(١) هي الآية [٥] من سورة التوبة ، وقد سبق ذكرها .

(٢) سبق تخريجه ، وهو عندهم موصولاً بقوله : «يريد : بلا إله إلا الله ، قال : ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ : أبي جهل وأصحابه ، نسختها آية السيف» . وقال القرطبي ٧/ ٣٤٧ : «قال عطاء وابن زيد هي منسوخة بآية السيف ، وقال مجاهد وقتادة هي محكمة ، وهو الصحيح» اهـ . والذين قالوا بالنسخ جماعة ذكرهم المؤلف ، ولم يذكر عطاء معهم .

(٣) أي إن الآية محكمة ، والمعنى : إنه عام في من جهل ، أمر بصيانة النفس عن مقابلتهم على سفههم ، وإن وجب الإنكار عليهم ، وهذا هو الصحيح واختيار الجمهور .
انظر : تفسير الطبري ٩/ ١٥٣-١٥٦ ، والناسخ والمنسوخ للنحاس ٢/ ٣٦٣ ، والإيضاح لمكي ٢٥٣٦ ، ونواسخ القرآن لابن الجوزي ٣٤١٤ ، وتفسير ابن عطية ١٨٥-١٨٧ ، وابن الجوزي ٣/ ٣٠٨ ، والرازي ١٥/ ٩٦ ، ٩٧ ، والبحر ٤/ ٤٤٨ ، والنسخ في القرآن لمصطفى زيد ٢/ ٨٣٣ .

(٤) أخرجه الطبري ٩/ ١٥٦ ، ١٥٧ بسند جيد عن عبدالرحمن بن زيد ، وهو مرسل ، وذكره الثعلبي ٦/ ٣٢أ ، والواحدي في الوسيط ٢/ ٢٨٩ ، والبغوي ١٣/ ٣١٧ .

(٥) لفظ : (نزغ) ساقط من (ب) .

(٦) النص في تهذيب اللغة ٤/ ٣٥٥٢ ، وانظر : الجمهرة ٢/ ٨٢٠ ، والصحاح ٤/ ١٣٢٧ ، ومقاييس اللغة ٥/ ٤١٦ ، واللسان (نزغ) ٧/ ٤٣٩٧ .

(٧) تهذيب اللغة ٤/ ٣٥٥٢ .

(٨) تهذيب اللغة ٤/ ٣٥٥٢ ، وانظر : العين ٤/ ٣٨٤ ، والبارع ٣٣٠ .

قال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد : يعرض لك من الشيطان عارض»[١] . وقال مقاتل : «وإما[٢] يفتنك الشيطان فتنة»[٣] .

وقال الزَّجَّاج : «المعنى : إن نالك من الشيطان أدنى وسوسة»[٤] .

وقال عبدالله بن مسلم : «وإما يستخفنك الشيطان . قال : ويقال : نزغ بيننا فلان ؛ أي أفسد»[٥] .

وقال بعض أهل المعاني : «معنى النزغ : الإزعاج ، وأكثر ما يكون عند الغضب ، وأصله الإزعاج بالحركة إلى الشر ، وهذه نزغة من الشيطان للخصلة الحاملة عليه»[٦] ، وموضع[٧] ﴿يَنزَغَنَّكَ﴾ جزم بـ (إِنْ) التي للجزاء ، إلا أنه لا يتبين فيه الإعراب ؛ لأنه مبني مع نون التأكيد بالفتح إذ كانت مشددة ، ولا بد[٨] من تحريك ما قبلها في الجزم لالتقاء الساكنين[٩] .

وقوله تعالى : ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ ؛ أي اطلب النجاة من تلك البلية بالله ، ومضى معنى[١٠] الاستعاذة والعوذ ، ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ﴾ لدعائك ، ﴿عَلِيمٌ﴾ بما عرض لك .

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٨٩ .

(٢) لفظ : (الواو) ساقط من (ب) .

(٣) تفسير مقاتل ٢/ ٨٢ .

(٤) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٩٦ ، ونحوه قال النحاس في معانيه ٣/ ١٢٠ .

(٥) تفسير غريب القرآن ١٨٦ ، ونحوه في مجاز القرآن ١/ ٢٣٦ ، وغريب القرآن ١٥٦ ، وتفسير المشكل ٨٩ .

(٦) انظر : والرازي ١٥/ ٩٧ .

(٧) ﴿يَنزَغَنَّكَ﴾ : فعل مضارع مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط ، والنون للتوكيد ، حسن تأكيده بالنون لما دخلت عليه ما ، انظر : إعراب النحاس ١/ ٦٦٠ .

(٨) في (أ) : (مشددة أبد من تحريك) ، وهو تحريف .

(٩) انظر : الكتاب ٣/ ٥١٤_٥١٩ .

(١٠) انظر : البسيط ، [البقرة :٦٧] ، النسخة الأزهرية ١/ ٨٤/ أ .

٢٠١. قولــه تعــالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ ، قــال ابــن عبــاس : «يريد : المؤمنين»[١] ، وقال الكلبــي : «﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ الكفر والشرك والفواحــش»[٢] ، ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ ، وقــرئ[٣] (طيف) ، اختلفوا في الطيف ، فقيل : إنه مصدر .

قال أبــو زيد : «طاف يطوف طوفاً وطوافاً إذا أقبــل وأدبر ، وأطاف يُطيف إطافة إذا جعل يســتدير بالقوم ويأتيهم من نواحيهم ، وطاف الخيال يطيف طيفاً إذا ألم في المنام»[٤] ، ونحو هذا قال الزَّجَّاج[٥] ، وأنشدوا[٦] :

أنَّى ألَمَّ بكَ الخيالُ يطيفُ

(١) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٩٠ ، وذكره الثعلبي ٦/ ٣٢/ ب ، والبغوي ٣/ ٣١٧ بلا نسبة .

(٢) ذكر الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٩٠ عن ابن عباس ، قال : «يريد المؤمنين الذين اتقوا الكفر والشرك والفواحش» اهـ . وقال السمرقندي ١/ ٥٩٠ : «يعني : اتقوا الشرك والفواحش» اهـ .

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي (طَيْفٌ) ، بياء ساكنة بعد الطاء من غير ألف ولا همز ، وقرأ الباقون : ﴿طَٰٓئِفٌ﴾ ، بألف بعد الطاء وهمزة مكسورة بعدها .
انظر : السبعة ٣٠١ ، والمبسوط ١٨٧ ، والتذكرة ٢/ ٤٣٠ ، والتيسير ١١٥ ، والنشر ٢/ ٢٧٥ .

(٤) الحجة لأبي علي ٤/ ١٢٠ ، وليس فيه (وطوافاً) ، وفي مجمل اللغة ٢/ ٥٨٩ قال : «طاف يطوف طوفاً وطوافاً» .

(٥) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٩٦ ، وفيه يقال : (طفت أطوف وطاف الخيال يطيف) .

(٦) الشاهد لكعب بن زهير في ديوانه ٤٩ ، واللسان (طيف) ٥/ ٢٧٣٩ ، وبلا نسبة في : مجاز القرآن ١/ ٢٣٧ ، وتفسير الطبري ٩/ ١٥٧ ، ١٥٨ ، ونزهة القلوب ٣١٢ ، وإعراب القراءات ١/ ٢١٩ ، والصحاح ٤/ ١٣٩٧ ، ومقاييس اللغة ٣/ ٤٣٢ ، والكشاف ٢/ ١٣٩ ، وتفسير ابن عطية ٦/ ١٩٠ ، ١٩١ ، والفريد ٢/ ٣٩٨ ، والبحر ٤/ ٤٤٩ ، والدر المصون ٥/ ٥٤٦ وتمامه : ومطافُهُ لكَ ذكرةٌ وشعوفُ .
وأنَّى ؛ أي كيف ، وألَمَّ : نزل ، والإلمام : الزيارة ، والذكرة بالضم والكسر : نقيض النسيان ، وهو حفظ الشيء ، أو الشيء يجري على اللسان ، والشعف : إحراق الحب القلب مع لذة يجدها ، وشعفه الهوى : إذا بلغ منه ، والشعوف : الولوع بالشيء حتى لا يعدل عنه ، قال في اللسان ٤/ ٢٢٨٥ ، ٢٢٨٦ شعف في شرح بيت كعب : «يحتمل أن يكون جمع شعف ، ويحتمل أن يكون مصدراً ، وهو الظاهر» اهـ .
وانظر : اللسان (ذكر) ٤/ ٢٢٧٩ ، إذ شرح فيه بيت كعب شرح شواهد الكشاف ٤/ ٤٥٧ .

قال ابن الأنباري: «وجائز أن يكون الطيف أصله طيِّف إلا أنهم استثقلوا التشديد؛ فحذفوا إحدى الياءين، وأبقوا[١] ياء ساكنة»[٢].

فعلى القول الأول هو مصدر، و[٣] على ما قاله أبو بكر من باب هَيِّن وهَيْن، ومَيِّت ومَيْت[٤]، ويشهد بصحة قول أبي بكر قراءة سعيد بن جبير[٥]: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَآئِفٌ مِّنَ﴾ بالتشديد، هذا هو الأصل في الطيف[٦]، ثم يسمَّى الجنون والغضب والوسوسة طيفاً؛ لأنه لمة من الشيطان[٧] يشبه بلمَّة الخيال.

قال الأزهري: «الطَّيف في كلام العرب الجنون، رواه أبو عبيد عن الأحمر»[٨].

---

(١) في (ب): (واتقوا)، وهو تصحيف.

(٢) ذكره والرازي ١٥/ ٩٩، عن الواحدي عن ابن الأنباري.

(٣) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).

(٤) قال السمين في الدر ٥/ ٥٤٦: «طيف، قيل: إنه مخفف من فيعل، والأصل طيِّف بتشديد الياء، فحذف عين الكلمة، كقولهم في ميِّت ميت، وفي هيِّن هيْن، ثم طيف الذي هو الأصل يحتمل أن يكون من طاف يطيف، أو من طاف يطوف، والأصل (طيوف)، فقلب وأدغم، وهذا قول ابن الأنباري» اهـ.

وانظر: معجم مفردات الإبدال والإعلال للخراط (طاف) ١٧٦، و(ميت) ٢٥٢، و(هين) ٢٧١.

(٥) ذكرها النحاس في إعرابه ١/ ٦٦٠، والسمرقندي ١/ ٥٩٠، والثعلبي ٦/ ٣٢ب، ومكي في الكشف ١/ ٤٨٧، وابن عطية ٦/ ١٩٠، ١٩١، والرازي ١٥/ ٩٩، والقرطبي ٧/ ٣٤٩، والبحر ٤/ ٤٤٩، وذكرها ابن خالويه في مختصر الشواذ ٢٥٣، عن ابن عباس وسعيد بن جبير، وذكرها ابن زنجلة في الحجة ٣٠٦ عن ابن مسعود. وذكرها ابن الجوزي في تفسيره ٣/ ٣٠٩ عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعاصم الجحدري والضحاك.

(٦) لفظ: (في الطيف) مكرر في (أ).

(٧) في (أ): (من الشيطان أن يشبه)، وهو تحريف.

(٨) الأحمر هو خلف بن حيان، لغوي. تقدمت ترجمته.

وقال الهذلي[١] :

وإذا بها وأبيكَ طيفُ جنونِ[٢]

وقيل للغضب : طيف ؛ لأن عقل من استفزه يعزب حتى يصير في صورة المجنون الذي زال عقله»[٣] .

وأما الطائف فيجوز أن يكون بمعنى : الطيف ، مثل العافية والعاقبة ، ونحو ذلك مما جاء المصدر فيه على فاعل وفاعلةٍ ، قال الأعشى[٤] :

وتصبحُ[٥] مِنْ غبِّ السُّرى وكأنَّما[٦]
ألمَّ بها مِنْ طائفِ الجنِّ أولقُ

---

(١) الهذلي : أبو العيال بن أبي غثير ، مشهور بكنيته ، شاعر مخضرم ، أسلم مع مَن أسلم من هذيل ، وعمر إلى خلافة معاوية ، وهو فصيح مقدم .
انظر : شرح أشعار الهذليين للسكري ١/ ٤٠٧ ، والشعر والشعراء ٤٤٥ ، والأغاني ٢٤/ ١٦٢ ، والإصابة ٤/ ١٤٦ .

(٢) شرح أشعار الهذليين للسكري ١/ ٤١٥ ، ومعاني القراءات ١/ ٤٣٣ ، والصحاح ٤/ ١٣٩٧ ، واللسان (طيف) ٥/ ٢٧٣٩ ، وبلا نسبة في البارع ٦٨٣ ، والحجة لأبي علي ٤/ ١٢١ ، وصدره :
ومنَحَتْني فرضيتُ حينَ منحتْني
وجاء في الأغاني ٢٤/ ٢٦٦ : (رأي) بدل (حين) ، (والله) بدل (وأبيك) ، وفي المراجع : (فإذا) بدل (وإذا) .

(٣) تهذيب اللغة (طيف) ٣/ ٢١٥٥ .

(٤) ديوانه ١١٨ ، ومجاز القرآن ١/ ٢٣٦ ، والحجة لأبي علي ٤/ ١٢١ ، ومقاييس اللغة ٣/ ٤٣٢ ، وتفسير ابن عطية ٦/ ١٩١ ، ١٩٢ ، واللسان (طوف) ٥/ ٢٧٢٢ ، والبحر ٤/ ٤٤٩ ، والدر المصون ٥/ ٥٤٧ ، وبلا نسبة في : الجمهرة ١/ ١٠٩٢ ، وتهذيب اللغة (ألق) ١/ ١٨٤ ، وإعراب القراءات ١/ ٢١٨ ، والحجة لابن خالويه ١٦٨ ، وغب الشيء : عاقبته وما يليه ، والسرى : السير ليلاً ، وألم به : خالطه ، والطائف : ما يلم بالإنسان ويطوف به ، وأولق ؛ أي جنّ .

(٥) في (أ) : (ويصبح) ، وهو تصحيف .

(٦) في (أ) : (ولا نما) ، وهو تحريف .

قال الفرَّاء[(١)] في هذه الآية : «الطائف والطيف سواء ، وهو ما كان كالخيال ، والشيء يُلم بك» .

وقال الليث : «طائف الشيطان ، وطيف الشيطان ما : يغشى الإنسان من وساوسه»[(٢)] .

ومنهم من قال : «الطيف كالخطرة ، والطائف كالخاطرة[(٣)] . وهذا أكثر لأن المصدر على فَعْل أكثر منه على فاعل[(٤)] ، وقال أبو عمرو[(٥)] : «الطائف ما : يطوف حول الشيء ، وهو هاهنا ما طاف به من وسوسة الشيطان ، والطيف :

(١) تهذيب اللغة ٣/ ٢١٥٥ ، وفي معاني الفرَّاء ١/ ٤٠٢ : «﴿طَٰٓئِفٌ﴾ ، وقرأ إبراهيم النخعي : (طيف) وهو اللمم والذنب» اهـ .

(٢) تهذيب اللغة ٣/ ٢١٥٥ ، وفيه قال الليث : «كل شيء يغشى البصر من وسواس الشيطان فهو طيف ، والطائف العاس بالليل» اهـ .
وانظر : العين ٧/ ٤٥٩ ، والجمهرة ١/ ٩٢٢ .

(٣) لفظ : (كالخاطرة) ساقط من (ب) .

(٤) هذا قول أبي علي في الحجة ٤/ ١٢١ ، وانظر : الحجة لابن زنجلة ٣٠٥ ، والكشف ١/ ٤٨٧ .

(٥) أبو عمرو بن العلاء ، إمام ، مقرئ ، لغوي . سبقت ترجمته .

اللمة والوسوسة»[١] ، فأما التفسير ، فقال ابن عباس في رواية عطاء : «إذا مسّهم عارض من وسوسة الشيطان»[٢] .

[وروي عنه[٣] : «نزغ من الشيطان»][٤] .

وقال مجاهد[٥] وســـعيد بن جبير[٦] : «هو الرجل يغضب الغضبة فيذكر الله فيكظم الغيظ» .

---

(١) ذكره الثعلبي ٦/ ٣٢ب ، والماوردي ٢/ ٢٨٩ ، والواحدي في الوسيط ٢/ ٢٩٠ ، والبغوي ٣/ ٣١٧ ، وابن الجوزي ٣/ ٣٠٩ ، ٣١٠ .
وفي تفسير الطبري ٩/ ١٥٧ ، ١٥٨ ، ومعاني النحاس ٣/ ١٢٠ عن أبي عمرو قال : «الطيف : الوسوسة» اهـ .
وفي معاني النحاس عن الكسائي قال : «الطيف اللمم ، والطائف كل ما طاف حول الإنسان» اهـ .
وقال النحاس في إعرابه ٦٦٠ : «كلام العرب في مثل هذا طيف بالتخفيف على أنه مصدر من طاف يطيف ، ومعناه في اللغة ما يتخيل في القلب أو يرى في النوم ، وكذا معنى طائف» اهـ . ونحوه قال في معانيه ٣/ ١٢٠ ، وقال الأزهري في معاني القراءات ١/ ٤٣٣ ، ٤٣٤ : «المعنى في الطيف والطائف واحد ، وهو في كلام العرب له معنيان : أحدهما : الجنون ، وقد جعله بعض المفسرين في هذا الموضع جنوناً ؛ لأن الغضب الشديد يعتريه شيء من الجنون ، والمعنى : إذا مسَّهم غضب يخيل إلى من رآه في تلك الحالة بعد ما كان رآه ساكناً أنه مجنون ، والطيف في غير هذا الخيال الذي تراه في منامك ، ومن قرأ : ﴿طَـٰٓئِفٌ﴾ أراد به تغير حالة الغضبان إذا ثار ثائره ، فكأنما طاف به شيطان استخفه حتى تهافت في ما يتهافت فيه المجنون من سفك الدم الحرام والتقحم على الأمور العظام» اهـ .
وانظر : معاني الأخفش ٢/ ٣١٦ ، وغريب القرآن ١٥٦ ، والدر المصون ٥/ ٥٤٥ .

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٩٠ ، وأخرج الطبري ٩/ ١٥٩ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٤٠ بسند جيد عنه قال : «الطائف اللَّمة من الشيطان» اهـ .

(٣) أخرجه الطبري ٩/ ١٥٨ بسند ضعيف ، وذكره الثعلبي ٦/ ٣٢ب .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٩٠ عن سعيد بن جبير ومجاهد ، وفي تفسير مجاهد ١/ ٢٥٤ . وأخرجه الطبري ٩/ ١٥٨ من طرق جيدة ، قال : «الغضب» .

(٦) ذكره الثعلبي ٦/ ٣٣أ ، والبغوي ٣/ ٣١٨ ، وأخرج الطبري ٩/ ١٥٨ بسند جيد عنه ، قال : «الغضب» ، وذكره ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٤ عن مجاهد وسعيد بن جبير وعطاء وعبدالرحمن بن زيد .

وروى ليث[١] عن مجاهد قال: «هو الرجل يهمُّ بالذنب فيذكر الله فيدعه»[٢].

ونحو ذلك قال الكلبي[٣]، وروى الحكم[٤] عن عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية قال: «الطيف: الغضب»[٥].

وقال أهل المعاني: «ينبغي للعاقل إذا أحس من نفسه إفراطاً في الغضب أن يذكر غضب الله على المسرفين، فلا يقدم على ما يوبقه»[٦].

وقوله تعالى: ﴿تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾. قال عطاء عن ابن عباس: «يريد: استعاذوا فأبصروا عظمة الله تعالى»[٧].

وقال السدي: «معناه: إذا زلُّوا تابوا»[٨]، وقال مقاتل: «يقول: إن المتقي إذا أصابه نزغ من الشيطان تذكر[٩] وعرف أنها معصية، فأبصرها ففزع من

---

(١) ليث بن أبي سليم الكوفي. تقدمت ترجمته.

(٢) ذكره الثعلبي ٦/ ٣٣أ، والواحدي في الوسيط ٢/ ٢٩٠، والبغوي ٣/ ٣١٨.

(٣) في تنوير المقباس ٢/ ١٥٠ قال: «الطائف: الريب والوسوسة» اهـ.
وذكر الثعلبي ٦/ ٣٢ب عن الكلبي قال: «ذنب» اهـ.

(٤) الحكم: هو الحكم بن أبان العدني، أبو عيسى، إمام، عابد، سيد أهل اليمن، وهو صدوق، له أوهام. توفي سنة ١٥٤هـ، وله حوالي ٨٠ سنة.
انظر: الجرح والتعديل ٣/ ١١٣، وميزان الاعتدال ١/ ٥٦٩، وتهذيب التهذيب ١/ ٤٦١، وتقريب التهذيب ١٧٤، رقم: ١٤٣٨.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٤٠ بسند ضعيف، وذكره الأزهري في تهذيب اللغة (طيف) ٣/ ٢١٥٥.

(٦) هذا قول الأزهري في تهذيب اللغة (طيف) ٣/ ٢١٥٥.

(٧) لم أقف عليه. وأخرج الطبري ٩/ ١٥٩، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٤١ بسند ضعيف عنه في الآية قال: «إذا هم منتهون عن المعصية، آخذون بأمر الله، عاصون للشيطان» اهـ.

(٨) أخرجه الطبري ٩/ ١٥٨، ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٤١ بسند جيد.

(٩) في (ب): (تذكروا وعرف)، وهو تحريف.

مخافــة الله»[١] ، فعلى هذا معنــى[٢] ﴿ مُّبۡصِرُونَ ﴾ ؛ أي يبصرون مواقع خطاياهم بالتذكر والتفكر .

وقال أبو إســحاق : «أي تفكَّروا في ما أوضح الله لهم من الحجة فإذا هم على بصيرة»[٣] .

وقال الفرَّاء : «﴿ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾ ؛ أي منتهون إذا أبصروا»[٤] .

وقوله : ﴿ فَإِذَا هُم ﴾ ، معنى (إذا) هاهنــا : المفاجأة ، كقولك : خرجت فإذا زيــد ، و(إذا) في قوله : ﴿ إِذَا مَسَّهُمۡ ﴾[٥] بمنزلة الجــزاء في أن لها جواباً كجوابه ، والفرق[٦] بينها وبين الجــزاء أن (إذا) عبارة عن الوقت ، كقولك : آتيك إذا احمَرَّ البُسْرُ ، وليس كذلك (إنْ) ، كقولك : آتيك إن كان[٧] كذا ، فهذا شرط لا عبارة فيه[٨] عن زمان ما ، ولهذا قال الشــافعي : «إذا قال لامرأته : إذا لم أطلقك فأنت طالق[٩] ، طلقت في الوقت ، وإذا قال : إن لم أطلقك فأنت طالق ، لم يقع الطلاق ما لم يطلقها»[١٠] .

---

(١) تفسير مقاتل ٢/ ٨٢ .

(٢) لفظ : (معنى) ساقط من (أ) .

(٣) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٩٦ .

(٤) معاني الفراء ١/ ٤٠٢ ، والمعاني متقاربة ، والمعنى : تذكروا أمر الله وانتهوا إلى أمره ، أفاده الطبري ٩/ ١٥٩ ، وانظر : إعراب النحاس ١/ ٦٦١ ، والماوردي ٢/ ٢٨٩ ، وابن الجوزي ٣/ ٣١٠ ، والبحر ٤/ ٤٥٠ .

(٥) في (ب) : «وإذا مسهم» ، وهو تحريف .

(٦) في (ب) : (فالفرق) .

(٧) انظر : حروف المعاني للزَّجَّاجي ٥٧ و٦٣ ، ومعاني الحروف للرماني ٧٤ ، ١١٥ ، والصاحبي ١٧٦ ، ١٩٣ ، ورصف المباني ١٨٦ ، والمغني لابن هشام ١/ ٢٧ و٨٧ .

(٨) لفظ : (فيه) ساقط من (ب) .

(٩) لفظ : (طالق) ساقط من (ب) .

(١٠) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة (إن) ١/ ٢٢٤ ، وفي روضة الطالبين ٦/ ١٢١ قال : «أدوات التعليق =

٢٠٢. قوله تعالى: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ﴾، اختلفوا في هذه الكناية، فالأكثرون على أن المراد بها: الشياطين، وهو قول الحسن[(١)] وقتادة[(٢)] والسدي[(٣)] والضحاك[(٤)] والكناني[(٥)] واختيار الزَّجَّاج[(٦)]، قال: «يعني به: الشياطين؛ [لأن الكفار إخوان الشياطين][(٧)] لاجتماعهم على الضلالة»، وعلى هذا المراد بالإخوان: الكفار، وعادت الكناية إلى الشياطين؛ لأنهم قد ذكروا في قوله: ﴿طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، و[(٨)] هو اسم جنس.

وقال آخرون: المراد بالإخوان: الشياطين، فقوله: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ﴾؛ أي إخوان المشركين من الشياطين، وهذا قول ابن عباس[(٩)] في رواية عطاء،

---

= تقتضي الفور في طرف النفي، إلا لفظة (إن) فإنها للتراخي» اهـ.

وذكر في المجموع ١٧/ ١٨٨ قول الشافعي، وقال: «هذا هو الصحيح؛ لأن (إذا) اسم لزمان مستقبل، ومعناه: أي وقت، ولهذا يجاب به عن السؤال عن الوقت، فيقال: هل ألقاك؟ فتقول: إذا شئت، كما تقول: أي وقت شئت، فكان على الفور، كما لو قال: أي وقت لم أطلقك فأنت طالق، وليس كذلك! فإنه لا يستعمل الزمان، ولهذا لا يجوز أن يقال متى ألقاك، فتقول: إن شئت، وإنما يستعمل في الفعل، ويجاب بها عن السؤال عن الفعل، فيقال: هل ألقاك، فتقول: إن شئت، فيصير معناه: إن فاتني أن أطلقك فأنت طالق، والفوات يكون آخر العمر» اهـ.

(١) ذكره هود الهواري في تفسيره ٢/ ٦٨، وذكره القرطبي ٧/ ٣١٥ عن الحسن وقتادة والضحاك.

(٢) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢٤٥، ٢٤٦، والطبري ٩/ ١٦٠ بسند جيد.

(٣) أخرجه الطبري ٩/ ١٥٩، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٤١ بسند جيد.

(٤) ذكره النحاس في إعراب القرآن ١/ ٦٦١.

(٥) الكناني: هو الإمام عبدالعزيز بن يحيى المكي، ولم أقف على قوله.

(٦) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٩٧.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٨) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).

(٩) أخرجه الطبري ٩/ ١٥٩، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٤٢ بسند ضعيف، وأخرج ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٤١ بسند جيد عنه قال: «إخوان الشياطين يمدونهم في الغي».

ومجاهد[(١)] والكلبي، وابن مسلم[(٢)] وابن جريج[(٣)] ومقاتل[(٤)]. قال الكلبي: «لكلِّ كافرٍ أخ من الشياطين»[(٥)]، وهذا القول اختيار الفرَّاء[(٦)] وأبي بكر، قال: «والكناية على هذا تعود إلى الجاهلين في قوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وهم المشركون، ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ﴾، وهم الشياطين»[(٧)].

و[(٨)] قوله تعالى: ﴿يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ﴾. هذا من فعل الشياطين على القولين جميعاً، قال مقاتل: «يدعونهم إلى المعصية»[(٩)]، وقال أبو بكر: «أي يزينونه لهم، ويريدون منهم لزومه والإقامة عليه»[(١٠)].

---

(١) تفسير مجاهد ١/ ٢٥٤، وأخرجه الطبري ٩/ ١٦٠ بسند جيد.

(٢) تفسير غريب القرآن ١٨٧، ونحوه قال مكي في تفسير المشكل ٨٩.

(٣) أخرجه الطبري ٩/ ١٥٩ بسند جيد.

(٤) تفسير مقاتل ٢/ ٨٢.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٩١، والبغوي ٣/ ٣١٨، والخازن ٢/ ٣٢٩.

(٦) معاني الفرَّاء ١/ ٤٠٢.

(٧) ذكره ابن الجوزي ٣/ ٣١١، وقال النحاس في إعرابه ١/ ٦٦١: «أحسن ما قيل في هذا قول الضحاك: ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ﴾؛ أي إخوان الشياطين وهم الفجار، وعلى هذا يكون الضمير متصلاً، فهذا أولى في العربية، وقيل للفجار: إخوان الشياطين لأنهم يقبلون منهم» اهـ. ونحوه قال القرطبي ٧/ ٣٥١، وقال السمين في الدر ٥/ ٥٤٨: «الضمير في (وَإِخْوَانُهُمْ) يعود على الشياطين لدلالة لفظ الشيطان عليهم، والضمير المنصوب في (يمدوهم) يعود على الكفار، والتقدير: وإخوان الشياطين يمدهم الشياطين، وهذا قول الجمهور، وعليه عامة المفسرين» اهـ.
وانظر: تفسير السمرقندي ١/ ٥٩٠، وابن عطية ٦/ ١٩٢، ١٩٣، وابن الجوزي ٣/ ٣١٠، والرازي ١٥/ ١٠٠.

(٨) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).

(٩) تفسير مقاتل ٢/ ٨٢.

(١٠) ذكره ابن الجوزي ٣/ ٣١٠، ٣١١ بلا نسبة.

وقال أهل المعاني: «يطولون لهم الإغواء حتى يستمروا عليه»[(١)]، وذكرنا معنى المدِّ في قوله: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٥]، واختلف القراء[(٢)] في قوله: ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾، فقرؤوا من المدِّ والإمداد جميعاً، وعامة ما جاء في التنزيل مما يحمد، ويستحب أمددت على أفعلت، كقوله: ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ﴾ [الطور: ٢٢]، وقوله: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ [النمل: ٣٦]، وما كان خلافه يجيء على مددت، قال: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٥]، فالوجه هاهنا قراءة العامة، وهو فتح الياء، ومن ضم الياء استعمل ما هو للخير في ضده، كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١]، وقوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ١٠][(٣)].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾، قال الليث: «الإقصار: الكف عن الشيء»[(٤)]، وقال أبو زيد: «أقصر فلان عن الشيء يقصر إقصاراً، إذا كف عنه وانتهى»[(٥)].

قال ابن عباس: «يريد: لا يألون في ضلالتهم»[(٦)].

---

(١) هذا قول ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ١٨٧، الثعلبي ٦/ ٣٣ ب، ومكي في تفسير المشكل ٨٩، وانظر: مجاز القرآن ١/ ٢٣٧، وغريب القرآن ١٥٦، ومعاني النحاس ٣/ ١٢١.

(٢) قرأ نافع: ﴿يُمِدُّونَهُمْ﴾ بضم الياء وكسر الميم من أمدَّ، وقرأ الباقون بفتح الياء وضم الميم من (مدَّ)، انظر: السبعة ٣٠١، والمبسوط ١٨٨، والتذكرة ٢/ ٣٤٠، والتيسير ١١٥، والنشر ٢/ ٢٧٥.

(٣) ما تقدم هو قول أبي علي في الحجة ٤/ ١٢٢، ١٢٣، وانظر: إعراب النحاس ١/ ٦٦١، ومعاني القراءات ١/ ٤٣٤، والحجة لابن زنجلة ٣٠٦، والكشف ١/ ٤٨٧.

(٤) تهذيب اللغة ٣/ ٢٩٧٢، وانظر: العين (قصر) ٥/ ٥٧.

(٥) تهذيب اللغة ٣/ ٢٩٧٢، وانظر: الجمهرة ٢/ ٧٤٢، والصحاح ٢/ ٧٩٢، والمجمل ٣/ ٧٥٦، ومقاييس اللغة ٥/ ٩٦، والمفردات ٦٧٢، واللسان (قصر) ٦/ ٣٦٤٥.

(٦) لم أقف عليه، وأخرج الطبري ٩/ ١٥٩، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٤٣ بسند ضعيف عنه قال: «لا يسأمون» اهـ.

وقال ابن زيد : «لا يسأمون ولا يفترون»[١] ، وقال الضحاك[٢] : «الشياطين يمدون المشركين[٣] في الضلالة ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ يعني : المشركين ، بخلاف ما قال في المؤمنين : ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف : ٢٠١]» ، ونحو هذا قال مقاتل بن سليمان : «﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ عن الضلالة ، ولا يبصرونها كما أقصر المتقي عنها حين أبصرها»[٤] .

وهو قول ابن جريج : «لا يقصر الإنسان من أهل الشرك كما يقصر الذين اتقوا»[٥] .

فعلى قول ابن عباس قوله : ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ من[٦] فعل الشياطين ، وعلى قول الباقين من فعل المشركين ، وقال قوم : إنه من فعلهم جميعاً .

قال مقاتل[٧] بن حيان : «﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ عن المعصية هؤلاء وهؤلاء»[٨] .

وقال الفرَّاء : «﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ ، يعني : المشركين وشياطينهم»[٩] .

---

(١) ذكره الثعلبي ٦/ ٣٣أ .

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٩٢ ، والبغوي ٣/ ٣١٨ عن الضحاك ومقاتل ، وذكر النحاس في إعرابه ١/ ٦٦١ ، عن الضحاك قال : «أي إخوان الشياطين وهم الفجار : ﴿يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ ؛ أي لا يتوبون ولا يرجعون» اهـ .

(٣) في (ب) : (يمدون المشركين والضلالة) ، وهو تحريف .

(٤) تفسير مقاتل ٢/ ٨٢ .

(٥) أخرجه الطبري ٩/ ١٥٩ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٤٣ بسند جيد عن ابن جريج عن عبدالله بن كثير المكي .

(٦) لفظ : (من) ساقط من (ب) .

(٧) في (أ) تكرار لفظ : (مقاتل) .

(٨) لم أقف عليه .

(٩) معاني الفرَّاء ١/ ٤٠٢ .

وروي مثل هذا عن ابن عباس قال: «لا الإنس يقصرون عما يعملون من السيئات، ولا الشياطين يمسكون عنهم»[١].

٢٠٣. قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ﴾، قال الكلبي[٢]: «يعني: أهل مكة، ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ﴾ سألوكها، وكانوا يسألونه الآيات تعنتاً، فإذا أبطأت ﴿قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾».

قال الفرَّاء: «العرب تقول: اجتبيت الكلام[٣] واختلقته، وارتجلته[٤] إذا افتعلته من قبل نفسك»[٥].

وقال أبو زيد: «الاجتباء تقوله العرب في الكلام، يبتدئه الرجل من نفسه»[٦].

وقال الزَّجَّاج[٧]: «﴿لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾؛ أي هلا اختلقتها، وأتيت بها[٨] من قبل نفسك».

---

(١) أخرجه الطبري ٩/ ١٥٩، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٤٢ بسند جيد، وذكره ابن الجوزي ٣/ ٣١١ وقال: «وعليه يكون قوله: ﴿يُقْصِرُونَ﴾ من فعل الفريقين، وهذا على القول المشهور» اهـ.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٩٢، والبغوي ٣/ ٣١٨، وابن الجوزي ٣/ ٣١١، الخازن ٢/ ٣٣٠.

(٣) لفظ: (الكلام) ساقط من (ب).

(٤) في (ب): (وارتجلته وافتعلته)، وهو تحريف.

(٥) حكاه الطبري ٩/ ١٦١، عن الفرَّاء، وفي تهذيب اللغة ١/ ٥٢٧، عن الفرَّاء في الآية قال: «هلا اجتبيتها، هلا اختلقتها وافتعلتها من نفسك، وهو في كلام العرب جائز أن تقول: لقد اختار لك واجتباه وارتجله» اهـ. وفي معاني الفرَّاء ١/ ٤٢٠: «يقول: هلا افتعلتها، وهو من كلام العرب جائز أن يقال: اختار الشيء، وهذا اختياره» اهـ. وأشار المحقق في الحاشية إلى وجود سقط في النسخ.

(٦) حكاه الطبري ٩/ ١٦٢، عن أبي عبيدة عن أبي زيد، وذكره الثعلبي ٦/ ٣٣ب، وانظر: اللسان (جبى) ١/ ٥٤٢.

(٧) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٩٧، ونحوه في تفسير غريب القرآن ١٨٧، ومعاني النحاس ٣/ ١٢١.

(٨) لفظ: (بها) ساقط من (أ).

ونحو هــذا قال المفــسرون ، و[١] روي عــن ابن عباس : «لــولا أحدثتها فأنشأتها»[٢] .

وقال مجاهد[٣] : «لولا اقتضبتها[٤] وأخرجتها من نفسك» .

وقال ابن زيد[٥] : «لولا تقولتها وجئت بها من عندك» .

وقال قتادة[٦] : «هلا افتعلتها[٧] [وأنشأتها من قبل نفسك واختيارك» .

---

(١) لفظ : (الواو) ساقط من (ب) .

(٢) أخرجه الطبري ٩/ ١٦١ بسند جيد . وفي رواية قال : «لولا تلقيتها» ، وأخرج ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٤٣ بسند جيد عنه قال : «لولا أخذتها وتلقيتها فأنشأتها» ، وفي رواية بسند ضعيف قال : «هلا افتعلتها من تلقاء نفسك» ، وفي رواية عند الطبري وابن أبي حاتم بسند ضعيف قال : «لولا تقبلتها من الله» اهـ .

(٣) أخرجه الطبري ٩/ ١٦١ بسند جيد ، وفي تفسير مجاهد ١/ ٢٥٤ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٤٣ بسند جيد قال : «لولا ابتدعتها من قبل نفسك» .

(٤) في (ب) : (قتضيتها) ، والأولى (اقتضبتها) ، كما في المراجع . واقتضب الكلام : ارتجله من غير تهيئة أو إعداد له ، انظر : اللسان (قضب) ٦/ ٣٦٦٠ .

(٥) أخرجه الطبري ٩/ ١٦١ بسند جيد .

(٦) ذكره الثعلبي ٦/ ٣٣/ ب ، وأخرج عبدالرزاق ١/ ٢/ ٢٤٧ ، والطبري ٩/ ١٦١ بسند جيد عنه قال : «لولا جئت بها من نفسك» ، وفي رواية عند الطبري بسند جيد عنه قال : «لولا تلقيتها من ربك» ، وأخرج الطبري ٩/ ١٦١ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٤٤ بسند جيد عنه قال : «لولا أتيت بها من قبل نفسك ، هذا قول كفار قريش» اهـ .

(٧) في (ب) : (فعلتها) .

وقال الضحاك : «[افتعلتها][١] من تلقاء نفسك»[٢] .

قــال الزَّجَّاج : «فأعلمهم ﷺ أن الآيات من قبــل الله -عز وجل- لقوله : ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّى﴾[٣] [الأعـراف : ٢٠٣] ؛ أي[٤] لو كنت آتي بالآيات من قبل نفسي للزمني تعجيل ما تطلبون مني ، لكن ليس الأمر كذلك لأني ﴿أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّى﴾ .

وقوله تعالى : ﴿هَٰذَا﴾ ؛ أي هذا القرآن الذي أتيت به ﴿بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ .

قال ابن الأعرابي[٥] : «البصيرة : الثبات في الدين» .

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٢) أخرج الطبري ٩/ ١٦١ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٤٣ بسند جيد عنه قال : «لولا أخذتها فجئت بها من السماء» اهـ . والمعاني متقاربة ، واختار الطبري ٩/ ١٦١ أن المعنى : «هلا أحدثتها من نفسك» اهـ .
واختار النحاس في معانيه ٣/ ١٢١ : «جئت بها من عند نفسك ، قال : وكذلك هو في اللغة ، يقال : اجتبيت الشيء وارتجلته واخترعته واختلقته ، إذا جئت به من عند نفسك» اهـ .
وقال ابن الجوزي ٣/ ٣١٢ : «هلا افتعلتها من تلقاء نفسك ، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي وابن زيد والفرَّاء والزَّجَّاج وابن قتيبة في آخرين ، وهو أصح» اهـ .
وانظر : مجاز القرآن ١/ ٢٠٠ ، وتفسير غريب القرآن ١٨٧ ، والسمرقندي ١/ ٥٩١ ، والماوردي ٢/ ٢٩٠ .

(٣) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٩٧ .

(٤) لفظ : (أي) ساقط من (أ) .

(٥) تهذيب اللغة ١/ ٣٤٢ .

وقال غيره : «البصيرة : العبرة ، يقال : أما لك بصيرة في هذا ؛ أي عبرة تعتبر بها[١] وأنشد[٢] :

فـي الـذَّاهبينَ الأوَّليـ ـنَ مِنَ القرونِ لنا بصائرُ

أي عبر»[٣] .

وقال الفرَّاء[٤] والزَّجَّاج[٥] : «البصيرة في الدين ، وأصلها من ظهور الشيء وبيانه» .

وقال أهل المعاني[٦] في قوله : ﴿ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ ﴾ : «هذا القرآن ، وهذا الوحي دلائل من ربكم تقود إلى الحق ، وتهدي إلى الرشد من استدل بها دون من أعرض عنها متعامياً عما فيها ، ومن هذا يقال للطريقة من الدم[٧] يستدل به على الرميَّة : بصيرة» .

---

(١) في (أ) : (تعتبرها) ، وهو تحريف .

(٢) البيت لقس بن ساعدة الإيادي في كتاب المعمرين لأبي حاتم السجستاني ٩٦ ، والعقد الفريد ٤/ ٢١٥ ، والبيان للجاحظ ١/ ٢٩٤ ، والأغاني ١٥/ ٢٣٧ ، ومعجم المرزباني ١٩٩ ، وبلا نسبة في العين ٧/ ١١٨ ، وتهذيب اللغة ١/ ٣٤٢ ، واللسان (بصر) ١/ ٢٩١ .

(٣) هذا قول الليث في تهذيب اللغة ١/ ٣٤٢ .

(٤) لم أقف عليه عن الفرَّاء .

(٥) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٩٧ .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٩/ ١٦٢ .

(٧) في (ب) : (الذم) ، وهو تصحيف ، والرمية هي الطريدة التي يرميها الصائد . انظر : اللسان (رمي) ٣/ ١٧٤٠ .

وقال المفسرون[١] : «هذا القرآن حجــج وبيان وبرهان من ربكم ، وأصلها من ظهــور الشيء حتى يبصرها الإنســان فيهتدي إليها وينتفــع بها[٢] ، فمعنى البصيرة في أصــل اللغة[٣] : ما يبصر به الشيء ، ويدخــل في هذا العبرة والحجة والدليل والبرهان» .

٢٠٤. قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ﴾ . الإنصات : السكوت للاستماع ، يقال : نَصَتَ وأَنصت وانتصت بمعنى واحد[٤] ، وقد ورد الإنصات متعدياً في شعر الكميت[٥] بمعنى الإسكات ، وهو قوله[٦] :

أبوكَ الذي أجدى عليَّ بنصرِهِ
فأنصتَ عنِّي بعدَهُ كلَّ قائلِ[٧]

(١) هذا قول الثعلبي في تفسيره ٦/ ٣٣ب ، والبغوي ٣/ ٣١٨ ، ونحوه قال أكثرهم ، وانظر : مجاز القرآن ١/ ٢٣٧ ، وتفسير الطبري ٩/ ١٦٢ ، ونزهة القلوب ١٤٠ ، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٩١ .

(٢) لفظ : (بها) ساقط من (ب) .

(٣) انظر : الجمهرة ١/ ٣١٢ ، والصحاح ٢/ ٥٩١ ، ومقاييس اللغة ١/ ٢٥٣ ، والمجمل ١/ ١٢٧ ، والمفردات (بصر) ١٢٧ .

(٤) انظر : العين ٧/ ١٠٦ ، والجمهرة ١/ ٤٠١ ، والصحاح ١/ ٢٦٨ ، والمجمل ٢/ ٨٧٠ ، ومقاييس اللغة ٥/ ٤٣٤ .

(٥) تقدمت ترجمته .

(٦) لفظ : (قوله) ساقط من (ب) .

(٧) البيت للكميت في البحر ٤/ ٤٣٨ ، والدر المصون ٥/ ٥٥١ وهو للراعي النميري في ديوانه ٧٨ ، ومجاز القرآن ٢/ ٤٧ ، والجمهرة ١/ ٣٩٨ ، ٣/ ١٢٦١ ، والاشتقاق ١١٠ ، وبلا نسبة في : تهذيب اللغة ٤/ ٣٥٨٢ ، واللسان (نصت) ٧/ ٤٤٣٧ .

قال الأصمعي[(١)] : «يريد : فأسكت عني»[(٢)] ، واختلف المفسرون في وجه نزول الآية على قولين : أحدهما : أنها نزلت في تحريم الكلام في الصلاة ، قال أبو هريرة : «كانوا يتكلمون في الصلاة ، فنزلت هذه الآية ، وأُمروا بالإنصات»[(٣)] .

وقال قتادة : «كان الرجل يأتي وهم في الصلاة ، فيسألهم : كم صليتم ؟ وكم بقي ؟ وكانوا يتكلمون في الصلاة بحوائجهم ؛ فأنزل الله هذه الآية»[(٤)] ، ونحو هذا قال معاوية[(٥)] بن قرة[(٦)] ، وقال ابن مسعود : كنا يسلم بعضنا على بعض في الصلاة ؛ سلام على فلان ، سلام على فلان ، فجاء القرآن : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ ﴾ الآية»[(٧)] .

القول الثاني : أن الآية نزلت في ترك الجهر بالقراءة وراء الإمام ، قال ابن عباس : «إن رسول الله ﷺ قرأ في الصلاة المكتوبة ، وقرأ أصحابه وراءه رافعين أصواتهم ، فخلطوا عليه ، فنزلت هذه الآية»[(٨)] .

---

(١) وقع هنا في (ب) اضطراب في ترتيب الأوراق ، حيث وقع باقي تفسير الآية في ١٨٦ب .

(٢) تهذيب اللغة ٤/ ٣٥٨٢ .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٢/ ٨٣٨٠ ، والطبري ٩/ ١٦٣ ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٤٥ ، والبيهقي في سننه ٢/ ١٥٥ من طرق ضعيفة .

(٤) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢٤٧ ، والطبري ٩/ ١٦٤ من طرق جيدة .

(٥) معاوية بن قرَّة بن إياس بن هلال المزني ، أبو إياس البصري ، إمام ، تابعي ، عابد ، عالم ، ثقة ، والد القاضي إياس ، أدرك كثيراً من الصحابة رضي الله عنهم ، توفي سنة ١١٣هـ ، وله ٧٦ سنة ، انظر : الجرح والتعديل ٨/ ٣٧٨ ، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١٥٣ ، وتهذيب التهذيب ٤/ ١١١ ، وتقريب التهذيب ٥٣٨ ، ٦٧٦٩ .

(٦) أخرجه البيهقي في سننه ٢/ ١٥٥ بسند جيد .

(٧) أخرجه الطبري ٩/ ١٦٢ بسند ضعيف لانقطاعه .

(٨) أخرجه الطبري ٩/ ١٦٥ بسند جيد .

وروي عن أبي هريرة مثل ذلك[١] قال: «نزلت هذه الآية في رفع الأصوات، وهم خلف رسول الله ﷺ في الصلاة»[٢].

وروي أيضاً عن ابن مسعود[٣] مثل هذا، وقال الكلبي: «كانوا يرفعون أصواتهم في الصلاة، حين يسمعون ذكر الجنة والنار، فأنزل الله هذه الآية»[٤].

وفي الآية قول ثالث: وهو أنها نزلت في السكوت للخطبة، أُمِروا بالإنصات للإمام يوم الجمعة، وهذا قول سعيد[٥] بن جبير ومجاهد[٦] وعطاء[٧] وعمرو[٨] بن دينار، وزيد بن أسلم[٩] والقاسم بن مخيمرة[١٠] وجماعة.

---

(١) في (ب): (مثل هذا).

(٢) أخرجه الطبري ٩/ ١٦٣، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٤٥، والدارقطني في سننه ١/ ٣٢٦، والواحدي في الوسيط ٢/ ٢٩٣، وفي أسباب النزول ٢٣٣ بسند ضعيف، كما قال الدارقطني.

(٣) أخرجه الطبري ١٣/ ٣٤٦، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٤٦ بسند جيد عنه، قال: «لعلكم تقرؤون مع الإمام قالوا: نعم، قال: ألا تفقهون! ما لكم لا تعقلون: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾» اهـ.

قال الشيخ أحمد شاكر في الحاشية «فيه بشير بن جابر، لم أعرفه، وفي المخطوطة (بسير) غير منقوطة، ولم أعرف له وجهاً» اهـ.

(٤) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢/ ٢٤٧ بسند جيد.

(٥) ذكره البغوي ٣/ ٣١٩، والرازي ١٥/ ١٠٢، والخازن ٢/ ٣٣٠ عن سعيد بن جبير وعطاء، وأخرج الطبري ٩/ ١٦٥ بسند جيد عنه قال: «يوم الأضحى والفطر والجمعة وفي الصلاة»، وقال البخاري في القراءة خلف الإمام ٦٤: «ذكر عن ابن عباس وسعيد بن جبير أن الآية في الصلاة إذا خطب الإمام يوم الجمعة» اهـ.

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٢/ ٢٢٦، ٢٢٧، الطبري ٩/ ١٦٥ من طرق جيدة.

(٧) ذكره الماوردي ٢/ ٢٩٠، وأخرج الطبري ٩/ ١٦٥ من طرق جيدة.

(٨) ذكره الواحدي في أسباب النزول ٢٣٣، وابن الجوزي ٣/ ٣١٣، عن سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وعمرو بن دينار.

(٩) ذكره الثعلبي ٦/ ٣٤ب، والقرطبي ٧/ ٣٥٣، عن سعيد بن جبير ومجاهد وعمرو بن دينار وزيد بن أسلم، والقاسم ابن مخيمرة.

(١٠) القاسم بن مخيمرة الهمداني، أبو عروة الكوفي، نزيل الشام، تابعي، إمام، عابد، فاضل، معلم، =

واحتـج ابن المبـارك[(١)] لهذا القول بـأن قال: «لا ترى خطيبـاً يخطب يوم الجمعة، فـأراد أن يقرأ في الخطبة[(٢)] آية من قوارع القـرآن إلا قرأ هذه الآية قبل قراءته، ثم قرأ القرآن»[(٣)].

واختار الفـرَّاء[(٤)]، وأبو إسـحاق[(٥)] القول الأول، وقـالا: «كان الناس يتكلمـون في الصلاة المكتوبة، يأتي الرجل القـوم، فيقول: كم صليتم؟ فيقول الناس: كذا وكذا، فنهوا عن ذلك، فحرم الكلام في الصلاة لما نزلت هذه الآية».

ولا حجة في الآية لمن أبى وجوب قراءة الفاتحة في الصلاة خلف الإمام؛ لأن قوله: ﴿وَأَنصِتُواْ﴾ على القـول الأول أمر بالإنصات عن الكلام الذي لا يحل في الصلاة، وعلى القول الثاني أمر بالإنصات عن رفع الأصوات خلف الإمام، وفي القول الثالث أمر بالإنصات لاسـتماع القرآن في الخطبة، وقد قال الأوزاعي[(٦)]:

---

= محدث، ثقة، توفي سنة ١٠٠هـ. انظر: الجرح والتعديل ٧/ ١٢٠، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٢٠١، وتهذيب التهذيب ٣/ ٤٢١، وتقريب التهذيب ٣/ ٤٢١.

(١) عبدالله بن المبارك بن واضح الحنظلي. تقدمت ترجمته.

(٢) لفظ: (الخطبة) ساقط من (ب).

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره ٦/ ٣٤ب، وهذا القول ضعَّفه أكثرهم، قال البغوي في تفسيره ٣/ ٣٢٠: «الأولى أنها في القراءة في الصلاة؛ لأن الآية مكية، والجمعة وجبت بالمدينة، واتفقوا على أنه مأمور بالإنصات حالة ما يخطب الإمام»، وضعَّفه ابن العربي في أحكام القرآن ٢/ ٨٢٨، والقرطبي ٧/ ٣٥٣.

(٤) معاني الفرَّاء ١/ ٤٠٢.

(٥) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٩٨.

(٦) الأوزاعي: عبدالرحمن بن عمرو بن يُحمد الأوزاعي، أبو عمرو الشامي الدمشقي، إمام، تابعي، عابد، فاضل، فقيه، حافظ، ثقة، شيخ الإسلام، وعالم أهل الشام، أجمعوا على إمامته وجلالته وعلوِّ مرتبته وكمال فضله، وأقاويل الأئمة فيه كثيرة، مصرحة بورعه وزهده وغزارة فقهه وقيامه بالحق، توفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ١٥٧ هـ، وله ٦٩ سنة.

انظر: الجرح والتعديل ١/ ١٨٤، و٥/ ٢٦٦، والحلية ٦/ ١٣٥، وتهذيب الأسماء واللغات ١/ ٢٩٨، وسير أعلام النبلاء ٧/ ١٠٧، وتهذيب التهذيب ٢/ ٥٣٧.

«إن الله أمــر بالإنصات عن الكلام لا عن قراءة القــرآن لأنهم كانوا يتكلمون في الصلاة»[(١)] .

فإن احتــج بعموم اللفظ ، ولم يقصر الآية على ســببها ، قيل له : حكم الآية ممتثل[(٢)] عند الشــافعي[(٣)] رضي الله عنه ؛ لأنّ السنة أن يسكت الإمام ويتنفس ، فيقــرأ المأموم الفاتحة في حال ســكتة الإمام ، كــما قال أبو ســلمة[(٤)] : «للإمام ســكتتان ، فاغتنم القراءة في أيهما شــئت»[(٥)] ، على أن الإنصات هو ترك الجهر ، والعرب تســمي تارك الجهر منصتاً ، وإن كان يقرأ في نفســه إذا لم يُسمع أحداً ، وأيضاً فإن الفاتحة مخصوصة بالقراءة من بين غيرها بالســنة لقوله ﷺ : «إذا كنتم خلفي فلا تقرؤوا إلا بفاتحة الكتاب ، فإنه لا صلاة إلا بها»[(٦)] .

---

(١) لم أقف عليه .

(٢) كذا في النسخ : (ممتثل) ، ولعل المعنى ؛ أي قائم ومتصور . انظر : اللسان (مثل) ٧/ ٤١٣٥ .

(٣) انظر : أحكام القرآن للشافعي ١/ ٧٧ ، وروضة الطالبين ١/ ٣٤٧ ، والمجموع ٣/ ٣٦٣ .

(٤) أبو سلمة بن عبدالرحمن بن عوف الزهري القرشي المدني ، قيل : اسمه عبدالله ، وقيل : إسماعيل ، وهو إمام تابعي عالم عابد فقيه ثقة مكثر ، اتفقوا على جلالته وإمامته وعظم قدره وارتفاع منزلته ، توفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ٩٤هـ ، وله ٧٢ سنة ، انظر : الجرح والتعديل ٥/ ٩٣ ، وتهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٢٤٠ ، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٢٨٧ ، وتهذيب التهذيب ٤/ ٥٣١ .

(٥) أخرجه البخاري في القراءة خلف الإمام ، وذكره ابن قدامة في المغني ٢/ ٢٦٦ ، وابن القيم في زاد المعاد ١/ ٢٠٨ ، وقال ابن قدامة في المغني ١/ ١٦٣ : «يستحب أن يسكت الإمام عقيب قراءة الفاتحة سكتة يستريح فيها ويقرأ فيها من خلفه الفاتحة ؛ كي لا ينازعوه فيها ، وهذا مذهب الأوزاعي والشافعي وإسحاق ، وكرهه مالك وأصحاب الرأي» اهـ . وانظر : سنن البيهقي ٢/ ١٩٥ ، ونيل الأوطار ٢/ ٢٧٦ .

(٦) أخرجه البخاري في القراءة خلف الإمام ، وأبو داود في سننه ، رقم : ٣٢٣ ، والترمذي ، رقم : ٣١١ ، والنسائي ٢/ ١٤١ ، كتاب : الافتتاح ، باب : قراءة أم القرآن في الجهرية ، والدارقطني ١/ ٣١٨ ، والحاكم في المستدرك ١/ ٢٣٨ عن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ قال : «صلَّى رسول الله ﷺ الصبح ، فثقلت عليه القراءة ، فلما انصرف قال : «إني أراكم تقرؤون وراء إمامكم . قلنا : إي والله . قال : فلا تفعلوا إلا بأم القرآن ، فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها» اهـ .

قال الترمذي : «حديث حسن ، وله شواهد ، والعمل عليه في القراءة خلف الإمام عند أكثر أهل =

فالمأموم ينصت إلا عن الفاتحة . للخبر ، على أنا نقول : إن جاز لغيرنا أن يُعدِّي الآية إلى غير السبب النازل فيه جاز لنا أن نأوِّلها بما ذكره أبو إسحاق ، وهو أنه قال : «يجوز أن يكون : ﴿فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ﴾[1] : اعملوا بما فيه ، ﴿وَأَنصِتُواْ﴾ : لا تجاوزه إلى غيره ؛ لأن معنى قول القائل : سمع الله دعاءك ، تأويله : أجاب الله دعاءك ، وفعل ما أردت ؛ لأن الله - عز وجل - سميع لم يزل»[2] ، وعلى هذا فلا معنى لترك القراءة في الآية ، وليست الآية من ترك القراءة في شيء .

وذهب قوم من أهل الظاهر[3] إلى أنّ هذه الآية عامة ، ويجب الإنصات لقارئ الطريق ، ومعلم الصبيان ، وليس الأمر على[4] ما ذهبوا إليه ؛ فإن هذا الإنصات إنما

---

= العلم من الصحابة والتابعين ، وهو قول مالك وابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق» اهـ .
وقال الدارقطني : «إسناده حسن» اهـ . وذكره الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير ١/ ٢٣١ وحسنه وقال : «صححه أبو داود والترمذي والدارقطني وابن حبان والحاكم والبيهقي» اهـ .
وقال البيهقي في سننه ٢/ ١٦٣ : «يقرأ المأموم خلف الإمام بفاتحة الكتاب في السرية والجهرية ، وهو أصح الأقوال على السنة ، وأحوطها ، وبالله التوفيق» اهـ .
وهذا هو الظاهر ، وحديث عبادة نص في ذلك ، وهو اختيار الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، قال في مجموع دروس الحرم المكي ٢/ ٢٣٦ : «الصحيح من أقوال أهل العلم أن قراءة الفاتحة واجبة على الإمام والمأموم والمنفرد في الصلاة السرية والجهرية ، والدليل حديث عبادة فتكون الأحاديث مخصصة للآية وتحمل الآية في غير الفاتحة لأنه لا بد من قراءتها» اهـ .

(١) في النسخ : (استمعوا) .

(٢) معاني الزَّجّاج ٢/ ٣٩٨ .

(٣) انظر : المغني لابن قدامة ٢/ ٢٥٩ ، والفتاوى لشيخ الإسلام ٢٣/ ٢٦٥ و٣٣٠ ، ونيل الأوطار ٢/ ٢٤٣_٢٥٧ ، وقال النحاس في إعرابه ٦٦٢ : «الإنصات في اللغة عام ، يجب أن يكون في كل شيء ، إلا أن يدل دليل على اختصاص شيء» اهـ . ونحوه في معانيه ٣/ ١٢٢ ، وقال القرطبي ٧/ ٣٥٣ ، ٣٥٤ : «الصحيح أن الإنصات عام في الصلاة والخطبة ؛ لأنه يجمع جميع ما أوجبته هذه الآية وغيرها من السنة في الإنصات ، وحكي عن النقاش إجماع أهل التفسير أن هذا في الاستماع في الصلاة المكتوبة وغير المكتوبة» اهـ .

(٤) في (ب) : (إلى ما ذهبوا) .

يجب في الصلاة، وعند الخطبة يوم الجمعة، على ما ذكرنا عن الأئمة والسلف[(١)]، يدل على هذا ما روى الجريري[(٢)] عن طلحة بن عبيد الله بن كريز[(٣)] قال: «رأيت عبيد بن عمير[(٤)] وعطاء بن أبي رباح يتحدثان، والقاص يقصُّ، فقلت: ألا تستمعان إلى الذكر وتستوجبان الموعود، فنظرا إليَّ وقالا: إنما ذلك في الصلاة: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾، ثم أقبلا على حديثهما»[(٥)].

٢٠٥. قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ﴾، الخطاب في هذا للنبي ﷺ، وغيره داخل فيه لأنه عام لسائر المكلفين.

قال ابن عباس: «يعني بالذكر القراءة في الصلاة»[(٦)].

﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾، قال: «يريد: يتضرع إليَّ ويخاف مني»[(٧)].

ومعناه:[(٨)] استكانة لي وخوفاً من عذابي.

---

(١) انظر: تفسير الطبري ٩/ ١٦٥، ١٦٦، والسمرقندي ١/ ٥٩١، والماوردي ٢/ ٢٩٠، وابن عطية ٦/ ١٩٦، ١٩٧، وابن الجوزي ٣/ ٣١٢، والرازي ١٥/ ١٠٢_١٠٤، وابن كثير ٢/ ٣١١، والدر المنثور ٣/ ٢٨٥_٢٨٧.

(٢) الجريري هو سعيد بن إياس الجريري، أبو مسعود البصري، إمام، محدث من كبار العلماء، ثقة، اختلط قبل موته بثلاث سنين، توفي سنة ١٤٤هـ.
انظر: الجرح والتعديل ٤/ ١، وسير أعلام النبلاء ٦/ ١٥٣، وتذكرة الحفاظ ١/ ١٥٥، وتهذيب التهذيب ٢/ ٧، وتقريب التهذيب ٢٣٣ (٢٢٧٣).

(٣) طلحة بن عبيدالله بن كريز بن جابر بن ربيعة الخزاعي الكعبي، تقدمت ترجمته.

(٤) عبيد بن عمير بن قتادة الليثي، إمام مجمع على ثقته، وكان قاضي أهل مكة. تقدمت ترجمته.

(٥) أخرجه الطبري ٩/ ١٦٣ بسند جيد.

(٦) ذكره الثعلبي ٦/ ٣٥ أ، والواحدي في الوسيط ٢/ ٢٩٤، والبغوي ٣/ ٣٢١، وابن الجوزي ٣/ ٣١٣، والخازن ٢/ ٣٣٢.

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٩٤، والبغوي ٣/ ٣٢١.

(٨) في (ب): (ومعنا)، وهو تحريف.

﴿وَخِيفَةً﴾ قال الزَّجَّاج : «أصلها خوفة ، فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها» ، ذكر ذلك في سورة طه[١] . ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ﴾ : دون الرفع ، ﴿مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ : من القرآن .

قال[٢] : «يريد : لا ترفع بذلك صوتك ، تسمع نفسك ، وإن جاوزك إلى من هو إلى جانبك فلا بأس» . ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ . قال : «يريد : بكرة وعشياً ، يريد : الصلوات»[٣] .

فعلى[٤] هذا القول الآية وردت في القراءة في الصلوات كلها لقوله تعالى : ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ [الأنعام : ٥٢] .

وقد مر ، فأمر أن يقرأ في نفسه في بعضها ، وهو صلاة الإسرار ، ودون الجهر في بعضها ، وهو ما يرفع فيها[٥] الصوت بالقراءة والمسنون دون الجهر لقوله : ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء : ١١٠] .

---

(١) معاني الزَّجَّاج ٣/ ٣٦٧ : «والخيف بالكسر جمع خيفة من الخَوْف ، فأصله خوفة ، سكنت الواو إثر كسر فقلبت ياء» . انظر : إعراب النحاس ١/ ٦٦٢ ، وتهذيب اللغة (خاف) ١/ ٩٦٦ ، والحجة لأبي علي ٣/ ٣١٧ ، واللسان (خوف) ٣/ ١٢٩٠ ، ومعجم مفردات الإبدال والإعلال للخراط ١٠٣ .

(٢) كأنه يعني قال ابن عباس رضي الله عنهما ، ولم أقف عليه عنه .

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٩٥ عن ابن عباس .

(٤) قال ابن كثير في تفسيره ٢/ ٣١٢ ، ٣١٣ : «المراد بالآية الحض على كثرة الذكر من العباد ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ لئلا يكونوا من الغافلين ، ولهذا مدح الملائكة الذين يسبحون الليل والنهار ولا يفترون ؛ ليقتدي بهم في كثرة طاعتهم وعبادتهم ، وزعم أن المراد بها : أمر السامع للقرآن في حال استماعه بالذكر على هذه الصفة ، وهذا بعيد ، مناف للإنصات المأمور به ، ثم إن المراد بذلك في الصلاة أو الصلاة والخطبة ، ومعلوم أن الإنصات إذ ذاك أفضل من الذكر باللسان سواء كان سرًّا أو جهراً ، فهذا الذي قيل لم يتابع عليه» اهـ . بتصرف .

(٥) في (أ) : (ما يرفع فيه الصوت) .

وقــال قتادة[١] : «أمــر الله بذكره ونهى عن الغفلــة ، أما ﴿بِٱلْغُدُوِّ﴾ فصلاة الصبح ، وأمــا بالعشي فصلاة العــصر» ، وعلى هذا القول الآيــة مقصورة على الصلاتين .

وقــال مجاهد[٢] وابــن جريج[٣] : «أمــر أن تذكروه في الصــدور بالتضرع والاستكانة ، ويكره رفع الصوت والنداء بالدعاء» .

وعلى هذا الآية وردت في ذكر الله تعالى بالقلب ، وترك الصياح في الدعاء[٤] .

وقوله تعالى : ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ . الغَدْو مصــدر ، يقال : غَدوت أغدُو[٥] غدواً وغدوّاً ، ومنه قوله : ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ﴾ [سبأ : ١٢] ؛ أي غدوها للسير ، ثم سمّي وقت الغدو غدواً ، كما يقال : دنا الإصباح ؛ أي وقته ، ودنا الإمســاء ، ويجوز أن يكــون الغدو هاهنا جمع غدوة ، قال الليث : «الغــدوُّ جمع مثل الغدوات وواحد الغدوات غدوة»[٦] .

---

(١) أخرجه الطبري ٩/ ١٦٨ بسند جيد ، وفيه ﴿وَٱلْآصَالِ﴾ بالعشي ، وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٢٨٨ ، وزاد نسبته إلى عبدالرزاق وعبد بن حميد ، وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة .

(٢) أخرجه الطبري ٩/ ١٦٦ بسند ضعيف ، وذكره الثعلبي ٦/ ٣٥ أ ، والبغوي ٣/ ٣٢١ عن مجاهد وابن جريج ، وليس فيه عند الطبري «ويكره رفع الصوت . . . .» .

(٣) أخرجه الطبري ٩/ ١٦٧ بسند جيد .

(٤) قال النحاس في معانيه ٣/ ١٢٣ : «لم يختلف في معنى قوله : ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ﴾ أنه في الدعاء» .
وانظر : تفسير الطبري ٩/ ١٦٦ ، والسمرقندي ١/ ٥٩١ ، والماوردي ٢٩٠ .

(٥) في (أ) : (غدوت أغدوا) .

(٦) تهذيب اللغة ٣/ ٢٦٣٦ ، وليس فيه : (وواحد الغدوات غدوة) .
انظر : العين ٤/ ٤٣٧ ، والجمهرة ٢/ ٦٧١ ، والبارع ٤٢٥ ، والصحاح ٦/ ٢٤٤٤ ، والمجمل ٢/ ٦٩٢ ، ومقاييس اللغة ٤/ ٤١٥ ، والمفردات ٦٠٣ ، واللسان (غدا) ٦/ ٣٢٢٠ .

قال الراجز[١] :

جرَّتْ عليهِ كــلُّ ريحٍ ريــدةٍ هـوجـاءَ سفواءَ نــؤوجِ الغدوةِ

وأما ﴿وَٱلۡأٓصَالِ﴾ ، فقال الفرَّاء : «واحدها أُصُل ، وواحد الأصل أصيل .

قال : ويقال : جئناهم مؤصلين ؛ أي عند الآصال»[٢] .

وقال الزَّجَّاج : «الآصال العشيات جمع الجمع»[٣] .

(١) الشاهد لهميان بن قحافة السعدي ، شاعر ، وراجز ، أموي ، في الصحاح (ريد) ٢/ ٤٧٩ ، وهو لعلقمة بن عبدة التيمي الفحل ، شاعر ، جاهلي في تهذيب إصلاح المنطق١/ ٢٨٠ ، وهو في اللسان (ريد) ٣/ ١٧٩٠ لهميان أو علقمة ، وبلا نسبة في إصلاح المنطق ٩٤ ، والمخصص ٩/ ٨٦ و١٥/ ٨١ ، قال التبريزي في تهذيب إصلاح المنطق في شرح الشاهد : «ريح ريدة : لينة الهبوب ، والهوجاء : التي تهب بشدة ، والسفواء : الخفيفة ، والنؤوج : المصوتة في هبوبها ، أخبر أنها تهب في وقت الغدوة» اهـ .

(٢) ذكره النحاس في إعرابه ١/ ٦٦٢ ، ٦٦٣ ، والرازي ١٥/ ١٠٩ ، والقرطبي ٧/ ٣٥٦ ، ولم أقف عليه في معانيه ، وهذا القول هو قول الأكثر . انظر : مجاز القرآن ١/ ٢٣٩ ، ومعاني النحاس ٣/ ١٢١ ، وفي معاني الأخفش ٢/ ٣١٧ ، وغريب القرآن لليزيدي ١٥٦ : «الآصال ، واحدها أصيل» .
وانظر : تفسير الطبري ٩/ ١٦٧ ، ونزهة القلوب ٨٨ .

(٣) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٩٨ ، وفيه : «الآصال : جمع أُصل ، والأصل جمع أصيل ، فالآصال جمع الجمع ، وهي العشيات» اهـ .
وانظر : معجم الإبدال والإعلال للخراط ٢٢ .

ومنه قول النابغة[١] :

وقفتُ فيها أصيلاً كي[٢] أسائلَها

أي عشـــية ، ويقال : الأصيل[٣] مأخوذ من الأصل ، وهو أسفل كل شيء ، وما بعد العصر ينتهي إليه النهار إلى آخر النهار ، فقيل لذلك الوقت : أصيل[٤] .

---

(١) ديوانه ٩ ، والكتاب ٢/ ٣٢١ ، ومعاني الفرَّاء ١/ ٤٨٠ ، والمقتضب ٤/ ٤١٤ ، والجمل للزَّجَّاجي ٢٣٥ ، واللمع لابن جني ١٢٢ ، والصحاح (أصل) ٤/ ١٦٢٣ ، والإنصاف ١٤٨ ، والقرطبي ٧/ ٣٥٦ ، واللسان (أصل) ١/ ٨٩ ، وعجزه :

عيتُ جواباً وما بالربعِ مِنْ أحدٍ

(٢) في (ب) : (أصيلاً لا أسائلها) . ورواية الأكثر : (أصَيلاناً) .

قال النحاس في شرح القصائد ، المعلقات ١/ ١٥٨ في شرح البيت : «يروى : أصيلاً كي أسائلها ، وهو واحد وجمعه أُصُل ، وجمع أصل : آصال ، ويروى : أصيلاناً ، وفيه قولان :

أحدهما : أنه تصغير أصلان ، وأصلان جمع أصيل .

والثاني : أنه بمنزلة قولهم : على الله التكلان ، وقولهم : غفران ، وهذا هو الصحيح ، والأول خطأ ؛ لأن أصلاناً لا يجوز أن يصغر إلا أن يرد إلى أقل العدد وهو حكم كل جمع كثير .

وقوله : عيتُ ؛ أي عجزتُ عن الإجابة ، والربع : المنزل في الربيع ، ثم كثر استعماله في كل منزل» اهـ . بتصرف .

ورواية أصيلال أصله : أصيلان ، أبدل النون لاماً على غير القياس .

(٣) هذا قول الليث في تهذيب اللغة ١/ ١٦٨ . وانظر : العين ٧/ ١٥٦ ، والمجمل ١/ ٩٧ ، ومقاييس اللغة ١/ ١٠٩ ، والمفردات (أصل) ٧٨ .

(٤) في (ب) : (أصل) .

٢٠٦. قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ ، قال ابن عباس[(١)] وغيره من المفسرين[(٢)] : «يعني: الملائكة» . قال الزَّجَّاج: «تأويله أنه من قرب من رحمة الله ومن فضله ، فهو عند الله جل وعز»[(٣)] .

فعلى هذا قوله: ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ يراد به: قرب الرحمة والفضل لأقرب المكان[(٤)] .

وقال غيره من أهل المعاني: «هذا تشريف للملائكة بإضافتهم إلى الله عز وجل ، يراد بذلك: أنهم بالمكان الذي كلامه وشرفه ، وجعل الأمور تصدر عنه» .

وقال بعضهم: «إنما قيل في صفة الملائكة: ﴿ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ ؛ لأنهم رسل الله إلى الإنس ، كما يقال: إن عند الخليفة جيشاً عظيماً ، وإن كانوا متفرقين في البلدان»[(٥)] .

---

(١) تنوير المقباس ٢/ ١٥١ .

(٢) قال القرطبي ٧/ ٣٥٦ : «يعني: الملائكة بإجماع» اهـ .
وانظر: تفسير غريب القرآن ١٨٨ ، والطبري ٩/ ١٦٨ ، ومعاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٩٨ ، وإعراب النحاس ٢/ ١٧٣ ، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٩٢ ، والثعلبي ٦/ ٣٥أ ، والماوردي ٢/ ٧٩ .

(٣) معاني الزَّجَّاج ٢/ ٣٩٨ .

(٤) انظر: تفسير ابن عطية ٦/ ١٩٩ .

(٥) ذكر هذه الأقوال النحاس في إعرابه ١/ ٦٦٣ ، والثعلبي ٦/ ٣٥أ ، والرازي ١٥/ ١١١ ، والقرطبي ٧/ ٣٥٦ ، والذي عليه أهل السنة والجماعة ، وهو ظاهر الآية أن عندية الملائكة عند ربهم عندية فوقية ، ومن لوازمها عندية القرب والمكانة والتشريف ، وما ذكره الواحدي وغيره تأويلات ليس عليها دليل من كتاب الله ولا من سنة رسوله ﷺ ، ولا من صحيح اللغة .
انظر: المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات للمغراوي ٩٨ .

وقوله تعالى : ﴿لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ . جاء هذا على الجواب لمن اســتكبر من الناس عن عبادة الله ، كأنه قيل : من هو أكبر منك أيها الإنســان لا يســتكبر عن عبادة الله[(١)] .

* * *

(١) انظر : تفسير الطبري ٩/ ١٦٨ ، والسمرقندي ١/ ٥٩٢ ، والماوردي ٢/ ٢٩١ .
إلى هنا انتهى الموجود في نسخة : (ب) ، وجاء في نسخة : (أ) : «تمت المجلدة الثالثة بحمد الله وجميل صنعه ، يتلوها في الرابعة ـ إن شاء الله تعالى ـ سورة الأنفال ، في الثامن والعشرين من ذي الحجة لشهور سنة ست وستمائة هجرية ٦٠٦هـ .
والحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله وصحبه أجمعين . غفر الله لصاحبه وكاتبه ولمن قال آمين من العالمين ، بقلم الفقير إلى الله عثمان بصليق الشافعي» .